

بَحَارُ الْإِنْفَارِ

الجزء الخامس

تأليف

العلامة العلامة الشيخ الإسلام أبو علي محمد بن أبي المجلية

ألمتوفى في ١١١١ هـ

بنفقة

الحاج السيد آد العلي الحاج الشيخ محمد الأحمدي

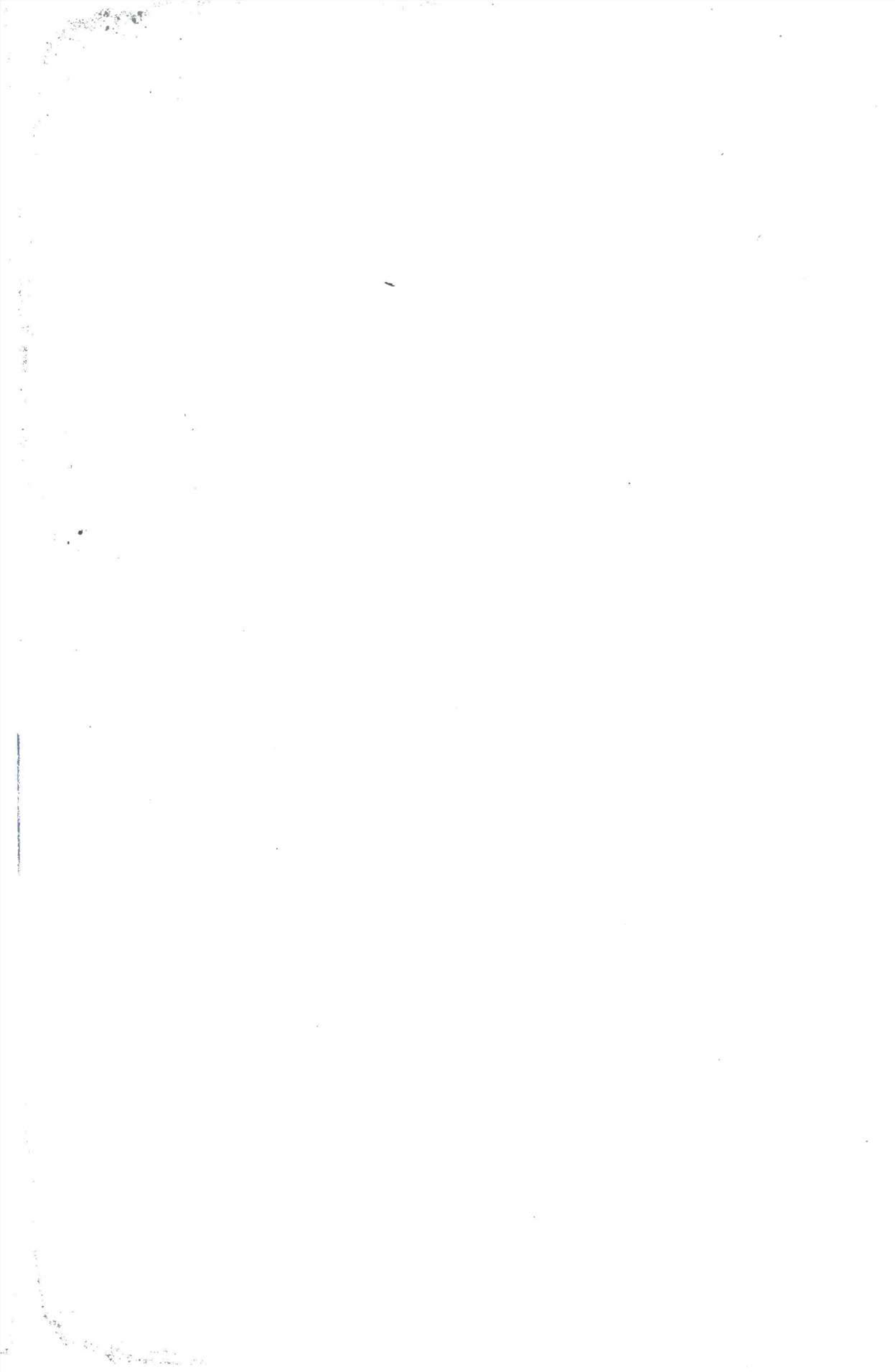
تهران - بازار - سراي حاج سید محسن تهران - بازار سلطانی - دار الكتب الإسلامية

محل الشركة

تهران - سراي حاج حسن - شرکت طبع بحار الانوار

حقوق الطبع والتقليد بهذه
الصورة المزدانة بالتعليق
والهواشي والتقدمة وغيرها
من الخصوصيات محفوظة

رقم تلفون ٢٩٨٠٩



﴿ رموز الكتاب ﴾

عد : للعقائد .
 عدة : للمعدة .
 عم : لاعلام الورى .
 عين : للعيون و المحاسن .
 غر : للفرر والدرر .
 غط : لغيبة الشيخ .
 غو : لغوالى اللثالى .
 ف : لتحف العقول .
 فتح : لفتح الابواب .
 فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .
 فس : لتفسير على بن ابراهيم .
 فض : لكتاب الروضة .
 ق : للكتاب العتيق الغروى .
 قب : لمناقب ابن شهر آشوب .
 قبس : لقبس المصباح .
 قضا : لقضاء الحقوق .
 قل : لاقبال الاعمال .
 قية : للدروع .
 ك : لاكمال الدين .
 كا : للكافى .
 كش : لرجال الكشى .
 كشف : لكشف الغمة .
 كف : لمصباح الكفعمى .
 كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل
 الايات الظاهرة معاً .
 ل : للخصال .
 لد : للبلد الامين .
 لى : لامالى الصدوق .
 م : لتفسير الامام عليه السلام .
 ما : لامالى الشيخ .
 محص : للتمحيص .

ب : لقرب الاسناد .
 بشا : لبشارة المصطفى .
 تم : لفلاح السائل .
 ثو : لثواب الاعمال .
 ج : للاحتجاج .
 جا : لمجالس المفيد .
 جش : لفهرست النجاشى .
 جع : لجامع الاخبار .
 جم : لجمال الاسبوع .
 جنة : للجنة .
 حة : لفرحة الغرى .
 ختص : لكتاب الاختصاص .
 خص : لمنتخب البصائر .
 د : للعدد .
 سر : للسرائر .
 سن : للمحاسن .
 شا : للارشاد .
 شف : لكشف اليقين .
 شى : لتفسير العياشى .
 ص : لقصص الانبياء .
 صا : للاستبصار .
 صبا : لمصباح الزائر .
 صح : لصحيفة الرضا عليه السلام .
 ضا : لفقه الرضا عليه السلام .
 ضوء : لضوء الشهاب .
 ضه : لروضة الواعظين .
 ط : للصراط المستقيم .
 طا : لامان الاخطار .
 طب : لطب الائمة .
 ع : لعلل الشرائع .
 عا : لدعائم الاسلام .

﴿ رموز الكتاب ﴾

نهج : لنهج البلاغة .	مد : للعمدة .
ني : لغيبة النعماني .	مص : لمصباح الشريعة .
هد : للهداية .	مصبا : للمصباحين .
يب : للتهذيب .	مع : لمعاني الاخبار .
يج : للخرائج .	مكا : لمكارم الاخلاق .
يد : للتوحيد .	مل : لكامل الزيارة .
ير : لبصائر الدرجات .	منها : للمنهاج .
يف : للطرائف .	مهج : لمهج الدعوات .
يل : للفضائل .	ن : لعيون أخبار الرضا <small>عليه السلام</small> .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد ،	نبه : لتنبيه الخاطر .
اول كتابه والنوادر .	نجم : لكتاب النجوم .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	نص : للكفاية .



بسمه تعالی

قد قوبل هذا الجزء من هذا الكتاب القيم بعدة نسخ مطبوعة و مخطوطة ، منها نسخة ثمينة نفيسة توجد بخط المصنف قدس سره الشريف ، و يجد القارئ أنموذجاً من صورتها الفتوغرافية في أول الجزء وفي آخره . والنسخة لخزانة كتب فضيلة الفقيه ثقة الإسلام والمحدثين الحاج السيد (صدر الدين الصدر العاملي) الخطيب الشهير الإصفهاني رضوان الله عليه ؛ وقد أتحفنا إياها ولده المعظم العالم العامل الحاج السيد (مهدي الصدر العاملي) نزيل طهران فمن واجبنا أن نقدّم إليه ثناءنا العاطر وشكرنا الجزيل ؛ وفقه الله تعالى وإيانا لجميع مرضاته . ومما يشكر عليه ويقدر جداً قيام فضيلة الخطيب المصطفى المفوّّه المفضل الحاج السيد (مصطفى الطباطبائي القمي) مقابلة ما في البحار من الحديث بمصادره المنقول عنها و بيان ما هنالك من الاختلاف و ذكر أرقام صفحاته عدالمخطوط منها وما لم يتح له الوقوف عليه و نحن نرّمز تلکم التعالیق بـ (م) والله المستعان إنه ولي التوفيق .

یحییٰ عابدی

نحمد الله سبحانه على منته وطوله حيث اختارنا
للقيام بنشر هذا السفر القيم في الملأ الديني
العلمي بصورة بهيئة . و لرواد الفضيلة الذين
وازرونا في هذا المشروع المقدس شكر متواصل
مع الأبد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر عباده بالعدل و هو تعالى أولى
به من المأمورين ، و زجرهم فيدين أنه لا يظلم المزجورين ،
و كلف الخلق بعد استطاعتهم ليكونوا بطاعته في جنّاته
متنعمين ، و بمعصيته في نيرانه معذبين ، و الصلاة على شافع
المذنبين ، و فخر المرسلين ، محمد خاتم النبيين ، و على وصيه
رافع لواء الحمد يوم الدين ، و الساقى من حوض أخيه شيعته
المرحومين ، و على أوصيائهما الأَطهرين ، و ذرّيتهما الأكرميين
ما أظلت السماوات على الأرضين .

أما بعد فهذا هو المجلّد الثالث من كتاب بحار الأنوار
المشتمل على أخبار العدل و المعاد ، و علل تكليف العباد ، ممّا
ألّفه الراجي لرحمة ربّه و شفاعته نبيّه يوم التناد محمد باقر بن
محمد تقي رزقه الله سلوك سبيل الرشاد ، و غفر له و لوالديه
يوم المعاد .

﴿ابواب العدل﴾

﴿باب ١﴾

﴿نفى الظلم و الجور عنه تعالى ، و ابطال الجبر و التفويض ، ﴾

﴿واثبات الامر بين الامرين ، واثبات الاختيار والاستطاعة﴾

الايات ، آل عمران «٣» ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ١٨٢ .
النساء «٤» إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لده
أجرأ عظيماً ٤٠ «وقال» : ولا يظلمون فتيلاً ٤٩ «وقال» : ما أصابك من حسنة فمن الله
وما أصابك من سيئة فمن نفسك ٧٩ «وقال» : ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم
وكان الله شاكراً عليماً ١٤٧ .

الانعام «٦» ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون * ولكل
درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ١٣١-١٣٢ .

الاعراف «٧» إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * وإذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ٢٧-٢٨ .

الانفال «٨» ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ٥١ .

التوبة «٩» فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٧٠ .

يونس «١٠» إن الله لا يظلم الناس شيئاً و لكن الناس أنفسهم يظلمون ٤٤
«وقال تعالى» : قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ١٠٨ .

النحل «١٦» وما ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون * فأصابهم سيئات
ما عملوا ٣٣-٣٤ .

الحج «٢٢» ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ١٠ .

المؤمنون «٢٣» ولأنكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ٦٢ .

النور «٢٤» لكل أمرىء منهم ما اكتسب من الأثم ١١ .

سبا «٣٤» قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون ٢٥ .

فاطر «٣٥» ولا تزرر وازرة وزراً أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ١٨ .

ص «٣٨» أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ٢٨ .

الزمر «٣٩» إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزرر وازرة وزراً أخرى ٧ .

المؤمن «٤٠» وما الله يريد ظلاماً للعباد ٣١ «وقال تعالى» : من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ٤٠ «وقال تعالى» : اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ١٧ .

السجدة «٤١» من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ٤٦ .

الزخرف «٤٣» وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ٧٦ .

ق «٥٠» لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ٢٨ - ٢٩ .

الطور «٥٢» إنما تجزون ما كنتم تعملون ١٦ «وقال تعالى» : كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ١٩ «وقال سبحانه» : كل أمرىء بما كسب رهين ٢١ .

النجم «٥٣» والله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى «إلى قوله تعالى» : أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزرر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزيه الجزاء الأوفى ٣١ - ٤١ .

الواقعة «٥٦» جزاء بما كانوا يعملون ٢٤ .

تفسير: المبالغة في قوله تعالى: «بظلام» إمّا غير مقصودة، أو هي لكثرة العبيد أوليان أن ما ينسبون إليه تعالى من جبرهم على المعاصي وتعذيبهم عليها غاية الظلم، أوليان أنه لو اتصف تعالى به لكان صفة كمال فيجب كماله فيه؛ والفتيل: الخيط الذي في شق النواة؛^(١) وفي تفسير علي بن إبراهيم: هي القشرة التي على النواة «ص ١٢٨» قوله تعالى: «وإن تدع مثقلة إلى حملها أي إن تدع نفس أثقلتها الأوزار لحمل بعض أوزارها لم تجب لحمل شيء منه ولو كان المدعو ذا قرابتها.

١ - لي: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن صباح بن عبد الحميد، وهشام و حفص وغير واحد قالوا: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: إذا لا نقول جبراً ولا تفويضاً^(٢). «ص ١٦٨»

٢ - يد، ن، لي: السناني، عن الأُسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسني، عن الإمام علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى عليه السلام قال: خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: يا غلام ممن المعصية؟ فقال عليه السلام: لا تخلو من ثلاثة: إمّا أن تكون من الله عز وجل و ليست منه فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه،^(٣) وإمّا أن تكون من الله عز وجل و من العبد فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد وهي منه فإن عاقبه الله فبذنبه وإن عفى عنه فبكرمه وجوده.^(٤) «ص ٨٣ ص ٧٩ ص ٢٤٦»

٣ - ب: ابن حكيم، عن البرنطي قال: سألت أبا الحسن عليه السلام قال: فقال لي: اكتب قال الله تعالى: يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء، وبنعمتي أديت إلي

(١) مأخوذ من الفتيل، لكونه على هيئته، يضرب به المثل في الشيء الحقير.

(٢) في المصدر: أنا لا أقول جبراً ولا تفويضاً. م

(٣) في أكثر المصادر: بما لا يكتسبه. م

(٤) سيأتي الحديث مفصلاً من الاحتجاج تحت رقم ٣٣.

فرائضي ، وبقدرتي قويت على معصيتي ، خلقتك سميعاً بصيراً ، أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني لأنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، قد نظمت جميع ما سألت عنه .^(١) « ص ١٥١ »

٤ - ب : أحمد بن محمد ، عن البرنظي ، عن الرضا عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا ناجى ربه قال : يارب قويت على معصيتك بنعمتك . قال : و سمعته يقول في قول الله تبارك و تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له » فقال : إن القدرية يحتجون بأولها وليس كما يقولون ألا ترى أن الله تبارك و تعالى يقول : « وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له » و قال نوح على نبينا و آله و عليه السلام : ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم . قال : الأمر إلى الله يهدي من يشاء . « ص ١٥٨ »

بيان : اعلم أن لفظ القدرية يطلق في أخبارنا على الجبري و على التفويضي ، و

(١) في قرب الاسناد المطبوع : قد نظمت جميع ما تسأل عنه . أقول : أخرجه ثقة الاسلام في كتابه الكافي في باب الجبر والقدر أتم من هذا ، واللفظ هكذا : محمد بن أبي عبدالله وغيره ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر ، و بعضهم يقول بالاستطاعة ، قال : فقال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال علي بن الحسين : قال الله عز وجل : يا بن آدم بشيتي كنت أنت الذي تشاء ، و بقوتي أديت إلى فرائضي ، و بنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، و ما أصابك من سيئة فمن نفسك ، و ذلك أني أولى بحسناتك منك ، و أنت أولى بسيئاتك مني ، و ذلك لا أسأل عما أفعل وهم يسألون ، قد نظمت لك كل شيء تريد . انتهى . وأخرجه أيضاً في باب المشية والارادة بصورة أخصر من هذا و يأتي بالاسناد تحت رقم ٩٣ و يأتي أيضاً تحت رقم ٨٨ بسند آخر مع اختلاف . قوله : بقوتي أديت إلى فرائضي أي بقوتي التي أعطيتك و بتوفيقى الذى وفقتك أديت فرائضي ، ولو وكلتك إلى نفسك وخذلتك لاسقطتك نفسك إلى هوية الضلال ؛ وأدخلتك مداخل سوء والفحشاء ، و ذلك أني جعلتك سميعاً لاستماع ما نطقت به أنبيائي وأدلة رشادى من شرائعى ومعالم ديني ، و وفقتك للاستماع ، وجعلتك بصيراً لتبصر آثار صنعى ، وآيات توحيدى والوحياتى ، فما أصابك من حسنة فمن ناحيتى ومن عندى ، و لتوفيقى وقوتى ، و ما أصابك من سيئة فمن سوء اختيارك ، و غواية نفسك ، و اغتيال سوء سريرتك .

المُراد في هذا الخبر هو الثاني ، وقد أحال كل من الفريقين ماورد في ذلك على الآخر قال شارح المقاصد : لاخلاف في ذم القدرية ، وقد ورد في صحاح الأحاديث : لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً ، والمُراد بهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته سمووا بذلك لمبالغتهم في نفيه ، وقيل : لا ثباتهم للعبد قدرة الإيجاد وليس بشيء ، لأن المناسب حينئذ القدري بضم القاف . وقالت المعتزلة : القدرية هم القائلون بأن الخير والشر كله من الله وبتقديره ومشيئته لأن الشايع نسبة الشخص إلى ما يثبت به ويقول به كالجبرية والحنفية والشافعية ، لا إلى ما ينفيه ، ورد بأنه صح عن النبي ﷺ قوله : « القدرية مجوس أمّتي » وقوله : « إذا قامت القيامة نادى مناد : أهل الجمع أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية » ولاخفاء في أن المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله والشر إلى الشيطان ، ويسمونهما « يزدان و أهرمن » وأن من لا يفوض الأمور كلها إلى الله تعالى ويفرز بعضها فينسبها إلى نفسه يكون هو المخاصم لله تعالى ، وأيضاً من يضيف القدر إلى نفسه ويدعي كونه الفاعل والمقدّر أولى باسم القدري ممّن يضيفه إلى ربه . انتهى .

و قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : قال أبو الحسن البصري ومحمود الخوارزمي وجه تشبيهه ﷺ بالمجبّرة بالمجوس من وجوه :
أحدها أن المجوس اختصّوا بمقالات سقيمة ، واعتقادات واهية معلومة البطلان وكذلك المجبّرة .

وثانيها أن مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه كما خلق إبليس ثم أنفى عنه ، وكذلك المجبّرة قالوا : إنّه تعالى يفعل القبائح ثم يتبرأ منه .^(١)
وثالثها : أن المجوس قالوا : إن نكاح الأخوات و الأمّهات بقضاء الله وقدره وإرادته ، ووافقهم المجبّرة حيث قالوا : إن نكاح المجوس لأخواتهم وأمهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته .

ورابعها : أن المجوس قالوا : إن القادر على الخير لا يقدر على الشر والعكس

(١) في شرح التجريد : ثم يتبرأ منها . م

والمجبرة قالوا : إن القدرة موجبة للفعل غير متقدمة عليه فلا نسان القادر على الخير لا يقدر على ضده وبالعكس انتهى .

اقول . سيتضح لك أن كلا منهما ضالٌّ ، صادق فيما نسب إلى الآخر ، وأن الحق غير ما ذهبوا إليه ، وهو الأمرين الأمرين .

٥ - ب : بالإسناد المذكور قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا ناجى ربه قال : اللهم يارب إنهما قويت علي معاصيك بنعمك .^(١) «ص ١٦٧»
٦ - فس : قوله : «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً إلى قوله : «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً» قال الصادق عليه السلام : إن هذا القول من الله رد علي من زعم أن الله تبارك وتعالى يضل العباد ، ثم يعذب بهم على ضلالتهم «ص ٣٠»

بيان : الظاهر أنه عليه السلام جعل قوله تعالى : يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً من جملة قول الذين كفروا على خلاف ما ذهب إليه المفسرون من أنه من كلامه تعالى جواباً لقولهم .^(٢)

٧ - ل : الخليل بن أحمد ، عن ابن منيع ، عن الحسن بن عرفة ، عن علي بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي ليلى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدرية .
٨ - كنز الكراجكي : عن محمد بن علي بن محمد بن الصخر البصري ، عن عمر بن محمد ابن سيف ،^(٣) عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني ، عن داود بن سليمان ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام مثله . «ص ٥١»

بيان : قال الكراجكي : ظننت المعتزلة أن الشيعة هم المرجئة لقولهم : إننا نرجو من الله تعالى العفو عن المؤمن إذا ارتكب معصية ومات قبل التوبة ، وهذا غلط

(١) أقول : غير خفى أنه والخبر المتقدم تحت رقم ٤ قطعان من الخبر الثالث .

(٢) ولعل الحديث مربوط بآخر الآية ، وهو قوله : وما يضل به إلا الفاسقين الآية . ط

(٣) في المصدر : يوسف . م

منهم في التسمية ، لأن المرجئة مشتق من الإرجاء ، وهو التأخير ^(١) بل هم الذين أخرجوا الأعمال ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان . ثم قال : إن المعتزلة لها من الزلات الفظيعة ما يكسر تعدادها وقد صنف ابن الراوندي كتاب فضائهم فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم مما ينافر العقول ويضاد شريعة الرسول وقد وردت الأخبار بدمهم عن أهل البيت عليهم السلام ولعنهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال : لعن الله المعتزلة أرادت أن توحدت فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت .

٩ - ل : محمد بن علي بن بشير القزويني ، عن المظفر بن أحمد ، وعلي بن محمد بن سليمان ، عن علي بن جعفر البغدادي ، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي ، عن الحسن ابن راشد ، عن علي بن سالم ، عن أبيه قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال ويستمع إلى حديثه و يصدقه على قوله ، إن أبي حدثني عن أبيه عن جدّه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : صنفان من أمتي لانصيب لهما في الإسلام : الغلاة والقدرية .

١٠ - عد : اعتقادنا في الاستطاعة ما قاله موسى بن جعفر عليه السلام حين قيل له : أيكون العبد مستطيعاً ؟ قال : نعم بعد أربع خصال : أن يكون مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح ، له سبب وارد من الله عز وجل ، فإذا تمت هذه فهو مستطيع فقيل له : مثل أي شيء ؟ فقال : يكون الرجل مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح لا يقدر أن يزني إلا أن يرى امرأة فإذا وجد المرأة فإمّا أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف ، وإمّا أن يخلّي بينه وبينها فيزني وهوزان ولم يطع الله بإكراه ، ولم يعص بغلبة ^(٢) .

(١) قال في الكنز بعد ذلك ص ٥٠ : يقال لمن أخر أمراً : أرجأت الأمر بارجل ، فأنت مرجي ، قال الله : « أرجه وأخاه » أي أخره ، وقال تعالى : « وآخرون مرجون لأمرك » أي مؤخرون إلى مشيئته ، وأما الرجاء فأنما يقال : منه رجوت فأناراج ، فيجب أن تكون الشيعة راجية لا المرجئة والمرجئة هم الذين أخرجوا الأعمال ، ولم يعتقدوا من فرائض الإيمان ، وقد لعنهم النبي فيما وردت به الأخبار . انتهى . ثم ذكر الحديث المتقدم .

(٢) سيوافيك الحديث مسنداً عن الرضا عليه السلام تحت رقم ٥٤ .

١١- وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون للأخذ بما أمروا به ، و الترك لما نهوا عنه ، و بذلك ابتلوا .^(١)

١٢- وقال أبو جعفر عليه السلام : في التوراة مكتوب مسطور : يا موسى إنني خلقتك واصطفيتك وقويتك ،^(٢) وأمرت بك بطاعتي ، و نهيتك عن معصيتي ، فإن أطعني أعنتك على طاعتي وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، ولي المنة عليك في طاعتك ، ولي الحجة عليك في معصيتك . «ص ٧٢-٧٣»

١٣- فس : في رواية أبي الجارود^(٣) قوله : «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة» قال : خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً و شقيماً و سعيداً ، و كذلك يعودون يوم القيامة مهتدو ضال ، يقول : إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ؛ وهم القدرية الذين يقولون : لا قدر ، و يزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة ، وذلك إليهم إن شاءوا اهتدوا ، وإن شاءوا ضلوا ، وهم مجوس هذه الأمة ، و كذب أعداء الله المشية والقدرة لله «كما بدأكم تعودون» من خلقه الله شقيماً يوم خلقه كذلك يعود إليه ،^(٤) ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الشقي من شقى في بطن أمه ، والسعيد من سعد في بطن أمه . «ص ٢١٤»

١٤- ل : الفامي وابن مسرور ، عن ابن بطّة ، عن الصفار ، و محمد بن علي بن محبوب ،^(٥) عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل زعم أن الله عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم الله عز وجل في حكمه وهو كافر ، ورجل يزعم أن الأمر

(١) سيأتي الحديث مسنداً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ٥٦٩١ .

(٢) في الاصل : وهديتك وقويتك وفي آخر الحديث : في معصيتك لي .

(٣) في تفسير القمي بعد ذلك : عن أبي جعفر عليه السلام . م

(٤) وفيه ايضاً : يعود اليه شقيماً . م

(٥) في التوحيد بعد ذلك : ومحمد بن حسين بن عبد العزيز ، عن ابن عيسى . م

مفوض إليهم فهذا وهمن الله في سلطانه فهو كافر ، ورجل يقول : إن الله عز وجل كلف العباد ما يطيقون ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، فإذا أحسن حمد الله ، وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ .

يد : الوراق ، عن ابن بطّة مثله .

١٥ - ل : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن الحسن بن الحسن بن الفارسي ، عن سليمان بن جعفر البصري ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آباءه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله عز وجل لما خلق الجنة خلقها من لبنتين ، لبنة من ذهب ، و لبنة من فضة ، و جعل حيطانها الياقوت ، وسقفها الزبرجد ، وحصائها اللؤلؤ ، ^(١) و ترابها الزعفران والمسك الأزفر ، فقال لها : تكلمي ، فقالت : لا إله إلا أنت الحي القيوم ، قد سعد من يدخلني . فقال عز وجل : بعزتي وعظمتي وجلالي و ارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر ، ولا سكّير ، ولا قنات ^(٢) وهو النمام ، ولا ديوث وهو القاطبان ، ولا قلاع وهو الشرطي ، ولا زنوق وهو الخنثى ، ولا خيوف ^(٣) وهو النباش ، ولا عشار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدرى .

توضيح : السكّير بالكسر وتشديد الكاف : الكثير السكر ، والفرق بينه وبين المدمن إمّا بكون المراد بالخمر ما يتخذ من العنب وبالسكّير من يسكر من غيره ، أو بكون المراد بالمدمن أعمّ ممن يسكر . وشرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده ، والنسبة إليهم شرطي كتركي ، ولم أجداً للغويين فسر والزنوق والخيوف بما فسّر به في الخبر .

١٦ - ل : أبي وابن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطّار ، عن الأشعري عن محمد بن الحسين بإسناده يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يدخل الجنة مدمن

(١) في نسخة : وحصائها اللؤلؤ .

(٢) من القنات وهو الكذب ، وسمى النمام قناتاً لانه يزور الحديث ويحسّنها و يبلغها على جهة الكذب والفساد .

(٣) في نسخة من الكتاب : ولا خوف . و في الخصال المطبوع : ولا خيوق في الموضعين .

خمر ، ولا سكير ، ولا عاق ، ولا شديد السواد ، ولا ديتوث ، ولا قلاع وهو الشرطي ، ولا زنونق وهو الخنثى ، ولا خيوف وهو النباش ، ولا عشّار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدرى .

قال الصدوق رحمه الله : يعني بشديد السواد الذي لا يبيض شيء من شعر رأسه ، ولا من شعر لحيته مع كبر السن ، ويسمى الغريب ^(١) .

١٧ - ن : السناني ، عن الأسدي ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسيني ، عن إبراهيم ابن أبي محمود قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وتركهم في ظلمات لا يبصرون » فقال : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالتارك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف ، وخلا بينهم وبين اختيارهم . قال : وسألته عن قول الله عز وجل « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » قال : الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » قال : وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي ؟ فقال : بل يخيرهم ^(٢) ويمهلهم حتى يتوبوا ، قلت : فهل يكلف عباده ما لا يطيقون ؟ فقال : كيف يفعل ذلك وهو يقول : « وما ربك بظلام للعبيد » ؟ ثم قال عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال : من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ، ولا تقبلوا شهادته ، ولا تصلّوا وراءه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً . « ص ٧٠ »

ج : مرسل عن الحسيني مثله . « ص ٢٢٥ »

١٨ - ن : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي الأنصاري ، عن يزيد بن عمير ابن معاوية الشامي ^(٣) قال : دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له : يا بن

(١) وزان عفريت .

(٢) في الاحتجاج : لا بل يخيرهم . ٢

(٣) الموجود في العيون : « زيد بن عمير بن معاوية الشامي » وحكى فيه عن نسخة أخرى « يزيد بن عمير ، عن معاوية الشامي » .

رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين فما معناه ؟ فقال : من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذب بنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك . فقلت له : يا بن رسول الله فما أمرين أمرين ؟ فقال : وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نهوا عنه . فقلت له : فهل الله عز وجل مشيئة وإرادة في ذلك ؟ فقال : أمّا الطاعات فإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها ، والرضا لها ، والمعاونة عليها ؛ وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها . قلت : فإله عز وجل فيها القضاء ؟ ^(١) قال : نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشر إلا والله فيه قضاء . قلت : فما معنى هذا القضاء ؟ قال : الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة . «ص ٧٨»

ج : رواه مراسلاً مثله .

١٩٥ - ن : الدقاق ، عن محمد بن الحسن الطائي ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن جعفر الكوفي قال : سمعت سيدي علي بن محمد عليه السلام يقول : حدثني أبي محمد بن علي ، عن أبيه الرضا علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه عليه السلام .

وحدثنا محمد بن عمر الحافظ البغدادي ، عن إسحاق بن جعفر العلوي ، عن أبيه ، عن سليمان بن محمد القرشي ، عن إسماعيل بن أبي زياد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي عليه السلام .

وحدثنا أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي الغرائمي ، عن أحمد بن محمد ابن رميح النسوي ، عن عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر ، عن عبد الوهاب بن عيسى

(١) في العيون المطبوع : فهل عز وجل فيها القضاء ؟ .

(*) أورده الامام علي بن محمد العسكري عليه السلام ملخصاً في رسالته إلى أهل الأهواز في معنى الجبر والتفويض ، وسيوردها المصنف قدس سره في الباب الآتي . و يأتي عن كتاب الاحتجاج أيضاً في الباب الثالث تحت رقم ١٩ وعن الارشاد تحت رقم ٧٥ وعن النهج تحت رقم ٧٩ .

المروزي، عن الحسن بن علي بن محمد البلوي، عن محمد بن عبد الله بن نجيح، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليه السلام.

وحدثنا أحمد بن الحسن القطّان، عن السّكّري، عن الجوهري، عن العباس بن بكار الضبي، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس قالوا : لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من صفين قام إليه شيخ ممّن شهد الواقعة معه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر ؟ و قال الرضا في روايته عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال الشيخ عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ^(١) فقال : مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدراً لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، والأمر والنهي والزجر ، و لسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم تكن على مسيء لائمة ، ولا لمحسن محمداً ، ولكان المحسن أولى بالائمة من المذنب ، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان و خصماء الرحمن ، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها ، يا شيخ إن الله عز وجلّ كلّف تخيراً ، ونهى تحذيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يخاق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ^(٢) ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، قال : فنهض الشيخ وهو يقول :

(١) الظاهر كما يستفاد من الكافي سقوط جملة من هنا إما من الصدوق أو من النساخ ومن روى الحديث عنه ، وهي في الكافي هكذا : فقال له : مه يا شيخ فوالله لقد عظم الله الاجر في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليه مضطرين . فقال له الشيخ : وكيف لم تكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا و منصرفنا ؟ فقال له : و تظن أنه كان قضاءً حتماً إلهياً وأورد مثله العلامة في شرح التجريد في باب القضاء والقدر باسناده عن الأصمعي مع اختلاف نشير إليه بعد ذلك . وفيه أيضاً بعد قوله : يا أمير المؤمنين قوله : ما أرى لي من الاجر شيئاً . وياتي نحوه أيضاً في خبر ١٩ من الباب الثالث مع زيادة .

(٢) يوجد في الكافي هنا أيضاً زيادة وهي : ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً .

- أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ☆ يوم النجاة من الرحمن غفراناً
 أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ☆ جزاك ربك عنا فيه إحساناً
 فليس معذرة في فعل فاحشة ☆ قد كنت راكبها فسقاً و عصياناً
 لا لا ولا قابلاً ناهيه أوقعه ☆ فيها عبدت إذا يا قوم شيطاناً
 ولا أحب ولا شاء الفسوق ولا ☆ قتل الولي له ظلماً و عدواناً
 أنى يحب وقد صحت عزيمته ؟ ☆ ذو العرش أعلن ذاك الله إعلاناً

لم يذكر محمد بن عمر الحافظ في آخر هذا الحديث من الشعر إلا بيتين من أوّله. ^(١) «ص ٧٩»

يد : زاد ابن عباس في حديثه : فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين القضاء والقدر اللذان ساقانا ؟ وما هبطنا وادياً وما علونا تلة إلا بهما ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأمر من الله والحكم ، ثم تلا هذه الآية : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» . «ص ٣٩٠»
 بيان : التلة : ما ارتفع من الأرض .

قوله : عند الله أحسب عنائي أي لما لم نكن مستحقين للأجر لكوننا مجبورين فأحسب أجر مشقتي عند الله لعله يثيبني بلطفه ، ويحتمل أن يكون استفهاماً على سبيل الإنكار ، وقال الجزري : الاحتساب من الحسب كالاكتداد من العدد ، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله : احتسبه لأن له حينئذ أن يعتدّ عمله ، و الاحتساب في الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر ، وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها . انتهى .

قوله عليه السلام : ولكن المذنب أولى بالإحسان أقول : لأنه حمّله على ما هو قبيح عقلاً و شرعاً ، وصيّره بذلك محلاً للائمة الناس ، فهو أولى بالإحسان لتدارك ذلك وأيضاً لما حمل المحسن على ما هو حسن عقلاً و شرعاً و صار بذلك مورداً لممدح الناس

(١) كالكليني في الكافي إلا أنه قال : أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً . جزاك ربك بالإحسان

فإن عاقبه وأضرَّ به تداركاً لما أحسن إليه كان أولى من جمع الإضرارين على المسمى ،
وقيل : إنما كان المذنب أولى بالإحسان لأنَّه لا يرضى بالذنب كما يدلُّ عليه جبره
عليه ، والمحسن أولى بالعقوبة لأنَّه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه ، ومن لا
يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الذي يرضى به .

ويحتمل أن يكون هذا متفرعاً على مامرٍ أي إذا بطل الثواب والعقاب والأمر
والنهي والوعد والوعيد لكان المذنب أولى النج ؛ ووجهه أنَّه لم يبق حينئذ إلا الإحسان
والعقوبة الدنيوية ، والمذنب في الدنيا متنعم بأنواع اللذات ، وليست له مشقة التكاليف
الشرعية ، والمحسن في التعب والنصب بارتكاب أفعال لا يشتهيها ، وترك ما يلتذُّ بها مقتراً
عليه لاجتناب المحرمات من الأموال ، فحينئذ الإحسان الواقع للمذنب أكثر ممَّا وقع
للمحسن ، فهو أولى بالإحسان من المحسن ، والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممَّا وقع
على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب .^(١) والقدرية في هذا الخبر أطلقت على الجبرية
وقوله : لم يعص على بناء المفعول ، وكذا قوله : ولم يطع مكرهاً - بكسر الراء - وفي الفتح
تكلف .

و في الكافي بعد ذلك : ولم يملك مفوضاً . إشارة إلى نفي التفويض التام ، بحيث
لا يقدر على صرفهم عنه ، أو بحيث لا يكون لتوقيقه وهدايته مدخل فيه .

٢٠ - يد ، ن : ابن مسرور ، عن ابن عامر ، عن معلى بن محمد البصري ، عن

(١) و ذكر وجهين آخرين في كتابه المرأة أيضاً ، أحدهما أنه لما اقتضى ذات المذنب أن
يحسن إليه في الدنيا باحداث اللذات فيه فينبغي أن يكون في الآخرة أيضاً كذلك ، لعدم تغير الذوات
في النشأتين ، وإذا اقتضى ذات المحسن المشقة في الدنيا وإيلامه بالتكاليف الشاقة ففي الآخرة أيضاً
ينبغي أن يكون كذلك . الثاني ما قيل : لعل وجه ذلك أن المذنب بصدور القبائح والسيئات منه متألم
منكسر البال ، لظنه أنها وقعت منه باختياره وقد كانت بجبر جابر وقهر قاهر فيستحق الإحسان ،
وأن المحسن لفرحاته بصدور الحسنات عنه وزعمه أنه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب
أقول : لعل قوله : ولكان المحسن أولى إله فيه تصحيف ، وصححه كما في شرح التجريد في رواية الأصمغ :
ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسمى ، ولا المسمى أولى بالذم من المحسن . أو كما يأتي في حديث ١٩
من الباب الثالث : ولا كان المحسن أولى إله ومعناه ظاهر لا يحتاج إلى شيء ، من التوجيهات المذكورة ،
لأن العبد إذا كان مجبوراً على الفعل مسلوباً عنه الاختيار كان المحسن والمسمى كلاهما متساويين في
عدم صحة استناد الإحسان والإساءة إليهما فلا يكون أحدهما أولى بالمدح أو الذم من الآخر .

الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته فقلت : الله فوَّض الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعزُّ من ذلك ؛ قلت : فأجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، ثم قال : قال الله عز وجل : يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوَّتِي التي جعلتها فيك . «ص ٣٧١ ص ٨٢»

٢١ - يد ، ن : الطالقاني ، عن أحمد بن علي الأنصاري ، عن الهروي قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكاة ، ولا تقبلوا لهم شهادة ، ^(١) إن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يحملها فوق طاقتها ، ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزراً أخرى . «ص ٣٧١ ص ٨٢»

٢٢ - يد ، ن : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن الجعفري ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيكُم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم عليه أحدٌ إلا كسرتموه ؟ ^(٢) قلنا : إن رأيت ذلك ؛ فقال : إن الله عز وجل لم يطع باكره ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، هو المالك لما ملكتهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته ^(٣) لم يكن الله عنها صادراً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال عليه السلام : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه . «ص ٣٧٠ ص ٨٢»

ج : مرسل أمثله . ^(٤) «ص ٢٢٥ - ٢٢٦»

بيان : لعل ذكر الائتمار ثانياً للمشاكلة ، أو هو بمعنى الهم ، أو الفعل من غير مشاورة ، كما ذكر في النهاية والقاموس .

٢٣ - يد ، مع : حدَّثنا أبو الحسن محمد بن سعيد السمرقندي ^(٥) الفقيه بأرض بلخ

(١) في المصدرين : ولا تقبلوا له شهادة . م

(٢) في التوحيد المطبوع : ولا يخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه .

(٣) ائتمروا الأمر وبه : امثله . أقول : أورد الحديث الكليني في باب القضاء والقدر .

(٤) إلا أن صدر الرواية من قوله : « فقال إلا أعطيكُم » إلى قوله : « قلنا إن رأيت ذلك ، غير

مذكور في المصدر . م

(٥) كذا في النسخ ولعله تصحيف «محمد» .

قال : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن الزاهد السمرقندي بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه سأله رجل فقال له : إن أساس الدين التوحيد والعدل ، وعلمه كثير لا بد لعاقل منه ، فاذا كر ما يسهل الوقوف عليه ، وتهيئاً حفظه ، فقال : أمّا التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك ، وأمّا العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه . «ص ٨٣»

٢٤ - فس : قوله : «وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم» إلى قوله : «سابقين»^(١) فهذا رد على المجبرة الذين زعموا أن الأفعال لله عز وجل ، ولا صنع لهم فيها ولا اكتساب ، فرد الله عليهم فقال : فكلاً أخذنا بذنبه ، ولم يقل : بفعلنا لأنه عز وجل أعدل من أن يعذب العبد على فعله الذي يجبره عليه . «ص ٤٩٦»

٢٥ - فس : محمد بن أبي عبد الله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفلي ، عن السكوني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : وجدت لأهل القدر أسماء في كتاب الله : «إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنما كل شيء خلقناه بقدر» فهم المجرمون . «ص ٦٥٧»

٢٦ - ج : عن أبي حمزة الثمالي أنه قال : قال أبو جعفر عليه السلام للحسن البصري : إياك أن تقول بالتفويض^(٢) فإن الله عز وجل لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنأمنه وضعفاً ، ولا أجبرهم على معاصيه^(٣) ظلماً . الخبر «ص ١٧٨»

٢٧ - يد : الدقاق ، عن الأسدي ، عن خنيس بن محمد ، عن محمد بن يحيى الخزّاز ، عن المفضل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين ، قال : قلت : ما أمر بين أمرين ؟ قال : مثل ذلك مثل رجل رأته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية . «ص ٣٧١»

٢٨ - عد : اعتقادنا في الجبر والتفويض قول الصادق عليه السلام : لا جبر ولا تفويض «ص ٦٩»

(١) العنكبوت : ٣٩ .

(٢) ليست هذه العبارة مروية على استقلالها في المصدر : بل مذكورة في ضمن حديث مفصل . م

(٣) في نسخة : المعاصي .

اقول : وساق الخبر إلى آخر ما رواه المفضل ، وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرحه : الجبر هو الحمل على الفعل ، والاضطرار إليه بالقسر والغلبة ، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه ، وقد يعبر عنه بفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء أنه جبر ، والأصل فيه مافعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قد مناه ، وإذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها والامتناع منها ، وخلق فيهم المعصية كذلك ، فهم المجبرة حقاً ، والجبر مذهبهم على التحقيق ، والتفويض هو القول برفع الحظر^(١) عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم ، مع ما شاؤوا من الأعمال ، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات ، والواسطة بين هذين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم ، وممكنهم من أعمالهم ، وحد لهم الحدود في ذلك ، و رسم لهم الرسوم ، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها ، ووضع الحدود لهم فيها ، وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض على ما بينناه .

٢٩ - ج : عن هشام بن الحكم قال : سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال : أخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً ؟ قال عليه السلام : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنة ولا نار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، واحتج عليهم برسله ، وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إيّاه العقاب ، قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ،

(١) الحظر : المنع ، وظاهره أنه رحمه الله يفسر التفويض بالاحاد مع أن الظاهر أن المراد بالتفويض في الاخبار هو ما قالت به المعتزلة في مقابل الاشاعة ، وهو أن الأفعال مخلوقة للإنسان ، وإن كانت القوى والادوات مخلوقة لله خلافا لما ينسب إلى الاشاعة أن الجميع مخلوق لله . ط

والعمل الشر من العبد هو فعله ؟ قال : العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره ، و العمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه ؛ قال : أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه ؟^(١) قال : نعم ، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه .^(٢) قال : فإلى العبد من الأمر شيء ؟ قال : ما نهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون .

قال : فمن خلقه الله كافراً يستطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة ؟ قال عليه السلام : إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، أمرهم ونهاهم ، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله فعرض عليه الحق فجحدته فبأنكاره الحق صار كافراً ، قال : فيجوز أن يقدر على العبد الشر ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمل به ويعذب به عليه ؟ قال : إنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريد منه ، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه ، والإنزاع عما لا يقدر على تركه ، ثم يعذب به على تركه أمره الذي علم أنه لا يستطيع أخذه الخبر « ص ١٨٦ »

عد : اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ، ومعنى ذلك أنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها .

اقول : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح العقائد عند شرح هذا الكلام الذي ذكره أبو جعفر رحمه الله : قد جاء به حديث غير معمول به ، ولا مرضي الإسناد ،^(٣)

(١) وهي قدرته وإرادته ومشيته .

(٢) أي الآلة التي جعلها الله في العبد لا يقتضي طرفاً من الفعل دون طرفه الآخر حتى يكون العبد مقهوراً لها ومجبوراً على الفعل بسببها فيستند الفعل إلى الله وينفي عن العبد ، بل الآلة وهي قدرة العبد وإرادته يقتضي طرفي الفعل من الوجود والعدم ، ويمكن أن يستعملها في الخير والشر ، فتخصيص طرفي الفعل أو الخير والشر بالوجود من العبد .

(٣) وهو الحديث الاتي تحت رقم ٣٧ و ٣٨ ، وفيهما عبد الواحد بن محمد بن عبدوس ولم يرو توثيقه من قدماء أهل الرجال .

والأخبار الصحيحة بخلافه ، وليس نعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له ، ولو كان ذلك كما قال المخالفون للحق لوجب أن يكون من علم النبي صلى الله عليه وآله فقد خلقه ، ومن علم السماء والأرض فهو خالق لهما ، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرّره في نفسه أن يكون خالقاً له ؛ وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعية الأمة عليهم السلام فضلاً عنهم .

فأمّا التقدير فهو الخلق في اللغة لأنّ التقدير لا يكون إلا بالفعل ، فأمّا بالعلم فلا يكون تقديرًا ، ولا يكون أيضاً بالفكر ، والله متعال عن خلق الفواحش والقبائح على كل حال . وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سئل عن أفعال العباد أهى مخلوقة لله تعالى ؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه : « إن الله برىء من المشركين » ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم ، وكتاب الله تعالى المقدم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها ، فما قضى به فهو الحق دون ما سواه ، قال الله تعالى : « الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » فخبّر بأن كل شيء خلقه فهو حسن غير قبيح ، فلو كانت القبائح من خلقه لما حكم بحسن جميع ما خلق ، وقال تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فنفى التفاوت عن خلقه ، وقد ثبت أن الكفر والكذب متفاوت في نفسه ، والمتضاد من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا على الله تعالى أنه خالق لأفعال العباد وفي أفعال العباد من التفاوت ما ذكرناه ؟ .

☆ ٣٠ - ج : ممّا أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض أن قال : اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم في ذلك أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع فرقها ، فهم في حالة الاجتماع عليه مصيبون ، وعلى تصديق ما أنزل الله مهتدون لقول النبي صلى الله عليه وآله : لا تجتمع أمتي على ضلالة ، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله أن ما اجتمعت عليه الأمة ولم يخالف بعضها بعضاً هو الحق ، فهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون ، ولا ما قاله المعاندون من إبطال

حكم الكتاب ، واتّباع حكم الأحاديث المزوّرة ،^(١) والروايات المزخرفة ،^(٢) واتّباع الأهواء المرديّة المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب ، ويهدينا إلى الرشاد .

ثم قال ﷺ : فإذا شهد الكتاب بتصديق خبر وتحقيقه فأنكرته طائفة من الأمة وعارضته بحديث من هذه الأحاديث المزوّرة فصارت بائناً نكارها ودفعها الكتاب كقاراً ضاللاً ، وأصحّ خبر ما عرف تحقيقه من الكتاب مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث قال : إنني مستخلف فيكم خليفتي كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّسكم بهما لن تضلّوا بعدي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . واللفظة الأخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله ﷺ : إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، أمّا إنكم إن تمسّسكم بهما لن تضلّوا . فلما وجدنا شواهد هذا الحديث نصّاً في كتاب الله مثل قوله : «إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» ثم اتّفقت روايات العلماء في ذلك لأمر المؤمنين ﷺ أنه تصدّق بخاتمته وهو راع فشكر الله ذلك له ، وأنزل الآية فيه ، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من واه وعاد من عاداه . وقوله ﷺ : عليّ يقضي ديني ، وينجز موعدي ، وهو خليفتي عليكم بعدي . وقوله ﷺ حيث استخلفه على المدينة فقال : يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان ؟ فقال : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . فعلمنا أن الكتاب شهد بتصديق هذه الأخبار ، وتحقيق هذه الشواهد فيلزم الأمة الإقرار بها كانت هذه الأخبار موافقة للقرآن ، ووافق القرآن هذه الأخبار ، فلمّا وجدنا ذلك موافقاً لكتاب الله وجدنا كتاب الله موافقاً لهذه الأخبار وعليها دليلاً كان الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد والفساد .

(١) أي الأحاديث المتزينة بالكذب ، أو الأحاديث الكاذبة .

(٢) أي الروايات الموهمة بالكذب .

ثم قال ﷺ : ومرادنا وقصدنا الكلام في الجبر والتفويض وشرحهما وبيانهما ، وإنما قد منا ماقد منا لكون اتفاق الكتاب والخبر إذا اتفقا دليلاً لما أردناه وقوة لما نحن مبينوه من ذلك إن شاء الله ، فقال : الجبر والتفويض بقول الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عندما سئل عن ذلك فقال : لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين . وقيل : فماذا يابن رسول الله ﷺ ؟ فقال : صحة العقل ، وتخلية السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد من قبل الراحلة ، والسبب المهييج للفاعل على فعله ، فهذه خمسة أشياء فإذا نقص العبد منها خلة ^(١) كان العمل عنه مطر حاً بحسبه ، وأنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة وهي الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين مثلاً يقرّب المعنى للطالب ، ويسهل له البحث من شرحه ، ويشهد به القرآن بمحكم آياته ، وتحقيق تصديقه عند ذوي الأبواب ، وبالله العصمة والتوفيق .

ثم قال ﷺ : فأما الجبر فهو قول من زعم أن الله عز وجل جبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله وكذب به ورد عليه قوله : ولا يظلم ربك أحداً وقوله جل ذكره : ذلك بما قدّمت يدك وأن الله ليس بظالم للعبيد ، مع أي كثيرة في مثل هذا ، فمن زعم أنه مجبور على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله عز وجل وظلمه في عقوبته له ، ومن ظلم ربه فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه لزمه الكفر باجتماع الأئمة . والمثل المضروب في ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك إلا نفسه ، ولا يملك عرضاً ^(٢) من عروض الدنيا ، ويعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق بحاجة يأتيه بها ، ولا يملكه ثمن ما يأتيه به ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور ، فأوعد عبده ^(٣) إن لم يأت به بالحاجة أن يعاقبه ، فلمّا صار العبد إلى السوق وحاول أخذ الحاجة التي بعثه

(١) بضم الخاء : الخصلة .

(٢) العرض بفتح العين وسكون الراء : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير ، والجمع : العروض .

(٣) أي فتهدده .

المولى للإيتان بها وجد عليها مانعاً يمنعها إلا بالثمن ، ولا يملك العبد ثمنها ، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته فاغتاظ مولاه لذلك ، وعاقبه على ذلك فإِنَّه كان ظالماً متعدّياً مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه أليس يجب أن لا يعاقبه ؟ والكذب والظلم ينفيان العدل والحكمة ، تعالى الله عما يقول المجترّة علواً كبيراً .

ثم قال العالم عليه السلام بعد كلام طويل : فأما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به فهو قول القائل : إن الله تعالى فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيّه وأهمّهم ، ^(١) وفي هذا كلام دقيق ^(٢) لم يذهب إلى غوره ودقته إلا الأئمة المهديّة عليهم السلام من عترة آل الرسول صلوات الله عليهم ، فإنّهم قالوا : لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضاماً اختاره ، ^(٣) واستوجبوا به من الثواب ، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب ^(٤) إذ كان الإهمال واقعاً ، وتنصرف هذه المقالة على معنيين : إمّا أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحبّه ، فقد لزمه الوهن ، أو يكون جلّ وتقدّس عجز عن تعبدّهم بالأمر والنهي عن إرادته ، ففوّض أمره ونهيّه إليهم ، وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدّهم بالأمر والنهي على إرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ، ويعرّف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيّه ، وادّعى مالك العبد أنّه قادر قاهر عزيز حكيم ، فأمر عبده ونهاه ، ووعدّه على اتّباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيّه ، فأى أمر أمره به أو نهى نهاه عنه لم يأتّمر على إرادة المولى بل كان العبد يتّبع إرادة نفسه ، وبعثه في بعض حوائجه وفيها الحاجة له ، فصار العبد بغير تلك الحاجة

(١) أهمله : تركه ولم يستعمله عمداً أو نسياناً .

(٢) في المصدر : وهذا الكلام دقيق . م

(٣) في المصدر : ما اختاروه واستوجبوا به الثواب . م

(٤) أى لم يكن عليهم فيما اكتسبوا العقاب .

خلافاً على مولاه ، وقصد إرادة نفسه ، واتبع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره فقال العبد : اتّكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبع هواي وإرادتي لأنّ المفوض إليه غير محذور عليه لاستحالة اجتماع التفويض والتحصيل .

ثمّ قال ﷺ : فمن زعم أنّ الله فوّض قبول أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير أو شرّ ، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه ، ثمّ قال : إنّ الله خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة ما تعبّد بهم به من الأمر والنهي ، وقبل منهم اتّباع أمره ، ورضي بذلك منهم ، ونهاهم عن معصيته ، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها ، ولله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عمّا يكره ، ويثيب ويعاقب بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه لأنّه العدل ، ومنه النصفة والحكومة ، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار ، وإليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده ، اصطفى محمداً صلوات الله عليه وآله ، وبعثه بالرسالة إلى خلقه ، ولو فوّض اختيار أمورهم إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أميّة بن الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد لما قالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعنونهما بذلك ، فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض ، بذلك أخبر أمير المؤمنين ﷺ حين سأله عباية بن ربعي الأسديّ ، عن الاستطاعة ، فقال أمير المؤمنين ﷺ : تملكها من دون الله أومع الله ؟ فسكت عباية بن ربعي ، (١) فقال له : قل يا عباية ؟ قال : وما أقول ؟ قال : إن قلت : تملكها مع الله قتلتك وإن قلت : تملكها من دون الله قتلتك ، قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : تقول : تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن ملككها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه ، وهو المالك لما ملكك ، والمالك لما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوّة حيث يقولون : لاحول ولا قوّة إلّا بالله ؟ فقال الرجل : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : لاحول لنا عن معاصي الله إلّا بعصمة الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بعون الله ، قال : فوثب الرجل وقبّل يديه ورجليه .

(١) بالعين المهملة المفتوحة والباء الموحدة .

ثم قال ﷺ : في قوله تعالى : « ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلو أخباركم » وفي قوله : « سنستد رجهم من حيث لا يعلمون » وفي قوله : « أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وفي قوله : « ولقد فتنا سليمان » وفي قوله : « إنا قد فتنا قومك من بعدك و أضلهم السامري » وقول موسى : « إن هي إلا فتنتك » وقوله : « ليلوكم فيما آتاكم » وقوله : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » وقوله : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » وقوله : « ليلوكم أيكم أحسن عملاً » وقوله : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » وقوله : « ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض » إن جميعها جاءت في القرآن بمعنى الاختبار .

ثم قال ﷺ : فإن قالوا : ما الحجّة في قول الله تعالى : « يهدي من يشاء ويضل من يشاء » وما أشبه ذلك ؟ قلنا : فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين : أحدهما أنه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشاء وضلالة من يشاء ، ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب على ما شرحناه . والمعنى الآخر أن الهداية منه : التعريف ، كقوله تعالى : « وأما نود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » وليس كل آية مشتبهة في القرآن كانت الآية حجة على حكم الآيات اللاتي أمر بالأخذ بها وتقليدها وهي قوله : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى ، ويقرب لنا ولكم الكرامة والزلفى ، وهدانا لما هولنا ولكم خيراً وأبقى ، إنه الفعال لما يريد ، الحكيم الجواد المجيد . « ص ٢٤٩ - ٢٥٢ »

٢١ - ج : عن داود بن قبيصة^(١) قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : سئل أبي عليه السلام

(١) هكذا في نسخ الكتاب و الاحتجاج المطبوع وهو غير مذکور في التراجم . ولكن الظاهر انه تصحيف « دارم بن قبيصة » المترجم في ص ١١٧ من رجال النجاشي بقوله : دارم بن قبيصة بن نهشل ابن مجمع أبو الحسن التميمي الدارمي السامح ، روى عن الرضا عليه السلام ، وله عنه كتاب الوجوه .

هل منع الله عمّا أمر به ؟ وهل نهى عمّا أراد ؟ وهل أعان على ما لم يرد ؟ فقال عليه السلام : أمّا ما سألت : هل منع الله عمّا أمر به ؟ فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان قد منع إبليس عن السجود لآدم ، ولو منع إبليس لعذره ^(١) ولم يلعنه ؛ وأمّا ما سألت : هل نهى عمّا أراد ؟ فلا يجوز ذلك ، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى آدم عن أكل الشجرة أراد منه أكلها ، ولو أراد منه أكلها ما نادى عليه صبيان الكتائب ^(٢) « وعصى آدم ربه فغوى » والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره ؛ وأمّا ما سألت عنه من قولك : هل أعان على ما لم يرد ؟ فلا يجوز ذلك ، وجلّ الله تعالى عن أن يعين على قتل الأنبياء ، وتكذيبهم ، وقتل الحسين بن عليّ والفضلاء من ولده ، وكيف يعين على ما لم يرد وقد أعدّ جهنّم لمخالفيه ، ولعنهم على تكذيبهم لطاعته ، وارتكابهم لمخالفته ؛ ولو جاز أن يعين على ما لم يرد لكان أعان فرعون على كفره وادّعائه أنّه ربّ العالمين ؛ أفترى أراد الله من فرعون أن يدعي الربوبية ؟ يستتاب قائل هذا فإن تاب من كذبه على الله . وإلا ضربت عنقه . « ص ٢١٠ »

٣٢ - ج : و روي عن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام ^(٣) أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : إنّ الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون فأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلاّ بإذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته ، بل اختبرهم بالبلوى ، كما قال تعالى « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » . « ص ٢١٠ » قوله عليه السلام : ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلاّ بإذنه أي بتخليته وعلمه .

* والنظائر ، وكتاب الناسخ والمنسوخ إه وقال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : يروى عن الرضا عليه السلام قال ابن الغضائري : لا يؤنس بحديثه ولا يوثق به . انتهى . أقول : دارم بفتح الدال وكسر الراء وزان فاعل ، وقيصة كسفينة ، ونهشل بفتح النون وسكون الهاء وفتح الشين ، ومجمع بالميم المضومة والجيم المفتوحة والميم المشددة المكسورة وزان محدث .

(١) عذره يعذره على ما صنع : دفع عنه اللوم والذنب أو قبل عذره .

(٢) جمع الكتاب - بضم الكاف وتشديد التاء - : موضع التعليم .

(٣) في المصدر : عن الحسن بن عليّ بن محمد العسكري . م

٢٣ - ج : و روي أنه دخل أبو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له : يا أباحنيفة إن ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد عليه السلام فاذهب بنا إليه نقتبس منه علماً فلما أتيا إذا هما بجماعة من شيعته ينتظرون خروجه أو دخولهم عليه ، فبينما هم كذلك إذ خرج غلام حدث ^(١) فقام الناس هيبة له ، فالتفت أبو حنيفة فقال : يا بن مسلم من هذا ؟ قال : هذا موسى ابنه ، قال : والله لأجبهنه ^(٢) بين يدي شيعته قال : مه لن تقدر على ذلك ، قال : والله لأفعلنه ^(٣) ثم التفت إلى موسى عليه السلام فقال : يا غلام أين يضع الغريب حاجته في بلدكم هذه ؟ قال : يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار ، و شطوط الأنهار ، ومسقط الثمار ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، فحينئذ يضع حيث شاء ، ^(٤) ثم قال : يا غلام ممن المعصية ؟ قال : يا شيخ لا تخلو من ثلاث إما أن تكون من الله وليس من العبد شيء ، فليس للحكيم أن يأخذ عبده بمالم يفعل ، وإما أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه ، وإما أن تكون من العبد وليس من الله شيء فإن شاء عفى وإن شاء عاقب . قال : فأصابته أباحنيفة سكتة كأنما ألقم فوه الحجر ، ^(٥) قال : فقلت له ألم أقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ « ص ٢١٠-٢١١ »

(١) الحدث : الشاب .

(٢) أى لانكسر رأسه ، وفى نسخة : لاهجبه لعله من (الهجب) : السوق والسرعة ؛ الضرب بالعصا . وفى الاحتجاج المطبوع : والله اخجله .

(٣) يعرف من هذا نفسيات إمام السنة ورزاقته وعفافه فى الحجاج ؛ هبه لم يكن يرى لسلالة النبوة قداسة وحرمة فبم كان يرى إباحة تخجيل امرء مسلم ، وهو يراه غلاماً حدثاً ؛ لم يكن بينه وبينه عداوة ولا خصام ؛ كما يعرف تبجر الامام عليه السلام فى الاصول والفروع وقوة حجاجه وهو غلام حدث .

(٤) أقول : أخرج الكليني صدر الحديث من قوله : « يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم » فى المجلد الاول من فروع الكافى ص ٦ عن على بن ابراهيم رفعه ، وفيه زيادة وهو هكذا : فقال : اجتنب أفنية المساجد ، وشطوط الانهار ، ومساقط الثمار ، و منازل النزال ، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول ، وارفع ثوبك ، وضع حيث شئت . وأورده الشيخ باسناده عن الكليني فى التهذيب ج ١ ص ٩ .

(٥) مثل سائر يضرب لمن تكلم فاجيب بمسكتة .

و في ذلك يقول الشاعر هذه الأبيات :

لم تخل أفعالنا اللآتي نذم بها ☆ إحدى ثلاث معان حين تأتينا
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ☆ فيسقط اللوم عنّا حين ننشينا
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ☆ ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ☆ ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها

فس : وأمّا الردّ على المجبّرة الذين قالوا : ليس لنا صنع ونحن مجبّرون ، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل ، وإنّما الأفعال هي منسوبة إلى الناس على المجاز لا على الحقيقة ، و تأوّلوا في ذلك آيات من كتاب الله عزّ وجلّ لم يعرفوا معناها ، مثل قوله : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » وقوله : « ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » وغير ذلك من الآيات التي تأويلها على خلاف معانيها ، وفيما قالوه بإبطال الثواب والعقاب ، وإذا قالوا ذلك ثمّ أقرّوا بالثواب والعقاب نسبوا الله إلى الجور ، وأنّه يعذب على غير اكتساب وفعل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجة واضحة عليه ، والقرآن كلّ ردّ عليهم ، قال الله تبارك و تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فقوله عزّ وجلّ : « لها وعليها » هو على الحقيقة لفعلها ، وقوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقوله : « كلّ نفس بما كسبت رهينة » وقوله : « ذلك بما قدّمت أيديكم » وقوله : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » وقوله : « إنّنا هديناهم السبيل » يعني بيّنا له طريق الخير وطريق الشرّ « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » وقوله : « وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » وقارون وفرعون وهامان ولقد جائهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلاً أخذنا بذنبه » فلم يقل : بفعلنا « فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ومثله كثير . « ص ٢٠ - ٢١ »

أقول : سيأتي مثل هذا الكلام بوجه أبسط في كتاب القرآن في تفسير النعماني
فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٣٤ - يد : المفسر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام : ما عرف الله
من شبهه بخلقه ، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده ^(١) الخبر . « ص ٣٤ - ٣٥ »
٣٥ - ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : كتبت إلى الرضا
عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أم مخلوقة أم غير مخلوقة ؟ فكتب عليه السلام : أفعال العباد
مقدرة في علم الله عز وجل قبل خلق العباد بألفي عام . « ص ٧٨ »

٣٦ - يد ، ل ، ن : أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري ، عن علي بن الحسن
الميثمي ، عن علي بن مهرويه القزويني ، عن أبي أحمد الغازي ، عن علي بن موسى الرضا ،
عن آبائه ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال : سمعت أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول :
الأعمال على ثلاثة أحوال : فرائض ، وفضائل ، ومعاصي ، فأما الفرائض فبأمر الله تعالى
وبرضى الله وبقضائه وتقديره ومشيتته وعلمه ؛ وأما الفضائل فليست بأمر الله ^(٢) و
لكن برضى الله وبقضاء الله وبقدرة الله وبمشية الله وبعلم الله ، وأما المعاصي فليست بأمر
الله ^(٣) ولكن بقضاء الله وبقدرة الله وبمشية الله وبعلمه ثم يعاقب عليها . « يد : ٣٧٧ ، ن ٨١ »
يد ، ن : قال ^(٤) مصنف هذا الكتاب : المعاصي بقضاء الله معناه بنهي الله ، لأن
حكمه عز وجل فيها على عباده الانتهاء عنها ، ^(٥) ومعنى قوله : بقدر الله أي بعلم الله بمبلغها

(١) هذا صريح في أنه من قول الرضا عليه السلام ، وفي المصدر صريح في أنه من كلام رسول الله
صلى الله عليه وآله .

(٢) أي الأمر الوجوبي .

(٣) ولا يرزاه ، لأن الله لا يرضى بالكفر والمعاصي .

(٤) في التوحيد : قال مصنف هذا الكتاب قضاء الله عز وجل في المعاصي حكمه فيها ، ومشيتته في المعاصي
نهي عنها ، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها . م

(٥) هذا على أحد معاني القضاء وهو الحكم والالزام كما قال الله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، وقوله : والله يقضى بالحق ، أي يحكم . أقول : ويمكن أن يكون بمعنى
الفصل والقطع وتحتم الأمر ، لوقوعه قبل القدر وهو التقدير ، وإسناده ذلك إلى الله تعالى بحيث
لا يستلزم الجبر إما بواسطة علمه تعالى بحصول ذلك الفعل عند وجود سببه وعلمه التامة ومنها
إرادة الإنسان واختيار فاعله ، أو بواسطة جعله الإنسان مختارا ، وعدم رده التكويني وكفه عن
الفعل مع قدرته عليه ، أو لصحة إسناد الفعل إلى أحد علمه الطولية .

ومقدارها ، ومعنى قوله : بمشيئة الله فإنه عز وجل شاء أن لا يمنع العاصي إلا بالزجر والقول والنهي والتحذير ، دون الجبر والمنع بالقوة ، والدفع بالقدرة . «ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ص ٨١»
 ٢٧ - مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان ، ^(١) عن الهروي قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : أفعال العباد مخلوقة ، فقلت : يا بن رسول الله ما معنى مخلوقة ؟ قال : مقدرة . «مع : ١١٢» «ن : ١٧٥»

٣٨ - ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن الرضا عليه السلام فيما كتب للمؤمنون : من محض الإسلام أن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وأن أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لخلق تكوين ، والله خالق كل شيء ، ولا نقول بالجبر والتفويض . الخبر . «ص ٢٦٧»

☆ ٣٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك ، فإن رأيت جعلت فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت إليك ، اختلف الناس - جعلت فداك - بالعراق في المعرفة والجحود ، فأخبرني - جعلت فداك - أهما مخلوقتان ؟ واختلفوا في القرآن فزعم قوم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون : كلام الله مخلوق ، وعن الاستطاعة أقبل الفعل أو مع الفعل ؟ فإن أصحابنا قد اختلفوا فيه وروا فيه ، وعن الله تبارك وتعالى هل يوصف بالصورة والتخطيط ؟ فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد ، وعن الحركات أهى مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ وعن الإيمان ماهو ؟

فكتب صلى الله عليه وسلم على يدي عبد الملك بن أعين : سألت عن المعرفة ماهي ؟ فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب

(١) لعله حمدان بن سليمان .

(*) أقول : أخرج الكليني قطعة من الحديث وهي « وصف الله بالصورة والتخطيط » في باب النهي عن الصفة ، وقطعة وهي « الإيمان ماهو ؟ » في باب « أن الإسلام قبل الإيمان » في كتابه الكافي عن علي بن إبراهيم ، عن العباس بن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم بن عتيك القصير . فيظهر من هذا اتحاد ابن عتيك مع عبد الرحيم القصير .

مخلوق ، وليس للعباد فيهما من صنع ، ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهووتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، و بشهووتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالاً ، و ذلك بتوفيق الله لهم ، و خذلان من خذله الله ، فبالاختيار و الاكتساب عاقبهم الله وأثابهم ؛ و سألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم فإن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق ، وغير أزلّي مع الله تعالى ذكره ، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، كان الله عزّ وجلّ ولاشيء غير الله معروف ولا مجهول كان عزّ وجلّ ولا متكلّم ولا مرید ولا متحرّك ولا فاعل ، جلّ وعزّ ربّنا ، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه ، جلّ وعزّ ربّنا ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، فيه خبر من كان قبلكم ، وخبر ما يكون بعدكم ، ^(١) أنزل من عند الله على محمد رسول الله ﷺ . وسألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فإن الله عزّ وجلّ خلق العبد وجعل له الآلة و الصحة ، وهي القوة التي يكون العبد بها متحرّكاً مستطيعاً للفعل ، ولا متحرّك إلا وهو يريد الفعل ، وهي صفة مضافة إلى الشهوة التي هي خلق الله عزّ وجلّ ، مركبة في الإنسان فإذا تحرّكت الشهوة للإنسان ^(٢) اشتهى الشيء و أرادّه ، فمن ثم قيل للإنسان : مرید ، فإذا أراد الفعل و فعل كان مع الاستطاعة و الحركة ، فمن ثم قيل للعبد : مستطيع متحرّك ، فإذا كان الإنسان ساكناً غير مرید للفعل و كان معه الآلة وهي القوة والصحة اللتان بهما تكون حركات الإنسان وفعله كان ساكناً لعلّة سكون الشهوة فقيل : ساكن ، فوصف بالسكون فإذا اشتهى الإنسان وتحرّكت شهوته التي ركبّت فيه اشتهى الفعل وتحرّك بالقوة المركبة فيه ، واستعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عند ما تحرّك واكتسبه فقيل : فاعل ومتحرّك و مكتسب و مستطيع أو لا ترى أن جميع ذلك صفات يوصف بها الإنسان ؟ وسألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه ، المفترون على الله عزّ وجلّ ، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ ،

(١) في نسخة : وخبر من يكون بعدكم .

(٢) في التوحيد المطبوع : في الإنسان .

فانف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفى ولا تشبيه هو الله عز وجل ، الثابت ، الموجود ، تعالى الله عما يصفه الواصفون ، ولا تعد القرآن ^(١) فتضل بعد البيان ، و سألت رحك الله عن الإيمان فالإيمان هو إقرار باللسان ، وعقد بالقلب ، وعمل بالأركان ، فالإيمان بعضه من بعض ، ^(٢) وقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان ، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي ، أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان ، وساقطاً عنه اسم الإيمان ، وثابتاً عليه اسم الإسلام ، فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ، ^(٣) ولم يخرج به إلى الكفر والجحود والاستحلال ، ^(٤) وإذا قال للمحلال : هذا حرام ، وللحرام : هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر ، وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثم دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار . « ص ٢٢٧ - ٢٣٠ »

قال الصدوق رحمه الله : كان المراد من هذا الحديث ما كان فيه من ذكر القرآن ، ومعنى ما فيه أنه غير مخلوق أي غير مكذوب ، ولا يعني به أنه غير محدث لأنه قد قال : محدث غير مخلوق ، وغير أزلي مع الله تعالى ذكره .

بيان : قوله : على يدي عبد الملك أي أرسلت الكتاب معه . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن المعرفة من صنع الله أي أصل المعرفة ، أو كمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم وتفكرهم فالمفيض للمعارف هو الرب تعالى ، وللتفكر والنظر والطلب مدخل فيها ، وإنما يثابون ويعاقبون بفعل تلك المبادي وتركها ، أو المعنى أن المعرفة ليست إلا من قبله تعالى ، إما بإلقائها في قلوبهم ، أو ببيان الأنبياء والحجج عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وإنما كلف العباد بقبول ذلك

(١) أي لا تتجاوز عما في القرآن .

(٢) في الكافي هنا زيادة وهي قوله : وهو دار وكذا الإسلام دار والكفر دار ، فقد يكون الخ .

(٣) في الكافي : إلى دار الإيمان .

(٤) في الكافي : ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للمحلال اه

و إقرارهم به ظاهراً و تخلية النفس قبل ذلك لطلب الحق عن العصبية والعناد ، وعمّا
يوجب الحرمان عن الحق من تقليد أهل الفساد ، وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب .
ثم بين عليه السلام أن لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً كما سيأتي
تحقيقه ؛ ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إمّا للتقية مما شاة مع العامة ،
أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى فقالوا : إن هذا الاختلاق ،
كما أشار إليه الصدوق رحمه الله .^(١) قوله : معروف ولا مجهول أي لم يكن مع الله شيء يعرفه
الخلق أو يجهلونه .

٤٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن أبي شعيب
المحاملي ،^(٢) عن أبي سليمان الجمّال ،^(٣) عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
سألت عن شيء من الاستطاعة فقال : ليست الاستطاعة من كلامي ولا من كلام آبائي .
« ص ٣٥٤ - ٣٥٥ »

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أنه ليس من كلامي ولا من كلام آبائي أن
يقول لله عز و جل : إنه مستطيع كما قال الذين كانوا على عهد عيسى عليه السلام : « هل
يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » .

بيان : لعل منعه عن إطلاق الاستطاعة فيه تعالى لكونه استفعالاً من الطاعة فلا
يليق إطلاقه بجنابه تعالى ، ولأن الاستطاعة إنما تطلق على القدرة المتفرّعة على حصول
الآلات والأدوات ،^(٤) والله تعالى منزّه عن ذلك ، وسيأتي تحقيق معنى الخبر .

(١) بل الحق أن الكلام هو اللفظ لا بما انه صوت بل بما أنه دال على المعنى أي المعنى المدلول
عليه بما انه مرتبط بالصوت الذي هو كيف مسموع ، وهذا معنى اعتباري لا يتعلق به الجعل وهذا
بخلاف الحدوث ؛ ولتفصيل الكلام محل آخر . ط

(٢) هو صالح بن خالد الكوفي ، من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام مولى علي بن الحكم بن الزبير
الانباري ، له كتاب ، وثقه النجاشي في باب الكنى من رجاله .

(٣) لم نجد ذكره في التراجم . وفي المصدر : أبو سلمان .

(٤) هذا وما ذكره الصدوق رحمه الله من عجيب التأويل . وظاهر الرواية أن المراد بالاستطاعة قول
دائر بين الناس وليس إلا ما كان دائراً بين المعتزلة يومئذ من القول بالاستطاعة وهو استناد الفعل
إلى قدرة العبد واستطاعته من غير أن يكون لله سبحانه فيه صنع . ويمكن أن يكون إشارة إلى مسألة
تحقق الاستطاعة قبل الفعل الذي نفتها الإشاعة ويكون الخبر وارداً على التقية . ط

٤١ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن أبي جميلة ، ^(١) عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : وهم مستطيعون ، يستطيعون الأخذ بما أمروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، قال : وسألته عن رجل مات وترك مائة ألف درهم ولم يحج حتى مات ، هل كان يستطيع الحج ؟ قال : نعم إنما استغنى عنه بماله وصحته . «ص ٣٥٥-٣٥٦»

بيان : ليس «عنه» في بعض النسخ وهو أظهر ، ومع وجوده يحتمل أن يكون «عن» بمعنى «اللام» كما قيل في قوله تعالى : «إلا عن موعدة» و يحتمل أن يكون الاستغناء عنه كناية عن الترك ، و الباء بمعنى «مع» أي تركه مع وجود ماله وصحته .

٤٢ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن حديد ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون» قال : صارت أصلابهم كصيافي البقر - يعني قرونها - «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : ^(٢) وهم سالمون ، وهم مستطيعون . «ص ٣٥٦»

٤٣ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن محمد بن يحيى الصيرفي عن صباح الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله زرارة - وأنا حاضر - فقال : أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه ؟ جعلنا مستطيعين لما افترض علينا ، مستطيعين لترك ما نهانا عنه ؟ فقال : نعم . «ص ٣٥٧»

٤٤ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن سعيد بن جناح ، عن عوف بن عبد الله الأزدي ، عن عمه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة ، فقال : وقد فعلوا ؟ فقلت : نعم زعموا أنها لا تكون إلا عند الفعل وإرادة في حال الفعل ^(٣) لا قبله ، فقال : أشرك القوم . «ص ٣٦٠»

(١) هو المفضل بن صالح الاسدي النخاس ضعيف .

(٢) في المصدر : قال : وهم مستطيعون .

(٣) في التوحيد المطبوع : واردة في حال الفعل .

بيان : قوله ﷺ : وقد فعلوا أي نفوا الاستطاعة أيضاً بعد ما نفوا سائر ضروريات الدين ؛ أو المعنى أنهم فعلوا الفعل باختيارهم فكيف لا يستطيعون .

٤٥ - يد : بهذا الإسناد عن ابن عيسى ، عن علي بن عبد الله ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي الحسن الحذائي ، ^(١) عن المعلّى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ ما يعنى بقوله عز وجل : « وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون » ؟ قال : وهم مستطيعون .
« ص ٣٦١ - ٣٦٢ »

٤٦ - يد : ابن الوليد ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، ومحمد بن عبد الحميد ، وابن أبي الخطاب جميعاً عن البرزطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرراً كلاً إلا والاستطاعة معه من الله عز وجل ، وإنما وقع التكليف من الله عز وجل بعد الاستطاعة فلا يكون مكلفاً للفعل إلا مستطيعاً . « ص ٣٦٢ »

٤٧ - يد : عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، عن أحمد بن الفضل ، ^(٢) عن منصور بن عبد الله ، ^(٣) عن علي بن عبد الله ، عن ابن أبي الخطاب ، عن محمد بن أبي الحسين ، ^(٤) عن سهل المصيصي ، ^(٥) عنه ﷺ مثله . « ص ٣٥٥ »

٤٨ - يد : أبي ، عن سعد ، ^(٦) عن ابن بزيع ، عن ابن أبي عمير ، عن رواه من أصحابنا ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : سمعته يقول : لا يكون العبد فاعلاً إلا وهو مستطيع وقد يكون مستطيعاً غير فاعل ، ولا يكون فاعلاً أبداً حتى يكون معه الاستطاعة .
« ص ٣٦٠ »

٤٩ - يد : أبي وابن الوليد معاً ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن عبد الله

(١) لم نعرف اسمه ولا حاله . وفي بعض النسخ : « الخزاعي » بدل « الحذائي » .
(٢) في التوحيد : أحمد بن الفضل بن المغيرة . أقول : لم نجد له ذكر أفي الرجال .
(٣) > > منصور بن عبد الله بن إبراهيم الاصفهاني . أقول : هو كسابقه .
(٤) > > محمد بن أبي الحسين القريضي . أقول هو أيضاً كسابقه .
(٥) > > سهل (بن خل) أبي محمد المصيصي . أقول : هو أيضاً كسابقه .
(٦) > > أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير .

عن أحمد بن محمد البرقي^(١) ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : « و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم إنهم لكاذبون » قال : أكذبهم الله في قولهم : لو استطعنا لخرجنا معكم ، و قد كانوا مستطيعين للخروج . « ص ٣٦١ »

٥٠ - يد : بهذا الإسناد ، عن ابن عيسى ، عن الحجاج ، عن ثعلبة ، عن عبد الأعلى بن أعين ، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية « لو كان عرضاً قريباً و سفر أقاصداً لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم و الله يعلم إنهم لكاذبون » أنهم كانوا يستطيعون للخروج ، و قد كان في العلم أنه لو كان عرضاً قريباً و سفر أقاصداً افعلوا . « ص ٣٦١ »

٥١ - يد : أبي وابن الوليد ، عن سعد و الحميري ، هما عن ابن عيسى ، عن الحسن ابن علي بن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أمر العباد إلا بدون سعتهم ، فكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له ، و ما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم ، ولكن الناس لا خير فيهم . « ص ٣٥٨ »

٥٢ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ،^(٢) عن عبيد بن زرارة ، عن حمزة بن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني ، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت : أصلحك الله إنه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرج إلا شيء أسمع منه منك ؛ قال : فإنه لا يضرك ما كان في قلبك ؛ قلت : أصلحك الله فإنه نسي أقول : إن الله تعالى لم يكلف العباد إلا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون ، فإنه لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله و مشيئته وقضائه وقدره ، قال : هذا دين الله الذي أناعليه و آبائي ؛ أو كما قال . « ص ٣٥٧ »

(١) لا يعرف الرجل في أصحاب الصادق عليه السلام .

(٢) أقول : أخرج الحديث ثقة الاسلام في باب الاستطاعة من كتابه الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبيد بن زرارة . والظاهر أنه الصحيح لعدم رواية الحسين بن سعيد عن عبيد بن زرارة بلا واسطة .

قال الصدوق رحمه الله : مشيئة الله و إرادته في الطاعات الأمر بها ، و في المعاصي النهي عنها والمنع منها بالزجر والتحذير .

٥٣ - يد : العطّار ، عن أبيه ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن ابن بكير عن حمزة بن حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن لنا كلاماً نتكلم به ، قال : هاته ؛ قلت : نقول : إن الله عز وجل أمر ونهى و كتب الآجال والآثار لكل نفس بما قدر لها و أراد وجعل فيهم من الاستطاعة لطاعته ما يعملون به ما أمرهم به وما نهاهم عنه ، فإذا تركوا ذلك إلى غيره كانوا محجوجين بما صير فيهم من الاستطاعة والقوة لطاعته ، فقال : هذا هو الحق إذا لم تعده إلى غيره . « ص ٣٥٧ - ٣٥٨ »

٥٤ - يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن أسباط قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة ، فقال : يستطيع العبد بعد أربع خصال : أن يكون مخلى السرب ، صحيح الجسم ، سليم الجوارح ، له سبب وارد من الله عز وجل قال : قلت : جعلت فداك فسرّ هالي ، قال : أن يكون العبد مخلى السرب ، صحيح الجسم سليم الجوارح ، يريد أن يزني فلا يجد امرأة ثم يجدها ، فأما أن يعصم فيمتنع كما امتنع يوسف عليه السلام ، أو يخلّى بينه وبين إرادته فيزني فيسمى زانياً ، ولم يطع الله بما كراه ، ولم يعص بغلبة . « ص ٣٥٨ - ٣٥٩ »

بيان : السبب الوارد من الله هو العصمة أو التخلية .

٥٥ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلّق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه ، وأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون فيه آخذين ولا تاركين إلا باذن الله عز وجل . قال ^(١) الصدوق رحمه الله : يعني بعلمه . « ص ٣٥٩ »

(١) ليست في النسخ الثلاثة المبسوطة من التوحيد جملة « قال الصدوق » ولعل العلامة المجلسي

استظهر أن جملة « يعني بعلمه » من الصدوق رحمه الله . م

٥٦ - يد : بهذا الإسناد ، عن الحسين ، عن فضالة ، عن أبان ، عن حمزة بن محمد الطيار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» قال : مستطيعون يستطيعون الأخذ بما أمروا به ، والترك لما نهوا عنه ، وبذلك ابتلوا ، ثم قال : ليس شيء مما أمروا به ونهوا عنه إلا ومن الله عز وجل فيه ابتلاء وقضاء . «ص ٣٥٩»

سن : ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي مثله . ^(١) «ص ٢٧٩»

٥٧ - يد : أبي ، عن سعد ، ^(٢) عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ابن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كلف الله العباد كلفة فعل ، ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ، ثم أمرهم ونهاهم فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر والنهي ، وقبل الأخذ والترك ، وقبل القبض والبسط . «ص ٣٦٢»

٥٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لا يكون من العبد قبض ولا بسط إلا باستطاعة متقدمة للقبض والبسط . «ص ٣٦٢»

٥٩ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطاب ، عن المحاملي ، و صفوان بن يحيى معاً ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول - وعنده قوم يتناظرون في الأفاعيل والحركات - فقال : الاستطاعة قبل الفعل ، لم يأمر الله عز وجل بقبض ولا بسط إلا والعبد لذلك مستطيع . «ص ٣٦٢ - ٣٦٣»

(١) وزاد في الماسن بعد قوله عليه السلام : ولذلك ابتلوا : وقال ليس في العبد قبض ولا بسط مما أمر

الله به أو نهى عنه إلا ومن الله فيه ابتلاء وقضاء . م

(٢) في التوحيد المطبوع : سعد ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن سعيد . وهو الصحيح

لأن سعد لا يروي عن الحسن أو الحسين إلا بواسطة وهي أحمد بن محمد بن عيسى ، نص على ذلك الكاظمي في المشتركات ، وأما الحسين بن سعيد فهو شريك أخيه الحسن في رواياته ومشايخه إلا في زرعة بن محمد وفضالة بن أيوب ، فإن الحسين يروي عنهما بواسطة أخيه الحسن ، فعلى ذلك يصح أن يكون ما في السند الحسين أو الحسن كما في التوحيد المطبوع .

٦٠ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن مروك بن عبيد ،^(١) عن عمرو رجل من أصحابنا ، عمن سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : إن لي أهل بيت قدرية يقولون : نستطيع أن نعمل كذا وكذا ، و نستطيع أن لا نعمل ؛ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : قل له : هل تستطيع أن لا تذكر ماتكره وأن لا تنسى ماتحب ؟ فإن قال : لا فقد ترك قوله ، وإن قال : نعم فلا تكلمه أبداً فقد ادعى الربوبية . « ص ٣٦٣ »

٦١ - يد : أبي ، عن سعد ، عن صالح بن أبي حماد ،^(٢) عن أبي خالد السجستاني ،^(٣) عن علي بن يقطين ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : مر أمير المؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون بالقدر ،^(٤) فقال لمتكلمهم : أبالله تستطيع ؟ أم مع الله ؟ أم من دون الله تستطيع ؟ فلم يدر ما يرد عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن زعمت أنك بالله تستطيع فليس إليك^(٥) من الأمر شيء ، وإن زعمت أنك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه ، وإن زعمت أنك من دون الله تستطيع فقد ادعت الربوبية من دون الله تعالى ؛ فقال : يا أمير المؤمنين لابل بالله أستطيع ، فقال : أما إنك لو قلت غير هذا لضربت عنقك .^(٦) « ص ٣٦٣ - ٣٦٤ »

- (١) بفتح الهميم وسكون الراء وفتح الواو هو صالح بن عبيد بن زياد أبي حفصة .
 (٢) أبي النخير الرازي ، و اسم أبي حماد سلمة ، قال النجاشي : وكان أمره ملبسا ، يعرف و ينكر ، له كتب : منها كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام و كتاب نوادر .
 (٣) لم نقف على اسمه إلا أن الفاضل المامقاني قال : لا يبعد أن اسمه سالم بن سلمة الكندي السجستاني ، ولكنني لم أقف على من كناه بأبي خالد . م
 (٤) في نسخة من التوحيد : في القدر . م
 (٥) في المصدر : فليس لك .
 (٦) لا ريب أن أسباب الفعل والآلات والقوى كلها من الله ولا خلاف فيه من معتزلي ولا أشعري ولا إمامي وإنما الكلام في أن استطاعة الفعل هل هي قبل الفعل أو معه ؟ الثاني للأشعري وغيره لغيرهم . ثم اختلف في الاستطاعة قبل الفعل هل العبد مستقل بها بحيث يتصرف في الأسباب والآلات الفعل من غير أن يرتبط شيء من تصرفه بالله أم الله فيه صنع بحيث أن القدرة لله مضافة إلى سائر الأسباب وإنما يقدر العبد بتمليك الله إياه شيئا منها ؟ المعتزلة على الأول والمتحصل من أخبار أهل البيت عليهم السلام هو الثاني ، إذا عرفت ذلك ظهر لك ما في تفسير المصنف رحمه الله للمعنى الحديث فداؤه تاويلا عجيبا مع أن الروايات صريحة في خلافه . ط

بيان : لعله أراد عليه السلام بقوله : بالله تستطيع أن الله يجبره على الفعل ، فلذا قال : فليس إليك من الأمر شيء ، ولما نفى المتكلم الثلاثة وقال : بالله أستطيع علم أن مراده أنني مستطيع قادر بماملكني الله من الأسباب والآلات ، فلذا لم يرد عليه السلام كلامه و قبل منه ، ويحتمل على بعد أن يكون اختار الشق الأول ، فقوله عليه السلام : ليس إليك من الأمر شيء أي لا تستقل في الفعل بأن تقدر على تحصيل جميع ما يتوقف عليه الفعل ، والحاصل أنه لما كان قدرياً تفويضياً قال عليه السلام : إن اخترت هذا فقد أقررت ببطالان ما تعتقده من استقلال العبد ولا بد لك من اختياره .

٦٢ - ن ، يد : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي ، عن الهروي قال : سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا » فقال : إن غطاء العين لا يمنع من الذكر ، و الذكر لا يرى بالعيون ، ولكن الله شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنهم كانوا يستثقلون قول النبي صلى الله عليه وآله فيه ، و كانوا لا يستطيعون سماعاً ، فقال المأمون : فرجت عنّي فرج الله عنك . « ص ٧٨ ص ٣٦٤ »

٦٣ - ف : كتب الحسن البصري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام : أما بعد فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، والأعلام النيرة الشاهرة ، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون ، كتبت إليك يا بن رسول الله عند اختلافنا في القدر ، و حيرتنا في الاستطاعة ، فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأي آبائك عليهم السلام ، فإن من علم الله علمكم ، وأنتم شهداء على الناس ، والله الشاهد عليكم ، ذرية بعضنا من بعض والله سميع عليم .

فأجابه الحسن عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي كتابك ، ولولا ما ذكرته من حيرتك و حيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك ، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شره أن الله يعلمه فقد كفر ، و من أحال المعاصي على الله فقد فجر ، إن الله لم يطع مكرهاً ، و لم يعص مغلوباً ، و لم يهمل العباد سدى من المملكة ، ^(١) بل هو المالك لما ملكهم ، و

(١) أهمله : تركه و لم يستعمله عمداً أو نسياناً . و سدى أي باطلاً و مهملًا .

القادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، فإن ائتمروا للطاعة لم يجدوا عنها صادّاً ، وإن انتهوا إلى المعصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ، ولا ألزموها كرهاً ، بل من عليهم بأن بصّرهم وعرفّهم وحذّرهم وأمرهم ونهاهم ، لاجبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة ، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ، والله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين . والسلام على من اتبع الهدى . « ص ٢٣١ »

أقول : سيأتي في كتاب الاحتجاجات بسند آخر أبسط من هذا .

٦٤ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون ، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد . « ص ٢٩٦ »

٦٥ - سن : أبي ، عن حماد ، عن الحسين بن المختار ، عن حمزة بن حمران قال : قلت له : إننا نقول : إن الله لم يكلف العباد إلا ما آتاهم ، و كل شيء لا يطيقونه فهو عنهم موضوع ، ولا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدر وأراد ؛ فقال : والله إن هذا لديني ودين آباءي .^(١) « ص ٢٩٦ »

٦٦ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما كلف الله العباد إلا ما يطيقون ، وإنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات ، وكلفهم من كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلفهم صيام شهر رمضان في السنة ، وكلفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك ، وإنما كلفهم دون ما يطيقون ونحو هذا . « ص ٢٩٦ »

٦٧ - سن : أبي ، عن العباس بن عامر ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، عن عبد الرحيم القصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله حفص الأعمور - وأنا أسمع - : جعلني الله فداك قول الله :^(٢) « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » قال : ذلك القوة في المال أو اليسار ، قال : فإن كانوا موسرين فهم ممن يستطيع إليه السيل ؟ قال : نعم ، فقال له

(١) تقدم الحديث عن التوحيد تحت رقم ٥٢ وفيه زيادة .

(٢) في المصدر : فقال جعلني الله فداك ما قول الله . م

ابن سيابة : بلغنا عن أبي جعفر عليه السلام أنه كان يقول : يكتب وفد الحاج ؛ فقطع كلامه فقال : كان أبي يقول : يكتبون في الليلة التي قال الله : « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال : فإن لم يكتب في تلك الليلة يستطيع الحج ؟ قال : لامعاذ الله ، فتكلم حفص ^(١) فقال : لست من خصومتكم في شيء ، هكذا الأمر . « ص ٢٩٥ - ٢٩٦ »

٦٨ - ضا : أروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام فقال : يا ابن رسول الله أليس أنا مستطيع لما كلفت ؟ فقال له عليه السلام : ما الاستطاعة عندك ؟ قال : القوة على العمل ، قال له عليه السلام : قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة ، قال له الرجل : فما المعونة ؟ قال : التوفيق ؛ قال : فلم إعطاء التوفيق ؟ قال : لو كنت موفقاً كنت عاملاً ، وقديكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً . ثم قال عليه السلام : أخبرني عنك من خلق فيك القوة ؟ قال الرجل : الله تبارك وتعالى ، قال العالم : هل تستطيع بتلك القوة دفع الضر عن نفسك وأخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى ؟ قال : لا ، قال : فلم تنتحل ما لا تقدر عليه ؟ ! ثم قال : أين أنت عن قول العبد الصالح : ^(٢) « وما توفيقى إلا بالله » .

٦٩ - وأروي أن رجلاً سأل عن الاستطاعة ، فقال : أتستطيع أن تعمل ما لم يكن ؟ قال : لا ، قال : أتستطيع أن تنتهي عما يكون ؟ قال : لا ، قال : ففيما أنت مستطيع ؟ قال الرجل : لأدري ! فقال العالم عليه السلام : إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الفعل ، ثم لم يفوض إليهم ، فهم مستطيعون للفعل في وقت الفعل مع الفعل . قال له الرجل : فالعباد مجبورون ؟ فقال : لو كانوا مجبورين كانوا معذورين . قال الرجل : ففوض إليهم ؟ قال : لا . قال : فما هو ؟ قال العالم عليه السلام : علم منهم فعلاً فجعل فيهم آلة الفعل ، فإذا فعلوا كانوا مستطيعين . ^(٣)

(١) في المصدر : حفص بن سالم . م

(٢) أي شبيب على نبينا وآله وعليه السلام حيث قال : « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » . هود : ٨٨ .

(٣) أقول : أخرج الكليني قدس الله روحه الحديث في باب الاستطاعة عن كتابه الكافي ، عن محمد بن يحيى وعلى بن إبراهيم جميعاً ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، و عبد الله ابن يزيد جميعاً ، عن رجل من أهل البصرة ، عن أبي عبد الله عليه السلام . وفيه زيادة على ما في الكتاب فليراجعه .

بيان : ماورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبار أوردها الكليني في ذلك يحتمل وجوهاً :

الأوّل : التقيّة لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ للعبد قدرةً وكسباً ، مقارنة للفعل ، غير مؤثّرة فيه ، ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالة على تقدّم الاستطاعة وأنّ من لا يقول به فهو مشرك .

الثاني : أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل ، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانع ، ولا يكون هذا إلّا في حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله ، أو شيء آخر ممّا يتوقّف عليه الفعل .

الثالث : أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة و يعلم أنّه كان مستطيعاً قبله ، بأن أذن الله له في الفعل ، كما ورد أنّ بعد القضاء لا بداء ؛ والأوّل أظهر .
جا : عليّ بن مالك النحويّ ، عن محمد بن الفضل ، عن محمد بن أحمد الكاتب ، عن يموت بن المزرع ، عن عيسى بن إسماعيل ، عن الأصمعيّ ، عن عيسى بن عمر قال : كان ذوالرمة الشاعر^(١) يذهب إلى النفي في الأفعال ، وكان رؤية بن العجاج^(٢) إلى الإثبات فيها ، فاجتمعا في يوم من أيّامهما عند بلال بن أبي بردة - وهو والي البصرة - و بلال يعرف ما بينهما من الخلاف ، فحضّهما على المناظرة فقال رؤية : والله ما يفحص طائر أفضواً ولا يقرمص سبع قرموصاً إلّا كان ذلك بقضاء الله و قدره ، فقال له ذوالرمة : والله ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبة عالية عيايل ضرايك ، فقال له رؤية : أفبمشيئته أخذها ؟ أم بمشيئة الله ؟ فقال ذوالرمة : بل بمشيئته وإرادته ، فقال رؤية : هذا والله الكذب على الذئب ! فقال ذوالرمة : والله الكذب على الذئب أهون من الكذب على

(١) اسمه غيلان بن عقبة ، وكنيته أبو الحارث ، أورد ذكره وأخباره ومن أشعاره أبو الفرج في الاغانى ج ١٦ ص ١١٠ توفي في خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة .

(٢) واسم العجاج عبد الله بن رؤية ، يتصل نسبه بزید بن مناة الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن اعراب البصرة ، سمع من أبي هريرة والنسابة البكري ، وعداده في التابعين ، روى عنه معمر بن المثنى والنضر بن شميل ، مات في زمن المنصور سنة ١٤٥ قاله ياقوت في ارشاد الاربيب

رب الذئب ! فقال : وأنشدني أبو الحسن علي بن مالك النحوي في أثر هذا الحديث
لمحمود الوراق :

☆	أعاذل لم آت الذنوب على جهل	☆	ولا أنّها من فعل غيري ولا فعلي
☆	ولا جرأة منّي على الله جئتها	☆	ولا أنّ جهلي لا يحيط به عقلي
☆	ولكن بحسن الظنّ منّي بعفو من	☆	تفرّد بالصنع الجميل وبالفضل
☆	فإن صدق الظنّ الذي قد ظننته	☆	ففي فضله ما صدق الظنّ من مثلي
☆	وإن نالني منه العقاب فإنّما	☆	أتيت من الإيصال في الحكم والعدل

ص ٦٢ - ٦٣

أقول : روى السيّد المرتضى في الغرر هذا الخبر بسند آخر عن أبي عبيدة .
بيان : قال الجزري : أفضّح القطة : موضعها الذي تجثم فيه ^(١) وتبيض كأنّها
تفحص عنه التراب أي تكشفه ، والفحص : البحث والكشف . وقال : في مناظرة ذي الرمة
ورؤية : مات قرمص سبع قرمصاً إلا بقضاء ؛ القرمص : حفرة يحفرها الرجل يكتنّ فيها
من البرد ، يأوي إليها الصيد ، وهي واسعة الجوف ضيقة الرأس ، وقرمص وتقرمص : إذا
دخلها ، وتقرمص السبع : إذا دخلها للاصطياد .

وقال : في قصة ذي الرمة ورؤية : عالة ضرائك الضرائك جمع ضريك ، وهو الفقير
سوء الحال ، وقيل : الهزيل .

وقال السيّد في الغرر : العيايل جمع عيل ، وهو ذو العيال ، والضرائك جمع ضريك
وهو الفقير . وفي رواية السيّد : هذا كذب على الذئب ثان ، فالمعنى أنّه كذب ثان على
الذئب بعدما كذب عليه في قصة يوسف .

٧ - كش : حمدويه و ابراهيم ابنا نصير ، عن العبيدي ، عن هشام بن إبراهيم
المشركي قال : قال لي أبو الحسن الخراساني ^(٢) : كيف تقولون في الاستطاعة بعد يونس ؟
فذهب فيها مذهب زرارة ^(٣) ومذهب زرارة هو الخطأ ؛ فقلت : لا ولكنّه - بأبي أنت وأمي -

(١) تجثم الطائر أو الحيوان : تلبد بالارض وأقام فيه .

(٢) في المصدر : أبو الحسن الخراساني عليه السلام . والظاهر أنّه هو الرضا عليه السلام . م

(٣) في الكشي المطبوع : تذهب فيها مذهب زرارة ؟

ما يقول زرارة في الاستطاعة ، وقول زرارة هم قدر ، ^(١) ونحن منه برآء ، وليس من دين آبائك ، قال : فبأي شيء تقولون ؟ قلت : بقول أبي عبد الله عليه السلام : « عز وجل : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ما استطاعته ؟ قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : صحته وماله ، فنحن بقول أبي عبد الله عليه السلام نأخذ ، قال : صدق أبو عبد الله عليه السلام هذا هو الحق . ^(٢) « ص ٩٦ - ٩٧ » .

بيان : قوله : ما يقول زرارة في الاستطاعة وقول زرارة فيمن قدر كذا في بعض النسخ ، فلعل المعنى أن زرارة لا يقول بالاستطاعة ، بل إنما يقول بها فيمن قدر على الفعل بإذنه وتوفيقه تعالى ، ونحن من القول بالاستطاعة المحضة برآء ، فكلمة « ما » نافية ، ويحتمل أن يكون استفهاماً للإنكار والتحقير أي شيء قول زرارة فنقول به ؟ ثم يبين أنه قوله بالاستطاعة فيمن قدر على الفعل ، وفي أكثر النسخ « هم قدر » فيحتمل الوجه الثاني ، ويكون قدر بصم القاف وتشديد الدال جمع قادر أي يقول : هم قادرون بالاستقلال . وفي بعض النسخ « قدر » بالذال المعجمة ، وربما قرأ قوم زرارة ، وقد يقرأ هيم قدر ، والهيم بالكسر الإبل العطاش ، وأثر التصحيف والتحريف فيه ظاهر .

٢١ - كش : محمد بن قولويه ، عن محمد بن أبي القاسم ماجيلويه ، عن زياد بن أبي الحلال قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلنا منه وصدقناه وقد أحببت أن أعرضه عليك ، فقال : هاته ، فقلت : زعم أنه سألك عن قول الله عز وجل : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » فقلت : من ملك زاداً وراحلة ؟ فقال : كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج ؟ فقلت : نعم . فقال : ليس هكذا سألني ولا هكذا قلت ، كذب علي والله ، كذب علي والله .

(١) في الكشي : ما تقول في الاستطاعة ، وقول زرارة فيمن قدر .

(٢) أقول : حمله الأصحاب وأمثاله مما ورد في ذم زرارة ونظرائه من أجلاء الأصحاب على التقية حفظاً لهم وحقناً لدمائهم ، ويدل على صحة هذا الحمل ما ورد من الروايات ، من الاعتذار عن ذمهم مثل قول الصادق عليه السلام لعبد الله بن زرارة : اقرء مني على والدك السلام ، وقل له إنني إنما أعييك دفاعاً مني عنك ، فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال أذى فيمن نحبه ونقربه ، ويدمونه لمجتنا له ، وقربه ودنوه منا . والحديث طويل فليراجعه .

لعن الله زرارة ! لعن الله زرارة ! إنما قال لي : من كان له زادوراحلة فهو مستطيع للحج ؟ قلت : وقد وجب عليه ، قال : فمستطيع هو ؟ قلت : لا حتى يؤذن له . قلت : فأخبر زرارة بذلك ؟ قال : نعم . قال زياد : فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله عليه السلام وسكت عن لعنه ، قال : أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم ، و صاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال .^(١) « ص ٩٨ »

٧٢ - كش : محمد بن مسعود ، عن محمد بن عيسى ، عن حريز ، قال : خرجت إلى فارس ، وخرج معنا محمد الحلبي إلى مكة ، فاتفق قدومنا جميعاً إلى حنين ، فسألت الحلبي فقلت له : أظرفنا بشيء .^(٢) قال : نعم جئتكم بما تكره ، قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في الاستطاعة ؟ فقال : ليس من ديني ولا من دين آبائي ، فقلت : الآن ثلج عن صدري والله لأعود لهم مريضاً ، ولا أشيع لم جنازة ، ولا أعطيهم شيئاً من زكاة مالي . قال : فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه الكلام ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كان أبي عليه السلام يقول : أولئك قوم حرم الله وجوههم على النار ، فقلت : جعلت فداك وكيف قلت لي : ليس من ديني ولا من دين آبائي ؟ قال : إنما أعني بذلك قول زرارة وأشباهه . « ص ١٠٠ »

(١) حكى عن ابن طاووس مناقشة في سند هذا الخبر بقوله : الذي يظهر أن الرواية غير متصلة لان محمد بن أبي القاسم كان معاصراً لأبي جعفر محمد بن بابويه ، ومات محمد بن بابويه سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، ومات الصادق عليه السلام سنة مائة وثمان وأربعين ، ويبعد أن يكون زياد بن أبي الحلال عاش من زمان الصادق عليه السلام حتى لقي محمد بن أبي القاسم معاصراً لأبي جعفر محمد بن بابويه ، بل ذكر شيخنا في الرجال أن زياد بن أبي الحلال من رجال الباقر عليه السلام ومات الباقر عليه السلام سنة مائة وأربع عشرة ، وهذا أكد في كون السند مقطوعاً انتهى .

أقول : المعروف المتكرر في الإسناد رواية الصدوق عن محمد بن أبي القاسم بوساطة محمد بن علي ماجيلويه أو غيره ، ونجد روايته عنه بلا واسطة ، ولكن مع ذلك رواية ابن أبي الحلال عنه بعيد جداً ؛ ويمكن أن يقال : إن المعاصرة أعم من الملاقاة ونقل الرواية عنه . قلت : هذا وإن كان حقاً إلا أن النجاشي صرح بأن محمد بن أبي القاسم هذا كان صهراً لأحمد بن أبي عبد الله البرقي الذي توفي سنة ٢٧٤ أو ٢٨٠ وهذا يبعد إدراك ابن بابويه عصره فتأمل ، ومع هذا كله ما قرب ابن طاووس من انقطاع الحديث قوى جداً .

(٢) أطرف : أتى بالطرفة أي الحديث الجديد المستحسن .

بيان : قوله : لأعود لهم مريضاً أي للقائلين بالاستطاعة من الشيعة فعرف صلى الله عليه وآله أن مراده مطلق القائلين بالاستطاعة ، فردّ عليه بأن ما نفите هو ما ينسب إلى زرارة موافقاً لمذهب التفويض ، بل الحقّ الأمرين الأمرين كما مرّ ، وهذا هو معنى الخبر ، لا ما حمله عليه الصدوق رحمه الله سابقاً .

٧٣ - يف : روى جماعة من علماء الإسلام ، عن نبيّهم صلى الله عليه وآله أنّه قال : لعنت القدريّة على لسان سبعين نبيّاً ؛ قيل : ومن القدريّة يا رسول الله ؟ فقال : قوم يزعمون أنّ الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذب بهم عليها . «ص ٩٧-٩٨»

٧٤ - و روى صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام ، عن محمد بن عليّ المكيّ بإسناده قال : إنّ رجلاً قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أخبرني بأعجب شيء رأيت ، قال رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم فإذا قيل لهم : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : قضاء الله تعالى علينا وقدره ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : سيكون من أمّتي أقوام يقولون مثل مقالتهم ، أولئك مجوس أمّتي . «ص ٩٨»

٧٥ - و روى صاحب الفائق وغيره ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ويقولون : إنّ الله قد قدرها عليهم ، الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله . «ص ٩٨»

٧٦ - كش : محمد بن مسعود ، عن عبد الله بن محمد بن خالد ، عن الوشاء ، عن ابن خدّاش ، ^(١) عن عليّ بن إسماعيل ، عن ربعي ، عن الهيثم بن حفص العطار ، عن حمزة ابن حمران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يقول زرارة : إنّ الله عزّ وجلّ لم يكلف العباد إلّا ما يطيقون ، وإنّهم لم يعملوا إلّا إن شاء الله ويريد ويقضي ، قال : هو والله الحقّ ، ودخل علينا صاحب الزطّي ، فقال له : يا ميسر ألسنت على هذا ؟ قال : على أيّ شيء

(١) بكسر الناء المعجمة كما في تقريب ابن حجر و ضوابط الاسماء للطريحي رحمه الله ، واسمه عبد الله بن خدّاش أبو خدّاش المهري ، قال النجاشي : ضعيف جداً وفي مذهبه ارتفاع انتهى . وحكى الكشي عن محمد بن مسعود أنّه قال : قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن خالد : أبو خدّاش عبد الله بن خدّاش المهري - ومهر محلة بالبصرة - وهو ثقة .

أصلحك الله ؟ - أوجعلت فداك - قال : فأعادهذا القول عليه كما قلت له ، ثم قال : هذا والله ديني ودين آبائي ^(١) « ص ٩٧ - ٩٨ »

٧٧ - كش : علي بن الحسين بن قتيبة ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن الوليد بن صبيح قال : مررت في الروضة بالمدينة فإذا إنسان قد جذبني ، فالتفت فإذا أنا بزرارة فقال لي : استأذن لي على صاحبك ، قال : فخرجت من المسجد و دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته الخبر ، فضرب بيده على لحيته ، ثم قال : لا تأذن له - ثلاثاً - فإن زراراً يريدني على القدر على كبر السن ، وليس من ديني ولا دين آبائي . « ص ١٠٦ - ١٠٧ »

٧٨ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : - في قول الله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » - فقال : كانوا يقولون : قد فرغ من الأمر .

٧٩ - يد : علي بن أحمد الأسواري ، عن مكّي بن أحمد البردعي ، عن محمد بن القاسم بن عبد الرحمن ، عن محمد بن أشرس ، عن بشير بن الحكم ، و إبراهيم بن أبي نصر ، عن عبد الملك بن هارون ، عن غياث بن المجيب ، عن الحسن البصري ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال : سبق العلم ، وجف القلم ، وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة ، والسعادة من الله ، والشقاوة من الله عز وجل ، قال عبد الله بن عمر : إن رسول الله

(١) لم نجد الحديث بهذه الصورة في رجال الكشي ، والموجود فيه هكذا : محمد بن مسعود ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن خالد ، قال : حدثني الوشاء ، عن ابن خدّاش ، عن علي بن إسماعيل ، عن ربيع ، عن الهيثم بن حفص العطار قال : سمعت حمزة بن حمران يقول : - حين قدم من اليمن - لقيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : بلغني أنك لعنت عمي زراراً ، قال فرفع يده حتى صك بها صدره ، ثم قال : لا والله ما قلت ، ولكنكم تأتون عنه بالفتيا فأقول : من قال هذا فأنا منه بريء ؛ قال : قلت : وأحكى لك ما تقول ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت : إن الله عز وجل لم يكلف العباد إلا ما يطيقون إياه أقول : قوله ؛ وأحكى لك ما تقول لعله تصحيف ما يقول : أو ما نقول .

صلى الله عليه وآله كان يروي حديثه عن الله عز وجل ، قال : قال الله : يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبعصمتي وعفوي وعافيتي أديت إلي فرائضي ، فأنا أولى بإحسانك منك ، وأنت أولى بذنبك مني ، فالخير مني إليك بما أوليت بدا ، والشر مني إليك بما جنيت جزاء ، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسن عني بالاحسان ، لم أدع تحذيرك ، ولم أخذل عند عزّتك ، ولم أكلّفك فوق طاقتك ، ولم أحمّلك من الأمانة إلا ما قدرت عليه ، رضيت منك لنفسي ورضيت به لنفسك مني . قال عبد الملك : لن أعتذّبك إلا بما عملت . « ص ٣٥١ - ٣٥٢ »

بيان : قال الجزري : فيه : جفت الأقلام ، وطويت الصحف ، يريد ما كتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات والفراغ منها تمثيلاً بفراغ الكاتب من كتابته و يبس قلمه انتهى . قوله تعالى : بدأ كفعل أو كفعال أي ابتداء من غير استحقاق ، وفي بعض النسخ بدأ أي نعمة .

أقول : قول عبد الملك بن هارون في آخر الخبر تفسير للمقبرة الأخيرة أي رضيت بسببك ، أو من الأمور المتعلقة بك لنفسي ، إن أعتذّبك كما رضيت لنفسك بفعل ما يوجبها فيرجع حاصله إلى أنه لن أعتذّبك إلا بما عملت .

٨٠ - يد : تميم القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأنصاري ، عن الهروي قال : سأل المأمون يوماً عليّ بن موسى الرضا عليه السلام فقال له : يا بن رسول الله ما معنى قول الله عز وجل « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » فقال الرضا عليه السلام : حدّثني أبي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله : لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثرت عدونا وقوينّا على عدونا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كنت لألقى الله عز وجلّ ببدعة لم يحدث إليّ فيها شيئاً وما أنا من

المتكلفين . فأنزل الله تبارك وتعالى : يا محمد «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا ، كما يؤمنون عند المعاينة و رؤية البأس في الآخرة ، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً لكنني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ، ليستحقوا مني الزلفى والكرامة و دوام الخلود في جنّة الخلد ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» و أمّا قوله عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها ، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله ، وإذنه أمره لها بالإيمان ، ما كانت مكلفة متعبدة وإلجاءه إياها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبّد عنها . فقال المؤمنون : فرّجت عنّي يا أبا الحسن فرّج الله عنك . «ص ٣٥٢-٣٥٣»

بيان : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «ولو شاء ربك» : ^(١) معناه الإخبار عن قدرة الله تعالى ، و أنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال : «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين» ^(٢) ولذلك قال بعد ذلك : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ومعناه أنه لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان ، مع أنك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريد له أن ينافي التكليف ؛ وقوله تعالى : «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله» معناه أنه لا يمكن أحداً أن يؤمن إلا بإطلاق الله له في الإيمان ، وتمكينه منه ، و دعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك ؛ وقيل : إن إذنه ههنا أمره كما قال : «يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم» ^(٣) وقيل : إن إذنه ههنا علمه ، أي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله ، من قولهم : أذنت لكذا : إذا سمعته وعلمته ، و آذنته : أعلمته ، فتكون خبراً عن علمه تعالى بجميع الكائنات ، ويجوز أن يكون معناه إعلام الله تعالى المتكلفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه .

(١) يونس : ٩٩ .

(٢) الشعراء : ٤ .

(٣) النساء : ١٢٠ .

٨١ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمد العطار و أحمد بن إدريس ، هما عن الأشعري ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شاء الله أن أكون مستطيعاً لما لم يشأ أن أكون فاعله ؛ قال : وسمعتة يقول : شاء وأراد ولم يحب ولم يرض ، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحب أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . «ص ٣٥٣»

٨٢ - يد : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن يونس ، عن غير واحد ، عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليه السلام قالا : إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذب بهم عليها ، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون ، قال : فسرنا عليه السلام : هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة ؟ قالا : نعم أوسع ممّا بين السماء والأرض . «ص ٣٦٨ - ٣٦٩»

٨٣ - يد : الوراق ، عن سعد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمد بن عجلان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فوض الله الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أكرم من أن يفوض إليهم ؛ قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذب به عليه . «ص ٣٧٠»

٨٤ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه ، وأمرهم ونهاهم ، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به ، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بأذن الله . ^(١) «ص ٣٦٨»

٨٥ - يد : أبي ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن حفص بن قرط ، ^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من زعم أن الله تعالى يأمر بالسوء

(١) تقدم مثله عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع زيادة تحت رقم ٣٢ و أورده الكليني رضي الله عنه في باب الجبر والقدر من الكافي بإسناده عن إبراهيم بن عمر اليماني ، وفي متنه نقصان .
(٢) بضم القاف وسكون الراء .

والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ^(١) ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار. يعني بالخير والشر الصحة والمرض، وذلك قوله عز وجل: ونبأكم بالشر والخير فتنة. «ص ٣٦٨»

٨٦ - نهج: سئل عليه السلام عن التوحيد والعدل، فقال: التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتوهمه. ^(٢)

٨٧ - يد: ابن الوليد، عن ابن متهيل، ^(٣) عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد. «ص ٣٦٩»

٨٨ - ن، يد: الفامي، عن الحميري، عن أبيه، عن ابن هاشم، عن ابن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قلت له: يا بن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر. لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة عليهم السلام، فقال: يا بن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه والجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك؟ فقلت: بل ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك أكثر، قال عليه السلام: فليقولوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وآله كان يقول بالتشبيه والجبر إذا؛ قلت له: إنهم يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقل من ذلك شيئاً وإنما روي عليه؛ قال عليه السلام: فليقولوا في آبائي عليهم السلام.

(١) فإن من زعم استقلال الخلق وعدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم وعدم مداخلته سبحانه في أعمالهم بوجه فقد أخرج الله من سلطانه وعزله عن التصرف في ملكه، قال المصنف في المرأة. أقول: أورده الكليني في الكافي إلى قوله: «أدخله الله النار» والظاهر أن ما بعده من كلام الصدوق.

(٢) يأتي مصدراً عن الصادق عليه السلام تحت رقم ١٠٦.

(٣) بالميم المفتوحة، والتاء المشددة، قاله الطريحي في الضوابط، وحكى عن ابن داود أنه ضبطه بالميم المضمومة، وتضعيف التاء المفتوحة والياء المثناة من تحت، هو الحسن بن متهيل، قال النجاشي: وجه من وجوه أصحابنا، كثير الحديث له كتاب نوادر.

إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روي عليهم . ثم قال عليه السلام : من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر و مشرك و نحن منه برآء في الدنيا و الآخرة ، يابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صنّروا عظمة الله ، فمن أحبهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ومن ألأهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد ألأنا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا ، ومن صدّقهم فقد كذّبنا ، ومن كذّبهم فقد صدّقنا ، ومن أعطاهم فقد حرّمنا ، ومن حرّمهم فقد أعطانا . يابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذنّ منهم ولياً ولا نصيراً .^(١) «ص ٨١-٨٢ ص ٢٧٢-٢٧٣»

٨٩ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن اللؤلؤي ، عن ابن سنان ، عن مهزم^(٢) قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أخبرني عما اختلف فيه من خلفت من موالي ، قال : فقلت : في الجبر والتفويض ، قال : فاسألني ، قلت : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال : الله أقهر لهم من ذلك ، قال : قلت : ففوض إليهم ؟ قال : الله أقدر عليهم من ذلك ، قال : قلت : فأبى شيء هذا أصلحك الله ؟ قال : فقلّب يده مرتين أو ثلاثاً ثم قال : لو أجبتك فيه لكفرت . «ص ٢٧١-٢٧٢»

بيان : قوله عليه السلام : الله أقهر لهم من ذلك لعلّ المعنى أن جبرهم على المعاصي ثمّ تعذيبهم عليها هو الظلم ، و الظلم فعل العاجزين ، كما قال سيّد الساجدين عليه السلام : إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف والله أقهر من ذلك . أو المعنى أنه تعالى لو أراد تعذيبهم ولم يمنع عدله من ذلك لما احتاج إلى أن يكلفهم ثمّ يجبرهم على المعاصي ثمّ يعذبهم عليها ، فإنّ هذا تلبيس يفعل من لا يقدر على التعذيب ابتداءً ، وهو أقهر لهم من ذلك ، والظاهر أنّه تصحيف أراف أو نحوه ؛ وإنما امتنع عليه السلام عن بيان الأمرين

(١) تقدم الخبر في باب نفى التشبيه تحت رقم .

(٢) بفتح الميم أو كسرهما وسكون الهاء . وفتح الزاي المعجمة ، هو والد إبراهيم بن مهزم ، لم نجد

في التراجم ما يفيد وثاقته أو مدحه .

لأنّه كان يعلم أنّه لا يدركه عقل السائل فيشكّ فيه أو يجحده فيكفر .

٩٠ - ضا : سألت العالم عليه السلام : أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال : الله أعدل من ذلك ؛ فقلت له : فمفوض إليهم ؟ فقال : هو أعزّ من ذلك ، فقلت له : فصف لنا المنزلة بين المنزلتين ، فقال : الجبر هو البكره ، فالله تبارك وتعالى لم يكرهه على معصيته ، وإنّما الجبر أن يجبر الرجل على ما يكره وعلى ما لا يشتهي ، كالرجل يغلب على أن يضرب أو يقطع يده ، أو يؤخذ ماله ، أو يغصب على حرمة ، أو من كانت له قوّة و منعة فقهر ، فأما من أتى إلى أمر طائعاً محبباً له يعطى عليه ماله لينال شهوته فليس ذلك بجبر ، إنّما الجبر من أكرهه عليه ، أو اغضب حتّى فعل ما لا يريد ولا يشتهي ، و ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يجعل لهم هوى ولا شهوة ولا محبة ولا مشيئة إلا فيما علم أنّه كان منهم ، وإنّما يجرون في علمه وقضائه وقدره على الذي في علمه و كتابه السابق فيهم قبل خلقهم ، والذي علم أنّه غير كائن منهم هو الذي لم يجعل لهم فيه شهوة ولا إرادة .

٩١ - وأروي عن العالم عليه السلام أنّه قال : منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء ، فالله جلّ وعزّ الفاعل لها والقاضي والمقدّر والمدبّر .

٩٢ - وقد أروي أنّه قال : لا يكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

٩٣ - وأروي عن العالم عليه السلام أنّه قال : مساكين القدريّة أرادوا أن يصفوا الله عزّ وجلّ بعدله فأخرجوه من قدرته و سلطانه .

٩٤ - وروي : لو أراد الله سبحانه أن لا يعصى ما خلق إبليس .

٩٥ - وأروي أن رجلاً سأل العالم عليه السلام : أكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال : كلف الله جميع الخلق ما لا يطيقون إن لم يعنهم عليه ، فإن أعانهم عليه أطاقوه ، قال الله جلّ وعزّ لنبيّه صلى الله عليه وآله : «واصبر وما صبرك إلا بالله» .

٩٦ - قلت : و رويت عن العالم عليه السلام أنّه قال : القدر و العمل بمنزلة الروح والجسد ، فالروح بغير الجسد لا يتحرّك ولا يرى ، والجسد بغير الروح صورة لا خراك له

فإذا اجتمعاً قويا و صلحا و حسنا و ملحا ، كذلك القدر و العمل ، فلولم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، ولولم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ، ولكن باجتماعهما قويا و صلحا و لله فيه العون لعباده الصالحين . ثم تلا هذه الآية : «ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم» الآية ، ثم قال ﷺ : وجدت ابن آدم بين الله وبين الشيطان ، فإن أحبه الله تقدّست أسماؤه وخلصه واستخلصه ، (١) وإلا خلا بينه وبين عدوه .

٩٧ - و قيل للعالم ﷺ : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر و بعضهم يقولون بالاستطاعة ، قال : فأمر أن يكتب : **بسم الله الرحمن الرحيم** قال الله عز وجل : يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء . وساق إلى آخر ما سيأتي في خبر البرزطي . (٢)

٩٨ - شى : عن الحسن (٣) بن محمد الجمّال ، عن بعض أصحابنا قال : بعث عبد الملك ابن مروان إلى عامل المدينة أن وجهه إلي محمد بن علي بن الحسين ولا تهيجّه ولا تروعه ، واقتض له حوائجه ، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً ، فقال : ما هذا إلا محمد بن علي ، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه ، فأتاه صاحب المدينة بكتابه ، فقال أبو جعفر ﷺ : إنني شيخ كبير لا أقوى على الخروج ، وهذا جعفر ابني يقوم مقامى فوجهه إليه ، فلمّا قدم على الأموي أذراه لصغره ، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه ، وتسامع الناس بالشام بقدم جعفر لمخاصمة القدرية ، فلمّا كان من الغدا اجتمع الناس بخصوصتهما ، فقال الأموي لأبي عبد الله ﷺ : إنّه قد أعيانا أمر هذا القدري ، وإنما كتبت إليه لأجمع بينه وبينه ، فإنّه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه ، فقال : إن الله يكفيناه ، قال : فلمّا اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله ﷺ : سل عما شئت ! فقال له : اقرأ سورة الحمد ، قال : فقرأها ، وقال الأموي وإنّنا معه ما في سورة الحمد غلبنا ، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون قال : فجعل القدري

(١) بتوفيقه وتسديده وتأيدده وعدم إيكاله على نفسه ، وتوجيه الأسباب له نحو المطلوب الخير وإلا فتركه بحاله ، ولم ينصره على عدوه ، وهذا معنى التوفيق والغدлан ، و الهداية والاضلال .
(٢) الاتي تحت رقم ١٠٤ .
(٣) في نسخة : الحسين .

يقرأ سورة الحمد حتى يبلغ قول الله تبارك وتعالى : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فقال له جعفر : قف ؛ من تستعين ؟ وما حاجتك إلى المؤونة ؟ إن الأمر إليك ، فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

٩٩ - شى : عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال الله تبارك و تعالى : ابن آدم ! بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء وتقول ، وبقوتي أديت إلي فرائضي و بنعمتي قويت على معصيتي ، ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذاك أنني أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ، وذاك أنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون .

١٠٠ - وفي رواية الحسن بن علي الوشاء ، عن الرضا عليه السلام : وأنت أولى بسيئاتك مني ، عملت المعاصي بقوتي التي جعلت فيك .

١٠١ - شى : عن ابن مسكان ، عمّن رواه ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنك لتسأل من كلام أهل القدر وما هو من ديني ولادين آبائي ، ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به .

١٠٢ - شى : عن الحسن بن علي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : ويح هذه القدرية إنما يقرؤون هذه الآية : «إلا امرأته قد رناها من الغابرين» ويحهم من قدرها إلا الله تبارك وتعالى ؟ .

١٠٣ - من كتاب مطالب السؤل لمحمد بن طلحة البيهقي ، بإسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم ، عن الإمام جعفر بن محمد ، عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ، عن الجميع عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال يوماً : أعجب ما في الإنسان قلبه فيه مواد من الحكمة وأضداد لها من خلافها ، فإن سنح له الرجاء وله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ ، وإن ناله الخوف شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبة قصمه

الجزع^(١)، وإن وجد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة^(٢) شغله البلاء، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة^(٣)، فكل تقصير به مضر، و كل إفراط له مفسد. فقام إليه رجل ممن شهد وقعة الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تلجئه: فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر: فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر: فقال: سر الله فلا تبحث عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر، فقال: لما أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض. فقال يا أمير المؤمنين إن فلاناً يقول بالاستطاعة وهو حاضر، فقال علي عليه السلام: علي به، فأقاموه فلمّا رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ وإياك أن تقول واحدة منهما فتردد، فقال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل: أملكها بالله الذي أنشأ ملكتها.

١٠٤ - ب: ابن حكيم، عن البرزنطي قال: قلت للرضا عليه السلام إن أصحابنا بعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالاستطاعة، فقال لي: اكتب قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك أنني أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك أنني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، فقد نظمت لك كل شيء تريد^(٤). «ص ١٥٥»

يد، ن: أبي وابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البرزنطي مثله. «ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ص ٨٣»

(١) أي هلكه الجزع.

(٢) أي إن اشتدت عليه الفاقة.

(٣) كظ الطعام فلاناً: ملاءه حتى لا يطيق التنفس: وكظ الامر فلاناً: غمه وكرهه وبهظه، والناسب للحديث المعنى الثاني.

(٤) تقدم ذيل الخبر الواقع تحت رقم ٣ ما يناسب هذا الخبر فراجع.

١٠٥ - أعلام الدين للديلمى : روي أن طاووس اليماني^(١) دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يعلم أنه يقول بالقدر ، فقال له : يا طاووس من أقبل للعذر من الله ممن اعتذر و هو صادق في اعتذاره ؟ فقال له : لا أحد أقبل للعذر منه ، فقال له : من أصدق ممن قال : لا أقدر و هو لا يقدر ؟ فقال طاووس : لا أحد أصدق منه ، فقال الصادق عليه السلام له : يا طاووس فما بال من هو أقبل للعذر لا يقبل عذر من قال : لا أقدر و هو لا يقدر ؟ فقام طاووس و هو يقول : ليس بيني و بين الحق عداوة ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فقد قبلت نصيحتك .

١٠٦ - وقال الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم : ألا أعطيك جملة في العدل والتوحيد ؟ قال : بلى جعلت فداك ، قال : من العدل أن لا تتهمه ، ومن التوحيد أن لا تتوهمه^(٢) .

١٠٧ - يف : روي كثير من المسلمين عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال يوماً لبعض المجبرة : هل يكون أحد أقبل للعذر الصحيح من الله ؟ فقال : لا ، فقال : فما تقول فيمن قال ما أقدر و هو لا يقدر ؟ أيكون معذوراً أم لا ؟ فقال المجبر : يكون معذوراً ، قال له : فإذا كان الله يعلم من عباده أنهم ما قدروا على طاعته وقال لسان حالهم أو مقالهم يوم القيامة : يارب ما قدرنا على طاعتك لأنك منعتنا منها أما يكون قولهم و عذرهم صحيحاً على قول المجبرة ؟ فقال : بلى والله ، فقال : فيجب على قولك أن الله يقبل هذا العذر الصحيح ولا يؤخذ أحداً أبداً وهذا خلاف قول أهل الملل كلهم . فتاب المجبر من قوله بالجبر في الحال . «ص ٩٥»

١٠٨ - يف : روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو ابن عبيد وإلى واصل بن عطا وإلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم

(١) هو طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري مولا هم الفارسي ، يقال : اسمه ذكوان و طاووس لقب ، مات سنة ١٠٦ و قيل بعد ذلك ، قاله ابن حجر في ص ٢٤١ من التريب و وثقه وقال : فقيه فاضل من الثالثة انتهى . أقول : أورده الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله في أصحاب السجاد عليه السلام ، ويستفاد من بعض الاخبار كونه محباً للإمام السجاد عليه السلام ، ومن بعض آخر كونه متعنتاً للباقر عليه السلام ، وسيوافيك ذلك في كتاب الاحتجاجات ، والمسلم أن الرجل من العامة وزهادهم .

(٢) مأخوذ مما تقدم تحت رقم ٨٦ من كلام علي عليه السلام .

في القضاء والقدر ، فكتب إليه الحسن البصري : إن أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : أتظنّ أن الذي نهاك دهاك ؟ وإنّما دهاك أسفلك وأعلاك ، والله بريء من ذلك . وكتب إليه عمرو بن عبيد : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : لو كان الزور ^(١) في الأصل محتوماً كان المزور في القصاص مظلوماً . وكتب إليه واصل بن عطا : أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أيد لك على الطريق ويأخذ عليك المضيق ؟ . وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : كل ما استغفرت الله منه فهو منك ، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه . فلمّا وصلت كتبهم إلى الحجّاج ووقف عليها قال : لقد أخذوها من عين صافية . « ص ٩٥ »

أقول : روى الكراچكي مثله . وفيه : من وسّع عليك الطريق لم يأخذ عليك المضيق وفي القاموس : دهاه : أصابه بداهية ، وهي الأمر العظيم . « ص ١٧٠ »

١٠٩ - يف : روي أن رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر فقال : ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه ، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله ، يقول الله تعالى للعبد : لم عصيت ؟ لم فسقت ؟ لم شربت الخمر ؟ لم زנית ؟ فهذا فعل العبد ؛ ولا يقول له : لم مرضت ؟ لم قصرت ؟ لم ابيضضت ؟ لم اسوددت ؟ لأنّه من فعل الله تعالى .

١١٠ - يف : روي أن الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال : يا أبا الحسن الخلق مجبورون ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر خلقه ثمّ يعذّبهم ، قال : فمطلقون ؟ قال : الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه .

يف : ومن الحكايات ما روي أن بعض أهل العدل وقف على جماعة من المجبرة ، فقال لهم : أنا ما أعرف المجادلة والإطالة لكنّي أسمع في القرآن قوله تعالى : «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله» ومفهوم هذا الكلام عند كل عاقل أن الموقد للنار غير الله ، وأن المطفىء للنار هو الله ، وكيف تقبل العقول أن الكل منه ؟ وأن

(١) في المصدر : لو كان الزور في الأصل محتوماً م .

الموقد للنار هو المظفيء لها ؟ فانقطعوا ولم يردوا جواباً . « ص ٩٧ »
ومن الحكايات أن جماعة من اليهود اجتمعوا إلى أبي بحر الخاقاني فقالوا له :
مامعناه أنت سلطان عادل منصف ، ومن المسلمين في بلدك المجبرة وهم الذين
يعولون عليهم في الأقوال والأفعال ، وهم يشهدون لنا أننا لا نقدر على الإسلام ولا
الإيمان ، فكيف تأخذ الجزية من قوم لا يقدر على الإسلام ولا الإيمان ؟ فجمع
المجبرة وقال لهم : ماتقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم ؟ فقالوا : كذا
نقول : إنهم لا يقدر على الإسلام والإيمان . فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا
عليه فنفاهم . « ص ٩٧ »

ومن الحكايات المذكورة في ذلك ماروي عن القاسم بن زياد الدمشقي أنه
قال : كنت في حرس عمر بن عبدالعزيز فدخل غيلان فقال : يا عمر : إن أهل الشام يزعمون
أن المعاصي قضاء الله ، وأنت تقول ذلك ؟ فقال : ويحك يا غيلان ! أولست تراني أسمى
مظالم بني مروان ظلماً وأردّها أفتراي أسمى قضاء الله ظلماً وأردّه ؟ . « ص ٩٨ »
أقول : أورد السيّد في الطرائف فصلاً مشبعاً في الردّ على المجبرة تركنا إبراده
لتلا يطول الكتاب مع كونه خارجاً عن مقصودنا فمن أراد الاطلاع عليه فليراجع إلى
الكتاب المذكور ؛ وقد مرّ خبر الحسين بن خالد في ذلك في باب نفي التشبيه .^(١)

١١١ - وقال الكراجكي في كنز الفوائد : قال الصادق عليه السلام لزراعة بن أعين :
يا زراعة أعطيك جملة في القضاء والقدر ؟ قال : نعم جعلت فداك ، قال : إذا كان يوم القيامة
وجمع الله الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم ولم يسألهم عمّا قضى عليهم . « ص ١٧١ »

١١٢ - وروي عن محمد بن أحمد بن شاذان القمي ، عن الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ،
عن أيوب بن نوح ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمسة لا تظفيء
نيرانهم ، ولا تموت أبدانهم : رجل أشرك ، ورجل عقى والديه ، ورجل سعى بأخيه إلى
السلطان فقتله ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله عز وجل .
« ص ٢٠٢ »

(١) وتقدم في هذا الباب أيضاً تحت رقم ٨٨ .

فائدة : قال السيد المرتضى قدس الله روحه : إن سأل سائل فقال : بم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً » ^(١) فإن الظاهر من هذه الآية يوجب أنهم غير مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له ، وأن القدرة مع الفعل ؛ وإذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى : « إنك لن تستطيع معي صبراً » ^(٢) وأنه نفى أن يكون قادراً على الصبر في حال هو فيها غير صابر ، وهذا يوجب أن القدرة مع الفعل ؛ وبقوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ^(٣) .

يقال له : أوّل ما نقوله : إن المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع ، لأنّ مذهبه لا تسلم معه صحّة السمع ، ولا يتمكّن مع المقام عليه من معرفة السمع بأدلّته ، وإنّما قلنا ذلك لأنّ من جوّز تكليف الله تعالى الكافر بالإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله عزّ وجلّ ، وإذا لم يمكنه ذلك فلا بدّ من أن يلزمه تجويز القبائح على الله في أفعاله وأخباره ، ولا يأمن من أن يرسل كذاباً ، وأن يخبرهم بالكذب ، تعالى عن ذلك ، فالسمع إن كان كلامه قدح في حجّته تجويز الكذب عليه ، وإن كان كلام رسول الله قدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب ، وإنّما طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه ، وليس لهم أن يقولوا : إن أمره تعالى الكافر بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتى الكافر فيه من قبل نفسه لأنّه تشاغل بالكفر فترك الإيمان ، وإنّما كان يبطل تعلّقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح ، وذلك لأنّ ما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفاً لما لا يطاق لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عنهم لأنّه يلزم على ذلك أن يفعل الكذب وسائر القبائح وتكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه لا يقبح منه ، وليس قولهم : إنّنا لم نضفه إليه من وجه يقبح بشيء ، يعتمد ، بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون الكذب منه حسناً ، ويدّعي مع ذلك صحّة معرفة السمع بأن يقول : إنّني لم أضف إليه قبيحاً فيلزم مني إفساد

(١) الاسراء : ٤٨ .

(٢) الكهف : ٦٧ .

(٣) هود : ٢٠ .

طريقة السمع ، فلمّا كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في الاستطاعة عذر بمثله .

و نعود إلى تأويل الآي : أمّا قوله : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضّلوا فلا يستطيعون سبيلاً » فليس فيه ذكر للشيء الذي لا يقدرّون عليه ولا بيان له ، وإنّما يصحّ ما قالوه لو بيّن لهم أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى أمر معيّن ، فأمّا إذا لم يذكر ذلك كذلك فلا متعلّق لهم .

فإن قيل : فقد ذكر تعالى من قبل ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله : « فلا يستطيعون سبيلاً » إلى مفارقة الضلال .

قلنا : إنّّه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر ضرب المثل منهم ، فيجوز أن يريد أنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من الأمثال ، وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا استطاع ، والظاهر أن هذا الوجه أولى لأنّه تعالى حكى عنهم أنّهم ضربوا له الأمثال ، وجعل ضلالهم وأنّهم لا يستطيعون السبيل متعلّقاً بما تقدّم ذكره ، وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً إليه ، وأنّهم ضلّوا بضرب المثل ، وأنّهم لا يستطيعون سبيلاً إلى تحقيق ما ضربوه من المثل ، على أنّه تعالى قد أخبر عنهم بأنّهم ضلّوا ، وظاهر ذلك الإخبار عن ماضي فعلهم ، فإن كان قوله : « فلا يستطيعون سبيلاً » يرجع إليه فيجب أن يدلّ على أنّهم لا يقدرّون في المستقبل على ترك الماضي ، وهذا ممّا لا يخالف فيه ، وليس فيه ما ناباه من أنّهم لا يقدرّون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه وتعذّر تركه ، وبعد^(١) فإذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلّفوه بأولى ممّا إذا حملنا ذلك على أمر لم يكلفوه ؛ أو على أنّه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقّة عليهم ، وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً : إنّّه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكّن منه ؛ ألا ترى أنّهم يقولون : فلان لا يستطيع أن يكلم فلاناً ولا ينظر إليه وما أشبه ذلك وإنّما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة والمشقّة .

(١) في الامالي المطبوع : وتعذر تركه بعد مضيه .

فإن قيل : فإن كان لظاهر الآية يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم ؟ قلنا : قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً لأنهم ضربوا الأمثال ظناً منهم بأن ذلك يبين كذبه ، فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع لأن تكذيب صادق وإبطال حق مما لا تتعلق به قدرة ولا تتناولها استطاعة . وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لا أجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب ، وليس يمكن على هذا أن يقال : كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الإيمان والتوبة ؟ ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب ، لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خير وهدى ، وإنما يكون لهم سبيل إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه ، وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنهم مستثقلون للإيمان ، فقد يخبر عن يستثقل شيئاً بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره ، كذا في كتاب الغرر للسيد رحمه الله .

فأمّا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : « إنك لا تستطيع معي صبراً » فظاهره يقتضي أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل ، ولا يدل على أنه غير مستطاع للصبر في الحال أن يفعله في الثاني ، وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطاع له ، غير أن الآية تقتضي خلاف ذلك ، لأنه قد صبر عن المسألة أوقاتاً ، وإن لم يصبر عنها في جميع الأوقات فلم تنتف الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلية ؟ .

على أن المراد بذلك واضح ، وأنه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسألة عما لا يعرف ولا يقف عليه لأن مثل ذلك يصعب على النفس ، ولهذا يجد أحداً إذا جرى بين يديه ما يشكره ويستبدعه تنازعه نفسه إلى المسألة عنه والبحث عن حقيقته ، ويثقل عليه الكف عن الفحص عن أمره ، فلما حدث من صاحب موسى عليه السلام ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر عن المسألة عن ذلك ، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى : « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » فيبين أن العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ، ولو كان الأمر على ما ظنوا لوجب أن يقول : وكيف تصبر وأنت غير مطيق للصبر ؟ .

وأما قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » فلا تعلق لهم بظاهرة ، لأنَّ السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً ، لأنَّ الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ، ولو ثبت أنَّه معنى على ما يقوله أبو علي لمكان أيضاً غير مقدور للعبد من حيث اختصَّ القديم تعالى بالقدرة عليه . هذا إن أُريد بالسمع الإدراك ، وإن أُريد به نفس الحاسة فهي أيضاً غير مقدورة للعباد لأنَّ الجواهر وما تختصُّ به الحواس من البينة والمعاني ليصحَّ به الإدراك ممَّا ينفرد القديم تعالى بالقدرة عليه ^(١) فالظاهر لاحجة لهم فيه .

فإن قالوا : ولعلَّ المراد بالسمع كونهم سامعين ، كأنَّه نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا . قلنا : هذا خلاف الظاهر ، ولو ثبت أنَّ المراد ذلك لحملنا نفى الاستطاعة ههنا على ما تقدَّم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل : فلان لا يستطيع أن يراني ، ولا يقدر على أن يكلمني ، وما أشبه ذلك ، وهذا يبين لمن تأمله ^(٢) .

وقال رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » ^(٣) فقال : أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنَّه خالق لأعمال العباد ؟ لأنَّ « ما » ههنا بمعنى « الذي » فكأنَّه قال : خلقكم وخلق أعمالكم .

قلنا : قد حمل أهل الحق هذه الآية على أنَّ المراد بقوله : وما تعملون أي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما ممَّا كانوا يتخذونه أصناماً ويعبدونها ، قالوا : وغير منكر أن يريد بقره له : وما تعملون ذلك ، كما أنَّه قد أراد ما ذكرناه بقوله : « أتعبدون ما تنحتون » لأنَّه لم يرد أنكم تعبدون نحتكم الذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت ، كما قال تعالى في عصاموسى عَلَيْهِ السَّلَام : « تلقف ما يأفكون » ^(٤) وتلقف ما

(١) هكذا في النسخ ولكن الصحيح كما في الامالي المطبوع : لا يصح بها الادراك فانه مما ينفرد به القديم تعالى بالقدرة عليه .

(٢) يوجد ذلك كله في كتابه الامالي المسمى بالفرد ، في ج ٤ ص ٧١-٧٤ ويوجد بعده في ص ١٤٣-١٤٦ من هذا المجلد .

(٣) الصافات : ٩٤ و ٩٥ .

(٤) الاعراف : ١١٧ .

صنعوا»^(١) وإنما أراد أن العصا تلقف الحبال التي أظهرها سحرهم فيها ، وهي التي حلتها صنعتهم وإفكهم فقال : «ما صنعوا وما يافكون» وأراد ما صنعوا فيه ، وما يافكون فيه ، ومثله قوله تعالى : «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان»^(٢) وإنما أراد المعمول فيه دون العمل - وهذا الاستعمال أيضاً سائع شائع - لأنهم يقولون : هذا الباب عمل النجار ؛ وفي الخلخال : هذا من عمل الصائغ ؛ وإن كانت الأجسام التي أُشير إليها ليست أعمالاً لهم ، وإنما عملوا فيها فحسن إجراء هذه العبارة .

فإن قيل : كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع ، لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه ، وإن استعير في بعض المواضع . قلنا : ليس نسلم لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز ، بل نقول : هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لأن القائل إذا قال : هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنه عمل فيه ، وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلاً من قوله : هذا من عمل فلان : هذا مما حله عمل فلان ؛ فالأول أولى بأن يكون حقيقة ، وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكره ، ثم انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه ، وصار أخص به ومما لا يستفاد من الكلام سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد ، ولا اعتبار بالمفهوم من الألفاظ إلا بما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل فوجب أن يكون المفهوم .

والظاهر من الآية ما ذكرناه على أننا لو سلمنا أن ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه ، فمن ذلك^(٣) أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم ، والتوبيخ لأفعالهم ، والإذراء على مذاهبهم ، فقال «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» ومتى لم يكن قوله : «وما تعملون» المراد به تعملون فيه ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام التي تنحتونها ، والله خلقكم وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن للكلام معنى ولا مدخل في باب التوبيخ ، ويصير على ما يذكره المخالف كأنه

(١) طه : ٦٩ أقول : لقف الشيء : تناوله بسرعة .

(٢) سبا : ١٣ .

(٣) في الامالي المطبوع هكذا : منها ما يشهد به ظاهر الآية وبقتضيه ولا يسوغ سواه ، ومنها

ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية ، فمن ذلك أنه تعالى أخرج . إه

قال : أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم و خلق عباداتكم فأني وجه للتقريع ، وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً لأنه إذا خلق عبادتهم للأصنام فأني وجه للمومهم عليها .^(١) على أن قوله تعالى : « والله خلقكم وماتعملون » بعد قوله : « أتعبدون ماتنحتون » إنما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى فلا بد أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله : « أتعبدون ماتنحتون » و مؤثراً في المنع من عبادة غير الله ، فلو أفاد قوله : « ماتعملون » نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لافائدة في الكلام لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت ، وإنما كانوا يعبدون محله ، وأنه كان لاحظ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام ، وكذلك إن حمل قوله تعالى : « ماتعملون » على أعمال آخر ليست نحتهم ولاهي ما عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم ، فلم يبق إلا أنه أراد أنه خلقكم وماتعملون فيه النحت فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم ؟ !

فإن قيل : لم زعمتم أنه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الأصنام ؟ وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك ، على أن ما ذكرتموه أيضاً لو أريد لكان وجهاً ، وهو أن من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا يكون إلا الإله القديم الذي تحقق له العبادة ، وغير القديم تعالى كما يستحيل أن يخلقنا يستحيل أن يخلق فينا الأفعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تأثير .

قلنا : معلوم أن الثاني إذا كان كالتعليل للأول والمؤثر في المنع من العبادة فلا أن يتضمن أنكم مخلوقان وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه مما لا يقتضي أكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه فإنه لا شيء أدل على المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة كما أن عابدها مخلوق ، ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر : « أيشر كون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون »^(٢)

(١) اضاف في الامالى المطبوع : وتقريعهم بها .

(٢) الاعراف : ١٩١ - ١٩٢ .

فاحتجّ تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لاتخلق شيئاً ولا تدفع عن أنفسها ضرراً ولا عنهم ، وهذا واضح على أنّه لو ساوى ما ذكره ما ذكرناه في التعلّق بالأوّل لم يسغ حمله على ما ادّعوه لأنّ فيه عذراً لهم في الفعل الذي عنّفوا به وقرّعوا من أجله ، وقبيح أن يوبّخهم بما يعذرهم ، ويذمّهم بما ينزّههم على ما تقدّم ؛ على أنّنا لانسلم أنّ من يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحقّ العبادة لأنّ من جملة أفعالهم القبائح ، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً ولا تحقّ العبادة له ، فخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً في انفراده بالعبادة ؛ على أنّ إضافته العمل إليهم بقوله تعالى : « تعملون » يبطل تأويلهم هذه الآية ، لأنّه لو كان خالقاً له لم يكن عملاً لهم لأنّ العمل إنّما يكون عملاً لمن يحدثه و يوجدّه ، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه ؛ وهذه مناقضة لهم ، فثبت بهذا أنّ الظاهر شاهد لنا أيضاً ؛ على أنّ قوله : « وما تعملون » يقتضي الاستقبال ، وكلّ فعل لم يوجد فهو معدوم ، ومحال أن يقول تعالى : إنّني خالق للمعدوم .

فإن قالوا : اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكأنّه قال : والله خلقكم وما عملتم . قلنا : هذا عدول منكم عن الظاهر الذي ادّعيتم أنّكم متمسّكون به ، وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منّا ، بل نحن أحقّ لأنّا نعدل عنه بدلالة ، وأنتم تعدلون بغير حجة .

فإن قالوا : فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم : وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي . قلنا : نحن لانحتاج في تأويلنا إلى ذلك لأنّا إذا حملنا قوله : « وما تعملون » على الأصنام المعمول فيها ومعلوم أنّ الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز أن يقول تعالى : « إنّني خلقتها » ولا يجوز أن يقول : « إنّني خلقت ما سيقع من العمل في المستقبل » على أنّه لو أراد بذلك أعمالهم لأمّا عملوا فيه على ما ادّعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأنّ الخلق هو التقدير والتدبير ، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدره و دبّره ألا ترى أنّهم يقولون : خلقت الأديم وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقول ذلك فيه ؟ ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنّه مقدّر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها ، وما به نستحقّ عليها من الجزاء .

﴿باب ٢﴾

﴿آخر وهو من الباب الاول﴾

وفيه رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الرد على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين بوجه أبسط ممامر.

☆ ١ - ف : من علي بن محمد : سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، فإنه ورد علي كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ، ومقالة من يقول منكم بالجبر ، ومن يقول بالتفويض ، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم ، وما ظهر من العداوة بينكم ، ثم سألتهموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله ، اعلموا رحمكم الله أننا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام^(١) ممن يعقل عن الله جل وعز لا تخلو من معنيين : إما حق فيتبع ، وإما باطل فيجتنب ، وقد اجتمعت الأمة قاطبة لاختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق ، وفي حال اجتماعهم مقررون بتصديق الكتاب و تحقيقه مصيبون مهتدون ، وذلك بقول رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً ، والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه ، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة ، حين^(٢) اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب ، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة ، فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله ﷺ ، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه ، بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال : « إنني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما تمسكتم بهما وإنهما لن يفترقا حتى يردا

(*) أورد شطراً من الحديث عن الاحتجاج في الباب المتقدم تحت رقم ٣٠ .

(١) أي من ينتسب إليه .

(٢) في نسخة : حيث .

عليّ الحوض. ^(١) فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» ^(٢) وروى العامة في ذلك أخباراً لأئمة المؤمنين عليهم السلام أنّه تصدّق بخاتمه وهو راكع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه ، فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أتى بقوله : « من كنت مولاه فعليّ مولاه . و بقوله : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانيّ بعدي . و وجدناه يقول : « عليّ يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي . فالخبر الأوّل الذي استنبط منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم ، وهو أيضاً موافق للكتاب ، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة ، إذ كانت هذه الأخبار شواهداً من القرآن ناطقة ، و وافقت القرآن والقرآن وافقها ، ثمّ وردت حقائق الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن الصادقين عليهم السلام نقلها قوم ثقة معروفون فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كلّ مؤمن و مؤمنة ، لا يتعدّاه إلا أهل العناد ، و ذلك أنّ أقاويل آل رسول الله صلى الله عليه وآله متصلة بقول الله ، و ذلك مثل قوله في محكم كتابه : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً» ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « من آذى عليّاً فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه » وكذلك قوله صلى الله عليه وآله : « من أحبّ عليّاً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله » ومثل قوله صلى الله عليه وآله في بني وليعة : ^(٣) « لا بعثنّ إليهم رجلاً كنفسه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قم يا عليّ فسر إليهم » وقوله صلى الله عليه وآله يوم خيبر : « لا بعثنّ إليهم غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، كرّاراً غير فرّار ، لا يرجع حتّى يفتح الله عليه » فقضى

(١) سيوافيك الحديث وما يأتي بعدها من الأحاديث الواردة في أمير المؤمنين عليه السلام بأسنادها

المتفقة عليها عند جمهور المسلمين في كتاب الإمامة .

(٢) سيأتى كلام المفسرين من العامة والخاصة حول الآية وغيرها مما نزلت في أمير المؤمنين عليه

السلام في كتاب الإمامة .

(٣) قال الفيروز آبادي في القاموس : بنو وليعة كسفينة : حي من كندة .

رسول الله ﷺ بالفتح قبل التوجيه فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما كان من الغد دعا علياً عليه السلام فبعثه إليهم فاصطفاه بهذه الصفة ^(١) وسمّاه كراً وأغفرّار ، فسمّاه الله محبّاً لله ولرسوله ، فأخبر أن الله ورسوله يحبّانه . وإنما قدّمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينونه من أمر الجبر والتفويض ، والمنزلة بين المنزلتين ، وبالله العون والقوة وعليه تتوكل في جميع أمورنا ، فإننا نبداً من ذلك بقول الصادق عليه السلام : « لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين » وهي صحة الخلقة ، و تخليمة السرب ، والمهلة في الوقت ، والزاد مثل الراحلة ، والسبب المهيّج للفاعل على فعله ؛ فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق عليه السلام جوامع الفضل فإذا نقص العبد منها خلة ^(٢) كان العمل عنه مطروحاً بحسبه ، فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته ، ونطق الكتاب بتصديقه ، فشهد بذلك محكمات آيات رسوله ، لأنّ الرسول ﷺ وآله عليه السلام لا يعدون شيء من قوله وأقوالهم حدود القرآن فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافقاً وعليها دليلاً كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد كما ذكرنا في أوّل الكتاب ، ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافقاً لهذا أن الصادق عليه السلام سئل : هل أجبر الله العباد على المعاصي ؟ فقال الصادق عليه السلام : هو أعدل من ذلك ، فقل له : فهل فوّض إليهم ؟ فقال عليه السلام : هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك .

و روي عنه أنّه قال : الناس في القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أن الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك ، و رجل يزعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك ، و رجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا

(١) في نسخة : المنقبة .

(٢) بضم الخاء وفتحها : خصلة .

مسلم بالغ ، فأخبر ﷺ أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق ، فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطاء ، وأن الذي يتقلد التفويض يلزمه الباطل فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما ، ثم قال : وأضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه ، تشهد به محكمات آيات الكتاب ، وتحقق تصديقه عند ذوي الأبواب وبالله التوفيق والعصمة .

فأمّا الجبر الذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي و عاقبهم عليها ، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذب به ورد عليه قوله : « ولا يظلم ربك أحداً » وقوله : « ذلك بما قدّمت يداك وأن الله ليس بظالم للعبيد » وقوله : « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون » مع أي كثيرة في ذكر هذا ، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله ، وقد ظلمه في عقوبته ، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه ، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر باجتماع الأمة ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ، ولا يملك عرضاً من عروض الدنيا ، و يعلم مولاه ذلك منه ، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته ، وعلم المالك أن على الحاجة رقيباً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن ، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة ، وإظهار الحكمة ، ونفي الجور ، وأوعد عبده إن لم يأتيه بحاجته أن يعاقبه على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه ، وعلم أن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك ، فلمّا صار العبد إلى السوق وجاء ليأخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء وليس يملك العبد ثمنها فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته ، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه ، أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته ؟ فإن عاقبه عاقبه ظالماً متعدّياً عليه ، مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته ، وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ؛ فمن دان بالجبر أو بما يدعو

إلى الجبر فقد ظلم الله ، ونسبه إلى الجور والعدوان ، إذ أوجب على من أوجب العقوبة ،
ومن زعم أن الله أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله أن الله يدفع عنهم العقوبة ، ومن
زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده ، حيث يقول : « بلى
من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وقوله :
« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنهم يأكلون في بطونهم نارا وسياءلون سعيراً »
وقوله : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كل ما نضجت جلودهم بدلناهم
جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً » مع أي كثيرة في هذا الفن ، فمن
كذب وعيد الله يلزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر ، وهو ممن قال الله : « أفتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا
ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون » بل نقول : إن الله عز
وجل جازى العباد على أعمالهم ، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها
فأمرهم ونهاهم ، بذلك ونطق كتابه « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى إلا مثلهما وهم لا يظلمون » وقال جل ذكره : « يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه »
وقال : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » فهذه آيات محكمات تنفي الجبر
ومن دان به ، ومثاها في القرآن كثير ، اختصرنا ذلك لئلا يطول الكتاب ، وبالله التوفيق .
فأمّا التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به و تقلده فهو قول
القائل : إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهمليهم ، وفي هذا كلام
دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته ، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهتدية من عترة الرسول
عليهم السلام ، فإنهم قالوا : لو فوض إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما
اختاروه ، واستوجبوا به الثواب ، ولم يكن عليهم فيما جنوه العقاب إذا كان الإهمال
واقعاً ، و تنصرف هذه المقالة على معنيين : إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه
قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة ، كره ذلك أم أحب ، فقد لزمه الوهن ؛ أو يكون جل
وعز عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته ، كرهوا أو أحبوا ففوض أمره ونهيه إليهم

وأجراهما على محبتهم ، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان ، ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه لخدمته ، ويعرف له فضل ولايته ، ويقف عند أمره ونهيهِ ، وادّعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم فأمر عبده ونهاه ووعده على اتباع أمره عظيم الثواب ، وأوعده على معصيته أليم العقاب ، فخالف العبد إرادة مالكه ، ولم يقف عند أمره ونهيهِ ، فأى أمر أمره به أو أى نهى نهى عنه لم يأت به على إرادة المولى ، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه ، واتباع هواه ، ولا يطبق المولى أن يردّه إلى اتباع أمره ونهيهِ والوقوف على إرادته ، ففوّض اختيار أمره ونهيهِ إليه ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لأعلى إرادة المالك ، وبعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه ، وقصد لإرادة نفسه ، واتباع هواه ، فلمّا رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به فقال له : لم أتيتني بخلاف ما أمرتك ؟ فقال العبد : اتكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتّبعته هواي وإرادتي لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه فاستحال التفويض ، أوليس يجب على هذا السبب إمّا أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيهِ على إرادته لأعلى إرادة العبد ، ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه ، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهى عرفه الثواب والعقاب عليهما وحذّره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيهِ وترغيبه وترهيبه فيكون عدله وإنصافه شاملاً له ، وحبّته واضحة عليه للإعذار والإنذار . فإذا اتّبع العبد أمر مولاه جازاه ، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه ؛ أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه أحسن أم أساء أطاع أم عصى عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتباع أمره ، وفي إثبات العجز نفى القدرة والتأله ، وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ومخالفة الكتاب ، إذ يقول : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » وقوله عزّ وجلّ : « اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون » وقوله : « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون » وقوله : « اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وقوله : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون » فمن زعم أنّ الله تعالى فوّض أمره

ونهيهِ إلى عباده فقد أثبت عليه العجز ، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر ، وأبطل أمر الله ونهيهِ ، ووعدهِ ووعيدهِ لعلهُ ما زعم أن الله فوضها إليها لأن المفوض إليه يعمل بمشيئته ، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محذور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعدهِ وأمرهِ ونهيهِ ، وهو من أهل هذه الآية « أفْتَوِّمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً ؛ لكن نقول : إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته ، وملّكهم استطاعة تعبدهم بها ، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمرهِ ورضي بذلك لهم ، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها ، والله الخيرة في الأمر والنهي ، يختار ما يريد ويأمر به ، وينهى عما يكره ويعاقب عليه ، بالاستطاعة التي ملّكها عباده لاتباع أمرهِ واجتناب معاصيه لأنّه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة ، بالغ الحجّة بالإعذار والإندار ، وإليه الصفوة يصطفى من يشاء من عباده لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده اصطفاً محمداً ﷺ وبعثه برسالاته إلى خلقه فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً : « لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » يعني بذلك أميّة بن أبي الصلت و أبا مسعود الثقفي ، فأبطل الله اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم حيث يقول : « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير ممّا يجمعون » ولذلك اختار من الأمور ما أحب ، ونهى عما كره ، فمن أطاعه أثابه ، ومن عصاه عاقبه ، ولو فوض من اختيار أمرهِ إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أميّة ابن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﷺ ، فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فلم يجز لهم الاختيار بأهوائهم ولم يقبل منهم إلا اتباع أمرهِ واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجّة بما ملّكه من الاستطاعة لاتباع أمرهِ واجتناب

نهي ، فمن أجل ذلك حرمه ثوابه ، وأنزل به عقابه ، وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل يا عباية ، قال وما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك ! وإن قلت : تملكها دون الله قتلتك ! قال عباية : فما أقول يا أمير المؤمنين عليه السلام ؟ قال عليه السلام : تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يملكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه هو المالك لما ملكك ، والقادر على ما عليه أقدرك ، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال عباية : وما تأويلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : عليه السلام لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله ، قال : فوثب عباية فقبل يديه ورجليه .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله قال : يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك ؟ قال عليه السلام : بالتمييز الذي خوّلني ، ^(١) والعقل الذي دلّني ، قال : أفمجبول أنت عليه ؟ قال : لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ، ولا مذموماً على إساءة ، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء ، فعلمت أن الله قائم باق ، ومادونه حدث حائل زائل ، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل . قال نجدة : أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين ! قال : أصبحت مخيراً فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ قال : نعم يا شيخ ما علمتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله ، فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال : مه يا شيخ فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون ، وفي مقامكم وأنتم مقيمون ، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من أموركم

(١) خوله الشيء : أعطاه إياه متفضلاً ، أو ملكه إياه .

مكرهين ، ولا إليه مضطرين ، لعلمك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم ، ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، ولسقط الوعد والوعيد ، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق ، ذلك مقالة عبدة الأوثان وأولياء الشياطين ^(١) إن الله جل وعز أمر تخيراً ، ونهى تحذيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . فقام الشيخ فقبل رأس أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ☆ يوم النجاة من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ☆ جزاك ربك عنا فيه رضواناً
فليس معذرة في فعل فاحشة ☆ عندي لراكبها ظملاً و عصياناً
فقد دل قول أمير المؤمنين عليه السلام على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض المذنبين
يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر و تكذيب الكتاب ، و نعوذ بالله من
الضلالة والكفر ، ولسنا ندين بجبر ولا تفويض ، لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين ، وهو
الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها على ما شهد به الكتاب ودان
به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم .

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً أو ملك مالا كثيراً أحب أن يختبر
عبده على علم منه بما يؤول إليه ، فملكه من ماله بعض ما أحب ، ووقفه على أمور عرفها
العبد ، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ؛ ونهاه عن أسباب لم يحبها ، وتقدم إليه أن
يجتنبها ، ولا ينفق من ماله فيها ، والمال يتصرف في أي الوجهين ؛ فصرف المال أحدهما
في اتباع أمر المولى ورضاه ، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه ، وأسكنه داراً اختبار
أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار ، وأن له داراً غيرها ، وهو مخرجه إليها فيها
ثواب وعقاب دائم ، فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره
به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها ، وإن أنفق
المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك العقاب الدائم في دار الخلود ،

وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى ، فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد على أنّه لم يزل مالكا للمال والعبد في الأوقات كلها ، إلا أنّه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلا أن يستتم^(١) سكناه فيها ؛ فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة أوليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية و أثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة ؟ وإن صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيّام سكناه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه كذلك يجب عليه العقوبة الدائمة التي حذّره إياها غير ظالم له لما تقدّم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعده ووعيده بذلك يوصف القادر القاهر ؟

وأما المولى فهو الله جلّ وعزّ ، وأما العبد فهو ابن آدم المخلوق ، و المال قدرة الله الواسعة ، ومحنته إظهار الحكمة والقدرة ، والدار الفانية هي الدنيا ، و بعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم ، والأُمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء و الإقرار بما أوردوه عن الله جلّ وعزّ ، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس ؛ وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة ، و أما الدار الفانية فهي الدنيا ، وأما الدار فهي الدار الباقية وهي الآخرة ، والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد ؛ وشرحها في خمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها جمعت جوامع الفضل ، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله .

تفسير صحّة الخلقة ، أمّا قول الصادق عليه السلام فإنّ معناه كمال الخلق للإنسان بكمال^(٢) الحواسّ وثبات العقل والتمييز ، و إطلاق اللسان بالنطق ، وذلك قول الله : «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على

(١) في المصدر : الى ان يستتم . م

(٢) في المصدر : وكمال الحواس . م

كثير ممن خلقنا تفضيلاً» فقد أخبر عز وجل عن تفضيله بني آدم على سائر خلقه من البهائم والسباع ودواب البحر والطير وكل ذي حركة تدركه حواس بني آدم بتمييز العقل والنطق، وذلك قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» وقوله، «يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك فعداك في أي صورة ما شاء ركبك» وفي آيات كثيرة، فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، وذلك أن كل ذي حركة على بسيط الأرض هو قائم بنفسه بحواسه مستكمل في ذاته ففضل بني آدم بالنطق الذي ليس في غيره من الخلق المدرك بالحواس. فمن أجل النطق ملك الله ابن آدم غيره من الخلق حتى صار أمراً ناهياً، وغيره مسخر له، كما قال الله: «كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم» وقال: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها» وقال: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس» فمن أجل ذلك دعا الله الإنسان إلى اتباع أمره وإلى طاعته بتفضيله إياه باستواء الخلق وكمال النطق والمعرفة، بعد أن ملكهم استطاعة ما كان تعبدهم به بقوله: «فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» وقوله: «لا يكلف الله نفساً إلا ما آتيتها» وفي آيات كثيرة.

فإذا سلب العبد حاسة من حواسه رفع العمل عنه بحاسته كقوله: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج» الآية، فقد رفع عن كل من كان بهذه الصفة الجهاد وجميع الأعمال التي لا يقوم إلا بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج، قوله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» وقوله في الظهار: «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة» إلى قوله: «فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً» كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملكهم استطاعته بقوة العمل به، ونهاهم عن مثل ذلك فهذه صحة الخلقة.

وأما قوله : تخلية السرب فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به وذلك قوله في من استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولم يهتد سبيلاً^(١) : « من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » فأخبر أن المستضعف لم يخل سر به وليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان .
وأما المهلة في الوقت فهو العمر الذي يمتنع به الإنسان^(٢) من حد ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت ، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله ، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير وذلك قوله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » الآية ، وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعلامة مالم يمهل في الوقت إلى استتمام أمره ، وقد حذر على البالغ مالم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » الآية فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل وكذلك لا تجري عليه الأحكام .

وأما قوله : الزاد فمعناه الجدة والبلغة^(٣) التي يستعين بها العبد على ما أمره الله به ، وذلك قوله : « ما على المحسنين من سبيل » الآية ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق ، وألزم الحجّة كل من أمكنته البلغة ، والراحلة للحج والجهاد وأشباه ذلك ، كذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » الآية ، فأمر بإعفائهم ، ولم يكلفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون .

وأما قوله : في السبب المهيّج ، فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال ، وحاستها القلب ، فمن فعل فعلاً وكان بدين لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل

(١) في المصدر : ولا يهتدى سبيلاً كما قال الله تعالى « الا المستضعفين من الرجال والنساء ،

والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » . م

(٢) في التحف المطبوع : يبلغ به الإنسان .

(٣) الجدة بكسر الجيم وفتح الدال المخففة كعدة : الغنى . البلغة بضم الباء وسكون اللام : ما

يكفى من العيش .

الله منه عملاً إلا بصدق النية ، كذلك ^(١) أخبر عن المنافقين بقوله : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » ثم أنزل على نبيه ﷺ توبيخاً للمؤمنين « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » الآية ، فإذا قال الرجل : قولاً واعتقد في قوله دعتة النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل ، وإذا لم يعتقد القول لم يتبين حقيقة ، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعلّة مانع يمنع إظهار الفعل في قوله : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » وقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » الآية ، فدل القرآن وأخبار الرسول ﷺ أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها ، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء ، فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين ، وهما الجبر والتفويض ، فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كملاً لما أمر الله عز وجل به ورسوله ، وإذا نقص العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسب ذلك .

فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة ، ومن ذلك قوله : « ولنبلو نكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » وقال : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » وقال : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » وقال في الفتن التي معناها الاختبار : « ولقد فتنا سليمان » الآية ، وقال في قصة قوم موسى : « فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري » وقول موسى : « إن هي إلا فتنتك » أي اختبارك ، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض ، وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار قوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » وقوله : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » وقوله : « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » وقوله : « خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » وقوله : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » وقوله : « ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض » وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرحناها فهي اختبار وأمثالها في القرآن كثيرة ، فهي إثبات الاختبار والبلوى إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم

(١) في المصدر : ولذلك . م

سدى ، ولا أظهر حكمته لعباً ، بذلك أخبر في قوله : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً . فإن قال قائل : فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم ؟ قلنا : بلى قد علم ما يكون منهم قبل كونه ، وذلك قوله : « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه » وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل ، وقد أخبر بقوله : « ولو أننا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا » وقوله : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقوله : « رسلاً مبشرين ومنذرين » فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض بهذا نطق القرآن و جرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول .

فإن قالوا : ما الحجة في قول الله : « يهدي من يشاء ويضل من يشاء » و ما أشبهها ؟ قيل : مجاز هذه الآيات كلها على معنيين : أمّا أحدهما فإخبار عن قدرته أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء ، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا في الكتاب ، والمعنى الآخر أن الهداية منه تعريفه كقوله : « وأمّا ثمود فهديناهم » أي عرفناهم « فاستجبوا العمي على الهدى » فلو جبرهم على الهدى لم يقدرُوا أن يضلّوا ، وليس كلّمَا وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها ، من ذلك قوله : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله » الآية ، وقال : « فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » أي أحكمه و أشرحه « أولئك الذين هديهم الله و أولئك هم أولوا الألباب » وفقنا الله وإياكم من القول والعمل لما يحب ويرضى ، وجنّبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، وحسبنا الله و نعم الوكيل . « ص ٤٥٨ - ٤٧٥ »

بيان : قوله تعالى : فقد ظلم الله على بناء التفعيل أي نسبه إلى الظلم . قوله ﷺ : ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب أي عموماً بحيث لا يعاقب أحداً منهم كما هو مقتضى الجبر ، فلا ينافي سقوط بعضها بالعفو أو الشفاعة . قوله ﷺ : ولما لزمتم

الأشياء أي الخطايا والذنوب ، وفي بعض النسخ الأسماء وهو أوفق بما روي عنه عليه السلام في موضع آخر أي لا يصح إطلاق المؤمن والكافر والصالح والطالح و أشباهها على الحقيقة .

فذلكة : اعلم أن الذي استفاض عن الأئمة عليهم السلام هو نفي الجبر والتفويض ، وإثبات الأمر بين الأمرين ، وقد اعترف به بعض المخالفين أيضاً ، قال إمامهم الرازي : حال هذه المسألة عجيبة فإن الناس كانوا مختلفين فيها أبداً بسبب أن ما يمكن الرجوع فيها إليها متعارضة متدافعة : فمعوّل الجبرية على أنه لا بدّ لترجيح الفعل على الترك من مرجح ليس من العبد ؛ ومعوّل القدرية على أن العبد لو لم يكن قادراً على فعل لما حسن المدح والذم والأمر والنهي ، وهما مقدّمتان بديهيّتان ، ثم من الأدلة العقلية اعتماد الجبرية على أن تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد ، و اعتماد القدرية على أن أفعال العباد واقعة على وفق تصوّرهم ودواعيهم وهما متعارضتان ، ومن الإلزامات الخطائية أن القدرة على الإيجاد صفة كمال لا يليق بالعبد الذي هو منبع النقصان ، وأن أفعال العباد تكون سفهاً وعبثاً ، فلا يليق بالمتعالى عن النقصان ، وأما الدلائل السمعية فالقرآن مملوء بما يوهّم بالأمرين وكذا الآثار ، فإن أئمة من الأمم لم تكن خالية من الفرقتين ، وكذا الأوضاع والحكايات متدافعة من الجانبين ، حتى قيل : إن وضع النرد على الجبر ، ووضع الشطرنج على القدر ، إلا أن مذهبنا أقوى بسبب أن القدح في قولنا : لا يترجح الممكن إلا بمرجح يوجب انسداد باب إثبات الصانع ، ونحن نقول : الحق ما قال بعض أئمة الدين : إنه لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمرين أمرين ، وذلك أن مبنى المبادي القريبة لأفعال العبد على قدرته واختياره ، والمبادي البعيدة على عجزه واضطراره فالإنسان مضطّر في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب والوتد في شق الحائط ، وفي كلام العقلاء : قال الحائط للوتد : لم تشقني ؟ فقال : سل من يدقني انتهى .

وأما معنى الجبر فهو ما ذهبت إليه الأشاعرة من أن الله تعالى أجرى الأعمال على أيدي العباد من غير قدرة مؤثرة لهم فيها ، وعذّبهم عليها .

وأما التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على تلك الأفعال، وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم، وليس لله في أفعالهم صنع.

وأما الأمر بين الأمرين فالذي ظهر مما سبق من الأخبار هو أن لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعال العباد بحيث لا يصل إلى حد الإلجاء والاضطرار كما أن سيّداً أمر عبده بشيء، يقدر على فعله، وفهمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه شيئاً من العقاب فلوا كفى من تكليف عبده بذلك ولم يزد عليه مع علمه بأنه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن ملوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يقول عاقل بأنه أجبره على ترك الفعل، ولو لم يكتف السيّد بذلك و زاد في الطافه، والوعد بإكرامه، والوعيد على تركه، وأكد ذلك ببعث من يحشّه على الفعل ويرغبه فيه، ثم فعل بقدرته واختياره ذلك الفعل فلا يقول عاقل بأنه جبره على ذلك الفعل؛ وأما فعل ذلك بالنسبة إلى جماعة وتركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويّتهم، أو سوء اختيارهم وقبح سريرتهم، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه تعالى بأن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها كما يلزم الأولين، ولا عزله تعالى عن ملكه، واستقلال العباد بحيث لا مدخل لله في أفعالهم فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين، وقد مرّت شواهد هذا المعنى في الأخبار؛ ويؤيده ما رواه الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله رجل: أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا؛ فقال: ففوض إليهم الأمر؟ قال: لا، قال: فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك. ^(١) ويظهر من ^(٢)

(١) أورده الكليني في باب الجبر والقدر من الكافي بإسناده عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن الحسن زعلان، عن أبي طالب القمي، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) ومرجع الخبرين في مؤداهما واحد، وهو الذي يشاهده كل إنسان من نفسه عياناً وهو أنه مع قطع النظر عن سائر الأسباب من الموجبات والموانع يملك اختيار الفعل أو الترك فله أن يفعل وله أن يترك، وأما كونه مالكا للاختيار فأنما ملكه إياه ربه سبحانه كما في الأخبار؛ ومن أحسن الأمثلة لذلك مثال المولى إذا ملك عبده ما يحتاج إليه في حياته من مال يتصرف فيه و زوجة يأنس إليها و دار يسكنها وأثاث ومتاع فان قلنا أن هذا التمليك يبطل ملك المولى كان قولاً بالتفويض، وإن قلنا أن ذلك لا يوجب للعبد ملكاً والمولى باق على ملكه كما كان قولاً بالجبر، وإن قلنا أن العبد يملك بذلك والمولى مالك لجميع ما يملكه في عين ملكه وأنه من كمال ملك المولى كان قولاً بالأمر بين الأمرين. ط

بعض الأخبار أن المراد بالتفويض المنفي هو كون العبد مستقلاً في الفعل بحيث لا يقدر الرب تعالى على صرفه عنه ، و الأمر بين الأمرين هو أنه جعلهم مختارين في الفعل و الترك مع قدرته على صرفهم عما يختارون ، و منهم من فسّر الأمر بين الأمرين بأن الأسباب القريبة للفعل يرجع إلى قدرة العبد ، والأسباب البعيدة كالات و الأسباب والأعضاء والجوارح والقوى إلى قدرة الرب تعالى ، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين ؛ وفيه أن التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتى يردّ عليه ؛ ومنهم من قال : الأمر بين الأمرين هو كون بعض الأشياء باختيار العبد وهي الأفعال التكليفية ، وكون بعضها بغير اختياره كالصحة والمرض والنوم واليقظة ، والذكر والنسيان وأشباه ذلك ، ويرد عليه ما أوردناه على الوجه السابق والله تعالى يعلم وحججه عاليه السلام . وبسط القول في تلك المسألة وإيراد الدلائل والبراهين على ما هو الحق فيها و دفع الشكوك والشبه عنها لا يناسب ما هو المقصود من هذا الكتاب ، والله يهدي من يشاء إلى الحق والصواب .

﴿باب ٣﴾

﴿القضاء والقدر^(١) والمشيئة والارادة وسائر أسباب الفعل﴾

الآيات ، البقرة : «٢» ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ٢٥٣ .

آل عمران «٣» وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ١٤٥ .

الأنعام «٦» ولو شاء الله ما أشركوا ١٠٧ . وقال تعالى : «ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم

وما يفترون ١٣٧ » وقال تعالى : «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ولا حرّ منا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من

علم فتخرجوه لنا إن تتبّعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » قل فله الحجة البالغة

فلو شاء لهدىكم أجمعين ١٤٨ - ١٤٩ .

(١) مسألة القضاء والقدر من العقائد التي جاءت بها جميع الأديان ، وليست خاصة بالمسلمين ، ولكثرة

استعمال هاتين اللفظتين ظن بعض الناس أن فيهما معنى الإكراه والإجبار وليس كما ظن ، وسيوافيك

الأخبار والروايات وكلمات الأعلام في ذلك فتعلم أنهما لا ينافيان الاختيار .

الاعراف «٧» قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ١٨٧ .

الانفال «٨» ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ٤٢ .

التوبة «٩» قل ان يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل

المؤمنون ٥١ « وقال تعالى » : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذب بهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ٥٥ .

يونس «١٠» ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس

حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ٩٩-١٠٠ .

الاحزاب «٣٣» وكان أمر الله مفعولا ٣٧ وقال وكان أمر الله قدرا مقدورا ٣٨ .

فاطر «٣٥» وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص

من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ١١ .

الحجدة «٤١» ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ٤٥ .

حمة «٤٢» ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته

والظالمون مالهم من ولي ولا نصير ٨ « وقال تعالى » : ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم ٢١ .

الزخرف «٤٣» وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا

يخرون ٢٠ .

القمر «٥٤» إنا كل شيء خلقناه بقدر ٤٩ « وقال » : وكل شيء فعلوه في الزبر *

وكل صغير وكبير مستطر ٥٢-٥٣ .

الحديد «٥٧» ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من

قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ٢٢ .

الحشر «٥٩» ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ٥ .

التغابن «٦٤» ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ١١ .

الطلاق «٦٥» يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله

قد أحاط بكل شيء علما ١٢ .

المدثر « ٧٤ » كذلك يضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ٣١ « وقال تعالى : وما يذكرون إلا أن يشاء الله ٥٦ .

الدھر « ٧٦ » وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ٣٠ « وقال تعالى : يدخل من يشاء في رحمته ٢١ .

كورت « ٨١ » وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ٢٩ .

تفسير : ولو شاء الله ما اقتتلوا أي لو شاء أن يجبرهم ويلجئهم على ترك الاقتتال لفعل لكنه مناف للتكليف فلذا وكلهم إلى اختيارهم فاقتتلوا ، وإذن الله أمره وتقديره ، وقيل : علمه ، من أذن بمعنى علم .

وقال الطبرسي في قوله تعالى : « فلو شاء لهداكم أجمعين » أي لو شاء لألجأكم إلى الإيمان ، وهذه المشيئة تخالف المشيئة المذكورة في الآية الأولى . لأن الله سبحانه أثبت هذه ونفى تلك ، فالأولى مشيئة الاختيار و الثانية مشيئة الإلجاء . وقيل : إن المراد به : لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب و دخول الجنة ابتداءً من غير تكليف .

قوله تعالى : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا » أي مطلقاً لأن ما يتوقف عليه الفعل من الأسباب والآلات إنما هو بقدرته تعالى ، وهو لا ينافي الاختيار ، أوفيما ليس باختيار العبد من دفع البلايا و جلب المنافع ، و يؤيده قوله تعالى بعد ذلك : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » .

قوله تعالى : « ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » أي قد رآه الله التقاءكم مع المشركين في بدر على غير ميعاد منكم ليقضي أمراً كان كائناً لا محالة ، أو من شأنه أن يكون هو إعراز الدين وأهله ، وإذلال الشرك وأهله ، ومعنى « ليقضي » : ليفعل ، أوليظهر قضاؤه

قوله تعالى : في الزبر « أي في الكتب التي كتبتها الحفظة ، أو في اللوح المحفوظ ، « وكل صغير و كبير مستطر » أي وما قد موه من أعمالهم من صغير و كبير مكتوب عليهم ، أو كل صغير و كبير من الأرزاق والآجال ونحوها مكتوب في اللوح .

قوله تعالى : « وما يذكرون إلا أن يشاء الله » أي إلا أن يشاء أن يجبرهم على ذلك بقرينة قوله سابقاً : « إنها تذكرة فمن شاء ذكره » وقيل : إلا أن يشاء الله من حيث

أمر به ونهى عن تركه فكانت مشيئته سابقة أي لا يذكرون إلا والله قد شاء ذلك .

١ - ب : ابن طريف ، عن ابن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا رسول الله رقى^(١) يستشفى بها هل ترد من قدر الله ؟ فقال : إنها من قدر الله . ص ٤٥ .

٢ - ل : الخليل بن أحمد السنجري ، عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ، عن علي بن حجر ، عن شريك ، عن منصور بن المعتمر ،^(٢) عن ربعي بن خراش ،^(٣) عن علي بن أبي حمزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة : حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، و حتى يؤمن بالبعث بعد الموت ، و حتى يؤمن بالقدر .

٣ - ل : أبو أحمد محمد بن جعفر البندار ، عن جعفر بن محمد بن نوح ، عن محمد بن عمر ، عن يزيد بن زريع ، عن بشر بن نمير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة^(٤) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عاق ، ومنان ، ومكذب بالقدر ، ومد من خمر .

٤ - ل : حمزة العلوي ، عن أحمد الهمداني ، عن يحيى بن الحسن بن جعفر ، عن

(١) جمع الرقية بالضم : الموضة .

(٢) قال العلامة في القسم الثاني من الخلاصة : منصور بن معتمر من أصحاب الباقر عليه السلام تبرأ انتهى . وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي ، أبو عثاب - بمثلثة ثقيلة ثم موحدة - الكوفي ، ثقة ، ثبت ، وكان لا يدلس ، من طبقة الأعمش ، مات سنة ١٣٢ .

(٣) ربعي بكسر الراء وسكون الباء ، والعين المهملة ، خراش بالخاء المعجمة المكسورة و الراء والسين المعجمة ، ضبطه كذلك الميرزا في هامس الوسيط ، وحكى ذلك أيضا عن ابن داود ، وضبطه ابن حجر في التقريب بكسر المهملة وآخره معجمة و قال : أبو مريرم العبسي الكوفي ثقة ، عابد ، مخضرم ، من الثانية ، مات سنة مائة ، وقيل : غير ذلك انتهى . أقول : و أرخ وفاته في الوسيط و في المحكى عن مختصر الذهبى سنة ١٠١ و حكى عن البرقي وغيره أنه وأخاه مسعود من خواص أمير المؤمنين عليه السلام من مضر .

(٤) له صدى - بالتصغير - ابن عجلان أبو أمامة الباهلي الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ٨٦ وقيل ٨١ .

محمد بن ميمون الخزّاز ، عن عبد الله بن ميمون ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ستّة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والتارك لسنتي ، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله ، والمتسلّط بالجبروت ليدلّ من أعزّه الله ويعزّ من أذلّه الله ، والمستأثر بفيء المسلمين المستحلّ له .

٥ - ل : ابن المتوكّل ، عن محمد العطّار ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي القاسم الكوفي ، عن عبد المؤمن الأنصاري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنني لعنت سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب قبلي ، فقل : ومن هم يا رسول الله ؟ فقال : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمخالف لسنتي ، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله ، والمتسلّط بالجبريّة ^(١) ليعزّ من أذلّ الله ويدلّ من أعزّ الله ، والمستأثر على المسلمين ^(٢) بفيئهم مستحلاًّ له والمحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ .

٦ - ل : محمد بن عمر الحافظ ، عن محمد بن الحسين الخشعي ، عن ثابت بن عامر السنجاري ، عن عبد الملك بن الوليد ، عن عمرو بن عبد الجبار ، عن عبد الله بن زياد ، عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب ، المغيّر لكتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمبدّل سنّة رسول الله ، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله عزّ وجلّ ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من أذلّ الله ويدلّ من أعزّ الله ، والمستحلّ لحرم الله ^(٣) والمتكبر عبادة الله عزّ وجلّ .

٧ - ل : أبي ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن أبي عبد الله البرقي ، عن زكريّا ابن عمران ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : لا يكون شيء في السماوات والأرض إلّا بسبعة : بقضاء ، وقدر ، وإرادة ، ومشية ، وكتاب ، وأجل ، وإذن ، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله ، أوردّ على الله عزّ وجلّ .

(١) المتسلّط بالجبريّة أو بالجبروت أي بالقدرة والسلطة والعظمة .

(٢) استأثر بالشئ على الغير أي استبد به وخص به نفسه .

(٣) الحرم بضم الحاء والراء جمع الحرام : ضدّ الحلال .

٨ - فسي : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسكان ، ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
 إن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع ، فقال له موسى :
 يا أبا له ألم يخلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأمر أن لا
 تأكل من الشجرة ؟ فلم عصيته ؟ قال : يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في
 التوراة ؟ قال : بثلاثين سنة ، ^(٢) قال : فهو ذلك ، قال الصادق عليه السلام : فحج آدم موسى
 عليه السلام . ^(٣) ص ٣٦-٣٧ ،

بيان : من أصحابنا من حمل هذا الخبر على التقيّة ، إذ قد ورد ذلك في كتبهم بطرق
 كثيرة ، وقد رواه السيّد في الطرائف من طرقهم ورده ، ويمكن أن يقال : إن المراد أنّه
 كتب في التوراة أن الله وكل آدم إلى اختياره حتّى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى
 الدنيا ، وأمّا كونه قبل خلقه عليه السلام فلا لأن التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك
 الوقت وإن وجده موسى عليه السلام بعد بعثته ، ويحتمل اطلاع روح موسى على ذلك قبل
 خلق جسد آدم والله يعلم .

٩ - ع : أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن عباد بن يعقوب ،
 عن عمر بن بشر البرّاز قال : قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : ما يستطيع أهل القدر
 أن يقولوا ؛ والله لقد خلق الله آدم للدنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيرده إلى ما خلقه له .
 « ص ١٩٢-١٩٣ »

بيان : قوله : ليعصيه أي عالماً بأنّه يخلّيه مع اختياره فيعصيه ، فيكون اللّام لام
 العاقبة أي ليخلّيه فيعصي بذلك مختاراً والله يعلم .

١٠ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن

(١) قد عرفت سابقاً عدم ثبوت رواية ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام بلا واسطة مما ذكرنا
 عن النجاشي ، فانه قال : إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام وليس بثبت انتهى ، ومما نقلنا عن الكشي
 من أنه لم يسمع عنه عليه السلام إلا حديث من أدرك المشعر فقد أدرك الحج ، فعلى هذا فالرواية
 مرسلّة .

(٢) في المصدر : بثلاثين ألف سنة .

(٣) أي غلب آدم موسى بالحجة .

شعيب ، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : شاء وأراد ، ولم يحب ولم يرض . قلت : كيف ؟ قال : شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه ، وأراد مثل ذلك ، ولم يحب أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر .

١- عد : اعتقادنا في الإرادة والمشية قول الصادق عليه السلام : شاء الله ، وأراد ، ولم يحب ، ولم يرض ، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه ، وأراد مثل ذلك ، ولم يحب أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر .^(١) وقال الله عز وجل : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء »^(٢) وقال عز وجل : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله »^(٣) وقال عز وجل : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »^(٤) وقال عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله »^(٥) كما قال : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً »^(٦) كما قال : « يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم »^(٧) وقال عز وجل : « ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون »^(٨) وقال عز وجل : « ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً »^(٩) وقال عز وجل : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها »^(١٠) وقال عز وجل : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء »^(١١) وقال عز وجل : « يريد الله ليبيِّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم »^(١٢) وقال الله عز وجل : « يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة »^(١٣) وقال عز وجل : « يريد الله

(١) تقدم مسنداً تحت رقم ١١ وياتي بسند آخر تحت رقم ٣٤ .

(٣) الدهر : ٣٠ .

(٥) يونس : ١٠٠ .

(٧) آل عمران : ١٥٤ .

(٩) الانعام : ١٠٧ .

(١١) الانعام : ١٢٥ .

(١٣) آل عمران : ١٧٦ .

(٢) القصص : ٥٦ .

(٤) يونس : ٩٩ .

(٦) آل عمران : ١٤٥ .

(٨) الانعام : ١١٢ .

(١٠) الم السجدة : ١٣ .

(١٢) النساء : ٢٦ .

أن يخفف عنكم» ^(١) وقال : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ^(٢) وقال عز وجل : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » ^(٣) وقال عز وجل : « وما الله يريد ظلاماً للعباد » ^(٤).

فهذا اعتقادنا في الإرادة والمشية ، ومخالفونا يشنعون علينا في ذلك ، ويقولون : إننا نقول : إن الله عز وجل أراد المعاصي وأراد قتل الحسين عليه السلام وليس هكذا نقول ، ولكننا نقول : إن الله عز وجل أراد أن يكون معصية العاصين خلاف طاعة المطيعين ، وأراد أن تكون المعاصي غير منسوبة إليه من جهة الفعل ، وأراد أن يكون موصوفاً بالعلم بها قبل كونها ، ونقول : أراد الله أن يكون قتل الحسين عليه السلام معصية له خلاف الطاعة ، ونقول : أراد أن يكون قتله منهياً عنه غير مأمور به ، ونقول : أراد الله أن يكون مستقبلاً غير مستحسن ، ونقول : أراد الله عز وجل أن يكون قتله سخطاً لله غير رضاه ، ونقول : أراد الله عز وجل أن لا يمنع من قتله بالجبر والقدرة كما منع منه بالنهي ، ونقول : أراد الله أن لا يدفع القتل عنه كما دفع الحرق عن إبراهيم عليه السلام ، حين قال عز وجل للنار التي ألقى فيها : « يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » ^(٥) ونقول : لم يزل الله عالماً بأن الحسين عليه السلام سيقتل و يدرك بقتله سعادة الأبد ، و يشقى قاتله شقاوة الأبد ، و نقول : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . هذا اعتقادنا في الإرادة والمشية ، دون ما نسب إلينا أهل الخلاف والمشنعون علينا من أهل الإلحاد . « ص ٦٩ - ٧١ »

أقول : قال الشيخ المفيد نور الله ضريحه : الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل ومعانيه تختلف وتتناقض ، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ، ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق والباطل ، ويعمل على ما توجب الحجة ! ومن عوّل في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه ! والحق في ذلك أن الله تعالى لا يريد إلا ما حسن من الأفعال ، ولا

(٢) البقرة : ١٨٥ .

(٤) النساء : ٣١ .

(١) النساء : ٢٧ .

(٣) النساء : ٢٧ .

(٥) الانبياء : ٦٩ .

يشاء إلا الجميل من الأعمال ، ولا يريد القبائح ، ولا يشاء الفواحش ، تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً ، قال الله تعالى : « وما الله يريد ظلماً للعباد » وقال : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » الآية « والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ؛ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ، فخير سبحانه أنه لا يريد لعباده العسر ، بل يريد بهم اليسر ، وأنه يريد لهم البيان ، ولا يريد لهم الضلال ، ويريد التخفيف عنهم ، ولا يريد التثقيل عليهم ، فلو كان سبحانه مريداً لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم ، أو التخفيف عنهم واليسر لهم ، فكتاب الله تعالى شاهد بضد ما ذهب إليه الضالون المفترون على الله الكذب ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فأمّا ما تعلّقوا به من قوله تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه » الآية فليس للمجبّرة به تعلّق ولا فيه حجة ، من قبل أن المعنى فيه من أراد الله تعالى أن ينعمه ويشيبه جزاءً على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطف التي يحبوه بها ، فييسر له بها استدامة أعمال الطاعات ، والهداية في هذا الموضع هي التنعيم ، قال الله تعالى - فيما خبر به عن أهل الجنة - : « الحمد لله الذي هدانا لهذا »^(١) الآية أي نعمنا به وأثابنا إياه ، و الضلال في هذه الآية هو العذاب ، قال الله تعالى : « إن المجرمين في ضلال وسعر »^(٢) فسمّى العذاب ضلالاً والنعيم هداية ، والأصل في ذلك أن الضلال هو الهلاك ، و الهداية هي النجاة ، قال الله تعالى - حكاية عن العرب - : « أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد »^(٣) يعنون إذا هلكنا فيها ، وكأن المعنى في قوله : « فمن يرد الله أن يهديه » ما قدّمناه « ومن يرد أن يضلّه » ما وصفناه ، و المعنى في قوله : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » يريد سلبه التوفيق عقوبة له على عصيانه ، ومنعه الألطف جزاءً له على إساءته ، فشرح الصدر : ثواب الطاعة بالتوفيق ، وتضييقه : عقاب المعصية بمنع التوفيق ، وليس في هذه الآية على ما بينناه شبهة لأهل الخلاف فيما ادّعوه من أن الله تعالى يضلّ عن الإيمان ، و يصدّ

(١) الاعراف : ٤٣ .

(٢) القمر : ٤٧ .

(٣) الم السجدة : ١٠ .

عن الإسلام ، ويريد الكفر ، ويشاء الضلال ؛ وأما قوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » فالمراد به الإخبار عن قدرته ، وأنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان ويحملهم عليه بالإكراه والاضطرار لكان على ذلك قادراً ، لكنه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع والاختيار ، وآخر الآية يدل على ما ذكرناه وهو قوله : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ^(١) يريد أن الله قادر على إكراههم على الإيمان لكنه لا يفعل ذلك ، ولو شاء لتيسر عليه ، وكل ما يتعلقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بينناه ، وفرار المجبرة من إطلاق القول : بأن الله يريد أن يعصى ويكفر به ويقتل أوليائه إلى القول بأنه يريد أن يكون ما علم كما علم ويريد أن يكون معاصيه قبائح منهياً عنها وقوع فيما هربوا منه ، وتورط فيما كرهوه ، ^(٢) وذلك أنه إذا كان ما علم من القبيح كما علم و كان تعالى مريداً لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح وأراد أن يكون قبيحاً ، فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه ؟ وهربهم من معنى إلى عينه ؟ فكيف يتم لهم ذلك مع أهل العقول ؟ وهل قولهم هذا إلا كقول إنسان : أنا لا أسب زيداً لكنني أسب أبا عمرو وزيد هو أبو عمرو ؟ وكقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم : نحن لا نكفر بمحمد ﷺ لكننا نكفر بأحمد ؟ فهذا رعونة ^(٣) وجهل ممن صار إليه .

١٢ - ن : أحمد بن إبراهيم بن بكر الخوري ، عن إبراهيم بن محمد بن مروان ، عن جعفر بن محمد بن زياد ، عن أحمد بن عبد الله الجويباري ، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قد رالمقادير ، و دبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام . « ص ٨٠ »

ن : بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام مثله . صح : عنه عليه السلام مثله .

١٣ - فس : أبي ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن جعفر ، عن أبيه صلوات الله

(١) قد أشرنا قبيل ذلك إلى موضع الآية وإلى مواضع سائر الآيات .

(٢) تورط الرجل : وقع في الورطة أو في أمر مشكل .

(٣) الرعونة : الحق والهوج في الكلام .

عليهما قال : قال رسول الله ﷺ : سبق العلم وجفّ القلم ومضى القضاء وتمّ القدر بتحقيق الكتاب ، وتصديق الرسل ، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى ، وبالشقاء لمن كذب وكفر ، وبالولاية من الله للمؤمنين ، وبالبراءة منه للمشركين . ثم قال رسول الله ﷺ عليه وآله : إن الله يقول : يا ابن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد ، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي ، وأنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بذنوبك منّي ، الخير منّي إليك بما أوليتك به ،^(١) والشر منّي إليك بما جنيت جزاءً ، وبكثير من تسلّطي لك انطويت عن طاعتي ، وبسوء ظنّك بي قنطت من رحمتي ، فلي الحمد والحجّة عليك بالبيان ، ولي السبيل عليك بالعصيان ، ولك الجزاء الحسن عذبي بالإحسان ، لم أدع تحذيرك بي ، ولم آخذك عند عزّتك ، وهو قوله : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » لم أكلفك فوق طاقتك ، ولم أحملك من الأمانة إلّا ما أقررت بها على نفسك ، ورضيت لنفسي منك ما رضيت به لنفسك منّي . « ص ٥٤٧ - ٥٤٨ »

١٤ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمد العطّار ، وأحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعريّ ، عن ابن يزيد ، عن عليّ بن حسان ، عن السكوني ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن سعدان ، عن معاذ بن جبل ، عن النبي ﷺ مثله . « ص ٣٥٣ - ٣٥٤ »

بيان : قوله ﷺ : بتحقيق الكتاب أي جنس الكتاب ، فالمراد كل كتاب منزل ، أو القرآن ، أو اللوح . قوله تعالى : بمشييتي كنت أنت الذي تشاء أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً ، وأردت أن أجعلك مريداً فجعلتك كذلك وفي « يد » : الخير منّي بما أوليت بدءاً . فيمكن أن يقرأ أوليت على صيغة الخطاب والتكلم .

قوله تعالى : وبكثير من تسلّطي لك أي من التسلّط الذي جعلت لك على الخلق وعلى الأمور . وانطوى عن الشيء أي هاجره وجانبه . وفي التوحيد مكان تلك الفقرة : وبإحساني إليك قويت على طاعتي .

(١) في المصدر : الخير منّي إليك وأصل بما أوليتك .

قوله تعالى : ولم آخذك عند عزتك أي لم أعذبك عند غفلتك ، بل وعظمتك ونبهتك وحذرتك . وقوله : وهو قوله إلى قوله : من دابة ليس في التوحيد ولا يبعد كونه كلام علي بن إبراهيم .

١٥ - فس : « والذي قد رُفِهُدَى » قال : قدّر الأشياء في التقدير الأول ثم هدى إليها من يشاء . « ص ٧٢١ »

١٦ - ج : روي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر ، فقال : لاتقولوا : وكلهم الله إلى أنفسهم فتوهّنوه ، ولا تقولوا : جبرهم ^(١) على المعاصي فتظلموه ، ولكن قولوا : الخير بتوفيق الله ، والشرّ بخذلان الله ، وكلّ سابق في علم الله . « ص ١١٠ »

١٧ - قال الرضا عليه السلام : ثمانية أشياء لا تكون إلا بقضاء الله وقدره : النوم ، و اليقظة ، والقوّة ، والضعف ، والصحة ، والمرض ، والموت ، والحياة . ^(٢)

١٨ - وقال النبي صلّى الله عليه وآله : يقول الله عز وجل : من لم يرض بقضائي ، ولم يشكر لنعمائي ، ولم يصبر على بلائي ، فليتنّخذ ربّاً سوائى . ^(٣)

١٩ - ج : روي عن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنه قال : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنه سأله رجل لم بعد انصرافه من الشام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين : نعم يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدره ؛ فقال الرجل : عند الله أحسب عنائي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً .

فقال علي عليه السلام : بلى فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون ، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ؛ ^(٤) فقال الرجل : وكيف لانكون مضطربين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال أمير المؤمنين

(١) في المصدر : اجبرهم . م

(٢) لم نجده في الاحتجاج . م

(٣) لم نجده ايضاً فيه . م

(٤) في المصدر : من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطربين . م

عليه السلام : لعلك أردت قضاءً لازماً وقدرأً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب و العقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كانت تأتي من الله لائمة المذنب ، ولا محمداً لمحسن ، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب ، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن ، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ، و جنود الشيطان ، و خصماء الرحمن ، وشهداء الزور والبهتان ، وأهل العمى^(١) والطغيان ، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها ؛ إن الله تعالى أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل هزلاً ، ولم ينزل القرآن عبثاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . قال ثم تلا عليهم : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » .

قال : فنهض الرجل مسروراً وهو يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ☆ يوم النشور من الرحمن رضواناً
وساق الأبيات إلى قوله :

أننى يحب وقد صحت عزيمته ؟ ☆ على الذي قال أعلن ذاك إعلاناً

«ص ١٠٩-١١٠»

٢٠ - و روي أن الرجل قال : فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، و التمكين من فعل الحسنة وترك المعصية ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، أمّا غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال ، فقال الرجل : فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك «ص ١٠٩»

٢١ - فوائد الكراجكي ، عن المفيد ، عن محمد بن عمر الحافظ ، عن إسحاق بن جعفر العلوي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن سليمان بن محمد القرشي ، عن السكوني ، عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام ؛ إلى آخر الخبرين .

«ص ١٦٩-١٧٠»

(١) في المصدر : وأهل النى . م

٢٢ - عد : اعتقادنا في القضاء والقدر قول الصادق عليه السلام لزراعة حين سأله فقال :

ما تقول في القضاء والقدر ؟ قال : أقول : إن الله عز وجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم ،^(١) والكلام في القدر منهي عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر : فقال : بحر عميق فلاتلجه ، ثم سأله ثانية فقال : طريق مظلم فلاتسلكه ، ثم سأله ثالثة فقال : سر الله فلاتتكلفه .^(٢) « ص ٧١ »

٢٣ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر : ألا إن القدر سر من سر الله ،^(٣) وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله ، مطوي عن خلق الله ، مختوم بخاتم الله ، سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ، ورفع فوق شهاداتهم ،^(٤) لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ، ولا بقدرة الصمدانية ، ولا بعظمة النورانية ، ولا بعزّة الوجدانية ، لأنه بحر زاخر ، موج ، خالص لله عز وجل ، عمقه ما بين السماء والأرض ، عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس ، كثير الحيات والحيتان ، تعلو مرة وتسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء ، لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ، ونازعه في سلطانه ، وكشف عن سره وستره ، وباء بغضب من الله ، وماواه جهنم ، وبش المصير .^(٥) « ص ٧١ »

٢٤ - وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى مكان آخر ، ف قيل

له : يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ فقال عليه السلام : أفر من قضاء الله إلى قدر الله .^(٦) وسئل

(١) سيأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٣٨ وتقدم مرسل عن زرارة في الباب السابق تحت رقم

١١١ نحوه .

(٢) سيأتي مسنداً تحت رقم ٣٥ .

(٣) في المصدر : سر من سر الله وستر من ستر الله . م

(٤) في المصدر : ورفع فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم . م

(٥) أورده مسنداً في ص ٣٩٢ من التوحيد ، والسند هكذا : محمد بن موسى المتوكل ، عن السعد

آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن زياد بن المنذر ، عن ابن طريف ، عن الأصمغ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . فليراجع .

(٦) انظر الحديث مسنداً تحت رقم ٤١ .

الصادق عليه السلام عن الرقي هل تدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر. ^(١) «ص ٧١-٧٢»

أقول: قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح هذا الكلام: عمل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه تعرفها العلماء متى صححت و ثبت أسنادها، ولم يقل فيه قولاً محصلاً، وقد كان ينبغي له لما لم يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه والقضاء معروف في اللغة، وعليه شواهد من القرآن فالقضاء على أربعة أضراب: أحدها الخلق، والثاني الأمر، والثالث الإيعاز، والرابع القضاء بالحكم؛ فأمّا شاهد الأول فقوله تعالى: «فقضيهن سبع سموات» ^(٢) وأمّا الثاني فقوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» ^(٣) وأمّا الثالث فقوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل» ^(٤) وأمّا الرابع فقوله: «والله يقضي بالحق» ^(٥) يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق، وقوله: «وقضى بينهم بالحق» ^(٦) وقد قيل: إن للقضاء معنى خامساً وهو الفراغ من الأمر، واستشهد على ذلك بقول يوسف عليه السلام: «قضى الأمر الذي فيه تستفتيان» ^(٧) يعني فرغ منه، وهذا يرجع إلى معنى الخلق.

وإذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرة: أن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنه لا يخلو إمّا أن يكونوا يريدون به أن الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا: قضى في خلقه بالعصيان، ولا يقولوا قضى عليهم لأن الخلق فيهم لا عليهم، مع أن الله تعالى قد أكذب من زعم أنه خلق المعاصي بقوله سبحانه: «الذي

(١) تقدم الحديث مسنداً تحت رقم ١ عن كتاب قرب الاسناد، وأورده الصدوق في ص ٣٩٠ من التوحيد باسناد آخر وهو هكذا: الدقاق، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي، عن علي بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن الرقي أتدفع من القدر شيئاً؟ فقال: هي من القدر، وقال عليه السلام: إن القدرية مجوس هذه الأمة، وهم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعباده فأخرجوه من سلطانه، وفيهم نزلت هذه الآية: «يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إننا كل شيء خلقناه بقدر».

(٣) اسرى: ٢٣.

(٢) حم السجدة: ١٢.

(٥) المؤمن: ١٠.

(٤) اسرى: ٤.

(٧) يوسف: ٤١.

(٦) الزمر: ٦٩.

أحسن كل شيء خلقه^(١) كما مر؛ ولا وجه لقولهم: قضى المعاصي على معنى أمر بها لأنّه تعالى قد أكذب مدّعي ذلك بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٢) ولا معنى لقول من زعم أنّه قضى بالمعاصي على معنى أنّه أعلم الخلق بها إذ كان الخلق لا يعلمون أنّهم في المستقبل يطيعون أو يعصون، ولا يحيطون علماً بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل؛ ولا وجه لقولهم: إنّّه قضى بالذنوب على معنى أنّه حكم بها بين العباد لأنّ أحكام الله تعالى حق، والمعاصي منهم، ولذلك فائدة وهو لغو باتّفاق فبطل قول من زعم أن الله تعالى يقضي بالمعاصي والقبائح.

والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيّناه أن الله تعالى في خلقه قضاءً وقدرًا وفي أفعالهم أيضاً قضاءً وقدرًا معلوماً، ويكون المراد بذلك أنّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له؛ والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقّه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب لأنّ ذلك كلّه واقع موقعه وموضوعه في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً.

فإذا فسر القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجّة به ووضح القول فيه لذوي العقول ولم يلحقه فساد ولا اختلال.

فأمّا الأخبار التي رواها في النهي عن الكلام في القضاء والقدر فهي تحتل وجهين: أحدهما أن يكون النهي خاصاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلّهم عن الدين ولا يصلحهم إلّا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي عنه عامّاً لكافة المكلفين وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون، ويفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون، فدبر الأئمة عليهم السلام أشياعهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه.

والوجه الآخر أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى وعن علله وأسبابه وعمّا أمر به وتعبّد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظوراً لأنّ الله تعالى سترها من أكثر خلقه ألا ترى أنّه لا يجوز لأحد

أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللاً مفصّلات ، فيقول : لمَ خلق كذا وكذا ؟ حتّى يعدّ المخلوقات كلّها ويحصيها ، ولا يجوز أن يقول : لمَ أمر بكذا وتعبّد بكذا ونهى عن كذا ؟ إذ تعبّد بذلك وأمره لما هو أعلم به من مصالح الخلق ، ولم يطلع أحداً من خلقه على تفصيل ما خلق وأمر به وتعبّد ، وإن كان قد أعلم في الجملة أنّه لم يخلق الخلق عبثاً ، وإنّما خلقهم للحكمة والمصلحة ، ودلّ على ذلك بالعقل والسمع ، فقال سبحانه : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لaceyين »^(١) وقال : « أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً »^(٢) وقال : « إنّنا كلّ شيء خلقناه بقدر »^(٣) يعني بحق ، ووضعناه في موضعه ، وقال : « وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون »^(٤) وقال فيما تعبّد : « لن ينال الله لحومها ولأدمائها ولكن يناله التّقوى منكم »^(٥).

وقد يصحّ أن يكون تعالى خلق حيواناً بعينه لعلمه تعالى بأنّه يؤمن عند خلقه كفّاراً ، أو يتوب عند ذلك فساقاً ، أو ينتفع به مؤمنون ، أو يتعظّ به ظالمون ، أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك ، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء ، وذلك يغيب عنا ، وإن قطعنا في الجملة أن جميع ما صنع الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة ، ولم يصنعه عبثاً ، وكذلك يجوز أن يكون تعبّدنا بالصلاة لأنّها تقرّبنا من طاعته وتبعدنا عن معصيته ، وتكون العبادة بها لطفاً لكافة المتعبّدين بها أو بعضهم .

فلمّا خفيت هذه الوجوه وكانت مستورة عنا ولم يقع دليل على التفصيل فيها وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء والقدر إنّما هو عن طلب علل لها مفصّلة فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء والقدر .

هذا إن سلمت الأخبار التي رواها أبو جعفر رحمه الله ، فأما إن بطلت أو اختلفت سندها فقد سقط عنا عهد الكلام فيها ، والحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى ، والمعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء ، وهو مؤيد للقول بالعدل

(٢) المؤمنون : ١١٥ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(١) الانبياء : ١٦ .

(٣) القمر : ٤٩ .

(٥) الحج : ٣٧ .

الأتري إلى مارواه عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله : إذا حشر الله تعالى الخلائق سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم ^(١) . وقد نطق القرآن بأن الخلق مسؤولون عن أعمالهم انتهى كلامه رحمه الله .

و أقول : من تفكر في الشبه الواردة على اختيار العباد و فروع مسألة الجبر و الاختيار والقضاء والقدر علم سرّ نهى المعصوم عن التفكير فيها فإنّه قلّ من أمعن النظر فيها ولم يزلّ قدمه إلّا من عصمه الله بفضله .

٢٥ - يد : المفسّر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام - فيما يصف به الربّ - : لا يجوز في قضيتّه ، الخلق إلى ما علم منقادون ، وعلي ما سطر في كتابه ماضون ، لا يعملون خلاف ما علم منهم ، ولا غيره يريدون . الخبر ^(٢) .

٢٦ - يد : في خبر الفتح بن يزيد ، عن أبي الحسن عليه السلام إنّ الله إرادتين ومشيتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، أو ما رأيت أنّ الله نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ؟ ولولم يشأ لم يأكلا ، ولوأكلا لغلبت مشيتهما مشيئة الله ، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه ، ولولم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عزّ وجلّ . «ص ٤٦-٤٧»

أقول : أوردنا الخبر بإسناده وتمامه في باب جوامع التوحيد ، قال الصدوق رحمه الله بعد إيراد هذا الخبر : إنّ الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من الشجرة وقد علم أنّهما يأكلا من الشجرة لكنّه عزّ وجلّ شاء أن لا يحول بينهما و بين الأكل منها بالجبر والقدرة ، كما منعهما عن الأكل منها بالنهي والزجر ، فهذا معنى مشيئته فيهما ، ولو شاء عزّ وجلّ منعهما من الأكل بالجبر ثمّ أكلا منها لكان مشيئتهما قد غلبت مشيئة الله كما قال العالم ، تعالى الله عن العجز علواً كبيراً .

بيان : قيل : المراد بالمشيئة في تلك الأخبار هو العلم ، وقيل : هي تهيئة أسباب الفعل بعد إرادة العبد ذلك الفعل ، وقيل : إرادة بالعرض يتعلّق بفعل العبد ، والأصوب

(١) يأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٣٨ وفيه : إبراهيم بن هاشم وعلي بن معبد .

(٢) تقدم الحديث بتمامه في باب نفى الجسم والصورة .

أنّها عبارة عن منع الألفاظ والهدايات الصارفة عن الفعل والداعية إليه لضرب من المصلحة ، أو عقوبة لما صنع العبد بسوء اختياره كما مرّ بيانه ^(١).

٢٧- يد : الدقياق ، عن الكليني ، عن ابن عامر ، عن المعلى قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء ، وأراد وقدّر ، وقضى وأمضى ؛ فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ؛ فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدّم على المشيئة ، والمشية ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشية في المشاء قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً ^(٢) ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس ، من ذي لون وريح ، ووزن وكيل ، ومادب ودرج ، من إنس وجن ، وطير وسباع ، وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس ، فله تبارك وتعالى فيه البدء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء ، والله يفعل ما يشاء ، وبالعالم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدّر أوقاتها ^(٣) وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح علمها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم . «ص ٣٤٥ - ٣٤٦»

بيان : قوله عليه السلام : قبل تفصيلها وتوصيلها أي في لوح المحو والإثبات ، أو في الخارج . قوله عليه السلام : فإذا وقع العين المفهوم المدرك أي فصل وميّز في اللوح ، أو أوجد في الخارج ، ولعلّ تلك الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو

(١) ما تضمنه الخبر هي الإرادة التشريعية ، والإرادة التكوينية المتعلقة بأفعال العباد من طريق اختيارهم وإرادتهم ، والنبي ذكره المصنف رحمه الله بقوله : والاصوب الخ من لوازم تعلق الإرادة من طريق الاختيار . ط

(٢) في الكافي : عياناً ووقتاً .

(٣) في المصدر : في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أوقاتها . م

الإثبات قد جعلها الله من أسباب وجود الشيء، وشرائطه لمصالح، وقد مرّ بيانها في باب البدء، فالمشيئة كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً، والإرادة كتابة العزم عليه بتناً مع كتابة بعض صفاته أيضاً، والتقدير تفصيل بعض صفاته وأحواله لكن مع نوع من الإجمال أيضاً، والقضاء تفصيل جميع الأحوال وهو مقارن للإمضاء أي الفعل والإيجاد، والعلم بجميع تلك الأمور أزليٌ قديم، فقلوله: وبالمشيئة عرف على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الإيجاد.

وقال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنه كيف علم الله؟ أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود لموجود عيني؟^(١) أو في موجود عيني كما في علومنا؟ أبعلم مستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء؟ فأجاب عليه السلام بأن العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال: علم وشاء وأراد وقد روي قضى وأمضى، فالعلم ما به ينكشف الشيء، والمشيئة ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فيناميلاً دون المشيئة له سبحانه لتعالیه عن التغير والاتصاف بالصفة الزائدة، والإرادة تحريك الأسباب نحوه بحركة نفسانية فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، والقدر التحديد وتعيين الحدود والأوقات، والقضاء هو الإيجاب، والإمضاء هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب؛ وقلوله: فأمضى ما قضى أي فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدر، وقد روي ما أراد، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال: بعلمه كانت المشيئة وهي مسبقة بالعلم، وبمشيئته كانت الإرادة وهي مسبقة بالمشيئة، وبإرادته كان التقدير والتقدير مسبوق بالإرادة، وبتقديره كان القضاء والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلا للمحدد الموقوف، وبقضائه وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد؛ والله تعالى البدء فيما علم متى شاء فإن الدخول في العلم أول مراتب السلوك إلى الوجود العيني، وله البدء فيما علم متى شاء أن يبدو وفيما أراد، وحرك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبساً بالإمضاء والإيجاد فلا بداء فعلم أن في المعلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيئة قبل عينه ووجوده

(١) في بعض النسخ هكذا: أبعلم مستند إلى الحضور العيني في وقته والشهود في وقته بوجود؟

العيني. وفي أكثر النسخ: المنشأ ولعل المراد به الإ نشاء قبل الإظهار، كما في آخر الحديث، وفي المراد الإرادة قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها وحضورها العيني في أوقاتها، والقضاء بالإمضاء هو المبرم الذي يلزمه وجود المقضي، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتحدده، ولا يوجب نفس العلم والانكشاف بما هو علم وانكشاف للأشياء إنشائها، وبالمشيئة ومعرفتها بصفاتنا وحدودها أنشائها إنشاء قبل الإظهار والإدخال في الوجود العيني، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العيني مبرز بعضها عن بعض بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدرها وعين وحدد أوقاتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها وأبان أمرها بأعيانها

٢٨ - يد: القطان، عن أحمد الهمداني، عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن مروان بن مسلم، عن الثمالي، عن ابن طريف، عن الأصمغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، إن أسلمت لما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد. «ص ٣٤٩»

٢٩ - يد: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطاب، عن جعفر بن بشير، عن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لعلي عليه السلام غلام اسمه قنبر، وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً، فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك! قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟ قال: لا بل من أهل الأرض، قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بأذن الله عز وجل من السماء، فارجع فرجع. «ص ٣٥٠»

٣٠ - كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور ، ^(١) فقال أمير المؤمنين : حرس امرء أجله ، فلمّا قام سقط الحائط ، قال : وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين . « ج ٢ ص ٥٨ »

٣١ - ٣٢ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع ؟ فقال : نعم يا سعيد بن قيس ، إنّه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل ، أو يقع في بئر فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء . « ج ٢ ص ٥٨ - ٥٩ »

بيان : يمكن أن يكون هذه الأمور من خصائصهم عليهم السلام ، لعلمهم بعدم تضرّرهم بهذه الأمور و بوقت موتهم ، وسببه ، ولذا فرّ عليه السلام من حائط كما سيأتي ولم يفرّ من حائط كما مر ، لعلمه بسقوط الأول وعدم سقوط الثاني ، ويحتمل أن يكون المقصود من تلك الأخبار عدم المبالغة في الفرار عن البلايا والمصائب ، وعدم ترك الواجبات للتوهمات البعيدة . ^(٢)

ويؤيده ما رواه الصدوق في الخصال عن ابن المتوكل ، عن محمد العطار ، عن محمد بن أحمد بن علي الكوفي ، ومحمد بن الحسين ، عن محمد بن حماد الحارثي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : خمسة لا يستجاب لهم : أحدهم رجل مرّ بحائط مائل وهو يقبل إليه ولم يسرع المشي حتّى سقط عليه . الخبر .

(١) أي مخوف لإحافظ له .

(٢) قوله عليه السلام في آخر الرواية الأولى : « وهذا اليقين » الظاهر في المدح والتعظيم ينفي الاحتمال الأول إذ لا فضل لمن لا يتقى مكر وهالعه بعدم وجوده أو عدم تأثيره ، وكذا قوله عليه السلام : حرس امرء أجله يدفع الاحتمال الثاني إذ لا يعتد بالتوهمات البعيدة عند العقلاء فلاحاجة إلى دفعه بأن الاجل حارس . والذي ينبغي أن يقال : أن اليقين بأن الأمر بيد الله لا يدع احتمالاً لتأثير مؤثر غيره حتّى يتقى آثار المكروه ومع ذلك فالعادة الجارية بين العقلاء من الإنسان أن يتقى ما يعد عادة أضراراً ومكروها ولن فاز بدوّة اليقين من أولياء الله أن يعمل على طبق يقينه ، وأن يجري على ما يجري عليه العقلاء فكان عليه السلام يتفنن في سيرته فتارة هكذا وتارة كذلك . ط

٣٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن جعفر بن محمد بن محمد بن عبد الله ، عن القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قيل لعلي عليه السلام : إن رجلاً يتكلم في المشية فقال : ادعه لي ، فقال : فدعي له ، فقال : يا عبد الله خلقك الله لما شاء أو لما شئت ؟ قال : لما شاء ، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث يشاء أو حيث شئت ؟ فقال : حيث يشاء ، قال : فقال علي عليه السلام : لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك . « ص ٣٤٨ »

٣٣ - يد : و بهذا الإسناد قال : دخل على أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام رجل من أتباع بني أمية فخنقنا عليه ، فقلنا له : لو تواريت وقلنا ليس هو ههنا ! قال : بلى ائذنوا له ^(١) فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إن الله عز وجل عند لسان كل قائل ويد كل باسط ، فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلا ما شاء الله ، وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلا بما شاء الله فدخل عليه فسأله عن أشياء آمن بها وذهب . « ص ٣٤٨ »

٣٤ - يد : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن الفضيل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شاء وأراد ولم يحب ولم يرض ، شاء أن لا يكون في ملكه ^(٢) شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ، ولم يحب أن يقال له : ثالث ثلاثة ، ولم يرض لعباده الكفر . « ص ٣٥٠ »

يد : إن الله تبارك و تعالى قد قضى جميع أعمال العباد وقد رها وجميع ما يكون في العالم من خير وشر ، والقضاء قد يكون بمعنى الإعلام كما قال الله عز وجل : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » ^(٣) يريد أعلمناهم ، وكما قال الله عز وجل : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ^(٤) يريد أخبرناه وأعلمناه ، فلا ينكر أن يكون الله عز وجل يقضي أعمال العباد وسائر ما يكون من خير وشر على هذا المعنى لأن الله عز وجل عالم بها أجمع ، ويصح أن يعلمها عباده ويخبرهم عنها ، وقد يكون القدر أيضاً في معنى

(١) في المصدر : بل ائذنوا له . م

(٢) ليست في المصدر كلمة « في ملكه » كما في الكافي « ج ١ ص ١٥١ » .

(٣) اسرى : ٢ .

(٤) الحجر : ٦٦ .

الكتاب والإخبار كما قال الله عز وجل : «إلا أمرأته قد رناها من الغابرين»^(١) يعني كتبنا وأخبرنا ؛ وقال العجاج :

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر * في الصحف الأولى التي كان سطر
وقدر معناه كتب ؛ وقد يكون القضاء بمعنى الحكم والإلزام قال الله عز وجل :
«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً»^(٢) يريد حكم بذلك وألزمه
خلقه ، فقد يجوز أن يقال : إن الله عز وجل قد قضى من أعمال العباد على هذا المعنى ما قد
ألزمه عباده وحكم به عليهم و هي الفرائض دون غيرها ، وقد يجوز أيضاً أن يقدر الله
عز وجل أعمال العباد بأن يبين مقاديرها وأحوالها من حسن وقبح وفرض ونافلة وغير
ذلك ، ويفعل من الأدلة على ذلك ما يعرف به هذه الأحوال لهذه الأفعال فيكون عز
وجل مقدراً لها في الحقيقة ، وليس يقدرها ليعرف مقدارها ولكن ليبين لغيره ممن
لا يعرف ذلك حال ما قدره بتقديره إياه ، وهذا أظهر من أن يخفى وأبين من أن يحتاج
إلى الاستشهاد عليه ألا ترى أننا قد نرجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لنا فلا
يمنعهم علمهم بمقاديرها من أن يقدروها لنا ليبينوا لنا مقاديرها ؟ وإنما أنكرنا أن
يكون الله عز وجل حكم بها على عباده ومنعهم من الانصراف عنها أو أن يكون فعلها و
كونها فأمّا أن يكون عز وجل خلقها خلق تقدير فلا ننكره .

وسمعت بعض أهل العلم يقول : إن القضاء على عشرة أوجه : فأول وجه منها العلم ،
وهو قول الله عز وجل : «إلا حاجة في نفس يعقوب قضيتها»^(٣) يعني علمها .

والثاني : الإعلام وهو قوله عز وجل : «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب»^(٤)
وقوله : «وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء»^(٥) أي أعلمناه .

والوجه الثالث : الحكم وهو قوله عز وجل : «ويقضي ربك بالحق» يعني
يحكم بالحق^(٦) .

(٢) اسرى : ٢٣ .

(٤) اسرى : ٤ .

(١) النمل : ٥٧ .

(٣) يوسف : ٦٨ .

(٥) العنكبوت : ٦٦ .

(٦) في المصدر : وهو قوله عز وجل «والله يقضي بالحق» أي يحكم بالحق ، والرابع القول وهو

قوله عز وجل «و هو يقضي بالحق» أي يقول بالحق . م

والرابع : القول وهو قوله عز وجل : « والله يقضي بالحق » ^(١) أي يقول الحق .

والخامس : الحتم وهو قوله عز وجل : « فلما قضينا عليه الموت » ^(٢) يعني حتمنا

فهو القضاء الحتم .

والسادس : الأمر وهو قوله عز وجل : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه » ^(٣)

يعني أمر ربك .

والسابع : الخلق وهو قوله عز وجل : « فقضيهن سبع سموات في يومين » ^(٤) يعني

خلقهن .

والثامن : الفعل وهو قوله عز وجل : « فاقض ما أنت قاض » ^(٥) أي افعل ما

أنت فاعل .

والتاسع : الإتمام وهو قوله عز وجل : « فلما قضى موسى الأجل » ^(٦) وقوله

عز وجل حكاية عن موسى : « أيما الأجلين قضيت فلاعدوان عليّ » والله على ما نقول

وكيل ^(٧) أي أتممت .

والعاشر : الفراغ من الشيء ، وهو قوله عز وجل : « قضى الأمر الذي فيه

تستفتيان » ^(٨) يعني فرغ لكما منه ، وقول القائل : « قد قضيت لك حاجتك » يعني فرغت

لك منها فيجوز أن يقال : إن الأشياء كلها بقضاء الله وقدره تبارك وتعالى بمعنى أن الله

عز وجل قد علمها وعلم مقاديرها ، وله عز وجل في جميعها حكم من خير أو شر ، فما كان

من خير فقد قضاه بمعنى أنه أمر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره ، وما كان

من شر فلم يأمر به ولم يرضه ، ولكنه عز وجل قد قضاه وقدره بمعنى أنه علمه بمقداره

ومبلغه وحكم فيه بحكمه .

والفتنة على عشرة أوجه : فوجه منها الضلال .

(٢) سبا : ٣٤ .

(٤) حم السجدة : ١٢ .

(٦) القصص : ٢٨ .

(٨) يوسف : ٤١ .

(١) المؤمن : ٢٠ .

(٣) اسرى : ٢٣ .

(٥) طه : ٧٢ .

(٧) القصص : ٢٨ .

والثاني : الاختبار وهو قوله عز وجل : « وفتنّاك فتوناً » ^(١) يعني اختبرناك اختباراً ، وقوله عز وجل : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » ^(٢) يعني لا يختبرون .

و الثالث : الحجّة وهو قوله عز وجل : « ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربّنا ما كنّا مشركين » ^(٣)

والرابع : الشرك وهو قوله عز وجل : « والفتنة أشدّ من القتل » ^(٤) .
والخامس : الكفر وهو قوله عز وجل : « إلّا في الفتنة سقطوا » ^(٥) يعني في الكفر .
والسادس : الإحراق بالنار ، وهو قوله عز وجل : « إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » ^(٦) الآية يعني أحرقوا .

والسابع : العذاب وهو قوله عز وجل : « يومهم على النار يفتنون » ^(٧) يعني يعذبون ، وقوله عز وجل : « ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تكذبون » ^(٨) يعني عذابكم ، وقوله عز وجل : « ومن يرد الله فتنته » يعني عذابه « فلن تملك له من الله شيئاً » ^(٩) .
والثامن القتل وهو قوله عز وجل : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » ^(١٠) يعني إن خفتم أن يقتلوكم ، وقوله عز وجل : « فما آمن ملوسى إلّا ذريّة من قومه على خوف من فرعون وملأئهم أن يفتنهم » ^(١١) يعني أن يقتلهم .

والتاسع : الصد وهو قوله تعالى : « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك » ^(١٢) يعني ليصدّونك .

والعاشر : شدّة المحنة وهو قوله عز وجل : « ربّنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » ^(١٣)

(٢) العنكبوت : ٢٩ - ٣٠ .

(٤) البقرة : ١٩١ .

(٦) المجادلة : ١٠ .

(٨) الحجر : ١٤ .

(١٠) النساء : ١٠١ .

(١٢) اسرى : ٧٣ .

(١) طه : ٤٠ .

(٣) الأنعام : ٢٣ .

(٥) التوبة : ٥٠ .

(٧) الحجر : ١٣ .

(٩) البائدة : ٤١ .

(١١) يونس : ٨٣ .

(١٣) المتحنة : ٥ .

و قوله عز وجل : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ^(١) أي عنة فيفتنوا بذلك ، و يقولوا في أنفسهم : لم نقتلهم إلا و دينهم الباطل و ديننا الحق فيكون ذلك داعياً لهم إلى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم . وقد زاد علي بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجهاً آخر فقال : في الوجوه من الفتنة ما هو المحبة وهو قوله عز وجل : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ^(٢) أي محبة ، والذي عندي في ذلك أن وجوه الفتنة عشرة ، وأن الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة بالنون لا المحبة بالباء ، و تصديق ذلك قول النبي ﷺ : « الولد مجهلة مجنبة مبخلة » وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب مقتل الحسين بن علي عليه السلام . ص ٣٩٢ - ٣٩٧

بيان : قوله ﷺ : « مجعلة أي يحملون آباءهم على الجهل ، مجنبة أي يحملونهم على الجبن . مبخلة أي يحملونهم على البخل .

أقول : هذه الوجوه من القضاء والفتنة المذكورة في تفسير النعماني فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد أثبتناه بإسناده في كتاب القرآن .

٣٥ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد البرقي ، عن عبد الملك بن عنتر الشيباني ، ^(٣) عن أبيه ، عن جدّه قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال : بحر عميق فلا تلجه . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : طريق مظلم فلا تسلكه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : سر الله فلا تتكلفه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما إذا أبيت فإني سائلك : أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله ؟ قال : فقال له الرجل : بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد ؛ فقال أمير المؤمنين

(١) يونس : ٨٥ .

(٢) التغابن : ١٥ .

(٣) عنتر بن عنترة العيني المهملة وسكون النون وفتح التاء والراء المهملة والهاء ، والظاهر أنه عبد الملك بن هارون بن عنتر الشيباني المترجم في ص ١٦٧ من رجال النجاشي بقوله : عبد الملك بن هارون بن عنتر الشيباني الكوفي ، ثقة ، عين ، روى عن أصحابنا ورووا عنه ، ولم يكن متحققاً بأمرنا إله . و أورد ابن حجر ترجمة جده عنتر في التقريب ، قال : عنتر بن عبد الرحمن الكوفي ثقة من الثانية ، وهم من زعم أن له صحبة ، وهو جد عبد الملك بن هارون بن عنتر الكوفي . أقول : حكى عن رجال البرقي أن جد عبد الملك بن هارون بن عنتر يكون صيفى بن فسيل الذي سيره زياد بن أبيه إلى معاوية مع حجر بن عدي وقتله معاوية مع حجر وأصحابه .

عليه السلام قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم ، وقد كان كافراً ، قال : وانطلق الرجل غير بعيد ثم أنصرف إليه فقال له : يا أمير المؤمنين أبا المشية الأولى تقوم ونقعد ونقبض ونبسط ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وإنك لبعيد في المشية ؟ ! أما إنني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً : أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا ؟ فقال : كما شاء ، قال : فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا ؟ فقال : لما شاء ، قال : يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا ؟ قال : يأتونه كما شاء ، قال : قم فليس إليك من المشية شيء . . «ص ٣٧٤-٣٧٥»

بيان : لعل المراد المشية المستقلة التي لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه .^(١)

٣٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ،

(١) كل واحد من احاد الخلق محدود بحدود يتعين بها في وجوده كالطول والعرض واللون وسائر الاوصاف والروابط التي ترتبط بغيره بواسطتها ككون الانسان ابن فلان وأخا فلان وأبا فلان وفي زمان كذا ومكان كذا وهكذا . وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده سائر ما يتعلق بوجوده وانها هي التي يتقدر بها الشيء غير أن كلا من الاسباب أيضاً يتقدر بما يتقدمه من المقدرات ، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه فعنده تعالى حقيقة ما يتقدر به كل شيء ويتحدد به كل أمر .

والاشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها ويقيم صلبها ويدبر أمرها كالرحمة والرزق والهداية والاحياء والحفظ والخلق وغيرها وما يقابلها فله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق وما يتعلق به من أنثرو فعل اذلا معنى لاثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالاشياء وهي لا تتعلق بها .

ولذلك فانه عليه السلام سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الاعمال ، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها وتأثيرها فيها فقد نظم الله الوجود بحيث تجرى فيه الرحمة والهداية والمثوبة والمغفرة وكذا ما يقابلها ولا يوجب ذلك بطلان الاختيار في الافعال فان تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الامر المقدر إذ لولا الاختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية فلم يتحقق ثواب ولا عقاب ولا امر ولا نهى ولا بعث ولا تبليغ . ومن هنا يظهر وجه تمسك الامام عليه السلام بسبق صفة الرحمة على العمل ثم بيانه عليه السلام أن الله مشية في كل شيء . وأنها لا تلغو ولا تغلبه مشية العبد فالفعل لا يغطي مشيته تعالى ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد فان مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى فان شاء الفعل الذي يوجد بمشية العبد فلا بد لمشية العبد من التحقق والتأثير فافهم ذلك ، وهذه الرواية الشريفة على ارتفاع مكانتها ولطف مضمونها يتضح به جميع ما ورد في الباب من مختلف الروايات ، وكذا الايات المختلفة من غير حاجة الى أخذ بعض وتأويل بعض آخر . ط

عن عبد الله بن سليمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن القضاء والقدر خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء . « ص ٣٧٣ »

٣٧ - فس : النضر ، عن هشام ، وعبيد ، عن جرير ، عنه عليه السلام مثله . (١)
بيان : خلقان من خلق الله بضم الخاء أي صفتان من صفات الله ، أو بفتحها ، أي هما نوعان من خلق الأشياء وتقديرها في الألواح السماوية ، وله البداء فيها قبل الإيجاد ، فذلك قوله : يزيد في الخلق ما يشاء ؛ أو المعنى أنهما مرتبتان من مراتب خلق الأشياء فإنها تتدرج في الخلق إلى أن تظهر في الوجود العيني .

٣٨ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن درست ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال ، قلت له : جعلت فداك ما تقول في القضاء والقدر؟ قال : أقول : إن الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ، ولم يسألهم عما قضى عليهم . « ص ٣٧٣ - ٣٧٤ »

بيان : هذا الخبر يدل على أن القضاء والقدر إنهما يكون في غير الأمور التكوينية كالمصائب والأمراض وأمثالها ، فلعل المراد بهما القضاء والقدر الحتميَّان . (٢)
٣٩ - يد : أبي ، عن سعد ، عن الإصمعي ، عن المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري قال : قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام : جعلني الله فداك ، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم يعمل ؟ فقال : إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا يحس ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها ، فإذا اجتمعا قويا وصلحا ، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان

(١) ما وجدناه في تفسير القمي . م

(٢) الرواية تدل على أن التكليف والاحكام امور اعتبارية غير تكوينية ، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائم هو التكوينية فاعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر ، ومن حيث تعلق الامر والنهي والاشتغال على الطاعة والمعصية امور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الآخر الذي لينة أمير المؤمنين عليه السلام للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات ومحصله التكليف لمصالح تستدعي ذلك فالقدر في الاعمال ينشأ من المصالح التي تستدعي التكليف الكدائي والقضاء هو الحكم بالوجوب والحرمة مثلاً بامر أو نهى . ط

القدر شيئاً لم يحسّ، ولولم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتمّ، ولكنهما باجتماعهما قويا، والله فيهما العيون^(١) لعباده الصالحين. ثمّ قال: ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً ففتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه. ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: هذا منه هذا منه. «ص ٣٧٥ - ٣٧٦»

بيان: أي فتح عيني القلب وتركهما من القدر.

٤٠ - يد: القطان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن عليّ بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن ابن حبان التيمي^(٢)، عن أبيه - وكان مع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم صفين وفيما بعد ذلك - قال بينما عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يعبّي الكتائب^(٣) يوم صفين، ومعاوية مستقبلة على فرس له يتأكل تحته تأكلًا، وعليّ (عليه السلام) على فرس رسول الله (صلى الله عليه وآله) المرتجز، ويده حربة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو متقلّد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإننا نخشى أن يغتالك هذا الملعون! فقال عليّ (عليه السلام): لئن قلت ذاك إنّه غير مأمون على دينه، وإنّه لأشقى القاسطين، وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلّا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن أن يتردّي في بئر^(٤) أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله^(٥) خلّوا بينه وبين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلي انبعث

(١) في المصدر: والله فيه العون. م

(٢) لم نجد في كتب التراجم من أصحابنا ترجمته ولا ترجمة أبيه، والظاهر هو يحيى بن سعيد بن حبان، أبو حيان التيمي الكوفي، أورد ترجمته ابن حجر في ص ٥٤٩ من التقريب قال: ثقة من السادسة مات سنة خمس و أربعين. و أورد ترجمة أبيه في ص ١٨٥ قال: سعيد بن حبان التيمي الكوفي والد يحيى، وثقه المعلى، من الثالثة.

(٣) عبي تعبئة الكتاب أي هياها وجهازها. والكتائب جمع الكتيبة: القطعة من الجيش.

(٤) أي يحفظونه من أن يسقط في بئر.

(٥) أي قرب أجله.

أشقاها فحضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهداً معهوداً ، ووعداً غير مكذوب .
والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة . «ص ٣٧٦»

٤١ - يد : الوراق و ابن مغيرة معاً ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن علوان ، عن عمرو بن ثابت ، عن ابن طريف ، عن ابن نباتة قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر ف قيل له يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ قال : أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل . «ص ٣٧٧»

بيان : أي أن الفرار أيضاً من تقديره تعالى ، فلا ينافي كون الأشياء بقضاء الله الفرار من البلايا والسعي في تحصيل ما يجب السعي فيه ، فإن كل ذلك داخل في علمه وقضائه ، ولا ينافي شيء من ذلك اختيار العبد كما مر ، ويحتمل أن يكون المراد بقدر الله هنا حكمه وأمره أي إنهما أفر من القضاء بأمره تعالى .

٤٢ - يد : أبي و ابن الوليد معاً ، عن محمد العطار ، و أحمد بن إدريس معاً ، عن الأشعري ، عن ابن هاشم ، عن ابن معبد ، عن ابن أذينة ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : كما أن بادىء النعم من الله عز وجل وقد نحلكموه ، كذلك الشر من أنفسكم وإن جرى به قدره . «ص ٣٧٦ - ٣٧٧»

٤٣ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن يوسف بن الحارث ، عن محمد بن عبد الرحمن العرزمي ، عن أبيه رفعه إلى من قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قد رآه المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . «ص ٣٧٧»

٤٤ - فس : محمد بن جعفر ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن محمد السيار ، عن فلان ، (١) عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن الله جعل قلوب الأئمة مورداً لإرادته فإذا شاء الله شيئاً شاءوه ، وهو قوله : «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين» . «ص ٧١٤»

٤٥ - فس : جعفر بن أحمد ، عن عبد الله بن موسى ، عن ابن البطائني ، (٢) عن أبيه ،

(١) لم نجد ذكره في كتب الرجال ، ويوجد في ج ٢ ص ٨٦ من فروع الكافي في باب الاسماء والكنى رواية ابن مياح عن فلان حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني ، هو أبوه من الواقعة ، بل أبوه من عمدها ضعفهما أصحابنا ، ووردت روايات في ذمهما . وكان على قائد أبي بصير يحيى بن القاسم .

عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : قوله تعالى : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين » قال : لأن المشيئة إليه تبارك وتعالى لا إلى الناس . « ص ٧١٤ »

بيان : لعل المراد أن المشيئة إنما هي مما خلقها الله في العبد وجعله شائياً فلا يشاؤون إلا بعد أن جعلهم الله بحيث يقدرّون على المشيئة ، أو أن المشيئة المستقلة التي لا يعارضها شيء إنما هي لله تعالى ، وأما مشيئة العباد فهي مشوبة بالعجز يمكن أن يصرفهم الله تعالى عنها إذا شاء ، فهم لا يشاؤون إلا بعد أن يهيئ الله لهم أسباب الفعل ولم يصرفهم عن مشيئتهم ، فالمعنى أن المشيئة المستقلة إليه تعالى ، وأن أسباب المشيئة ونفوذها بقدرته تعالى .

و في الآية وجه آخر ذكر في الخبر السابق ، وحاصله أن الله تعالى بعد أن أكمل أوليائه وحججه عليهم السلام لا يشاؤون شيئاً إلا بعد أن يلهمهم الله تعالى ويلقي المشيئة في قلوبهم ، فهو المتصرف في قلوبهم وأبدانهم والمسدد لهم في جميع أحوالهم فالآية خاصة غير عامة . وقال الطبرسي رحمه الله : فيه أقوال : أحدها أن معناه : وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله ذلك من قبل حيث خلقكم لها وكلفكم بها ، فمشيئته تعالى بين يدي مشيئكم .

وثانيها : أنه خطاب للكفار والمراد : لا تشاؤون إلا سلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه و ياجئكم إليه ، ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختياراً لتستحقوا الثواب .

ونالها : أن المراد : وما تشاؤون إلا أن يشاء الله أن يلطف لكم في الاستقامة . (١)

(١) قال الشيخ في التبيان : أي وليس يشاؤون شيئاً من العمل بطاعته و بما يرضاه و يوصلكم إلى نوابه إلا و الله يشاؤه و يريد ، لأنه يريد من عباده أن يطيعوه ، وليس المراد أن يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات ، لأن الحكيم لا يجوز أن يريد القبائح ولا المباح ، لأن ذلك صفة نقص وتعالى الله عن ذلك وقد قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » و المعصية والكفر من أعظم العسر ، فكيف يكون الله تعالى شائياً له ؟ وهل ذلك إلا تناقض ظاهر ؟ انتهى . *

٤٦ - فسي : قال علي بن إبراهيم : وأما الردّ على المعتزلة فإن الردّ من القرآن عليهم كثير ، و ذلك أن المعتزلة قالوا : نحن نخلق أفعالنا وليس لله فيها صنع ولا مشيئة ولا إرادة ويكون ما شاء إبليس ، ولا يكون ما شاء الله ، واحتجّوا أنّهم خالقون بقول الله تعالى : « تبارك الله أحسن الخالقين » فقالوا : في الخلق خالقون غير الله ، فلم يعرفوا معنى الخلق و على كم وجه هو ، فسئل الصادق عليه السلام : أفوض الله إلى العباد أمراً ؟ فقال : الله أجلّ وأعظم من ذلك ، فقليل : فأجبرهم على ذلك ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبرهم على فعل ثمّ يعذبهم عليه ، فقليل له : هل بين هاتين المنزلتين منزلة ؟ قال : نعم ما بين السماء والأرض .^(١)

٤٧ - وفي حديث آخر قال : سئل هل بين الجبر والقدر منزلة ؟ قال : نعم ، فقليل ما هو ؟ فقال : سرّ من أسرار الله .

٤٨ - وفي حديث آخر قال : هكذا خرج إلينا .^(٢)

٤٩ - قال : و حدّثني محمد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس قال : قال الرضا عليه السلام : يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ، ولا بقول أهل

* أقول : النظر في الآية وسابقتها وهي قوله تعالى : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » ولا حقتها وهي قوله تعالى : « إن الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً » يعطى المراد ويفيد المغزى ، وهو أن الله تعالى أثبت لهم المشيئة وأثبت أن وقوع مشاهم إنما يكون في صورة مشيئته ، فلو كان أراد ذلك حقيقة لم يكن لاستناد الظلم إليهم معنى ، لأنهم كانوا فيما ظلموا كارهين غير مختارين ، بل كان استناد ذلك إليه تعالى أقوى و أولى ، كما أن الآيات أيضاً لم تكن لهم تذكرة في مشيئتهم اتخاذ السبيل ، بل لم يكن لنسبة الحكمة إلى ذاته أيضاً معنى محصل ، لأن فعل القبائح و الظلم و اجبار العبد عليهما و العقاب بهما مع ذلك ينافي الحكمة ، فالظاهر غير مراد ، بل المراد بيان أن لتوفيقه وتأيدته أيضاً دخلاً في أفعالهم ، بحيث لو تركهم و أنفسهم ولم يؤيدهم ويسددهم لكانت أنفسهم تدخلونهم مداخل السوء وتخرجونهم عن الصراط السوي وطريق المعروف .

(١) تقدم ما في معناه مسنداً تحت رقم ٨٢ و ٨٣ في الباب السابق .

(٢) لعله الخبر الآتي تحت رقم ٦٦ .

النار ، ولا يقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا : « الحمد لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ولم يقولوا بقول أهل النار ، فإن أهل النار قالوا : « ربنا غلبت علينا شقوتنا » وقال إبليس : « رب بما أغويتني » فقلت يا سيدي : والله ما أقول بقولهم ولكني أقول : لا يكون إلا ما شاء الله وقضى وقدر ، ^(١) فقال : ليس هكذا يا يونس ولكن لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ، أتدري ما المشية يا يونس ؟ قلت : لا ، قال : هو الذكر الأول : وتدري ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : العزيمة على ما شاء ؛ وتدري ما التقدير ؟ قلت : لا ، قال : هو وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء و الفناء ؛ ^(٢) وتدري ما القضاء ؟ قلت : لا ، قال : هو إقامة العين ، ^(٣) ولا يكون إلا ما شاء الله في الذكر الأول . « ص ٢١-٢٢ »

بيان : الظاهر أن المراد بالقدرية هنا من يقول : إن أفعال العباد وجودها ليست بقدره الله وبقدره ، بل باستقلال إرادة العبد به و استواء نسبة الإرادتين إليه ، و صدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة ، كما ذهب إليه بعض المعتزلة . لا يقول بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه ، ولا يقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ، ولا يقول إبليس من إسناد الإغواء إليه سبحانه ، والفرق بين كلامه عليه السلام وكلام يونس إنما هو في الترتيب ، فإن في كلامه عليه السلام التقدير مقدم على القضاء كما هو الواقع ، وفي كلام يونس بالعكس ، والذكر هو الكتابة مجملًا في لوح المحو والإثبات ، أو العلم القديم .

٥٠ - ثو : علي بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن علي بن موسى البصري ، عن سليمان بن عيسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

(١) في الكافي عن علي بن إبراهيم « إلا ما شاء الله وأراد وقضى وقدر » . م

(٢) في الكافي : قال هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء .

(٣) في الكافي : قال : والقضاء هو الإبرام وإقامة العين . أقول : إقامة العين أي إقامته

في الأعيان والوجود الخارجى ، وهو في أفعاله بمعنى الخلق والإيجاد على وفق الحكمة ، وفي أفعالنا ترتب الثواب والعقاب عليها على وجه الجزاء . وقال المنصف : إقامة العين أي إيجاده ، وفي أفعال العباد اقدار العبد وتمكينه ورفع الموانع عنه انتهى . ويأتى الحديث بإسناد آخر مع تفاوت في الفاظه تحت رقم ٦٩ .

عن الحارث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن أرواح القدرية يعرضون على النار غدواً وعشيّاً حتّى تقوم الساعة ، فإذا قامت الساعة عذبوا مع أهل النار بألوان العذاب ، فيقولون : يا ربنا عذبنا خاصة وتعذبنا عامة فيردّ عليهم « ذوقوا مسّ سقر إننا كلّ شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٤ »

بيان : قال الطبرسي رحمه الله : أي خلقنا كل شيء خلقناه مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافاً ، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الاستحقاق ، وكذلك كل شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدّراً بمقدار معلوم . وقيل : معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم ، فخلقنا اللسان للكلام ، واليد للبطش ، والرجل للمشي ، والعين للنظر ، والأذن للسمع ، والمعدة للطعام ، ولو زاد أو نقص عما قدّرنا لماتم الغرض . وقيل : معناه : جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقّه ويصلح له ، كالمرأة للرجل ، والأتان للحمار ، و ثياب الرجال للرجال ، وثياب النساء للنساء . وقيل : خلقنا كل شيء بقدر مقدّر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ .

٥١ - ثو : عليّ بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن أبي بشر ، عن محمد بن عيسى الدامغاني ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن يونس ، عن حمّاد بن عثمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أنزل الله هذه الآيات إلّا في القدرية : « إن المجرمين في ضلال وسعريوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر إننا كل شيء خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٤ »

٥٢ - ثو : عليّ بن أحمد ، عن محمد بن جعفر ، عن مسلمة بن عبد الملك ، عن داود ابن سليمان ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة ، والقدرية . « ص ٢٠٤ »

٥٣ - ثو : العطّار ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الأهوازي ، عن صفوان ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يحشر الملكذّبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنزير . « ص ٢٠٥ »

٥٤ - ثو : ابن المتوكّل ، عن الحميري ، عن ابن أبي الخطاب ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة و محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت هذه الآية

- في القدرية : « ذوقوا من ستر إننا كل شيء ، خلقناه بقدر » . « ص ٢٠٥ »
- ٥٥ - شى : عن زرارة وجران و محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » قال : قدره الذي قدره عليه .
- ٥٦ - وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خيره وشره معه ، حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بماعمل .
- بيان : قال الطبرسي رحمه الله : معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه ، أي جعلناه كالطوق في عنقه لا يفارقه . وقيل : طائره يمنه وشؤمه وهو ما يتطير به . وقيل : طائره حظّه من الخير والشر ؛ وخص العنق لأنّه محل الطوق الذي يزين المحسن ، والغل الذي يشين المسيء ، وقيل : طائره كتابه . وقيل : معناه : جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر يستدل به عندهم على الأمور الكائنة ، فيكون معناه : كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها ، إن كان محسناً فطائره ميمون ، وإن أساء فطائره مشوم .^(١)
- ٥٧ - ثو : ابن المتوكل ، عن محمد بن جعفر ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال : يجاء بأصحاب البدع يوم القيامة فترى القدرية من بينهم كالشامة البيضاء في الثور الأسود فيقول الله عز وجل : ما أردتم ؟ فيقولون : أردنا وجهك ، فيقول : قد أقلتكم عثراتكم و غفرت لكم زلاتكم إلا القدرية فإنهم دخلوا في الشرك من حيث لا يعلمون . « ص ٢٠٥ »

(١) قال السيد الرضى فى مجازات القرآن : وهذه استعارة والمراد بالطائر ههنا - والله أعلم - ما يعمل الإنسان من خير وشر ، ونفع وضر ، وذلك مأخوذ من زجر الطائر على مذهب العرب ، لأنهم يتبركون بالطائر المعترض من ذات اليمين ، ويتشائمون بالطائر المعترض من ذات الشمال ، ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الإنسان من الخير والشر كالطوق فى عنقه بالزمام إياه والحكم عليه به ، وقال بعضهم : معنى ذلك أنا جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه على ما بيناه له وهديناه إليه والعرب تقيم العنق والرقبة مقام نفس الإنسان وجملته ، فتقول : لى فى رقبة فلان دم ، ولى فى رقبته دين أى عنده ، وفلان قد أعتق رقبة إذا أعتق عبداً أو أمة ، ويقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتق رقبتي من النار ، وليس يريد العنق المخصوص وإنما يريد الذات والجمل ، وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل التى يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب على عادة العرب التى ذكرناها فى التبرك بالسانح والتشائم بالبارح .

بيان : المراد بأصحاب البدع من لم ينته به بدعته إلى الكفر فضلوا من حيث لا يعلمون .

٥٨ - ثو : بهذا الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر . «ص ٢٠٦»

٥٩ - ثو : بهذا الإسناد قال : دخل مجاهد مولى عبد الله بن عباس على علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ما تقول في كلام أهل القدر ؟ - ومعه جماعة من الناس - فقال أمير المؤمنين عليه السلام : معك أحد منهم أو في البيت أحد منهم ؟ قال : ما تصنع بهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أستتيبهم فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم . «ص ٢٠٥»

٦٠ - ثو : بالإسناد المتقدم عن السكوني ، عن مروان بن شجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان . ^(١) «ص ٢٠٥»

٦١ - ثو : ابن المتوكل ، عن محمد بن جعفر ، عن أحمد بن محمد العاصمي ، عن علي بن عاصم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن يحيى بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهودية ، ولا من القدرية بالنصرانية . «ص ٢٠٥ - ٢٠٦»

٦٢ - ير : أحمد بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن القضاء والقدر ، فقال : هما خلقان من خلق الله والله يزيد في الخلق ما يشاء ، و أردت أن أسأله في المشيئة فنظر إلي فقال : يا جميل لا أجيبك في المشيئة . ^(٢)

٦٣ - سن : أبي ، عن إسماعيل بن إبراهيم ، وابن أبي عمير ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن حمران قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» فقال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً ، قلت : فقله :

(١) في نسخة : الاسلام .

(٢) روى الحديث في مختصر بصائر الدرجات «ص ١٣٤» باسناد آخر عن جميل عن زرارة

عن عبد الله بن سليمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام . م

« أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » قال : لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم . « ج ١ ص ٢٤٣ »

بيان : ولا علم أي علم أحد من المخلوقين ، والخلق في هذه الآية يحتمل التقدير والإيجاد . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كان شيئاً أي مقدراً ، كما روى الكليني عن مالك الجهنّي مكان « شيئاً » مقدراً .^(١) غير مذكور أي عند الخلق أي غير موجود ليذكر عند الخلق ، أو كان مقدراً في اللوح لكن أم يوح أمره إلى أحد من الخلق .

٦٤ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن الله إذا أراد شيئاً قدره ، فإذا قدره قضاه ، فإذا قضاه أمضاه . « ص ٢٤٣ - ٢٤٤ »

٦٥ - سن : أبي ، عن فضالة ، عن محمد بن عمار ، عن حريز بن عبد الله ، أو عبد الله بن مسكان قال : قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ؛ فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر . « ص ٢٤٤ »

٦٦ - سن : النضر ، عن هشام ، وعبيد بن زرارة ، عن حمران ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال :^(٢) كنت أنا والطيّار جالسين فجاء أبو بصير فأفرجنا له فجلس بيني وبين الطيّار ، فقال : في أي شيء أتم ؟ فقلنا : كنّا في الإرادة والمشيئة والمحبة ، فقال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : شاء لهم الكفر وأراد ؟ فقال : نعم ، قلت : فأحب ذلك ورضيه ؟ فقال : لا ، قلت : شاء وأراد عالم يحب ولم يرض ؟ قال : هكذا خرج إلينا .^(٣) « ص ٢٤٥ »

(١) أقول : أورده في كتابه الكافي في باب البداء بإسناده عن أحمد بن مهران ، عن عبد العظيم الحسني ، عن علي بن أسباط ، عن ابن مسكان ، عن مالك الجهنّي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : « أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » قال : فقال : لا مقدراً ولا مكوناً . قال : وسئلته عن قوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » فقال : كان مقدراً غير مذكور .

(٢) الظاهر أن ضمير « قال » يرجع إلى حمران ، وأن لفظة « عن أبي عبد الله عليه السلام » زائدة من النسخ .

(٣) في المصدر : هكذا أخرج إلينا . م

٦٧ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المشيئة محدثة . ص « ٢٤٥ »

٦٨ - سن : أبي ، عن يونس ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ، ^(١) قلت : فما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله و عرضه ، قلت : فما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مرد له . ص « ٢٤٤ »

بيان : ابتداء الفعل أي أوّل الكتابة في اللوح ، أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدّي إلى وجود المعلول .

٦٩ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن إسحاق قال : قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين : يا يونس لا تتكلّم بالقدر ، قال : إنّي لا أتكلّم بالقدر و لكن أقول : لا يكون إلا ما أراد الله و شاء وقضى وقدّر ، فقال : ليس هكذا أقول ، ولكن أقول : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد و قدّر وقضى ؛ ثمّ قال : أتدري ما المشيئة ؟ فقال : لا ، فقال : همّه بالشيء ؛ أو تدري ما أراد ؟ قال : لا ، قال : إتمامه على المشيئة ، فقال : أو تدري ما قدّر ؟ قال : لا ، قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء . ثمّ قال : إنّ الله إذا شاء شيئاً أراحه ، وإذا أراح قدّره ، وإذا قدّره قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ؛ يا يونس إنّ القدرية لم يقولوا بقول الله : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » ولا قالوا بقول أهل الجنة : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ولا قالوا بقول أهل النار : « ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالّين » ولا قالوا بقول إبليس : « ربّ بما أغويتني » ولا قالوا بقول نوح : « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إنّ كان الله يريد أن يغويكم هو ربّكم وإليه ترجعون » . ثمّ قال : قال الله : يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء ، و بقوّتي أدّيت إليّ فرائضي ، و بنعمتي قويت على معصيتي ، وجعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، فما أصابك من حسنة فمني ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، و ذلك إنّي لا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون ، ثمّ قال : قد نظمت لك كلّ شيء تريده .

« ص ٢٤٤ - ٢٤٥ »

(١) في المصدر : و اراد و قدّر وقضى ، فقال : لا يكون إلا ما شاء الله و اراد و قدّر وقضى ، قال : قلت اه . م

٧٠ - ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن القدر قال : فقل له : أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ؛ فقال : سر الله فلا تفتشوه . فقل له الثاني : أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، قال : بحر عميق فلا تلحقوه ،^(١) فقل له : أنبئنا عن القدر ، فقال : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها »^(٢) فقال : يا أمير المؤمنين إنما سألناك عن الاستطاعة التي بها تقوم ونقعد ، فقال : استطاعة تملك مع الله أم دون الله ؟ قال : فسكت القوم ولم يحروا جواباً ، فقال صلى الله عليه وآله : إن قلتم : إنكم تملكونها مع الله قتلتمكم ، وإن قلتم : دون الله قتلتمكم ؛ فقالوا : كيف نقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : تملكونها بالذي يملكها دونكم^(٣) فإن أمدكم بها كان ذلك من عطائه ، وإن سلبها كان ذلك من بلائه ، إنما هو المالك لما ملككم ، والقادر لما عليه أقدركم ، أما تسمعون ما يقول العباد ويسألونه الحول والقوة حيث يقولون : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فسئل عن تأويلها فقال : لا حول عن معصيته إلا بعصمته ، ولا قوة على طاعته إلا بعونه .

٧١ - قال العالم كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما يسأله عن القدر ، وكتب إليه : فاتبع ما شرحت لك في القدر مما أفضي إلينا أهل البيت فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد افترى على الله افتراءً عظيماً ، إن الله تبارك وتعالى لا يطاع بإكراه ، ولا يعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد في الهلكة ، لكنّه المالك لما ملككم ، والقادر لما عليه أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادّاً عنها مبطناً ، وإن ائتمروا بالمعصية

(١) في نسخة : فلا تلجوه . وفي فقه الرضا المطبوع هنا زيادة وهي قوله : فقل له الثالث :

أنبئنا عن القدر يا أمير المؤمنين ، فقال : طريق معوج فلا تسلكوه ، ثم قيل له الرابع أنبئنا إله .

(٢) الآية تدل على سبق وجود الرحمة على إيتائها وإفاضتها فإن الفتح نوع كشف وإظهار يحتاج

إلى وجود المكشوف عنه وسبقه على الكشف فتدل على تقدم الرحمة الإلهية على أعمال العباد التي

تفتح لهم الرحمة فيها وبها ، وحينئذ يعود مضمون الكلام إلى ما تقدم في الخبر الذي تحت رقم ٣٥

عن أمير المؤمنين عليه السلام فراجع . ط .

(٣) في المطبوع هكذا : تملكونها بالذي يملككم بملكها دونكم .

فشاء أن يمنَّ عليهم فيحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل ، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قسراً ، ولا كلفهم جبراً ، بل بتمكينه إياهم بعد إعداده وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم طوقهم ومكّنهم ، وجعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم ، وترك ما عنه نهاهم ، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذه ، ولترك ما نهاهم عنه من شيء غير تاركه ، والحمد لله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم به ، ينالون بتلك القوة و ما نهاهم عنه ، وجعل العذر لمن يجعل له السبيل ، حمداً متقبلاً^(١) فأنا على ذلك أذهب وبه أقول ، والله وأنا وأصحابي أيضاً عليه ، وله الحمد .

٧٢ - نهج : قال عليه السلام : - وقد سئل عن القدر - طريق مظلّم فلا تسلكوه ، و بحر عميق فلا تلجئوه ، وسر الله فلا تنكفوه .

٧٣ - ضا : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشيئة الله وإرادته ، فقال صلوات الله عليه : إن لله مشيئتين : مشيئة حتم ، ومشيئة عزم ، وكذلك إن لله إرادتين : إرادة حتم ، وإرادة عزم ، إرادة حتم لا تخطيء ، وإرادة عزم تخطيء وتصيب ، وله مشيئتان : مشيئة يشاء ، ومشيئة لا يشاء ؛ ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، معناه أراد من العباد وشاء^(٢) ولم يرد المعصية وشاء ، وكل شيء بقضائه وقدره ، والأمر تجري ما بينهما ، فإذا أخطأ القضاء لم يخطيء القدر ، وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القضاء إلى القدر^(٣) وإذا يخطئ ومن القدر إلى القضاء ؛ والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله جل وعزّ الناطق على لسان سفيره الصادق صلوات الله عليه : منها قضاء الخلق وهو قوله تعالى : « فقضيهن سبع سموات في يومين » معناه خلقهن .

(١) إلى هنا أنهى الحديث في فقه الرضا المطبوع وليست فيه جملة « فأنا على ذلك » إلى قوله : « وله الحمد » بل أثبت الجملة عقيب قوله : « وعظم شأنه » في الخبر الاتي تحت رقم ٧٤ .

(٢) في فقه الرضا المطبوع : أراد العباد وشاء .

(٣) في فقه الرضا المطبوع : فإذا اضطر القضاء لم يخطيء القدر ، وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القضاء إلى القدر ، فإذا أخطأ القدر لم يخطئ القضاء ، وإنما الخلق من القدر إلى القضاء ، وللقضاء أربعة أوجه اه .

والثاني قضاء الحكم وهو قوله : « وقضي بينهم بالحق » معناه حكم .
والثالث قضاء الأمر وهو قوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » معناه أمر ربك .

والرابع قضاء العلم وهو قوله : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين » معناه علمنا من بني إسرائيل ، قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد و شاء الطاعة وأراد منهم لأن المشيئة مشيئة الأمر ومشية العلم ، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر ، أمر بالطاعة ورضي بها ، و شاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها ، فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جل جلاله و عظم شأنه .
أقول : كانت النسخة سقيمة فأوردناه كما وجدناه .

قوله عليه السلام : إذا أخطأ القضاء يمكن أن يقرأ بغير همز : و المعنى إذا جاوز أمر من الأمور التي شرع في تهيئة أسباب وجوده القضاء ولم يصر مقضياً فلا يتجاوز عن القدر ، ولا محالة يدخل في التقدير ، وإنما يكون البداء بعد التقدير . وإذا لم يخطئ من المضاعف بمعنى الكتابة أي إذا لم يكتب شيء في لوح القدر لا يكتب في لوح القضاء إذ هو بعد القدر . وإنما الخلق من القضاء أي إذا لوحظت علل الخلق والإيجاد ففي الترتيب الصعودي يتجاوز من القضاء إلى القدر ، و التخطي و البداء إنما يكون بعد القدر قبل القضاء ، والأظهر أنه كان وإذا أخطأ القدر مكان « وإذا لم يخطئ القدر ، و يكون من الخطأ لا من الخط ، فالمعنى أن كل ما يوجد من الأمور إما موافق للوح القضاء ، أو للوح القدر على سبيل منع الخلو ، فإذا وقع البداء في أمر ولم يقع على ما أثبت في القدر يكون موافقاً للقضاء ، ولعل ظاهر هذا الخبر تقدم القضاء على القدر ، ويحتمل أن يكون القضاء في الأولى بمعنى الأمر ، و في الثانية بمعنى الحتم فيستقيم ما في الرواية من النفي .

٧٤ - شا : روى الحسن بن أبي الحسن البصري قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال له : يا أمير المؤمنين خبرني عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب أكان بقضاء من الله وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ما

علوتم تلعة ولاهبطتم وادياً إلا والله فيه قضاء وقدر ، فقال الرجل : فعند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال له : ولم ؟ قال : إذا كان القضاء والقدر ساقانا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة ؟ وما وجه العقاب على المعصية ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أو ظننت يا رجل أنه قضاء حتم وقدر لازم لا تظن ذلك فإن القول به مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها ، إن الله جل جلاله أمر تخيراً ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، فقال الرجل فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة وترك السيئة ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، فأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال . فقال الرجل : فرجت عنّي يا أمير المؤمنين فرج الله عنك ، وأنشأ يقول : أنت الإمام الذي نرجو بطاعته إلى آخر البيتين . (١)

٧٥ - الدرّة الباهرة : قال الرضا عليه السلام : المشيئة الاهتمام بالشئ ، والإرادة إتمام

ذلك الشئ .

٧٦ - نهج : قال عليه السلام : - وقد سئل عن القدر - طريق مظلم فلا تسلكوه ، و بحر

عميق فلا تلجئوه ، وسر الله فلا تتكلفوه .

٧٧ - وقال عليه السلام : يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير .

بيان : المقدار : القدر .

٧٨ - نهج : من كلامه عليه السلام للشامي ط : سأله : أكان مسيره إلى الشام بقضاء من

الله وقدره ؟ - بعد كلام طويل مختاره - : ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرأحتماً ،

ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إن الله سبحانه أمر

عباده تخيراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل

(١) تقدم الحديث ، بإسناد متعددة تحت رقم ١٩ من الباب الاول .

كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

٧٩ - شى : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم أن الخير والشرّ بغير مشيئته فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أن المعاصي عملت بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار .

تتميم : قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : يطلق القضاء على الخلق والإتمام قال الله تعالى : « قضيتهن سبع سموات في يومين » ^(١) أي خلقهن وأتمهن . وعلى الحكم والإيجاب كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » ^(٢) أي أوجب وألزم . وعلى الإعلام والإخبار كقوله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » ^(٣) أي أعلمناهم وأخبرناهم . ويطلق القدر على الخلق كقوله تعالى : « فقدّر فيها أقواتها » ^(٤) والكتابة كقول الشاعر :

واعلم بأنّ ذا الجلال قد قدر ☆ في الصحف الأولى التي كان سطر
والبيان كقوله تعالى : « إلا امرأته قدّرتناها من الغابرين » ^(٥) أي بيّنتنا وأخبرتنا
بذلك ، إذا ظهر هذا فنقول للأشعري : ما تعني بقولك : إنّه تعالى قضى أعمال العباد
وقدّرها ؟ إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيّنتنا بطلانه ، وأنّ الأفعال مستندة إلينا ،
وإن عني به الإلزام لم يصحّ إلا في الواجب خاصّة ، وإن عني به أنّه تعالى بيّنها و
كتبها و علم أنّهم سيفعلونها فهو صحيح ، لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح
المحفوظ وبيّنه لملائكته ، وهذا المعنى الأخير هو المتعيّن للإجماع على وجوب الرضا
بقضاء الله تعالى وقدره ، ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح ، ولا ينفعهم الاعتذار

(٢) اسرى : ٢٣ .

(٤) فصلت : ١١ .

(١) فصلت : ١٢ .

(٣) اسرى : ٤ .

(٥) النمل : ٥٧ .

بوجوب الرضا به من حيث إنّه فعله ، وعدم الرضا به من حيث الكسب لبطلان الكسب
أولاً ؛ وثانياً نقول : إن كان كون الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره وجب الرضا به من
حيث هو كسب ، وهو خلاف قولكم وإن لم يكن بقضاء وقدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها
إلى القضاء والقدر انتهى .

وقال شارح المواقف : اعلم أن قضاء الله عند الأفاعلة هو إرادته الأزلية المتعلقة
بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال ، وقدره إيجادها إياها على وجه مخصوص و تقدير
معين في ذواتها وأحوالها ، وأمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون
عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام و أكمل الانتظام ، و هو المسمى عندهم
بالعناية الّتي هي مبدء لفيضان الموجودات من حيث جعلتها على أحسن الوجوه وأكملها
والقدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينيّ بأسبابها على الوجه الذي تقرّر في القضاء
والمعتزلة ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد ، و يثبتون
علمه تعالى بهذه الأفعال ، ولا يسندون وجودها إلى ذلك العلم ، بل إلى اختيار العباد ،
وقدرتهم انتهى .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر و الدرر : إن قال قائل : ما
تأويل قوله تعالى : «وما كان لنفس أن تؤمن إلّا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون» (١) فظاهر هذا الكلام يدلّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره
و ليس هذا مذهبكم ، فإن حمل الإذن ههنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع منه
الإيمان لم يرد الله تعالى منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ، ثمّ جعل الرجس الذي هو
العذاب على الذين لا يعقلون ، ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً ، فكيف يستحقّ
العذاب ؟ وهذا بالضدّ من الخبر المرويّ عن النبي ﷺ أنه قال : أكثر أهل الجنة البله .
الجواب يقال له : في قوله : إلّا بإذن الله وجوه : منها أن يكون الإذن : الأمر ،
ويكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلّا بعد أن يأذن الله فيه و يأمر به ، ولا
يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لا يكون للفاعل فعله إلّا بإذنه ، ويجري هذا مجرى

و يجري هذا مجرى قوله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ^(١) و معلوم أن معنى قوله : « ليس لها » في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم .

ومنها أن يكون الإذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان ويلطف فيه ويسهل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإذن : العلم ، من قولهم : أنت أذنت لكذا و كذا : إذا سمعته وعلمته ، وأذنت فلاناً بكذا و كذا : إذا أعلمته ، فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات وأنه مما لا تخفى عليه الخفيات ، وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن - بكسر الألف و تسكين الذال - عبارة عن العلم ، وزعم أن الذي هو العلم الأذن - بالتحريك - واستشهد بقول الشاعر : إن همّي في سماع و أذن . وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم لأن الإذن هو المصدر والأذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر في أنه مصدر والحذر - بالتسكين - الاسم ؛ على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذن - بالتحريك - لجاز التسكين ، مثل مثل ومثل وشبه وشبهه ، ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها أن يكون الإذن : العلم ، و معناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، فيكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبغها على الإيمان و يدعوها إلى فعله ، فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل ، لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال : إن الإيمان لم يقع إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع ، و ليس في صريح الكلام ولا في دلالة شيء من ذلك ^(٢) .

(١) آل عمران : ١٤٥ .

(٢) قال الشيخ قدس سره في التبيان و معنى قوله : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله » أنه لا يمكن لاحد أن يؤمن إلا باطلاق الله له في الايمان وتمكينه منه ودعاؤه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك . وقال الحسن وابوعلى الجبائي : إذنه ههنا : أمره ، وحقيقة إطلاقه في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعية . وقيل : معناه : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بعلم الله ، وأصل الاذن : الاطلاق في الفعل ، فأما الاقدار على الفعل فلا يسمى إذناً فيه ، لان النهي يناهى الاطلاق . انتهى .

وأما قوله تعالى : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » فلم يعن به الناقصي العقول ، وإنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى ، و الاعتراف بنبوّة رسله ﷺ ، و الانقياد إلى طاعتهم ، و وصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ، كما قال الله تعالى : « صمّ بكم عمي »^(١) وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل . فأما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل فيه : إنه ﷺ لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشرّ والقيح و سمّاهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لا من حيث فقد العلم به ، ووجه تشبيهه من هذه حاله بالأبله ظاهر .^(٢) ثم قال رحمه الله : إن سأل سائل عن قوله تعالى - حاكياً عن شعيب عليه السلام - : « قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجين الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا »^(٣) فقال : أليس هذا تصريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقيح ؟ لأنّ ملّة قومه كانت كفراً وضلالاً ، وقد أخبر أنّه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله .

الجواب قيل له : في هذه الآية وجوه : أوّلها أن تكون الملّة التي عناها الله تعالى إنّما هي العبادات الشرعيّات التي كانت قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته .^(٤)

(١) البقرة : ١٨ .

(٢) قال بعد ذلك : فإنّ الابله عن الشيء هو الذي لا يعرض له ولا يقصد اليه فإذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ، و يشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

ولقد لهوت بطفلة ميالة * باهاء تطلعنني على اسرارها

أراد بالبله ما ذكرناه ؛ إلى آخر كلامه . ومن شاء الاطلاع عليه فليراجع ج ١ ص ٣١

من أماليه .

(٣) الاعراف : ٨٩ .

(٤) قال بعد ذلك : مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيّات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح و اللطاف و المعلوم من أحوال المكلفين ، فكانه قال : ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بمثلها فنعود اليها ، وتلك

وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى ، لما كان معلوماً أنه لا يشاؤه ، وكلّ أمر علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه ، و تجري الآية مجرى قوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط » وثالثها ما ذكره قطرب من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا وإن الاستثناء من الكفار وقع لامر شعيب فكأنه تعالى قال - حاكياً عن الكفار - : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعود في ملّتنا ، ثم قال حاكياً عن شعيب : وما يكون لنا أن نعود فيها على كلّ حال .

ورابعها أن تعود الهاء التي في قوله تعالى : « فيها » إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدّم كما تقدّم ذكر الملة ، ويكون تلخيص الكلام : إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة ، لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : « أولتعودن في ملّتنا » كان معناه أولتكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة . فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنّما كان بعد قوله : وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال : ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصحّ هذا الجواب ؟ قلنا : هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملّتنا واحدة غير

• الافعال التي كانوا متمسكين بهامع نسخها عنهم ونهيم عنها وان كانت ضلّالا وكفراً فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون ايماناً وهدى ، بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك ، و ليس تجرى هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلابيها ، وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتعبد لهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله : « قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعداذنجننا الله منها » ؟ فيقال له : لم ينف عودهم اليها على كلّ حال ، وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منها عنها ، والذي علّقه بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها ، والجواب مستقيم لا خلل فيه انتهى . يوجد ذلك في ج ٢ ص ٦٤ .

مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : إلا أن يشاء الله أن تتفق في الملة بأن ترجعوا أتم إلى الحق .

فإن قيل : وكان الله ماشاء أن ترجع الكفار إلى الحق ؟ قلنا : بلى قد شاء ذلك إلا أنه ماشاء على كل حال ، بل من وجه دون وجه ، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف إليه ، ولو شاء على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم . (١)

وسادسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ، ويقوي هذا الوجه قوله تعالى : «أولو كنّا كارهين» . وسابعها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبّد الله تعالى بإظهاره ؛ وقوله : «أولو كنّا كارهين» يقوي هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبّد بإظهار الكفر و خلاف ما جاء به من الشرع ؟ قلنا : يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال : وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا يشاء الله أن يتعبّد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه ، وهذا جائز غير ممتنع .

وقال طيب الله رمسه : إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذب بهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون» (٢) فقال : كيف يعذب بهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة ؛ وماتأويل

(١) وفيه بعد ذلك زيادة وهي قوله : فكان شعبياً عليه السلام قال : ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقنا في ملتنا ، والفائدة في ذلك واضحة ، لانه لو اطلق أنا لا تتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فافاد بتعليقه له بالمشية هذا الوجه ، ويجرى قوله تعالى : «إلا أن يشاء الله» مجرى قوله تعالى : «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» . ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) التوبة : ٥٥ .

قوله : « ماتوا وهم كفرون » فظاهره يقتضي أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في حال كفرهم لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابس ؛ أو على صفة كذا وكذا فالظاهر أنه أراد كونه على هذه الصفة .

قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أحدها ما روي عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم و تأخير ، و يكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ! ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار و المنافقين وأولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذب بهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها ؛ و استشهد على ذلك بقوله تعالى : « اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون »^(١) فالمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . وثانيها أن يكون المعنى : ما جعله للمؤمنين من قتالهم و غنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ، وفي ذلك لامحالة إيلام لهم واستخفاف بهم .^(٢)

ونالها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كل ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي هي لهؤلاء الكفار والمنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة و جالبة للنفع والعوض ، ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر - قبل موته وعند

(١) النمل : ٢٨ .

(٢) قال بعد ذلك : و إنما أراد الله تعالى بذلك إعلام نبيه صلى الله عليه وآله و المؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم ، بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها ، إذ كانت هذه عاجلتهم ، والعقاب الآليم آجلتهم ، وهذا جواب أبي على الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال : كيف يصح هذا التأويل مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ، ولا يقدر على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة ، لمكان الذمة والعهد ؛ وليس هذا الاعتراض بشيء ، لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لازمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ، فاما الذين هم بحيث لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب ، لأنهم ممن أراد الله أن يسبي ويغنم ويجاهد ويغلب ، و ان لم يقع ذلك ، وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد . انتهى ج ٢ ص ١٥٣ .

احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيٌ - من العذاب الدائم الذي قد أعد له ، و
إعلامه أنه صائر إليه .

ورابعها أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض و الحقوق
في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة
فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً ، وفي هذا الوجه نظر .^(١)

(١) قال قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ، لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق
من ماله ، كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ، ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل
العذاب والجزاء ، لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ، والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة
واللطف في التكليف ، ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب
و الغوم تكون للمؤمنين محنة و للكافرين عقوبة ، لأن تلك الامور مما يجوز أن يكون وجه حسنها
للعقوبة والمحنة جميعاً ، ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد
وهو المصلحة في الدين ، فافترق الامر ان ، وليس لهم أن يقولوا : ليس التعذيب في إيجاب الفرائض
عليهم ، وإنما هو في إخراجهم لاموالهم على سبيل التكره والاستقلال ، وذلك أنه اذا كان الامر على
ما ذكرناه خرج الامر من أن يكون مراداً الله تعالى ، لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال
على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة و قربة ، فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد
ذلك ، فكيف يقول : إنما يريد الله ليعذبهم بها ؟ ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده
الله تعالى .

أقول : أورد شيخ الطائفة في التبيان وجوهاً آخر ، أولها ما حكى عن ابن زيد أن المعنى : إنما
يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها .

ثانيها : أن مفارقتها وتركها والخروج عنها بالموت صعب عليهم شديد ، لانهم يفارقون النعم ،
لا يدرون الى ماذا يصيرون بعد الموت ، فيكون حينئذ عذاباً عليهم ، بمعنى أن مفارقتها غم وعذاب ؛
و معنى تزهق أنفسهم أى تهلك و تذهب بالموت ، يقال : زهق بضاعة فلان أى ذهبت أجمع .

وأورد وجوهاً آخر متقاربة مع ما ذكره السيد رحمه الله وقال بعد ذلك : وليس في الآية ما يدل
على ان الله تعالى أراد الكفر على ما يقوله المجبرة ، لأن قوله : «وهم كافرون» في موضع الحال ،
كقولك : أريد أن نذمه فهو كافر ، وأريد أن نضربه وهو عاص ، و أنت لا تريد كفره ولا عصيانه ،
بل تريد ذمه في حال كفره وعصيانه ، وتقدير الآية : إنما يريد الله عذابهم و اذهاق أنفسهم ، أى
أى اهلاكها في حال كونهم كافرين . «التبيان ج ١ ص ٨٣٧» .

ثم أعلم أن جميع الوجوه التي حكيناها في هذه الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على أن الحياة الدنيا ظرف للعذاب ، وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه إذا لم نجعل الحياة ظرفاً للعذاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما ، لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد أنفسهما لا تكون عذاباً ، فالمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ، سواء كان إنفاقها ، أو المصيبة بها والغم عليها ، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها ؛ وكان تقدير الآية : إنما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها ، وإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله وتسخطه كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على الكفر ، فتقدير الكلام : إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك في الحياة الدنيا .

و أما قوله تعالى : « و تزهق أنفسهم وهم كفرون » فمعناه تبطل و تخرج أي أنهم يموتون على الكفر ، ليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يريد الحال نفسها على ما ظنوه .^(١) وقد ذكر في ذلك وجه آخر وهو أن لا يكون قوله : وهم كفرون ، حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون كأنه كلام مستأنف ، و التقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كله كفرون صائرون إلى النار ، و تكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ، ويكون معنى تزهق أنفسهم المشقة الشديدة والكلفة الصعبة .

أقول : قدمضى بعض الأخبار في معنى القدر والقضاء في باب البداء .

(١) قال : لان الواحد منا قديماً غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البنى وهم محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البنى للمؤمنين وان أراد قتلهم على هذه الحالة ، و كذلك قد يقول لغلامه : اريد أن تواظب على المصير إلى في السجن وأنا محبوس ، وللطبيب : صرالى ولازمى وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس ، وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين العاليتين .

﴿باب ٤﴾

﴿الاجال﴾

الايات ، آل عمران «٣» وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ١٤٥
«وقال تعالى» : يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هيهنا قل لو كنتم في يوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ١٥٤ .

الانعام «٦» هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم

تمترون ٣ .

الاعراف «٧» و لكل أمة أجلٌ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا

يستقدمون ٣٤ .

يونس «١٠» لكل أمة أجلٌ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٤٩

الحجر «١٥» وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلومٌ * ما تسبق من أمة

أجلها وما يستأخرون ٤ - ٥ .

النحل «١٦» ولويؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم

إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٦١ .

مريم «١٩» فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عدداً ٨٤ .

طه «٢٠» ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى ١٢٩ .

العنكبوت «٢٩» و لولا أجلٌ مسمى لجاءهم العذاب و ليأتينهم بغتة وهم لا

يشعرون ٥٣ .

فاطر «٣٥» وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على

الله يسير ١١ .

حمعسق «٤٢» ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ١٤ .

المنافقين «٦٣» ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ١١ .

نوح ٧١٠، ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ٤.

تفسير : قال الرازي في تفسيره : اختلفوا في تفسير الإذن :

الأول : أن يكون الإذن هو الأمر ، أي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح ، فلا يموت أحد إلا بهذا الأمر .

الثاني : أن المراد به الأمر التكويني كقوله تعالى : « أن نقول له كن فيكون » ولا يقدر على الحياة والموت أحد إلا الله .

الثالث : أن يكون الإذن هو التخلية والإطلاق ، وترك المنع بالقهر والإجبار وبه فسر قوله تعالى « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » أي بتخليته ، فإنّه تعالى قادر على المنع من ذلك بالقهر .

الرابع : أن يكون الإذن بمعنى العلم ، ومعناه أن نفساً لا تموت إلا في الوقت الذي علم الله موتها فيه .

الخامس : قال ابن عباس : الإذن : هو قضاء الله وقدره ، فإنّه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته ، والآية تدل على أن المقتول ميّت بأجله ، وأنّ تغيير الآجال ممتنع . انتهى .

قوله : لكان لنا من الأمر شيء ، أي من الظفر الذي وعدنا النبي ﷺ ، أولو كنّا مختارين لما خرجنا باختيارنا .

قوله تعالى : « لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » قال الطبرسي رحمه الله : فيه قولان : أحدهما أن معناه : لولزمتم منازلكم أيّها المنافقون والمترتابون لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين ، فيقتلون ويقتلون ولما تخلّفوا بتخلّفكم .

والثاني : أن معناه : لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أي كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت إلى مصارعهم ، وذلك أن ما علم الله كونه فإنّه يكون كما علمه لا محالة ، وليس في ذلك أن المشرّكين غير قادرين على

ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم وكتبه لأنّه كما علم أنّهم لا يختارون ذلك علم أنّهم قادرون ، ولو وجب ذلك لوجب أن لا يكون تعالى قادراً على ما علم أنّه لا يفعله ، و القول بذلك كفر .

وقال رحمه الله : في قوله تعالى : «ثم قضى أجلاً» أي كتب وقد راجلاً «وأجل مسمى عنده» قيل : فيه أقوال : أحدها أنّه يعني بالأجلين : أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث . وروى ابن عباس قال : قضى أجلاً من مولده إلى مماته ، وأجل مسمى عنده من الممات إلى البعث ، لا يعلم أحد ميقاته سواء ، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث ، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة ، وزاد في أجل المبعث ، قال : وذلك قوله : «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب» .

وثانيها أنّه الأجل الذي يحيي به أهل الدنيا إلى أن يموتوا ، وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنّها أجل ممدود دائم لا آخر له .
وثالثها : أنّ أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق ، وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين .

ورابعها : أنّ قوله : «قضى أجلاً» عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع عند اليقظة ، والأجل المسمى هو أجل الموت ؛ والأصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة ، وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل ، وما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمى أجلاً حقيقة ، ويجوز أن يسمى ذلك مجازاً ؛ وما جاء في الأخبار من أن صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأنّ الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك . وقال في قوله تعالى : «ولكل أمة أجل» : أي لكل جماعة وأهل عصر وقت لاستيصالهم . وقيل : المراد بالأجل أجل العمر الذي هو ملكة الحياة . قوله : «لا يستأخرون» أي لا يتأخرون ساعة من ذلك الوقت ولا يتقدمون ساعة . وقيل : معناه : لا يبطلون التأخير عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم ؛ ومعنى

جاء أجلهم : قرب أجلهم ، كما يقال : جاء الصيف : إذا قارب وقته .
قوله تعالى : «ولولا كلمة سبقت من ربك» أي في تأخير العذاب عن قومك وأنه لا يعذبهم وأنت فيهم لقضي بينهم أي لفرغ من عذابهم و استيصالهم ، وقيل : معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم .

١ - فس : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه ، والمسمى هو الذي فيه البداء ، يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير . «ص ١٨١»
فس : «إلا ولها كتاب معلوم» أي أجل مكتوب . «ص ٣٤٩»

٢ - فس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر عن يحيى الحلبي ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها» قال : إن عند الله كتباً موقوفةً يقدم منها ما يشاء ويؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل فيها كل شيء يكون إلى مثلها ^(١) فذلك قوله : «ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها» إذا أنزله و كتبه كتاب السماوات و هو الذي لا يؤخره . «ص ٦٨٢»

٣ - شي : عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : «ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده» قال : الأجل الذي غير مسمى موقوف ، يقدم منه ما شاء ، ويؤخر منه ما شاء ، وأما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل ، فذلك قول الله : «إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .
٤ - ما : وعن حمran ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المسمى ما سمي ملك الموت في تلك الليلة وهو الذي قال الله : «إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» والآخر له فيه المشيئة إن شاء قدمه وإن شاء أخره .

٥ - ما : الغضائري ، عن التلعكبري ، عن محمد بن همام ، عن محمد بن علي بن

(١) في المصدر : أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى ليلة مثلها . م

الحسين الهمداني، عن محمد بن خالد البرقي، عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت، يبقيه ما أحب البقاء، فإذا علم من أنه سيأتي بما فيه بوار دينه ^(١) قبضه إليه تعالى مكرهاً.

٦ - قال محمد بن همام: فذكرت هذا الحديث لأحمد بن علي بن حمزة مولى الطالبين وكان راوية للحديث ^(٢) فحدثني عن الحسين بن أسد الطفاوي، ^(٣) عن محمد بن القاسم عن فضيل بن يسار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالاحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار.

٧ - دعوات الراوندي: قال الصادق عليه السلام: يعيش الناس بأحسنهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم، ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بآجالهم.

٨ - النهج: قال عليه السلام: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنّة ^(٤) حصينة.

٩ - شى: عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: «قضى أجلاً وأجل مسمى» عنده، قال هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء وأجل محتوم.

١٠ - شى: عن حصين، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «قضى أجلاً وأجل مسمى» عنده قال: الأجل الأول هو الذي نبذه إلى الملائكة والرسول والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره عن الخلائق.

بيان: ظاهر بعض الأخبار كون الأجل الأول محتوماً والثاني موقوفاً، وبعضها بالعكس، ويمكن الجمع بأن المعنى أنه تعالى قضى أجلاً أخبر به أنبياءه وحججه عليهم السلام، وأخبر بأنه محتوم فلا يتطرق إليه التغير، وعنده أجل مسمى أخبر بخلافه غير محتوم، فهو الذي إذا أخبر بذلك المسمى يحصل منه البدء، فلذا قال تعالى:

(١) أى هلاك دينه. أقول: متن الحديث لا يخلو عن غرابة.

(٢) الراوية: الذي يروى الحديث والتاء فيه للمبالغة.

(٣) قال الفيروز آبادي في القاموس: الطفاوة بالضم: حى من قيس عيلان.

(٤) بضم الجيم: السترة، وكل ما وقى من السلاح.

«عنده» أي لم يطلع عليه أحداً بعد ، وإنما يطلق عليه المسمى لأنه بعد الإخبار يكون مسمى فما لم يسم فهو موقوف ، ومنه يكون البدء فيما أخبر لاعلى وجه الحتم ، و يحتمل أن يكون المراد بالمسمى ما سمي ووصف بأنه محتوم فالمعنى : قضى أجلاً محتوماً أي أخبر بكونه محتوماً . وأجلاً آخر وصف بكونه محتوماً عنده ولم يخبر الخلق بكونه محتوماً فيظهر منه أنه أخبر بشيء لاعلى وجه الحتم فهو غير المسمى لا الأجل الذي ذكر أولاً ، وحاصل الوجهين مع قربهما أن الأجلين كليهما محتومان ، أخبر بأحدهما ولم يخبر بالآخر ، ويظهر من الآية أجل آخر غير الأجلين وهو الموقوف ، ويمكن أن يكون الأجل الأول عامياً فيرتكب تكلف في خبر ابن مسكان بأنه قديكون محتوماً ، وظاهر أكثر الأخبار أن الأول موقوف والمسمى محتوم .

١١ - شى : عن حماد بن موسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام إنه سئل عن قول الله : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» قال : إن ذلك كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت ، فمن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء ، وذلك الدعاء مكتوب عليه : «الذي يرد به القضاء» حتى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً .

بيان : لعل المراد بكونه مكتوباً عليه أن هذا الحكم ثابت له حتى يوافق ما في اللوح من القضاء الحتمي ، فإذا وافقه فلا ينفع الدعاء ، و يحتمل أن يكون المعنى أن ذلك الدعاء الذي يرد به القضاء من الأسباب المقدرة أيضاً فلا ينافي الدعاء القدر والقضاء .

١٢ - شى : عن الحسين بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وآله : إن المرء ليصل رحمه و ما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وإن المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى . قال الحسين : و كان جعفر عليه السلام يتلو هذه الآية : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» .

١٣ - نهج : من كلامه عليه السلام - لما خوف من الغيلة - و إن عليّ من الله جنّة

حصينة ، فإذا جاء يومي انفرجت عني و أسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ
الكلم .^(١)

بيان : الغيلة : القتل على غفلة ؛ وطاش السهم : انحرف عن الغرض .

١٤ - نهج : قال عليه السلام : كفى بالأجل حارساً .

تذنيب : أقول : الأخبار الدالة على حقيقة الأجلين وتحقيقهما قدم في باب البدء
من كتاب التوحيد ، وقال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : أجل الحيوان الوقت
الذي علم الله بطلان حياته فيه ، والمقتول يجوز فيه الأمان لولاه ، و يجوز أن يكون
الأجل لطفاً للغير لا للمكلف .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه : اختلف الناس في المقتول لو لم يقتل فقالت المجبرة
إنه كان يموت قطعاً وهو قول أبي هذيل العلاف ، وقال بعض البغداديين : إنه كان
يعيش قطعاً ، وقال أكثر المحققين : إنه كان يجوز أن يعيش و يجوز أن يموت ، ثم
اختلفوا فقال قوم منهم : إن كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان وقال الجبائيان
وأصحابهما وأبو الحسين البصري : إن أجله هو الوقت الذي قتل فيه ، ليس له أجل آخر
لو لم يقتل فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقي بل تقديري ، واحتج الموجبون
لموته بأنه لولاه لزم خلاف معلوم الله تعالى وهو محال ، و احتج الموجبون لحياته بأنه
لومات لكان الذابح غنم غيره محسناً ولما وجب القود لأنه لم يفوت حياته .

والجواب عن الأول ما تقدم من أن العلم يؤثر في المعلوم ، وعن الثاني بمنع
الملازمة ، إذ لو ماتت الغنم استحق مالها عوضاً زائداً على الله تعالى فيذبحه فوته الأعواض
الزائدة ، و القود من حيث مخالفة الشارع إذ قتله حرام عليه وإن علم موته ، ولهذا لو
أخبر الصادق بموت زيد لم يجز لأحد قتله . ثم قال رحمه الله : ولا استبعاد في أن يكون
أجل الإنسان لطفاً لغيره من المكلفين ، ولا يمكن أن يكون لطفاً للمكلف نفسه لأن
الأجل يطلق على عمره وحياته ، ويطلق على أجل موته أمّا الأول فليس بلطف لأنه

(١) بفتح الكاف وسكون اللام أي لا يشفى الجرح .

تمكن له من التكليف ، واللطف زائد على التمكين ، وأمّا الثاني فهو قطع للتكليف فلا يصح أن يكلف بعده فيكون لطفاً له فيما يكلفه من بعد ، واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى . انتهى .

أقول : لا يخفى ما في قوله رحمه الله : العلم لا يؤثر ، فإنه غير مرتبط بالسؤال ، بل الجواب هو أنه يلزم خلاف العلم على هذا الفرض على أي حال فإن من علم الله أنه سيقول إذا مات بغير قتل كان خلاف ما علمه تعالى ، وأمّا علمه بموته على أي حال فليس بمسلم ؛ وأمّا قوله : واللطف لا يصح أن يكون لطفاً فيما مضى فيمكن منعه بأنه يمكن أن يكون لطفاً من حيث علم المكلف بوقوعه فيردعه عن ارتكاب كثير من المحرمات ، إلا أن يقال : اللطف هو العلم بوقوع أصل الموت فأمّا خصوص الأجل المعين فلعدم علمه به غالباً لا يكون لطفاً من هذه الجهة أيضاً ، ويمكن تطبيق كلام المصنف على هذا الوجه من غير تكلف .

﴿باب ه﴾

﴿الارزاق والأسعار (١)﴾

الآيات ، البقرة «٢» والله يرزق من يشاء بغير حساب ٢١٢ .
 آل عمران «٤٠» إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ٣٧ .
 هود «١١» وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ٦ .
 الرعد «١٣» الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ٢٦ .
 الاسرى «١٧» إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ٣٠ .

(١) الارزاق جمع الرزق ، وهو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره وليس لاحد منه منه ؛ وأما إطلاق الرزق على الممنوع والمحرم فسيأتي الكلام فيه مفصلاً من المصنف ؛ وأما الأسعار فهو جمع السعر بالكسر وهو الذي يقوم عليه الثمن ، وهو قد يرخص وقد يغلو ، و يأتي الكلام في أنهما مستندان إلى الله مطلقاً أو في بعض الاحيان .

الحج « ٢٢ » ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ٥٨ .

المؤمنين « ٢٣ » وهو خير الرازقين ٧٢ .

البور « ٢٤ » والله يرزق من يشاء بغير حساب . ٣٨

العنكبوت « ٢ » و كآيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها و إيماكم وهو

السميع العليم ٦ « و قال تعالى » : الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له إن الله بكل شيء عليم ٦٢ .

الروم « ٣٠ » أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن في ذلك لآيات

لقوم يؤمنون ٣٧ .

سبا « ٣٤ » قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله ٣٤ « وقال تعالى » : قل

إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٦ « وقال تعالى » :

قل : إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه

وهو خير الرازقين ٣٩ .

الزمر « ٣٩ » أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن في ذلك لآيات

لقوم يؤمنون ٥٢ .

حمسق « ٤٢ » له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إنه

بكل شيء عليم ١٢ « وقال تعالى » : ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل

بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ٢٧ .

الزخرف « ٤٣ » أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة

الدنيا ٣٢ .

الذاريات « ٥١ » وفي السماء رزقكم وما توعدون ☆ فو رب السماء و الأرض

إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ٢٢-٢٣ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب »

قيل : فيه أقوال : أحدها أن معناه : يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب

من كثرته .

وثانيها : أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابلة أعمالهم وإيمانهم وكفرهم ، فلا يدلُّ بسط الرزق على الكفّار على منزلتهم عند الله ، وإن قلنا : إن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً .

وثالثها : أنه يعطيه عطاءً لا يأخذه بذلك أحد ، ولا يسأله عنه سائل ، ولا يطلب عليه جزاءً ولا مكافأة .

ورابعها : أنه يعطيه من العدد الشيء الذي لا يضبط بالحساب ولا يأتي عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطي الشيء لامن عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطي الألف من الألفين والعشرة من المائة .

وخامسها : أن معناه : يعطي أهل الجنة ما لا يتناهى ولا يأتي عليه الحساب . وقال البيضاوي في قوله تعالى : « وفي السماء رزقكم » : أي أسباب رزقكم أو تقديره . وقيل : المراد بالسماء السحاب ، وبالرزق المطر لأنه سبب الأقوات ، « وما توعدون » من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة ، أو لأن الأعمال و ثوابها مكتوبة مقدرة في السماء ، وقيل : إنه مستأنف خبره : « فرب السماء والأرض إنه لحق » وعلى هذا فالضمير « لما » وعلى الأول يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعيد . « مثل ما أنكم تنطقون » أي مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في تحقق ذلك انتهى .

وقال الوالد العلامة رحمه الله : يحتمل أن يكون التشبيه من حيث اتصال النطق وفيضان المعاني من المبدء بقدر الحاجة من غير علم بموضعه ومحل وروده فيكون التشبيه أكمل .

١ - ب : ابن طريف ، عن ابن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الرزق لينزل ^(١) من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدر لها ، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله . « ص ٥٥ »

٢ - ن : محمد بن القاسم المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن بعض أهل مجلسه فقيل : عليل ، فقصده عائداً و جلس عند رأسه فوجده دنفاً ، ^(١) فقال له : أحسن ظنك بالله ، قال : أمّا ظنّي بالله فحسن ، و لكن غمّي لبناتي ما أمرضني غير غمّي بهن ، فقال الصادق عليه السلام : الذي ترجوه لتضعيف حسناتك و محو سيئاتك فارجه لا صلاح حال بناتك أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا جاوزت سدرّة المنتهى ^(٢) و بلغت أغصانها و قضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أنداء معلقة يقطر من بعضها اللبن ، و من بعضها العسل ، و من بعضها الدهن ، و يخرج عن بعضها شبه دقيق السميد ، و عن بعضها الثياب ، ^(٣) و عن بعضها كالنبق ^(٤) فيهوي ذلك كله نحو الأرض ، فقلت في نفسي : أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأنداء ؟ و ذلك أنّه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته ، واختزل دوني ، فناداني ربّي عزّ و جلّ في سرّي : يا محمد هذه أنبتّها من هذا المكان الأرفع لأغزو منها بنات المؤمنين من أمّتك و بنيتهم فقلّ لآباء البنات : لاتضيّقن صدوركم على فاقتهنّ فإني كما خلقتهنّ أرزقهنّ . « ص ١٧٩ - ١٨٠ »

بيان : السميد بالذال المعجمة والمهملة الدقيق الأبيض ؛ والاختزال : الانفراد والاقتطاع .

٣ - شي : عن إسماعيل بن كثير رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : لمّا نزلت هذه الآية : « واسألوا الله من فضله » . قال : فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله : ما هذا الفضل ؟ أيكم

(١) بفتح الدال وكسر النون : من لازمه المرض .

(٢) هي في السماء السابعة ، قيل : هي شجرة في أقصى الجنة ، إليها ينتهي علم الاولين والآخرين ولا يتعداها . وقيل : شجرة نبق عن يمين العرش ، وفي الحديث : سميت سدرّة المنتهى لان أعمال أهل الارض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرّة و الحفظة الكرام البررة دون السدرّة يكتبون ما يرفع اليهم الملائكة من أعمال العباد في الارض فينتهون بها الى محل السدرّة .

(٣) في المصدر : النبات . م

(٤) النبق : حمل شجر السدر .

يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ قال: فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا أسأله فسأله عن ذلك الفضل ماهو؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله خلق خلقه وقسم لهم أرزاقهم من حلها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به.

٤ - نهج: قال عليه السلام: الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأت أهلك، فلا تحمل همّ سنتك على همّ يومك، كفاك كل يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى جدّه سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطيء عنك ما قد قدّر لك؟

٥ - شى: عن ابن الهذيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله قسم الأرزاق بين عباده وأفضل فضلاً كبيراً لم يقسمه بين أحد قال الله: «واسألوا الله من فضله».

٦ - شى: عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير.

٧ - شى: عن الحسين بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنهم يقولون: إن النوم بعد الفجر مكروه لأن الأرزاق تقسم في ذلك الوقت فقال: الأرزاق موزونة مقسومة، والله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله: «واسألوا الله من فضله» ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض.

٨ - ك: العدة عن سهل، عن ابن يزيد، عن محمد بن أسلم، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلة، ولا يرخص من كثرة (ج ١ ف ص ٣٧٤).^(١)

(١) غلا السعر: ارتفع الثمن وزاد عما جرت به العادة. و رخص: انحط عما جرت به العادة.

٩ - كا : محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن ابن معروف ، عن الحجاج ، عن بعض أصحابه ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل وكل ملكاً بالسعر يدبره بأمره . « ج ١ ف ص ٣٧٤ »

١٠ - كا : العدة ، عن سهل ، عن ابن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله وكل ملكاً بالأسعار يدبرها . « ج ١ ف ص ٣٧٤ »

١١ - نهج : وقد رآه رزاق فكثرتها وقللها ، وقسمها على الضيق والسعة ، فعدل فيها ليعتلي من أراد بميسورها ومعسورها ، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ، ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها ، ويفرج أفراجها غصص أتراحها ، وخلق الآجال فأطالها وقصرها ، وقدّمها وأخرها ، ووصل بالموت أسبابها ، وجعله خالجا لا شطانها ، وقاطعاً لمرائر أقرانها .

بيان : العقابيل : بقايا المرض ، واحدها عقبول ، والأتراح : الغموم ، والخلج : الجذب ، والشطن : الحبل ، والمرائر : الحبال المقتولة على أكثر من طاق ، والأقران : الحبال .

١٢ - عدة : روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » قال : هو قول الرجل : لولا فلان لهلك ، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ؛ ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ؟ قلت : فنقول : لولا أن الله من علي بفلان لهلك ، قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه .

١٣ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، وعدة من أصحابنا ؛ عن سهل بن زياد عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ، ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله ، ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذ من

غير حله قصر به من رزقه الحلال و حوسب عليه . « ج ٢ ف ص ٣٥٠ »
 بيان : أقول : سيأتي أكثر الآيات والأخبار المتعلقة بهذا الباب في كتاب المكاسب
 و النفث : النفع ، و الروح بالضم : العقل والقلب ، والإجمال في الطلب : ترك المبالغة
 فيه ، ^(١) أي اتقوا الله في هذا الكد الفاحش ، أو المعنى أنكم إذا اتقيتم الله لا تحتاجون
 إلى هذا الكد والتعب لقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث
 لا يحتسب » ^(٢) وهتك الستر : تمزيقه وخرقه .

ثم الظاهر من هذا الخبر وغيره من الأخبار أن الله تعالى قدر في الصحف
 السماوية لكل بشر رزقاً حلالاً بقدر ما يكفيه بحيث إذا لم يرتكب الحرام و طلب
 من الحلال سبب له ذلك و يسره له ، و إذا ارتكب الحرام فبقدر ذلك يمنع مما
 قدر له . ^(٣)

(١) والاعتدال وعدم الإفراط فيه .

(٢) الطلاق : ٣ .

(٣) لا شك أن ما نشاهده من الموجودات أعم من الجماد والنبات والحيوان والإنسان لا يكفيها أصل
 الوجود للبقاء بل تستمد في بقائها بأمور آخر خارجة من وجودها إما بضمها إلى أنفسها بالاحتياجات و
 الاغذاء أو بوجه آخر بالايواء واللبس والتناسل ونحوها . وهذا المعنى في الإنسان وسائر أقسام
 الحيوان أوضح ، وهو الرزق الذي عليه يتوقف بقاء أقسام الحيوان من غير فرق في ذلك بينها
 أصلاً ، وقد قال تعالى : « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » الآية ، فالرزق مما لا يستغنى عنه
 موجود في بقائه ، واذ خلق الله هذه الأشياء لبقاء ما فقد خلق لها رزقاً ، فاستناد البقاء إليه تعالى يوجب
 استناد الرزق إليه من غير شك قال تعالى : « فو رب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » الآية ، و
 كون الرزق بهذا المعنى أمراً تكوينياً غير مربوط بعالم التكليف كالشمس في دائرة النهار فان الحدوث
 والبقاء ولوازم كل منهما أمور تكوينية بلا ريب .

ثم ان الإنسان لما تعلق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالارزاق كالأكل والشرب والنكاح
 واللباس ونحوها ، والرزق مما يضطر إليه تكويناً كان لازم ذلك أن لا يتعلق الحرمة والمنع الا
 بما له مندوحة والا كان تكليفاً بما لا يطاق قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الآية ، وقال :
 « ان الله لا يامر بالفحشاء » الآية ، وكان لازم ذلك أن في موارد المحرمات أرزاقاً إلهية محللة هي المندوحة
 للبعد وهي الارزاق المنسوبة إليه تعالى بحسب النظر التشريعي دون المحرمات . فتحصل أن الرزق
 رزقان رزق تكويني وهو كل ما يستمد به موجود في بقائه كيف كان ، ورزق تشريعي ، وهو الحلال
 الذي يستمد به الإنسان في الحياة دون الحرام فانه ليس برزق منه تعالى ؛ هذا هو الذي يتحصل من
 الكتاب والسنة بعد التدبر فيهما . ط

قال الشيخ البهائي قدس الله روحه في شرح هذا الحديث : الرزق عند الأشاعرة كل ما انتفع به حي ، سواء كان بالتغذي أو غيره ، مباحاً كان أولاً ، وخصه بعضهم بما تربى به الحيوان من الأغذية والأشربة ، وعند المعتزلة هو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره ، وليس لأحد منعه منه فليس الحرام رزقاً عندهم ، وقال الأشاعرة في الرد عليهم : لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المغتذي طول عمره بالحرام مرزوقاً ، وليس كذلك لقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها »^(١) وفيه نظر فإن الرزق عند المعتزلة أعم من الغذاء وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل ، فالمغتذي طول عمره بالحرام إنما يرد عليهم لو لم ينتفع مدة عمره بشيء انتفاعاً محللاً ، ولو بشرب الماء والتنفس في الهواء ، بل ولا تمكن من الانتفاع بذلك أصلاً ، وظاهر أن هذا مما لا يوجد ، وأيضاً فلهم أن يقولوا : لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محللاً ولا محرماً يلزم أن يكون غير مرزوق ، فما هو جوابكم فهو جوابنا ؛ هذا ، ولا يخفى أن الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة ، والمعتزلة تمسكوا بهذا الحديث ، وهو صريح في مدعاهم غير قابل للتأويل ، والأشاعرة تمسكوا بما روه عن صفوان بن أمية قال : كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرّة فقال : يا رسول الله إن الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أَرْزُقُ إلا من دَفِي بكفّي ، فاذن في الغناء من غير فاحشة ؛ فقال ﷺ : لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدو الله لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم عليك من رزقه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، أما إنك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً . والمعتزلة يطعنون في سند هذا الحديث تارةً ويأولونه على تقدير سلامته أخرى بأن سياق الكلام يقتضي أن يقال : فاخترت ما حرم الله عليك من حرامه مكان ما أحلّ الله لك من حلاله ، وإنما قال ﷺ : من رزقه مكان من حرامه ، فأطلق على الحرام اسم الرزق بمشاكلة قوله : فلا أراني أَرْزُقُ ، وقوله ﷺ : لقد رزقك الله ، و تمسك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون »^(٢) قال الشيخ في التبيان

(١) هود : ٦ .

(٢) البقرة : ٣ .

ما حاصله : أن هذه الآية تدلّ على أن الحرام ليس رزقاً لأنّه سبحانه مدحهم بالإِنفاق من الرزق ، والإِنفاق من الحرام لا يوجب المدح ، وقد يقال : إنّ تقديم الظرف يفيد الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضريين : ما رزقه الله ، وما لم يرزقه وإنّ المدح إنّما هو على الإِنفاق ممّا رزقهم وهو الحلال ، لا ممّا سوّات لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كلّ ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر فتأمّل . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول : إن كان المراد بقولهم : رزقهم الله الحرام أنّه خلقه ومكّنهم من التصرف فيه فلا نزاع في أن الله رزقهم بهذا المعنى ، وإن كان المعنى أنّه المؤثّر في أفعالهم وتصرفاتهم في الحرام فهذا إنّما يستقيم على أصلهم الذي ثبت بطلانه ، وإن كان الرزق بمعنى التمكين وعدم المنع من التصرف فيه بوجه فظاهر أن الحرام ليس برزق بهذا المعنى على مذهب من المذاهب ، وإن كان المعنى أنّه قدّر تصرفهم فيه بأحد المعاني التي مضت في القضاء والقدر ، أو خذلهم ولم يصرفهم جبراً عن ذلك فبهذا المعنى يصدق أنّه رزقهم الحرام ؛ وأمّا ظواهر الآيات والأخبار الواردة في ذلك فلا يريب عاقل في أنّها منصرفة إلى الحلال ، كما أوّمانا إلى معناه سابقاً .

وأمّا الأسعار فقد ذهبت الأشاعرة إلى أنّه ليس المسعّر إلّا الله تعالى ، بناءً على أصلهم من أن لا مؤثّر في الوجود إلّا الله . وأمّا الإماميّة والمعتزلة فقد ذهبوا إلى أن الغلاء والرخص قد يكونان بأسباب راجعة إلى الله ، وقد يكونان بأسباب ترجع إلى اختيار العباد ؛ وأمّا الأخبار الدالّة على أنّهما من الله فالمعنى أن أكثر أسبابهما راجعة إلى قدرة الله ، أو أن الله تعالى لمّا لم يصرف العباد عمّا يختارونه من ذلك مع ما يحدث في نفوسهم من كثرة رغباتهم ، أو غناهم بحسب المصالح فكأنّهما وقعا بإرادته تعالى ، كما مرّ القول فيما وقع من الآيات والأخبار الدالّة على أن أفعال العباد بإرادة الله تعالى ومشيتة ، وهدايته وإضلاله ، وتوفيقه وخذلانه ؛ ويمكن حمل تلك الأخبار على المنع من التسعير والنهي عنه ؛ بل يلزم الوالي أن لا يجبر الناس على السعر ويتركهم واختيارهم ، فيجري السعر على ما يريد الله تعالى .

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : السعر هو تقدير العوض الذي يباع به الشيء ، وليس هو الثمن ولا المثلن ، وهو ينقسم إلى رخص و غلاء ، فالرخص هو السعر المنحط عما جرت به العادة مع اتّحاد الوقت والمكان ، و الغلاء زيادة السعر عما جرت به العادة مع اتّحاد الوقت و المكان ، وإنّما اعتبرنا الزمان و المكان لأنّه لا يقال : إنّ الثلج قد رخص سعره في الشتاء عند نزوله لأنّه ليس أوان سعره ، ويجوز أن يقال : رخص في الصيف إذا نقص سعره عما جرت عادته في ذلك الوقت ، ولا يقال : رخص سعره في الجبال التي يدوم نزوله فيها لأنّها ليست مكان بيعه ، ويجوز أن يقال : رخص سعره في البلاد التي اعتيد بيعه فيها ، واعلم أنّ كلّ واحد من الرخص والغلاء قد يكون من قبله تعالى بأن يقلل جنس المتاع المعين ، ويكثر رغبة الناس إليه فيحصل الغلاء لمصلحة المكلفين ، وقد يكثر جنس ذلك المتاع ويقلل رغبة الناس إليه تفضلاً منه و إنعاماً ، أو لمصلحة دينيّة فيحصل الرخص ، وقد يحصلان من قبلنا بأن يحمل السلطان الناس على بيع جميع تلك السلعة بسعر غالٍ ظلماً منه ، أو لاحتكار الناس ، أو لمنع الطريق خوف الظلمة ، أو لغير ذلك من الأسباب المستند إلينا فيحصل الغلاء ، وقد يحمل السلطان الناس على بيع السلعة برخص ظلماً منه ، أو يحملهم على بيع ما في أيديهم من جنس ذلك المتاع فيحصل الرخص .

﴿باب ٦﴾

﴿السعادة والشقاوة والخير والشر وخالفهما و مقدرهما﴾

الآيات ، هود « ١١ » فمنهم شقي وسعيد ﴿ فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ إلى قوله تعالى : « و أمّا الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها . الآية ١٠٥ - ١٠٨ .

المؤمنين « ٢٣ » ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالّين ١٠٥ - ١٠٦ .

الزمر « ٣٩ » وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ٧١.
التغابن ٦٤ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ٣.

تفسير : قال البيضاوي : «فمنهم شقي» وجبت له النار بمقتضى الوعيد «وسعيد»
وجبت له الجنة بموجب الوعد.

وقال الطبرسي رحمه الله : «غلبت علينا شقوتنا» أي شقاوتنا وهي المضرة اللاحقة
في العاقبة ، والسعادة : المنفعة اللاحقة في العاقبة ، والمعنى : استعلت علينا سيئاتنا التي
أوجبت لنا الشقاوة .

وقال الزمخشري : قالوا : بلى أتونا وتلوا علينا ، ولكن وجبت علينا كلمة الله بسوء
أعمالنا كما قالوا : «غلبت علينا شقوتنا» فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر
والضلال .

١ - لى : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن صفوان بن يحيى ، عن الكنانى ، عن
الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الشقي من شقي في بطن أمه . الخبر .
٢ - ب : محمد بن عيسى ، عن القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : خرج
رسول الله صلى الله عليه وآله قابضاً على^(١) شيئين في يده ، ففتح يده اليمنى ثم قال :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كتاب من الرحمن الرحيم في أهل الجنة بأعدادهم وأحسابهم
وأنسابهم مجمل^(٢) عليهم ، لا ينقص منهم أحد ، ولا يزداد فيهم أحد . ثم فتح يده
اليسرى فقال : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتاب من الرحمن الرحيم في أهل النار بأعدادهم وأحسابهم
وأنسابهم مجمل^(٣) عليهم إلى يوم القيامة لا ينقص منهم أحد ، ولا يزداد فيهم أحد ، وقد
يسلك بالسعداء طريق الأشقياء حتى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ! ثم يدرك
أحدهم سعادته قبل موته ولو بفراق ناقة ، وقد يسلك بالأشقياء طريق أهل السعادة
حتى يقال : هم منهم ، هم هم ، ما أشبههم بهم ، ثم يدرك أحدهم شقاؤه ولو قبل موته ولو بفراق
ناقة ، فقال النبي ﷺ : العمل بخواتيمه ، العمل بخواتيمه .^(٤) «ص ١٣»

(١) في المصدر : قابضاً شيئين بدون على .

(٢) في نسخة : يجمل .

(٤) سيأتي الحديث بالفاظ أخرى تحت رقم ١٣ و ١٥٩ .

بيان : قال الجزري : في حديث القدر : كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأهل النار أُجمل على آخرهم ، تقول : أجملت الحساب : إذا جمعت آحاده وكمّلت أفراده ، أي اُحصوا فلا يزداد فيهم ولا ينقص . وقال الفيروز آبادي : الفواق كغراب : ما بين الحلبتين من الوقت ، ويفتح ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

٣ - ب : ابن عيسى ، عن البرزطي قال : سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله لامرأة من أهلنا بها حمل : فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : الدعاء ما لم يمض أربعة أشهر ؛ فقلت له : إنما لها أقل من هذا فدعا لها ، ثم قال : إن النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً ، و تكون علقة ثلاثين يوماً ، و تكون مضغة ثلاثين يوماً ، و تكون مخلقة وغير مخلقة ثلاثين يوماً ، وإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلّاقين يصورانها ، و يكتبان رزقه وأجله شقيماً أو سعيداً « ص ١٥٤ - ١٥٥ »

بيان : قال البيضاوي في قوله تعالى : « مخلقة وغير مخلقة » : مسوّاة لانقص فيها ولا عيب وغير مسوّاة ؛ أو تامّة وساقطة ؛ أو مصوّرة وغير مصوّرة انتهى .

أقول : لعل المراد بالخبر أن في ثلاثين يوماً بعد المضغة إمّا أن يبدأ في تصويره بخلق عظامه ، أو يسقط ، أو إمّا أن يسوّى بحيث لا يكون فيه عيب ، أو يجعل حيث يكون فيه عيب . ثم أعلم أن هذا الخبر يمكن أن يكون تفسيراً لقوله صلى الله عليه وآله : الشقي من شقي في بطن أمّه ؛ أي يكتب شقاوته ، وما يؤول إليه أمره عليه في ذلك الوقت .

٤ - ب : بالإسناد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : جفّ القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن و اتقى ، و الشقاوة من الله تبارك و تعالى لمن كذب و عصى . « ص ١٥٦ »

٥ - ل : ما جيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن وهب بن وهب ، عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام أنه قال : حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة ، و حقيقة الشقاء أن يختم المرء عمله بالشقاء .

٦ - ع : المظفر العلوي ، عن جعفر بن محمد بن مسعود ، عن أبيه ، عن علي بن الحسن ، عن محمد بن عبد الله بن زرارة ، عن علي بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين

صلوات الله عليه قال : تعتلج النطفتان ^(١) في الرحم فأيتتهما كانت أكثر جاءت تشبهها ، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله ، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه . وقال : تحوّل النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله عز وجل فففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ، ثم يبعث الله عز وجل ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عز وجل فيقف منه ما شاء الله ، ^(٢) فيقول : يا إلهي أذكر أم أنثى ؟ فيوحي الله عز وجل ^(٣) من ذلك ما يشاء ويكتب الملك ، ثم يقول : إلهي أشقي أم سعيد ؟ فيوحي الله عز وجل من ذلك ما يشاء ويكتب الملك ، فيقول : اللهم كم رزقه وما أجله ؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ، ثم يرجع به فيردّه في الرحم ؛ فذلك قول الله عز وجل : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها » . « ص ٤٣ »

٧ - ن : المفسر بإسناده إلى أبي محمد عليه السلام قال : قال الرضا عليه السلام : قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله : يا رسول الله هلك فلان ، يعمل من الذنوب كيت وكيت ، ^(٤) فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى ، وسيمحو الله عنه السيئات ، ويبدّلها له حسنات إنّه كان مرة يمرّ في طريق عرض له مؤمن قد انكشف عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل ، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له : أجزل الله لك الثواب ، ^(٥) وأكرم لك المطّاب ، ^(٦) ولا ناقشك الحساب ^(٧)

(١) اعتلجت الوحش : تضاربت ، واعتلج القوم : اقتتلوا واصططروا . أقول : فيه إيعاز منه عليه السلام إلى وجود الحيوانات الصغار الحية في النطفة .

(٢) في المصدر : حيث يشاء الله . م

(٣) بفتح التاء وقد يكرر : يكتنى بها عن الحديث والخبر ، و تستعملان بدون الواو أيضاً ولا تستعملان الا مكررتين .

(٤) في نسخة : فيوحي الله عز وجل اليه .

(٥) أي أكثره وأوسع .

(٦) المطّاب : المرجع والمنقلب .

(٧) ناقشه الحساب وفي الحساب : استقصى في حسابه .

فاستجاب الله له فيه ، فهذا العبد لا يختتم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن ، فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة الله عز وجل فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أغير على سرح المدينة ^(١) فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم ^(٢) جماعة ذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم .

٨ - يد : الدقاق ، عن الكليني ، عن علي بن محمد ، رفعه ، عن شعيب التمرقوفي عن أبي بصير قال : كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالسا وقد سأله سائل فقال : جعلت فداك يا بن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم لهم في علمه بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : أيها السائل علم الله عز وجل أن لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما علم بذلك وهب لأهل محبته ^(٣) القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ولم يمنعهم إطاقة القبول منه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق فوافقوا ما سبق لهم في علمه ، وإن قدروا ^(٤) أن يأتوا خلا لا ينجيهم عن معصيته وهو معنى شاء ما شاء وهو سر . ص ٣٦٥-٣٦٦ ، بيان : هذا الخبر مأخوذ من الكافي ، وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق وإنه إنما فعل ذلك ليوافق مذهب أهل العدل ^(٥) ، وفي الكافي هكذا : أيها السائل حكم الله عز وجل لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهل له ، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه ، ولم يقدرُوا أن يأتوا حالا تنجيهم من عذابه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سر .

قوله عليه السلام : لا يقوم أحد أي تكاليفه تعالى شاقمة لا يتيسر الإتيان بها إلا بهدايته

(١) أغار عليهم : هجم وأوقع بهم . سرح المدينة : فنائها .

(٢) بفتح الهمزة وكسرها : بعدهم .

(٣) الموجود في التوحيد المطبوع هكذا : وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهل له ، وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم إه . فالظاهر أنها كانت ساقطة عن نسخته قدس سره .

(٤) في نسخة كما في التوحيد المطبوع : ولم يقدرُوا .

(٥) هذا البيان ناش عن سقوط سطر من نسخة المؤلف - رحمه الله - والصدوق (ره) أنبت واضبط .

تعالى ؛ أو كيفية حكم الله وقضائه في غابة الغموض ، لاتصل إليها عقول أكثر الخلق .
قوله ﷺ : ومنعهم إطاقة القبول قيل : هو مصدر مضاف إلى الفاعل أي منعوا أنفسهم
إطاقة القبول ، و الظاهر أنه على صيغة الماضي أي منع الله منهم غاية الوسع و الطاقة
بالأ لطف والهدايات التي يستحقها أهل الطاعة بنياتهم الحسنة لأنه سلبهم القدرة
على الفعل والله يعلم .

٩ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطاب ، عن ابن أسباط ، عن
البطائي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل : « قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا » قال : بأعمالهم شقوا . « ص ٣٦٦ »

١٠ - يد : محمد بن أحمد العلوي ، عن ابن قتيبة ، عن الفضل ، عن ابن أبي عمير قال :
سألت أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ عن معنى قول رسول الله ﷺ : الشقي من شقي
في بطن أمه و السعيد من سعد في بطن أمه ؛ فقال : الشقي من علم الله ^(١) وهو في بطن
أمه أنه سيعمل أعمال الأ شقياء ، و السعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل
أعمال السعداء . قلت له : فما معنى قوله ﷺ : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ فقال :
إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه ، وذلك قوله عز وجل
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فيسر كلاً لما خلق له ، فالويل لمن استحب العمى
على الهدى . « ص ٣٦٦ »

١١ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن يزيد ، عن صفوان ، عن ابن حازم
عن أبي عبد الله ﷺ قال : إن الله عز وجل خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه
فمن علمه الله ^(٢) سعيداً لم يبغضه أبداً . وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه ، وإن علمه
شقيماً لم يحبه أبداً ، وإن عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير إليه ، فإذا أحب الله
شيئاً لم يبغضه أبداً ، وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً . « ٣٦٧ »
سن : أبي ، عن صفوان مثله . ص « ٢٧٩ »

(١) في المصدر : من علمه الله وكذا في قوله عليه السلام : والسعيد من علم الله . م

(٢) في المحاسن فمن خلقه الله . م

بيان : خلق السعادة والشقاوة أي قدرهما بتقدير التكاليف الموجه لهما . قوله عليه السلام : فمن علمه الله سعيداً في الكافي : فمن خلقه الله أي قدره بأن علمه كذلك ، وأثبت حاله في اللوح أو خلقه حال كونه عالماً بأنّه سعيدٌ .

١٢ - يد : ابن الوليد ، عن الصفار و سعد معاً ، عن أيوب بن نوح ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» قال : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق . وقد قيل : إن الله تعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت ، ^(١) وقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة ، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء . «ص ٣٦٧-٣٦٨»

١٣ - ير : إبراهيم بن هاشم ، عن الحسين بن سيف ، عن أبيه ، عن أبي القاسم ، عن محمد بن عبد الله قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه فقال : أتدرون ما في كفي؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : فيها أسماء أهل الجنة ، وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثم رفع يده اليسرى فقال : أيها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم ، وقبائلهم إلى يوم القيامة ؛ ثم قال : حكم الله وعدل ، وحكم الله وعدل ، فريق في الجنة وفريق في السعير . ^(٢)

١٤ - سن : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن ابن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيحب الله العبد ثم يبغضه؟ أو يبغضه ثم يحبّه؟ فقال : ما تزال تأتيني بشيء! فقلت : هذا ديني وبه أخاصم الناس ، فإن نهيتني عنه تركته . ثم قلت له : هل أبغض الله محمداً صلّى الله عليه وآله على حال من الحالات؟ فقال : لو أبغضه على حال من الحالات لما ألطف له حتى أخرجه من حال إلى حال فجعله نبياً؛ فقلت : ألم تجبني منذ سنين عن الشقاوة والسعادة أنهما كانا قبل أن يخلق الله الخلق؟ قال : بلى وأنا الساعة أقوله ؛ قلت : فأخبرني عن السعيد هل أبغضه الله على حال من الحالات؟ فقال : لو أبغضه على حال من

(١) الظاهر أن جملة «وقد قيل إن الله الخ» من كلام الصدوق مدرجة بين الحديثين .

(٢) تقدم الحديث بالفاظ أخرى تحت رقم ٢ ويأتي بعد أيضاً .

الحالات لما أطف له حتى يخرج من حال إلى حال فيجعله سعيداً ؛ قلت : فأخبرني عن الشقي هل أحبه الله على حال من الحالات ؟ فقال : لو أحبه على حال من الحالات ما تركه شقيّاً ولا استنقذه من الشقاء إلى السعادة ؛ قلت : فهل يبغض الله العبد ثم يحبّه أو يحبّه ثم يبغضه ؟ فقال : لا . « ص ٢٧٩ - ٢٨٠ »

١٥ - سن : النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن معلى أبي عثمان ، عن علي بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اختصم رجلان بالمدينة : قدري و رجل من أهل مكة فجعلوا أبا عبد الله عليه السلام بينهما فأتياه فذكرا كلامهما فقال : إن شئتما أخبرتكما بقول رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالا : قد شئنا ، فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : كتاب كتبه الله يمينه - و كلتا يديه يمين - فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم و أسماء آبائهم وعشائهم ويجمع عليهم ^(١) ، لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً ^(٢) ، وقد يسلك بالسعيد في طريق الأ شقياء حتى يقول الناس : كان ^(٣) منهم ، ما أشبهه بهم ! بل هو منهم ، ثم تداركه السعادة ؛ وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس : ما أشبهه بهم ! بل هو منهم ، ثم يتداركه الشقاء ، من كتبه الله سعيداً ولو لم يبق من الدنيا ^(٤) إلا فواق ناقة ختم الله له بالسعادة . « ص ٢٨٠ »

يد : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن معلى أبي عثمان ، عن ابن حنظلة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يسلك بالسعيد طريق الأ شقياء إلى آخر الخبر . « ص ٣٦٦ - ٣٦٧ »

١٦ - سن ابن فضال ، عن مثني الحنطاط ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلق قوماً يحببنا ، وخلق قوماً لبغضنا ، فلو أن الذين خلقهم

(١) في المصدر: مجمل عليهم ، بدون الواو .

(٢) في المصدر: ولا ينقص منهم احداً أبداً. وكتاب كتبه الله فيه أسماء أهل النار بأسمائهم وأسماء

آبائهم وعشائهم مجمل عليهم لا يزيد فيهم رجلاً ولا ينقص منهم رجلاً . م

(٣) في المصدر: كانه منهم . م

(٤) في المصدر: من الدنيا شيء . م

لحببنا خرجوا من هذا الأمر إلى غيره لأعاديهم إليه و إن رغمت آناهم ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبوننا أبداً . «ص ٢٨٠» .

١٧ - سن : الوشاء ، عن مثنى ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله خلق خلقه ، فخلق خلقاً لحببنا لو أن أحداً خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه ، وإن رغم أنفه ، وخلق قوماً لبغضنا فلا يحبوننا أبداً .^(١) «ص ٢٨٠»

١٨ - سن : ابن محبوب ، وعلي بن الحكم ، عن معاوية بن وهب ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن ممّا أوحى الله إلى موسى وأنزل في التوراة : إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخلق و خلقت الخير و أجرته على يدي من أحب ، فطوبى لمن أجرته على يديه ، وأنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق و خلقت الشر و أجرته على يدي من أريد فويل لمن أجرته على يديه . «ص ٢٨٣»

١٩ - سن : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حكيم ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن في بعض ما أنزل الله في كتبه : إنني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخير و خلقت الشر فطوبى لمن أجرته على يديه الخير ، وويل لمن أجرته على يديه الشر ، وويل لمن قال : كيف ذا ؟ . وكيف ذا ؟ «ص ٢٨٣»

٢٠ - سن : محمد بن سنان ، عن حسين بن أبي عبيد ، وعمر والفرق الخياط ،^(٢) و عبد الله بن مسكان كلهم ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله يقول : أنا الله لا إله إلا أنا ، خالق الخير و الشر ، و هما خلقان من خلقي ، فطوبى لمن قدرّ له الخير : و ويل لمن قدرّ له الشر ، و ويل لمن قال : كيف ذا ؟ . «ص ٢٨٣»

(١) اتحاده مع ما قبله ظاهر . وليس في المصدر : إليه .

(٢) أورده الشيخ في كتابه الفهرست و استظهر الميرزا كونه عمرو بن خالد الحنط الإفريق

المترجم في رجال النجاشي بقوله : عمرو بن خالد الحنط ، لقبه الإفريق ، مولى ، ثقة ، عين ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب اه و أما الحسين بن أبي عبيد فلم نظفر بترجمته .

٢١ - سن : الحسن بن علي^(١)، عن داود بن سليمان الجمال^(٢) قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر عنده القدر وكلام الاستطاعة - فقال : هذا كلام خبيث ، أنا على دين آبائي ، لا أرجع عنه ، القدر حلوه ومره من الله ، والخير والشر كله من الله . « ج ١ ص ٢٨٣ »

٢٢ - سن : أبو شعيب المحاملي^(٣)، عن أبي سليمان الحمار^(٤)، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شيء من الاستطاعة فقال : يا أبا محمد الخير والشر حلوه ومره وصغيره وكثيره من الله . « ج ١ ص ٢٨٤ »

بيان : المراد بخلق الخير والشر إما تقديرهما كما مر ، أو المراد خلق الآلات والأسباب التي بها يتيسر فعل الخير وفعل الشر كما أنه تعالى خلق الخمر ، وخلق في الناس القدرة على شربها ، أو كناية عن أنهما إنما يحصلان بتوقيفه وخذلانه فكأنه خلقهما ؛ أو المراد بالخير والشر النعم والبلايا ؛ أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنه يكون باختياره مختاراً للخير ، ومختاراً للشر ، والله يعلم .

٢٣ - سن : البرزطي^(٥)، عن حماد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على الله^(٥) . « ج ١ ص ٢٨٤ »
شي : عن أبي بصير مثله .

(١) في المصدر : الحسين بن علي . م

(٢) في المحاسن المطبوع أيضا (الجمال) وكذا فيما يأتي بعده ، والصحيح فيما (الحمار) ونقل عن خط الشهيد ضبطه بالحاء المهملة ، والميم المشددة ، و الراء أخيرا ، قال النجاشي في ١١٥ من رجاله : داود بن سليمان ، أبو سليمان الحمار ، كوفي ثقة ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام إله أقول : الحديث لا يخلو عن شبهة الارسال ، لظهور اتحاده مع الاتي بعده .

(٣) كنية صالح بن خالد المحاملي .

(٤) كنية داود بن سليمان المتقدم .

(٥) الخير موجود مخلوق من غير شك و أما الشر فليس بموجود ولا مخلوق بالاصالة و إنما يتحقق بالعرض وبمقابلة شيء إلى شيء . نحوا من المقابلة ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « والله »

﴿باب ٧﴾

﴿الهداية والاضلال والتوفيق والخذلان﴾

الآيات ، الفاتحة «١» إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦.

البقرة «٢» إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦-٢٠ «وقال تعالى» : يَضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ٢٦ «وقال تعالى» : فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزَلَزُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ٢١٣-٢١٤ «وقال تعالى» : اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ٢٥٧ «وقال» : وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٥٨ «وقال» : وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٢٦٤.

آل عمران «٣» قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ ٧٣ «وقال تعالى» : كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٨٦.

النساء «٤» : وَلَهْدَيْنَاهُمُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٦٨ .

المائدة «٥» : وَ مَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ٤١ «وقال تعالى» : فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ

« خالق كل شيء » الآية وقوله : «الذى أحسن كل شيء خلقه» الآية حيث عد كل شيء خلقاً لنفسه ثم عدّه حسناً غير سىء ، وقال تعالى : ما أصابك من سيئة فمن نفسك الآية فعد بعض الأشياء كالبلايا و الأمراض سيئات و ذكرها بالمساءة ، مع أنها من حيث وجودها وخلقها حسنة فليست مساءتها إلا من جملة العرض والمقايضة .

فالأشياء أعم من الخيرات والشرور من حيث وجودها وخلقها مستندة إليه تعالى كما ذكر في خبر المحاسن رقم ٢١ وكذلك مع المقايضة إذا كان الاستناد أعم مما بالذات وبالعرض والشرور من حيث هي شرور لا تستند إليه تعالى بالأصالة كما ذكر في هذا الخبر . ط

ببعض ذنوبهم ٤٩ « وقال تعالى : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ ٥٤
 « وقال تعالى : إن الله لا يهدي القوم الكافرين ٦٧ « وقال تعالى : والله لا يهدي القوم
 الفاسقين ١٠٨ .

الانعام ٦ « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم
 وقراً ٢٥ « وقال تعالى : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ٣٥
 « وقال تعالى : وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ١٢٣ « وقال
 تعالى : من يشأ الله يضله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ٣٩ « وقال تعالى : و
 كذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ٥٣ « وقال تعالى : و
 نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو
 أننا تر لنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا
 إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون * وكذلك جعلنا لحن نبي عدواً شياطين الإنس
 والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما
 يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم
 مقتربون ١١٠-١١٣ « وقال تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن
 يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس
 على الذين لا يؤمنون ١٢٥ « وقال تعالى : إن الله لا يهدي القوم الظالمين ١٤٤ « وقال تعالى :
 فلو شاء لهدىكم أجمعين ١٤٩ .

الاعراف ٧ « إننا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ٢٧ « وقال تعالى : من
 يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
 من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
 بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ١٧٨-١٧٩ « وقال تعالى : فريقاً هدى
 وفريقاً حق عليهم الضلالة ٣٠ « وقال تعالى : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
 في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه
 سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

غافلين ١٤٦ « وقال تعالى : من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ١٨٦ .

الانفال ٧ « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى ١٧

« وقال تعالى : واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ٢٤ .^(١)

التوبة ٩ « والله لا يهدي القوم الظالمين ١٩ « وقال تعالى : والله لا يهدي القوم

الفاستقين ٢٤ « وقال تعالى : وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٨٧ « وقال تعالى : صرف الله

قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ١٢٧ .

يونس ١٠ « والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٢٥ « وقال

تعالى : كذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ٣٣ « وقال تعالى :

ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك

أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون * إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم

يظلمون ٤٢-٤٣ « وقال تعالى : إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولوجاءتهم

كل آية حتّى يروا العذاب الأليم ٩٦-٩٧ .

هود ١١ « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ٨٨ « وقال تعالى : ولو

شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم

وتمّت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ١١٨-١١٩ « وقال تعالى :

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه

ترجعون ٣٤ .^(٢)

(١) قال الرضى رحمه الله : هذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة فى هذه الآية ، والمعنى :

أن الله أقرب إلى العبد من قلبه ، فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه قادر

على تبديل قلب المرء من حال إلى حال ، إذ كان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب ، والمعنى أنه ينقلها

من حال الامن إلى حال الخوف ، ومن حال الخوف إلى حال الامن ، ومن حال المساءة إلى حال السرور ،

ومن حال المحبوب إلى حال المكروه .

(٢) الاغواء : هو الدعاء إلى الغي والضلال ، و ذلك غير جائز على الله سبحانه لقبه ، وورود

أمره بضده ، فهو من قبيل الاستعارة ، والمراد هنا تخييبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم به ، و

ذهابهم عن أمره ، وخذلانهم عن سبيل الرشاد ، ويجوز أن يكون بمعنى الهلاك ، كما يجوز أن يكون

بمعنى الحكم بالفواية عليهم .

الرعد ١٣: قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ٢٧ «وقال تعالى»: أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ٣١ «وقال تعالى»: ومن يضل الله فما له من هاد ٣٣.

ابراهيم ١٤: فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ٤ «وقال تعالى»: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ٢٧.

النحل ١٦: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ٩٣ «وقال تعالى»: وأن الله لا يهدي القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ١٠٧-١٠٨. **الاسرى ١٧:** ومن يهدي الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه ٩٧ «وقال تعالى»: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ١٦.

الكهف ١٨: من يهدي الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ١٧. **مريم ١٩:** قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً ٧٥ «وقال تعالى»: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ٧٦ «وقال تعالى»: ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ٨٣.

النور ٢٤: ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ٢١ «وقال تعالى»: ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ٤٠ «وقال تعالى»: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ٤٦.

الفرقان ٢٥: ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ١٨. **الشعراء ٢٦:** كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ٢٠٠ - ٢٠١.

النمل ٢٧: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون ٤. **القصاص ٢٨:** وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ٤١ «وقال تعالى»: إنك لاتهدي

من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ٥٦ .
الروم ٣٠ : فمن يهدي من أضل الله وماله من ناصرين ٢٩ « وقال سبحانه :
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ٥٩ .

التنزيل ٣٢ : ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين ١٣ .

سبا : ٣٤ : قل : إن ضللت فإني أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي
ربِّي إنه سميع قريب ٥٠ .

فاطر ٣٥ : أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء
و يهدي من يشاء ٨ « وقال سبحانه : إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في
القبور ٢٢ .

يس ٣٧ : لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إننا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً
فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٧ - ١٠ .

الزمر ٣٩ : إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ٣ « وقال تعالى : ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء و من يضل الله فماله من هاد ٢٣ ومن يهد الله فماله من مضل ٣٧
« وقال تعالى : أوتقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ٥٧ .

المؤمن ٤٠ : ومن يضل الله فماله من هاد ٣٣ « وقال تعالى : كذلك يضل الله
من هو مسرف مرتاب ٣٤ « وقال تعالى : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ٣٥
« وقال تعالى : كذلك يضل الله الكافرين ٧٤ .

السجدة ٤١ : وقضينا لهم قرناً فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم
القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ٢٥ .

حمسق ٤٢ : الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ١٢ « وقال تعالى :
ومن يضل الله فماله من ولي من بعده ٤٤ « وقال تعالى : ومن يضل الله فما له من
سبيل ٤٦ .

الزخرف «٤٣» ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ٣٢
«وقال تعالى» : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ٣٦ «وقال
تعالى» : أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ٤٠ .
الجاثية «٤٥» أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ٢٣ .
محمد «٤٧» أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ١٤ «وقال تعالى» :
والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقويمهم ١٧ «وقال تعالى» : أولئك الذين لعنهم الله
فأصمهم وأعمى أبصارهم ٢٣ .

الصف «٦١» والله لا يهدي القوم الظالمين ٧ .

المنافقين «٦٣» فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ٣ .

الدهر «٧٦» إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ٣ .

تفسير : قوله تعالى : «ختم الله على قلوبهم» قال البيضاوي : الختم : الكتم ،
سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره ، نظراً
إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه . والغشاوة فعالة من غشاه : إذا غطاه ، بنيت لما
يشتمل على الشيء ، كالعصابة والعمامة ، ولاختم ولا تغشية على الحقيقة ، وإنما المراد
بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقباح الإيمان
والطاعات بسبب غيهم و انهماكهم في التقليد ، وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل
قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق ، وأسماهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها
بالختم ، وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة في الآفاق والأفان ، كما تجتليها أعين
المستبصرين ، فتصير كأنها غطيت عليها وحيل بينها وبين الابصار ، وسماه على الاستعارة
ختماً و تغشية ؛ أو مثل قلوبهم و مشاعرهم المؤوفة بأشياء ضرب حجاب بينها وبين
الاستنفاع بها ختماً و تغشية . وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى :
«أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم»^(١) وبالإغفال في قوله تعالى :

«ولا تطع من أغفلنا قلبه»^(١) وبالإقساء في قوله تعالى: «وجعلنا قلوبهم قاسية»^(٢) وهي من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله واقعة بقدرته استندت إليه ، ومن حيث إنهما مسببة مما اقترفوه بدليل قوله : «بل طبع الله عليها بكفرهم»^(٣) وقوله تعالى : «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم»^(٤) وردت الآية ناعية عليهم^(٥) شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم ، واضطرت المعتزلة فيه فذكروا وجوهاً من التأويل :

الأول : أن القوم لما أعرضوا عن الحق و تمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبهه بالوصف الخلقي المجبول عليه .

الثاني : أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ؛ ونظيره : سال به الوادي : إذا هلك ، وطارت به العنقاء : إذا طالت غيبته .

الثالث : أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان ، أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى إياه أسنده إليه إسناد الفعل إلى السبب .

الرابع : أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسّرهم إبقاءً على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم ، فإنه سدّ لإيمانهم ، وفيه إشعار على تراهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي .

الخامس : أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل : «قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر و من بيننا وبينك حجاب»^(٦) تهكماً واستهزاءً بهم ، كقوله تعالى : «لم يكن الذين كفروا»^(٧) الآية .

(١) الكهف : ٢٨ (٢) المائدة : ١٣ (٣) النساء : ١٥٥ (٤) المنافقون : ٣ .

(٥) نعى عليه شهواته : عابه بها . ونعى عليه ذنوبه : ظهرها وشهرها .

(٦) حم السجدة : ٥ أقول : أكنة جمع الكن ، وهو وقاء كل شيء . وستره ، قال الشيخ الطوسي في التبيان : وإنما قالوا : ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وآله من قبولهم دينه ، فهو على التمثيل فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء ، مما وراه ، وفيه تحذير من مثل حالهم في كل من دعى إلى أمر لا يمتنع أن يكون هو الحق ، فلا يجوز أن يدفعه بمنل هذا الدفع ، «وفي آذاننا وقر» أي ثقل عن استماع هذا القرآن «ومن بيننا وبينك حجاب» قيل : الحجاب : الغلاف الذي يقتضى أن نكون بمعزل عنك ، قال الزجاج : معناه : حاجز في النحلة والدين ، أي لا نوافقك في مذهب .

(٧) البينة : ١ .

السادس : أن ذلك في الآخرة ، وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقيقه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً »^(١) .
السابع : أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا و كلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما . انتهى .

أقول : بعد قيام البرهان على امتناع أن يكلف الحكيم أحداً ثم يمنعه عن الإتيان بما كلفه به ثم يعذبه عليه وشهادة العقل بقبح ذلك و أنه تعالى منزّه عنه لا بدّ من الحمل على أحد الوجوه التي ذكرها .

وزاد الشيخ الطبرسي رحمه الله على ما ذكر وجهين آخرين : أحدهما ما سيأتي نقلاً عن تفسير العسكري عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه أيضاً وهو أن المراد بالختم العلامة وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يعلم على قلبه علامة ؛ وقيل : هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما أنه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له ، فقوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » يحتمل أمرين : أحدهما أنه طبع الله عليها جزاءً للكفر وعقوبة عليه ، والآخر أنه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقال : طبع عليه بالطين ، وختم عليه بالشمع .

و ثانيهما أن المراد بالختم على القلوب أن الله شهد عليها وحكم بأنّها لا تقبل الحق كما يقال : أراك أنك تختم على كل ما يقوله فلان أي تشهد به و تصدّقه ، وقد ختمت عليك بأنك لا تفلح أي شهدت ، و ذلك استعارة . قوله تعالى : « يضلّ به كثيراً » قال الطبرسي رحمه الله : فيه وجهان : أحدهما : حكى عن الفراء أنه قال حكاية عمّ بن قال : « ماذا أراد الله بهذا مثلاً » أي يضلّ به قوم ويهدي به قوم ، ثمّ قال الله تعالى : « وما يضلّ به إلا الفاسقين » فبيّن تعالى أنه لا يضلّ إلا فاسقاً ضالّاً ، وهذا وجه حسن .

والآخر أنه كلامه تعالى ابتداءً وكلاهما محتمل ، وإذا كان محمولاً على هذا فمعنى قوله :
يضلّ به كثيراً أن الكفار يكذبون به وينكرونه ، ويقولون : ليس هــو من عند الله
فيضلّون بسببه ، وإذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه ، وقوله : « ويهدي به كثيراً » يعني
الذين آمنوا به وصدقوه ، وقالوا : هذا في موضعه ، فلما حصلت الهداية بسببه أضيف
إليه ، فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذي يكون عنده الضلال فالمعنى أن
الله يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضلّ بها قوم كثير ، ويهدي بها قوم كثير ، ومثله قوله :
« ربّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس »^(١) أي ضلّوا عندها ، وهذا مثل قولهم : أفسدت فلانة
فلاناً وأذهبت عقله ، وهي ربّما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من أجلها أضيف الفساد
إليها ، وقد يكون الإضلال بمعنى التخلية على وجه العقوبة وترك المنع بالقهر و منع
الألطاف التي تفعل بالمؤمنين جزاءً على إيمانهم ، وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه :
أفسدت سيفك ؛ أريد به أنك لم تحدث فيه الإصلاح في كلّ وقت بالصقل والإحداد .
وقد يكون الإضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال : أضله : إذا نسبه إلى
الضلال ، وأكفره : إذا نسبه إلى الكفر ، قال الكميت : وطائفة قد أكفروني بحبكم .
وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير ، ومنه قوله تعالى : « إنّ المجرمين
في ضلال وسعر »^(٢) ومنه قوله تعالى : « إذا ضللنا في الأرض »^(٣) أي هلكنا ، وقوله :
« والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم »^(٤) أي لم يبطل فعلى هذا يكون المعنى :
أنّ الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيراً بأن يضلّهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه
فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة بالإيمان به كثيراً ؛ عن أبي الجبائي قال :
و يدلّ على ذلك قوله : « وما يضلّ به إلا الفاسقين » لأنّه لا يخلو من أن يكون أراد
العقوبة على التكذيب كما قلناه ، أو يكون أراد به التحير والتشكيك ، فإن أراد الحيرة
فقد ذكر أنّه لا يفعل إلا بالفاسق المتحير الشاك فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدمة
التي بها صاروا فساقاً من فعله إلا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً ، وهذا يوجب وجود

(٢) القمر : ٤٧ .

(٤) محمد : ٤ .

(١) إبراهيم : ٣٦ .

(٣) الم السجدة : ١٠ .

مالانهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول ، أثبتت إضلال لا إضلال قبله ، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضل من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله : « وما يضل به إلا الفاسقين » وعلى هذا الوجه فيجوز أن يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراءته منهم و لعنته عليهم إهلاكاً لهم ، ويكون إهلاكه إضلالاً ، وكل ما في القرآن من الإضلال المنسوب إلى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه الإضلال الذي أضافه إلى الشيطان وإلى فرعون والسامري بقوله : « ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً »^(١) وقوله : « وأضل فرعون قومه »^(٢) وقوله : « وأضلهم السامري »^(٣) وهو أن يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والإيقاع في الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدي إلى التظلم والتجوير إلى ما يذهب إليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و إذ قد ذكرنا أقسام الإضلال فلنذكر أقسام الهداية التي هي ضده . اعلم أن الهداية في القرآن تقع على وجوه :

أحدها أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد يقال : هداه الطريق وللطريق وإلى الطريق إذا دلّه عليه ، وهذا الوجه عام لجميع المكلفين ، فإن الله تعالى هدى كل مكلف إلى الحق بأن دلّه عليه وأرشده إليه لأنه كلفه الوصول إليه فلولم يدلّه عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق ؛ ويدلّ عليه قوله تعالى : « ولقد جاءهم من ربهم الهدى »^(٤) وقوله : « إنا هديناه السبيل »^(٥) وقوله : « أنزل فيه القرآن هدى »^(٦) وقوله : « وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى »^(٧) وقوله : « وإني لك لتهدى إلى صراط مستقيم »^(٨) وقوله : « وهديناه النجدين »^(٩) وما أشبه ذلك من الآيات .
وثانيها أن يكون بمعنى زيادة الألفاظ التي بها ثبتت على الهدى ؛ ومنه قوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى »^(١٠) .

(٢) طه : ٧٩ .

(٤) النجم : ٢٣ .

(٦) البقرة : ١٨٥ .

(٨) الشورى : ٥٢ .

(١٠) محمد : ١٧ .

(١) يس : ٦٢ .

(٣) طه : ٨٥ .

(٥) الدهر : ٣ .

(٧) حم السجدة : ١٧ .

(٩) البلد : ١٠ .

ونالها أن تكون بمعنى الإثابة : ومنه قوله تعالى : « يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم »^(١) وقوله تعالى : « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم »^(٢) والهداية التي تكون بعد قتلهم هي إنابتهم لاحالة .
و رابعها : الحكم بالهداية كقوله تعالى : « ومن يهدي الله فهو المهتد »^(٣) وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لأنّه تعالى إنّما يثيب من يستحق الإثابة وهم المؤمنون ، ويزيدهم أطافاً بإيمانهم وطاعتهم ، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضاً .
وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الإنسان مهتدياً ، بأن يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحرّكاً بخلق الحركة فيه ، والله تعالى يفعل العلوم الضرورية في القلوب فذلك هداية منه تعالى ، وهذا الوجه أيضاً عام لجميع العقلاء كالوجه الأول ، فأما الهداية التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به وبأنبيائه وغير ذلك فإنها من فعل العباد ، ولذلك يستحقّون عليها المدح والثواب ، وإن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك وإرشادهم إليه ودعاهم إلى فعله وتكليفهم إياه وأمرهم به ، فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ، ومنّة منه واصله إليهم ، وفضل منه وإحسان لديهم ، فهو مشكور على ذلك محمود ، إذ فعله بتمكينه وأطافه و ضرور تسهيلاتة و معوناتة .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »^(٤) :
إن المراد به البيان والدلالة ، والصراط المستقيم هو الإسلام ؛ أو المراد به : يهديهم باللطف فيكون خاصاً بمن علم من حاله أنّه يصلح به ؛ أو المراد به : يهديهم إلى طريق الجنة .
وقال في قوله تعالى : « متى نصر الله »^(٥) قيل : هذا استعجال للموعد كما يفعله الممتحن ، وإنّما قاله الرسول استبطاءً للنصر على جهة التمني . وقيل : إنّ معناه الدعاء لله بالنصر . وقيل : إنّ ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملةً وتفصيلاً : قال المؤمنون متى نصر الله ؟ وقال الرسول : إلا إنّ نصر الله قريب .

(٢) محمد : ٥٥٤ .

(٤) النور : ٤٦ .

(١) يونس : ٩ .

(٣) اسرى : ٩٧ .

(٥) البقرة : ٢١٤ .

وقال في قوله تعالى : «يخرجهم من الظلمات إلى النور»^(١) : أي من ظلمات الضلال والكفر إلى نور الهدى و الإيمان بأن هداهم إليه و نصب الأدلة لهم عليه و رغبهم فيه وفعل بهم من الألفاف ما يقوي دواعيهم إلى فعله .

وقال في قوله تعالى «والله لا يهدي القوم الظالمين»^(٢) أي بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد . وقيل : لا يهديهم إلى المحاجة كما يهدي أنبياءه . وقيل : لا يهديهم بالطافه وتأنيده إذا علم أنه لالطف لهم . وقيل : لا يهديهم إلى الجنة .

وقال في قوله تعالى : «كيف يهدي الله قوماً»^(٣) معناه : كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم والثناء عليهم ؟ أو أنه على طريق التبعية كما يقال : كيف يهديك إلى الطريق وقد تركته ؟ أي لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلا من الوجه الذي هداهم به وقد تركوه ، أو كيف يهديهم الله إلى طريق الجنة والحال هذه ؟ .

أقول : الأظهر أن المعنى أنهم حرموا أنفسهم بما اختاروه الألفاف الخاصة من ربهم تعالى .

وقال في قوله تعالى : «ومن يرد الله فتنه»^(٤) : قيل : فيه أقوال : أحدها أن المراد بالفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى : «على النار يفتنون»^(٥) أي يعذبون وقوله : «ذوقوا فنتكم»^(٦) أي عذابكم .

وثانيها أن معناه من يرد الله إهلاكه .

وثالثها أن المراد به من يرد الله خزيه وفضيخته بإظهار ما ينطوي عليه .

(٢) البقرة : ٢٥٨ .

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٣) آل عمران : ٨٦ .

(٤) المائدة : ٤١ قال الشيخ في التبيان : — بعد نقل الأقوال الثلاثة الأولى — وأصل الفتنة : التخليص من قولهم : فتنت الذهب في النار أي خلصته من الفس ، والفتنة : الاختبار ، ويسمى بذلك لما فيها من تخليص الحال لمن أراد الاضلال ، وإنما أراد الحكم عليه بذلك بإيراد الحجج ففيه تمييز وتخليص لحالهم من حال غيرهم من المؤمنين ، ومن فسره على العذاب فلأنهم يحرقون كما يحرق خبث الذهب فهم خبث كلهم ، ومن فسره على الفضيحة فلما فيها من الدلالة عليهم التي يميزون بها من غيرهم .

(٦) الذاريات : ١٤ .

(٥) الذاريات : ١٣ .

ورابعها أن المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرّفه .
والأصحّ الأول . « فلن تملك له من الله شيئاً » أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله
من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً « أولئك الذين لم يرد الله أن
يطهر قلوبهم » معناه : أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التي هي
الختم و الطبع و الضيق قلوبهم ، كما طهر قلوب المؤمنين منها ، بأن كتب في قلوبهم
الإيمان ، وشرح صدورهم للإسلام . وقيل : معناه : لم يرد أن يطهرها من الكفر بالحكم
عليها بأنها بريئة منه ، ممدوحة بالإيمان .

قال القاضي : وهذا لا يدلّ على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأنّ ذلك
لا يعقل من تطهير القلب إلا على جهة التوسّع ، و لأنّ قوله : « لم يرد الله أن يطهر
قلوبهم » يقتضي نفي كونه مريداً ، و ليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه ، و
المراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم ممّا يلحقها من الغموم بالذمّ والاستخفاف بالعقاب
ولذا قال عقيبها : « لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » ولو كان أراد ما قاله
المجبر لم يجعل ذلك ذمّاً لهم ولا عقبة بالذمّ ، ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله
عاقبهم وأراد ذلك فيهم .

أقول : روى النعماني في تفسيره فيما رواه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنهم
سألوه عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال : منه فتنة الاختبار وهو قوله تعالى : « ألم أحسب
الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون » ^(١) وقوله لموسى : « وفتناك فتونا » ^(٢) .
ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور
حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله » ^(٣) وقوله سبحانه في الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في
غزوة تبوك أن يتخلفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا
تفتني ألا في الفتنة سقطو » ^(٤) يعني ائذن لي ولا تكفرني ، فقال عز وجل : « ألا في الفتنة
سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » ^(٥) .

(٢) طه : ٤٠ .

(٥، ٤) التوبة : ٤٩ .

(١) العنكبوت : ١ و ٢ .

(٣) التوبة : ٤٨ .

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى : «يوم هم على النار يفتنون» ^(١) أي يعذبون «ذوقوا فنتنكم هذا الذي كنتم به تستعجلون» ^(٢) أي ذوقوا عذابكم .
ومنه قوله تعالى : «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا» ^(٣) أي عذبوا المؤمنين .

ومنه فتنة المحبة للمال والولد كقوله تعالى : «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» ^(٤) .
ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه : «أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون» ^(٥) أي يمرضون ويقتلون . انتهى .
وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم» قيل : في معناه أقوال : أحدها معناه : فاعلم يا محمد أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض أجرامهم ، وذكر البعض والمراد به الكل ، كما يذكر العموم ويراد به الخصوص .
والثاني أنه ذكر البعض تغليظاً للعقاب ، والمراد أنه يكفي أن يؤخذوا ببعض ذنوبهم في إهلاكهم والتدمير عليهم .

و الثالث أنه أراد تعجيل بعض العقاب مما كان من التمرّد في الأجرام لأن عذاب الدنيا مختص ببعض الذنوب دون بعض ، وعذاب الآخرة يعم .
قوله تعالى : «وجعلنا على قلوبهم أكنة» قال الزمخشري : الأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ، ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله : «وجعلنا» للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه ، أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم : و في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال الطبرسي رحمه الله : قال القاضي أبو عاصم العامري : أصح الأقوال فيه ما روي أن النبي ﷺ كان يصلي بالليل وقرأ القرآن في الصلاة جهرأ رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة ، وكان الله تعالى يلقي عليهم النوم ، أو يجعل

(٢) الذاريات : ١٤ .

(٤) التغابن : ١٥ .

(١) الذاريات : ١٣ .

(٣) البروج : ١٠ .

(٥) التوبة : ١٢٦ .

في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم ، وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به
المعذرة ، وبعد ما علم الله تعالى أنهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به ، فشبه إلقاء النوم
عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم ، وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر
والغطاء ، وهذا معنى قوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجاباً مستوراً » ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار
الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفقهوا ما
يستمعونه ؛ ويحتمل أيضاً أن يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كنّاً تشبيهاً ومجازاً
وإعراضهم عن القرآن وقرأ توسعاً لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم ،
كما لا يحصلان مع الكنّ والوقر ، ونسب ذلك إلى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما
بالآخر كما يقول أحدهما لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه : جعلته فاضلاً ، وبالضدّ
إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول : جعلته فاسقاً ، ^(١) وقال الزمخشري في قوله تعالى : ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى « أي بأن يأتيهم بآية ملجئة ، ولكنه لا يفعل لخروجه عن
الحكمة .

وقوله تعالى : « ليذكروا فيها » قال الطبرسي رحمه : اللام : لام العاقبة ، وقال
الزمخشري : معناه خلّيناهم ليذكروا وما كفناهم عن المكر ؛ وكذا قال : اللام لام
العاقبة في قوله تعالى : « ليقولوا » أي عاملناهم معاملة المختبر ليشكروا أو يصبروا فآل
أمرهم إلى هذه العاقبة .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » وجهين :

(١) أوردنا قبل معنى الآية عن التبيان . ولندكر هنا ما عن الرضى رحمه الله في كتابه مجازات القرآن
قال : وهذه استعارة وليس هناك على الحقيقة شيء ، مما أشاروا إليه ، وإنما أخرجوا هذا الكلام
مخرج الدلالة على استئصالهم ما يسمعون من قوارع القرآن وبواقع البيان فكأنهم من قوة الزهادة
فيه وشدة الكراهية له قد وقرت أسماعهم عن فهمه ، و أكنت قلوبهم دون علمه ، وذلك معروف
في عادة الناس أن يقول القائل منهم لمن يشأ كلامه ويستقل خطابه : ما أسمع قولك ولا أعي لفظك
وإن كان صحيح حاسة السمع ، إلا أنه حمل الكلام على الاستئصال والمقت ، وعلى هذا قول الشاعر :
وكلام سيىء قد وقرت * اذني عنه وما بي من صمم .

أحدهما أنه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحرّاً اجمر كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة في الدنيا ؛ والآخر أن المعنى : يقلّب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغمّ وتزعج النفس . وقال الزمخشري : « ونقلّب أفئدتهم ونذرهم » عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعر كم أنّهم لا يؤمنون ، وما يشعر كم أنّنا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم ، أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحقّ ، كما كانوا عند نزول آياتنا أوّلاً ، لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعاً على قلوبهم وما يشعر كم أنّنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفّهم عن الطغيان حتّى يعمهوا فيه .^(١)

وقال في قوله تعالى : « إلا أن يشاء الله » أي مشيئة إكراه واضطرار . وقال الطبرسي رحمه الله في قوله : « كذلك جعلنا » وجوه : أحدها أن المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجنّ والإِنس ، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له . وثانيها : أن معناه حكمنا بأنّهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرّهم ، وهذا كما يقال : جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك .

وثالثها : أن المراد خلّينا بينهم وبين اختيارهم العداوة ، لم نمنعهم على ذلك كرهاً ولا جبراً ، لأنّ ذلك يزيل التكليف .

ورابعها : أنّه سبحانه إنّما أضاف ذلك إلى نفسه ، لأنّه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل ، وأمرهم إلى دعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه ، ومثله قول نوح عليه السلام : « فلم يزدكم دعائي إلا فراراً » وقال : « والعامل في قوله : « ولتصغى » قوله : « يوحى » ولا يجوز أن يكون العامل

(١) وهذه استعارة ، لأنّ قلب القلوب والأبصار على الحقيقة بازالتها عن مواضعها وإقلاقها عن مناصبها لا يصح ، والبنية صحيحة والجملة حية متصرفة ، وإنّما المراد - والله أعلم - أنا نرميها بالحيرة والمخافة جزاء أعلى الكفر والضلالة فتكون الافتدة مسترجعة لتعاضد أسباب المخاوف وتكون الأبصار منزعة لتوقع طلوع المكاره . وقد قيل : إن المراد بذلك قلبيهما على مرامض الجمر في نار جهنم وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة ؛ قاله الرضى رضى الله عنه .

فيه «جعلنا» لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحى الشياطين،
إلا أن نجعلها لام العاقبة . وقال البلخي : اللام في «ولتصغى» لام العاقبة ، وما بعده لام الأمر
الذي يراد به التهديد .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه» فيه وجوه :

أحدها : أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره
في الدنيا للإسلام بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسك به ، وإنما يفعل
ذلك لطفاً له ومنّاً عليه ، و ثواباً على اعتدائه بهدى الله و قبوله إياه ؛ و من يرد أن
يضلّه عن ثوابه و كرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على تركه الإيمان
من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان ، بل ربّما يكون ذلك داعياً إليه ، فإن
من ضاق صدره بالشئ ، كان ذلك داعياً إلى تركه .

وثانيها : أن معناه فمن يرد الله أن يثبتته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي
ذكرناه ، جزاء له على إيمانه واهتدائه ، وقد يطلق الهدى ويراد به الاستدامة ؛ ومن يرد
أن يضلّه أي يخذله و يخلّي بينه وبين ما يريد ، لاختياره الكفر وتركه الإيمان يجعل
صدره ضيقاً حرجاً بأن يمنعه الأ لطف التي هو ينشرح لها صدره ، لخروجه من قبولها
بإقامته على كفره .

وثالثها : أن معناه من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدّها المؤمن يشرح
صدره لتلك الزيادة لأن من حقّها أن يزيد المؤمن بصيرة ، ومن يرد أن يضلّه عن تلك
الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصحّ عليه يجعل صدره
ضيقاً حرجاً لما كان قد تلك الزيادة ، لأنّها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر
ما يضادّه . والرجس : العذاب .

وقال في قوله تعالى : «إنّا جعلنا الشياطين» أي حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون
على الباطل كما قال : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» .

وقال في قوله : «ولقد ذرأنا لجهنّم» يعني خلقناهم على أن عاقبتهم المصير إلى

جهنم بكفرهم وإنكارهم وسوء اختيارهم ، ويدلّ عليه قوله سبحانه : « وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون » .

وقال الزمخشري : جعلهم في أنفسهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبّر كأنهم عدمو أفعالهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه وأنهم لا يتأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار ، دلالة على توغّلهم في الموجبات ، وتمكّنهم فيما يؤهلهم لدخول النار .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « فريقاً هدى » أي جماعة حكم لهم بالاهتداء ، بقبولهم للهدى ، أو لطف لهم بما اهتموا عنده ، أو هداهم إلى طريق الثواب « وفريقاً حق » أي وجب عليهم الضلالة ، إذ لم يقبلوا الهدى ، أو حقّ عليهم الخذلان لأنّه لم يكن لهم لطف تنشرح لهم صدورهم ، أو حقّ عليهم العذاب أو الهلاك بكفرهم .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : « ولكن الله قتلهم » : أي إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنّه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم ، وشاء النصر والظفر ، وقوى قلوبكم ، وأذهب عنها الفزع والجزع ، وما رميت أنت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى ، يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغ أثر رمي البشر ، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ ، لأن صورتها وجدت منه ، ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة ، وكأنّها لم توجد من الرسول أصلاً .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « ثم أنصرفوا » أي أنصرفوا عن المجلس ، وقيل أنصرفوا عن الإيمان به « صرف الله قلوبهم » عن الفوائد التي يستفيدونها المؤمنون والسرور بها ، وحرّموا الاستبشار بتلك الحال . وقيل : معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على أنصراهم عن الإيمان بالقرآن ، وعن مجلس رسول الله ﷺ . وقيل : إنّه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ، ودعاء الله على عباده وعيد لهم وإخبار بلحاق العذاب بهم .

قوله تعالى : « كذلك حقّت كلمة ربك » قال الزمخشري : « إنهم لا يؤمنون » بدل من الكلمة أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك ، أو حقّ عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأنّ إيمانهم غير كائن ، أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب . « و أنهم لا يؤمنون » تعليل بمعنى لا أنهم لا يؤمنون .

وقال في قوله تعالى : إنّ الذين حقّت عليهم كلمة ربك أي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنّهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره فتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد ؛ تعالى الله عن ذلك .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل فقال : ما عندكم في تأويل قوله تعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » يقال له : أمّا قوله تعالى : « ولو شاء ربك » فإنما عني به المشيئة التي نضم إليها الإلجاء ، ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار ، وإنّما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنّه ممّن لا يغالب ولا يعصى مقهوراً ، من حيث كان قادراً على الإلجاء والإكراه على ما أراده من العباد ، فأما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف لدليل العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنّه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعّد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائياً له و مجرباً بخلق العباد إليه ؟ وأمّا شهادة اللفظ فلأنّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين أولى في لسان العرب ، فأما ما طعن به السائل من تذكير الكناية فباطل لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كنّا عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لأنّ معناها هو الفضل والإيثار كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك . وقال الله تعالى : « هذا رحمة من ربّي » ولم يقل : « هذه » وإنّما أراد هذا فضل من ربّي ، وفي موضع آخر « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ولم يقل : قريبة .

أقول : ثمّ استشهد رحمه الله لذلك بكثير من الأشعار تر كناها حذراً من الإطناب ثمّ قال : وقال زياد الأعجم :

إنّ الشجاعة والمروّة ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح

ويروى : أن السماحة والشجاعة ؛ فقال : «ضمنا» ولم يقل : «ضمّنتا» قال الفرّاء
 لأنّه ذهب إلى أن السماحة والشجاعة مصدران ، والعرب تقول : قصارة الثوب يعجبني
 لأن تأنيت المصادر يرجع إلى الفعل وهو مذكّر ، على أن قوله تعالى : «إلا من رحم
 ربك» كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على أن يرحم فإذ جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن
 يرحم كان التذكير في موضعه لأنّ الفعل مذكّر ، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى : «ولذلك
 خلقهم» كناية عن اجتماعهم على الإيمان وكونهم في أمة واحدة لا عمالة أنّه لهذا خلقهم
 ويطابق هذه الآية قوله تعالى : «وما خلقت الجنّ والنّس إلاّ ليعبدون» وقد قال قوم في قوله
 تعالى : «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» معناه أنّه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنّة
 فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة ، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى :
 «ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها» في أنّه أراد هداها إلى طريق الجنّة ، فعلى هذا التأويل
 يمكن أن ترجع لفظة ذلك إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنّة لأنّه تعالى إنّما خلقهم
 للمصير إليها والوصول إلى نعيمها . فأما قوله : «ولا يزالون مختلفين» فمعناه الاختلاف في
 الدين والذهاب عن الحقّ فيه بالهوى والشبهات . و ذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله
 تعالى : «ولا يزالون مختلفين» وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين
 يخلف سلفهم في الكفر لأنّه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً وقولك : اختلفوا ، كما
 سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، واقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفعل كذا ما اختلف العصران
 والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر ؛ فأما الرحمة فليست رقة القلب ،
 لكنّها فعل النعم والإحسان ؛ يدلّ على ذلك أن من أحسن إلى غيره وأنعم عليه يوصف
 بأنّه رحيم وإن لم تعلم منه رقة قلبه عليه .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله تعالى شاملة للخلق
 أجمعين فأي معنى للاستثناء «من رحم» من جملة «المختلفين» إن كانت الرحمة هي النعمة ؟
 وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامّة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله سبحانه شاملة للخلق أجمعين غير أن في نعمه أيضاً ما

يختص بها بعض العباد ، إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص ، فإذا حملنا قوله : إلا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها ، وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لأنه تعالى إنما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه أن لهم توفيقاً ، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان فاختصاص هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال الزمخشري : ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول و تضمنه ، يعني و لذلك التمكين و الاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره ، وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة : « لا ملأنا جہنم من الجنة والناس أجمعين » لعلمه بكثرة من يختار الباطل .^(١)

وقال في قوله تعالى : أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعاً ومعنى « أفلم ييأس » : أفلم يعلم ؛ قيل : هي لغة قوم من النخع ، وقيل : إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ، والنسيان في معنى التبرك لتضمن ذلك ، و يدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتيسن وهو تفسير أفلم ييأس ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا أي أولم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر : قال الله جل من قائل : « وإذا أردنا أن نهلك قرية » الآية ، في هذه الآية وجوه من التأويل كل منها يبطل الشبهة

(١) قال السيد الرضی فی تلخیص البیان فی قوله تعالى : « وتمت كلمة ربك » : هذه استعارة والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به و تمامه وقوع مخبره مطابقاً لخبره .

الداخلية على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه و صرفوه عن بابه :
أولها أن الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقاً أو على سبيل
الامتحان كان حسناً ، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً فتعلق الإرادة لا يقتضي تعلقها
به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك ، وإذا علمنا بالأدلة العقلية تنزه
القديم تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادة لم يتعلق إلا بالإهلاك الحسن . وقوله تعالى :
«أمرنا مترفيها» المأمور به محذوف ، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق ، وإن
وقع بعده الفسق ، ويجري هذا مجرى قول القائل : أمرته فعصى ودعوته فأبى ؛ والمراد
إنني أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول . ويمكن أن يقال على هذا الوجه :
ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ، وإنما موضعها أن يقال : أي معنى لتقدم الإرادة
فإن كانت متعلقة بالإهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى :
«إذا أردنا أمرنا» لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته للعقاب المستحق بما تقدم من
الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية
فهذا هو الذي تأبونه ، لأنه يقتضي أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب .
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة إلا بالإهلاك المستحق بما تقدم
من الذنوب ، والذي حسن قوله تعالى : «وإذا أردنا أمرنا» هو أن في تكرار الأمر
بالطاعة والإيمان إعداراً إلى العصاة وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً للحجة عليهم حتى
يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعيد والوعظ والإندار
مؤمنين بحق الله القول وتجب عليه الحجّة ، ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه
الآية : «وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» .

والثاني أن يكون قوله تعالى : «أمرنا مترفيها» من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون
جواباً لقوله : «وإذا أردنا» ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها
أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت له جواب ظاهر في
الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ، ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة :

«حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها، إلى قوله : « فنعم أجر العاملين » ولم يأت لإذاجواب في طول الكلام للاستغناء عنه .

والثالث أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتساعاً و تنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وأنهم متى أمروا فسقوا و خالفوا ، و يجري ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم : إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق ، و قونهم : إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و تسرع إلى كل ما تتوق إليه نفسه ، و معلوم أن التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه مجازاً ، و كلام العرب وحي وإشارات و استعارة و مجازات ، ولهذه الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ، فإن الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريئاً من البلاغة ، و كلام الله تعالى أفصح الكلام .

الرابع أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها : وإذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ، و التقديم والتأخير في الشعر و كلام العرب كثير ؛ ومما يمكن أن يكون شاهداً بصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» ^(١) والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك» ^(٢) وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ، لأن إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال ، فأما قراءة من قرأ بالتشديد فقال : أمرنا و قراءة من قرأ بالمد والتخفيف فقال : أمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها إلا الوجه الأول ، فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الفعل انتهى .

وقال الطبرسي رحمه الله : وقرأ يعقوب : أمرنا بالمد و هو قراءة علي بن أبي طالب

(١) المائدة : ٧ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

والحسين عليهما السلام وجماعة ، وقرأ أمرنا بالتشديد ابن عباس والنهدي و أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام بخلاف ، وقرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر وأرجع الجميع الى معنى كثرنا كقوله صلى الله عليه وآله : خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة ، أي كثيرة النتائج .

وقال الزمخشري : وإذا أردنا أي وإذا دنى وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلا قليلاً أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم : افسقوا ، وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبياً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتبعوا الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك ، لتسبب إبلاء النعمة فيه ، وإنما خوّلهم إيتاها ليشكروا ويعملوا فيها بالخير ويتمكّنوا من الإحسان والبر كما خلقتهم أصحاباً أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إظهار الطاعة على المعصية فأثروا الفسوق ، فلمّا فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمّرهم . وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثرنا ؛ وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثرته فثبر .

و قال : في قوله تعالى : « فليمدد له الرحمن مدّاً » يعني أمهله و أملى له في العمر ، فأخرج على لفظ الأمر إيداناً بوجوب ذلك و أنه مفعول لا محالة كالأمور به الممتثل ، لتقطع معاذير الضال ، ويقال له يوم القيامة : « أولم نعممكم ما يتذكرفيه من تذكّر » ^(١) أو كقوله : « إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً » ^(٢) أو « من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً » في معنى الدعاء بأن يمهل الله وينفّس في مدّة حياته .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين » أي خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا إليهم ودعّوهم إلى الضلال حتّى أغووهم ولم يخل بينهم بالإلحاء ولا بالمنع ، وعبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع ،

(١) فاطر : ٣٢ .

(٢) آل عمران : ١٧٨ .

(٣) قال الشيخ في التبيان : أي يمدّهم ويعلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة كما قال : « ويمدّهم في طغيانهم يعمهون » ويجوز أن يكون أراد فليمدد له الرحمن مدّاً في عذابهم في النار ، كما قال : « ونمدّ له من العذاب مدّاً » .

كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره : أرسل كلبه عليه «تؤزّهم أزاً» أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية ، وقيل : تغريهم إغراءً بالشئ .

وفي قوله تعالى : «ولو لا فضل الله عليكم ورحمته» بأن لطف لكم وأمركم بما تصيرون به أزكيا ، ما صار منكم أحدزكياً ، أو ما طهر أحد من وسوسة الشيطان وما صلح ، ولكن الله يزكّي أي يطهر بلطفه من يشاء ، وهو من له لطيف ، يفعله سبحانه به ليزكو عنده .

وفي قوله تعالى : «ومن لم يجعل الله له نوراً أي» نجاتاً وفرجاً ، أو نوراً في القيامة . وفي قوله سبحانه : «ولكن متّعتهم وآباءهم» أي طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم ، وأمددتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتّى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه وكانوا قوماً هلكى فاسدين . وفي قوله : كذلك سلكناه أي القرآن . وفي قوله تعالى : زينّا لهم أعمالهم أي أعمالهم التي أمرناهم بها ، وقيل : بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح ليجتنبوا المشتبهى .

قوله تعالى : «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» قال البيضاوي : قيل : بالتسمية كقوله : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» أو بمنع الألف الصارفة عنه .^(١) وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : «إنّك لاتهدي من أحببت» أي هدايته ، أو من أحببته لقربته ، والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان ، فإنّه لا يقدر عليه إلا الله تعالى . لأنّه إمّا أن يكون من فعله خاصّة أو باعلامه ، ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى ، فإنّ الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافه سبحانه إليه في قوله : «وإنّك لاتهدي إلى صراط مستقيم»^(٢) وقيل : إنّ المراد بالهداية في الآية الإيجاب على الاهتداء أي أنت لاتقدر على ذلك . وقيل : معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق .

(١) قال الشيخ : قيل : في معناه قولان : أحدهما إنّنا عرفنا الناس أنهم كانوا كذلك كما يقال جعله رجل شرّاً بتعريفنا حاله ، والثاني إنّنا حكمنا عليهم بذلك ، كما قال : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة» والجعل على أربعة أقسام : أحدها بمعنى الاجداث ، كقوله : «وجعلنا الليل والنهار آيتين» الثاني بمعنى قلبه من حال إلى حال ، كجعل النطفة علقة . الثالث بمعنى الحكم أنه على صفة . الرابع بمعنى اعتقد أنه على حال ، كقولهم : جعل فلان فلاناً راكباً إذا اعتقد فيه ذلك اه .

(٢) الشورى : ٥٢ .

وقال في قوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها» أي بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد ، ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف . قال الجبائي ويجوز أن يكون المراد به ولو شئنا لأجنبناهم إلى ما سألوا من الرد إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ، ولكن حق القول مني أن أجازيهم بالعقاب ولا أردّهم . وقيل : معناه : ولو شئنا لهديناهم إلى الجنة ولكن حق القول مني أي الخير والوعيد لا ملأنا جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من كلا الصنفين بكفرهم .

وقال في قوله تعالى : «إن الله يسمع من يشاء» أي ينفع بالإسماع من يشاء أي يلطف له ويوفقه «وما أنت بمسمع من في القبور» أي أنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إياهم ، إذ لم يقبلوا كما لا يسمع من في القبور من الأموات .

وقال في قوله تعالى : «لقد حق القول على أكثرهم» أي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم فهم لا يؤمنون ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله . وقيل : تقديره : لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون ، وذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون ، فحق قوله عليهم : «إننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان» يعني أيديهم كنى عنها وإن لم يذكرها لأن الأغناق والأغلال يدلان عليهما ، واختلف في معنى الآية على وجوه : أحدها أنه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل ، وتقديره : مثل هؤلاء المشركين في إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثّل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير ، ورجل طامح برأسه لا يبصر موطنه قدميه .

وثانيها : أن المعنى كان هذا القرآن أغلالاً في أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم ، وذلك أنهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه ، لاوياً عنقه ، شامخاً بأنفه ، لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلّت أيديهم إلى أعناقهم ؛ وإنما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوة القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة .

وثالثها : أن المعنى بذلك أناس من قريش همّوا بقتل النبي ﷺ فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه أبداً .

ورابعها : أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله : « إذ الأغلال في أعناقهم فهم مقمحون » أراد أن أيديهم ملأ غلت إلى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رؤوسهم صعدا فهم مرفوع الرأس برفع الأغلال إياها ، والمقمح : الغاض بصره بعد رفع رأسه . « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان وقبول الحق ، وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم ملأ كفروا ، فكأنه قال : و تركناهم مخذولين فصار ذلك

(١) قال الرضى رحمه الله : وهاتان استعارتان ، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في أوصاف القوم المذمومين ، وهم في أحوال الدنيا دون الآخرة ، ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون » وإذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالأغلال ولا مضروباً عليهم بالأسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه : « ختم الله على قلوبهم » الخ فكان ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان ولي الأعناق ذهاباً عن الرشد ، واستكباراً عن الانقياد للحق ، وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صواعق البيان وقوارع القرآن ؛ وقد اختلف في معنى الإقماح فقال قوم : هو غش الأبصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة : ونحن على جوانبها قعود . نفخ الطرف كالابل القماح . وقال قوم : المقمح الرافع رأسه صعداً فكان هؤلاء المذمومين شبهوا على المبالغة في وصف تكارهم للإيمان ، وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالأغلال إلى صدورهم مضمومة إليها إيمانهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لآلامهم وأبلغ في عذابهم . وقيل : إن المقمح : الغاض بصره بعد رفع رأسه ، فكانه جامع بين الصفتين جميعاً . وقيل : إن قوله تعالى : « فهي إلى الأذقان » يعني به إيمانهم المجموعة بالأغلال إلى أعناقهم ، فاكتمى بذلك الأعناق من الإيمان ، لأن الأغلال تجمع بين الإيمان والأعناق ، وكذلك معنى السد المجمع بين أيديهم ومن خلفهم إنما هو تشبيه بمن قصر خطوه ، واخذت عليه طريقه ، ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة إنما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم ، ونفت قوارعه في أسماعهم حسن أن يضيف سبحانه إلى نفسه فيقول : أنا جعلناهم على تلك الصفات . وقد قرئ سداً بالفتح وسداً بالضم ، وقيل : إن السد بالفتح ما يصنعه الناس ، وبالضم : ما يصنعه الله تعالى . وقال بعضهم : المراد بذكر السد ههنا الأخبار عن خذلان الله إياهم وتركه نصرهم وممونتهم ، كما تقول العرب في صفة الضال المتحير : فلان لا ينفذ في طريق يسلكه ، ولا يعلم أمامه أم وراءه خيره . وأما قوله سبحانه : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » فهو أيضاً في معنى الختم والطبع ، وواقع على الوجه الذي يقمان عليه ، وقد تقدم إيماؤنا إليه .

من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا ، وإذا قلنا : إنَّه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ، ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدِّماً ولا متأخراً إذ سدَّ عليهم جوانبهم ، وإذا حملناه على صفة القوم الذين همَّوا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين أيدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً حتَّى لم يبصروا النبي ﷺ ، وقوله : « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » أي أغشيناهم أبصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ . وقيل : أي فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى . وقيل : فأغشيناهم بالعذاب فهم لا يبصرون في النار ، وقيل : معناه أنَّهُم لما انزعفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتَّى لا يكادوا يتخلَّصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طريقه .

وقال في قوله تعالى : « ومن يضلل الله » أي عن طريق الجنة « فماله من هاد » أي لا يتدر على هدايته أحد ، وقيل من ضلَّ عن الله ورحمته فلا هادي له ، يقال : أضلت بعيري إذا ضلَّ . وقيل : معناه : من يضلله عن زيادة الهدى والألطف لأنَّ الكافر لا لطف له . وقال في قوله تعالى : « أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين » أي كراهة أن تقول : لو أراد الله هدايتي لكنت ممَّن يتَّقون معاصيه . وقيل : إنَّهُم لما لم ينظروا في الأدلة واشتغلوا بالدنيا توهموا أنَّ الله لم يهدهم فردَّ الله عليهم بقوله : « بلى قد جائتك آياتي » الآية . وقال الزمخشري : « وقبضنا لهم » : وقد رنا لهم ، يعني لمشركي مكَّة « قرناء » أخداناً^(١) من الشياطين من جمع قرين كقوله : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيُّض له شيطاناً فهو له قرين »^(٢) .

فإن قلت : كيف جاز أن يقيُّض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم ؟ قلت : معناه أنَّه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر ، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ، والدليل عليه ومن يعيش تقيُّض .

« ما بين أيديهم وما خلفهم » ما تقدَّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها ، أو ما بين أيديهم

(١) جمع الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب .

(٢) الزخرف : ٣٦ .

من أمر الدنيا واتّباع الشهوات ، وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب ، « وحقّ عليهم القول » يعني كلمة العذاب « في أمم » في جملة أمم « إنهم كانوا خاسرين » تعليل لاستحقاقهم العذاب .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله : « ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً » : معناه أن الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة أن في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بأحوالهم إليه يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم . وقيل : معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتخذونهم عبيداً ومماليك .

وقال في قوله تعالى : « ومن بعث عن ذكر الرحمن » أي يعرض عنه « نقيض له شيطاناً » أي نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله . وقيل : معناه نقرن به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار ، كما أن المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتّى يصير به إلى الجنة .

وقال السيّد المرتضى رضي الله عنه فيما مرّ في سورة الأعراف من قوله تعالى : « سأصرف عن آياتي » الآية : فيه وجوه : أو لها أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب الله النظر في الآيات ، وعن العز والكرامة اللذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدائته وتمسّك بها ، والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة ، وهذا التأويل يطابقه الظاهر لأنّه تعالى قال : « ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » فبيّن أن صرفهم عن الآيات يستحقّ بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرفهم عن زيادة المعجزات التي يظهرها على الأنبياء بعد قيام الحجّة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم ، لأنّه تعالى إنّما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدّم من الآيات فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها و صرف الذين علم من حالهم أنّهم لا يؤمنون بها عنها ؛ و يكون الصرف على أحد وجهين : إمّا بأن لا يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .

و ثالثها : أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته ، وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم ، وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً .
 ورابعها : أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله في قلوب المؤمنين ، ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منها ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ، و يكون معنى سأصرفهم عنها أي أعدل بهم عنها وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي .
 وخامسها : أن يريد تعالى : أنني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها ، لأن من الواجب على الله أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لأنه ينقض الغرض في البعثة .

وسادسها : أن يكون الصرف هنا الحكم والتسمية والشهادة ، و معلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جاز أن يقال له : صرفه عنه ، كما يقال : أكفره و كذبه و فسقه .

وسابعها : أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته و الإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول : سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه ، ويجري ذلك مجرى قولهم : سأبخل فلاناً أي أسأله ما يبخل ببذله ، والآيات إمّا المعجزات أو جمع الأدلة .
 وثامنها : أن يكون الصرف هنا المنع من إبطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً ، فيكون تقدير الكلام : إنني بما أؤيده من حججي وأحكمه من آياتي و بيناتي سأصرف المبطلين و المكذبين عن القدح في الآيات والدلالات .

وتاسعها : أن الله عز وجل لما وعد موسى عليه السلام وأُمَّته لهلاك عدوهم قال : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق فأراد عز وجل أنه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم ، بما قد كان منهم من التكذيب بآيات الله

تعالى والردّ لحججه ، و هو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها .

وفي قوله تعالى : « يتكبرون في الأرض بغير الحق » وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق .

والثاني أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأن من تكبر وتنزه عن الفواحش و تباعد عن فعلها وتجذب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف ، والفخر عليهم والمباهاة لهم . ثم المراد بالغفلة في الآية التشبيه بالحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها اشتبهت حالهم حال من كان ساهياً ، غافلاً عنها كما قال تعالى : « صمّ بكم عمي » على هذا المعنى . انتهى ملخص كلامه رحمه الله وقد بسط الكلام فيها بما لا مزيد عليه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « يخرجهم من الظلمات إلى النور » : أمّا النور و الظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر ، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، وقد تصح الكناية عن الثواب و النعيم في الجنة بآته نور ، وعن العقاب في النار بآته ظلمة ، وإذا كان المراد بهما الجنة و النار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه جلّ وعزّ هو المدخل للمؤمن الجنة ، والعاقل به عن طريق النار ، والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة إلى النور ، فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى ، ولصار تقدير الكلام : أنه يخرج المؤمن الذي تقدّم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان ، وذلك لا يصح ؛ على أنالو حملنا الكلام على الإيمان و الكفر لصحّ ولم يكن مقتضياً لما توهموه ، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه - وإن لم يكن الإيمان من فعله - من حيث دلّ وبيّن وأرشد ولطف وسهّل ، وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من الكفر إلى الإيمان ، فتصحّ إضافة الإخراج إليه لكون ما عدناه من جهته ، وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره

بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح ، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول : أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني ، وأنا أخرجته من كذا وكذا ، ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت ، وإن لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر للكفار ، بل وجه الإضافة ما تقدم لأن الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر ، ويزيّنون فعله ، فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله في المؤمن ، ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين و غفلتهم ؟ وبعد فلو كان الأمر على ما ظنّوه لما صار الله ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ، ولما كان خاذلاً للكفار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله بهم ؛ ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتوالي لفعل الأمرين فيهما ؛ ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « ربنا لاتزغ قلوبنا » فيه وجوه : أولها أن يكون المراد بالآية : ربنا لاتشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه ، فيفضي بنا إلى ضيق قلوبنا بعد الهداية ، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم إليه ، كما قال تعالى في السورة : « إنهم زادتهم رجساً إلى رجسهم » (١) فإن قيل كيف يشدد المحنة عليهم ؟ قلنا : بأن يقوى شهواتهم لما في عقولهم (٢) ونفورهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً ، والثواب المستحق عليهم عظيماً متضاعفاً ، وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .

وثانيها أن يكون ذلك دعاءاً بالتثبيت على الهداية ، وإمدادهم بالأنطاف التي معها يستمرون على الإيمان .

فإن قيل : وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف ؟ قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالأنطاف وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان ، ويجري

(١) التوبة : ١٢٥ .

(٢) في الامالي المطبوع هكذا : بأن يقوى شهواتهم لما قبحه في عقولهم .

هذا مجرى قولهم : اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا في تسلط علينا ، فكأنهم قالوا : لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا أطفافك فنزيغ ونضل . وثالثها ما ذكره الجبائي وهو أن المعنى لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ، ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله أن يلفظ لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وأن يفعل بهم بدلاً منه العقاب .

ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يحب أن يفعله ، وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن ندعوه على سبيل الانقطاع إليه و الافتقار إلى ما عنده ، بأن يفعل ما نعلم أنه لا بد من أن يفعله ، وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم : « ولا تخزني يوم يبعثون » ^(١) وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به : « قل رب احكم بالحق و ربنا الرحمن » ^(٢) وكقوله تعالى : « ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » ^(٣) .

وقال رضي الله عنه في قول نوح عليه السلام : « لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم » : ليس في هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى لم يقل : إنه فعل الغواية أو أَرادها ، وإنما أخبر أن نصح النبي ﷺ لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم ، ووقوع الإرادة لذلك ، أو جواز وقوعها لدلالة عليهم في الظاهر ، على أن الغواية ههنا الخيبة و حرمان الثواب ، ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره * و من يغو لا يعدم على الغي لائماً
فكأنه قال : إن كان الله يريد أن يخيبكم و يعاقبكم بسوء عملكم و كفركم و يحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه ، إلا أن تخلصوا و تتوبوا

وقد سمى الله تعالى العقاب غيباً فقال : « فسوف يلقون غيباً »^(١) وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه ، و أن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا : « يانوح قد جادلتنافاً كثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي » الآية ، فأخبر أن نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب ، ولا يغني عنه شيئاً .

وقال جعفر بن حرب : إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذاهبهم ، وقال لهم على طريق الإنكار عليهم و التعجب من قولهم : إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر و الفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحاً فأنتم على قولكم لا تنتفعون به و هذا جيد . وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو أنه قال : المعنى فيها : إن كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم و إن قبلتموه و آمنتم به ، لأن من حكم الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب ، و كل هذا واضح في زوال الشبهة في الآية .

أقول : إنما بسطنا الكلام فيما نقلناه عن الأفاضل الأعلام في تفسير تلك الآيات من كلام الملك العلام لتحيط خبراً بما ذكره أهل العدل فيها لدفع شبه المخالفين ، و سنتلو عليك ما ورد في تأويلها نقلاً عن أئمة الدين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ما تتخلص به من شبه المبطلين .

١ - **كا :** عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن حماد بن عثمان عن أبي عبيدة الحذاء قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس ، فقال : - وتلاهذه الآية ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقهم - يا أبا عبيدة الناس مختلفون في إصابة القول و كلهم هالك ، قال : قلت : قوله : « إلا من رحم ربك » قال : هم شيعةنا و لرحمة خلقهم^(٢) وهو قوله : « ولذلك خلقهم » يقول : لطاعة الإمام . « ج ١ ص ٤٢٩ »

(١) مريم : ٥٩ .

(٢) في المصدر : و لرحبته . م

عد : اعتقادنا في الفطرة والهداية أن الله عز وجل فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عز وجل : فطرة الله التي فطر الناس عليها .

٢ - وقال : الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : « وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذهابهم حتى يبين لهم ما يتقون » قال : حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه .

٣ - وقال في قوله عز وجل : « فألهمها فجورها وتقويها » قال : يبين لها ما تأنى وما تترك .^(١)

٤ - وقال^(٢) في قوله عز وجل : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » قال : عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً .

٥ - وفي قوله عز وجل : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » قال : وهم يعرفون .

٦ - وسئل^(٣) عن قول الله عز وجل : « وهديناه النجدين » قال : نجد الخير ونجد الشر .

٧ - وقال عليه السلام : ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

٨ - وقال عليه السلام : إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم . «ص ٧٢»

٩ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن رهبان ،^(٤) عن أحمد بن إبراهيم

عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن

سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « وهديناه النجدين » قال : نجد الخير

والشر .^(٥) «ص ٥٩»

(١) في المصدر : وما تترك من المعاصي . م

(٢) في المصدر : وقال تعالى : « إنا هديناه » الآية . م

(٣) في المصدر : وسئل عن الصادق عليه السلام . م

(٤) بفتح الواو وسكون الهاء ، ترجمه النجاشي في ص ٢٨٢ من رجاله وقال : إله ثقة من

أصحابنا ، واضح الرواية ، قليل التخليط ، له كتب إله .

(٥) النجد : المكان الغليظ الرفيع ، وقوله : « هديناه النجدين » مثل لطريقي الحق والباطل

في الاعتقاد ، والصدق والكذب في المقال ، والجميل والقبيل في الفعال ، قاله الراغب في المفردات .

١٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم و حلّ المقود .^(١)

١١ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم » يقول : أخذ الله منكم الهدى من إله غير الله يأتيكم به . « ص ١٨٨-١٨٩ »

١٢ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « وقلوب أفئدتهم و أبصارهم » يقول : و ننكس قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها و نعمي^(٢) أبصارهم فلا يبصرون الهدى . « ص ٢٠١ »

١٣ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « لهم قلوب لا يفقهون بها » يقول^(٣) : طبع الله عليها فلا تعقل « ولهم أعين » عليها غطاء عن الهدى « لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » جعل في آذانهم وقرأ فلم يسمعوا الهدى . « ص ٢٣١ »

١٤ - فس : أحمد بن محمد ، عن جعفر بن عبد الله ، عن كثير بن عيش ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « والذين كذبوا بآياتنا صم و بكم » يقول : صم عن الهدى ، و بكم لا يتكلمون بخير ، « في الظلمات » يعني ظلمات الكفر « من يشأ الله يضلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم » وهو رد على قد رية هذه الأمة ، يحشرهم الله يوم القيامة مع الصائين و النصاري و المجوس فيقولون : « والله ربنا ما كنا مشركين » يقول الله : « انظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون » قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا إن لكل أمة مجوساً ، و مجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر ، و يزعمون أن المشيئة و القدرة إليهم و لهم . « ص ١٨٦ »

(١) العزائم جمع العزيمة : الإرادة المؤكدة . وفسخها نقضها . و العقود جمع العقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر ، و بهذا النقص و الحل يعرف أن هناك قدرة سامية فاهرة فوق إرادة البشر و مشيئته تحول بين الإنسان وإرادته ، و هي قدرة الله تعالى ، ولولاها لكان الإنسان أمضى ما عزم ، و فعل ما عقد .

(٢) في المصدر : و يعنى أبصارهم . م

(٣) في المصدر : أى طبع الله . م

١٥- فس : محمد بن عبدالله ، عن موسى بن عمران ، عن النوفلي ، عن السكوني قال ، جاء رجل إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليه و أنا عنده ، فقال : يا بن رسول الله «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وقوله : «أمر ربّي أن لا تعبدوا إلا إياه» فقال : نعم ليس الله في عباده أمر إلا العدل والإحسان ، فالدعاء من الله عام ، والهدى خاص ، مثل قوله : «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» ولم يقل : ويهدي جميع من دعاه ^(١) إلى صراط مستقيم . «ص ٦٤»

١٦- لى : أبي ، عن علي بن محمد بن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان ، عن نوح بن شعيب ، عن ابن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن علقمة بن محمد الحضرمي ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جلّ جلاله : عبادي كلّم ضالّ إلا من هديته ، وكلّم فقير إلا من أغنيته ، وكلّم مذنب إلا من عصمته . «ص ٦١»

١٧- ب : ابن سعد ، ^(٢) عن الأزدی ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالی إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر دخالاً . «ص ١٧»

١٨- ب : الیقطينی ، عن نباتة بن محمد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن الله تبارك و تعالی إذا أراد بعبد خيراً وكل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله ^(٣) في هذا الأمر . ص ٢١-٢٢

١٩- ب : هارون ، عن ابن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : كونوا دعاة الناس بأعمالكم ، ولا تكونوا دعاة بالسنتكم ؛ فإن الأمر ليس حيث يذهب إليه الناس إنّه من اخذ ميثاقه أنّه منّا فليس بخارج منّا ولو ضربنا خيشومه بالسيف ، ومن لم يكن منّا ثمّ حبونا ^(٤) له الدنيا لم يحبنا . «ص ٣٧-٣٨»

(١) في المصدر : جميع من دعا . م

(٢) لم نجد الحديث في المصدر بهذا السند ، وفيه : عنه ، عن بكر بن محمد ، عن أبي عبدالله

عليه السلام . م

(٣) في نسخة من المصدر : فدخله . م

(٤) الحبوة : العطية .

بيان : قوله ﷺ : ليس حيث يذهب إليه الناس أي أنهم يقدرّون على هداية الناس بالاحتجاج عليهم ، ولعل المقصود في تلك الأخبار زجر الشيعة عن المعارضات والمجادلات مع المخالفين بحيث يتضرّرون بها فإنهم كانوا يبالغون في ذلك ظناً منهم أنهم يقدرّون بذلك على هداية الخلق ، وليس الغرض منع الناس عن هداية الخلق في مقام يظنون النفع ولم يكن مظنة ضرر فإن ذلك من أعظم الواجبات .

٢٠ - ب : أحمد ، عن البرزطي قال : قلت له : قول الله تبارك و تعالى « إن علينا للهدى » قال : الله ^(١) يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ؛ فقلت له : أصلحك الله إن قوماً من أصحابنا يزعمون أن المعرفة مكتسبة ، وأنهم إذا نظروا منه ^(٢) وجه النظر أدركوا ، فإنكر ﷺ ذلك و قال : فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لأنفسهم ؛ ليس أحد من الناس إلا وهو يحب أن يكون خيراً ممن هو خير منه ، هؤلاء بني هاشم موضعهم موضعهم ، وقرابتهم قرابتهم ، وهم أحق بهذا الأمر منكم ، أفتررون ^(٣) أنهم لا ينظرون لأنفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا ؟ قال أبو جعفر ﷺ : لو استطاع الناس لأحببونا . « ص ١٥٦ - ١٥٧ »

٢١ - يد ، مع : الوراق والسناني ، ^(٤) عن ابن زكريّا القطان ، عن ابن حبيب عن ابن بهلول ، عن أبيه ، عن جعفر بن سليمان البصري ، عن الهاشمي قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ عن قول الله عز وجل : « من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً » فقال : إن الله تبارك و تعالى يضل الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته كما قال عز وجل : « ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » وقال الله عز وجل : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم » قال : فقلت : فقوله : « وما توفيقي إلا بالله » وقوله عز وجل : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي

(١) في المصدر : فقلت له قول الله تبارك و تعالى : « إن علينا للهدى » قال : إن الله . م

(٢) في المصدر : إذا نظروا من وجه النظر . م

(٣) في المصدر : افترى . م

(٤) في التوحيد والمعاني : الوراق والسناني والدقاق قالوا : حدثنا القطان . م

ينصركم من بعده ؟ فقال : إذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عز وجل وسمي العبد به موفقاً ، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ، ومتى خلني بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه . «ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ص ١١»

٢٢ - يد ، مع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان قال : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ^(١) عن قول الله عز وجل : «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» قال : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه ، ومن يرد أن يضله عن جنّته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . «ص ٢٢٤ ص ٤٧ - ٤٨ ص ٧٥»
ج : مرسل عنه عليه السلام مثله . «ص ٢٢٤»

٢٣ - مع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن ثعلبة ، عن زرارة ، عن عبد الخالق بن عبد ربّه ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : «ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» فقال : قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر ، والحرج هو الملتأم الذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه . «ص ٤٧»

٢٤ - م ، ج : بالإسناد إلى أبي محمد عليه السلام قال في قوله تعالى : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» : أي وسمها بسمة ^(٢) يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون ، وعلى سمعهم كذلك بسمات وعلى أبصارهم غشاوة ، وذلك أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه وقصروا فيما

(١) في التوحيد والمعاني : سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بنيسابور . م

(٢) السمة كعدة : العلامة وأثر الكي ، والجمع سمات ، أي جعل له علامة يعرف بها من يشاء .

أريد منهم وجهلوا ما لزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإن الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمرهم بمغالبة ولا بالمصير إلى ما قد صدهم عنه بالقسر عنه، ^(١) ثم قال: «ولهم عذاب عظيم» يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبته لطاعته، ومن عذاب الاصطلام ^(٢) ليصيره إلى عدله وحكمته.

قال الطبرسي رحمه الله: وروى أبو محمد العسكري عليه السلام مثل ما قال هوفي تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق عليه السلام بزيادة شرح لم نذكره مخافة التطويل لهذا الكتاب. «ص ٢٥٣»

٢٥ - ن: تميم القرشي، عن أبيه، عن الأنصاري، عن الهروي قال: قال الرضا عليه السلام في قوله عز وجل: «وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله»: ليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة، وإلجاءها إليها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها.

٢٦ - ن: السناني، عن محمد الأسدي، عن سهل، عن عبد العظيم الحسني، عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال تعالى: «بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً». «ص ٧٠»

٢٧ - فس: قوله: «وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله» يعني الحسنات والسيئات، ثم قال في آخر الآية: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» وقد اشتبه هذا على عدة من العلماء فقالوا: يقول الله: «وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن

(١) في المصدر: إلى ما قد صدهم بالقسر عنه. م

(٢) في المصدر: أو من عذاب الاصطلاح. م

تصبرهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله الحسنة والسيئة . ثم قال في آخر الآية : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » فكيف هذا وما معنى القولين ؟ .

فالجواب في ذلك من معنى القولين جميعاً عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا : الحسنات في كتاب الله على وجهين ، والسيئات على وجهين ، فمن الحسنات التي ذكرها الله الصحة والسلامة والأمن والسعة في الرزق وقد سماها الله حسنات « وإن تصبرهم سيئة » يعني بالسيئة ههنا المرض والخوف والجوع والشدة « يطّيئروا بموسى ومن معه » أى يتشاءموا به ، والوجه الثاني من الحسنات يعني به أفعال العباد وهو قوله : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ومثله كثير . وكذا السيئات على وجهين فمن السيئات الخوف والجوع والشدة وهو ما ذكرناه في قوله : « وإن تصبرهم سيئة يطّيئروا بموسى ومن معه » وعقوبات الذنوب قد سماها الله السيئات كقوله تعالى : « جزاء سيئة سيئة مثلها » .

والوجه الثاني من السيئات يعني بها أفعال العباد الذين يعاقبون عليها وهو قوله : « ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار » وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » يعني ما عملت من ذنوب فعوقبت عليها في الدنيا والآخرة فمن نفسك بأعمالك لأن السارق يقطع ، والزاني يجلد ويرجم ، والقاتل يقتل فقد سمي الله العلل والخوف والشدة وعقوبات الذنوب كلها سيئات ، فقال : « ما أصابك من سيئة فمن نفسك » بأعمالك ، قوله : « قل كل من عند الله » يعني الصحة والعافية والسعة والسيئات التي هي عقوبات الذنوب من عند الله . « ص ١٣٢ - ١٣٣ »

بيان : لا يخفى أن الظاهر في الآية الأولى من الحسنة النعمة كالخصب والظفر والأمن والفرح ، ومن السيئة القحط والهزيمة والجوع والخوف ، ويحتمل بعيداً ما ذكره علي بن إبراهيم من عقوبات الذنوب ؛ وفي الآية الثانية يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الطاعة فإنها بتوفيقه تعالى والنعمة فإنها بأنواعها من فضله تعالى ، وبالسيئة الذنوب فإنها باختيارنا ؛ أو عقوباتها فإنها بسبب أفعالنا ، ولا ينافي ذلك كونها من الله ، إذ تقديرها وإلزامها وإيجابها من الله وفعل ما يوجبها منها ، ولعل كلام علي بن إبراهيم ناظر

إلى هذا ، أو البلايا والمصائب فإنّها بسبب ذنوبنا التي نستحقّها بها ، ولا ينافي أيضاً كونها من عند الله إذ أعمالنا أسباب لا يزال الله تعالى إيّاها ، فالفاعل هو الله ونحن الأَسباب ، ومنها البواعث ، ويمكن حمل الآية أيضاً على الطاعات والمعاصي إذ المعاصي صادرة منها بسلب توفيقه تعالى عنها ، فيجوز نسبتها إليه تعالى أيضاً مجازاً وإن كنّا نحن بقبائح أعمالنا باعثين لسلب التوفيق أيضاً ، ولعلّه إنما خصّ بعض الصور بالذكر لظهور البواقي .

٢٨ - يد : ابن الوليد ، عن ابن أبان ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله الفرّاء ، عن محمد بن مسلم ، ومحمد بن مروان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما علم رسول الله ﷺ أن جبرئيل عليه السلام من قبل الله عز وجل إلا بالتوفيق . «ص ٢٤٦ - ٢٤٧»

٢٩ - يد ، القطّان ، عن السكّري ، عن الجوهري ، عن ابن عمارة ، عن أبيه ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن معنى لاحول ولا قوة إلا بالله فقال : معناه لاحول لنا عن معصية الله إلا بعون الله ، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عز وجل . «ص ٢٤٧»

٣٠ - سن : محمد بن إسماعيل ، عن أبي إسماعيل السراج ، عن ابن مسكان ، عن ثابت أبي سعيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا ثابت مالكم وللناس ؟ كفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم ، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرض اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّالته ما استطاعوا أن يهدوه ، ^(١) ولو أن أهل السماوات وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضلّوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلّوه ، كفّوا عن الناس ولا يقل أحدكم : أخي وابن عمّي وجاري ، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ، ولا منكراً إلا أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره . «ص ٢٠٠»

سن : أبي ، عن عبد الله بن يحيى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن ثابت مثله . «ص ٢٠٠»

٣١ - سن : عبد الله بن يحيى ، عن هشام بن سالم ، عن سليمان بن خالد قال : قال

لي أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إن لك قلباً ومسامع ، وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً

(١) في نسخة : على أن يهدوه .

فتح مسامع قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً ؛ وهو قول الله عز وجل : « أم على قلوب أقفالها » . « ص ٢٠٠ »

٣٢ - سن : القاسم بن محمد وفضالة ، عن كليب بن معاوية الأسدي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ما أنتم والناس ؟ إن الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نقطة بيضاء فإذا هو يجول لذلك ويطلبه . « ٢٠٠ »

٣٣ - سن : فضالة ، عن القاسم بن يزيد ^(١) عن سليمان بن خالد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نقطة بيضاء فجاء القلب يطلب الحق ، ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره ^(٢) « ص ٢٠١ » .

٣٤ - سن : أبي ، عن فضالة ، عن أبي بصير ، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرتة هالم يصب الحق ، فإذا أصاب الحق قر . ثم ضم أصابعه وقراهذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » . « ص ٢٠٢ »
شي : عن خيثمة مثله . ^(٣)

٣٥ - سن : حماد بن عيسى ، عن ربعي ، عن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لاتدعوا إلى هذا الأمر فإن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر . « ص ٢٠٢ » .

سن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله . « ص ٢٠٢ » .

٣٦ - سن : النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن عمران قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر . « ص ٢٠٢ » .

(١) الموجود في نسخ الكتاب والمحسن المطبوع : القاسم بن يزيد : والظاهر أنه مصنف القاسم بن بريد .

(٢) الوكر : عش الطائر وموضعه .

(٣) بضم الغاء المعجمة وسكون الياء المثناة وفتح التاء المثناة ، والميم والهاء .

سن : علي بن إسماعيل الميثمي ، عن ربعي ، عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام مثله «ص ٢٠٢».

سن : صفوان ، عن العلاء ، عن محمد ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . «ص ٢٠٢»
 ٣٧ - سن : صفوان ، عن محمد بن مروان ، عن فضيل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام ندعو الناس إلى هذا الأمر؟ فقال : لا يا فضيل ؛ إن الله إذا أراد بعبد خيراً و كل ملكاً^(١) فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهأ . «ص ٢٠٢»

٣٨ - سن : ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن معاذ بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إني لا أسئلك إلا عما يعنيني ،^(٢) إن لي أولاداً قد أدركوا فأدعوهم إلى شيء من هذا الأمر؟ فقال : لا ، إن الإنسان إذا خلق علويّاً أو جعفريّاً يأخذ الله بناصيته حتى يدخله في هذا الأمر . «ص ٢٠٢»

٣٩ - سن : صفوان ، عن حذيفة بن منصور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أبي عليه السلام يقول : إذا أراد الله بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر ، قال : و أوماً بيده إلى رأسه . «ص ٢٠٣»

٤٠ - سن : حماد بن عيسى ، عن نباتة بن محمد البصري قال : أدخلني ميسر بن عبد العزيز على أبي عبد الله عليه السلام وفي البيت نحو من أربعين رجلاً فجعل ميسر يقول : جعلت فداك هذا فلان بن فلان من أهل بيت كذا وكذا حتى انتهى إلي فقال : إن هذا ليس في أهل بيته أحد يعرف هذا الأمر غيره ؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً و كل به ملكاً فأخذ بعضده فأدخله في هذا الأمر . «ص ٢٠٣»

٤١ - سن : علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى : «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» فقال : يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق . «ص ٢٣٧»

بيان : أي يهديه إلى الحق .

(١) في المصدر : امر ملكاً . م

(٢) أي إلا عما بهمني .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في الغرر والدرر : فيه وجوه .

أوّلها أن يريد بذلك أنّه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حثّ منه عزّ وجلّ على الطاعات و المبادرة لها قبل الفوت .
وثانيها أنّه يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حيّاً ، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه : إنّّه بغير قلب ، قال تعالى : «إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب» (١).

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قرب من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وأنّ الضمائر المكنونة له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» (٢) ونحن نعلم أنّه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه ، وإذا كان جلّ وعزّ هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه و نضلّ عن علمه ، وكلّ ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول أنّه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنّه معلوم في الشاهد أن كلّ شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما (٣) والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة ، فيقول : فلان أقرب إلى قلبي من فلان .

ورابعها ما أجاب به بعضهم من أنّ المؤمنين كانوا يفكّرون في كثرة عدوّهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدّل له بالخوف الأمن ، ويبدّل عدوّهم بظنّهم أنّهم قادرون عليهم الجبن والخور (٤).

ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد أنّه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد انتهى .

أقول : يمكن أن تكون الحيلولة بالهدايات و الألفاظ الخاصة زائداً على

(٢) ق : ١٦

(١) ق : ٣٧

(٣) في المصدر بعد ذلك : ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛

وإن كان القرب الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة اهـ .

(٤) الخور بالخاء والواو المفتوحين : الضعف .

الأمر والنهي ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بالمقرئين الذين يملك الله قلوبهم ويستولي عليها بلطفه و يتصرف فيها بأمره فلا يشاؤون شيئاً إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون إلا ما أراد الله ، فهو تعالى في كل آن يفيض على أرواحهم ، ويتصرف في أبدانهم ، فهم ينظرون بنور الله ، و يبطشون بقوة الله ، كما قال تعالى فيهم : فبني يسمع وبني يبصر ، وبني ينطق ، وبني يمشي ، وبني يبطش . وقال جل وعز : كنت سمعه و بصره و يده و رجله و لسانه . وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في كتاب المكارم ، وقدم الكلام في الآية في باب العلم .^(١)

٤٢ - شى : عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لبسوا عليهم لبس الله عليهم فإن الله يقول : «وللبسنا عليهم ما يلبسون» .

٤٣ - شى : عن علي بن عقبة ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوا للناس ، فإنه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله ولا تخاصموا الناس بدينكم فإن الخصومة ممرضة للقلب ، إن الله قال لنبيه : يا محمد إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وقال : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . ذروا الناس فإن الناس أخذوا من الناس وإنكم أخذتم من رسول الله و علي ولا سواء ، إنني سمعت أبي عليه السلام وهو يقول : إن الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره .

٤٤ - شى : البرنطي ، عن الرضا عليه السلام قال : قال الله في قوم نوح : «ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم» قال : الأمر إلى الله يهدي ويضل .

٤٥ - شى : عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول

(١) لا يخفى أن جميع ما ذكر من هذه الوجوه إنما هو للفرار من نسبة فعل القبيح إليه تعالى فان الحيلولة والمكر والأمر بالمعصية وبالجملة كل ما هو إضلال بوجه قبيح من الحكيم فلا ينسب إليه تعالى ؛ إلا أن ظاهر الكتاب أن جميع ذلك منه تعالى فيما نسب إليه من قبيل المجازاة على المعاصي قال تعالى : «وما يضل به إلا الفاسقين» وقال : «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» ولا يقبح الإضلال وكل ما يرجع إليه إذا كان بعنوان المجازاة كما لا يخفى . ط

الله ﷻ كان يدعو أصحابه فمن أراد الله به خيراً سمع وعرف ما يدعو إليه ، ومن أراد به شراً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل وهو قوله : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون » .

٤٦ - شى : عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » - مشددة منصوبة - تفسيرها : كثرنا ؛ وقال : لا قرأتها مخففة .

بيان : قال الفيروز آبادي : أمر كفرح أمراً وأمرأة ، كثر وتم فهو أمر ، والأمر اشتد ، والرجل كثر ما شيته ، وأمره الله وأمره كنصره لغية كثر ماشيته ونسله .

٤٧ - شى : عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » قال : تفسيرها : أمرنا أكابرها .

٤٨ - تفسير النعماني : بالإسناد الآتي في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : الضلالة على وجوه : فمنه محمود ، ومنه مذموم ، ومنه مالميس بمحمود ولا مذموم ومنه ضلال النسيان ، فأما الضلال الم محمود وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله : « يضل الله من يشاء » هو ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم ، والمذموم هو قوله تعالى : « وأضلهم السامري » وأضل فرعون قومه وما هدى ، ومثل ذلك كثير ؛ وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام فقوله في قصة إبراهيم « واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس » الآية ، والأصنام لا يضلن أحداً على الحقيقة ، إنما ضل الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عز وجل ، وأما الضلال الذي هو النسيان فهو قوله تعالى : « أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » وقد ذكر الله تعالى الضلال في مواضع من كتابه ، فمنهم ما نسبته إلى نبيه على ظاهر اللفظ كقوله سبحانه : « ووجدك ضالاً فهدى » معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك ؛ وأما الضلال المنسوب إلى الله تعالى الذي هو ضد الهدى والهدى هو البيان ، وهو معنى قوله سبحانه : « أولم يهد لهم » معناه : أولم أبين لهم ، مثل قوله سبحانه : « فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » أي بيننا لهم ، وهو قوله تعالى : وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إزهدهم حتى يبين لهم ما يتقون .

وأما معنى الهدى فقوله عز وجل : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ومعنى

الهادي المبين لما جاء به المنذر من عند الله ، وقد احتج قوم من المنافقين على الله تعالى «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» و ذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه «ولكل قوم هاد» قال طائفة من المنافقين «ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً» فأجابهم الله تعالى بقوله : «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» إلى قوله : «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين» فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى لأنه أقام لهم الإمام الهادي لما جاء به المنذر فخالفوه و صرفوا عنه ، بعد أن أقرؤا بفرض طاعته ، ولما بين لهم ما يأخذون وما يذرون فخالفوه ضلوا . هذا مع علمهم بما قاله النبي ﷺ ، وهو قوله : لا تصلوا علي صلاة مبتورة^(١) إذا صليتم علي بل صلوا على أهل بيتي ولا تقطعوه مني فإن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي . ولما خالفوا الله تعالى ضلوا فأضلوا فحذر الله تعالى الأمة من اتباعهم فقال سبحانه : «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» والسبيل ههنا الوصي ، وقال سبحانه : «ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به» الآية فخالفوا ما وصيهم الله تعالى به واتبعوا أهواءهم فحرفوا دين الله جلّت عظمتة وشرائعه ، وبدلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أمروا به ، كما عدلوا عما أمروا بطاعته ، وأخذ عليهم العهد بموالاته ، واضطروهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرة والتباساً . ومنه قوله سبحانه : «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء» فكان تركهم اتباع الدليل الذي أقام لهم ضلالة لهم فصار ذلك كأنه منسوب إليه تعالى لما خالفوا أمره في اتباع الإمام ، ثم افترقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً واستحل بعضهم دماء بعض ، فما ذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تؤفكون . «ص ١٧-٢٠»

٤٩ - نهج : قال عليه السلام - وقد سئل عن معنى قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله - :

إِنَّمَا لَانْمَلِكْ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَلَا نَمْلِكْ إِلَّا مَا مَلَكَنَا ، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلِكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفْنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا. ^(١)

٥٠ - كنز الكراجكي : قال : قال الصادق عليه السلام : ما كل من نوى شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء ، وفق له ، ولا كل من وفق لشيء ، أصاب له ، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهناك تمت السعادة .

﴿باب ٨﴾

﴿التمحيص والاستدراج والابتلاء والاختبار﴾

الآيات ، آل عمران ٣ ، ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ١٧٨ - ١٧٩ « وقال تعالى » : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ١٣٨ - ١٤٢ « وقال تعالى » : وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ١٥٤ « وقال تعالى » : لتبلون في أموالكم وأنفسكم ١٨٦ .

المائدة ٥ ، وحسبوا أن لا تكون فتنة ٧١ .

الأنعام ٦ ، وهو الذي جعلكم خلائف الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ١٦٥ .

(١) حاصله أن اختيارنا وقوة تعاطينا الأفعال و الأمور إنما هو منه سبحانه ، وليس لنا في حد ذاتنا وهياتنا أمر واختيار دونه ، فنحن المالكون لها بالعرض وهو المالك بالذات والحقيقة ، فبما أعطانا من القوة على الأفعال والأعمال - وهي منه واختيارها بيده وقبضته عليها أشد من قبضتنا عليها - كلفنا وأوجب علينا أشياء ، وحرم أموراً ، ومتى أخذ هذه القوة والمقدرة عنا وضع تكليفه أيضاً عنا ، فالمعزى أن لا فعالنا إسناداً إليه تعالى بما أقدرنا عليها وأمكنه روعنا عنها وأخذ القوة منا ، كما أن لها أيضاً إسناداً إلينا ، بما أوجدناها واخترنا فعلها علم تركها ، فليس أجبرنا على أعمالنا بحيث لم تصح إسنادها إلينا ، ولا فوض أمرها إلينا بحيث لم تكن له مشيئة وأمر فيها .

الاعراف ٧، والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأهلي لهم إن كيدي متين ١٨٢-١٨٣ .

الانفال ٨، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ٢٥ «وقال تعالى» : واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ٢٨ .

التوبة ٩، أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعملون ١٦ «وقال الله تعالى» : أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ١٢٦ . هود ١١، ليلوكم أيكم أحسن عملاً ٧ .

الكهف ١٨، إنما جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ٧ . طه ٢٠، وفتناك فتوناً ٤٠ «وقال تعالى» : قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ٨٥ «إلى قوله» : يا قوم إنما فتنتم به ٩٠ «وقال تعالى» : لنفتنهم فيه ١٣١ . الانبياء ٢١، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ٣٥ «وقال» : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ١١١ .

الحج ٢٢، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ٥٣ . الفرقان ٢٥، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ٢٠ . النمل ٢٧، بل أنتم قوم تفتنون ٤٧ . العنكبوت ٢٩، ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ٢-٣ . الاحزاب ٣٣، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلازلاً شديداً ١١ . الصافات ٣٧، إن هذا هو البلاء المبين ١٠٦ . ص ٣٨، ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ٣٤ . الزمر ٣٩، فإذا مس الإنسان ضرٌ دعانا ثم إذا حوّلناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ٤٠ . المؤمن ٤٠، فلا يغرك تقلبهم في البلاد ٤٠ .

الدخان « ٤٤ » ولقد فتننا قبلهم قوم فرعون ١٧ « وقال تعالى : و آتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ٣٣ .

محمد « ٤٧ » ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض ٤ « وقال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ٣١ . القمر « ٥٤ » إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم ٢٧ .

المتحنة « ٦٠ » ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ٥ .

الملك « ٦٧ » الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ٣ .

القلم « ٦٨ » إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين ١٧

« وقال تعالى : فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملئ لهم إن كيدي متين ٤٤ - ٤٥ .

الجن « ٧٢ » لنفتنهم فيه ١٧ .

المدثر « ٧٤ » وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ٣١ .

الطارق « ٦٨ » إنهم يكيدون كيداً * وأكيد كيداً ١٥ - ١٦ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » أي يعلمهم متميزين بالإيمان ، وإذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم بالإيمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيتميزون فإذا أظهره علمهم متميزين ، ويكون التغير حاصل في المعلوم لا في العالم ، كما أن أحداً يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجيء ، فإذا جاء علمه جائئاً وعلمه يوماً لاغداً وإذا انقضى فإنما يعلمه أمس لا يوماً ولاغداً ، ويكون التغير واقعاً في المعلوم لا في العالم . وقيل : معناه : وليعلم أولياء الله ، وإنما أضاف إلى نفسه تفخيماً . وقيل : معناه : وليظهر المعلوم من صبر من يصبر ، وجزع من يجزع ، وإيمان من يؤمن . وقيل : ليظهر المعلوم من النفاق والإخلاص ، ومعناه : ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . « ويتخذ منكم شهداء » أي ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد ، أو يتخذ منكم شهوداً على الناس بما يكون منهم من العصيان ؛ وأصل التمهيص التخليص ، والمحقق : إفناء الشيء حالاً بعد حال أي ليبتل الله الذين آمنوا وليخلصهم

من الذنوب أو ينجيهم من الذنوب بالابتلاء ، ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء . وقال : « وليبتلي الله ما في صدوركم » أي ليختبر ما فيها بأعمالكم لأنّه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة لأن المجازات إنّما تقع على ما يعلمه مشاهدة . وقيل : معناه ليعاملكم معاملة المختبرين « وليمحّص ما في قلوبكم » أي ليكشفه ويميّزه ، أو يخلصه من الوسوس ، وقال : « لتبلون » أي لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدائد في أموالكم بذهابها ونقصانها ، وفي أنفسكم أيها المؤمنون بالقتل والمصائب .

وقال البيضاوي « أم حسبتم » خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال ؛ أو المنافقين « أن تتركوا » ولم يتبين الخلف منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم ، نفى العلم وإرادة نفى المعلوم للمبالغة فإنّه كالبرهان عليه من حيث إنّ تعلّق العلم به مستلزم لوقوعه « وليجة » : بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم .

وقال : في قوله تعالى : « يفتنون » أي يبتلون بأصناف البليّات ، أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيعانون ما يظهر عليه من الآيات .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى « وفتنّاك فتوناً » أي اختبرناك اختباراً ؛ و في قوله تعالى : « فإنا قد فتنا قومك » أي امتحنّاهم وشدّدنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل ، فالزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنّه ليس بآله ، فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة إلى نفسه .

وفي قوله تعالى : « ونبلوكم بالشرّ والخير » أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى ، وبالضرّاء والسرّاء ، وبالشدة والرخاء .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرض فعاده إخوانه فقال كيف نجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بشر ، قالوا : ما هذا كلام مثلك ! فقال : إنّ الله يقول « ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة » فالخير : الصحة والغنى ، والشرّ : المرض والفقر « فتنة » أي ابتلاء واختباراً وشدة تعبّد .

وقال : في قوله تعالى : « إن أدري لعله » أي ما اذنتكم به اختبار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم : وقيل : هذه الدنيا فتنة لكم ؛ وقيل : تأخير العذاب محنة و

اختبار لكم لترجعوا عما أتم عليه « ومتاع إلى حين » أي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم .

وقال : في قوله تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » أي امتحاناً وابتلاءً ، وهو افتتان الفقير بالغني ، يقول : لو شاء الله لجعلني مثله غنياً ، والأعمى بالبصير ، والسقيم بالصحيح .

وقال : في قوله تعالى : « وهم لا يفتنون » أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا : إننا مؤمنون فقط ، ويقتصر منهم على هذا القدر ، ولا يمتحون بما يتبين به حقيقة إيمانهم ؟ هذا لا يكون .

وقيل : معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ويكون المعنى : ولا يشدد عليهم التكليف والتعب ولا يؤمرون ولا ينهون .

وقيل : معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنها لا تندفع بقولهم : آمنا . وقال الحسن : معناه أحسبوا أن يتركوا أن يقولوا : لا إله إلا الله ولا يثبتوا صدقوا أم كذبوا ؟ يعني أن مجرد الإقرار لا يكفي . والأولى حمله على الجميع ، إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ، ويمتحن في النفس والمال ، ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره ، فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به .

وقال في قوله تعالى : « على علم » أي إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي . أو على خير علمه الله عندي ، أو على علم يرضاه عنّي ، فلذلك آتاني ما آتاني من النعم ؛ ثم قال : ليس الأمر على ما يقولون ، بل هي فتنة أي بليّة واختبار يبتليه الله بها ، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فيجازه بحسبها .

وقيل : معناه : هذه النعمة فتنة ، أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم ، وقيل : معناه : هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها . وقال : في قوله تعالى : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » أي إلى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة .

وقيل : يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقر بهم إليه درجة درجة حتى يقعوا فيه .

وقيل : هو من المدرجة وهي الطريق ، ودرج : إذا مشى سريعاً ، أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أي طريق سلكوا ؟ فإن الطريق كلها إليّ و مرجع الجميع إليّ ، ولا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب .

وقيل : إنه من الدرج ، أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض ، يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان : إذا تركته وهجرته . وقيل : معناه : كلما جدّدوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إذا أحدث العبد ذنباً جدّد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج . ولا يصحّ قول من قال : إن معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال ، لأن الآية وردت في الكفار و تضمنت أنه يستدرجهم في المستقبل ، فإن السين يختص المستقبل ، ولا نه جعل الاستدراج جزاءً على كفرهم وعقوبة فلا بد أن يريد معنى آخر غير الكفر .^(١)

وقوله : «وأملئ لهم» معناه وأمهلهم ولا أعجلهم بالعقوبة ، فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم . إن كيدي متين ، أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع ، وسماء كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون . وقيل : أراد أن جزاء كيدهم متين ، وقال : «إنهم يكيدون كيداً» أي يحتالون في الإيقاع بك وبمن معك ، ويريدون إطفاء نورك «وأكيد كيداً» أي أريد أمراً آخر على ضد ما يريدون ، وأدبر ما ينقض تدابيرهم ، فسماء كيداً من حيث يخفى عليهم .^(٢)

(١) فيه ان الكفر كالايمان ذو مراتب قال تعالى : «ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» الآية فالمعنى :

ان الله يخرجهم من كفر إلى كفر هو أشد منه ، وما ذكره في الرواية لا ينافيه . ط

(٢) النهج : قال عليه السلام : لا يقولن أحدكم : اللهم أعوذ بك من الفتنة ، لانه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فان الله سبحانه يقول : «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة» ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه ، والراضى بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب ، لان بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث ، وبعضهم يحب تشيير المال ويكره انثلام الحال . قال الرضى : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير .

١ - شى : عن الوشاء باسناد له يرسله إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : والله لتمحصن والله لتميذن ، والله لتغربلن حتى لا يبقى منكم إلا الأندر ؛ قلت : وما الأندر قال : البيدر ، وهو أن يدخل الرجل قبّة ^(١) الطعام يطين عليه ثم يخرج به ، وقد تأكل بعضه فلا يزال ينقي به ، ثم يكن عليه يخرج به حتى يفعل ذلك ثلاث مرات حتى يبقى ما لا يضره شيء .

بيان : قال الفيروز آبادي : الأندر : البيدر ، أو كدس القمح .

٢ - شى : عن زرارة ، وجران ، ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » قال : لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا .

٣ - كش : خلف بن حماد ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن أسباط ، عن الحسين ابن الحسن قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إنني تركت ابن قياما ^(٢) من أعدى خلق الله لك ؛ قال : ذلك شر له ؛ قلت : ما أعجب ما أسمع منك جعلت فداك ؛ قال : أعجب من ذلك إبليس ، كان في جوار الله عز وجل في القرب منه فأمره فأبى وتعزز وكان من الكافرين ، فأملى الله له ، والله ما عذب الله بشيء أشد من الإملاء ، والله يا حسين ما عذبهم الله بشيء أشد من الإملاء . ^(٣)

٤ - يد : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن محمد بن السندي ، عن علي ابن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه لمن أو الابتلاء . ^(٤) « ص ٣٦٤ - ٣٦٥ »

٥ - يد : أبي ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن الطيار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه مشية وقضاء وابتلاء . « ص ٣٦٥ »

سن : أبي عن يونس مثله . « ص ٢٧٩ »

(١) فى نسخة : بيته .

(٢) هو الحسين بن قياما الواقفى ، كان يجحد أبا الحسن الرضا عليه السلام .

(٣) الاملاء : الامهال وعدم التعجيل فى العقوبة .

(٤) فى نسخة : والابتلاء .

بيان : لعل القبض والبسط في الأرزاق بالتوسيع والتقدير ، وفي النفوس بالسرور والحزن ، وفي الأبدان بالصحة والالام ، وفي الأعمال بتوفيق الإقبال إليه وعدمه ، وفي الأخلاق بالتحلية وعدمها ، وفي الدعاء بالإجابة له وعدمها ، وفي الأحكام بالرخصة في بعضها والنهي عن بعضها .

٦ - يد : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن فضالة ، عن الطيار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال له : ليس شيء فيه قبض أو بسط مما أمر الله به أو نهى عنه إلا وفيه من الله ابتلاء وقضاء . «ص ٣٦٥»

٧ - سن : ابن فضال ، عن عبد الأعلى بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس للعبد قبض ولا بسط مما أمر الله به أو نهى الله عنه إلا ومن الله فيه ابتلاء . «ص ٢٧٩»

٨ - سن : محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، وإسحاق بن عمار معاً ، عن عبيد الله بن الوليد الوصافي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أن قال : يارب هذا السامري صنع العجل الخوار من صنعه ! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : أن تلك فتنتي فلا تفصح عنها . «ص ٢٨٤»

بيان : أي لا تظهر نهالاً أحد فإن عقولهم قاصرة عن فهمها .

٩ - ك : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن عبدالله بن جندب ،^(١) عن سفيان بن السمط قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن الله إذا أراد بعبد خيراً فأذن ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار ، وإذا أراد بعبد شراً فأذن ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها ، وهو قول الله عز وجل : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون» بالنعم عند المعاصي . «ج ٢ ص ٤٥٢»

١٠ - ك : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه

(١) بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال بعدها باء موحدة ، هو عبدالله بن جندب البجلي الكوفي ، عربي ثقة ، كان وكيلاً لأبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليهما السلام ، وكان عابداً ، رفيع المنزلة لديهما ؛ وقال فيه أبو الحسن الرضا عليه السلام : إن عبدالله بن جندب لمن المختبين .

جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن بعض أصحابه قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج ، قال : هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدد له عنده النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم . « ج ٢ ص ٤٥٢ »

١١ - ك : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان عن سماعة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » قال : هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب . « ج ٢ ص ٤٥٢ »

١٢ - ك : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن يعقوب السراج ، وعلي بن رئاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما بويع بعدمقتل عثمان صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها يقول فيها : ألا إن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلوات الله عليه وآله ، والذي بعثه بالحق لتبليان بلبلة ، و لتغربلن غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم ، وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سباقون كانوا قصرّوا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا ، والله ما كتمت وسمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم . « ج ١ ص ٣٦٩ »

بيان : لتبليان أي لتخلطن من تبليت الألسن أي اختلطت ، أو من البلابل و هي الهموم والأحزان ووسوسة الصدر . و لتغربلن يجوز أن يكون من الغربال الذي يغربل به الدقيق ، و يجوز أن يكون من غربلت اللحم أي قطعته فعلى الأول يحتمل معنيين : أحدهما الاختلاط كما أن في غربلة الدقيق يختلط بعضه ببعض ؛ والثاني أن يريد بذلك أن يستخلص الصالح منكم من الفاسد و يتميز ، كما يمتاز الدقيق عند الغربلة من النخالة .

قوله عليه السلام : حتى يعود أسفلكم أعلاكم أي يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً أو صالحكم فاجراً وفاجركم صالحاً ، ومؤمنكم كافراً وكافركم مؤمناً . وفي النهج : لتساطن سوط القدر حتى يعود . وهو أظهر ، يقال : ساط القدر : إذا قلب ما فيها من طعام بالمسوط وأداره ؛ والمسوط : خشبة يحرك بها ما فيها ليخلط .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وليسبقن سباقون يعني عَلَيْهِ السَّلَامُ به قوماً قصرُوا في أوّل الأمر في نصرته ثم نصرّوه في ذلك الوقت ، و بالفقرة الثانية قوماً سعوا إلى بيعته و بادروا إلى نصرته في أوّل الأمر ثم خذّاه و نكثوا بيعته كطلحة والزبير .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ما كتمت و سمة ، و في بعض النسخ بالشين المعجمة وهو الأظهر ، قال الجزري : في حديث عليّ : والله ما كتمت و سمة ، أي كلمة وفي بعض النسخ بالسين المهملة فهو بمعنى العلامة أي ماسترت علامة تدلّ على سبيل الحق ولكن عميت عنها ، ولا يخفى لطف انضمام الکتّم بالوسمة ، إذ الکتّم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به .

١٣ - ك : محمد بن يحيى ، و الحسن بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري ، عن الحسين بن عليّ ، ^(١) عن أبي المغرا ، ^(٢) عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب ! قلت : جعلت فداك كم مع القائم من العرب ؟ قال : نفر يسير ! قلت : والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير قال لا بدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير .
« ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ »

١٤ - ك : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» ثم قال لي : ما الفتنة ؟ قلت : جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدين ، فقال : يفتنون كما يفتن الذهب ، ثم قال : يخلّصون كما يخلّص الذهب . « ج ١ ص ٣٧٠ »

١٥ - ك : محمد بن الحسن وعليّ بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سنان ، عن محمد بن منصور الصيقل ، عن أبيه قال : كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يسمع كلامنا فقال لنا في أيّ شيء أنتم ؟ هيهات ! هيهات ! لا والله

(١) في نسخة : الحسن بن عليّ .

(٢) بكسر الميم ، وسكون العين ، وفتح الزاي بعدها الالف ، وهو المحكى عن إيضاح الاشتباه ، وممدوداً كما عن الداماد ، أو بضم الميم و سكون الفين المعجمة ، وفتح الراء المهملة والمد كما عن الغليل وعن الوحيد في تعليقاته .

لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تغربلوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحصوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تميزوا ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد أياس ! لا والله ما يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد . " ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١ "

١٦ - نهج : أيّها الناس إنّ الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم ، وقد قال جلّ من قائل : " إنّ في ذلك لآيات وإن كنّا لمبتلين . "

١٧ - نهج : قال ﷺ : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، ومغرور بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء .

١٨ - وقال ﷺ : أيّها الناس ليركم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم من النعمة رقين ، إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد آمن مخوفاً ، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختياراً فقد ضيّع مأمولاً .

أقول : سيأتي الآيات والأخبار في الإملاء والإمهال والاستدراج في كتات الإيمان والكفر .

﴿باب ٩﴾

﴿ان المعرفة منه تعالى﴾

الآيات ، لقمان ٣١ ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ٢٥ .

الزخرف ٤٣ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز

العليم ٩ .

الحجرات ٤٩ يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله

يمنّ عليكم أن هديكم للإيمان إن كنتم صادقين ١٧ .

الليل ٩٢ إنّ علينا للهدى ١٢ .

تفسير : قوله تعالى : « ليقولنَّ الله » إمّا لكونهم مجبولين مفطورين على الإذعان بذلك إذا رجعوا إلى أنفسهم ولم يتبعوا أسلافهم ، أو الخطاب مع كفّار قريش فإنهم كانوا معترفين بأنّ الخالق هو الله ، و ليس له شريك في الخلق لكنّهم كانوا يجعلون الأصنام شريكاً له في العبادة .

قوله تعالى : « أن هديكم للإيمان » أي أراكم السبيل إليه بإرسال الرسل و وإنزال الكتب ، أو وفقكم لقبول ما أتت به الرسل والإذعان بها ، أو ألهمكم المعرفة كما هو ظاهر الأخبار .

١ - ب : معاوية بن حكيم ، عن البرزطي قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام للناس في المعرفة صنع ؟ قال : لا ، قلت : لهم عليها ثواب ؟ قال : يتطوّل عليهم بالثواب كما يتطوّل عليهم بالمعرفة . « ص ١٥١ »
ضا : عن العالم عليه السلام مثله .

٢ - ل : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن موسى بن جعفر البغدادي عن أبي عبد الله الإصبهاني ، عن درست ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ستّة أشياء ليس للعباد فيها صنع : المعرفة ، والجهل ، والرضا ، والغضب ، والنوم ، واليقظة .
« ج ١ ص ١٥٧ »

سنن : أبي رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام مثله . « ص ١٠ »

٣ - يد : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن معروف ، عن ابن أبي نجران ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبد الملك بن أعين فسألته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان ؟ فكتب عليه السلام : سألت عن المعرفة ماهي فاعلم رحمتك الله أن المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة ، والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع و لهم فيهما الاختيار من الاكتساب ، فبشهوتهما الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهما الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضالّين وذلك بتوفيق الله لهم ، وخذلان من خذله الله ، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم . الخبر . « ص ٢٢٧ - ٢٢٨ »

٤ - سن : أبي ، عن النضر ، عن الحلبي ، عن أبي المغرا ، عن أبي بصير ،^(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال :^(٢) قال : إني لأعلم أن هذا الحب الذي تحببونا ليس بشيء صنعتموه ولكن الله صنعه . «ص ١٤٩»

٥ - سن : ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، وفضل الأسدي ، عن عبد الأعلى مولى آل سام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لم يكلف الله العباد المعرفة ولم يجعل لهم إليها سبيلاً . «ص ١٩٨»

٦ - سن : الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن عثمان ، عن الفضل أبي العباس بقباق قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وكتب في قلوبهم الإيمان» هل لهم في ذلك صنع ؟ قال : لا . «١٩٩»

٧ - سن : الوشاء ، عن أبان الأحمر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإيمان هل للعباد فيه صنع ؟ قال : لا ولا كرامة ، بل هو من الله وفضله . «ص ١٩٩»

٨ - سن : محمد بن خالد ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن الحر ، عن الحسن بن زياد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : «حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم» هل للعباد بما حبب صنع ؟ قال : لا ولا كرامة . «ص ١٩٩»

٩ - سن : أبي خدّاش المهدي ،^(٣) عن الهيثم بن حفص ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم ، فإذا علمهم^(٤) فعليهم أن يعلموا . «ص ٢٠٠»

١٠ - سن : عدّة عن عباس بن عامر ، عن مثنى الحنّاط ، عن أبي بصير قال :

(١) ليس في المصدر «عن أبي بصير» بل روى الحديث أبو المغرا عن أبي جعفر عليه السلام بلا واسطة م

(٢) في المصدر عن أبي جعفر عليه السلام قال : إني لأعلم . م

(٣) يحتمل قويا كون لفظة المهدي مصحف (المهري) و مهرة محلة بالبصرة ، و أبو خدّاش

كنية لعبد الله بن خدّاش المهري البصري ، الذي ضعفه النجاشي و قال : في مذهبه ارتفاع . وحكى الكشي عن الطيالسي توثيقه .

(٤) في المصدر : فإذا علمهم . م

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله خلق خلقه فخلق قوماً أحببنا لو أن أحدهم خرج من هذا الرأي لردّه الله إليه وإن رغم أنفه ، وخلق خلقاً ^(١) لبغضنا لا يحبوننا أبداً .
« ص ٢٠٠ »

١١ - ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ، عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن علي الزعفراني ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : فطرة الله التي فطر الناس عليها قال : التوحيد . « ص ٥٩ »

١٢ - سنن : أبي ، عن صفوان قال : قلت لعبد صالح ^(٢) : هل في الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة ؟ قال : لا إنما هو تطوّل من الله . قلت : أفلهم على المعرفة ثواب إذا كان ^(٣) ليس فيهم ما يتعاطونه بمنزلة الركوع والسجود الذي أمروا به ففعلوه ؟ قال : لا إنما هو تطوّل من الله عليهم وتطوّل بالثواب . « ص ٢٨١ »

١٣ - سنن : أبي ، عن فضالة ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم » قال : كان ذلك معاينة الله ^(٤) فأنسأهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم ، ولولا ذلك ما عرف أحد خالقه ولا رازقه ، وهو قول الله : « ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله » .
« ص ٢٨١ »

بيان : المعاينة مجاز عن المواجهة بالخطاب أي خلق الكلام قبالة وجههم فنسوا تلك الحالة ، وثبتت المعرفة في قلوبهم . ^(٥) ثم أعلم أن أخبار هذا الباب و كثيراً

(١) : في المصدر : قوماً . م

(٢) الظاهر : « للمعبد الصالح » وهو كناية عن موسى بن جعفر عليه السلام . م

(٣) في المصدر : كانوا . م

(٤) في المصدر : معاينة لله . م

(٥) قد تقدم في أخبار الرؤية وجوامع التوحيد من كتاب التوحيد ما يظهر به معنى هذه المعاينة وهو العلم اليقيني بالله سبحانه من غير وساطة تفكر عقلية وتصور خيالي أو وهمي أو اتصال حسي ومن غير لزوم تجسيم أو تحديد فارجم وتأمل . ولا يخلو موجود ذو شعور بل موجود مخلوق عن هذا العلم فلا حجاب بينه وبين خلقه كما في الروايات . ط

من أخبار الأبواب السابقة تدلُّ على أنَّ معرفة الله تعالى بل معرفة الرسول والأئمة صلوات الله عليهم وسائر العقائد الدينية موهيَّة وليست بكسبيَّة ، ويمكن حملها على كمال معرفته ؛ أو المراد أنَّه تعالى احتجَّ عليهم بما أعطاهم من العقول ولا يقدر أحد من الخلق حتَّى الرسل على هداية أحد و تعريفه ؛ أو المراد أنَّ المفيض للمعارف هو الربُّ تعالى ، وإنَّما أمر العباد بالسعي في أن يستعدَّوا لذلك بالفكر والنظر كما يشير إليه خبر عبد الرحيم ؛ أو يقال : هي مختصة بمعرفة غير ما يتوقف عليه العلم بصدق الرسل فإنَّ ما سوى ذلك إنَّما نعرفه بما عرفنا الله على لسان أنبيائه وحججه صلوات الله عليهم ؛ أو يقال : المراد بها معرفة الأحكام الفرعية لعدم استقلال العقل فيها ؛ أو المعنى أنَّها إنَّما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب ، هذا ما يمكن أن يقال في تأويلها مع بعداً كثراً .^(١) والظاهر منها أنَّ العباد إنَّما يكلّفون بالانقياد للحق وترك الاستكبار عن قبوله ، فأما المعارف فإنَّها بأسرها ممَّا يلقيه الله تعالى في قلوب عباده بعد اختيارهم للحق ، ثمَّ يكمل ذلك يوماً فيوماً بقدر أعمالهم وطاعاتهم حتَّى يوصلهم إلى درجة اليقين ، وحسبك في ذلك ما وصل إليك من سيرة النبيين وأئمة الدين في تكميل أممهم وأصحابهم ، فإنَّهم لم يحيواهم على الاكتساب والنظر وتتبع كتب الفلاسفة والاقتباس من علوم الزنادقة ، بل إنَّما دعوهم أولاً إلى الإذعان بالتوحيد وسائر العقائد ، ثمَّ دعوهم إلى تكميل النفس بالطاعات والرياضات حتَّى فازوا بأعلى درجات السعادات .

(١) لا يخفى أنَّ الإرادة التي هي مناط الاختيار لا تتعلق بشيء إلا عن تصور وتصديق سابق إجمالاً أو تفصيلاً من المحال أن يتعلق الإرادة بأصل المعرفة والعلم فيكون اختيارياً من صنع العبد كإفعال الجوارح وهذا هو الذي تذكره الروايات . وإما تفاصيل العلم والمعرفة فهي كسبية اختيارية بالواسطة بمعنى أن الفكر في المقدمات يجعل الإنسان مستعداً لإفادته النتيجة منه تعالى ، والعلم مع ذلك ليس فعلاً من أفعال الإنسان ، ولتفصيل الكلام محل آخر يرجع إليه . ط

﴿ باب ١٠ ﴾

﴿ الطينة والميثاق ﴾

الآيات ، الاعراف « ٧ » ، وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنما كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ١٧٢-١٧٣ .

الاحزاب « ٣٣ » ، وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً ٧ - ٨ .

١ - سن : أبي ، عن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك من أي شيء خلق الله طينة المؤمن ؟ قال من طينة الأنبياء فلن ينجس أبداً . « ص ١٣٣ »
٢ - سن : بهذا الإسناد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال : نعم . « ص ١٣٣ »

٣ - ما : المفيد ، عن ابن قولويه ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن فضالة ، ^(١) عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « إنما وشيعتنا خلقنا من طينة من عليين ^(٢) وخلق عدونا من طينة خبال من حمأ مسنون . » « ص ٩٢ »

بيان : قال الجزري : فيه : من شرب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة جاء تفسيره في الحديث أن الخبال : عصارة أهل النار ، والخبال في الأصل : الفساد . وقال الفيروز آبادي : الخبال كسحاب : النقصان ، والهلاك ، والعناء ، والكل ، والعيال والسم القاتل ، وصديق أهل النار . وقال : الحمأ محرّكة : الطين الأسود المذنتن . وقال : المسنون : المذنتن .

(١) في المصدر : عن فضالة عن علي بن أبي طالب ؛ وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليهما السلام .

(٢) اسم لأعلى الجنان . وقيل : بل ذلك في الحقيقة اسم لسكانها .

٤ - ما : شيخ الطائفة ، عن أبي منصور السكري : عن جدّه عليّ بن عمر ، عن إسحاق بن مروان القطّان ، عن أبيه ، عن عبيد بن مهران العطّار ، عن يحيى بن عبد الله ابن الحسن ، عن أبيه ، وعن جعفر بن محمد عليه السلام : عن أبيهما ، عن جدّهما قالا : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : إن في الفردوس لعيناً أحلى من الشهيد ، وألين من الزبد ، وأبرد من الثلج وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عز وجلّ منها وخلق منها شيعةنا ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منها ولا من شيعةنا ، وهي الميثاق الذي أخذ الله عز وجلّ عليه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبد الله ؛ هكذا أخبرني أبي ، عن جدّي ، عن النبي صلى الله عليه وآله .^(١) ص ١٩٤ ،

٥ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ؛ وحدثنا أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله عز وجلّ لما أخرج ذريّة آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة^(٢) لكلّ نبيّ كان أوّل من أخذ عليهم الميثاق بالنبوة نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ قال الله جلّ جلاله لا آدم عليه السلام : انظر ماذا ترى ؟ قال : فنظر آدم إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملؤوا السماء فقال آدم : ياربّ ما أكثر ذريّتي ! ولأمر ما خلقتهم ؟^(٣) فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ فقال الله جلّ وعزّ : ليعبدوني ولا يشركون بي شيئاً ، و يؤمنون برسلي و يتبعونهم ، قال آدم عليه السلام : فمالى^(٤) أرى بعض الذرّ أعظم من بعض ، و بعضهم له نور قليل ، و بعضهم ليس له نور ؟ قال الله عز وجلّ : كذلك خلقتهم لأبْلُوهم في كلّ حالاتهم ؛ قال آدم عليه السلام : ياربّ فتأذن لي في الكلام فأتكلّم ؟ قال الله جلّ جلاله : تكلم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي . قال آدم : ياربّ لو كنت خلقتهم

(١) يأتي الحديث عن أمالي الشيخ بسند آخر تحت رقم ٢٨ وفي ذيله تفسير للخبر .

(٢) في نسخة : وبالنبوة .

(٣) وفي نسخة : ولأمر خلقتهم .

(٤) في المصدر : قال آدم عليه السلام ياربّ فمالى .

على مثال واحد ، وقدر واحد ، وطبيعة واحدة ، وجبلة واحدة ، وألوان واحدة ، وأعمار واحدة ، وأرزاق سواء لم يبع بعضهم على بعض ، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء ، فقال الله جلّ جلاله : يا آدم بروحي نطق ، و بضعف طبعك تكلفت مالا علم لك به وأنا الله الخلاق ^(١) العليم ، بعلمي خالفت بين خلقهم ، وبمشيتي أمضي فيهم أمري . وإلى تدبيري وتقديري هم صائرون ، لا تبديل لخلقهم وإنما خلقت الجن والإنس ليعبدوني ، و خلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم ، وإنما خلقتك و خلقتهم لأبلوهم أيتكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم ، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار ، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم ^(٢) ، وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم ؛ فجعلت منهم السعيد والشقي ، والبصير والأعمى ، والقصير والطويل ، والجميل والذميم ، والعالم والجاهل ، والغني والفقير ، والمطيع والعاصي ، والصحيح والسقيم ، ومن به الزمانة ومن لا عاهة به ؛ ^(٣) فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته ، و ينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائه ^(٤) فأثيبه جزيل عطائي ، و ينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني ، و ينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته ، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء ، وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما منعتهم ^(٥) وأنا الله الملك القادر ، ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبّرت ، وإلي أن أغير عن ذلك ما شئت إلى ما شئت فأقدم من

(١) في نسخة : الخالق . (٢) في نسخة : وأجسادهم .

(٣) الزمانة : عدم بعض الاعضاء ؛ تعطيل القوى . العاهة : الافة .

(٤) في المصدر : على بلائي فأثيبه على جزيل عطائي . م

(٥) وفي نسخة : وفيما أعافيتهم ، وفيما ابتليتهم ، وفيما أعطيتهم ، وفيما منعتهم .

ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدّمت ، وأنا الله الفعّال لما أريد ، لا أسأل عما أفعل ،
وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون . «ص ١٥»

ختص : هشام بن سالم مثله .

بيان : قوله تعالى : من روعي أي من الروح الذي اصطفيته وانتجبهته ، أي من
عالم المجرّات أو من عالم القدس ، و طبيعتك من عالم الخلق والجسمانيات ، أو مما هو
معدن الشهوات والجهالات فبطبيعتك و بشريّتك سألت ما سألت . والذميم : المذموم ،
وفي بعض النسخ بالبدال المهملة ، يقال : رجل ذميم أي قصير قبيح .

٦ - ع : أبي رحمه الله ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن أحمد السيارى ، عن محمد بن
عبد الله بن مهران الكوفى ، عن حنّان بن سدير ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق الليثى قال :
قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام : يا بن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر
إذا بلغ في المعرفة و كمل هل يزني ؟ قال : اللهم لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : اللهم لا ، قلت :
فيسرق ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب الخمر ؟ قال : لا ؛ قلت : فيأتى بكبيرة من هذه الكبائر
أو فاحشة من هذه الفواحش ؟ قال : لا ؛ قلت : فيذنب ذنباً ؟ قال : نعم وهو مؤمن مذنّب
مسلم ؛ قلت : ما معنى مسلم ؟ قال : المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه ،^(١) قال : فقلت :
سبحان الله ما أعجب هذا ! لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتى بكبيرة^(٢) من
الكبائر ولا فاحشة ؟ فقال : لا عجب من أمر الله ، إن الله عزّ وجلّ يفعل ما يشاء ولا يسأل عما
يفعل وهم يسألون ؛ فمّمّ عجبت يا إبراهيم ؟ سل ولا تستنكف ولا تستحسر^(٣) فإنّ هذا
العلم لا يتعلّمه مستكبر ولا مستحسر ؛ قلت : يا بن رسول الله إنّي أجد من شيعةكم من يشرب ،
ويقطع الطريق ، ويحيف السبيل ، ويزني ويلوط ، ويأكل الرّبا ، ويرتكب الفواحش ،
ويتهاون بالصلاة والصيام والزّكاة ، ويقطع الرحم . ويأتى الكبائر ، فكيف هذا ؟ ولم
ذاك ؟ فقال : يا إبراهيم هل يختلج^(٤) في صدرك شيء غير هذا ؟ قلت : نعم يا بن رسول الله

(١) وفي نسخة : ولا يصير عليه .

(٢) في المصدر : بكبيرة . م

(٣) استحسر : تعب وأعيأ . وفي نسخة : ولا تستح . وكذا فيما بعده

(٤) اختلج الشيء في صدره : شغله وتجاذبه .

أخرى أعظم من ذلك ؛ فقال : وما هو يا أبا إسحاق قال : فقلت : يا بن رسول الله وأجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثّر من الصلاة ومن الصيام ، و يخرج الزكاة ، و يتابع بين الحج والعمرة ، ويحضر على الجهاد ، ويأثر على البر وعلى صلة الأرحام ، ويقضي حقوق إخوانه ، ويواسيهم من ماله ، ^(١) ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش ، فممّ ذاك ؟ ولمّ ذاك ؟ فسره لي يا بن رسول الله وبرهنة وبيّنه فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي !

قال : فتبسّم صلوات الله عليه ثم قال : يا إبراهيم خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت ، وعلماً مكنوئاً من خزائن علم الله وسرّه ، أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما ؟ قلت : يا بن رسول الله أجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطى أحدهم ممّا ^(٢) بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّةً أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم مازال ، ولو ضربت خياشيمه ^(٣) بالسيوف فيكم ، ولو قتل فيكم ما ارتدع ^(٤) ولا رجع عن محبتكم وولايتكم ؛ وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم لو أعطى أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّةً أن يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاةكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ، ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع ، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً أشماز من ذلك ^(٥) وتغيّر لونه ، ورئي كراهية ذلك في وجهه ، بغضاً لكم ومحبة لهم .

قال : فتبسّم الباقر عليه السلام ثم قال : يا إبراهيم ههنا ^(٦) هلكت العاملة الناصبة ، تصلى ناراً حامية ، تسقى من عين آنية ، ^(٧) ومن أجل ذلك قال عز وجل : « وقدمنا إلى

(١) أي يعاونهم من ماله .

(٢) في نسخة : ما .

(٣) جمع الخيشوم : أقصى الأنف .

(٤) في نسخة : ما ابتدع .

(٥) أي انقبض ونفر كراهة منه .

(٦) في المصدر : من ههنا . م .

(٧) أي بلغ إناءه في شدة الحر .

ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ، ^(١) ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب و القصة في ذلك ؟ وما الذي قد خفي على الناس منه ؟ قلت : يا بن رسول الله فيسنة لي واشرحه وبرهنه .

قال : يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله عز وجل خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليته وهويته كان ذلك أزلياً ؛ بل خلق الله عز وجل الأشياء كلها لا من شيء ، فكان ممّا خلق الله عز وجل أرضاً طيبة ، ثم فجر منها ماءً عذبا زلالاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها ، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، ^(٢) وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام ، ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعةنا ، ولوترك طينتكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئاً واحداً .

قلت : يا بن رسول الله فما فعل بطينتنا ؟ قال : أخبرك يا إبراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك أرضاً سبخة ^(٣) خبيثة منتنة ، ثم فجر منها ماءً أجاجاً ، آسناً ، مالحاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم ، ثم مزجه بثفل طينتكم ، ولوترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّجوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهواكم في الصور ، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته .

قلت : يا بن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟ قال : مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني ، ثم عرّكها عرك الأديم ، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال : هذه إلى الجنة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال : هذه إلى النار ولا أبالي ؛ ثم خلط بينهما فوق من سنخ المؤمن

(١) الهباء : دقاق التراب وما نبت في الهواء ، فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة .

(٢) أي نزع ماؤه ونشف .

(٣) أي أرضاً ذات نزع وملح .

وطينته على سنخ الكافر وطينته ، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته ، فمارأيته من شيعتنا من زناً ، أولواط ، أو ترك صلاة ، أو صيام ، أو حج ، أو جهاد ، أو خيانة ، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لأن من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المئاتم والفواحش والكبائر ؛ ومارأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المئاتم ، فإذ عرضت هذه الأعمال كلها على الله عز وجل قال : أنا عدل لأجور ، ومنصف لأظلم ، وحكم لأحيف ولا أميل ولا أشطط ،^(١) ألحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته ، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلها إلى أصلها ، فإني أنا الله لا إله إلا أنا ، عالم السر وأخفى وأنا المطَّلِع على قلوب عبادي ، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه .

ثم قال الباقر عليه السلام : يا إبراهيم اقرأ هذه الآية ، قلت : يا بن رسول الله آية آية ؟ قال : قوله تعالى : « قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون » هو في الظاهر ما تفهمونه ، وهو والله في الباطن هذا بعينه ، يا إبراهيم إن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وناسخاً ومنسوخاً .

ثم قال : أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان ، أهو بائن من القرص ؟ قلت : في حال طلوعه بائن ؛ قال : أليس إذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه ؟ قلت : نعم ، قال : كذلك يعود كل شيء إلى سنخه و جوهره وأصله ، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عز وجل سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصر ، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته و أبواب برّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن . أفترى ههنا^(٢) ظلماً وعدواناً ؟ قلت : لا يا بن رسول الله ؛ قال : هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البين ،

(١) الحيف : الجور والظلم . ومال الحاكم في حكمه : جار وظلم . و شطط الرجل : أفرط

وتباعد عن الحق .

(٢) في المصدر : أفترى هذا . م

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، هذا - يا إبراهيم - الحق من ربك فلا تكن من الممترين هذا من حكم الملكوت .^(١)

قلت : يا بن رسول الله وما حكم الملكوت ؟ قال : حكم الله وحكم أنبيائه ، و قصة الخضر وموسى عليه السلام حين استصحبه فقال : « إنك لن تستطيع معي صبراً و كيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » .

افهم يا إبراهيم واعقل ، أنكر موسى على الخضر واستفزع أفعاله^(٢) حتى قال له الخضر يا موسى ما فعلته عن أمري ، إنما فعلته عن أمر الله عز وجل . من هذا - ويحك يا إبراهيم - قرآن يتلى ، وأخبار تؤثر عن الله عز وجل ، من رد منها حرفاً فقد كفر و أشرك ورد على الله عز وجل .

قال الليثي : فكأنني لم أعقل الآيات - وأنا أقرؤها أربعين سنة - إلا ذلك اليوم ، فقلت : يا بن رسول الله ما أعجب هذا ! تؤخذ حسنات أعدائكم فترد على شيعتكم ، وتؤخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيتكم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، فالق الحبة ، وبارئ النسمة ، وفاطر الأرض والسماء ، ما أخبرتك إلا بالحق : وما أتيتك إلا بالصدق ، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، وإن ما أخبرتك لموجود في القرآن كله . قلت : هذا بعينه يوجد في القرآن ؟ قال : نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن ، أتحب أن أقرأ ذلك عليك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ فقال : قال الله عز وجل : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم » الآية .

أزيدك يا إبراهيم ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله قال : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلوهم بغير علم الأساء ما يزررون » أتحب أن أزيدك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ، قال : « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً

(١) الملكوت : الملك العظيم . العز والسلطان . و الملكوت السماوي هو محل القديسين في السماء .

(٢) استفزع الامر أي وجده فظيماً ، و الامر الفظيع : الذي اشتدت شناعته و جاوز المقدار في ذلك .

رحيماً ، يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات ، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيئات ؛ وجلال الله ووجهه الله إن هذا لمن عدله وإنصافه لإرادته لقضائه ، ولامعقّب لحكمه وهو السميع العليم .

ألم أبين لك أمر المزاج والطينتين من القرآن ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ قال : اقرأ يا إبراهيم : «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّم^(١) إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض» يعني من الأرض الطيبة والأرض الممتنة «فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى» يقول : لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لأن الله عز وجل أعلم بمن اتقى منكم ، فإن ذلك من قبل اللّم^(٢) وهو المزاج .^(٣)

أزيدك يا إبراهيم ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ؛ قال : «كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله» يعني أئمة الجور دون أئمة الحق «ويحسبون أنهم مهتدون» خذها إليك يا أبا إسحاق ، فوالله إنّه لمن غرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائنا وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلا مؤمناً مستبصراً فإنك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك ولدتك .^(٣) ص ٢٠١-٢٠٣

بيان : قال الفيروز آبادي : أثر على الأمر كفرح : عزم ؛ وله : تفرّق . وقال : الآسن من الماء : الآجن وقال : عركه : دلّكه وحكّه . ولعل المراد بالآديم هنا الطعام المأدوم «ثم» في قوله : «ثم أخذ» للترتيب الذكري ولتفصيل ما أجمل سابقاً .

(١) اللّم : مقاربة الذنب من غير أن يقع فيه ، من قولك : ألّمت بكذا : أي نزلت به وقاربته من غير موافقة ، ويعبر به عن الصغيرة . ويأتى أيضاً بمعنى جنون خفيف ، أو طرف من الجنون يلم بالإنسان .

(٢) أي الافتخار بكثرة الصلاة وغيرها من العبادات من قبل اللّم وهو المزاج ، والظاهر أنه عليه السلام أراد باللّم المعنى الثاني الذي ذكرناه ؛ أو ما قاربه مما يكون لازماً للمطبع ومسنداً إلى المزاج .

(٣) وختم بهذا الحديث الشريف كتاب علل الشرايع . ٢

ثم أعلم أن هذا الخبر وأمثاله مما يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول إدراكه ويمكن أن يكون كناية عما علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر في الدنيا واستيلاء أئمة الجور واتباعهم على أئمة الحق واتباعهم ، و علم أن المؤمنين إنما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم ، وعدم تولي أئمة الحق بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم ، ويعذب أئمة الجور واتباعهم بتسببهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم ، والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم .^(١)

٧ - فس : علي بن الحسين ، عن البرقي ، عن محمد بن علي ، عن علي بن أسباط ، عن علي بن معمر ، عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « هذا نذير من النذر الأولى » قال : إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فأقامهم صفوفاً قد أمه بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله فآمن به قوم ، وأنكره قوم ،^(٢) فقال الله : « هذا نذير من النذر الأولى » يعني به محمداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذر الأول . « ص ٦٥٦ »

٨ - فس : علي بن الحسين ، عن البرقي ، عن ابن محبوب ، عن الحسين بن نعيم الصحافي قال : سألت الصادق عليه السلام عن قوله : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » فقال : عرف الله عز وجل إيمانهم بولايتنا ، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم عليه السلام . « ص ٦٨٢ »

ير : أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب مثله .^(٣) « ص ٢٢ »

٩ - فس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن القاسم بن سليمان ، عن جابر قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان على الطريقة يعني على الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله ميثاق بني آدم^(٤) « أسقيناهم

(١) استيفاء البحث عن مسألة نقل الأعمال الذي يدل عليه الرواية وما يناظره من النقل والتعويض تعرضنا له في الجزء الثاني من تفسير الميزان وسنستوفى تمام البحث في تفسير سورة الانفال ان شاء الله تعالى . ط

(٢) في المصدر : قوم آخر .

(٣) فيه بادن تقيير : فمنكم مؤمن ومنكم كافر فقال عرف الله والله ايمانهم بولايتنا وكفرهم بها

يوم اخذ الله عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذر . هذه تمام الحديث في المصدر . م

(٤) في المصدر : ذرية آدم . م

ماء غدقاً ، يعني لكننا وضعنا أظلمتهم في الماء الفرات العذب . « ص ٧٠٠-٧٠١ »
 بيان : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : يعني من جرى أي ملأ كانت لفظة « لو » دالة على عدم
 تحقق الاستقامة فالمراد بهم من جرى فيهم شرك الشيطان من المنكرين للولاية ،
 وحاصل الخبر أن المراد بالآية أنهم لو كانوا أقرؤا في عالم الظلال والأرواح بالولاية
 لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب . فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف
 الأول في عالم الأرواح عند الميثاق .

١٠ - فس : أبي ، عن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر
 عليه السلام قال : إن الله خلقنا من أعلا عليين ، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه وخلق
 أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا وأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ؛ ثمّ تلا قوله :
 « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّينَ وَمَا أَدْرِيكَ مَا عَلَيِّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ » .
 « ص ٧١٧ »

١١ - ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن أبي نهشل
 عن محمد بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : إن الله
 عز وجل خلقنا . الخبر « ص ٥٠ »

سن : أبي ، عن أبي نهشل ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبي حمزة مثله . « ص ١٣٢ »
 بيان : قد اختلف في تفسير عليين فقليل : هي مراتب عالية مخفوفة بالجلالة .
 وقيل : السماء السابعة . وقيل : سدرة المنتهى . وقيل : الجنة . وقيل : لوح من زبرجد
 أخضر ، معلق تحت العرش ، أعمالهم مكتوبة فيه . وقال الفرّاء : أي في ارتفاع بعد ارتفاع
 لا غاية له . والمراد أن كتابة أعمالهم أو ما يكتب من أعمالهم في عليين أي في دفتر^(١)
 أعمالهم أو المراد أن دفتر أعمالهم في تلك الأمكنة الشريفة ، وعلى الأخير فيه حذف
 مضاف أي وما أدريك ما كتاب عليين ؛ والظاهر أن مفاد الخبر أن دفتر أعمالهم موضوع
 في مكان أخذت منه طينتهم ، ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب الروح لأنّه محل العلوم
 ترسم فيها .

(١) : مجموع الصحف المضمومة ، والكلمة من الدخيل .

١٢ - فس : أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أول من سبق من الرسل إلى بلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و ذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى ، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل : - لما أسري به إلى السماء - تقدم يا محمد فقد وطأت موطئاً لم تطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل .^(١) ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، فكان من الله عز وجل كما قال الله : « قاب قوسين أو أدنى » أي بل أدنى^(٢) فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام : كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ، ولرسوله بالنبوة ، ولأئمة المؤمنين والأئمة بالإمامة ، فقال : ألسنت بر بكم ، ونبيكم ، وعلي إمامكم ، والأئمة الهادون أئمتكم ؟ فقالوا : بلى ، فقال الله : « شهدنا أن تقولوا يوم القيمة » أي لئلا تقولوا يوم القيامة « إننا كنا عن هذا غافلين » فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء بالربوبية^(٣) ، وهو قوله : « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم » فذكر جملة الأنبياء ، ثم أبرز أفضلهم بالأسماء فقال : « ومنك » يا محمد ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه أفضلهم ، « ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم » فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ، ورسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم ، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء له بالإيمان به ، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين ، فقال : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله « لتؤمنن به ولتنصرنه » يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه تخبروا أممكم بخبره وخبر وليه من الأئمة . « ص ٢٢٩ - ٢٣٠ »

١٣ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن عبد الله بن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) في المصدر : لم يطأه احد قبلك ملك ولا نبي مرسل . م

(٢) أراد عليه السلام في هذا التفسير القرب المعنوي لا المكانى ، وفرت الآية بأن الدنو والتدلى كان بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين جبرئيل عليه السلام وسياق الآيات قبلها وبعدها يؤيده .

(٣) في المصدر : له بالربوبية . م

وعن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه » قال : ما بعث الله نبيّاً عن آدم ^(١) فـهـلمَّ جرّاً إلا ويرجع إلى الدنيا فيقاتل وينصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين ، ثم أخذ أيضاً ميثاق الأنبياء على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : قل يا محمد « آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والألسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . « ص ٢٣٠ »

١٤ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن مسكان ، ^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » قلت : معاينة كان هذا ؟ قال : نعم ، فثبتت المعرفة و نسوا الموقف وسيدكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه ، فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه ، فقال الله : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » . « ص ٢٣٠ »

١٥ - أقول : روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذب وغيره بإسنادهم عن المعلّى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه عليهم السلام . الخبر .

١٦ - فس : أبي ، عن ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن ثابت الحدّاد ^(٣) عن جابر الجعفي ، عن أبي جعفر ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر طويل : قال الله تبارك وتعالى للملائكة : « إني خالق بشرأ من صلصال من حمأ مسنون فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » قال : وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم ، قال : فاغترف ربنا تبارك وتعالى غرفة يمينه من الماء العذب

(١) في المصدر : من لدن آدم . ٢

(٢) قد حكينا سابقاً عن الكشي أن عبد الله بن مسكان لم يرو عن أبي عبد الله عليه السلام إلا حديث

(من أدرك الشعر فقد أدرك الحج) ففي سائر رواياته عنه عليه السلام ظن إرسال .

(٣) هو ثابت بن هرمز ، أبو المقدام العجلي ، والد عمرو بن أبي المقدام ، عده الكشي في

التبرية . ولم يثبت توثيقه ولا توثيق ابنه .

الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفه فجمدت فقال لها : منك أخلق النبيين و المرسلين ، وعبادي الصالحين ، والأئمة المهتدين ، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا أبالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون . ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ثم قال لها : منك أخلق الجبارين ، والفراعنة ، والعتاة ، وإخوان الشياطين ، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي ، ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون . قال : وشرط في ذلك البدء فيهم ، ولم يشترط في أصحاب اليمين البدء ، ثم خلط المائين جميعاً في كفه فصلصلهما ثم كفأهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين . الخبر «ص ٣٣- ٣٤»

شي : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله .

ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن جابر مثله . «ص ٤٦»

بيان : قال الجزري : فيه : كلتا يديه يمين أي يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا تنقص في واحدة منهما ، لأن الشمال ينقص عن اليمين ، وإطلاق هذه الأسماء إنما هو على سبيل المجاز والاستعارة ، والله منزّه من التشبيه والتجسيم انتهى .

أقول : لما كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل ، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء ، فالمعنى : أن عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لا شتم لها على الحكم الخفية والمصالح العامة ، وبه يمكن أن يفسر ما ورد في الدعاء : والخير في يديك . والصلصال : الطين الحر خلط بالرمل ، فصارت صلصل إذا جف . وسلالة الشيء : ما نسل منه واستخرج بجذب وترع .

١٧ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن بعض أصحابنا

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق ماءً أذاباً فخلق منه أهل طاعته ، وجعل ماءً مرّاً فخلق منه أهل معصيته ، ثم أمرهما فاختلطا ، فلولا ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً ، ولا الكافر إلا كافراً . «ص ٣٩»

١٨ - ع : ابن اليد ، عن الصفار ، عن الحسن بن فضال ، عن ابن أبي الخطاب ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن ^(١) عبدالله بن الجارود ، عمن ذكره ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليه قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم و أبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة ، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، وخلق الكافرين من طينة سجيل قلوبهم و أبدانهم ، فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة ، ويصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه ^(٢) وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه . « ص ٣٩ »

١٩ - ع : أحمد بن هارون ، عن محمد الحميري ، عن أبيه ، عن ابن يزيد ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي نعيم الهذلي ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام مثله . وفيه : وخلق أبدان المؤمنين وخلق الكفار . وسجين مكان سجيل ^(٣) . « ص ٥٠ »

ير : ابن معروف ، عن حماد ، عن ربعي ، عنه عليه السلام مثله .

عن : أبي ، عن حماد إلى قوله : وخلق أبدانهم من دون ذلك . « ص ١٣٢-١٣٣ »

بيان : سجين : موضع فيه كتاب الفجار ودواوينهم ، قال أبو عبيد : هو فعيل من السجن كالفسيق من الفسق ، وقيل : هو الأرض السابعة أو أسفل منها ، أوجب في جهنم . والسجيل كسكيت : حجارة من مدر ، معرب (سنك كل) و السجين أظهر .

٢٠ - ع : ماجيلويه ، عن محمد العطار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ، عن عمرو بن عثمان ، عن العبقري ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن حبة العرنبي ، عن علي عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض ، فمنه السباخ ^(٤) و منه الملح ومنه الطيب ؛ فكذلك في ذرية الصالح والطالح . « ص ٣٩ »

(١) بكسر الراء وسكون الباء ، وكسر العين ، ثم الياء . عنوانه النجاشي في رجاله « ص ١٢٠ » فقال : ربعي ابن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي أبو نعيم بصري ثقة ، روى عن أبي عبدالله و أبي الحسن عليهما السلام ، وصحب الفضيل بن يسار ، وأكثر الأخذ عنه ، وكان خصيصا به ، له كتاب رواه عدة من أصحابنا إله .

(٢) أي تشاق إلى ما خلقوا منه .

(٣) في العلل المطبوع : سجين في كلا الروايتين . م

(٤) السباخ من الأرض : مالم يحتر ولم يعمر .

٢١ - ع : ابن المتوكل ، عن محمد العطّار ، عن ابن أبان ، عن ابن أورمة ، عن محمد بن سنان ، عن معاوية بن شريح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل أجرى ماءً فقال له : كن عذاباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ، وإن الله عز وجل أجرى ماءً فقال له : كن بحراً مالحاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، ثم خلطهما جميعاً فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ، ولو لم يخلطهما لم يخرج من هذا إلا مثله ، ولا من هذا إلا مثله . «ص ٣٩»

٢٢ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - يقول في آخره : مهما رأيت من نزق أصحابك وخرقهم فهو ممّا أصابهم من لطح أصحاب الشمال ،^(١) وما رأيت من حسن شيم^(٢) من خالفهم ووقارهم فهو من لطح أصحاب اليمين . «ص ٣٩»

٢٣ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن أبي الخطاب : عن محمد بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن أوّل ما خلق الله عز وجل ، قال : إن أوّل ما خلق الله عز وجل ما خلق منه كل شيء ، قلت : جعلت فداك وما هو ؟ قال : الماء ، قال : إن الله تبارك و تعالى خلق الماء بحرّين : أحدهما عذب ، و الآخر ملح^(٣) فلما خلّقهما نظر إلى العذب فقال : يا بحر فقال : لبّيك وسعديك ، قال : فيك بركتي ورحمتي ، ومنك أخلق أهل طاعتي و جنّتي . ثم نظر إلى الآخر فقال : يا بحر فلم يجب فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب ! فقال : عليك لعنتي ، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري ، ثم أمرهما أن يمتزجا فامتزجا ، قال : فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر ، و الكافر من المؤمن . «ص ٣٩»

٢٤ - ع : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن البرزطي ، عن أبان بن عثمان ، وأبي الربيع يرفعانه قال : إن الله عز وجل خلق ماءً فجعله عذاباً فجعل منه أهل

(١) النزق : الخفة في كل أمر ؛ العجلة في جهل وحمق . الخرق : ضعف الرأي ؛ سوء التصرف ؛ الجهل والحمق ؛ ضد الرفق . اللطح : كل شيء لوث بغير لونه .

(٢) جمع للشيمة : الخلق و الطبيعة .

(٣) في نسخة : و الآخر مالح .

طاعته ، وخلق ماءً مرّاً فجعل منه أهل معصيته ، ثم أمرهما فاختلطا ولولا ذلك ما ولد المؤمن إلا مؤمناً ، ولا الكافر إلا كافراً . «ص ٣٩»

٢٥ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن جعفر بن بشير ، عن ابن أبي العلاء ، عن حبيب قال : حدّثني الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلمة قبل الميلاد ، فما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . «ص ٣٩»

٢٦ - ع : بهذا الإسناد عن حبيب ، عمن رواه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما تقول في الأرواح إنها جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ قال : فقلت : إنا نقول ذلك ، قال : فإنّه كذلك ، إن الله عز وجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلمة قبل الميلاد ، وهو قوله عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : فمن أقرّ له يومئذ جاءت ألفتهم ههنا ومن أنكره يومئذ جاء بخلافه ههنا . «ص ٣٩»

بيان : جاءت ألفتهم أي ألفتهم مع أئمتهم ومعرفتهم لهم ، أو ألفة المؤمنين بعضهم ببعض من جهة اتّفاقهم في المذهب ؛ ويحتمل أن يكون التعارف معرفة الشيعة لأئمتهم ، و الائتلاف ألفة المؤمنين بعضهم ببعض لموافقتهم في المذهب .

٢٧ - ع : أبي ، عن سعد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كنّا عنده فذكرنا رحلاً من أصحابنا فقلنا : فيه حدّة ، ^(١) فقال : من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة ، قال : فقلنا له : إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة ؛ فقال : إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج ^(٢) فالحدّة من ذلك الوهج ، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثمّ لهم سمت ولهم وقار . «ص ٤٠»

٢٨ - ما : الغضائري ، عن عليّ بن محمد العلوي ، عن عبد الله بن محمد ، عن الحسين ،

(١) الحدّة من الانسان : بأسه وما يعترّيه من الغضب .

(٢) الوهج : انتقاد النار .

عن أبي عبد الله بن أسباط ، عن أحمد بن محمد بن زياد العطّار ، عن محمد بن مروان الغزال ، عن عبيد بن يحيى ، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، عن جده الحسن بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأبرد من الثلج ، وأطيب من المسك ، فيها طينة خلقنا الله عز وجل منها ، وخلق شيعتنا منها ، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا ولا من شيعتنا ، وهي الميثاق الذي أخذ الله عز وجل على ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . قال عبيد : فذكرت لمحمد ابن الحسين ^(١) هذا الحديث فقال : صدقك يحيى بن عبد الله ، هكذا أخبرني أبي ، عن جدي ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله . قال عبيد : قلت : أشتبه أن تفسره لنا إن كان عندك تفسير قال : نعم أخبرني أبي ، عن جدي ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إن لله ملكاً رأسه تحت العرش ، وقدماه في تخوم الأرض السابعة السفلى ، بين عينيه راحة أحدكم ، فإذا أراد الله عز وجل أن يخلق خلقاً على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام أمر ذلك الملك فأخذ من تلك الطينة فرمى بها في النطفة حتى تصير إلى الرحم منها يخلق وهي الميثاق . «ص ٥٧»

٢٩ - ع : أبي ، عن محمد العطّار ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، قال : حدثنا أحمد ابن مدين من ولد مالك بن الحارث الأشتري ، عن محمد بن عمار ، عن أبيه ، عن أبي بصير قال : دخلت على أبي عبد الله ومعي رجل من أصحابنا فقلت له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنني لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سبباً ؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن ذلك الحزن والفرح يصل إليكم منّا إذا دخل علينا حزن أو سرور كان ذلك داخلاً عليكم ، لأننا وإياكم من نور الله عز وجل ، فجعلنا وطينتنا وطينتكم واحدة ، ولو تركت طينتكم كما أخذت لكنّا وأنتم سواء ، ولكن مزجت طينتكم بطينة أعدائكم ، فلولا ذلك ما أذنبتم ذنباً أبداً ، قال : قلت : جعلت فداك فتعود طينتنا ونورنا كما بدا ؟ فقال إي والله يا عبد الله أخبرني عن هذا الشعاع الزاجر من القرص إذا طلع ، أهو متصل به أو بائن

(١) تقدم الحديث عن الامالي بسند آخر تحت رقم ٤ وفيه : فذكرت ذلك لمحمد بن علي بن

الحسين بن علي عليهم السلام : وهو الصحيح .

منه ؟ فقلت له : جعلت فداك بل هو بائن منه ، فقال : أفليس إذا غابت الشمس وسقط القرص عاد إليه فاتصل به كما بدا منه ؟ فقلت له : نعم ، فقال : كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون ، والله إنكم ملحقون بنايوم القيامة ، وإننا لنشفع فنشفع^(١) ووالله إنكم لتشفعون فتشفعون ، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله ، وجنة عن يمينه ، فيدخل أحبائه الجنة ، وأعداءه النار . «ص ٤٢»

٣٠ - ع : الدقاق ، عن محمد الأسدي ، عن محمد بن إسماعيل رفعه إلى محمد بن سنان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور مبتدع من نور رسخ ذلك النور في طينة من أعلا عليين ، وخلق قلوب شيعتنا مما خلق منه أبداننا ، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إلينا ، لأنّها خلقت مما خلقنا منه ، ثم قرأ : «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرِيكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» وإن الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجين ، وخلق أبدانهم من طينة من دون ذلك وخلق قلوب شيعتهم مما خلق منه أبدانهم فقلوبهم تهوي إليهم ، ثم قرأ : «إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سَجِّينَ وَمَا أَدْرِيكَ مَا سَجِّينَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» . «ص ٥٠»

٣١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطي رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله عز وجل خلقنا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجسادهم من دون ذلك ، فمن أجل ذلك كان القرابة بيننا وبينهم ، ومن ثمّ تحن قلوبهم إلينا . «ص ٥٠»

٣٢ - ع : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن فضال ، عن ابن بكير عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» قال : ثبتت المعرفة ونسوا الوقت^(٢) وسيدكرونها يوماً ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه . «ص ٥٠»

شي : عن زرارة مثله .

(١) نشفع على صيغة المجهول من باب التفعيل ، أى يقبل شفاعتنا .

(٢) فى نسخة : الموقف .

٣٣ - ع : ابن المتوكل ، عن الحميري ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن داود الرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم و نشرهم بين يديه ، ثم قال لهم : من ربكم ؟ فأول من نطق رسول الله صلوات الله عليه وآله و أمير المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي و أمثائي في خلقي ، وهم المسؤولون . ثم قال لبني آدم : أقرؤا الله بالربوبية ، ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية فقالوا : نعم ربنا أقررنا ، فقال الله جل جلاله للملائكة : اشهدوا ، فقالت الملائكة : شهدنا على أن لا يقولوا غداً إننا كنّا عن هذا غافلين ، أويقولوا إننا أشرك آباؤنا من قبل و كنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؛ يا داود الأنياء ^(١) مؤكدة عليهم في الميثاق . « ص ٥٠ - ٥١ »

بيان : قوله عليه السلام : هم المسؤولون أي يجب على الناس أن يسألوهم عن أمور دينهم أوفيه حذف وإيصال ، أي يسأل الناس يوم القيامة عن حبهم وولايتهم .

٣٤ - ع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، ^(٢) عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة ، و خلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار ، ثم بعثهم في الظلال ؛ فقلت : وأي شيء الظلال ؟ فقال : ألم تر إلى ظلك في الشمس شيء ، وليس بشيء ؟ ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله ، وهو قوله عز وجل : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأنكر بعض وأقر بعض ، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحبّ ، وأنكرها من أبغض ، وهو قوله عز وجل : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثم . « ص ٥١ »

(١) في نسخة : ولايتنا .

(٢) ضبطه الطريحي في الضوابط بضم العين ، وسكون القاف ، وفتح الباء ، واحتمل المامقاني

كونه بالفتحات الثلاث .

ير : محمد بن الحسين عن محمد بن إسماعيل ، عن صالح بن عقبة ، عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر ؛ وعن عقبة عن أبي جعفر عليه السلام مثله . «ص ٢٢»
شي : عن عبد الله الجعفي مثله .

توضيح : قوله عليه السلام : في الظلال أي عالم الأرواح بناءً على أنها أجسام لطيفة ، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرد أيضاً تقريباً إلى الأفهام ، أو عالم المثل على القول به قبل الانتقال إلى الأبدان .

قوله عليه السلام : وهو قوله أي هذه المعرفة الفطرية إنما حصل من أخذ تلك الميثاق .
٣٥ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن اليقطيني ، عن زياد القندي ، عن عبد الله ابن سنان قال : بينا نحن في الطواف إذ مر رجل من آل عمر فأخذ ^(١) بيده رجل فاستلم الحجر فانتهره وأغلظ له ، وقال له : بطل حجك إن الذي تستلمه حجر لا يضر ولا ينفع فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أما سمعت قول العمري لهذا الذي استلم الحجر فأصابه ما أصابه ؟ فقال : وما الذي قال ؟ قلت له : قال : يا عبد الله بطل حجك إنما هو حجر لا يضر ولا ينفع ! فقال أبو عبد الله عليه السلام : كذب ، ثم كذب ثم كذب إن للحجر لساناً ذليلاً يوم القيامة ، يشهد لمن وافاه بالموافاة ، ثم قال : إن الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين : بحراً عذباً ، وبحراً أجاباً ، فخلق تربة آدم من البحر العذب ، وشن ^(٢) عليها من البحر الأجاب ، ثم جبل آدم فعرك عرك الأديم فتركه ما شاء الله فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضة من كتفه الأيمن فخرجوا كالذر فقال : هؤلاء إلى الجنة ؛ وقبض قبضة من كتفه الأيسر وقال : هؤلاء إلى النار ؛ فأنطق الله عز وجل أصحاب اليمين وأصحاب اليسار ، فقال أهل اليسار : ياربّ لما خلقت ^(٣) لنا النار ولم تبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً ؟ فقال الله عز وجل لهم : ذاك لعلمي بما أنتم صائمون إليه ، وإنّي سأبتليكم ، فأمر الله عز وجل النار فأسعرت ، ثم قال لهم : تقحموا

(١) في نسخة : واخذ .

(٢) في المصدر : سن . م

(٣) في المصدر : لم خلقت . م

جميعاً في النار فإني أجعلها عليكم برداً وسلاماً ، فقالوا : يارب إنما سألناك لأي شيء جعلتها لنا هرباً منها ، ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا ؛ فأمر الله عز وجل النار فأُسعرت ثم قال لأصحاب اليمين : تقحموا جميعاً في النار ، فتقحموا جميعاً فكانت عليهم برداً وسلاماً . فقال لهم : ^(١) أأست بر ربكم ؟ قال أصحاب اليمين : بلى طوعاً ، وقال أصحاب الشمال : بلى كرهاً ؛ فأخذ منهم جميعاً ميثاقهم ، وأشهدهم على أنفسهم ؛ قال : وكان الحجر في الجنة فأخرجه الله عز وجل فالتقم الميثاق من الخلق كلهم ، فذلك قوله عز وجل : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » فلما أسكن الله عز وجل آدم الجنة وعصى أهبط الله عز وجل الحجر وجعله في ركن بيته وأهبط آدم عليه السلام على الصفا فمكث ما شاء الله ، ثم رآه في البيت فعرفه و عرف ميثاقه و ذكره فجاء إليه مسرعاً فأكب عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته ، ونادماً على نقضه ميثاقه ؛ قال : فمن أجل ذلك أمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر : أما نتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة . « ص ١٤٧ »

٣٦ - ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن محمد الهمداني ، عن إسحاق القمي قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت له : جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني ؟ قال : لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب المسكر ؟ قال : لا ، قلت : فيذنب ؟ قال : نعم ؛ قلت : جعلت فداك لا يزني ولا يلوط ولا يرتكب السيئات ، فأني شيء ذنبه ؟

فقال : يا إسحاق قال الله تبارك و تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا اللّٰم » وقد يلم المؤمن بالشئ الذي ليس فيه مراد . قلت : جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشيء أبداً ؟ قال : لا .

قلت : جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحّد الذي يقول بقول الله و يدين الله بولايتكم وليس بيني و بينه خلاف يشرب المسكر ، و يزني ، و يلوط ، و آتية في حاجة واحدة فأصيبه معبس الوجه ، كأمح اللون ، ثقيلاً في حاجتي ، بطيئاً فيها ؛ وقد أرى

(١) في المصدر : فقال لهم جميعاً . م

الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فأتية في حاجة فأصيبه طلق الوجه ، حسن البشر ، متسرّعاً في حاجتي ، فرحاً بها ، يحبّ قضاءها ،^(١) كثير الصلاة ، كثير الصوم ، كثير الصدقة ، يؤدّي الزكاة ، ويستودع فيؤدّي الأمانة ! .

قال : يا إسحاق ليس تدرون من أين أوتيتم ؟ قلت : لا والله ، جعلت فداك إلا أن تخبرني ، فقال : يا إسحاق إن الله عزّ وجلّ لما كان متفرّداً بالوحدانية ابتداء الأشياء لا من شيء ، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيّام مع لياليها ، ثمّ نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين ، وهي طينتنا أهل البيت ، ثمّ قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة ، وهي طينة شيعتنا ، ثمّ اصطفانا لنفسه ، فلو أن طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم ، ولا سرق ، ولا لاط ، ولا شرب المسكر ، ولا اكتسب شيئاً ممّا ذكرت ، ولكن الله عزّ وجلّ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيّام و لياليها ، ثمّ نضب الماء عنها ؛ ثمّ قبض قبضة ، وهي طينة ملعونة من حامسنون ،^(٢) وهي طينة خبال ،^(٣) وهي طينة أعدائنا ، فلو أن الله عزّ وجلّ ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميين ، ولم يقرّوا بالشهادتين ، ولم يصوموا ، ولم يصلّوا ، ولم يزكّوا ، ولم يحجّوا البيت ، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق ، ولكن الله تبارك و تعالى جمع الطينتين طينتكم و طينتهم فخلطهما و عركهما عرك الأديم ، و مزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شرّ لفظ أوزناً ، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكراً أو غيره ، فليس من جوهريته ولا من إيمانه ، إنّما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت ؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه و حسن خلق ، أو صوم ، أو صلاة أرحج بيت ، أو صدقة ، أو معروف فليس من جوهريته ، إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان .

قلت : جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فمه ؟^(٤) قال لي : يا إسحاق أجمع الله الخير

(١) كذا في نسخة المصنف لكن الظاهر كما في بعض النسخ : فرحاً بما يحبّ قضاءها .

(٢) الحمأ : الطين الاسود المتغير . والمسنون : المتن . وقيل : المصور . والمحبوب المفرغ

كأنه أفرغ حتى صار صورة .

(٣) : الخبال الفساد ، النقصان .

(٤) في نسخة : قسمه .

والشر في موضع واحد ؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله عز وجل مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا ، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردّها على أعدائنا ، وعاد كل شيء إلى عنصره الأول الذي منه ابتداء ؛ أمارأيت الشمس إذا هي بدت ألا ترى لها شعاعاً زاجراً متصلاً بها أو بائناً منها ؟ قلت : جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها ، ولو كان بائناً منها لما بدا إليها .

قال : نعم يا إسحاق كل شيء يعود إلى جوهره الذي منه بدا ، قلت : جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فتُردّ إلينا ؟ وتؤخذ سيئاتنا فتُردّ إليهم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ؛ قلت : جعلت فداك أجدها في كتاب الله عز وجل ؟ قال : نعم يا إسحاق ؛ قلت : في أي مكان ؟ قال لي : يا إسحاق أما تتلو هذه الآية ؟ « أولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » فلم يبدّل الله سيئاتهم حسنات إلا لكم والله يبدّل لكم . « ص ١٦٧ »

إيضاح : قال الجزري : في حديث الإفك : وإن كنت أظمت بذنب فاستغفرني الله أي قاربت . وقيل : اللّم مقاربة المعصية من غير إيقاع فعل . وقيل : هو من اللّم : صغار الذنوب . قوله : يظهر بشيء على البناء للمفعول من أظهره بمعنى أعانه ، أي هل يعان بشيء من الخير ؛ ولعله كان (يظفر) أو (يطهر) بالطاء المهملة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : أتيتم ، أي هلكتم ، وفي بعض النسخ « أوتيتم » أي أتاكم الذنب . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : شعاعاً زاجراً أي شديداً يزجر البصر عن النظر . قوله : بدا إليها لعله ضمن معنى الانتهاء .

٣٧- ير : عمران بن موسى ، عن موسى بن جعفر ، عن علي بن سعيد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن الحسين بن زيد ، ^(١) عن جعفر بن محمد ، عن جدّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ : إن الله بعث جبرئيل إلى الجنة فأتاه بطينة من طينها ،

(١) هو الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، الملقب بذي الدمة ، الذي تبناه

ورباه أبو عبد الله عليه السلام ، وزوجه بنت الارقط . وفي البصائر المطبوع « علي بن معبد » بدل

« علي بن سعيد » ويؤيد ذلك ما حكى عن جامع الرواة أن الصواب موسى بن جعفر ، عن علي

بن معبد ؛ دون علي بن سعيد .

وبعث ملك الموت إلى الأرض فجاءه بطينة من طينها ؛ فجمع الطينتين ثم قسمهما نصفين ، فجعلنا من خير القسمين ، وجعل شيعتنا من طينتنا ، فما كان من شيعتنا مما يرغب بهم عنه ^(١) من الأعمال القيحة فذاك مما خالطهم من الطينة الخبيثة ومصيرها إلى الجنة ، وما كان في عدوئنا من بر وصلاة وصوم ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتنا الطيبة ومصيرهم إلى النار . « ص ٥ »

٣٨- ير : عبد الله بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن مسعود بن يوسف بن كليب ، عن الحسن بن حماد ، عن فضيل بن الزبير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا فضيل أما علمت أن رسول الله صلوات الله عليه وآله قال : إنما أهل بيت خلقنا من عليين ، وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه ، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتنا منه ؛ وإن عدوئنا خلقوا من سجين ، وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه ، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك ، وخلق قلوب شيعتهم من الذي خلقوا منه ، ^(٢) فهل يستطيع أحد من أهل عليين أن يكون من أهل سجين ؟ وهل يستطيع أهل سجين أن يكونوا من أهل عليين ؟ ! . « ص ٥ »

٣٩- ير : عنه ، عن محمد بن الحسين ، عن الحسن بن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : أخذ الله ^(٣) ميثاق شيعتنا معنا على ولايتنا لا يزيدون ولا ينقصون : إن الله خلقنا من طينة عليين وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك وخلق عدوئنا من طينة سجين ، وخلق أولياءهم من طينة أسفل من ذلك . « ص ٥ »

٤٠- ير : أحمد بن محمد ، عمن رواه ، عن أحمد بن عمرو الجبلي ، عن إبراهيم بن عمران ، عن محمد بن سوبة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلقنا من طينة عليين ، وخلق قلوبنا من طينة فوق عليين ، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك ، وخلق قلوبهم من طينة عليين ، فصارت قلوبهم تحن إلينا لأنها منا ، وخلق عدوئنا من طينة سجين ، وخلق قلوبهم من طينة أسفل من سجين ، وإن الله راد كل طينة إلى معدنها فرادهم إلى عليين ، ورادهم إلى سجين .

(١) مما يرغب به عنهم (ظ) .

(٢) في المصدر : مما خلقوا منه م (٣) في المصدر : قد أخذ الله م

٤١ - ير : أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإِذَا خذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ » إلى آخر الآية ، قال : أخرج الله من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ ^(١) فعرفهم نفسه ، و لولا ذلك لن يعرف ^(٢) أحد ربه ، ثم قال : « ألسن برّبكم » قالوا بلى ، وإنّ هذا محمد رسول الله ^(٣) ، وعليّ أمير المؤمنين خليفتي وأميني . « ص ٢٠ »

٤٢ - ير : بعض أصحابنا ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن أسباط ، عن علي بن معمر ، عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : « هذا نذير من النذر الأولى » قال : يعني به محمد صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأول . « ص ٢٣ »

٤٣ - سن : ابن محبوب ، ^(٤) عن ابن رئاب ، عن بكير قال : كان أبو جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق شيعةنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبية ، ولمحمد بالنبوة ، وعرض على محمد صلى الله عليه وآله أمّته في الظلّ ^(٥) وهم أظلة ، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق أرواح شيعةنا قبل أبدانهم بألفي عام ، وعرضهم عليه ، وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعرفهم في لحن القول . « ص ٢٤ »

و رواه عثمان بن عيسى ، عن أبي الجراح ، عن أبي الحسن عليه السلام وزاد فيه : وكلّ قلب يحنّ إلى بدنه .

شي : عن بكير مثله .

٤٤ - سن : أبي ، عن القاسم بن محمد ، عن البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر

(١) في المصدر : فخرجوا إلى يوم القيامة كالذر . م

(٢) في المصدر : لم يعرف . م

(٣) في المصدر : وإنّ هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ أمير المؤمنين (ع) . م

(٤) في المصدر : أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين جميعاً عن ابن محبوب . م

(٥) في المصدر : في الطين . م

عليه السلام قال : لا تخاصموا الناس فإن الناس لو استطاعوا أن يحببونا لأحببونا ، إن الله أخذ ميثاق النفس^(١) فلا يزيد فيهم أحد أبداً ، ولا ينقص منهم أحد أبداً . «ص ١٣٦»

٤٥ - سن : محمد بن علي ، عن إسماعيل بن يسار ، عن عثمان بن يوسف ، عن عبد الله بن كيسان قال ، قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان فقال : أمّا النسب فأعرفه ، وأمّا أنت فلست أعرفك ؛ قال : قلت : ولدت بالجبل ،^(٢) ونشأت بأرض فارس وأنا أخالط الناس في التجارات وغير ذلك ، فأرى الرجل حسن السمّت ، وحسن الخلق والأمانة ، ثمّ أفتشه فأفتشه عن عداوتكم : وأخالط الرجل وأرى فيه سوء الخلق ، وقلة أمانة وزعارة ثمّ أفتشه فأفتشه عن ولايتكم ، فكيف يكون ذلك ؟ فقال :^(٣) أما علمت يا بن كيسان أن الله تبارك وتعالى أخذ طينة من الجنة ، وطينة من النار فخلطهما جميعاً ، ثمّ نزع هذه من هذه فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن السمّت وحسن الخلق فمما مستهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار ، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه . «ص ١٣٦ - ١٣٧»

بيان : قوله عليه السلام : فلست أعرفك أي بالتشيع ، والزعارة بالتشديد وقديخفف

شراسة الخلق .

٤٦ - سن : أبي ، عن عبد الله بن القاسم ، عمّ بن حدّته قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أرى الرجل من أصحابنا ممّن يقول بقولنا خبيث اللسان ، خبيث الخلطة ، قليل الوفاء بالميعاد ، فيغمّني غمّاً شديداً ؛ وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمّت ، حسن الهدي ،^(٤) وفيّاً بالميعاد ، فأغتمّ غمّاً ؛^(٥) فقال : أو تدري لمّ ذاك ؟ قلت : لا ، قال :

(١) هكذا في نسخ من البعار ، وفي المحاسن المطبوع (الناس) وفي هامش نسخة المصنف : (الشيعة ظ) بخطه الشريف قدس سره .

(٢) يطلق بلاد الجبل على مدن بين آذربيجان وعراق العرب ، وخوزستان وفارس ، وبلاد الديلم .

(٣) في المصدر : فقال لي . م .

(٤) الهدي : الطريقة ؛ السيرة .

(٥) في المصدر : فأغتمّ لذلك عما شديداً . م .

إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الطَّيْنَتَيْنِ فَعَرَّكَهُمَا - وَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا رَاحَتِيهِ جَمِيعاً وَاحِدَةً عَلَى الْآخَرَى . ثُمَّ فَلَقَهُمَا فَقَالَ : هَذِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَهَذِهِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي ، فَالَّذِي رَأَيْتَ مِنْ خَبَثِ اللِّسَانِ وَالْبَذَاءِ وَسُوءِ الْخُلُطَةِ وَقِلَّةِ الْوَفَاءِ بِالْمِيعَادِ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَصْحَابِكُمْ ، يَقُولُ بِقَوْلِكُمْ فَبِمَا التَّطَخَّ بِهَذِهِ مِنَ الطَّيْنَةِ الْخَبِيثَةِ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى طَيْنَتِهِ ؛ وَالَّذِي رَأَيْتَ مِنْ حَسَنِ الْهَدْيِ وَحَسَنِ السَّمْتِ وَحَسَنِ الْخُلُطَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْمِيعَادِ مِنَ الرِّجَالِ مِنَ الْمُخَالَفِينَ فَبِمَا التَّطَخَّ بِهِ مِنَ الطَّيْنَةِ . فَقُلْتُ : ^(١) فَرَجَّتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهِ عَنْكَ . « ص ١٣٧ - ١٣٨ »

٤٧ - سنن : يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جده ، عن رجل من أصحابه يقال له : عمران أنه خرج في عمرة زمن الحجاج فقلت له : هل لقيت أبا جعفر عليه السلام قال : نعم ، قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : يا عمران ما خبر الناس ؟ فقلت : تركت الحجاج يشتم أباك على المنبر - أعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه - فقال : أعداء الله يبدهون سببنا ! أما إنهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا ، ولكنهم لا يستطيعون ؛ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَنَا وَمِيثَاقَ شِيعَتِنَا وَنَحْنُ وَهُمْ أَظْلَمَةٌ ، فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ ^(٢) رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ ^(٣) رَجُلًا مَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ . « ص ١٣٥ - ١٣٦ »

بيان : يبدهون بالباء أي يأتون به بديهة و فجأة بلا روية ، وفي بعض النسخ بالنون ، يقال : ندهت الإبل أي سقتها مجتمعة ، و الندهة بالضم و الفتح : الكثرة من المال .

٤٨ - سنن : علي بن الحكم ، عن أبان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف إثنان . فقال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ : كُنْ مَاءً عَذْبًا أُخْلِقَ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي . وَقَالَ : كُنْ مَاءً مَلْحًا أُجَاجًا أُخْلِقَ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي ، ثُمَّ أَمْرُهُمَا فَا مَتَزَجَا ، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا وَكَافِرًا مُؤْمِنًا ، ثُمَّ أَخَذَ طَيْنَ آدَمَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَّكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا فَإِذَا

(١) في المصدر : من الطينة الطيبة فقلت جعلت فداك . م

(٢) في المصدر : منهم . م

(٣) في المصدر : فيهم . م

هم في الذرّ يدبّون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب النار : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر نارا فأُسُرت فقال لأصحاب الشمال : ادخلوها ، فهابوها وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها ، فدخلوها : فقال كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً ؛ فقال أصحاب الشمال : يارب أقلنا ، ^(١) فقال : قد أقلتكم فادخلوها ، فذهبوا فهابوها ، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية ، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . « ص ٢٨٢ »

بيان : قوله ﷺ : لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر ، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين .

٤٩ - سن : عبد الله بن محمد النهيكى ، عن حسان ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليه السلام قالا : كان في بدء خلق الله أن خلق أرضاً وطينة وفجر منها ماءها ، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيام ولياليها ، ثم نضب الماء عنها ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة الأئمة ، ثم أخذ قبضة أخرى من أسفل تلك الطينة وهي طينة ذرية الأئمة وشيعتهم ، فلو تركت طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً ، قلت : فما صنع بطينتنا ؟ قال : إن الله عز وجل خلق أرضاً سبخة ، ثم أجرى عليها ماءً أجاجاً ، أجراها سبعة أيام ولياليها ، ثم نضب عنها الماء ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة وهي طينة أئمة الكفر فلو تركت طينة عدونا كما أخذها لم يشهدوا الشهادتين : أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولم يكونوا يحجّون البيت ، ولا يعتمرون ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصدقون ، ولا يعملون شيئاً من أعمال البر . ثم قال : أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدونا فخلطهما وعركهما عرك الأديم ، ثم مزجهما بالماء ، ثم جذب هذه من هذه ، وقال : هذه في الجنة ولا أبالي ، وهذه في النار ولا أبالي ، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق واكتساب سيئات فمن تلك

السبخة^(١) التي مازجته من الناصب ، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته فمن تلك السبخة التي أصابته من المؤمن . «ص ٢٨٢-٢٨٣» .
 ٥٠ - نهج : من كلام له روى اليمامي ، عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية قال : كنا عند أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} وقد ذكر عنده اختلاف الناس : إنما فرّق بينهم مبادي طينتهم ، وذلك أنهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها ، وحزن^(٢) تربة وسهلها ، فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون ، فتام الرواء ناقص العقل ، ومادّ القامة^(٣) قصير الهمّة ، وزاكي العمل قبيح المنظر ، وقريب القعر بعيد السبر ، ومعروف الضريبة منكر الجليبة ، وتائه القلب متفرّق اللب ، وطلق الأسنان حديد الجنان .

بيان : قوله علي^{عليه السلام} : إنما فرّق بينهم قال ابن ميثم : أي تقاربهم في الصور والأخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن ، والسبخ والعذب ؛ وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة . وقال أهل التأويل : الإضافة بمعنى اللام أي المبادي لطينهم ، كناية عن الأجزاء العنصرية التي هي مبادي المركبات ذوات الأمزجة ، والسبخ كناية عن الحارّ اليابس ، والعذب عن الحارّ الرطب ، والسهل عن البارد الرطب والحزن عن البارد اليابس . والفلقة : القطعة والشقّ من الشيء ، والرواء : المنظر الحسن ، وقريب القعر أي قصير . بعيد السبر أي داهية يبعد اختبار باطنه يقال : سبرت الرجل أسبره أي اختبرت باطنه وغوره . والضريبة : الخلق والطبيعة . والجليبة : ما يجلبه الإنسان ويتكلفه أي خلقه حسن يتكلف فعل القبيح ، وحمله ابن ميثم على العكس ، وقال : متفرّق اللب أي يتبع كلّ ناعق . ثم قال : الخمسة الأول ظاهرهم مخالف لباطنهم ، والأخيرتان ليستا على تلك الوتيرة ، ذكر التتميم الأقسام .

٥١ - شي : عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر^{عليه السلام} : رأيت حين أخذ الله الميثاق

(١) سبخ الأرض : مالحةا .

(٢) الحزن بفتح الحاء : الخشن ضد السهل .

(٣) مادّ القامة : طويها .

على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه كانت معاينة منهم له^(١) قال : نعم يا زرارة وهم ذرّ بين يديه^(٢) وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبية له ، ولمحمد ﷺ بالنبوة ثمّ كفّل لهم بالأرزاق ، وأنسأهم رؤيته ، وأثبت في قلوبهم معرفته ، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق ، فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمد ﷺ لم ينفعه إقراره لربه بالميثاق ، ومن لم يجحد ميثاق محمد نفعه الميثاق لربه .

٥٢ - شى : عن عمّار بن أبي الأحوص ، عن أبي عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك و

تعالى خلق في مبتدأ الخلق بحرّين : أحدهما عذب فرات ، والآخر ملح أجاج ، ثمّ خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات ثمّ أجراه على البحر الأجاج فجعله حمأ مسنوناً وهو خلق آدم ، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيمن فذراها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، ثمّ قبض قبضة من كتف آدم الأيسر فذراها في صلب آدم ، فقال : هؤلاء في النار ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل ، ولي في هؤلاء البدء بعد^(٣) ، وفي هؤلاء سيبتلون ؛ قال أبو عبد الله عليه السلام : فاحتجّ يومئذ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم فقالوا : يا ربنا بم أوجبت لنا النار - وأنت الحكم العدل - من قبل أن تحتجّ علينا ، وتبلونا بالرسول ، وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا ؟ فقال الله تبارك و تعالى : فأنا أخبركم بالحجة عليكم الآن في الطاعة والمعصية ، والإعذار بعد الإخبار . قال أبو عبد الله عليه السلام : فأوحى الله إلى مالك خازن النار : أن مر النار تشهق ، ثمّ تخرج عنقاً منها^(٤) فخرجت لهم ، ثمّ قال الله لهم : ادخلوها طائعين ، فقالوا : لا ندخلها طائعين ! ثمّ قال : ادخلوها طائعين ، أولاً عذّب بنّكم بها كارهين ، قالوا : إنّنا هربنا إليك منها ، وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا ، وصيّرتنا من أصحاب الشمال ، فكيف ندخلها

(١) أراد من المعاينة الشهود اليقيني و العضور العلمى ، لا المشاهدة والرؤية بالعين الجسماني

لظهور انتفاء شرائط الرؤية من وجود الباصرة لهم هناك ، والجسمية له تعالى .

(٢) أى متفرق بين يديه أى فى الارض ، والذر أيضاً بمعنى النسل .

(٣) وفى نسخة : ولّى فى هؤلاء البلاء بعد .

(٤) أى قطعة وبمعاة منها .

طائعين ؟ ولكن ابدأ أصحاب اليمين في دخولها ، كي تكون قد عدلت فينا و فيهم ؛ قال أبو عبد الله عليه السلام : فأمر أصحاب اليمين وهم ذرّبين يديه فقال : ادخلوا هذه النار طائعين قال : فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيرها الله عليهم برداً وسلاماً ، ثم أخرجهم منها . ثم إن الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين و أصحاب الشمال : ألسن بر ربكم ؟ فقال أصحاب اليمين : بلى يا ربنا نحن بريّتك وخلقك مقرّين طائعين ، وقال أصحاب الشمال : بلى يا ربنا نحن بريّتك وخلقك كارهين ! وذلك قول الله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » قال : توحيدهم لله .

٥٣ - شي : عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابه ، عنه قال : إن الله قال لماء : كن عذباً فراتاً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي ؛ وقال لماء : كن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ، فأجرى المائين على الطين ، ثم قبض قبضة بهذه - وهي يمين - فخلقهم خلقاً كالذرّ ، ثم أشهدهم على أنفسهم : ألسن بر ربكم وعليكم طاعتي ؟ قالوا : بلى ، فقال للذّار : كونى ناراً ، فإذا نارت أجّج ، وقال لهم قعوا فيها ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ في السعي ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، فلمّا وجدوا حرّها رجعوا فلم يدخلها منهم أحد ، ثم قبض قبضة بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذّر ، مثل أولئك ، ثم أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين ، ثم قال لهم : قعوا في هذه النار ، فمنهم من أبطأ ، ومنهم من أسرع ، ومنهم من مرّ بطرف العين ، فوقعوا فيها كلّهم ، فقال : أخرجوا منها سالمين ، فخرجوا لم يصيبهم شيء ؛ وقال الآخرون : يا ربنا أقلنا نفعل كما فعلوا ، قال : قد أقلتكم ، فمنهم من أسرع في السعي ، ومنهم من أبطأ ، ومنهم من لم يرم مجلسه ، مثل ما صنعوا في المرة الأولى ؛ فذلك قوله : ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون . بيان : يقال : رام يريم : إذا برح وزال من مكانه ، وأكثر ما يستعمل في النفي .

٥٤ - شي : خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ، إنهم ملعونون في الأصل .

٥٥ - شي : عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام

عن قول الله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » إلى آخر الآية : أمّا قوله : « كما لم يؤمنوا به أول مرة » فإنه حين أخذ عليهم الميثاق .

٥٦ - شى : عن رفاعة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » قال : نعم أخذ الله الحجة على جميع خلقه يوم الميثاق هكذا - وقبض يده - .

٥٧ - شى : عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال : جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه - يعني في الميثاق - .

بيان : أي تعلّقت الأرواح بتلك الذرّ وجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق حتّى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرّ^(١) .

٥٨ - شى : عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم » إلى « قالوا بلى » قال : كان محمد عليه وآله السلام أول من قال : بلى ؛ قلت : كانت رؤية معاينة ؟ قال : ثبتت المعرفة في قلوبهم وأنسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من يرزقه .

٩٥ - شى : عن زرارة أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » فقال - و أبوه يسمع - : حدّثني أبي أن الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم ، فصبّ عليها الماء العذب الفرات ، فتركها أربعين صباحاً ، ثمّ صبّ عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلمّا اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعرّكها عرّكاً شديداً ، ثمّ هكّذا - حكى^(٢) بسط كفيه - فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله فأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً ، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

(١) ظاهر الرواية لسان الحال ، أو أنهم كانوا على خلقه لو نزلوا منزل الدنيا ظهر ذلك منهم في صورة السؤال والجواب ، و أما ما ذكره رحمه الله فبعيد عن سياق الخبر وأوضح لكان هو الخلق الدنيوى بعينه . ط

(٢) حكى العقدة : شدّها .

بيان : قوله عليه السلام : من يمينه و شماله أي من يمين الملك المأمور بهذا الأمر و شماله ، أو من يمين العرش و شماله ، أو استعار اليمين للجهة التي فيها اليمن و البركة و كذا الشمال بعكس ذلك .

٦٠ - شي : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله « ألسنت بر بكم قالوا بلى » : قلت : قالوا بالسنتهم ؟ قال : نعم و قالوا بقلوبهم ؛ فقلت : وأي شيء كانوا يومئذ ؟ قال : صنع منهم ما اكتفى به .

٦١ - شي : عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : « و إذا أخذ ربك من بني آدم ، إلى أنفسهم » قال : أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة ، فخرجوا كالذر ، فعرفهم نفسه ، و أراهم نفسه ، و لولا ذلك ما عرف أحد ربه ، و ذلك قوله : « ولئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولن الله » .

٦٢ - شي : عن الأصبع بن نباتة ، عن علي عليه السلام قال : أتاه ابن الكواء ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك و تعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى ؟ فقال علي : قد كلم الله جميع خلقه برهم و فاجرهم و ردوا عليه الجواب . فقل ذلك علي ابن الكواء ولم يعرفه ، فقال له : كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيه : « و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى » ؟ فقد أسمعكم كلامه ، و ردوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله - يا ابن الكواء - « قالوا بلى » فقال لهم : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، و أنا الرحمن ، فأقرؤا له بالطاعة و الربوبية ، و ميز الرسل و الأنبياء و الأوصياء ، و أمر الخلق بطاعتهم ، فأقرؤا بذلك في الميثاق ، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك : شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

٦٣ - قال أبو بصير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن الذر و حيث أشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، و أسر بعضهم خلاف ما أظهر ، قلت : كيف علموا

(١) كشاد ، هو عبد الله بن عمرو البشكري ، خارجي ملعون .

القول حيث قيل لهم : ألسنت بر بكم ؟ قال : إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه .

٦٤ - شى : عن زرارة وحران ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا : إن الله خلق الخلق وهي أظلة ، فأرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه ، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلة وجحد من جحد به يومئذ ، فقال : ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل .

٦٥ - شى : عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم » إلى « بما كذبوا به من قبل » قال : بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، فمن صدق حينئذ صدق بعد ذلك ، ومن كذب حينئذ كذب بعد ذلك .

٦٦ - شى : عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بواد يقال له : الروحاء وهو واد بين الطائف ومكة ، قال : فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر ، قال : فخرجوا كما يخرج النحل من كورها . فاجتمعوا على شفير الوادي ^(١) فقال الله لآدم : انظر ما ذاترى فقال آدم : أرى ذراً كثيراً على شفير الوادي ، فقال الله : يا آدم هؤلاء ذريتك ، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية ، ولمحمد بالنبوة ، كما آخذهم عليهم في السماء ؛ قال آدم : يارب وكيف وسعتهم ظهري ؟ قال الله : يا آدم بلطف صنيعي و نافذ قدرتي ؛ قال آدم : يارب فما تريد منهم في الميثاق ؟ قال الله : أن لا يشركوا بي شيئاً ، قال آدم : فمن أطاعك منهم يا رب فما جزاؤه ؟ قال : أسكنه جنّتي ؛ قال آدم : فمن عصاك فما جزاؤه ؟ قال : أسكنه ناري ، قال آدم : يارب لقد عدلت فيهم ، وإيعصيتك أكثرهم إن لم تعصمهم .

بيان : هبط إلى الأرض أي هبط ونزل أمره ووحيه مع طوائف كثيرة من الملائكة شبههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم ، والظل جمع الظلة وهي ما أظلك من

(١) الشفير : ناحية كل شىء ، ومن الوادى : ناحية من أعلاه .

سحاب ونحوه ، وهذا مثل قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة » ^(١) والمسح : كناية عن شمول اللطف والرحمة .

٦٧ - كشف : من كتاب دلائل الحميري ، عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي محمد عليه السلام فسأله محمد بن صالح الأرميني عن قول الله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » قال أبو محمد عليه السلام ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف وسيدكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه ؛ قال أبو هاشم : فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمّله ، فأقبل أبو محمد علي فقال : الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم ! ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله ، ومن أنكرهم أنكر الله ؟ فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن . « ص ٣٠٦ »

بيان اعلم ان أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ، وعضلات الآثار ، و لأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسالك .

منها ما ذهب إليه الأخباريون ، وهو أننا نؤمن بها مجملًا ، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها ، وعن أنها من أي جهة صدرت ، ونرد علمه إلى الأئمة عليهم السلام . ومنها أنها محمولة على التقية لموافقتها الروايات العامة ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلهم ، ولمخالفتها ظاهراً لما مر من أخبار الاختيار والاستطاعة .

ومنها أنها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون ، فإنّه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنّه خلقهم من طينات مختلفة ،

ومنها أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابليّاتهم ، وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره ، فإنّه لا شبهة في أن النبي صلّى الله عليه وآله وأباجهل ليسا في درجة واحدة من الاستعداد والقابليّة ، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف ، فإن الله تعالى كلف النبي صلّى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات ، وكلف أباجهل حسب ما أعطاه من ذلك ولم يكلفه ما ليس في وسعه ، ولم يجبره على شيء من الشر والفساد .

ومنها أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً في الذرّ وأخذ ميثاقهم فاختراروا
الخير والشرّ باختيارهم في ذلك الوقت ، و تفرّع اختلاف الطينة على ما اختاروه
باختيارهم كما دلّ عليه بعض الأخبار السابقة فلا فساد في ذلك .

ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة ، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل
الغامضة التي تعجز عقولنا عن الإحاطة بكنهها أولى ، لاسيّما في تلك المسألة التي
نهى أئمتنا عن الخوض فيها ، ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم
ومخالفوهم .

فمنها ما ذكره الشيخ المفيد قدّس الله روحه في جواب المسائل السروية حيث
سئل : ما قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عليهم السلام في
الأشباح و خلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام ، وإخراج الذرية
من صلبه على صور الذرّ ، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ؟ .

الجواب : - وبالله التوفيق - أن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها ، وتتباين
معانيها ، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة ، وصنّفوا فيها كتباً لغوا فيها ، وهزؤوا
فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ماحوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ و
تخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم ، من جعلتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح و الأظلة)
نسبوه في تأليفه إلى محمد بن سنان ، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه
وإن كان صحيحاً فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متّهم بالغلوّ ، فإن صدقوا في إضافة
هذا الكتاب إليه فهو ضلال لصال عن الحقّ ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك ،
والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقة بأنّ آدم عليه السلام رأى على
العرش أشباحاً يلعب نورها ، فسأل الله تعالى عنها ، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله
صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة صلوات الله عليهم ؛
وأعلمه أنه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءاً ولا أرضاً . والوجه فيما

أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم ، ^(١) وجعل ذلك إجلالاً لهم ، ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم ، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة ، ولا أرواحاً ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية ، يدل على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة ، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضيء الحق بحججهم ؛ وقد روي أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش ، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلمهم عنده فأجابه ، وهذا غير منكر في العقول ، ولا مضاد للشرع المنقول ، وقد رواه الصالحون الثقة المأمونون ، وسلم لروايته طائفة الحق ، ولا طريق إلى إنكاره ، والله ولي التوفيق .

فصل : و مثل ما بشر الله به آدم عليه السلام من تأهيله نبيه صلوات الله عليه لما أهله له ، و تأهيل أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام لما أهلمهم له ، وفرض عليه تعظيمهم وإجلالهم . كما بشر به في الكتب الأولى من بعثته لنبينا صلوات الله عليه فقال في محكم كتابه : « النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » ^(٢) وقوله تعالى - مخبراً عن المسيح عليه السلام : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ^(٣) وقوله سبحانه : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » ^(٤) يعني رسول الله صلوات الله عليه ، فحصلت البشائر به من الأنبياء وأمرهم قبل إخراجهم إلى العالم بالوجود ، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه ، وأن يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها ، فلذلك أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه ، وأشخاص أهل بيته عليهم السلام ، وأثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم ، و يبين له عن محلمهم عنده ومنزلتهم لديه ، ولم يكونوا

(١) بجله : عظمه وكرمه .

(٢) الاعراف : ١٥٧ .

(٣) الصف : ٦ .

(٤) آل عمران : ٨١ .

في تلك الحال أحياءً ناطقين ، ولا ارواحاً مكلفين ، وإنّما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه .

فصل : وقد بشر الله عز وجل بالنبي والأئمة عليهم السلام في الكتب الأولى ، فقال في بعض كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام ، وأهل الكتب يقرؤونه ، واليهود يعرفونه : إنّه ناجى إبراهيم الخليل عليه السلام في مناجاته : إنّي قد عظمتك وباركت عليك وعلى إسماعيل ، وجعلت منه اثني عشر عظيماً ، وكبرتهم جداً جداً ، وجعلت منهم شعباً عظيماً لأمة عظيمة ؛ وأشبه ذلك كثير في كتب الله تعالى الأولى .

فصل : وأمّا الحديث في إخراج الذرّية من صلب آدم عليه السلام على صورة الذرّ فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه ؛ والصحيح أنّه أخرج الذرّية من ظهره كالذرّ فملاً بهم الأفق ، وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ، وعلى بعضهم نوراً وظلمة ؛ فلمّا رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة ، فقال : ياربّ ما هؤلاء ؟ قال الله عز وجلّ له : هؤلاء ذرّيتك - يريد تعريفه كثرتهم ، وامتلاء الآفاق بهم ، وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذرّ الذي رآه ليعرفه قدرته ، ويبشّره بإفضال نسله وكثرتهم - فقال عليه السلام : يا ربّ مالي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمة فيه ؛ وعلى بعضهم ظلمة لا يشوبها نور ؛ وعلى بعضهم ظلمة ونوراً ؛ فقال تبارك وتعالى : أمّا الذين عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفياء من ولدك الذي يطيعوني ولا يعصوني في شيء من أمري فأولئك سكّان الجنة ، وأمّا الذين عليهم ظلمة ولا يشوبها نور فهم الكفار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني ، وأمّا الذين عليهم نور و ظلمة فأولئك الذين يطيعوني من ولدك و يعصوني فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة ، فهؤلاء أمرهم إليّ ، إن شئت عذبتهم فبعدلي وإن شئت عفوت عنهم فبفضلي . فأنبأ الله تعالى بما يكون من ولده ، وشبههم بالذرّ الذي أخرجهم من ظهره ، وجعله علامة على كثرة ولده . ويحتمل أن يكون ما أخرجهم من ظهره وجعل أجسام ذرّيته دون أرواحهم ، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم عليه السلام على العاقبة منه ، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعته ، وأعلمه

بالكائن قبل كونه ، و ليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربه ، و يدعو ذلك إلى التوفر على طاعته ، و التمسك بأوامره ، و الاجتناب لزواجه . فأما الأخبار التي جاءت بأن ذرية آدم عليه السلام استنطقوا في الذر فنطقوا فأخذ عليهم العهد فاقروا فهي من أخبار التناسخية ، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحق بالباطل ، والمعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عداه مما استمر القول به على الأدلة العقلية و الحجج السمعية ، وإنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه .

فصل : فإن تعلق متعلق بقوله تبارك اسمه : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنما كنا عن هذا غافلين » ^(١) فظن ظاهر هذا القول تحقق ما رواه أهل التناسخ والحشوية والعامّة في إنطاق الذرية وخطابهم و أنهم كانوا أحياءاً ناطقين . فالجواب عنه أن لهذه الآية من المجاز في اللغة كنظائرها مما هو مجاز واستعارة والمعنى فيها أن الله تبارك وتعالى أخذ من كل مكلف يخرج من ظهر آدم و ظهور ذريته العهد عليه بروبيته ، من حيث أكمل عقله ، ودلّه بآثار الصنعة على حدثه ، وأن له محدثاً أحدثه لا يشبهه يستحق العبادّة منه بنعمه عليه ، فذلك هو أخذ العهد منهم ، و آثار الصنعة فيهم ، و الإشهاد لهم على أنفسهم بأن الله تعالى ربهم . وقوله تعالى : « قالوا بلى » يريد به أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ، ودلائل حدثهم اللازمة لهم ، وحجة العقل عليهم في إثبات صانعهم ، فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحجة بعقولهم على حدثهم ووجود محدثهم قال لهم : « ألست بربكم » ؟ فلمّا لم يقدرُوا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين : « بلى شهدنا » وقوله تعالى : « أن يقولوا يوم القيمة إنما كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » ألا ترى أنه احتجّ عليهم بما لا يقدرُون يوم القيامة أن يتأولوا في إنكاره ولا يستطيعون ، وقد قال سبحانه : « والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه

العذاب» ^(١) ولم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر في الصلاة ، وإنّما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله وهو معبر عنه بالساجد ، قال الشاعر :

بجمع تظلّ البلق في حجراته * ترى الأكم فيها سجّداً للحوافر ^(٢)

يريد أن الحوافر تذلّ الأكم بوطيها عليها

وقوله تعالى : «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» ^(٣) وهو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام ؛ ولا السماء قالت قولاً مسموعاً ، وإنّما أراد أنّه عمداً إلى السماء فخلقها ولم يتعدّ رعليه صنعتها ، فكأنّها لمّا خلقها قال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً ، فلمّا تعلّقت بقدرته كانتا كالقائل : أتينا طائعين وكمثل قوله تعالى : «يوم نقول لجهنّم هل امتلأت و تقول هل من مزيد» ^(٤) والله تعالى يجلّ عن خطاب النار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلم ، وإنّما الخبر عن سعتها و أنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقين ، وذلك كلّه على مذهب أهل اللغة و عاداتهم في المجاز ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

وقالت له العينان سمعاً وطاعة * وأسبلتا ^(٥) كالذرّ ما لم يثقب

و العينان لم تقولا قولاً مسموعاً ، ولكنّه أراد منهما البكاء ، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه . ومثله قول عنتره :

فازورّ من وقع القنا بلبانه * وشكى إليّ بعبرة و تحمّم ^(٦)

(١) الحج : ١٨ .

(٢) الأكم جمع الأكمة : التل . والحوافر جمع الحافر ، والعافر للدابة بمنزلة القدم للإنسان .

(٣) حم السجدة : ١١ .

(٤) ق : ٣٠ .

(٥) أسبلت العين الدمع : أرسلت .

(٦) الاذورار عن الشيء العدول عنه ، والقنا جمع قناة وهي الرمح ، ووقعها وقوعها والضرب

بها ، واللبان بالفتح ما جرى عليه اللبن . منه قدس سره .

والفرس لا يشتكي قولاً ، لكنّه ظهر منه علامة الخوف و الجزع ، فسمي ذلك قولاً . ومنه قول الآخر :

وشكى إليّ جملي طول السرى .^(١)

والجمل لا يتكلم ، لكنّه لما ظهر منه النصب والوصب لطول السرى عبّر عن هذه العلامة بالشكوى التي تكون كالنطق و الكلام ، ومنه قولهم أيضاً :

امتلاً الحوض وقال قطني^(٢) ☆ حسبك منّي قد ملأت بطني .

والحوض لم يقل قطني ، لكنّه لما امتلاً بالماء عبّر عنه بأنّه قال : حسبني . ولذلك أمثال كثيرة في منشور كلام العرب ومنظومه ، وهو من الشواهد على ما ذكرناه في تأويل الآية و الله تعالى نسأل التوفيق .

فصل : فأما الخبر بأنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد ، وقد روته العامة كما روته الخاصة ، وليس هو مع ذلك ممّا يقطع على الله بصحته ، وإنّما نقله رواته لحسن الظنّ به ، وإن ثبت القول فالمعنى فيه أنّ الله تعالى قدّر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد ، واختراع الأجساد واختراع لها الأرواح فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدّمناه ، وليس بخلق لذواتها كما وصفناه ، و الخلق لها بالإحداث و الاختراع بعد خلق الأشسام ، و الصور التي تدبّرها الأرواح ، ولولا أنّ ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ، ولا تحتاج إلى آلات يعتملها ، ولكنّا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد ، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد ، وهذا محال لاخفاء بفساده .

وأما الحديث بأنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، فالمعنى فيه أنّ الأرواح التي هي الجواهر البسائط تتناصر بالجنس و تتخاذل بالعوارض ، فما تعارف منها باتّفاق الرأي و الهوى ائتلف ، وما تناكر منها

(١) بضم السين : سير الميل .

(٢) أي حسبني .

بمباينة في الرأي والهوى اختلف ، وهذا موجود حساً ومشاهد ، وليس المراد بذلك أن ما تعارف منها في الذرات اختلف - كما يذهب إليه الحشوية - كما يبيناه من أنه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره في هذا العالم ، ولو ذكر بكل شيء ما ذكر ذلك ، فوضح بما ذكرناه أن المراد بالخبر ما شرحناه ، والله الموفق للصواب انتهى .

أقول : طرح ظواهر الآيات و الأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة على الله وعلى أئمة الدين ، ولو تأملت فيما يدعوههم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجترار على طرح خبر واحد ، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها ، وسيأتي الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم ، وستكلم عليها .

ومنها ما ذكره السيد المرتضى رضي الله عنه في قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك ، الآية حيث قال : وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية : أن الله سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته - وهم في خلق الذر - فقرّهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بني آدم ما يشهد بهم ، وقال : من ظهورهم » ولم يقل : « من ذريتهم » ولم يقل : « ذريته » ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم القيامة أنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنهم نشؤوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضي أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصاحبه ، وإنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بني آدم ، فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ؛ فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام وخطبت وقررت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية بشروط التكليف ، أولا تكون كذلك ، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرّروا به واستشهدوا عليه ، لأن العاقل

لا ينسى ما جرى هذا المجرى وإن بعد العهد و طال الزمان ، ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم و سائر أحواله . وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لآئته لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم ؛ لأن سائر ما عدّناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب ، وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرنا ، و ذلك أننا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادّعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقل ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه ، على أن تجوز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية ، و ذلك أن الله تعالى أخبر بآئته إنما قرّره وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم فيه ، فإذا جاز نسيانهم له عادلاً أمر إلى سقوط الحجّة عنهم و زواله .

و إن كانوا على الصفة الثانية من فقد العلم و شرائط التكليف قبح خطابهم و تقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فماتوا ويلها الصحيح عندكم ؟

قلنا : في الآية وجهان : أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم و بلغهم و أكمل عقولهم و قرّره على السن رسله ﷺ بمعرفته و ما يجب من طاعته ، فأقرّوا بذلك وأشهدهم على أنفسهم به ، لئلا يقولوا يوم القيامة : إنما كنّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ، وإنما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملاً عاقلاً ، وليس الأمر كما ظن لأننا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم ، وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : « ربنا و أدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذريّاتهم » و لفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً ، فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم .

الجواب الثاني : أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في غيرهم وفي أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراد الله تعالى ، وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالاته بمنزلة المقر المعترف ، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ، ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب . ومثله قوله تعالى : « شاهدين على أنفسهم بالكفر » ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم ، وإنما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ، ومثل هذا قولهم : جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة بإحسانك .

وما روي عن بعض الحكماء من قوله : سل الأرض من شق أنهارك ؟ وغرس أشجارك ؟ وجنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك جواراً^(١) أجابتك اعتباراً . وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ، يغني عن ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها . ومنها ما ذكره الرازي في تفسير تلك الآية حيث قال : في تفسير تلك الآية قولان مشهوران :

الأول وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر ما روى مسلم بن يسار الجهني أن عمر سئل عن هذه الآية فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها ، فقال : إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله فقيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما خلق الله آدم

(١) جار إلى الله : رفع صوته إلى الله .

مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة ^(١) من ذريته إلى يوم القيامة .

وقال مقاتل : إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر تتحرك ، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر ؛ فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، ثم قال لهم : « ألسن بربكم قالوا بلى » فقال للبيض : هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين ، وقال للسود : هؤلاء في النار ولا أبالي ، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة ؛ ثم أعادهم جميعاً في صلب آدم ، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء . وقال تعالى فيمن نقض العهد الأول : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ^(٢) وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعكرمة ، والكلبي .

وأما المعتزلة فقد أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذه الوجه واحتجوا على فساد هذا القول بوجوه :

الأول : أنه قال : « من بني آدم من ظهورهم » فقوله : « من ظهورهم » بدل من قوله : « بني آدم » فلم يذكر الله أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً .

الثاني : أنه لو كان كذلك لما قال : « من ظهورهم » ولا « من ذريتهم » بل قال : من ظهره وذريته .

الثالث : أنه تعالى حكى عن أولئك الذرية أنهم قالوا : إنما أشرك آبائنا من قبل وهذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنه ^(عليه السلام) ما كان مشركاً .

الرابع : أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل ، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك لكانوا عقلاء ، ولو كانوا عقلاء وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكروا في هذا الوقت أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنه لا يجوز مع كونه عاقلاً أن ينساها نسياناً كلياً لا يتذكر منها

(١) النسمة : الانسان ، او كل دابة فيها روح ، والمراد ههنا الاول .

(٢) الاعراف : ١٠٢ .

شيئاً لا بالقليل ولا بالكثير ، وبهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ ، فإننا نقول : لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد في أجساد أخرى لوجب أن نتذكر الآن أننا كنا قبل هذا الجسد في أجساد أخرى ، وحيث لم نتذكر ذلك كان القول بالتناسخ باطلاً فإذا كان اعتقادنا في إبطال التناسخ ليس إلا على هذا الدليل ، وهذا الدليل بعينه قائم في هذه المسألة وجب القول بمقتضاه .

الخامس : أن جميع الخلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم وكثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلك الذرات تبلغ مبلغاً في الحجمية والمقدار وصلب آدم عليه السلام على صغره يبعد أن يتسع لهذا المجموع .

السادس : أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم ، إذ لو لم يكن كذلك لم يبعد في كل ذرة من ذرات الهباء أن تكون عاقلاً فاهماً مصنفاً للتصانيف الكثيرة في العلوم الدقيقة ، وفتح هذا الباب يقضي إلى التزام الجهالات ، وإذا ثبت أن البنية شرط لحصول الحياة فكل واحد من تلك الذرات لا يمكن أن يكون فاهماً عاقلاً إلا إذا حصلت له قدرة من البنية والجثة ، وإذا كان كذلك فمجموع تلك الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخلق آدم إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا ، فكيف يمكن أن يقال : إنهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة في صلب آدم عليه السلام ؟ .

السابع : قالوا : هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذه الله منهم في ذلك الوقت ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت ، أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا ، والأول باطل لانعقاد الإجماع على أن بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب ، والمدح والذم ، ولا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم في دار الدنيا لأنهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق في الدنيا فكيف يصير حجة عليهم في التمسك بالإيمان ؟ .

الثامن : قال الكعبي : إن حال أولئك الذرية لا يكون أعلى في الفهم والعلم من حال الأطفال ، فلما لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئك الذرية .

وأجاب الزجاج عنه وقال : لما لم يبعد أن يؤتي الله النمل العقل كما قال : «قلت نملة يا أيها النمل»^(١) وأن يعطي الجبل الفهم حتى يسبح كما قال : «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن»^(٢) وكما أعطى الله العقل للبعير حتى سجد للرسول ﷺ ، و للنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت فكذا ههنا .

التاسع : أن أولئك الذر في ذلك الوقت إما أن يكونوا كاملي العقول والقدر أو ما كانوا كذلك فإن كان الأول كانوا مكلفين لا محالة ، وإنما يبقون مكلفين إذا عرفوا الله بالاستدلال ، ولو كانوا كذلك لما امتازت أحوالهم في ذلك الوقت عن أحوالهم في هذه الحياة الدنيا ، فلو افتقر التكليف في الدنيا إلى سبق ذلك الميثاق لافتقر التكليف في وقت ذلك الميثاق إلى سبق ميثاق آخر ، ولزم التسلسل وهو محال .

وأما الثاني وهو أن يقال : إنهم في وقت ذلك الميثاق ما كانوا كاملي العقول ولا كاملي القدر ، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب والتكليف عليهم .

العاشرة : قوله تعالى : «فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق»^(٣) ولو كانت تلك الذرات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق ، ولا معنى للإنسان إلا ذلك الشيء ، فحينئذ لا يكون الإنسان مخلوقاً من الماء الدافق ، وذلك رد لنص القرآن .

فإن قالوا : لم لا يجوز أن يقال : إنه تعالى خلقه كامل العقل والفهم والقدرة عند الميثاق ، ثم أزال عقله وفهمه وقدرته ، ثم إنه خلقه مرة أخرى في رحم الأم ، وأخرجه إلى هذه الحياة ؟

قلنا : هذا باطل ، لأنه لو كان الأمر كذلك لما كان خلقه من النطفة خلقاً على سبيل الابتداء ، بل كان يجب أن يكون خلقاً على سبيل الإعادة ، وأجمع المسلمون على أن خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ ، فدل هذا على أن ما ذكرتموه باطل .

الحادي عشر هي أن تلك الذرات إما أن يقال : إنه عين هؤلاء الناس أو غيرهم ،

(٣) الطارق : ٦

(٢) الانبياء : ٧٩ .

(١) النمل : ١٨ .

والقول الثاني باطل بالإجماع ، وفي القول الأول فنقول : إما أن يقال : إنهم بقوا فرياء ، عقلاء ، قادرين حال ما كانوا نطفة وعلقة ومضغة ، أو ما بقوا كذلك ، والأول باطل ببيدیهة العقل . والثاني يقتضي أن يقال : الإنسان حصل له الحياة أربع مرات : أولها وقت الميثاق ، وثانيها في الدنيا ، وثالثها في القبر ، ورابعها في القيامة ، وأنه حصل له الموت ثلاث مرات : موت بعد الحياة الحاصلة في الميثاق الأول ، وموت في الدنيا ، وموت في القبر ، وهذا العدد مخالف للعدد المذكور في قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » .^(١)

الثاني عشر قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين »^(٢) فلو كان القول بهذا الذر صحيحاً لكان ذلك الذر هو الإنسان ، لأنه هو المكلف المخاطب ، المطاب للمعاقب ، وذلك باطل لأن الذر غير مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، ونص الكتاب دليل على أن الإنسان مخلوق من النطفة والعلقة والمضغة ، وهو قوله : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » وقوله : « قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره »^(٣) فهذه جملة الوجوه المذكورة في بيان أن هذا القول ضعيف .

والقول الثاني في تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات أنه أخرج الذر وهم الأولاد من أصلاب آبائهم ، وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات ، وجعلها علقه ، ثم مضغة ، ثم جعلهم بشراً سوياً ، وخلقاً كاملاً ، ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته ، وعجائب خلقه و غرائب صنعه ، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا : بلى وإن لم يكن هناك قول باللسان لذلك نظائر .

منها قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » .

ومنها قوله تعالى : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » .

وقول العرب : قال الجدار للوتد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ، فإن الذي

ورائي ما خلاني ورأيي . وقال الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطني .

(٢) المؤمنون : ١٢ .

(١) المؤمن : ١١ .

(٥) النحل : ٤٢ .

(٤) فصلت : ١١ .

(٣) عبس : ١٩ .

فهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهورة في الكلام فوجب حمل الكلام عليه ،
فهذا هو الكلام في تقرير هذين القولين ، وهذا القول الثاني لاطعن فيه البتة ، وبتقدير
أن يصح هذا القول لم يكن ذلك منافياً لصحة القول الأول ، إنما الكلام في أن القول
الأول هل يصح أم لا ؟ .

فإن قال قائل : فما المختار عندكم فيه ؟ قلنا : ههنا مقامان : أحدهما أنه هل
يصح القول بأخذ الميثاق عن الذر ؟ والثاني أن بتقدير أن يصح القول به فهل يمكن
جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية ؟

أمّا المقام الأول فالمنكرون له قد تمسكوا بالدلائل العقلية التي ذكرناها و
قررناها .

ويمكن الجواب عن كل واحد منها بوجه مقنع .

أمّا الوجه الأول من الوجوه العقلية المذكورة و هو أنه لو صح القول بأخذ
هذا الميثاق لوجب أن نتذكره الآن .

قلنا : خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأن هذه العلوم عقلية
ضرورية ، والعلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى ، وإذا كان كذلك صح منه تعالى أن
يخلقها .

فإن قالوا : فإذا جوزتم هذا فجوزوا أن يقال : إن قبل هذا البدن كنا في
أبدان أخرى على سبيل التناسخ ، وإن كنا لا نتذكر الآن أحوال تلك الأبدان .
قلنا : الفرق بين الأمرين ظاهر ، وذلك لأننا إذا كنا في أبدان أخرى وبقينا
فيها سنين ودهوراً امتنع في مجرى العادة نسيانها أمّا أخذ هذا الميثاق إنما حصل في
أسرع زمان وأقل وقت فلم يبعد حصول النسيان ، والفرق الظاهر حاكم بصحة هذا
الفرق لأن الإنسان إذا بقي على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها ، أمّا إذا مارس
العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساها فظهر الفرق .

وأمّا الوجه الثاني وهو أن يقال : مجموع تلك الذرات يمتنع حصولها بأسرها في

ظهر آدم ﷺ ! قلنا : عندنا البنية ليست شرطاً لحصول الحياة والجوهر الفرد والجزء البذي لا يتجزى قابل للحياة والعقل ، فإذا جعلنا كل واحد من تلك الذرات جوهرأ فرداً فلم قلتم : إن ظهر آدم لا يتسع لمجموعها ؛ إلا أن هذا الجواب لا يتم إلا إذا قلنا : الإنسان جوهر فرد وجزء لا يتجزى في البدن على ما هو مذهب بعض القدماء ، وأما إذا قلنا : الإنسان هو النفس الناطقة وأنه جوهر غير متجيز ولا حال في متجيز فالسؤال زائل .

وأما الوجه الثالث وهو قوله : فائدة أخذ الميثاق هي أن تكون حجة في ذلك الوقت ، أو في الحياة الدنيا ، فجوابنا أن نقول : يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ؛ وأيضاً أليس أن من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال و إنطاق الجوارح قالوا : لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين في إسماع هذا الأشياء لطف فكذا ههنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميز السعداء من الأشقياء في وقت أخذ الميثاق لطف . وقيل أيضاً : إن الله تعالى يذكّرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ؛ وبقية الوجوه ضعيفة والكلام عليها سهل هيّن .

وأما المقام الثاني وهو أن بتقدير أن يصح القول بأخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيراً لألفاظ هذه الآية فنقول : الوجوه الثلاثة المذكورة أولاً دافعة لذلك ، لأن قوله : « أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » فقد بينّا أن المراد منه : وإذا أخذ ربك من ظهور بني آدم ؛ وأيضاً لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم لقال : من ظهره ذريته ولم يقل : « من ظهورهم ذريتهم » أجاب الناصرون لذلك القول بأنه صحّت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه فسّر هذه الآية بهذا الوجه ، والطعن في تفسير رسول الله ﷺ غير ممكن ، فنقول : ظاهر الآية تدلّ على أنه تعالى أخرج ذراً من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنه تعالى يعلم أن الشخص الفلاني يتولد منه فلان ، ومن ذلك الفلان فلان آخر ، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم و يميز بعضهم من بعض ، وأما أنه تعالى يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم فليس في لفظ الآية ما يدلّ على ثبوته ، وليس في الآية أيضاً ما يدلّ على بطلانه ، إلا أن الخبر قد دلّ عليه فثبت

إخراج الذرية من ظهور بني آدم في القرآن ، و ثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر ، وعلى هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين ولا مدافعة ، فوجب المصير إليهما معاً صوناً للآية والخبر عن الطعن بقدر الإمكان ، فهذا منتهى الكلام في تقرير هذا المقام انتهى . ولنكتف بنقل ما نقلناه من غير تعرض لجرح وتعديل ، فإن من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار وكلام من تكلم في ذلك يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق في ذلك بفضلته تعالى .^(١) ثم أعلم أنه سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب علّة استلام الحجر من كتاب الحج ، و باب خلق الأئمة و باب أخذ ميثاقهم عليهم السلام من كتاب الإمامة وأبواب أحوال آدم عليه السلام من كتاب النبوة .

﴿باب ١١﴾

﴿من لا ينجبون من الناس ، ومحاسن الخلقة و عيوبها اللتين﴾

﴿تؤثران في الخلقة﴾

١ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن أبيه ، عن سعيد بن جناح^(٢) يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ستة لا ينجبون : السندي ، و الزنجي ، و التركي ، و الكردي ، و الخوزي ، و نبك الري . «ج ١ ص ١٥٩»
بيان : الخوزي : أهل خوزستان . و النبك : المكان المرتفع^(٣) و يحتمل أن يكون إضافته إلى الري بياناً ؛ و في بعض النسخ بتقديم الباء على النون و هو بالضم أصل الشيء وخالصه .

(١) ما يشتمل عليه أخبار الباب ليس مسألة واحدة بل كل من مسألة نقل الأعمال و مسألة الطينة و مسألة أخذ الميثاق و منه ميثاق الذر و مسألة بدء الخلقة مسائل مختلفة مرتبطة بالقضاء الكلي وقد خلطها الباحثون من المتكلمين والمفسرين ؛ و بحثنا عنها في رسالة الأفعال و رسالة الإنسان قبل الدنيا و نرجو أن يوفقنا الله سبحانه لاستيفاء هذه الأبحاث في مواضع تناسبها من تفسير الميزان انشاء الله . ط
(٢) يحتمل قويا أن يكون الواسطة (مطرف مولى معن) الاتي بعد ذلك ، لان سعيد بن جناح يروي عنه ، وأن يكون الخبر متحداً مع الحديث الاتي بعده .

(٣) والاكمة المحددة الرأس ، أو التل الصغير .

٢ - ل : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن سهل ، عن منصور ،^(١)
عن نصر الكوسج ،^(٢) عن مطرف مولى معن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يدخل حلاوة
الإيمان قلب سندي ، ولا زنجي ، ولا خوزي ، ولا كردي ، ولا بربري ، ولا نيك الري ، ولا
من حملته أمته من الزنا . « ج ٢ ص ٧ »

٣ - ع : أبي ، عن محمد العطّار ، عن الحسين بن زريق ، عن هشام ، عن أبي
عبد الله عليه السلام قال : ياهشام النبط ليس من العرب ولا من العجم ، فلا تأخذ منهم ولياً
ولا نصيراً . فإنّ لهم أصولاً^(٣) تدعو إلى غير الوفاء .^(٤) « ص ١٨٩ »

٤ - ل : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عليّ الهمداني^(٥)
يرفعه إلى داود بن فرقد ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال : ثلاثة لا ينجبون : أعور
يمين ، وأزرق كالفص ، ومولد السند . « ج ١ ص ٥٤ »

٥ - ل : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن عدّة من أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن
بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما ابتلى الله به شيعة فلن يبتليهم بأربع : أن
يكونوا لغير رشدة ، أو أن يسألوا بكفّهم ،^(٦) أو يؤتوا في أدبارهم ، أو أن يكون فيهم
أزرق أخضر . « ج ١ ص ١٠٧ »

٦ - ل : أبي ، وابن الوليد ، عن محمد العطّار ، وأحمد بن إدريس ، عن الأشعري
بإسناده رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : خمسة خلقوا ناريتين : الطويل الذاهب ، و
القصير القمي ، والأزرق بخضرة ، والزائد ، والناقص . « ج ١ ص ١٣٨ »

بيان : قماً كجمع وكرم : ذلّ وصغر ، فهو قميّ ذكره الفيروز آبادي .

٧ - ل : أبي ، وابن الوليد ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطّار ، عن الأشعري ، عن

(١) لعله منصور بن العباسي أبو الحسين الرازي الضعيف ، وإلا فمجهول .

(٢) لم نجد له ولا لمطرف ذكر في التراجم .

(٣) في المصدر : اصواتاً م .

(٤) الحديث مجهول بحسين بن زريق .

(٥) ضعفه الأصحاب .

(٦) في نسخة : بكفهم .

محمد بن الحسين بإسناد له يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة مد من خمر ولا سكير ، ولا عاق ، ولا شديد السواد ، ولا ديتوث ، ولا قلاع وهو الشرطي ، ولا زنوق وهو الخنثى ، ولا خيوف^(١) وهو النبش ، ولا عشتار ، ولا قاطع رحم ، ولا قدرى .

قال الصدوق رضي الله عنه : يعنى شديد السواد الذى لا يبيض شيء من شعر رأسه ولا من شعر لحيته مع كبر السن ، ويسمى الغريب . «ج ٢ ص ٥٤»

٨ - ل : القطان ، وعلي بن أحمد بن موسى ، عن ابن زكريا القطان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبي معاوية الضرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ابن حبيب : وحدثنى عبدالله بن محمد بن ناطويه ، عن علي بن عبدالمؤمن الزعفراني ، عن مسلم بن خالد الزنجي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام ؛ قال ابن حبيب : وحدثنى الحسن بن سنان ، عن أبيه ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن مسلم بن خالد ، عن جعفر بن محمد قالوا كلهم : ثلاثة عشر صنفاً - وقال تميم^(٢) : ستة عشر صنفاً - من أمة جدّي صلوات الله عليه وآله لا يحببونا ولا يحببونا إلى الناس ، ويبغضونا ولا يتولّونا ، ويخذلونا ويخذلون الناس عنا ، فهم أعداؤنا حقاً ، لهم نار جهنم ، ولهم عذاب الحريق . قال : قلت : بينهم لي يا أبا عبد الله شرّهم ، قال : الزائد في خلقه ، فلا ترى أحداً من الناس في خلقه زيادة إلا وجدته لنا مناصباً ولم تجده لنا موالياً ؛ والناقص الخلق من الرجال ، فلا ترى لله عز وجل خلقاً ناقص الخلق إلا وجدت في قلبه علينا غلاً ؛^(٣) والأعور باليمين للولادة ، فلا ترى لله خلقاً ولد أعور اليمين إلا كان لنا محارباً ولأعدائنا مسلماً ؛ والغريب من الرجال فلا ترى لله عز وجل خلقاً غريباً - وهو الذي قد طال عمره فلم يبيض شعره وترى لحيته مثل حنك الغراب - إلا كان علينا مؤلّباً ولأعدائنا مكثراً ؛ والحلكوك من الرجال ، فلا ترى منهم أحداً إلا كان لنا شتّاماً ولأعدائنا مدّاحاً ؛

(١) فى نسخة : خنوف .

(٢) هو ابن بهلول الواقع فى الطريق الاول .

(٣) الغل بكسر الفين وتشديد اللام : الحقد والغش .

والأقرع^(١) من الرجال فلا ترى رجلاً به قرع إلا وجدته همّازاً ، مّـازاً ، مشّاءاً بالنميمة علينا ؛ والمفصّص^(٢) بالخضرة من الرجال فلا ترى منهم أحداً - وهم كثيرون - إلا وجدته يلقانا بوجه ويستدبرنا بآخر ، يبتغي لنا الغوائل ؛^(٣) والمنبوذ من الرجال ، فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته لنا عدوّاً ، مضلاًّ ، مبيناً ؛ والأبرص من الرجال فلا تلقى منهم أحداً إلا وجدته يرصد لنا المراسد ويقعد لنا ولشييعتنا مقعداً ليضلّنا بزعمه عن سواء السبيل ؛ والمجذوم ، وهم حصب جهنّم هم لها واردون ؛ والمنكوح فلا ترى منهم أحداً إلا وجدته يتغنّى بهجائنا ويؤلّب علينا ؛ وأهل مدينة تدعى (سجستان) هم لنا أهل عداوة و نصب وهم شرّ الخلق والخلقة ، عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون ؛ وأهل مدينة تدعى (الري) هم أعداء الله ، و أعداء رسوله ، و أعداء أهل بيته ، يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً ، ومالهم مغنماً ، ولهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا والآخرة ولهم عذاب مقيم ؛ وأهل مدينة تدعى (الموصل) هم شرّ من على وجه الأرض ؛ وأهل مدينة تسمى (الزوراء) تبنى في آخر الزمان ، يستشفون بدهائنا ويتقرّبون ببعضنا ، يوالون في عداوتنا ، ويرون حربنا فرضاً ، و قتالنا حتماً . يا بنيّ فاحذر هؤلاء ، ثمّ احذرهم ، فإنّه لا يخلو إثنان منهم بواحد من أهلك إلا همّوا بقتله . واللفظ لتميم من أوّل الحديث إلى آخره . «ج ٢ ص ٩٤-٩٥»

بيان : قوله ﷺ : مؤلّباً أي يجمع الناس علينا بالعداوة والظلم . و الحلكوك بالضمّ و الفتح : الشديد السواد . و المفصّص بالخضرة : هو الذي يكون عينه أزرق كالفضّ ، كما مرّ في الخبر ، والفض أيضاً حدقة العين ، وفي بعض النسخ بالضادين المعجمتين وهو تصحيف . والمنبوذ : ولد الزنا . و الزوراء بغداد . ثمّ اعلم أنّه لا يبعد أن يكون

(١) الأقرع : من سقط شعر رأسه .

(٢) في النسخ المطبوعة ذكر ثلاثة عشر صنفاً بخذف قوله : والمفصص بالخضرة الى قوله : و

الأبرص ، وليس في آخرها جملة : واللفظ لتميم من اول الحديث إلى آخره . م

(٣) جمع الغائلة : الداهية . الفساد . المهلكة . الشر .

بعض البلاد كالري يكون هذا لبيان حالهم في تلك الأزمان لا إلى يوم القيامة ، ولعله سقط واحد من الستة عشر من النسخ أو من الرواة .

٩ - ن : بالأسانيد الثلاثة عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا تجد في أربعين أصلع رجل سوء ، ولا تجد في كوسجاً رجلاً صالحاً ، و أصلع سوء أحب إليّ من كوسج صالح . « ص ٢١٠ »
صح : عنه عليه السلام مثله .

بيان : الصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

١٠ - ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن عليّ الريّان ، عن الحسين بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عبد الرحمن بن حمّاد ، عن ذريح المحاربيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله يسأل الله عمّا سوى الفريضة ؟ قال : لا ، قال : فوالذي بعثك بالحق لا تقرّبت إلى الله بشيء سواها ! قال : ولم ؟ قال : لأنّ الله قبّح خلقي ! قال : فأمسك النبي صلى الله عليه وآله ونزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد ربّك يقرؤك السلام ، و يقول : اقرء عبدي فلاناً السلام ، و قل له : أما ترضى أن أبعثك غداً في الآمين ؟ فقال : يا رسول الله وقد ذكرني الله عنده ؟ قال : نعم ، قال : فوالذي بعثك بالحق لا بقي شيء يتقرّب به إلى الله إلّا تقرّبت به . « ص ١٥٨ - ١٥٩ »

١١ - ع : أبي ، عن سعد ، عن البرقيّ ، عن محمد بن يحيى ، عن حمّاد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك نرى الخصي من أصحابنا عفيفاً له عبادة ، ولا نكاد نراه إلّا فظاً غليظاً سفيه الغضب ! فقال : إنّما ذلك لأنّه لا يزني . « ص ٢٠٠ »

بيان : يحتمل أن يكون قوله عليه السلام : إنّما ذلك علّة لعفته ، أو المعنى أن غلظته وفخره وعجبه بترك الزنا ؛ ويحتمل أن يكون المراد عدم قدرته على الجماع مطلقاً فإنّ به تندفع الموادّ الفاسدة وبه يستقيم الطبع والخلق .

١٢ - ع : بهذا الإسناد عن البرقيّ رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن الخصي ، فقال : لم تسأل عمّن لم يلدّه مؤمن ولا يلد مؤمناً ! . « ص ٢٠٠ »

١٣ - ما : محمد بن علي بن حشيش ، عن محمد بن أحمد بن عبد الوهّاب ، عن محمد بن محمد بن يحيى ، عن الحسن بن علي ، عن المؤلّوئي ، عن شعبة ، عن توبة العنبري ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بالوجه الملاح والحدق السود فإن الله يستحي أن يعذب الوجه المليح بالنار . «ص ١٩٧»

١٤ - ثو : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن محمد بن عمرو ، عن موسى بن إبراهيم ، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : سمعته يقول : ما حسن الله خلق عبد ولا خلقه إلا استحي أن يطعم لحمه يوم القيامة النار . «ص ١٧٥»

١٥ - ين : بعض أصحابنا ، عن حنّان بن سدير ، عن محمد بن طلحة ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : أيّما عبد كان له صورة حسنة مع موضع لا يشينه ثمّ تواضع لله كان من خالصة الله ؛ قال : قلت : ما موضع لا يشينه ؟ قال : لا يكون ضرب فيه سفاح .

بيان : يمكن توجيه تلك الأخبار على قانون أهل العدل بأن الله تعالى خلق من علم أنّهم يكونون شراراً باختيارهم بهذه الصفات ، وجعلهم من أهل تلك البلاد من غير أن يكون لتلك الأحوال مدخل في أعمالهم ؛ أو المراد أنّهم في درجة ناقصة من الكمال ، غير قابلين لمعالي الفضائل و الكمالات ، من غير أن يكونوا مجبورين على القبائح و السيئات .

﴿باب ١٢﴾

﴿علة عذاب الاستيصال ، وحال ولد الزنا ، وعلة اختلاف أحوال الخلق﴾

الآيات ، الانفال « ٨ » و اتّقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ٢٥ .

جمعق « ٤٢ » ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنّه بعباده خير بصير ٢٧ .

الزخرف : « ٤٦ » أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون * و لبيوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون * وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ٣٢-٣٥

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في الآية الأولى : حذرهم الله من هذه الفتنة ، و أمرهم أن يتقوها ، وكأنه قال : اتقوا فتنة لا تقر بوجها فتصيبكم ، فإن قوله : « لاتصيبن » نهي مسوق على الأمر ، ولفظ النهي واقع على الفتنة ، وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء ، كقوله : « لاتموتن إلا وأنتم مسلمون »^(١) واختلف في معنى الفتنة ههنا ف قيل : هي العذاب ، أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمسهم الله بالعذاب ، والخطاب لأصحاب النبي ﷺ خاصة ، وقيل : هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها .

عن الحسن قال : ونزلت في علي و عمار وطلحة والزبير ، قال : وقد قال الزبير : لقد قرأنا هذه الآية زماناً و ما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة . وقيل : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتلوا .

عن السدي : وقيل : هي الضلالة وافتراق الكلمة ، ومخالفة بعضهم بعضاً . وقيل : هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل أحد . ثم اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين : أحدهما أنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم ، أمّا الظالمون فمعدّون ، وأمّا المؤمنون فممتحنون مخلصون . عن ابن عباس : و روي أنه سئل عنها فقال : أبهموا ما أبهم الله .

والثاني أنها تخص الظالم ، لأن الغرض منع الناس عن الظلم ، وتقديره : واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة ، وتقويه قراءة من قرأ « لتصيبن » باللام . وقيل : إن « لا » في قوله : « لاتصيبن » زائدة ، ويجوز أن يقال : إن الألف في « لا » لإشباع الفتحة .

وقال البيضاوي في قوله تعالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » : و أوقعنا

بينهم التفاوت في ال-رزق وغيره « ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً » ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ونظام ينتظم بذلك نظام العالم ، لا الكمال في الموسع ، ولا النقص في المقتر « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » ولولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبّهم الدنيا فيجتمعوا عليه .

١ - ع ، ن : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن الهروي ، عن الرضا عليه السلام قال : قلت له : لأيّ علّة أغرق الله عز وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال وفيهم من لا ذنب له ؟ فقال عليه السلام : ما كان فيهم الأطفال ، لأنّ الله عز وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأرحام نسائهم أربعين عاماً ، فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم ، وما كان الله عز وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له ، وأمّا الباقيون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبي الله - نوح عليه السلام ، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين ، ومن غاب من أمر^(١) فرضي به كان كمن شهده وأتاه . « ص ١٢ ص ٢٣١ »

٢ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن حنّان بن سدير ،^(٢) عن أبيه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : رأيت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال : « ربّ لا تذّر على الأرض من الكافرين ديناراً إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً » ؟ قال عليه السلام : علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد . قال : قلت : وكيف علم ذلك ؟ قال : أوحى الله إليه « إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن » فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء . « ص ٢٢ »

٣ - ع : طاهر بن محمد بن يونس ، عن محمد بن عثمان الهروي ، عن الحسن بن مهاجر ، عن هشام بن خالد ، عن الحسن بن يحيى ، عن صدقة بن عبدالله ، عن هشام ، عن أنس ، عن النبي صلّى الله عليه وآله ، عن جبرئيل عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة . وما تردّدت عن شيء أنا فاعله ما تردّدت^(٣) في قبض نفس المؤمن ، يكره

(١) في المصدر : عن امر . م

(٢) بفتح السين وكسر الدال المهملتين - وزان شريف - هو حنّان بن سديو بن حكيم بن صهيب ،

أبو الفضل الصيرفي ، كوفي من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام ، واقفي كما في (فهرست) ،

واختلف الأصحاب في توثيقه وضعيفه . (٣) في نسخة : كترددت .

الموت و أكره مساءته ولا بد منه ؛ و ما يتقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ؛
ولا يزال عبدي يتنهّل إليّ ^(١) حتى أحبه ، ومن أحبته كنت له سمعاً و بصرأ و يدأ و
موئلاً ، ^(٢) إن دعاني أجبه ، وإن سألني أعطيته ؛ وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب
من العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح
إيمانه إلا بالفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه
إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا
بالسقم ، ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه
إلا بالقسم ولو صحّحت جسمه لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه
إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ؛ إنّي أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّي عليم
خبير . « ص ١٥ - ١٦ »

بيان : قال الشيخ البهائي قدّس الله روحه : ما تضمنه هذا الحديث من نسبة
التردد إليه سبحانه يحتاج إلى التأويل وفيه وجوه : الأول أن في الكلام إضماراً ،
والتقدير : لو جاز عليّ التردد ما ترددت في شيء ، كتردد دي في وفات المؤمن .

الثاني أنّه لما جرت العادة بأن يتردد الشخص في مساءة من يحترمه و يوقره
كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ ، وأن لا يتردد في مساءة من ليس له عنده قدر ولا حرمة
كالعدوّ والحية و العقرب ، بل إذا خطر بالبال مساءته أوقعها من غير تردد ولا تأمل
صحّ أن يعبر بالتردد و التأمل في مساءة الشخص من توقيره و احترامه ، وبعدهما
عن إذلاله واحتقاره ، فقوله سبحانه : « ما ترددت » المراد به - والله أعلم - : ليس لشيء
من مخلوقاتي عندي قدر و حرمة كقدر عبدي المؤمن و حرمة فالكلام من قبيل الاستعارة
التمثيلية .

(١) أي يدعو ويتضرع . وفي الحديث : الابتهاال : تبسط يديك وذراعيك إلى السماء حين ترى
أسباب اليك . وفي حديث آخر : الابتهاال : مديده تلقاء وجهه إلى القبلة ، ولا يبتهل حتى تجرى الدمعة .
و في حديث آخر : الابتهاال : رفع يديك تجاوز بهما رأسك .
(٢) الموئل : الملجأ والمنجأ .

الثالث أنّه قد ورد في الحديث من طرق الخاصّة والعامّة أنّ الله سبحانه يظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنة ما يزيل عنه كراهة الموت ، ويوجب رغبته في الانتقال إلى دار القرار ، فيقلّ تأذّيه به ، ويصير راضياً بنزوله ، راغباً في حصوله فأشبهت هذه المعاملة من يريد أن يولم حبيبه ألماً يتعقّب به نفع عظيم فهو يتردّد في أنّه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذّيه فلا يزال يظهر له ما يرغبه فيما يتعقّب به من اللذة الجسيمة والراحة العظيمة إلى أن يتلقّاه بالقبول ، ويعدّه من الغنائم المؤدّية إلى إدراك المأمول . انتهى .

أقول : قد أثبتنا الأخبار الدالّة على علل اختلاف الخلق في باب الطينة والميثاق .

٤ - ع : أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد بن عليّ الكوفي ، عن محمد بن الفضيل ، عن سعد بن عمر الجلاب قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنة طاهرة مطهّرة فلا يدخلها إلّا من طابت ولادته . وقال أبو عبد الله عليه السلام : طوبى لمن كانت أمّه عفيفة . «ص ١٨٨»

٥ - ع : بهذا الإسناد ، عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبيه رفع الحديث إلى الصادق عليه السلام قال : يقول ولد الزنا : يا ربّ ما ذنبي ؟ فما كان لي في أمري صنع ! قال : فيناديه مناد فيقول : أنت شرّ الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس ، ولن يدخل الجنة إلّا طاهر . «ص ١٨٨»

٦ - ثو : ابن البرقي ، عن أبيه ، عن جدّه أحمد ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لا خير في ولد الزنا ولا في بشره ولا في شعره ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه ؛ يعني ولد الزنا . «ص ٢٥٤ - ٢٥٥»

سن : أبي ، عن ابن فضال مثله . «ص ١٠٨»

٧ - ثو : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن عيسى ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن أبي خديجة ،^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لو كان أحد من ولد الزنا نجاً نجاساً صح بني

إسرائيل ؛ فقيل له : وما سائح بني إسرائيل ؟ قال : كان عابداً ؛ فقيل له : إن ولد الزنا لا يطيب أبداً ولا يقبل الله منه عملاً ؛ قال : فخرج يسبح بين الجبال ويقول مـ . ذنبي ؟ . «ص ٢٥٥»

سن : في رواية أبي خديجة مثله . ^(١) «ص ١٠٨ - ١٠٩»

٨ - ص : الصدوق ، عن جعفر بن محمد بن شاذان ، عن أبيه ، عن الفضل ، عن محمد ابن زياد ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال عزيز : ^(٢) يارب إنني نظرت في جميع أمورك وإحكامها فعرفت عدلك بعقلي ، وبقي باب لم أعرفه : إنك تسخط على أهل البليّة فتعمّمهم بعذابك وفيهم الأطفال ؛ فأمره الله تعالى أن يخرج إلى البريّة وكان الحرّ شديداً ، فرأى شجرة فاستظلّ بها ونام ، فجاءت نملة فقرصته فذلك الأرض برجله فقتل من النمل كثيراً ، فعرف أنه مثل ضرب ، فقيل له : يا عزيز إن القوم إذا استحقّوا عذابي قدّرت نزوله عند انقضاء آجال الأطفال فماتوا أولئك بآجالهم وهلك هؤلاء بعذابي .

بيان : القرص : أخذك لحم إنسان بإصبعك حتّى تؤلمه ، ولسع البراغيث ، والقبض والقطع ؛ كذا ذكره الفيروز آبادي .

أقول : لعله تعالى إنّما أراه قصّة النمل لبيان أن الحكمة قد تقتضي تعميم البليّة والانتقام لرعاية المصالح العامّة ، وحاصل الجواب إن الله تعالى كما أنّه يميت الأطفال متفرّقاً إمّا لمصلحتهم أو لمصلحة آبائهم أو لمصلحة النظام الكلّي كذلك قد يقدّر موتهم جميعاً في وقت واحد لبعض تلك المصالح ، وليس ذلك على جهة الغضب عليهم ، بل هي رحمة لهم لعلمه تعالى بأنهم يصيرون بعد بلوغهم كفّاراً ، أو يعوّضهم في الآخرة ويميتهم لردع سائر الخلق عن الاجترار على مساخط الله ، أو غير ذلك ؛ مع أنّه ليس

(١) وفي المحاسن : ان كان احد من اولاد الزنا نجاً لنجا اه وهذا احسن لمكان «إن» وفاق المذاهب العدلية .

(٢) بتقديم الزاى المعجمة على الراء وزان (رجيل) نبي من انبياء بني إسرائيل ، وهو الذي قال بنو اسرائيل فيه : (عزيز ابن الله !!) بعد ما كتب التوراة عن ظهر قلبه . وسيأتى ذكره وقصته في كتاب النبوة .

يجب على الله تعالى إبقاء الخلق أبداً ، فكل مصلحة تقتضي موتهم في كبرهم يمكن جريانها في موتهم عند صغرهم والله تعالى يعلم .

٩ - سن : الحجاج ، عن حماد بن عثمان ، عن معمر بن يحيى ، عن أبي خالد الكابلي ، أنه سمع علي بن الحسين عليه السلام يقول : لا يدخل الجنة إلا من خلس من آدم . « ص ١٣٩ »

١٠ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن ضريس الوابشي ^(١) ، عن سدير قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من طهرت ولادته دخل الجنة . « ص ١٣٩ »

١١ - سن : القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خلق الله الجنة طاهرة مطهرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته . « ص ١٣٩ »

١٢ - سن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن أيوب بن حر ، عن أبي بكر ^(٢) قال : كنّا عنده و معنا عبدالله بن عجلان ، فقال عبدالله بن عجلان : معنا رجل يعرف ما نعرف و يقال : إنه ولد زنا ؛ فقال : ما تقول ؟ فقلت : إن ذلك ليقال له ؛ فقال : إن كان ذلك كذلك بني له بيت في النار من صدر ، يردّ عنه وهج جهنم ^(٣) ويؤتى برزقه . « ص ١٤٩ »

بيان : من صدر أي يبنى له ذلك في صدر جهنم وأعلاه ، والظاهر أنه مصحّف (صبر) بالتحريك وهو الجمّد .

١٣ - سن : أبي ، عن حمزة بن عبدالله ، عن هاشم أبي سعيد الأنصاري ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن نوحاً حمل في السفينة الكلب والخنزير ، ولم يحمل فيها ولد الزنا ، وإن الناصب شرّ من ولد الزنا . « ص ١٧٥ »

١٤ - ك : الحسين بن محمد ، عن المعلّى ، عن الوشاء ، عن أبان ، عن ابن أبي يعفور قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن ولد الزنا يستعمل ، إن عمل خيراً جزي به ، وإن عمل شراً جزي به . بيان : هذا الخبر موافق لما هو المشهور بين الإمامية من أن ولد الزنا كسائر الناس

(١) ضريس وزان « زبير » ولم نجد في التراجم ما يدل على مدحه أو ذمه .

(٢) لعله عبدالله بن محمد الحضرمي ، وضمير « عنده » يرجع إلى الصادق عليه السلام .

(٣) الوهج : اتقاد النار .

مكلف بأصول الدين وفروعه ، ويجري عليه أحكام المسلمين مع إظهار الإسلام ، ويثاب على الطاعات و يعاقب على المعاصي . ونسب إلى الصدوق والسيد المرتضى وابن إدريس رحمهم الله القول بكفره وإن لم يظهره ، وهذا مخالف لأصول أهل العدل إذ لم يفعل باختياره ما يستحق به العقاب فيكون عذابه جوراً وظلماً ، والله ليس بظلام للعبيد ، فأما الأخبار الواردة في ذلك فمنهم من حملها على أنه يفعل باختياره ما يكفر بسببه ، فلذا حكم عليه بالكفر وأنه لا يدخل الجنة ، وأما ظاهراً فلا يحكم بكفره إلا بعد ظهور ذلك منه .

أقول : يمكن الجمع بين الأخبار على وجه آخر يوافق قانون العدل بأن يقال : لا يدخل ولد الزنا الجنة ، لكن لا يعاقب في النار إلا بعد أن يظهر منه ما يستحقه ، ومع فعل الطاعة وعدم ارتكاب ما يحبطه يثاب في النار على ذلك ، ولا يلزم على الله أن يثيب الخلق في الجنة ، ويدل عليه خبر عبد الله بن عجلان ، ولا ينافيه خبر ابن أبي يعفور إذ ليس فيه تصريح بأن جزاءه يكون في الجنة ^(١) وأما العمومات الدالة على أن من يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله الله الجنة يمكن أن تكون مخصصة بتلك الأخبار ، وبالجمله فهذه المسألة مما قد تحير فيه العقول ، وارتاب به الفحول ، والكف عن الخوض فيها أسلم ، ولا نرى فيها شيئاً أحسن من أن يقال : الله أعلم .

﴿باب ١٣﴾

﴿الاطفال ومن لم يتم عليهم الحجة في الدنيا﴾

الآيات ، الطور ٥٢ ، والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم

ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ٢١

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأن الكبار

يتبعون الآباء بإيمان منهم ، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء ، فالولد يحكم

(١) ويمكن حملها على بيان المبالغة ، وبيان أن الناجي منهم قليل ، والاكثر من منهم يختارون الفنى على الرشاد ، والضلال على الهدى ، هذا مع غرض النظر عما فى كثير من أسنادها من الضعف والجهالة والارسال .

له بالسلام تبعاً لوالده والمعنى : أننا نلحق الأ ولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل الآباء لتقر عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا ، عن ابن عباس والضحاك وابن زيد ، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم ، تكملة لأبائهم ، وإذا قيل : كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه ؟ فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة .
وروى زاذان^(١) عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، ثم قرأ هذه الآية .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة « وما ألتناهم من عملهم من شيء » أي لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذريّاتهم .
١- فس : قوله : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريّاتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم » فإنه حدّثني أبي ، عن سليمان الديلمي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيتهم فاطمة عليها السلام ، قوله : « ألحقنا بهم ذريّتهم » قال : يهدون إلى آبائهم يوم القيامة . « ص ٤٤٩ »

وقال علي بن إبراهيم في قوله : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » : أي ما نقصناهم . « ٦٥٠ »

٢- ل : أبي ، عن محمد العطّار ، عن الأشعري ، عن علي بن إسماعيل ، عن حماد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة احتج الله عز وجل على خمسة : على الطفل ، والذي مات بين النبيين ، والذي أدرك النبي وهو لا يعقل ، والأبله^(٢) والمجنون الذي لا يعقل ، والأصم والأبكم ؛ فكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل ؛ قال فيبعث الله إليهم رسولا فيؤجّج لهم نارا فيقول لهم : ربكم يأمركم

(١) زاذان - بالزاي والذال المعجمتين بينهما ألف وزان (هامن) - أبو عمرة الفارسي عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وقال العلامة في خاتمة القسم الأول من خلاصته : كنيته أبو عمر (أبو عمرو خ ل) . ويوجد ترجمته في ص ١٦١ من تقريب ابن حجر ، قال : زاذان أبو عمر الكندي البزاز ، ويكنى أبا عبد الله أيضاً ، صدوق ، يرسل ، وفيه شيعية ، من الثانية ، مات سنة ٧٢ .

(٢) هو من ضعف عقله وعجز رأيه .

أن تثبوا فيه -١- ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن عصى سيق إلى النار .
«ص ١٣٦»

قال الصدوق رضي الله عنه : إن قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون :
إنه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف ، و دار الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة ، و
دار الجزاء للكافرين إنما هي النار ، وإنما يكون هذا التكليف من الله عز وجل في غير
الجنة و النار فلا يكون كلفهم في دار الجزاء ثم يصيرهم إلى الدار التي يستحقونها
بطاعتهم أو معصيتهم ، فلا وجه لإنكار ذلك ، ولا قوة إلا بالله .

٣ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن
زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام : هل سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال ؟ فقال : قد سئل
فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين . ثم قال : يا زرارة هل تدري ما قوله : الله أعلم بما
كانوا عاملين ؟ قلت : لا ، قال : لله عز وجل فيهم المشيئة ؛ إنه إذا كان يوم القيامة أتى
بالأطفال ، والشيخ الكبير الذي قد أدرك السن ^(١) ولم يعقل من الكبر والخرف ، ^(٢)
والذي مات في الفترة بين النبيين ، والمجنون ، والأبله الذي لا يعقل فكل واحد يحتاج
على الله عز وجل ، فيبعث الله تعالى إليهم ملكاً من الملائكة و يؤجج ناراً فيقول : إن
ربكم يأمركم أن تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن عصاه سيق
إلى النار .

ك : علي ، عن أبيه ، عن حماد مثله . « ف ج ١ ص ٦٨ »

٤ - غط : ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن زرارة ، عن جعفر بن محمد عليه السلام
أنه قال : حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة ، فقال زرارة : كيف ذلك جعلت
فذاك ؟ قال : يموت الناطق ولا ينطق الصامت فيموت المرء بينهما فيدخله الله الجنة . ^(٣)
«ص ٢٩٢»

(١) في نسخة : قد أدرك النبي

(٢) هو الذي فسد عقله من الكبر .

(٣) لأنه لم تبلغه الحجة ، ولم يرشد إلى المعجزة . والله تعالى يقول : « و ما كنا معذبين حتى

نبعث رسولا » .

٥ - كنز : قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الولدان أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها ، ولا سيئات فيعاقبون عليها فأزلوا هذه المنزلة .

٦ - و عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن أطفال المشركين ، فقال : خدم أهل الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة .

٧ - يد : الحسين بن يحيى بن ضريس ، عن أبيه ، عن محمد بن عمار السكري ، عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبد الله بن هارون الكرخي ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد ، عن أبيه يزيد بن سلام ، عن أبيه سلام بن عبيد الله ، عن أخيه عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : أخبرني أي عذاب الله عز وجل خلقاً بلا حجة ؟ قال : معاذ الله ! قلت : فأولاد المشركين في الجنة أم في النار ؟ فقال : الله تبارك و تعالى أولى بهم إنه إذا كان يوم القيامة - وساق الحديث إلى أن قال - : فيأمر الله عز وجل ناراً يقال له : الفلق ، أشد شيء في نار جهنم عذاباً ، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال ، فيأمرها الله عز وجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة ، فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء ، و تنطمس النجوم ، و تجمد البحار ، و تزول الجبال ، و تظلم الأبصار ، و تضع الحوامل حملها ، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة ؛ فيأمر الله تعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار ؛ فمن سبق له في علم الله عز وجل أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فكانت عليه برداً و سلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام ، ومن سبق له في علم الله تعالى أن يكون شقيماً امتنع فلم يلق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه أمر الله و امتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه في جهنم .^(١)

« ص ٣٩٩ - ٤٠١ »

٨ - ك : العدة ، عن سهل ، عن غير واحد رفعه أنه سئل عن الأطفال فقال : إذا كان يوم القيامة جمعهم الله وأجج ناراً^(٢) وأمرهم أن يطرحوا أنفسهم فيها ، فمن كان في

(١) للحديث تنمة ما نقلت بتمامها . م

(٢) في المصدر : واجج لهم ناراً . م

علم الله عز وجل أنه سعيد رمى نفسه فيها وكانت عليه برداً و سلاماً^(١)، ومن كان في علمه أنه شقي امتنع فبأمر الله تعالى بهم إلى النار، فيقولون: يا ربنا تأمر بنا إلى النار ولم يجر علينا القلم؟ فيقول الجبار: قد أمرتكم مشافهة فلم تطيعوني فكيف لو أرسلت رسلي بالغيب إليكم؟ «ف ج ١ ص ٦٨»

٩- وفي حديث آخر أما أطفال المؤمنين فإنهم يلحقون بآبائهم، وأولاد المشركين يلحقون بآبائهم وهو قول الله عز وجل: «يا أيما الحقنا بهم ذريتهم». «ف ج ١ ص ٦٨»

١٠- كا: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الولدان، فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الولدان والأطفال فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. «ف ج ١ ص ٦٨»

١١- كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول: في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا؟ فقال: سئل عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم أقبل علي فقال: يا زرارة هل تدري ما عني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: قلت: لا، فقال: إنما عني: كفوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردوا علمهم إلى الله. «ف ج ١ ص ٦٨»

١٢- كا: العدة، عن سهل، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم» قال: فقال: قصرت الأبناء عن عمل الآباء^(٢) فألحقوا الأبناء بالآباء لتقر بذلك أعينهم. «ف ج ١ ص ٦٨»

١٣- يه: عن أبي بكر الحضرمي، عنه عليه السلام مثله. «ص ٤٣٩»

١٤- كا: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه

(١) في المصدر: وسلاماً م.

(٢) في المصدر: على عمل الآباء م.

سئل عمن مات في الفترة^(١) وعمن لم يدرك الحنث^(٢) والمعتوه^(٣) فقال : يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم : ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن أبى قال : ها أنتم قد أمرتكم فعصيتُموني . « ف ج ١ ص ٦٨ »

١٥ - ١٦ : بهذا الإسناد قال : ثلاثة يحتج عليهم : الأبكم ، والطفل ، ومن مات في الفترة ، فيرفع لهم ناراً فيقال لهم : ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً و سلاماً ، ومن أبى قال تبارك وتعالى : هذا قد أمرتكم فعصيتُموني . « ف ج ١ ص ٦٨ »

١٦ - نوادر الراوندي : بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتزوجوا الحسناء الجميلة العاقرة^(٤) فإنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ، أو ما علمت أن الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لأبائهم ، يحضنهم إبراهيم ، وتربيهم سارة عليها السلام في جبل من مسك وعنبر و زعفران ؟

١٧ - يه : في الصحيح روى أبو زكريا ، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض : ألا إن فلان بن فلان قد مات ، فإن كان مات والداه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه ، وإلا دفع إلى فاطمة عليها السلام تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته فتدفعه إليه . « ص ٤٣٩ »

١٨ - يه : في الصحيح عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى يدفع إلى إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذوانهم بشجرة في الجنة لها أخلاف^(٥) كأخلاف البقر في قصر من الدر ،^(٦) فإذا كان يوم

(١) أي في زمان انقطاع الرسل وعدم تيسر الهول إلى الحجة .

(٢) أي البلوغ والادراك .

(٣) المعتوه : من نقص عقله . ويقال أيضاً : لمن دهش من غير مس جنون . وفي الحديث اريد

به المعنى الاول .

(٤) أي المرأة التي حبس رحمها فلم تلد .

(٥) جمع (خلف) بكسر الخاء وسكون اللام : حلقة ضرع الناقة .

(٦) في المصدر : من درة . م

القيامة ألبسوا وأطيبوا وأهدوا إلى آبائهم ، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم ، وهو قول الله تعالى : «والَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» . «ص ٤٣٩»
بيان : يمكن الجمع بين الخبرين بأن بعضهم تربيته فاطمة عليها السلام ، و بعضهم إبراهيم وسارة عليهما السلام على اختلاف مراتب آبائهم ، أوتدفعه فاطمة عليها السلام إليهما .^(١)

١٩ - و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المختصر^(٢) نقلاً من كتاب المعراج للشيخ الصالح أبي محمد الحسن بإسناده عن الصدوق ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد بن عبد الله بن مهران ، عن صالح بن عقبة ، عن يزيد بن عبد الملك ، عن الباقر عليه السلام قال : لما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء وانتهى إلى السماء السابعة ولقى الأنبياء عليهم السلام قال : أين أبي إبراهيم عليه السلام ؟ قالوا له : هو مع أطفال شيعة علي ، فدخل الجنة فإذا هو تحت شجرة لها ضرع كضرع البقر ، فإذا انفلت الضرع من فم الصبي قام إبراهيم فرد عليه ؛ قال : فسلم عليه فسأله عن علي عليه السلام فقال : خلفته في أمّتي ، قال : نعم الخليفة خلفت ، أما إن الله فرض على الملائكة طاعته ، وهؤلاء أطفال شيعته ، سألت الله أن يجعلني القائم عليهم ففعل ، وإن الصبي ليجرع الجرعة فيجد طعام ثمار الجنة وأنهارها في تلك الجرعة .

٢٠ - يه : في الصحيح سأل جميل بن دراج أبا عبد الله عليه السلام عن أطفال الأنبياء ، فقال : ليسوا كأطفال الناس ؛ وسأله عن إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله : لو بقي كان صديقاً نبياً ؟ قال : لو بقي كان علي من هاج أبيه صلى الله عليه وآله . «ص ٤٣٩»
بيان : أي كان مؤمناً موحداً تابعاً لأبيه لا نبياً .

٢١ - يه : روى وهب بن وهب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : أولاد المشركين مع آبائهم في النار ، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنة . «ص ٤٣٩»

(١) ليس في نظام الجنة تراحم كما هو في الدنيا ، والكتاب والسنة ناطقان بذلك فلا منافاة بين تربية فاطمة عليها السلام لأطفال المؤمنين في الجنة و تربية إبراهيم وسارة عليهما السلام لهم حتى يحتاج إلى الجمع بين الروايات . ط

(٢) أي المختصر من بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله .

٢٢ - يه : في الصحيح روى جعفر بن بشير ، عن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أولاد المشركين يموتون قبل أن يبلغوا الحنث ؛ قال : كفّار ، والله أعلم بما كانوا عاملين ، يدخلون مداخل آبائهم . وقال عليه السلام : يؤجّج^(١) لهم ناراً فيقال لهم : ادخلوها ، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً ، وإن أبوا قال لهم الله عز وجل : هوذا أنقاد أمرتكم فعصيتُموني ؛ فيأمر الله عز وجل بهم إلى النار . «ص . ٤٤»

بيان : قال الصدوق رحمه الله - بعد إيراد تلك الأخبار - : هذه الأخبار متفقة وليست بمختلفة ، وأطفال المشركين والكفار مع آبائهم في النار لا تصيبهم من حرّها لتكون الحجّة أوكد عليهم متى أمروا يوم القيامة بدخول نار تؤجّج لهم مع ضمان السلامة متى لم يثقوا به ولم يصدقوا وعده في شيء ، قد شاهدوا مثله .

أقول : جمع الصدوق بينها بحمل مادل على إطلاق دخولهم النار على نار البرزخ ، وقال : لا يصيبهم حرّها حينئذ ، ورأى أن فائدة ذلك توكيد الحجّة عليهم في التكليف بدخول نار تؤجّج لهم في القيامة . ويمكن أن يقال : لعل الله تعالى يعلم أن كل أولاد الكفار الذين يموتون قبل الحلم لا يدخلون النار يوم القيامة بعد التكليف ، فلذا قال : الله أعلم بما كانوا عاملين أي في القيامة بعد التكليف ، ولذا جعلهم من أولادهم ، ويمكن أيضاً أن يحمل قوله عليه السلام : كفّار على أنه يجري عليهم في الدنيا أحكام الكفار بالتبعية في النجاسة وعدم التغسيل ، والتكفين ، والصلاة ، والتوارث ، وغير ذلك ؛ ويخصّ دخولهم النار ودخولهم مداخل آبائهم بمن لم يدخل منهم نار التكليف ، والأظهر حملها على التقيّة لموافقتها لروايات المخالفين وأقوال أكثرهم ، قال النووي في شرح صحيح المسلم : اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين فمنهم من يقول : هم تبع لأبائهم في النار ، ومنهم من يتوقف فيهم ، والثالث - وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون - أنهم من أهل الجنة واستدلوا بأشياء :

منها حديث إبراهيم الخليل حين رآه النبي صلى الله عليه وآله وحوله أولاد الناس ؛ قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين . رواه البخاري في صحيحه .

(١) في المصدر : وقال على عليه السلام تؤجّج . الخبر ؛ والظاهر يؤجّج

ومنها قوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» ^(١) ولا يتوجّب على المولود التكليف حتّى يبلغ فيلزم الحجّة انتهى .

وروى الحسين بن مسعود البغوي في شرح السنّة بإسناده عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين ، قال : الله أعلم بما كانوا فاعلين . وقال : هذا حديث متّفق على صحّته .

وروي بإسناد آخر عن صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ من يولد يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه وينصرّانه ، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها جدعاء ^(٢) حتّى تكونوا أنتم تجدعونها ؟ قالوا : يا رسول الله أفرايت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

ثمّ قال : هذا حديث متّفق على صحّته . ثمّ قال في شرح الخبر : قلت : أطفال المشركين لا يحكم لهم بجنّة ولا نار ، بل أمرهم موكلون إلى علم الله فيهم ، كما أفتى به الرسول ﷺ ، وجملة الأمر أنّ مرجع العباد في المعاد إلى ما سبق لهم في علم الله من السعادة والشقاوة . وقيل : حكم أطفال المؤمنين والمشركين حكم آبائهم وهو المراد بقوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، يدلّ عليه ما روي مفسّراً عن عائشة أنّها قالت : قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين ؟ قال : من آبائهم ، فقلت : يا رسول الله بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : فذراري المشركين ؟ قال : من آبائهم ، قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

وقال معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : إنّ سلمان قال : أولاد المشركين خدم أهل الجنّة ، قال الحسن : أتعجبون ؟ أكرمهم الله وأكرمهم به . انتهى .

أقول : فظهر أنّ تلك الروايات موافقة لما رواه المخالفون في طرقهم ، وقد أوّلها أئمّتنا عليهم السلام بما مرّ في الأخبار السابقة . ثمّ أعلم أنّ لا خلاف بين أصحابنا في أنّ أطفال المؤمنين يدخلون الجنّة ، وذهب المتكلمون منّا إلى أنّ أطفال الكفار لا يدخلون النار

(١) اسرى : ١٥ .

(٢) أى مقطوع الاذن وناقص الاعضاء . وفى نسخة المصنف : من جدعاء .

فهم إمّا يدخلون الجنّة ، أو يسكنون الأعراف ؛ وذهب أكثر المحدثين منّا إلى ما دلّت عليه الأخبار الصحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم ؛ قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : تعذيب غير المكلف قبيح ، وكلام نوح عليه السلام مجاز والخدمة ليست عقوبة له ، والتبعية في بعض الأحكام جائزة .

وقال العلامة قدّس الله روحه في شرحه : ذهب بعض الحشويّة إلى أن الله تعالى يعذب أطفال المشركين ويلزم الأشاعرة تجويزه ، والعدليّة كافّة على منعه ، والدليل عليه أنّه قبيح عقلاً فلا يصدر منه تعالى ، احتجّوا بوجوه :

الأوّل قول نوح عليه السلام : «ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً» والجواب أنّه مجاز والتقدير أنّهم بصيرون كذلك لأحال طفوليّتهم .

الثاني : قالوا : إنّنا نستخدامه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً وعقوبةً فلا يكون قبيحاً .

والجواب : أنّ الخدمة ليست عقوبةً للطفّل ، وليس كلّ ألم عقوبة ، فإنّ الفصد والحجامة ألماً وليس عقوبة ، نعم استخدامهم عقوبة لأبيه و امتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على إمرأته .

الثالث : قالوا : إنّ حكم الطفل يتبع حكم أبيه في الدفن ، ومنع الثوارث ، و الصلاة عليه ، ومنع التزويج .

والجواب : أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، وليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء ، إذا لم يجعل له بها ألم وعقوبة ، ولا ألم له في منعه من الدفن والتوارث وترك الصلاة عليه .

﴿باب ١٤﴾

﴿من رفع عنه القلم ، ونفى الحرج في الدين ، وشرائط صحة التكليف﴾

﴿وما يعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف﴾

الآيات ، البقرة «٢» لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ٢٥٦ . وقال تعالى : لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ٢٨٦ .

الأنعام «٦» قد جئكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ١٠٤ .

الأنعام «٦» ، الأعراف «٧» لا نكلف نفساً إلاّ وسعها ١٥٤ ، ٤٧ .
الأنفال «٨» ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم ٤٢ .

التوبة «٩» وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إهديهم حتى يبين لهم ما يتقون ١١٥ .
النحل «١٦» وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدىكم أجمعين ٩ .
الاسرى «١٧» من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها ولا تزرّ وازرة وزر أخرى وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ١٥ .
طه «٢٠» ولو أنّنا أهلكناهم بعداب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزي ١٣٤ .

الحج «٢٢» وما جعل عليكم في الدين من حرج ٧٨ .
النور «٢٤» كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٥٨ «وقال» : كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ٥٩ .

الشعراء « ٢٦ » و ما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون * ذكرى و ما كنا ظالمين ١٠٨-١٠٩ .

الفصل « ٢٨ » ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ٤٦ * وقال تعالى : و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلوا عليهم آياتنا و ما كنا مهلكي القرى إلا و أهلها ظالمون ٥٩ .

الاحزاب « ٣٢ » وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به و لكن ما تعمّدت قلوبكم ٥ .
الطلاق « ٦٥ » لا يكلف الله نفساً إلا ما آتتها ٧ .

تفسير : « لا إكراه في الدين » قيل : هو منسوخ بآيات الجهاد . وقيل : خاص بأهل الكتاب . وقيل : الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً ؛ و لكن قد تبين الرشد من الغي ، أي تميّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ، و دلّت الدلائل على أن الإيمان يوصل إلى السعادة ، و الكفر يوصل إلى الشقاوة ، و العاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان من غير إلجاء و إكراه « إلا وسعها » أي ما يسعه قدرتها ، أو مادون مدى طاقتها ، بحيث يتسع فيه طوقها كقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر » .

« إن نسينا أو أخطأنا » أي لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط و قلة مبالاة ، أو يكون سؤالاً على سبيل التضرّع و الاستكانة ، و إن كان ما يسأله لازماً على الله تعالى ، أو المراد بنسينا تركنا ، و بأخطأنا أذنبنا . « إصرأ » أي عبثاً ثقيللاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه ، يريد به التكليف الشاقّة . « ما لاطاقة لنا به » أي من البلايا و العقوبة أو ما يثقل علينا تحمّله من التكليف الشاقّة ، وقد يقول الرجل لا مريضعب عليه : إنني لا أطيقه ؛ أو يكون الدعاء على سبيل التعبّد كما مرّ .

« ليهلك من هلك عن بينة » أي ليموت من يموت عن بينة عاينها ، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها ، لئلا يكون له حجة و معذرة ؛ أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة ، على استعارة الهلاك و الحياة للكفر و الإسلام ، والمراد بمن

هالك ومن حي المشارف للهلاك والحياة ، أو من هذا حاله في علم الله و قضاؤه .
 « وما كان الله ليضل قوماً » أي ليسمهم ضلالاً ، أو يؤاخذهم مؤاخذتهم ويعذبهم
 ويضلهم عن سبيل الجنة .

قوله تعالى : وعلى الله قصد السبيل أي يجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم
 « ومنها جائر » أي من السبيل ما هو عادل عن الحق . قوله تعالى : « لولا أن تصيبهم مصيبة »
 لولا الأولى امتناعية ، و لولا الثانية تحضيضية ، و جواب الأولى محذوف ، أي ما
 أرسلناك . قوله تعالى : في أممها أي في أصلها ومعظمها فإن الأشراف غالباً يسكنون
 المدن . « إلا ما آتينا » أي إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة .

١ - ب : هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : مما
 أعطى الله أممي و فضلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلا نبي ،
 وذلك أن الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبياً قال له : اجتهد في دينك ولا حرج عليك .
 وإن الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أممي حيث يقول : « وما جعل عليكم في الدين من
 حرج » يقول : من ضيق . الخبر « ص ٤١ »

٢ - ب : البراز ، عن أبي البخري ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه قال :
 لا غلظ على مسلم في شيء .^(١) « ص ٦٣ »

٣ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن
 مسكان ، عن موسى بن بكر قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الرجل يغمى عليه اليوم و
 اليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك ، كم يقضي من صلاته ؟ فقال : ألا أخبرك
 بما يجمع لك هذا وأشباهه ؟ كلما غلب الله عز وجل عليه من أمر فإله أعذر لعبد . وزاد
 فيه غيره : إن أبا عبد الله عليه السلام قال : و هذا من الأبواب التي يفتح كل باب منها ألف
 باب . « ص ١٧٤ »

٤ - سن : علي بن الحكم ، عن أبان الأحمر ، عن حمزة الطيار ، عن أبي عبد الله
 عليه السلام قال : قال لي : اكتب ، وأملئ : أن من قولنا : إن الله يحتج على العباد بالذي

(١) كذا في نسخة المصنف بخطه الشريف ؛ وفي المصدر وكذا في بعض نسخ البحار : « لا غلظ »

أي ليس فيما لم يعرف وجه الصواب فيه على المسلم مؤاخذه ، أو حكم إلزامي .

آتاهم وعرفهم ، ثم أرسل إليهم رسولا وأنزل عليه الكتاب ، وأمر فيه ونهى ، أمر فيه بالصلاة والصوم فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : أنا أنيمك وأنا أوقظك ، فإذا قمت فصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون : إذا نام عنها هلك ؛ وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحك ، فإذا شفيتك فاقضه . ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : وكذلك إذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً ^(١) إلا والله عليه حجة وله فيه المشيئة ، ولأقول : إنهم ماشأوا صنعوا . ثم قال : إن الله يهدي ويضل ، وقال : ما أمروا إلا بدون سعتهم ، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له ، وكل شيء لا يسعون له فموضوع عنهم ولكن الناس لا خير فيهم ، ثم تلا : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » فوضع ^(٢) عنهم « ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » قال : فوضع عنهم لأنهم لا يجدون ما ينفقون ، وقال : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » . « ص ٢٣٦ - ٢٣٧ »

شي : عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام مثله .
٥ - سن : محمد بن علي ، عن حكم بن مسكين الثقفي ، عن النضر بن قرواش قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنما احتج الله على العباد بما آتاهم وعرفهم . « ص ٢٣٦ »
سن : بعض أصحابنا ، عن ابن أسباط ، عن حكم بن مسكين مثله . « ص ٢٧٥ - ٢٧٦ »
٦ - سن : أبي ، عن صفوان ، عن منصور بن حازم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الناس مأمورون ومنهيون ومن كان له عذر عذره الله . ^(٣) « ص ٢٤٥ »

٧ - سن : ابن فضال ، عن ثعلبة ، عن حمزة بن الطيار ؛ وحد ثنا أبي ، عن فضالة عن أبان الأحمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « ما كان الله ليضل قوماً بعد إهديهم حتى يبين لهم ما يتقون » قال : حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسيخطه ، وقال : « فآلهمها

(١) في المصدر : في ضيق ولم تجد أحداً . م

(٢) ليست في المصدر جملة « فوضع عنهم » الى « غفور رحيم » . م

(٣) أي قبل عذره ورفع عنه اللوم والذنب .

فجورها وتقويها » قال : يدن لها ما تأتي وما تترك ؛ وقال : « إنما هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » قال : عرفناه فإمّا أخذ وإمّا ترك .^(١)

رسأله عن قول الله : « يحول بين المرء وقلبه » قال : يشتهي سمعه وبصره ولسانه ويده وقلبه ؛ أما إنه هو عسى^(٢) شيء مما يشتهي فإنه لا يأتيه إلا وقلبه منكر ، لا يقبل الذي يأتي ، يعرف أن الحق غيره . وعن قوله : « فأمّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » قال : نهاهم عن فعلهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون . « ص ٢٧٦ »
٨ - سن : ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « إنما هديناه السبيل إما شاكراً وإمّا كفوراً » قال : علمه السبيل فإمّا أخذ فهو شاكراً ، وإمّا تارك فهو كافر . « ص ٢٧٦ »

٩ - سن : ابن يزيد ، عن رجل ، عن الحكم بن مسكين ، عن أيوب بن الحرّ بياع الهروي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أيوب ما من أحد إلا وقد يرد^(٣) عليه الحق حتّى يصدع ، قبله أم تركه ، وذلك أن الله يقول في كتابه : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » . « ص ٢٦ »

بيان : الصدع الإظهار والتبيين ، وقال البيضاوي في قوله : « فيدمغه » أي فيمحقه وإنّما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم اصطالة المرمي ، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدّي إلى زهوق الروح تصويراً لا بطاله ، ومبالغة فيه « فإذا هو زاهق » هالك ، والزهوق : ذهاب الروح ، وذكره لترشيح المجاز .

١٠ - سن : أبي ، عن يونس ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الأعلى قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة ؟ قال : لا ؛ قلت : فهل كلّفوا المعرفة ؟ قال : لا إن على الله البيان ، لا يكلف الله العباد إلا وسعها . ولا يكلف نفساً إلا ما آتاها . « ص ٢٧٦-٢٧٧ »

(١) في نسخة : فإمّا أخذ وإمّا تارك .

(٢) في المصدر : أما إنه هو غشى شيئاً .

(٣) في المصدر : برز .

١١ - سن : عدة من أصحابنا ، عن علي بن أسباط ، عن جميل بن دراج ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى ليمن على قوم وما فيهم خير فيحتج الله عليهم فيلزمهم الحجة . «ص ٢٧٧»

١٢ - سن : ابن محبوب ، عن سيف بن عميرة ، و عبد العزيز العبدى ، و عبد الله ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبى الله أن يعرف باطلاً حقاً ، أبى الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلاً ، لا شك فيه ، و أبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً ، لا شك فيه ، و لو لم يجعل هذا هكذا ما عرف حق من باطل . «ص ٢٧٧»

١٣ - ل : الحسن بن محمد السكوني ، عن محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن إبراهيم ابن أبي معاوية ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن ابن ظبيان قال ، أتني عمر بامرأة مجنونة قد فجرت ، فأمر برجمها ، فمررت بها على علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : مجنونة فجرت فأمر بها عمر أن ترجم ؛ قال : لاتعجلوا ، فأتني عمر فقال له : أما علمت أن القلم رفع عن ثلاث : عن الصبي حتى يحتلم ، و عن المجنون حتى يفيق ، و عن النائم حتى يستيقظ ؟ . «ج ١ ص ٤٦»

١٤ - يد ، ل : العطيار ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن حماد ، عن حريز . عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رفع عن أمتي تسعة : الخطاء ، والنسيان ، وما أكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطرروا إليه ، والحسد ، والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة . «ص ٣٦٤» «ج ٢ ص ٤٤»

بيان : المراد بالرفع في أكثرها رفع المؤاخذة والعقاب ، و في بعضها يحتمل رفع التأثير ، و في بعضها النهي أيضاً ، فأما اختصاص رفع الخطاء والنسيان بهذه الأمة فلعله لكون سائر الأمم مؤاخذين بهما إذا كان مبادئهما باختيارهم ، على أنه يحتمل أن يكون المراد اختصاص المجموع ، فلا ينافي اشتراك البعض .

وأما ما أكرهوا عليه فلعله كان يلزمهم تحمّل المشاق العظيمة فيما أكرهوا عليه ، وقد وسّع الله على هذه الأمة بتوسيع دائرة التقيّة . وأما ما لا يعلمون فرفع

كثير منها ظاهر كالصلاة في الثوب والملكان المغمصوين والثوب النجس ، والسجود على الموضع النجس ، وجهل الحكم في كثير من المسائل ، والجهل بالأحكام التي لم تصل إلينا ، ولعل سائر الأمم كانوا يؤخذون بالقضاء والإعادة ، واللفظ وإن كان عاماً لكنّه مختص بالإجماع بالموارد الخاصة . وأمّا ما لا يطيقون فقد مرّ بيانه .

وأمّا الطيرة - بكسر الطاء وفتح الياء و سكونها ، وهو ما يتشاءم به من الفال الرديّ - فيمكن أن يكون المراد برفعها النهي عنها ، بأن لا تكون منهيّاً عنها في الأمم السالفة ، ويحتمل أن يكون المراد تأثيرها ، أو حرمة تأثر النفس بها والاعتناء بشأنها ، والأخير أظهر ، وسيأتي بيانها . وكذا الحسد يحتمل الوجهين الأولين وثالثاً وهو عدم حرمة ما لا يظهر من الحسد ، وهو أظهر كما ورد في الأخبار : إلا أن المؤمن لا يظهر الحسد . وأمّا التفكير في الوسوسة في الخلق ويحتمل أن يكون المعنى التفكير فيما يوسوس الشيطان في القلب في الخالق ومبدئه وكيفية خلقه فإنّها معفو عنها ما لم يعتقد خلاف الحق ، وما لم ينطق بالكفر الذي يخطر بباله ، أو المراد التفكير في خلق الأعمال ومسألة القضاء والقدر ؛ أو المراد التفكير فيما يوسوس الشيطان في النفس من أحوال المخلوقين وسوء الظنّ بهم في أعمالهم وأحوالهم ، ويؤيد الأخير كثير من الأخبار ، وقد فصلنا القول فيه في شرح روضة الكافي .

١٥ - ين : فضالة ، عن سيف بن عميرة ، عن إسماعيل الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : وضع عن هذه الأمة ستّة : الخطاء ، والنسيان ، وما استكروهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطرّوا عليه .

١٦ - ين : عن ربعي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الله عفى عن أمتي ثلاثاً : الخطاء ، والنسيان ، والاستكراه . وقال أبو عبد الله عليه السلام : وفيها رابعة : وما لا يطيقون .

١٧ - يد : عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام : وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروهوا عليه .

١٨ - ين : عن أبي الحسن قال : سألته عن الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك ، أيلزمه ذلك ؟ فقال : لا . ثم قال : قال رسول الله ﷺ : وضع عن أمتي ما أكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ، وما أخطؤوا .

عد : اعتقادنا في التكليف هو أن الله تعالى لم يكلف عباده إلا دون ما يطيقون كما قال الله عز وجل : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » والوسع دون الطاقة .

١٩ - قال الصادق عليه السلام : والله ما كلف الله العباد إلا دون ما يطيقون لأنّه كلفهم في كل يوم وليلة خمس صلوات ، وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً ، وكلفهم في كل مائتي درهم خمسة دراهم ، وكلفهم حجة واحدة ، وهم يطيقون أكثر من ذلك . « ص ٦٨ - ٦٩ »

٢٠ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن محمد بن الحسين العلوي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى ، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى بن جعفر ، عن آبائهم عليه السلام عن النبي ﷺ قال : يوحى الله عز وجل إلى الحفظة الكرام : لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً . « ص ١٦ »

٢١ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قد بصّرتكم إن أبصرتكم ، ^(١) وقد هديتكم إن اهتديتكم ، وأسمعتكم إن استمعتكم .

٢٢ - وقال عليه السلام : قد أضاء الصبح لذي عينين . ^(٢)

٢٣ - كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي : بإسناده عن يحيى بن سعيد ، عن أبيه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّه ليس لهلك هلك من يعذره في تعمّد ضلالة حسبها هدى ، ولا ترك حق حسبه ضلالة .

٢٤ - سنن : أبي ، عن يونس رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس من باطل يقوم بإزاء الحق إلا أغلب الحق الباطل ، وذلك قوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » . « ص ٢٧٧ »

(١) أى كشف الله لكم عن الخير والشر وعرفهما لكم إن استعملتم بصركم . وكذا فيما بعده .
(٢) أى تبين ووضع سبيل الهدى لمن كان له بصيرة في أمر الدنيا وفنائها ، وبصيرة في الآخرة وبقائها .

٢٥ - سنن : النسوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كل قوم يعملون على ريبة من أمرهم ، ومشكلة من رأيهم ، وزارى منهم على من سواهم ، وقد تبين الحق من ذلك بمقايضة العدل عند ذوي الألباب . «ص ٢٧٧»

٢٦ - شى : عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام قال : في آخر البقرة لما دعوا أجيئوا : «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» قال : ما افترض الله عليها «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» وكذا قوله : «لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا» .

٢٧ - شى : عن عمرو بن مروان الخزّاز قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : رفعت عن أمّتي أربع خصال : ما أخطؤوا ، وما نسوا ، وما أكرهوا عليه ، وما لم يطيقوا ؛ وذلك في كتاب الله قول الله تبارك و تعالى : «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» وقول الله : «إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان» .

٢٨ - شى : عن محمد بن حكيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته أتستطيع النفس المعرفة ؟ قال : فقال : لا ، فقلت : يقول الله : «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً» قال : هو كقوله : «وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» قلت : فعابهم ؟ قال : لم يعيهم بما صنع في قلوبهم ، ولكن عابهم بما صنعوا ولولم يتكلفوا لم يكن عليهم شيء .

بيان : أي الغطاء والمنع عن السمع والبصر إنما ترتبت على أعمالهم السيئة ، فإنما عابهم على أفعالهم التي صارت أسباباً لتلك الحالات ؛ أو المعنى أن المراد بالغطاء وعدم استطاعة السمع والبصر ما سلطوا على أنفسهم من التعصب والامتناع عن قبول الحق ، لاشيء صنعه الله في قلوبهم وسمعهم وبصرهم .

٢٩ - ٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عطية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كنت عنده و سأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب : يؤاخذ الله

به ؟ فقال : الله أكرم من أن يستغلق عبده . وفي نسخة أبي الحسن الأول عليه السلام : يستغلق عبده .

توضيح : قوله : من أن يستغلق عبده أي يكلفه و يجبره فيما لم يكن له فيه اختيار ، قال الفيروز آبادي : استغلقني في بيعته : لم يجعل لي خياراً في رده . قوله : وفي نسخة أبي الحسن الأول يستغلق لعله كان الحديث في بعض الأصول مروياً عن أبي الحسن عليه السلام ، وفيه كان « يستغلق » بالقاف ، من القلق بمعنى الانزعاج والاضطراب ، و يرجع إلى الأول بتكلف .

تذنيب : قال السيد المرتضى رضي الله عنه : إن سأل سائل عن قوله تعالى : « ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون » ^(١) كيف نفى استطاعتهم للسمع و الإبصار ، وأكثرهم كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ؟ قلنا : فيه وجوه : أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ، و بما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق ، فأسقطت الباء من الكلام ، و ذلك جائز ، كما جاز في قولهم : لأجزينك بما عملت ، ولأجزينك ما عملت ؛ ولأحدثنك بما عملت ، ولأحدثنك ما عملت .

والثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله و كراهتهم تذكرها و تدبرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان ، و ما يقدر أن يكلمه . ومعنى ما كانوا يبصرون : أن إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى و تدبرها ، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه .

والثالث أن يكون معنى نفي السمع و البصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم ، و تقدير الكلام : أولئك و آلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض ، يضاعف لهم العذاب ، ثم قال مخبراً عن الآلهة : ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون ، وهذا الوجه يروى عن ابن عباس ، وفيه أدنى بعد . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن تكون « ما »

في قوله : « ما كانوا يستطيعون السمع » ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم : لا واصلتك ملاح نجم ، ويكون المعنى : أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء .

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا »^(١) قيل : المراد بنسينا تركنا ، قال قطرب : معنى النسيان ههنا الترك ، كما قال تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي »^(٢) أي ترك ، ولولا ذلك لم يكن فعله معصية ، وكقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم »^(٣) أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته ، وقد يقول الرجل لصاحبه : لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها ، وقد يمكن في الآية وجه آخر وهو أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ، ويكون وجه الدعاء بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من السؤال على سبيل الانقطاع إلى الله والاستغاثة به وإن كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ، ويجري مجرى قوله : « ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » وهذا الوجه أيضاً يمكن في قوله : « وأخطأنا » إذا كان الخطاء ما وقع سهواً أو عن غير عمد ، فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطاء ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيئ ، وعن جهل بأنها معاص ، لأن من قصد شيئاً على اعتقاده أنه بصفة فوق ما هو بخلاف معتقده يقال : قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ، ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين ، ويمكن أيضاً أن يريد بأخطأنا ههنا أذنبنا وفعلنا قبيحاً ، وإن كانوا له متعمدين وبه عالمين ، لأن جميع معاصينا لله تعالى قديوصف كلها بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب ، وإن كان فاعلها متعمداً ، وكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ، ومما فعلوه من المقبّحات ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب ، والله أعلم بمراده .

﴿باب ١٥﴾

﴿علة خلق العباد وتكليفهم ، والعلة التي من أجلها جعل الله في الدنيا﴾
 ﴿اللذات والالام والمحن﴾

الآيات ، الحجر «١٥» وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ٨٥ .

الأنبياء «٢١» وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لآعين * لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين * بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ١٦-١٨ .

المؤمنين «٢٣» أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ١١٥ .
 الفرقان «٢٥» قل ما يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً ٧٧ .

الروم «٣٠» أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون ٨ «وقال تعالى :
 ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ٤١ .

الاحزاب «٣٣» إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ٧٢ .
 ص «٣٨» وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ٢٧ .

الزمر «٣٩» خلق السموات والأرض بالحق ٥ .
 حمعسق «٤٢» وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ٣٠ .

الدخان «٤٤» وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ٣٨-٣٩ .

الجبائية «٤٥» وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ٢٢ .

الاحقاف «٤٦» ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ٣ .

الذاريات «٥١» وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٥٦ - ٥٧ .

القيامة «٧٥» أيحسب الإنسان أن يترك سدى ٣٦ .

تفسير : قال البيضاوي في قوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين » : وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار ، و تذكرة لذوي الاعتبار ، وتسبيها لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد ، فينبغي أن يتشبهوا بها إلى تحصيل الكمال ، ولا يغترون بزخارفها ، فإنها سريعة الزوال . « لو أردنا أن نتخذ لهم ما يتلهم به ويلعب » لا نتخذناه من لدنا « من جهة قدرتنا ، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجرّات لامن الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة ، كعادتكم في رفع السقوف وتزيينها ، وتسوية الفروش وتزيينها . وقيل : اللهو : الولد بلغة اليمن . وقيل : الزوجة ، والمراد الرد على النصارى . « إن كنّا فاعلين » ذلك ، ويدل على جوابه الجواب المتقدم . وقيل : « إن » نافية ، والجملة كالنتيجة للشرطيّة « بل نقذف بالحق على الباطل الذي من عداد اللهو » فيدمغه » فيمحقه « فإذا هو زاهق » هالك انتهى .^(١)

(١) قال الرضى رحمه الله : وهذه استعارة لان حقيقة القذف من صفات الاشياء الثقيلة التي يرمم بها ، كالحجارة وغيرها ، فجعل سبحانه إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكه و يدمغ مامسته ، و لما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل - و فى الاستعارة حقها وأعطاها واجبها - فقال سبحانه : « فيدمغه » ولم يقل : فيذهبه و يبطله ؛ لان الدمغ إنما يكون عن وقوع الاشياء الثقال على طريق الغلبة و الاستعلاء ، فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه ، والدماغ مقتل ، ولذلك قال سبحانه من بعد : « فإذا هو زاهق » والزاهق : الهالك .

قوله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » استدلال على البعث بأن لذات هذه الدار الفانية لاتليق بأن تكون مقصودة لخلق هذه العالم مع هذه الآلام والمشاق والمصائب المشاهدة فيها فلولم يكن لاستحقاق دار أخرى باقية خالية عن المحن والآلام لكان الخلق عبثاً ولذا قال بعده : « وأنتم إلينا لاترجعون » .

قوله تعالى : « قل ما يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم » ^(١) أي ما يصنع بكم أولاً يعتد بكم لولا دعاؤكم إلى الدين ، أو لولا عبادتكم ، أو لولا دعاؤكم لله عند الشدائد ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام .

قوله تعالى : « إنّا عرضنا الأمانة » قيل : هي التكليف بالأوامر والنواهي ، والمعنى أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذا شعور وإدراك « لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان » مع ضعف بنيته ورخاوة قوّته لاجرم فإن الراعي لها بخير الدارين « إنّه كان ظلوماً » حيث لم يراع حقّها « جهولاً » بكنه عاقبتها . وقيل : المراد الطاعة التي تعم الاختيارية والطبيعية ، وعرضها : استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره ، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها . والظلم والجهالة : الخيانة والتقصير . وقيل : إنّه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها : إنّي فرضت فريضةً و ناراً لمن عصاني ، فقلن : نحن مسخّرات على ما خلقنا لانتحل فريضة ، ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً ؛ ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمّله ، وكان ظلوماً لنفسه بتحمّل ما يشقّ عليها ، جهولاً بوخاومة عاقبته . وقيل : المراد بالأمانة العقل أو التكليف ، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن ، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها ، وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوّة

(١) قال الراغب في مفرداته : ماعبات به أي لم ابال به ، وأصله من العب أي الثقل ، كأنه

قال : ما أرى له وزناً وقدرأ ، قال : « قل ما يعبؤ بكم ربّي » وقيل : أصله من عبأت الطيب ، كأنه قيل : ما يفيكم لولا دعاؤكم .

الغضبية والشهوية^(١)، وقد ورد في بعض الروايات أن المراد بها الخلافة والمراد بالإنسان أبو بكر، وسيأتي شرحها في أبواب الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام.

١ - ع : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن الحسين بن عبيد الله ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبد الكريم بن عبيد الله ، عن سلمة بن عطا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال : أيها الناس ! إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبدوه ، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل : يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله ؟ قال : معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته . « ص ١٤ »

قال الصدوق رحمه الله : يعني بذلك أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخلوهم في كل زمان من إمام معصوم ، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل .

بيان : يحتمل أن يكون المراد أن معرفة الله تعالى إنما ينفع مع سائر العقائد التي منها معرفة الإمام ، أو أن معرفة الله إنما يحصل من معرفة الإمام ، إذ هو السبيل إلى معرفته تعالى .

(١) و قيل : المراد بذلك أهل السماوات والارض والجبال فحذف لفظ الاهل اختصاراً له لدلالة الكلام عليه ، ولما حذف الاهل أجرى الفعل على لفظ السماوات والارض والجبال ف قيل : « فابين أن يحملنها وأشققن منها » كقوله تعالى : « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » أي من أهل القرية ، فلما حذف الاهل أجرى الفعل على القرية ف قيل : « كانت تعمل الخبائث » ردأعلى أهل القرية ، وهذا موضع حسن . وقال بعضهم : عرض الشيء على الشيء . ومعارضته سواء ، و المعارضة والمقايضة والموازنة بمعنى واحد ، فاخبر الله تعالى عن عظم أمر الامانة وثقلها وأنها إذا قيست بالسماوات والارض والجبال ووزنت بها رجحت عليها ، ولم تنطق حملها ضعفاً عنها ، وذلك معنى قوله تعالى : « فابين أن يحملنها وأشققن منها » ومن كلامهم : (فلان يابى الضيم) إذا كان لا يعتدله فالأبناء ههنا هو أن لا يقام بحمل الشيء ، والاشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ، ولذلك كنى عن الخوف الذي هو ضعف القلب ، فقالوا : (فلان مشفق من كذا) أي خائف منه ، يقول تعالى : فالسماوات والارض والجبال لم تحمل الامانة ضعفاً عنها ، وحملها الانسان ، أي تقلدها وتطوق المئات فيها للمعروف من كثرة جهله وظلمه لنفسه .

٢ - ع : الطالقاني ، عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي ، عن محمد بن زكريّا الجوهري ، عن جعفر بن محمد بن عمار ، عن أبيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له : لم خلق الله الخلق ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لإظهار قدرته ، وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ، ولا يدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد . «ص ١٤ - ١٥»

٣ - ع : أبي ، عن الحميري ، عن هارون ، عن ابن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : يا أبا عبد الله إنا خلقنا للعجب ! قال : وما ذاك ؟ الله أنت ^(١) قال : خلقنا للفناء ؟ فقال : مه يا بن أخ ! خلقنا للبقاء ، وكيف تفنى جنّة لا تبديد ونار لا تخمد ؟ ولكن قل : إنما تتحوّل من دار إلى دار . «ص ١٥»

٤ - ع : الحسين بن يحيى بن ضريس البجلي ، عن أبيه ، عن محمد بن عمار السكّري عن إبراهيم بن عاصم ، عن عبد الله بن هارون الكرخي ، عن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن سلام بن عبد الله ^(٢) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، عن أبيه عبد الله ، عن أبيه يزيد ، عن أبيه سلام بن عبد الله أخى عبد الله بن سلام ، عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : في صحف موسى بن عمران عليه السلام : يا عبادي إنني لم أخلق الخلق لأستكثر بهم من قلة ، ولا لأنس بهم من وحشة ، ولا لأستعين بهم على شيء عجزت عنه ، ولا لأجرّ منفعة ولا لدفع مضرة ، ولو أن جميع خلقي من أهل السماوات والأرض اجتمعوا على طاعتي وعبادتي لا يفترّون عن ذلك ليلاً ولا نهاراً ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، سبحانه وتعالى عن ذلك . «ص ١٦» .

٥ - ع : السناني ، عن محمد الأسدي ، عن النخعي ، عن النوفلي ، عن علي بن سالم

(١) كذا في المصدر والبحار والظاهر «لله أنت» كان المخاطب خاص وخالص له تعالى ويؤيده الحديث المذكور في هذا الباب عن مسعدة بن زياد قال : قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام : يا أبا عبد الله إنا خلقنا للعجب ؟ قال وما ذاك لله أنت ؟ . الحديث م

(٢) في المصدر : عبيد الله . م

عن أبيه ، عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل : « وما خلقت الجن و
الإنس إلا ليعبدون » قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة ، قال : وسألته عن قوله عز وجل :
« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقهم » قال : خلقهم ليفعلوا ما
يستوجبون به رحمته فيرحمهم . « ص ١٦ »

بيان : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « إلا ليعبدون » أي لم أخلق الجن
والإنس إلا لعبادتهم إيتاي فإذا عبدوني استحقوا الثواب . وقيل : إلا لأمرهم وأنهم
وأطلب منهم العبادة ، واللام لام الغرض ، والمراد أن الغرض في خلقهم تعريض الثواب ،
وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات ، فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة ، ثم إنه إذا لم
يعبدوه قوم لم يبطل الغرض ، و يكون كمن هيأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا
ولم يأكلوه بعضهم ، فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه ، فإن الأكل موقوف على
اختيار الغير ، وكذلك المسألة فإن الله إذا أراح علة المكلفين من القدرة والآلة والاطاف
وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه . وقيل : معناه :
إلا ليقرّوا بالعبودية طوعاً وكرهاً . ثم قال تعالى : « ما أريد منهم من رزق وما أريد
أن يطعمون » لنفي إيهام أن يكون ذلك لعائدة نفع تعود إليه تعالى ، فيبين أنه لعائدة
النفع على الخلق دونه تعالى لأنه غني بنفسه ، غير محتاج إلى غيره ، وكل الخلق محتاجون
إليه . وقيل : معناه : ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ، وإنما أسند الطعام إلى نفسه
لأن الخلق كلهم عيال الله ، ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه .

٦ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن البرقي ، عن عبد الله بن أحمد النيهكي ،
عن علي بن الحسن الطاطري ، عن درست ، عن جميل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام :
جعلت فداك ما معنى قول الله عز وجل : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ؟ فقال :
خلقهم للعبادة . ^(١) « ص ١٦ »

٧ - ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن الحسن بن فضال ،
عن ثعلبة ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « وما خلقت

الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» قال : خلقهم للعبادة ، قلت : خاصّة أم عامّة ؟ قال : لأجل عامّة . «ص ١٦»

بيان : لما توهّم الراوي أنّ معنى الآية أنّ الغرض من الخلق حصول نفس العبادة فيلزم تخلف الغرض في الكفّار ، فلهذا سأل ثانياً أنّ هذا خاصّ بالمؤمنين ، أو عامّ لجميع الخلق ؟ فأجاب عليه بأنّه عامّ ، إذ الغرض التكليف بالعبادة وقد حصل من الجميع .

٨ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري قال : إنّما جعلت العاهات في أهل الحاجة لئلاّ يستتروا ولو جعلت في الأغنياء لسترت . «ص ٣٨-٣٩»

٩ - لى : العطار ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن محبوب ، عن سماعة ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال : إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به ابتلاه الله عزّ وجلّ بالحزن في الدنيا ليكفرها ، فإن فعل ذلك به و إلّا أسقم بدنه ليكفرها به ، فإن فعل ذلك به وإلّا شدّ عليه عند موته ليكفرها به ، فإن فعل ذلك به و إلّا عذّبه في قبره ليلقى الله عزّ وجلّ يوم يلقاه و ليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه . «ص ١٧٧»

١٠ - ها : الغضائري ، عن عليّ بن محمد العلوي ، عن الحسن بن عليّ بن صالح ، عن الكليني ، عن عليّ بن محمد ، عن إسحاق بن إسماعيل النيسابوري ، عن الصادق ، عن آبائه عليه السلام ، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ بمنّته و رحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه بل رحمة منه ، لا إله إلّا هو ، ليميز الخبيث من الطيب ، وليبتلي ما في صدوركم ، وليمحّص ما في قلوبكم ، ولتتسابقوا إلى رحمته ، ولتتفاضل منازلكم في جنّته . إلى آخر ما سيأتي في كتاب الإمامة . «ص ٥٦»

١١ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : بعث رساله بما خصّهم به من وحيه ، وجعلهم حجّة له على خلقه ، لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإيعذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق ، إلّا أنّ الله قد كشف الحق كشفه لا أنّه جهل

ما أخفوه من مصون أسرارهم و مكنون ضمائرهم ، ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملاً ،
فيكون الثواب جزاءاً والعقاب بواءاً .

بيان : قال في النهاية : الجراحات بواء أي سحواء في القصاص ، ومنه حديث عليّ عليه السلام : والعقاب بواء ؛ وأصل البوء : اللزوم .

١٢ - ل : أبي ، عن الحميري ، عن هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر بن محمد ،
عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لولا ثلاث في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء : (١)
المرض ، والفقر ، والموت ، وكلّهم فيه وإنّه معهم لو ثاب . " ج ١ ص ٥٥ "

١٣ - ج : و روي أنّه اتّصل بأمير المؤمنين عليه السلام أنّ قوماً من أصحابه خاضوا
في التعديل والتجوير ، (٢) فخرج حتّى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس !
إنّ الله تبارك و تعالى لمّا خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة ، و أخلاف
شريفة ، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلّا بأن يعرفهم مالهم و ما عليهم ، والتعريف لا
يكون إلّا بالأمر والنهي ، والأمر والنهي لا يجتمعان إلّا بالوعد والوعيد ، والوعد لا يكون
إلّا بالترغيب ، والوعيد لا يكون إلّا بالترهيب ، والترغيب لا يكون إلّا بما تشتهيهِ أنفسهم
و تلذّه أعينهم ، والترهيب لا يكون إلّا بضدّ ذلك ، ثمّ خلقهم في داره وأراهم طرفاً (٣)
من اللذات ليستدلّوا به على ماورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم ، ألا وهي
الجنة ؛ وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلّوا به على ماورائهم من الآلام الخالصة التي لا
يشوبها لذّة ، ألا وهي النار ؛ فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها
ممزوجاً بكدرها وغمومها .

(١) طأطأ الرأس : خفضه ، أي لولا ثلاث في ابن آدم ما تواضع ولا خضع ، وكان يتكبر و

يعجب بنفسه .

(٢) في المصدر : والتجريح . م

(٣) الطرف بفتح الطاء والراء : طائفة من الشيء .

قيل : فحدث الجاحظ^(١) بهذا الحديث فقال : هو جماع الكلام الذي دونه الناس في كتبهم و تحاوروه بينهم . قيل : ثم سمع أبو علي الجبائي^(٢) بذلك فقال : صدق الجاحظ ، هذا ما لا يحتمله الزيادة والنقصان . «ص ١٠٩»

١٤ - ج : روى هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام : لأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطر إلى خلقهم ، ولا يليق به العبث بنا ؟ قال : خلقهم لإظهار حكمته ، وإنفاذ علمه ، وإمضاء تديره ؛ قال : وكيف لا يقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه ؟ قال : إن هذه دار بلاء ، ومتجر الثواب ،^(٣) ومكتسب الرحمة ، ملئت آفات وطبقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة ؛ فلا يكون دار عمل دار جزاء . الخبر . «ص ١٨٤»

١٥ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن الحسين العلوي ، عن عبد العظيم الحسيني ، عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المرض لا أجر فيه ، ولكنه لا يدع على العبد ذنباً إلا حطه ، وإنما الأجر في القول باللسان ، والعمل بالجوارح ؛ وإن الله بكرمه وفضله يدخل العبد بصدق النية والسريرة الصالحة الجنة . «ص ٣٠»

١٦ - ثو : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، ومحمد العطّار جميعاً ، عن الأشعري ، عن محمد بن حسان ، عن الحسين بن محمد النوفلي ، عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن علي ، عن عيسى ابن عبد الله العمري ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : في المرض يصيب الصبي ؟ قال : كفارة لوالديه . «ص ١٨٧»

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الميثي البصري اللغوي النحوي ، كان من غلمان النظام ، و مائلاً إلى النصب والعمانية ، تنقّف في البصرة وبغداد ، و اطلع على جميع العلوم المعروفة في عصره ، نسبت إليه فرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد بالبصرة ، وتوفى فيها سنة ٢٥٥ وأصابه الفلج في آخر عمره ، له كتب : منها (الحيوان) في سبعة أجزاء ، و(البيان والتبيين) و(البخلاء) و(العمانية) التي نقض عليها أبو جعفر الاسكافي ، والشيخ المفيد ، والسيد أحمد بن طاووس .

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، منسوب إلى (جبني) بالضم كورة بخوزستان ، أحد أئمة المعتزلة ، له مقالات كلامية على مذهب الاعتزال ، أخذ الكلام عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ؛ ولد سنة ٢٣٥ وتوفى في شعبان سنة ٣٠٣ .

(٣) في نسخة المصنف : ومنجز الثواب .

١٧ - شى : عن يعقوب بن شعيب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » قال : خلقهم للعبادة ؛ قال : قلت و قوله : « لايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » ؛ فقال : نزلت هذه بعد تلك .

١٨ - كشف : من كتاب الدلائل للحميري ، عن داود بن أعين قال : تفكرت في قول الله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » قلت : خلقوا للعبادة ، و يعصون و يعبدون غيره ؛ و الله لا سألن جعفرأ عن هذه الآية ، فأتيت الباب فجلست أريد الدخول عليه ، إذ رفع صوته فقرا : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ثم قرأ : « لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » فعرفت أنها منسوخة . « ص ٢٣٧ »

بيان : هذا الخبر والخبر السابق يدلان على أن آية « وما خلقت » منسوخة ، و لعل اطعنى أنه على تقدير تسليم دلالتها على ما يزعمون فهي منسوخة بآيات معارضة لما نزلت بعدها ، ويكون المراد بالنسخ البداء ، أو التخصيص ، أو التبيين .

أقول : إقامة البراهين العقلية على حسن التكليف ووقوع الآلام والأحزان و الأمراض و وجوب العوض على الله تعالى فيها ، والفرق بين الثواب و العوض هو كقول إلى مظانها من الكتب الكلامية ، والتعرض لها خروج عن مقصود الكتاب .

﴿باب ١٦﴾

﴿عموم التكليف﴾

الآيات ، المدثر « ٤٧ » يتسائلون عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين ٤٠ - ٤٣ .

١ - شى : عن البرقي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » قال : هي للمؤمنين خاصة .

٢ - شى : عن جميل بن دراج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « كتب عليكم القتال ، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » قال : فقال : هذه كلها تجمع الضلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة الظاهرة .

بيان : كون ظاهر الخطاب المصدّر بآياتها الذين آمنوا مختصاً بالمؤمنين ،
أو بهم و بالمنافقين والمخالفين لا ينافي شمول التكليف بدليل آخر لجميع المكلفين ، وقد
حقق ذلك في كتب الأصول و كتب الكلام .

٣ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اعلّموا الله أن يرضى عنكم بشيء ، سخطه على
من كان قبلكم ، ولن يسخط عليكم بشيء ، رضيّه ممّن كان قبلكم ، وإنّما تسيرون في
أثر يبيّن ، وتتكلّمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم .

﴿ باب ١٧ ﴾

﴿ أن الملائكة يكتبون أعمال العباد ﴾

الآيات ، الانعام « ٦ » وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ٦١ .

يونس « ١٠ » إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون ٢١ .

الرعد « ١٣ » له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ١١ .

مريم « ١٩ » كلاً سنكتب ما يقول ٢٩ .

الأنبياء « ٢١ » فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له
كاتبون ٩٤ .

المؤمنون « ٢٣ » ولدينا كتاب ينطق بالحق ^(١) وهم لا يظلمون ٦٢ .

يس « ٣٦ » ونكتب ما قدّموا و آثارهم ١٢ .

الزخرف « ٤٣ » أم يحسبون أنّا لا نسمع سرّهم ونجويهم بلى ^(٢) ورسلنا لديهم
يكتبون ٨٠ .

الجاثية « ٤٥ » كلّ أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا

كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ٢٨ - ٢٩ .

(١) قيل : وصف الكتاب بالنطق مبالغة في وصفه باظهار البيان وإعلان البرهان ، تشبيهاً باللسان
الناطق في الابانة عن ضميره ، والكشف عن مستوره ؛ وقد يقال الناطق لما يدل على شيء ، و على
هذا قيل لحكيم : ما الناطق الصامت ؟ فقال : الدلائل المخبرة والعبر الواعظة .

(٢) أي بل نسمع ذلك و ندركه ومع ذلك رسلنا لديهم يكتبون .

ق « ٥٠ » إذ يتلقى الملتقيان عن اليمين و عن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول
إلا لديه رقيب عتيد ^(١) ١٧ ١٨ .

القمر « ٥٤ » وكل شيء فعلوه في الزبر * ^(٢) وكل صغير وكبير مستطر ٢٥ - ٥٣ .
التكوير « ٨١ » وإذا الصحف نشرت ١٠ .

الانفطار « ٨٢ » وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون ١٠ - ١٢ .
الطارق « ٨٦ » إن كل نفس لها عليها حافظ ٤ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : « ويرسل عليكم حفظة » أي ملائكة يحفظون
أعمالكم ، و يحصونها عليكم و يكتبونها ؛ و في قوله تعالى : « إن رسلنا » : يعني الملائكة
الحفظة ؛ و في قوله تعالى : « لهم عقبات » : قيل : إنها الملائكة يتعاقبون ، تعقب ملائكة
الليل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة الليل ، وهم الحفظة يحفظون على العبد
عمله . و قيل : هم أربعة أملاك مجتمعون عند صلاة الفجر ، و روي ذلك أيضاً عن
أئمتنا عليهم السلام ؛ و قيل : إنهم ملائكة يحفظونه عن المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير .
و في قوله تعالى : « كلاً سنكتب ما يقولون » : أي سنأمر الحفظة بإثباته عليه لنجازيه
به في الآخرة ؛ و في قوله تعالى : « و إننا له كاتبون » أي نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك
فلا يضيع منه شيء . و قيل : أي ضامنون جزاءه ؛ و في قوله تعالى : « ولدينا كتاب ينطق
بالحق » يريد صحائف الأعمال ؛ و في قوله تعالى : « إذ يتلقى الملتقيان » إذ متعلقة
بقوله : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » أي ونحن أعلم به وأملك له حين يتلقى
الملتقيان ، وهما المملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه « عن اليمين
و عن الشمال قعيد » أراد : عن اليمين قعيد ، و عن الشمال قعيد ، فاكتفى بأحدهما عن
الآخر ؛ و المراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح ، لا القاعد الذي هو ضد القائم .
و قيل : عن اليمين كاتب الحسنات ، و عن الشمال كاتب السيئات . و قيل : الحفظة أربعة :
مملكان بالنهار ، و مملكان بالليل ، « وما يلفظ من قول » أي ما يتكلم بكلام فيلفظه ، أي

(١) الرقيب : الحارس ، الحافظ . العتيد : الحاضر المهيأ والمعد للزوم الأمر . و قيل : القعيد :

الرصيد . و يوصف به الواحد والاثنين والجمع .

(٢) أي مكتوب في الكتب التي كتبتها الحفظة .

يرميه من فمه « إلا لديه » حافظ حاضر معه ، يعني الملك الموكل به ، إما صاحب اليمين ، وإما صاحب الشمال ، يحفظ عمله ، لا يغيب عنه . والهاء في لديه تعود إلى القول أو إلى القائل . وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، أو المسيء ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتب واحدة . وفي رواية أخرى إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك ، فيمسك عنه سبع ساعات ، فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء ، وإن لم يستغفر الله كتبت له سيئة واحدة .

و قال في قوله تعالى : « إن عليكم لحافظين » أي من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملونه من الطاعات والمعاصي ، ثم وصف الحفظة فقال : « كراماً » على ربهم « كاتبين » يكتبون أعمال بني آدم يعلمون ما تفعلون من خير و شر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء . وقيل إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار وإما باستدلال . وقيل : معناه : يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن .

١ - ك : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمنين إذا قعدا يتحد ثان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا فلعل لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما ؛ فقلت : أليس الله عز وجل يقول : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ؟ فقال : يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإن عالم السر يسمع ويرى .

٢ - ك : علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني بأفضل المواقيت في صلاة الفجر ، فقال : مع طلوع الفجر إن الله تعالى يقول : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً » يعني صلاة الفجر تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ، فإذا صلى العبد الصبح مع ^(١) طلوع الفجر أثبتت له مرتين : أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار . « ف ج ١ ص ٧٨ »

(١) في نسخة من المصدر : من طلوع الفجر . م

٣- نهج : اعلموا عباد الله أن عليكم رصداً من أنفسكم ، وعيوناً^(١) من جوارحكم ، وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكتنكم^(٢) منهم باب ذورتاج .

بيان الرصد بالتحريك القوم يرصدون . والرتاج بالكسر : الغلق .

٤- ين : الحسين بن علوان ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن موضع الملكين من الإنسان ، قال : ههنا واحد ، و ههنا واحد . يعني عند شديقه^(٣) .

٥- ين : ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما من أحد إلا ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه ، ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما فيثبتان ما كان من خير وشر ويلقيان ما سوى ذلك .

٦- ين : حماد ، عن حريز ، و إبراهيم بن عمر ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يكتب الملكان إلا ما نطق به العبد .

٧- ين : حماد ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أحدهما عليه السلام قال : لا يكتب الملك إلا ما يسمع قال الله عز وجل : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة » قال : لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد غير الله تعالى .

٨- ين : النضر ، عن حسين بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن في الهواء ملكاً يقال له : إسماعيل على ثلاثمائة ألف ملك ، كل واحد منهم على مائة ألف ، يحصون أعمال العباد ، فإذا كان رأس السنة بعث الله إليهم ملكاً يقال له : السجل فانتسخ ذلك منهم ، و هو قول الله تبارك و تعالى : « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب » .

(١) جمع العين : الجاسوس والديدبان .

(٢) أى لا يستركم ولا يخفاكم .

(٣) الشدق بكسر الشين وفتحها و سکون الدال : زاوية الفم من باطن الخدين . ولعله إشارة

إلى احاطة الملكين بما يلفظ ، وشدة اطلاعهما بما يتكلم .

٩ - ين : النضر ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » قال : هما الملكان . وسأله عن قول الله تبارك وتعالى : « هذا ما لدي عتيد » قال : هو الملك الذي يحفظ عليه عمله . وسأله عن قول الله عز وجل : « قال قرينه ربنا ما أطغيته » قال : هو شيطان .

١٠ - ج : سأل الزنديق الصادق عليه السلام : ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم ، والله عالم السر وما هو أخفى ؟ قال : استعبدتهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد ملأزماتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة ، و عن معصيته أشد انقباضاً ، وكم من عبد يهمل بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكف ، فيقول : ربني يراني ، و حفظتي بذلك تشهد ، ^(١) وإن الله برأفته و لطفه أيضاً وكلهم بعباده يذبون عنهم مرده الشياطين ، وهوام الأرض ، و آفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يجيء أمر الله عز وجل . « ص ١٩١ »

١١ - أقول : روي في كتاب قضاء الحقوق و ثواب الأعمال و رجال الكشي بأسانيدهم عن إسحاق بن عمار قال : لما كثر مالي أجلسيت على بابي بوأباً يرد عني فقراء الشيعة ، فخرجت إلى مكة في تلك السنة فسلمت على أبي عبد الله عليه السلام ، فرد علي بوجه قاطب مزور ، ^(٢) فقلت له : جعلت فداك ما الذي غير حالتي عندك ؟ قال : تغيرك على المؤمنين ، فقلت : جعلت فداك والله إنني لأعلم أنهم على دين الله ولكن خشيت الشهرة على نفسي ، فقال : يا إسحاق أما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافوا أنزل الله بين إبهاميهما مائة رحمة ، تسعة و تسعين لأشدهما حباً ، فإذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة ، فإذا لبثا لا يريدان بذلك إلا وجه الله تعالى قيل لهما : غفر لكما ؛ فإذا جلسا يتسائلان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا عنهما فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما ؛ قال قلت : جعلت فداك فلا تسمع الحفظة قولهما ولا تكتبه وقد قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » قال : فنكس رأسه طويلاً ثم رفعه وقد فاضت دموعه على لحيته ،

(١) في المصدر : وحفظني على ذلك يشهد . م

(٢) قطب الرجل . زوى وقبض ما بين عينيه وعبس . وزور عنه : مال .

وقال : إن كانت الحفظة لا تسمعه ولا تكتبه فقد سمعه عالم السرّ وأخفى ، يا إسحاق خف الله كأنّك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنّك يراك ، فإن شككت أنّه يراك فقد كفرت وإن أيقنت أنّه يراك ثمّ بارزته بالمعصية فقد جعلته أهون الناظرين إليك .^(١)

١٢ - سعد السعود : رواه من كتاب قصص القرآن للهيصم بن محمد النيسابوري قال :

دخل عثمان على رسول الله ﷺ فقال : أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : ملك على يمينك^(٢) على حسناتك ، وواحد على الشمال ، فإذا عملت حسنة كتب عشرأ ، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب ؟ قال : لعله يستغفر ويتوب فإذا قال ثلاثاً قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقلّ مراقبته الله عزّ وجلّ ! وما أقلّ استحياءه منه !^(٣) يقول الله : « ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد » وملك بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » وملك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبّرت على الله وضعك وفضحك ، وملك^(٤) على شفقتك ليس يحفظان إلاّ الصلاة على محمد ﷺ ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملك على عينيّك ، فهذه عشرة أملاك على كلّ آدمي ، وملائكة الليل سوى ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كلّ آدمي ، وإبليس بالنهار وولد ، بالليل ، قال الله تعالى : « وإنّ عليكم لحافظين » الآية . وقال عزّ وجلّ : « إذ يتلقى المتلقّيان » الآية .

ثمّ قال السيّد رحمه الله : واعلم أن الله عزّ وجلّ وكلّ بكلّ إنسان ملكين يكتبان عليه الخير والشرّ . ووردت الأخبار بأنّه يأتيه ملكان بالنهار وملك بالليل ، وذلك قوله تعالى : « له معقبات » لأنّهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً ، وإنّ ملكي النهار يأتيانه إذا انفجر الصبح فيكتبان ما يعملّه إلى غروب الشمس ، فإذا غربت نزل إليهما الملكان الموكلان بكتابة الليل ، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عزّ وجلّ فلا يزال ذلك دأبهم إلى

(١) وروى الكليني في باب المصافحة بإسناده عن إسحاق بن عمار نحوه .

(٢) في نسخة : عن يمينك .

(٣) في نسخة : منا .

(٤) في نسخة : وملك مقربان .

حضور أجله ، فإذا حضر أجله قالوا للرجل الصالح : جزاك الله من صاحب عنا خيراً ، فكم من عمل صالح أريتناه ، وكم من قول حسن أسمعناه ، وكم من مجلس حسن أحضرناه ، فنحن لك اليوم على ما تحبّه ، وشفعاء إلى ربّك ؛ وإن كان عاصياً قالوا له : جزاك الله من صاحب عنا شراً ، فلقد كنت تؤذينا ، فكم من عمل سيّئ أريتناه ، وكم من قول سيّئ أسمعناه ، وكم من مجلس سوء أحضرناه ، ونحن لك اليوم على ما تكره ، وشهيدان عند ربّك .

١٣ - وفي رواية أنّهما إذا أراد النزول صباحاً ومساءً أنسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك ، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخة التي نسخ لهما حتّى يظهر أنّه كان كما نسخ لهما .

١٤ - وعن ابن مسعود أنّه قال : الملائكة يكتبان أعمال العلانية في ديوان و أعمال السريّ في ديوان آخر .^(١)

١٥ - ك : العدد ، عن البرقيّ ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ المؤمن ليهمّ بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة ، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات ؛ وإنّ المؤمن ليهمّ بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه . « ج ٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ »

١٦ - ك : العدد عن البرقيّ ، عن عليّ بن حفص العوسيّ ، عن عليّ بن السائح ، عن عبد الله بن موسى بن جعفر ، عن أبيه قال : سألته ، عن الملائكة : هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعلها أو الحسنات ؟ فقال : ريح الكنيف وريح الطيب^(٢) سواء ؛ قلت : لا ، قال : إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب ريح فقال لصاحب اليمين لصاحب الشمال : قم^(٣) فإنّه قد همّ بالحسنة ، فإذا فعلها كان لسانه قلمه ، وريقه مداده ، فأثبتها له ؛ وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن ريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين :

(١) الديوان : مجتمع الصحف . والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية ، والجمع دواوين ودباوين .

(٢) بفتح الطاء وتشديد الياء ، أو بكسر الطاء ، وكان هذين معنويان يجدهما الملائكة قاله المصنف في المرات .

(٣) في نسخة : قف .

قف فإنه قد هم بالسيئة ، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه ، و ريقه مداده ، فأثبتها عليه . «ج ٢ ص ٤٢٩»

١٧ - ك : محمد بن يحيى ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن فضيل بن عثمان المرادي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك^(١) : يهم العبد الحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته ، وإن هو عملها كتب الله له عشرأ ؛ ويهم بالسيئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء ، وإن هو عملها أجل سبع ساعات ، وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات و هو صاحب الشمال : لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها ، فإن الله يقول : «إن الحسنات يذهبن السيئات» أو الاستغفار ، فإن هو قال : «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم ، الغفور الرحيم ذو الجلال والإكرام وأتوب إليه» لم يكتب عليه شيء ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار^(٢) قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات : اكتب على الشقي المحروم . «ج ٢ ص ٤٢٩-٤٣٠»

١٨ - نهج : قال : أمير المؤمنين عليه السلام : فاتقوا الله الذي أتم بعينه ، ونواصيكم بيده ، وتقلبكم في قبضته ، إن أسررتهم علمه ، وإن أعلنتهم كتبهم ، وقد وكل بذلك حفظة كراماً ، لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلاً .

(١) قال المصنف في مرآت العقول : اعلم أن الهلاك في قوله : (يهلك) بمعنى الخسران واستحقاق العقاب ، وفي قوله : (هالك) بمعنى الضلال والشقاوة الجبيلية ، وتمديته بكلمة (على) إما بتضمين الورود ، أي لم يهلك حين وروده على الله ، أو بمعنى الاجترأ ، أي مجترئاً على الله ، أو معنى العلو والرفعة ، كأن من يعصيه تعالى يترفع عليه ويخاصمه . ويحتمل أن يكون (على) بمعنى (في) نحوه قوله تعالى : (على حين غفلة) أي في معرفته وأوامره ونواهيه ، أو بمعنى (من) بتضمين معنى العينية ، كما في قوله تعالى : «إذا اكثروا على الناس يستوفون» أو بمعنى (عن) بتضمين معنى المجاوزة ، أو بمعنى (مع) أي حال كونه معه ومع ما هو عليه من اللطف والعناية . أقول : الغصال الأربع : أولها أن يهم بالحسنة من دون عمل ، الثانية أن يعمل بها ، الثالث أن يهم بالسيئة من دون عمل ، والرابعة أن يعمل بها ولكن يتبعها بحسنة تمحوها ، أو استغفار قبل مضى سبع ساعات .

(٢) في المصدر : ولم يتبعها حسنة واستغفار . م

١٩ - يب : محمد بن علي بن محبوب ، عن اليقطيني ، عن الحسن بن علي ، عن إبراهيم ابن عبد الحميد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد قضاء الحاجة وقف على باب المذهب ^(١) ثم التفت يمينا وشمالا إلى ملكيه فيقول أميطة عنّي ^(٢) فلكم الله علي أن لا أحدث حدثا حتى أخرج إليكما .

٢٠ - ين : ابن المغيرة ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا همّ العبد بسيئة لم تكتب عليه ، وإذا همّ بحسنة كتبت له .

٢١ - عد : اعتقادنا أنه مامن عبد إلا وملك موكلان به يكتبان جميع أعماله ، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة ، فإن عملها كتب له عشر ، فإن همّ بسيئة لم تكتب حتى يعملها ، فإن عملها كتب عليه سيئة واحدة ^(٣) ، والمملكان يكتبان على العبد كل شيء ، حتى النفخ في الرماد ، قال الله عز وجل : « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

ومرّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل وهو يتكلم بفضول الكلام فقال : يا هذا ؛ إنك تملي على كاتبك ^(٤) كتابا إلى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك . « ص ٨٦ »

٢٢ - وقال عليه السلام : لا يزال الرجل المسلم يكتب محسنا مادام ساكتا فإذا تكلم كتب إما محسنا أو مسيئا ، و موضع المكلين من ابن آدم الشدقان ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملك النهار يكتبان عمل العبد بالنهار ، وملك الليل يكتبان عمل العبد في الليل . « ص ٨٦ »

٢٣ - و روى الصدوق رحمه الله في كتاب فضائل الشيعة : عن أبيه ، عن سعد ، عن عباد بن سليمان ، عن سدير الصيرفي ^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : دخلت عايه وعنده أبو بصير وميسر وعدة من جلسائه ، فلما أن أخذت مجلسي أقبل علي بوجهه ، وقال :

(١) أي باب الكنيف .

(٢) أي ابعدا وتنحأني .

(٣) في المصدر : وان عملها اجل سبع ساعات فان تاب قبلها لم يكتب عليه وان لم يتب كتب عليه

سيئة واحدة . م

(٤) في نسخة : ملائكتك

(٥) سدير وزان شريف .

يا سدير أما إن ولينا ليعبد الله قائماً وقاعداً و نائماً و حياً وميتاً ؛ قال : قلت جعلت فداك : أما عبادته قائماً و قاعداً و حياً فقد عرفنا ، فكيف يعبد الله نائماً وميتاً ؛ قال : إن ولينا ليضع رأسه فيرقد فإذا كان وقت الصلاة و كل به ملكين خلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء و لم يريا ملكوتهما ، فيصليان عنده حتى ينتبه فيكتب الله ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين ؛ و إن ولينا ليقبضه الله إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان : يا ربنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله ، و أنت أعلم منّا بذلك ، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك ؛ قال : فيوحي الله إليهما : أن في سمائي لمن يعبدني وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليها ، وأن في أرضي لمن يعبدني حق عبادتي ، وما خلقت خلقاً أحوج إلي منه فأهبطا إلى قبر وليي ؛ فيقولان : يا ربنا من هذا يسعد بحبك إياه ؛ قال : فيوحي الله إليهما : ذلك من أخذ ميثاقه بمحمد عبيدي و وصيّه و ذريّتهما بالولاية ، اهبطا إلى قبر وليي فلان بن فلان فصليا عنده إلى أن أبعثه في القيامة ، قال : فيهبط الملكان فيصليان عند القبر إلى أن يبعثه الله فيكتب ثواب صلاتهما له ، و الركعة من صلاتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين ؛ قال سدير : جعلت فداك يا بن رسول الله فإذا وليكم نائماً وميتاً أعبد منه حياً وقائماً ؛ قال : فقال : هيهات يا سدير إن ولينا ليؤمن على الله عز وجل يوم القيامة فيجيز أمانه .

٢٤ - ما : جماعة عن أبي المفضل ، عن أحمد بن محمد بن إسحاق العلوي العريضي ، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، عن عمّيه عليّ والحسين ابني موسى ، عن أبيهما موسى بن جعفر ، عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : يوحى الله عز وجل إلى الحفظة الكرام : لا تكتبوا على عبيد المؤمنين عند ضجره شيئاً .^(١) ص ١٦ .
أقول : الأخبار الدالة على الكاتبين مبثوثة في الأبواب السابقة و اللاحقة وفيما ذكرناه هنا كفاية .

٢٥ - محاسبة النفس : للسيّد عليّ بن طاووس قدس الله روحه : من أمالي المفيد

(١) نقل هذه الرواية بعينها في باب من رفع عنه القلم تحت رقم ٢٠ عن هذا المصدر . م

بإسناده إلى علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الملك الموكل على العبد يكتب في صحيفة أعماله ، فأملوا بأولها وآخرها خيراً يغفر لكم ما بين ذلك .

٢٦ - ومنه نقلاً من كتاب الدعاء لمحمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيامة تحت كل ذنب : استغفر الله .

٢٧ - ومنه رسالة عن الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تقطعوا نهاركم بكذا وكذا ، وفعلنا كذا وكذا ، فإن معكم حفظة يحصون عليكم وعلينا .

٢٨ - ومنه نقلاً من تبيان شيخ الطائفة في تفسير قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » قال : روي في الخبر أن الأعمال تعرض على النبي صلى الله عليه وآله في كل اثنين وخميس فيعلمها ، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله : والمؤمنون .

٢٩ - ومنه نقلاً من كتاب الأئمة لمحمد بن عمران المرزباني قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الاثنين والخميس ، ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : إن الأعمال ترفع في كل اثنين وخميس ، فأحب أن ترفع عملي وأناصام .

٣٠ - و بإسناده عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من اثنين ولا خميس إلا ترفع فيه الأعمال إلا عمل المقادير .

٣١ - ومنه نقلاً من كتاب التذيل لمحمد بن النجار بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله عز وجل ملائكة من السماء إلى الأرض ، معها صحائف من فضة ، بأيديهم أقلام من ذهب تكتب الصلاة على محمد وآله إلى غروب الشمس ^(١) .

٣٢ - ومنه نقلاً من كتب بعض الأصحاب بإسناده إلى عبد الصمد بن عبد الملك قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال .

٣٣ - ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة ، بإسناده إلى غبسة العابد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر .

٣٤ - ومنه نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلودي قال :
 إنَّ ابن الكوَّاء سأل أمير المؤمنين عن البيت المعمور والسقف المرفوع ، قال : ويلك ذلك
 الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة ، يدخله كل يوم سبعون
 ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، فيه كتاب أهل الجنة عن يمين الباب يكتبون
 أعمال أهل الجنة ، وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام
 سود ، فإذا كان وقت العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل فذلك قوله
 تعالى : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » .

٣٥ - ومنه نقلاً من كتاب ابن عمر الزاهد صاحب تغلب قال : أخبرني عطاء ، عن
 الصباحي أستاذ الإمامية من الشيعة ، عن جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قالوا : قال
 أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ الملكين يجلسان على ناجذي الرجل ، يكتبان خيره وشره ،
 ويستمدان من غريبه وربما جلسا على الصماغين .

فسمعت تغلباً يقول : الاختيار من هذا كله ما قال أمير المؤمنين عليه السلام . قال :
 الناجدان : النابان ، والغران : الشدقان ، والصامغان والصماغان - ومن قالهما بالعين
 فقد صحَّفهما - : مجتمعا الريق من الجانبين ، وهما اللذان يسميهما العامة الصوارين .
 وقال : سئل عن قول أمير المؤمنين عليه السلام : نظَّفوا الصماغين فإِنَّهما مقعدا الملكين ، فقال
 تغلب : هما الموضع الذي يجتمع فيه الريق من الإنسان ، وهما الذي يسميه العامة
 الصوارين .

بيان روى في النهاية الخبرين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال : النواجد : هي التي
 تبدو عند الضحك ، وقال الغران بالضم : الشدقان . وقال : الصماغان : مجتمع الريق
 في جانبي الشفة . وقيل : هما ملتقي الشدقين ، ويقال لهما : الصامغان والصماغان
 و الصواران .

﴿باب ١٨﴾

الوعد والوعيد و الحبط والتكفير

الايات البقرة ٢٠ «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأُولَئِكَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢١٧ .

آل عمران ٣ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ٩ «وَقَالَ تَعَالَى : أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٢٢ «وَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ١٩٤ .

النساء ٤ «إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ٣١ « وَقَالَ تَعَالَى : لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَى بِهِ ١٢٣ .

الاعراف ٧ «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ ١٤٧ .

الأنفال ٨ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩ .

التوبة ٩ «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٧ «وَقَالَ : أُولَئِكَ حَبِطَت أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٦٩ .

الرعد ١٣ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ٣١ .

الكهف ١٨ «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَت أَعْمَالُهُمْ ١٠٥ .

الأنكبوت ٢٩ «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧ .

الروم ٣٠ «وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦ « وَقَالَ سُبْحَانَهُ : فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يَوْقِنُونَ ٦٠ .

الاحزاب ٣٣ «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢ «وَقَالَ تَعَالَى : أُولَئِكَ لَمْ يَؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١٩ .

الزمر «٣٩» وعد الله لا يخلف الله الميعاد ٢٠ «وقال تعالى» : ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ٣٥ .

المؤمن «٤٠» إن وعد الله حق ٧٧ .

محمد «٤٧» كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ٢ «وقال تعالى» : ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ٩ «وقال» : ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ٢٨ «وقال» : إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ٣٢ .

الفتح «٤٨» ويكفر عنهم سيئاتهم ٥ .

الحجرات «٤٩» ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ٢ .

التغابن «٦٤» ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ٩ .

الطلاق «٦٥» ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ٥ .

التحريم «٦٦» عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ٨ .

الزلزال «٩٩» فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ☆ ومن يعمل مثقال ذرة

شراً يره ٧-٨ .

تحقيق : اعلم أن المشهور بين متكلمي الإمامية بطلان الإحباط و التكفير ، بل قالوا باشتراط الثواب والعقاب بالموافاة ، بمعنى أن الثواب على الإيمان مشروط بأن يعلم الله منه أنه يموت على الإيمان ؛ والعقاب على الكفر والفسوق مشروط بأن يعلم الله أنه لا يسلم ولا يتوب وبذلك أولوا الآيات الدالة على الإحباط و التكفير ، وذهبت المعتزلة إلى ثبوت الإحباط والتكفير للآيات و الأخبار الدالة عليهما .

قال شارح المقاصد : لا خلاف في أن من آمن بعد الكفر والمعاصي فهو من أهل الجنة ، بمنزلة من لا معصية له ، ومن كفر - نعوذ بالله - بعد الإيمان والعمل الصالح فهو من أهل النار ، بمنزلة من لا حسنة له ؛ وإنما الكلام فيمن آمن وعمل صالحاً وآخر سيئاً كما يشاهد من الناس فعندنا مآله إلى الجنة ولو بعد النار ، و استحقيقه للثواب

والعقاب بمقتضى الوعد والوعيد ثابت من غير حبوط ، والمشهور من مذهب المعتزلة أنه من أهل الخلود في النار إدامات قبل التوبة ، فأشكل عليهم الأمر في إيمانه و طاعاته ، وما ثبت من استحقاقاته ، أين طارت ؟ وكيف زالت ؟ فقالوا : بحبوط الطاعات ، و مالوا إلى أن السيئات يذهبن الحسنات ، حتى ذهبت الجمهور منهم إلى أن الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات . وفساده ظاهر ، أمّا سمعاً فللنصوص الدالة على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وعمل صالحاً ، وأمّا عقلاً فللقطع بأنه لا يحسن من الحليم الكريم إبطال ثواب إيمان العبد ومواظبته على الطاعات طول العمر بتناول لقمة من الربا ، أو جرعة من الخمر . قالوا : الإحباط مصرّح في التنزيل ، كقوله تعالى : " ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم ، أولئك حبطت أعمالهم ، ولا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى " قلنا : لا بالمعنى الذي قصدتم ، بل بمعنى أن من عمل عملاً استحق به الذم ، وكان يمكنه أن يعمل على وجه يستحق به الممدح والثواب ؛ يقال : إنه أحبط عمله كالصدقة مع اليمن والأذى وبدونها . وأمّا إحباط الطاعات بالكفر بمعنى أنه لا يثاب عليها البتة فليس من التنازع في شيء ؛ وحين تنبّه أبو عليّ وأبو هاشم لفساد هذا الرأي رجعا من التماذي بعض الرجوع ، فقالا : إن المعاصي إنما يحبط الطاعات إذا أوردت عليها ، وإن أوردت الطاعات أحبطت المعاصي ، ثم ليس النظر إلى أعداد الطاعات والمعاصي بل إلى مقادير الأوزار والأجور ، فرب كبيرة يغلب وزرها أجر طاعات كثيرة ، ولا سبيل إلى ضبط ذلك بل هو مفوض إلى علم الله تعالى ، ثم اختلفا فزعم أبو عليّ أن الأقل يسقط ولا يسقط من الأكثر شيئاً ، و يكون سقوط الأقل عقاباً إذا كان الساقط ثواباً ، وثواباً إذا كان الساقط عقاباً ، وهذا هو الإحباط المحض . وقال أبو هاشم : الأقل يسقط ويسقط من الأكثر ما يقابله ، مثلاً من له مائة جزء من العقاب واكتسب ألف جزء من الثواب فإنه يسقط منه العقاب ومائة جزء من الثواب بمقابلته ، ويبقى له تسعمائة جزء من الثواب ، وكذا العكس ، وهذا هو القول بالموازنة انتهى كلامه .

أقول : الحق أنه لا يمكن إنكار سقوط ثواب الإيمان بالكفر اللاحق الذي

يموت عليه ، وكذا سقوط عقاب الكفر بالإيمان اللاحق الذي يموت عليه . وقد دلّت الأخبار الكثيرة على أن كثيراً من المعاصي يوجب سقوط ثواب كثير من الطاعات ، وأن كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات ، والأخبار في ذلك متواترة ، وقد دلّت الآيات على أن الحسنات يذهبن السيئات ، ولم يقدّم دليل تامّ على بطلان ذلك ، وأمّا أن ذلك عامّ في جميع الطاعات و المعاصي فغير معلوم ، وأمّا أن ذلك على سبيل الإحباط والتكفير بعد ثبوت الثواب والعقاب ، أو على سبيل الاشتراط بأنّ الثواب في علمه تعالى على ذلك العمل مشروط بعدم وقوع ذلك الفسق بعده ، وأنّ العقاب على تلك المعصية مشروط بعدم وقوع تلك الطاعة بعدها فلا يثيب ، أولاً ثواب و عقاب ، فلا يهملنا تحقيق ذلك ، بل يرجع النزاع في الحقيقة إلى اللفظ ، لكن الظاهر من كلام المعتزلة وأكثر الإمامية أنّهم لا يعتقدون إسقاط الطاعة شيئاً من العقاب ، أو المعصية شيئاً من الثواب سوى الإسلام والارتداد والتوبة ، وأمّا الدلائل التي ذكرها لذلك فلا يخفى وهنّها ، وليس هذا الكتاب موضع ذكرها .

ثمّ أعلم أنّه لا خلاف بين الإمامية في عدم خلود أصحاب الكبائر من المؤمنين في النار ، وأمّا أنّهم هل يدخلون النار ، أو يعدّون في البرزخ و المحشر فقط ؟ فقد اختلف فيه الأخبار وسيأتي تحقيقها .

١ - سن : عليّ بن محمد القاساني ، عمّن ذكره ، عن عبد الله بن القاسم الجعفري ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : من وعده الله على عمل ^(١) ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار . «ص ٢٤٦»

٢ - كنز الكراحي : عن المفيد ، عن أحمد بن الحسن بن الوليد ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسن الصفّار ، عن عليّ بن محمد القاساني ، عن القاسم بن محمد الإصبهاني ، عن سليمان بن خالد المنقري ^(٢) ، عن سفيان بن عيينة ، عن حميد بن زياد ، عن عطّاء بن يسار ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيقول : قيسوا بين

(١) في المصدر : من وعده على عمل . م

(٢) نسبة إلى منقر - وزان منبر - أبو بطن من سعد ثم من تميم ، وهو منقر بن عبيد بن مقاس .

نعمي عليه و بين عمله ، فتستغرق النعم العمل ؛ فيقولون : قد استغرق النعم العمل ، فيقول : هبوا له النعم ، وقيسوا بين الخير و الشر منه ، فإن استوى العملان أذهب الله الشر بالخير ، وأدخله الجنة ، وإن كان له فضل أعطاه الله بفضله ، وإن كان عليه فضل و هو من أهل التقوى ولم يشرك بالله تعالى واتقى الشرك به فهو من أهل المغفرة يغفر الله له برحمته إن شاء ، ويتفضل عليه بعفوه .

عد : اعتقادنا في الوعد والوعيد هو أن من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ، إن عذّب به فبعدله ، و إن عفا عنه فبفضله ، و ما الله بظلام للعبيد ، وقد قال الله عز وجل : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .^(١) ص ٨٦ .

واعتقادنا في العدل هو أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالعدل ، وعاملنا بما هو فوقه وهو التفضل ، وذلك أنه عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلهما وهم لا يظلمون » .^(٢) ص ٨٦-٨٧ .

بيان : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح القول الأخير : العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه ، و الظلم هو منع الحقوق ، والله تعالى كريم ، جواد ، متفضل ، رحيم ، قد ضمن الجزاء على الأعمال ، والعوض على المبتدأ من الآلام ، و وعد التفضل بعد ذلك بزيادة من عنده ، فقال تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »^(٣) فخير أن للمحسن الثواب المستحق وزيادة من عنده ، وقال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلهما وهم لا يظلمون » يريد أنه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه . ثم ضمن بعد ذلك العفو ، و وعد بالغفران ، فقال سبحانه : « وإن ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم »^(٤) وقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(٥) وقال : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »^(٦) والعق الذي للعبد هو ما جعل الله حقاً له واقتضاء جود الله وكرمه ، وإن

(٢) الانعام : ١٦٠ .

(٤) الرعد : ٦ .

(٦) يونس : ٥٨ .

(١) النساء : ٤٨ و ١١٦ .

(٣) يونس : ٢٦ .

(٥) النساء : ٤٧ .

كان لو حسابه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حق ، لأنه تعالى ابتداء خلقه بالنعم ، وأوجب عليهم بها الشكر ، وليس أحد من الخلق يكافي نعم الله تعالى عليه بعمل ، ولا يشكره أحد إلا وهو مقصّر بالشكر عن حق النعمة ، وقد أجمع أهل القبلة على أن من قال : إنني وفيت جميع ما لله عليّ وكافأت نعمه بالشكر فهو ضالّ ، وأجمعوا على أنهم مقصّرون عن حق الشكر ، وأن الله عليهم حقوقاً لومداً في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا الله سبحانه بما له عليهم ، فدل ذلك على أن ما جعله حقاً لهم فإنما جعله بفضلله وجوده وكرمه ، ولأن حال العامل الشاكر خلاف حال من لا عمل له في العقول ، وذلك أن الشاكر يستحق في العقول الحمد ، ومن لا عمل له فليس له في العقول حمد ، وإذا ثبت الفصل بين العامل ومن لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الذي يحكم عليه بحقه ويشار إليه بذلك ، وإذا أوجبت العقول له مزية على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعل في العقول له حقاً ، وقد أمر تعالى بالعدل ونهى عن الجور فقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ،^(١) الآية انتهى .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد : ذهب جماعة من معتزلة بغداد إلى أن العفو جائز عقلاً ، غير جائز سمعاً ، وذهب البصريون إلى جوازه سمعاً وهو الحق ، واستدل المصنّف رحمه الله بوجوه ثلاثة :

الأول أن العقاب حق لله تعالى فجاز تركه ، والمقدّماتان ظاهرتان .

الثاني أن العقاب ضرر بالمكلف ، ولا ضرر في تركه على مستحقه ، وكل ما كان كذلك كان تركه حسناً ، أمّا أنه ضرر بالمكلف فضروري ، وأمّا عدم الضرر في تركه فقطعي ، لأنه تعالى غني بذاته عن كل شيء ، وأمّا إن ترك مثل هذا حسن فضروريّة ، وأمّا السمع فالآيات الدالة على العفو كقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك » فإمّا أن يكون هذان الحكمان مع التوبة أو بدونها ، والأول باطل لأن الشرك يغفر من التوبة فتعيّن الثاني ، وأيضاً المعصية مع التوبة يجب غفرانها ،

(١) النحل : ٩٠ .

وليس المراد في الآية المعصية التي يجب غفرانها لأن الواجب لا يعلق بالمشيئة ، فما كان يحسن قوله : « لمن يشاء » فوجب عود الآية إلى معصية لا يجب غفرانها ؛ ولقوله تعالى : « إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » و « على » يدل على الحال أو الغرض كما يقال : ضربت زيدا على عصيانه أي لأجل عصيانه ، وهو غير مراد هنا قطعاً فتعين الأول ، والله تعالى قد نطق في كتابه العزيز بأنه عفو غفور ، وأجمع المسلمون عليه ، ولا معنى له إلا إسقاط العقاب عن العاصي انتهى . أقول : سيأتي الآيات والأخبار في ذلك .

إلى هنا تم الجزء الخامس من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة
بتعاليق نفيسة قيّمة و فوائد جمّة ثمينة ؛ ويحوي
هذا الجزء ٥٢٨ حديثاً في ١٨ باباً .
والله الموفق للخير والرشاد .
ذیحجّة الحرام ١٣٧٦

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	١

﴿ ابواب العدل ﴾

باب ١ نفي الظلم و الجور عنه تعالى ، و إبطال الجبر و التفويض ، و إثبات الأمرين الأمرين ، و إثبات الاختيار و الاستطاعة ؛ وفيه ١١٢ حديثاً .	٦٧ - ٢
باب ٢ آخر وهو من الباب الأول ؛ وفيه حديث .	٨٤ - ٦٨
باب ٣ القضاء و القدر ، و المشيئة و الإرادة ، و سائر أبواب الفعل ؛ وفيه ٧٩ حديثاً .	١٣٥ - ٨٤
باب ٤ الآجال ؛ وفيه ١٤ حديثاً .	١٤٣ - ١٣٦
باب ٥ الأرزاق والأسعار ؛ وفيه ١٣ حديثاً .	١٥٢ - ١٤٣
باب ٦ السعادة و الشقاوة ، و الخير و الشر ، و خالقهما و مقدرهما ؛ وفيه ٢٣ حديثاً .	١٦١ - ١٥٢
باب ٧ الهداية و الإضلال و التوفيق و الخذلان ؛ وفيه ٥٠ حديثاً .	٢١٠ - ١٦٢
باب ٨ التمحيص و الاستدراج ، و الابتلاء و الاختبار ؛ وفيه ١٨ حديثاً .	٢٢٠ - ٢١٠
باب ٩ أن المعرفة منه تعالى ؛ وفيه ١٣ حديثاً .	٢٢٤ - ٢٢٠
باب ١٠ الطينة و الميثاق ؛ وفيه ٦٧ حديثاً .	٢٧٦ - ٢٢٥
باب ١١ من لا ينجبون من الناس ، و محاسن الخلقة و عيوبها اللتين تؤثران في الخلق ؛ وفيه ١٥ حديثاً .	٢٨١ - ٢٧٦
باب ١٢ علّة عذاب الاستيصال ، و حال ولد الزنا ، و علّة اختلاف أحوال الخلق ؛ وفيه ١٤ حديثاً .	٢٨٨ - ٢٨١
باب ١٣ الأطفال و من لم يتمّ عليهم الحجّة في الدنيا ؛ وفيه ٢٢ حديثاً .	٢٩٧ - ٢٨٨

الصفحة

الموضوع

- باب ١٤ من رفع عنه القلم ، و نفي الحرج في الدين ، و شرائط صحة التكليف ، وما يعذرفيه الجاهل ، وأنه يلزم على الله التعريف وفيه ٢٩ حديثاً . ٢٩٨-٣٠٨
- باب ١٥ علة خلق العباد وتكليفهم ، والعلة التي من أجلها جعل الله في الدنيا اللذات والآلام والمحن ؛ وفيه ١٨ حديثاً . ٣٠٩-٣١٨
- باب ١٦ عموم التكليف ؛ وفيه ثلاثة أحاديث . ٣١٨-٣١٩
- باب ١٧ أن الملائكة يكتبون أعمال العباد ؛ وفيه ٣٥ حديثاً . ٣١٩-٣٣٠
- باب ١٨ الوعد والوعيد ، والحبط والتكفير ؛ وفيه حديثان . ٣٣١-٣٣٧

~~بسم الله الرحمن الرحيم~~

الوعود والوعيد

سے ملے ہوئے کھانا سانی عن ذکر

بسم الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله

عَدَّ اَعْتَقَانَا فِي الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ هُوَان

عقاباً خروفيه بالخيار ان عذبه فبعدله و

اسم عزوجل ان اسم لا یغفر ان شرک به

هوارة الله ببارك ونعالي امرنا بالعدل

یقول میں جاؤ بالحسنہ فطمہ عشر امثالہا

بيان قال العلامة رحمه الله في شرحه على التقرير

جائز سماعاً وذهب المصريون الى جوازها سماعاً

ملفوظ - الاول ابن العقاب حق سر تعالیٰ فجار ترکہ

ولا ضرر في تركه على صحة وكما كان كذلك كان

فیترکہ فوطحی لانہ تعالیٰ منبائہ عن کلستی واد

الدالة على العفو كقولهم تعالى ان الله لا يخفى انا

المفتحة او بدونها والاولى اطلاقاً للشرك

غفرا عنها وليس المراد في الآية المعصية التي

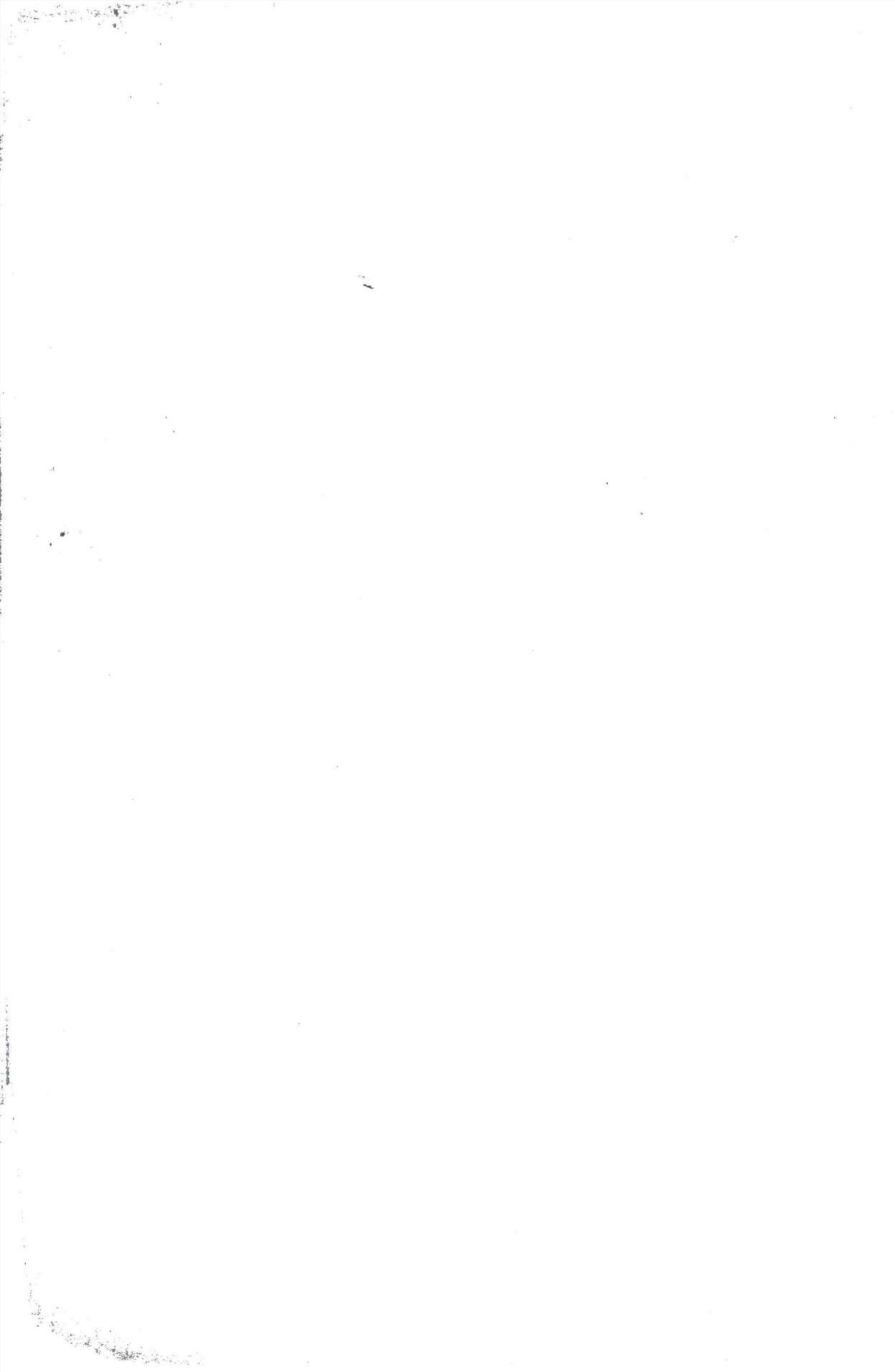
قوله من يشاء فوجب عود الآية الى معصية ا

و علی بدیل علی الحال او الغرض کا یہاں ضمیمہ

بمعين الاول واسم تعالى قد نطق في كتابه العزيز

العقاب عن العاصي ثم اتوا بسائر

উদ্ভিদ



بَحَارُ الْأَنْوَارِ

الجزء السادس

تأليف

العبد العجلافتي الشيخ الإسلام أبو علي محمد بن أبي المجلية

ألموت في ١١١١ هـ

بفقه

الحاج السيد آغا علي بن الحاج الشيخ محمد الأحمدي

تهران - بازار - سراي حاج سيد حسن تهران - بازار سلطاني - دار الكتب الاسلاميه

محل الشركة

تهران - سراي حاج حسن - شركت طبع بحار الانوار

رقم تلفون ٢٩٨٠٩

نحمد الله سبحانه على منه وطوله حيث اختارنا
للقيام بنشر هذا السفر القيم في الملأ الديني
العلمي بصورة بهيئة . و لرواد الفضيلة الذين
وازرونا في هذا المشروع المقدس شكر متواصل
مع الأبد .

حقوق الطبع والتقليد بهذه الصورة
المزدانة بالتعليق والحواشي والتقدمة
وغيرها من الخصوصيات محفوظة

﴿ رموز الكتاب ﴾

ب	: لقرب الاسناد .	عد	: للعقائد .
بشا	: لبشارة المصطفى .	عدة	: للعدة .
تم	: لفلاح السائل .	عم	: لاعلام الورى .
ثو	: لثواب الاعمال .	عين	: للعيون و المحاسن .
ج	: للاحتجاج .	غر	: للفرر والدرر .
جا	: لمجالس المفيد .	غط	: لغيبة الشيخ .
جش	: لفهرست النجاشى .	غو	: لغوالى اللثالى .
جع	: لجامع الاخبار .	ف	: لتحف العقول .
جم	: لجمال الاسبوع .	فتح	: لفتح الابواب .
جنة	: للجنة .	فر	: لتفسير فرات بن ابراهيم .
حة	: لفرحة الفرى .	فس	: لتفسير على بن ابراهيم .
ختص	: لكتاب الاختصاص .	فض	: لكتاب الروضة .
خص	: لمنتخب البصائر .	ق	: للكتاب العتيق الغروى .
د	: للعدد .	قب	: لمناقب ابن شهر آشوب .
سر	: للسرائر .	قبس	: لقبس المصباح .
سن	: للمحاسن .	قضا	: لقضاء الحقوق .
شا	: للارشاد .	قل	: لاقبال الاعمال .
شف	: لكشف اليقين .	قية	: للدروع .
شى	: لتفسير العياشى .	ك	: لاكمال الدين .
ص	: لقصص الانبياء .	كا	: للكانى .
صا	: للاستبصار .	كش	: لرجال الكشى .
صبا	: لمصباح الزائر .	كشف	: لكشف الغمة .
صح	: لصحيفة الرضا <small>عليه السلام</small> .	كف	: لمصباح الكفعمى .
ضا	: لفقه الرضا <small>عليه السلام</small> .	كنز	: لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .
ضوء	: لضوء الشهاب .	ل	: للخصال .
ضه	: لروضة الواعظين .	لد	: للبلد الامين .
ط	: للصراط المستقيم .	لى	: لامالى الصدوق .
طا	: لامان الاخطار .	م	: لتفسير الامام <small>عليه السلام</small> .
طاب	: لطب الائمة .	ما	: لامالى الشيخ .
ع	: لعمل الشرائع .	محص	: للتحصيل .
عا	: لدعائم الاسلام .		

رموز الكتاب

مد :	للمعدة .	نهج :	لنهج البلاغة .
مص :	لمصباح الشريعة .	ني :	لغيبية النعماني .
هصبا :	للمصباحين .	هد :	للهداية .
مع :	لمعاني الاخبار .	يب :	للتهذيب .
مكا :	لمكارم الاخلاق .	يج :	للخرائج .
مل :	لكامل الزيارة .	يد :	للتوحيد .
منها :	للمنهاج .	ير :	لبصائر الدرجات .
مهج :	لمهج الدعوات .	يف :	للطرائف .
ن :	لعيون أخبار الرضا <small>عليه السلام</small> .	يل :	للفضائل .
نبه :	لتنبيه الخاطر .	ين :	لكتابي الحسين بن سعيد ، اول كتابه والنوادر .
نجم :	لكتاب النجوم .	يه :	لمن لا يحضره الفقيه .
نص :	للكفاية .		



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿باب ١٩﴾

﴿عفو الله تعالى وغفرانه وسعة رحمته ونعمه على العباد﴾

الآيات البقرة ٢٠ «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكانتم من الخاسرين ٦٤
«وقال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» في موضعين ١٧٣ و ١٨٢ «وقال تعالى :
والله رؤوف بالعباد ٢٠٧ «وقال تعالى : «والله غفور رحيم ٢١٨ «وقال تعالى : «والله
يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ٢٢١ «وقال
تعالى : «والله غفور حلیم ٢٢٥ «وقال تعالى : «فإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢٦ «وقال :
واعلموا أنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥ «وقال : «ولكنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٥١ .

آل عمران ٣ «والله رؤوف بالعباد ٣٠ «وقال تعالى : «قل إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٧٣ - ٧٤
«وقال تعالى : «والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
غفور رحيم ١٢٩ «وقال : «والله ذو فضل على المؤمنين ١٥٢ «وقال : «ولقد عفا الله عنهم
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥ «وقال تعالى : «والله ذو فضل عظيم ١٧٤ .

النساء ٤ «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ٢٣ «وقال : «والله غفور رحيم ٢٥ «وقال :
والله يريد أن يتوب عليكم ٢٧ «وقال : «يريد الله أن يخفف عنكم ٢٨ «وقال : «إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ٢٩ «وقال : «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً ٤٣ «وقال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ
أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ٤٨ «وقال : «لوجدوا الله تواباً رَحِيماً ٦٤
«وقال : «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ٩٩ .

المائدة «٥» فإن الله غفور رحيم ٣ «وقال» : يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ١٨
«وقال تعالى» : فاعلموا أن الله غفور رحيم ٣٤ «وقال تعالى» : ألم تعلم أن الله له ملك
السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ٤٠ .
الانعام «٦» فقل ربكم ذورحة واسعة ١٤٧ .

الاعراف «٧» قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها
للذين يتقون ١٥٦ .

الأنفال «٨» قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ٣٨ .

التوبة «٩» استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ٨٠ «وقال تعالى» : وآخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور
رحيم ١٠٢ «وقال تعالى» : وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم
والله عليم حكيم ١٠٦ «وقال تعالى» : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للذين
ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ١١٣ «وقال تعالى» :
إن الله بهم رؤوف رحيم ١١٧ «وقال تعالى» : إن الله لا يضيع أجر المحسنين ١٢٠ «وقال تعالى» :
لينجزيه الله أحسن ما كانوا يعملون ١٢١ .

يوسف «١٢» قال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ٩٢ .

ابراهيم «١٤» يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ١٠ .
الحجر «١٥» نبىء عبادي أنني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب
الأليم ٤٩ - ٥٠ .

الاسرى «١٧» ربكم أعلم بكم إن يشأيرحكم أو إن يشأ يعذبكم ٥٤ .

النور «٢٤» ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ١٠ «وقال تعالى» :
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ٢٠ «وقال تعالى» : ألا تحبون أن
يغفر الله لكم والله غفور رحيم ٢٢ .

القصص «٢٨» من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين
عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ٨٤ .

الاحزاب «٣٣» وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ٤٧ .
 فاطر «٣٥» ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن
 يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ٤٥ .
 الزمر «٣٩» قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن
 الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ٥٣ .
 المؤمن «٤٠» إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ٦١ .
 حمعسق «٤٢» ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور ٢٣ .
 الفتح «٤٨» ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و
 كان الله غفوراً رحيماً ١٤ .

الحجرات «٤٩» والله غفور رحيم ٥ .
 النجم «٥٣» إن ربك واسع المغفرة ٣٢ .
 الحديد «٥٧» وإن الله بكم لرؤف رحيم ٩ «وقال تعالى» : ويغفر لكم والله غفور
 رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله
 يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ٢٨ - ٢٩ .

١ - ن : القطبان والنقاش والطالقاني ، عن أحمد الهمداني ، عن علي بن الحسن
 ابن فضال ، عن أبيه قال : قال الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل : «إن أحسنتم أحسنتم
 لأنفسكم وإن أسأتم فلها» قال : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها رب
 يغفر لها . «ص ١٦٣»

بيان : قيل : اللام بمعنى على ، أي إن أسأتم فعلى أنفسكم ، وقيل : أي فلها
 الجزاء والعقاب ، وما في الخبر مبني على الاكتفاء ببعض الكلام وهو شائع .

٢ - ما : المفيد ، عن عمر بن محمد ، عن الحسين بن إسماعيل ، عن عبد الله بن شبيب
 عن أبي العينا ، عن محمد بن مسعر قال : كنت عند سفيان بن عيينة فجاءه رجل فقال له : روي
 عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : إن العبد إذا أذنب ذنباً ثم علم أن الله عز وجل يطالع عليه
 غفرله ؛ فقال ابن عيينة : هذا كتاب الله عز وجل قال الله تعالى : «وما كنتم تستترون أن

يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون و ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم^(١)، فإذا كان الظن هو المردي كان ضده هو المنجي . «ص ٣٣»

٣ - ما : المفيد ، عن الحسين بن علي بن محمد ، عن أحمد بن محمد المقرئ ، عن يعقوب بن إسحاق ، عن عمرو بن عاصم ، عن معمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي^(٢) ، عن جندب^(٣) الغفاري أن رسول الله ﷺ قال : «إن رجلاً قال يوماً : والله لا يغفر الله لفلان ؛ قال الله عز وجل : من ذا الذي تآلى على أن لا أغفر لفلان ؟ فآتني قد غفرت لفلان ، وأحبطت عمل المتآلي بقوله : لا يغفر الله لفلان . «ص ٣٦-٣٧»

بيان : قال الجزري : فيه : من يتآلى على الله يكذبه أي من حكم عليه وحلف كقولك : والله ليدخلن الله فلاناً النار ، و هو من الألية : اليمين ، يقال : آلى يؤلي إيلاءاً ، وتآلى يتآلى تآلياً ، والاسم الألية ، ومنه الحديث : من المتآلي على الله ؟ .

٤ - ما : المفيد ، عن الحسين بن محمد التمار ، عن محمد بن القاسم الأنباري ، عن أبيه ، عن الحسين بن سليمان الزاهد قال : سمعت أبا جعفر الطائي الواعظ يقول : سمعت وهب ابن منبه يقول : قرأت في زبور داود أسطراً : منها ما حفظت ، ومنها ما نسيت ، فما حفظت قوله : يا داود اسمع مني ما أقول - والحق أقول - من أتاني وهو يحبني أدخلته الجنة ،

(١) حم السجدة : ٢٢ - ٢٣ أرداكم أي أهلككم ، نسب الهلاك إلى الظن لانه كان سبباً لهلاكهم ، وإنما أهلكهم الله سبحانه جزاءً أ على أفسالهم القبيحة ، وظنونهم السيئة .

(٢) بفتح النون وسكون الهاء ، هو عبد الرحمن بن مل - بلام ثقيلة والميم مثناة - قال ابن حجر في التقريب : مشهور بكنيته ، مخضرم ، من كبار الثانية ، ثقة ، ثبت ، عابد ، مات سنة ٩٥ وقيل : بعدها ، وعاش ١٣ سنة ، وقيل : أكثر .

(٣) بضم الجيم ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، هو جندب بن جنادة ، أبوذر الغفاري ، الصحابي الكبير ، أول من حيى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحية الاسلام ، وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أضلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أبوذر في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده و ورعه . و مناقبه كثيرة جداً ، نفاه عثمان إلى الربذة فمات فيها سنة ٣٢ و صلى عليه ابن مسعود ، له خطبة يشرح فيها الامور بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

يا داود اسمع مني ما أقول - والحق أقول - من أتاني وهو مستحي من المعاصي التي عصاني بها غفرتها له و أنسيته حافظيه ، يا داود اسمع مني ما أقول - والحق أقول - من أتاني بحسنة واحدة أدخلته الجنة . قال داود : يا رب وما هذه الحسنة ؟ قال : من فرّج عن عبد مسلم ؛ فقال داود : إلهي لذلك لا ينبغي لمن عرفك أن ينقطع ^(١) رجاءه منك . «ص ٦٥»

٥ - ما : المفيد ، عن الجعابي ، عن ابن عقدة ، عن جعفر بن محمد بن هشام ، عن محمد بن إسماعيل البرّاز ، عن إلياس بن عامر ، عن أبان بن عثمان ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إذا دخل أهل الجنة الجنة بأعمالهم فأين عتقاء الله من النار ؟ ^(٢) «ص ١١٢»

٦ - ين : فضيل بن عثمان ، عن أبي عبيدة قال : قلت : جعلت فداك ادع الله لي فإن لي ذنوباً كثيرة ، فقال : مه يا أبا عبيدة لا يكون الشيطان عوناً على نفسك ، ^(٣) إن عفوالله لا يشبهه شيء .

٧ - ين : ابن محبوب ، عن الثمالي ، عن أبي إسحاق قال : قال علي عليه السلام لأحد ثنكم بحديث ، يحق على كل مؤمن أن يعيه ، ^(٤) فحدثنا به غداة و نسيناه عشية ، قال : فرجعنا إليه فقلنا له : الحديث الذي حدثتنا به غداة نسيناه وقلت : هو حق كل مؤمن أن يعيه فأعده علينا ، فقال : إنه ما من مسلم يذنب ذنباً فيعفو الله عنه في الدنيا إلا كان أجلاً وأكرم من أن يعود عليه بعقوبة في الآخرة ، وقد أجّله في الدنيا ، وتلا هذه الآية : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » . ص ٩٤

٨ - ما : ابن مخلّد ، عن الرزّاز ، عن محمد بن الهيثم القاضي ، عن محمد بن إسماعيل بن

(١) في المصدر : كذلك لا ينبغي لمن عرفك ان ينقطع .

(٢) في المصدر بعد ذلك : ان الله عتقاً من النار . م

(٣) أي عوناً على هلاك نفسك يأسك و قنوطك عن رحمة الله .

(٤) أي جذير لكل مسلم وحقيق عليه أن يقبله ويتدبره ويحفظه .

عبّاس ، عن أبيه ، عن صمصم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد قال : كان جبير بن نفير ^(١) يحدث أن رجلاً سألوا النوّاس بن سمعان ^(٢) فقالوا : ما أرجى شيء سمعت لنا من رسول الله ﷺ ؟ فقال النوّاس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات وهو لا يشرك بالله عز وجل شيئاً فقد حلت له مغفرته ، إن شاء أن يغفر له ؛ قال نوّاس عند ذلك : إنني لأرجو أن لا يموت أحد تحلّ له مغفرة الله عز وجل إلا غفر له . «ص ٢٤٩-٢٥٠»

٩ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن البرقي ، عن محمد بن بكر ، عن زكريّا بن محمد ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي ﷺ : قال الله جلّ جلاله : من أذنب ذنباً فعلم أن لي أن أعتبه و أن لسي أن أعفو عنه عفوت عنه . «ص ١٧٣»

سن : أبي ، عمّن ذكره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم مثله . «ص ٢٧»

١٠ - ين : بعض أصحابنا ، عن حنّان بن سدير ، عن رجل يقال له : روزبه ، و كان من الزيدية ، عن الثمالي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ما من عبد يعمل عملاً لا يرضاه الله إلا ستره الله عليه أولاً ، فإذئني ستر الله عليه ، فإذا نلت أهبط الله ملكاً في صورة آدمي يقول للناس : فعل كذا وكذا .

١١ - شي : عن حسين بن هارون - شيخ من أصحاب أبي جعفر - عنه عليه السلام قال : سمعته يقرأ هذه الآية : « وآتيكم من كلّ ما سألتموه » قال : ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام : الثوب والشيء لم تسأله إياه أعطاك .

١٢ - يج : قال أبو هاشم : سمعت أبا محمد يقول : إن الله ليغفر يوم القيامة عفواً يحيط على العباد ، ^(٣) حتّى يقول أهل الشرك : « والله ربّنا ما كنّا مشركين » فذكرت

(١) بالنون والفاء مصفراً ، هو جبير بن نفير بن مالك الحضرمي ، وثقه ابن حجر وقال : جليل من الثانية ، مخضرم ولا يه صحبة ، مات سنة ٨٠ وقيل : بعدها .

(٢) بالنون المفتوحة والواو المشددة ، هو ابن سمعان بن خالد الكلابي أو الانصاري ، صحابي مشهور ، سكن الشام ، قاله ابن حجر . و يوجد ذكره في باب أصعاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رجال الشيخ .

(٣) في الخرائج المطبوع هكذا : عفواً لا يخطر على بال العباد .

في نفسي حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا من أهل مكة : أن رسول الله ﷺ قرأ^(١) : « إن الله يغفر الذنوب » فقال الرجل : و من أشرك ؟^(٢) فأنكرت ذلك و تمنت^(٣) للرجل فأنا أقول في نفسي إذا قبل عليّ فقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » بثسما قال هذا ،^(٤) وبثسما روى ! . « ص ١٠٩ »

١٣- شى : عن أبي معمر السعدي قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله : « إن ربّي على صراط مستقيم » : يعني أنّه على حقّ يجزي بالاحسان إحساناً وبالسيّئ سيّئاً ، ويعفو عمن يشاء ويغفر سبحانه وتعالى .

١٤- نوادر الراوندي : بإسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : إنني لأستحيي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعتدّ بهما .

١٥- دعوات الراوندي : روي أن في العرش تمثالاً لكلّ عبد فإذا اشتغل العبد بالعبادة رأت الملائكة تمثاله ، وإذا اشتغل العبد بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتى يحجبوه بأجنحتهم لئلا تراه الملائكة ، فذلك معنى قوله ﷺ : يا من أظهر الجميل وستر القبيح .

١٦- وقال الصادق عليه السلام : سمعت الله يقول : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » أفتراك يجمع بين أهل القسمين في دار واحدة وهي النار ؟ .

١٧- عدة : عن النبي ﷺ قال : ينادي مناد يوم القيامة تحت العرش : يا أمة محمد ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم ، وقد بقيت التبعات^(٥) بينكم فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي .

أقول : سيأتي الأخبار في ذلك في أبواب الحشر .

فائدة : قال العلامة الدواني في شرح العقائد : المعتزلة والخوارج أوجبوا عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بالتوبة ، وحرّموا عليه العفو ، واستدلّوا عليه بأن الله تعالى

(١) في المصدر : قد قرأ . م (٢) في نسخة : ومن المشرك .

(٣) أي تنكرت وتغيرت . وفي الخرائج المطبوع : وهمزت للرجل ، وانتهرت الرجل خ ل .

(٤) في المصدر : قال ذلك الرجل . م

(٥) التبعة : ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر ، إلا أن استعماله في الشراء أكثر ، وهو المراد ههنا .

أو عدم تركب الكبيرة بالعقاب ، فلولم يعاقب لزم الخلف في وعده والكذب في خبره ، وهما محالان . ثم قال بعد ذكر أ جوبة مردودة : الوجه في الجواب ما أشرنا إليه سابقاً من أن الوعد والوعيد مشروطان بقيود وشروط معلومة من النصوص ، فيجوز التخلف بسبب انتفاء بعض تلك الشروط ، وأن الغرض منها إنشاء الترغيب والترهيب .

ثم قال : واعلم أن بعض العلماء ذهب إلى أن الخلف في الوعد جائز على الله تعالى ، وممن صرح به الواحدي في التفسير الوسيط في قوله تعالى في سورة النساء : " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم " ^(١) الآية ، حيث قال : والأصل في هذا أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعد وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد ، وبهذا وردت السنة عن رسول الله ﷺ فيما أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الإصبهاني ، حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، وأبو جعفر السلمي ، وأبو يعلى الموصلي قالوا : حدثنا هدية بن خالد ، حدثنا سهل بن أبي حزم ، حدثنا ابن الميالي ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار .

وأخبرنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة ، حدثنا أحمد بن الخليل الأصمعي ، قال : جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء وقال : يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده ؟ قال : لا قال : أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً أيخلف الله وعيده فيه ؟ فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت يا أبا عثمان ، إن الوعد غير الوعيد ، إن العرب لا يعد عيباً ولا خلفاً أن يعد شراً ثم لم يفعله ، بل يرى ذلك كرمًا وفضلاً ، وإنما الخلف أن يعد خيراً ثم لم يفعله . ^(٢) قال : فأوجدني هذا العرب ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :

(١) النساء : ٩٣ .

(٢) وهذا مما اشتبه فيه الأمر على أبي عمرو فعد حكم المعنى حكماً للفظ حتى أنشد فيه الشعر مع أن البحث عقلي لا لفظي وإي ربط لمسألة خلف الوعيد باللفظ حتى يختلف الحكم بالعربية والعجمية ؛ ولهذا الاشتباه نظائر كثيرة في الأبحاث الكلامية يشرع عليه المتتبع ؛ وحقيقة الأمر أن الوفاء بالوعد واجب بحسب قضاء الفطرة غير أن كرامة النفس ونشر الرحمة ربما يحكمان على هذا الحكم بحسب المصلحة فيقدمان عليه أنرا وهو العفو عند المجازاة من غير أن يطلا أمر الأمر والنهي حتى يعود إلى التناقض أو ما يشبهه فافهم ذلك . ط

وإنني إذا أوعدته أو وعدته ☆ لمخلف إيعادي ومنجز مواعيدي
والذي ذكره أبو عمرو ومذهب الكرام ، ومستحسن عند كل أحد خلف الوعيد ،
كما قال السري الموصلي :

إذا وعد السرّاء أنجز وعده ☆ وإن أوعد الضراء فالعفو مانعه
وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال : الوعد والوعيد حق ، فالوعد
حق العباد على الله تعالى ، إذ من ضمن أنهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا فالوفاء حقهم
عليه ، ومن أولى بالوفاء من الله ؟ والوعيد حق على العباد ، قال : لا تفعلوا كذا فأعذبكم ،
ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنّه حقه وهو أولى بالعفو والكرم ، إنّه غفور
رحيم . انتهى لفظه .

وقيل : إن المحققين على خلافه ، كيف وهو تبديل للقول ؟ وقد قال الله تعالى « ما يبدل
القول لدي وما أنا بظلام للعبيد » . (١)

قلت : إن حمل آيات الوعيد على إنشاء التهديد فلا خلف لأنّه حينئذ ليس خبراً
بحسب المعنى ، وإن حمل على الإخبار كما هو الظاهر فيمكن أن يقال : بتخصيص المذنب
المغفور عن عموماً الوعيد بالدلائل المنفصلة ، ولا خلف على هذا التقدير أيضاً ، فلا يلزم
تبدل القول ؛ وأما إذا لم نقل بأحد هذين الوجهين فيشكل التفصي عن لزوم التبدل
والكذب ، اللهم إلا أن يحمل آيات الوعيد على استحقاق ما أوعده ، لا على وقوعه
بالفعل وفي الآية المذكورة إشارة إلى ذلك حيث قال : « فجزأؤهم جهنم خالداً فيها » انتهى .
وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في كتاب العيون والمحاسن : حكى أبو القاسم
الكعبي في كتاب الغرر عن أبي الحسين الخياط قال : حدّثني أبو مجالد قال : مرّ
أبو عمرو بن العلاء بعمر بن عبيد وهو يتكلّم في الوعيد قال : إنّما أتيتكم من العجّة لأنّ
العرب لا يرى ترك الوعيد ذمّاً ، وإنّما يرى ترك الوعد ذمّاً ، وأنشد :

وإنني وإن أوعدته ووعدته ☆ لا خلف إيعادي وأُنجز مواعيدي
قال : فقال له عمرو : أفليس تسمي تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ؛ قال : فتسمي

الله تعالى مخلفاً إذا لم يفعل ما أو عده؟ قال: لا، قال: فقد أبطلت شهادتك.

قال الشيخ رحمه الله: ووجدت أبا القاسم قد اعتمد على هذا الكلام واستحسنه ورأيته قد وضعه في أماكن شتى من كتبه، واحتج به على أصحابنا الراجئة؛ فيقال له إن عمرو بن عبيد ذهب عن موضع الحجّة في الشعر، وغالط أبا عمرو بن العلاء، وجهل موضع المعتمد من كلامه وذلك أنّه إذا كانت العرب والعجم وكلّ عاقل يستحسن العفو بعد الوعيد ولا يعلقون بصاحبه ذمّاً فقد بطل أن يكون العفو من الله تعالى مع الوعيد قبيحاً لأنّه لو جاز أن يكون منه قبيحاً ما هو حسن في الشاهد عند كلّ عاقل لجاز أن يكون منه حسناً ما هو قبيح في الشاهد عند كلّ عاقل، وهذا نقض العدل والمصير إلى قول أهل الجور والجبر؛ مع أنّه إذا كان العفو مستحسنًا مع الخلف فهو أولى بأن يكون حسناً مع عدم الخلف، ونحن إذا قلنا: إن الله سبحانه يعفو مع الوعيد فإنّما نقول: إنّّه توعّد بشرط يخرج من الخلف في وعيده لأنّه حكيم لا يعث؛ وإذا كان حسن العفو في الشاهد منّي يغمر قبح الخلف حتّى يسقط الذمّ عليه، وهو لو حصل في موضع لم يجزيه العفو، أو ما حصل في معناه من الحسن لكان الذمّ عليه قائماً، ويجعل وجود الخلف كعدمه في ارتفاع اللوم عليه فهو في إخراج الشرط المشهور عن القبح إلى صفة الحسن وإيجاب الحمد والشكر لصاحبه أخرى وأولى من إخراج الخلف عمّا كان يستحقّ عليه من الذمّ عند حسن العفو وأوضح في باب البرهان، وهذا بين لمن تدبّره.

وشيء آخر وهو أنّنا لا نطلق على كلّ تارك للإيعاد الوصف بأنّه مخلف لأنّه يجوز أن يكون قد شرط في وعيده شرطاً أخرجه به عن الخلف، وإنّ أطلقنا ذلك في البعض فلا حاطة العلم به، أو عدم الدليل على الشرط فنحكم على الظاهر، فإن كان أبو عمرو بن العلاء أطلق القول في الجواب إطلاقاً فإنّما أراد به الخصوص دون العموم، وتكلّم على معنى البيت الذي استشهد به، وما رأيت أعجب من متكلّم يقطع على حسن معنى مع مضامته لقبيح ويجعل حسنه مسقطاً للذمّ على القبيح، ثمّ يمتنع من حسن ذلك المعنى مع تعرّيه من ذلك القبيح ثمّ يفتخر بهذه النكتة عند أصحابه ويستحسن احتجاجه المؤدّي إلى هذه المناقضة، ولكنّ العصيّة ترين القلوب.

﴿باب ٢٠﴾

﴿التوبة وأنواعها و شرائطها﴾

الآيات ، البقرة «٢» فتلقى آدم من ربه كلمات ^(١) فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ٣٧ «وقال تعالى» : وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ٥٤ «وقال» : وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ١٢٨ «وقال تعالى» : إلا الذين تابوا وأصلحوا ويتوبون فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ١٦٠ «وقال تعالى» : إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ٢٢٢ «وقال تعالى» : وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم ٢٧٩ .

آل عمران «٣» ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ٨٩ «وقال تعالى» : ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ١٢٨ . النساء «٤» ، واللذان يأتيانها منك فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهم إن الله كان تواباً رحيماً ✽ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيماً ✽ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفاراً أولئك أعتدنا لهم عذاباً اليماً ١٦-١٨ «وقال تعالى» : يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ✽ والله يريد أن يتوب عليكم ٢٦-٢٧ «وقال تعالى» : إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ١٤٦ .

المائدة «٥» ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم ✽ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ٣٣-٣٤ «وقال تعالى» : فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن

(١) تلقى الكلمات : استقبلها بالآخذ والقبول والعمل بها ، أي أخذها من ربه على سبيل الطاعة ورغب إلى الله فيها . وياتي تفسير الكلمات في محله .

الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ٣٩ « وقال تعالى : وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصمّوا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصمّوا كثير منهم والله بصير بما يعملون ٧١ » وقال تعالى : أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ٧٤ .

الانعام ٦ « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ٥٤ .

الاعراف ٧ « فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ١٤٣ « وقال تعالى : و الذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ١٥٣ .

التوبة ٩ « فإن تبتم فهو خير لكم ٣ « وقال تعالى : فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ٥ « وقال تعالى : فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين « وقال عز وجل : ويتوب الله على من يشاء ١٥ « وقال تعالى : فإن يتوبوا يك خيراً لهم ٧٤ « وقال سبحانه : و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ١٠٢ « وقال جل شأنه : ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ١٠٤ « وقال تعالى : و آخرون مرجون لأمر الله إمّا يعدّ بهم وإمّا يتوب عليهم ١٠٦ « وقال سبحانه : التائبون العابدون ١١٢ « وقال تعالى : ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ١١٧ « وقال سبحانه : ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ١١٨ .

هود ١١ « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى و يؤت كل ذي فضل فضله ٣ « وقال تعالى - ناقلاً عن هود - : ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ٥٢ « وقال - ناقلاً عن صالح عليه السلام - : فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ٦١ .

النحل « ٦ » ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ١١٩ .

مريم « ١٩ » إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ٦٠ .

طه « ٢٠ » وإنني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ٨٢ « وقال سبحانه » : ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى ١٢٢ .

النور « ٢٤ » إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ٥ « وقال سبحانه » : ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ١٠ « وقال تعالى » : وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ٣١ .

الفرقان « ٢٥ » إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ٧٠-٧١ .
القصص « ٢٨ » قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ١٦ « وقال تعالى » : فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين ٦٧ .

التنزيل « ٣٢ » قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ٢٩ .
الاحزاب « ٣٢ » ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً ٢٤ « وقال تعالى » : ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً ٧٣ .

الزمر « ٣٩ » وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ٥٤ .

المؤمن « ٤٠ » غافر الذنب وقابل التوب ٣ « وقال تعالى » : فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ٧ .

حمعق « ٤٢ » وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ٢٥ .

الاحقاف «٤٦» إنني تبت إليك وإنني من المسلمين ١٥ .

الحجرات «٤٩» ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ١١ « وقال تعالى : « واتقوا الله إن الله تواب رحيم ١٢ .

المجادلة «٥٨» فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم ١٣ .

التحریم «٦٦» إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ^(١) ٤ « وقال تعالى : « قانتان تائبات ه « وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ٨ .

المزمل «٧٣» علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ٢٠ .

البروج «٨٥» إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ١٠ .

النصر «١١٠» واستغفره إنّه كان تواباً ٣ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : « إلا الذين تابوا » أي ندموا على ما قدّموا وأصلحوا نيّاتهم فيما يستقبل من الأوقات ، « ويدينوا » اختلف فيه : فقال أكثر المفسرين : يدينوا ما كتموه من البشارة بالنبى ﷺ ، وقيل : يدينوا التوبة وإصلاح السريرة بالإظهار لذلك ، فإن من ارتكب المعصية سرّاً كفاه التوبة سرّاً ، ومن أظهر المعصية يجب عليه أن يظهر التوبة . وقيل : يدينوا التوبة بإصلاح العمل « فأولئك أتوب عليهم » أي أقبل توبتهم « وأنا التواب الرحيم » هذه اللفظة للمبالغة ، إمّا لكثرة ما يقبل التوبة ، وإمّا لأنه لا يرد تائباً منيباً أصلاً ، ووصفه نفسه بالرحيم عقيب التواب يدل على أن إسقاط العقاب بعد التوبة تفضّل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله أصحابنا ، وإنه غير واجب عقلاً على ما ذهب

(١) قال الطبرسي رحمه الله : ثم خاطب سبحانه عائشة وحفصة فقال : « إن تتوبا إلى الله » من التعاون على النبی صلی الله علیه وآله وسلم بالایذاء والتظاهر علیه فقد حق علیكما التوبة ووجب علیكما الرجوع إلى الحق ؛ فقد « صغت » أي مالت « قلوبكما » إلى الاثم عن ابن عباس ومجاهد . وقيل : معناه : ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الثواب إلى ما يوجب الاثم . وقيل : تقديره : إن تتوبا إلى الله يقبل توبكما . وقيل : إنه شرط فى معنى الامر ، أى توبا إلى الله فقد صغت قلوبكما .

إليه المعتزلة ؛ فإن قالوا : قد يكون الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب والعوض لما كان منعماً بالتكليف وبالآلام التي يستحقُّ بها الأَعْوَاضَ جاز أن يطلق عليهما اسم النعمة ؛ فالجواب أن ذلك إنما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ، ولا ضرورة ههنا تدعو إلى ارتكابه .

وقال رحمه الله في قوله تعالى « إنما التوبة » : معناه لا توبة مقبولة على الله ، أي عند الله إلا « للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه : أحدها أن كل معصية يفعلها العبد جهالة وإن كانت على سبيل العمد لأنه يدعو إليها الجهل ويزينها للعبد ، عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام .

وثانيها أن معنى قوله تعالى : « بجهالة » أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة ، عن الفرّاء .

و ثالثها أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاص فيفعلونها ، إما بتأويل يخطؤون فيه ، وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي . وضعف الرمياني هذا القول لأنه بخلاف ما أجمع عليه المفسرون ، ولأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبة لأن قوله : « إنما التوبة » يفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم . وقال أبو العالية وقتادة أجمعت الصحابة على أن كل ذنب أصابه العبد فجهالة . وقال الزجاج : إنما قال : بجهالة لأنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال فهو جهل في الاختيار ومعنى « يتوبون من قريب » أي يتوبون قبل الموت لأن ما بين الإنسان وبين الموت قريب ، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت . وقال الحسن والضحاك وابن عمر : القريب ما لم يعاين الموت . وقال السدي : هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت .

وروي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قيل : فإن عاد وتاب مراراً ؟ قال : يغفر الله له ؛ قيل : إلى متى ؟ قال : حتى يكون الشيطان هو المحسور . وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال : قال رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها : من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ، ثم قال : وإن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ، ثم قال

و إن الشهر لكثير من تاب قبل موته يوم تاب الله عليه ، ثم قال : و إن يوماً لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال : و إن الساعة لكثيرة ، من تاب و قد بلغت نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - تاب الله عليه . «ص ٣٢»

وروى الثعلبي بإسناده عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ هذا الخبر بعينه إلا أنه قال في آخره : و إن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر بها تاب الله عليه .
و روى أيضاً بإسناده عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : لما هبط إبليس قال : وعزتك و جلالك و عظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده ؛ فقال الله سبحانه : و عزتي و جلالتي و عظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها .
« فأولئك يتوب الله عليهم » أي يقبل توبتهم ، « و كان الله عليماً » بمصالح العباد « حكيماً » فيما يعاملهم به ، « و ليست التوبة » المقبولة التي تنفع صاحبها « للذين يعملون السيئات » أي المعاصي ويصرّون عليها ويسوفون التوبة « حتى إذا حضر أحدهم الموت » أي أسبابه : من معاينة ملك الموت ، وانقطع الرجاء من الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها أحد غير المحتضر « قال إنني تبت الآن » أي فليس عند ذلك توبة . وأجمع أهل التأويل على أن هذه قد تناولت عصاة أهل الإسلام ، إلا ما روي عن الربيع أنه قال : إنها في المنافقين ، و هذا لا يصح لأن المنافقين من جملة الكفار ، وقد بين الكفار بقوله : « ولا الذين يموتون وهم كفّار » أي و ليست التوبة أيضاً للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت « أولئك أعتدنا » أي هيباًنا « لهم عذاباً أليماً » أي موجعاً . إنما لم يقبل الله عز اسمه التوبة في حال البأس واليأس من الحياة لأنه يكون العبد ملجئاً هناك إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجاً من حد التكليف إذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم ، وإذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ، و لهذا لم يكن أهل الآخرة مكلفين ولا تقبل توبتهم . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول : قال بعض المفسرين : ومن لطف الله بالعباد أن أمرقابض الأرواح بالابتداء في نزاعها من أصابع الرجلين ، ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر ، ثم تنتهي إلى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى ، والوصية والتوبة ما

لم يعاين والاستحلال وذكر الله تعالى ، فيخرج روحه و ذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته ، رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه .

قوله تعالى : " قل يوم الفتح " قال المفسرون : أي يوم القيامة فإنه يوم نصر المسلمين على الكفرة ، والفصل بينهم . و قيل : يوم بدر ، أو يوم فتح مكة ، والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون .

ثم أعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير التوبة النصوح على أقوال :

منها أن المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها ، لظهور آثارها الجميلة في صاحبها ، أو ينصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود إليها أبداً .

ومنها أن النصوح ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم ، غسل نصوح : إذا كان خالصاً من الشمع ، بأن يندم على الذنوب لقبحها ، و كونها خلاف رضى الله تعالى لا لخوف النار مثلاً .

ومنها أن النصوح من النصيحة وهي الخياطة لأنها تنصح من الدين ما مزقته الذنوب ، أو يجمع بين التائب وبين أوليائه وأحبائه ، كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب . (١)

ومنها أن النصوح وصف للتائب ، وإسناده إلى التوبة من قبيل الإسناد المجازي أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ما ينبغي أن تكون عليه ، حتى تكون قالة لا تار الذنوب من القلوب بالكليّة ، و سيأتي في الأخبار تفسيرها ببعض تلك الوجوه .

(١) أو من نصح الغيث البلد : إذا سقاه حتى اتصل نبتة فلم يكن فيه فضاء ، لأن التوبة تسقى وتحبب القلب الميت بارتكاب المعاصي والمحرمات ، وتصفيه من الكدورات العارضة من مزاولة القبائح والمنكرات ، وتصقله وتجعله عن رين الشبهات ، فتحيط به وتشغله ولم تترك فيه محلاً للعزم على الرجوع ، والعود إلى المحظور . وقيل : توبة نصوح أي صادقة . وقال البزري في النهاية : وفي حديث أبي : سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن التوبة النصوح ، فقال : هي الخالصة التي لا يعاود بعدها الذنب . و فعول من أبنية المبالغة يقع على الذكر والانشئ ، فكان الإنسان بالغ في نصحه نفسه بها .

ثم أعلم أن من القوم من استدلّ بالخبر الذي نقله من الفقيه على جواز النسخ قبل الفعل لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ نسخ السنة بالشهر، والشهر باليوم؛ وفيه نظر إذ يمكن أن يكون هذا التدرّج لبيان اختلاف مراتب التوبة، فإن التوبة الكاملة هي ما كانت قبل الموت بسنة ليأتى منه تدارك لما فات منه من الطاعات، وإزالة لما أثرت فيه الذنوب من الكدورات والظلمات، ثم إن لم يتأت منه ولم يمهل لذلك فلا بد من شهر لتدارك شيء مما فات، وإزالة قليل من آثار السيئات وهكذا؛ وأما توبة وقت الاحتضار فهي لأهل الاضطراب. والغرغرة: تردّ دالماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق، والمراد هنا تردّد الروح وقت النزاع.

١- ك: أبي، عن سعد، وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أيوب بن نوح، عن الربيع ابن محمد المسلمي: وعبد الله بن سليمان العامري، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ما زالت الأرض إلا والله تعالى ذكره فيها حجة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله عز وجل، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلقت أبواب التوبة، ولم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة، أولئك شرار من خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة. «ص ١٣٣»

٢- ك: علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن بكير، عن أبي عبد الله، أو عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يارب سلّط عليّ الشيطان وأجرته منّي مجرى الدم^(١) فاجعل لي شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك أن من هم من

(١) روى العامة أيضاً (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) قال بعضهم: ذهب قوم ممن ينتمى إلى ظاهر العلم إلى أن المراد به أن الشيطان لا يفارق ابن آدم مادام حياً، كما لا يفارقه دمه، وحكى هذا عن الأزهري، وقال: هذا طريق ضرب المثل، والجمهور من علماء الأمة أجروا ذلك على ظاهره، وقالوا: إن الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق إلى بواطن الأدمى بلطافة هيئته، لمحنة الابتلاء، ويجرى في العروق التي هي مجارى الدم من الأدمى إلى أن يصل إلى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف إيمان العبد وقلة ذكره وكثرة غفلته، ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه إلى باطنه بمقدار قوة إيمانه ويقظته ودوام ذكره وإخلاص عمله، وما رواه المفسرون عن ابن عباس قال: (إن الله جعل الشياطين من بنى آدم مجرى الدم، وصدور بنى آدم مساكن لهم) •

ذريتك بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة ، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة ، وإن هو عملها كتبت له عشرأ . قال : يا رب زدني ، قال : جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له ، قال : يا رب زدني ، قال : جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة^(١) حتى تبلغ النفس هذه ؛ قال : يا رب حسبي . «ج ٢ ص ٤٤»
 ين : ابن أبي عمير مثله .

٣ - يه : سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن» قال : ذلك إذا عاين أمر الآخرة . «ص ٣٢»

٤ - كا : العدة ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال : إن السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ؛ ثم قال : إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ؛ ثم قال : إن الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ؛ ثم قال : إن اليوم لكثير^(٢) من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته . «ج ٢ ص ٤٤»
 ٥ - دعوات الراوندي : قال النبي صلى الله عليه وآله إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشتغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه .

٦ - ف ، لى : عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا شفيع أنجح من التوبة .

«ص ٩٣ ، ص ١٩٣»

• يؤيد لما ذهب إليه الجمهور ، وهم يسمون وسوسته لمة الشيطان . ومن الطرافة تعالى أنه هيأ ذوات الملائكة على ذلك الوصف من أجل لطافتهم ، وأعطاهم قوة الحفظ لبنى آدم وقوة الالمام في بواطنهم وتلقين الخير لهم في مقابلة لمة الشيطان ، كما روى أن للملك لمة بابن آدم ، وللشيطان لمة ، لمة الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق ، ولمة الشيطان إبعاد بالشر وتكذيب بالحق . قاله المصنف في شرحه على الكافي .

(١) في الكافي : أوقال : بسطت .

(٢) في المصدر : إن يوماً لكثير . م

٧ - لى : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن المغيرة ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مر عيسى بن مريم عليه السلام على قوم يبكون فقال : على ما يبكي هؤلاء ؟ فقيل : يبكون على ذنوبهم ، قال : فليدعوها يغفر لهم . «ص ٢٩٧»

٨ - لى : أبي ، عن محمد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحاق ، عن علي بن مهزيار ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن خالد ، عن ابن المغيرة مثله . «ص ١٢٩»

٨ - فسى : الحسين بن محمد ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : يتوب العبد ثم لا يرجع فيه ، وأحب^(١) عباد الله إلى الله المتقي التائب .^(٢) «ص ٦٨٨»

٩ - لى : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن علي الجهمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كفى بالندم توبة . «ج ١ ص ١١»

بيان : إذا الندامة الصادقة تستلزم العزم على الترك في المستقبل غالباً ، أو المعنى أنه فرد من التوبة وإن لم يؤثر ما تؤثر التوبة الكاملة .

١٠ - لى : حمزة العلوي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن معبد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : يلزم الحق لأمتي في أربع : يحبون التائب ، ويرحمون الضعيف ، ويعينون المحسن ، ويستغفرون للمذنب .^(٣) «ج ١ ص ١١٤»

١١ - لى : أبي ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن الحلبي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن المؤمن لا تكون سجيته^(٤) الكذب ، ولا البخل ، ولا الفجور ، ولكن ربما ألم^(٥) بشيء من هذا لا يدوم عليه . فقيل له :

(١) في المصدر : وإن أحب .

(٢) في نسخة : المفتن التواب . وفي أخرى : المتقى التائب .

(٣) في نسخة : للذنب .

(٤) السجية : الطبيعة والخلق .

(٥) ألم : باشر اللوم أي صفار الذنوب .

أفيزني؟ قال نعم، هو مفتن تواب، ولكن لا يولد له من تلك النطفة. «ج ١ ص ٦٤»

١٢ - ل : العسكري، عن بدر بن الهيثم، عن علي بن منذر، عن محمد بن الفضيل عن أبي الصباح قال : قال جعفر بن محمد عليه السلام : من أُعطي أربعاً لم يحرم أربعاً : من أُعطي الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أُعطي الاستغفار لم يحرم التوبة، ومن أُعطي الشكر لم يحرم الزيادة، ومن أُعطي الصبر لم يحرم الأجر. «ج ١ ص ٩٤»

١٣ - ل : العطار : عن سعد، عن البرقي، عن أبيه، عن يونس، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم : من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال : الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال : أستغفر الله وأتوب إليه. «ج ١ ص ١٠٥-١٠٦»

١٤ - ل : الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : توبوا إلى الله عز وجل وادخلوا في محبته، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، والتواب تواب. «ج ٢ ص ١٦٢»

١٥ - ن : بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله عز وجل أعظم من ذلك، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة تائبة. «ص ١٩٨»

صح : عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام مثله.

١٦ - ن : بالإسناد إلى دارم، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التائب من الذنب كمن لا ذنب له. «ص ٢٣٠»

١٧ - ما : المفيد، عن محمد بن الحسين المقرئ، عن عبد الله بن محمد البصري، عن عبد العزيز بن يحيى، عن موسى بن زكريا، عن أبي خمال، عن الميني، عن الشيباني قال

سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : العجب ممن يقنط ومعه الممحة ! ف قيل له : وما الممحة ؟ قال : الاستغفار . « ص ٥٤ »

١٨ - ما : بإسناد أخى دعبل ، عن الرضا ، عن آباءه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام تعطروا بالاستغفار لاتفضحكم روائح الذنوب . « ص ٢٣٧ »

١٩ - مع : أبي ، عن سعد ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن فضال ، عن ابن عقبة ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل « تم تاب عليهم » قال : هي الاقالة . ^(١) « ص ٦٥ »

٢٠ - مع : أبي ، عن محمد العطار ، عن الأشعري ، عن أحمد بن هلال قال : سألت أبا الحسن الأخير عليه السلام عن التوبة النصوح ما هي ؟ فكتب عليه السلام : أن يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك . « ص ٥٤ »

٢١ - مع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن موسى بن القاسم ، عن البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : هو صوم الأربعاء ^(٢) والخميس والجمعة . « ص ٥٤ »
قال الصدوق رحمه الله : معناه أن يصوم هذه الأيام ثم يتوب .

٢٢ - مع : ابن المتوكل ، عن علي بن إبراهيم ، عن اليقطيني ، عن يونس ، عن عبدالله بن سنان وغيره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : التوبة النصوح هو أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل . « ص ٥٤ »

٢٣ - وقد روي أن توبة النصوح ^(٣) هو أن يتوب الرجل من ذنب وينوي أن لا يعود إليه أبداً . « ص ٥٤ »

٢٤ - فس : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه »

(١) أى هى الصفح عنه والاعراض عن ذنبه .

(٢) فى المصدر : يوم الاربعاء ويوم فى الخميس ويوم فى الجمعة . م

(٣) فى المصدر . ان التوبة النصوح . م

ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » قال : من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته ، و من قتل نبياً أو وصي نبي فلا توبة له لأنه لا يكون مثله فيقاد به ، ^(١) وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنه مسلم فإذا دخل في الإسلام محاه الله عنه لقول رسول الله ﷺ : الإسلام يجب ما كان قبله - أي يمحو - لأن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله ^(٢) فإذا قبلت توبته في الشرك قبلت فيما سواه ؛ فأما قول الصادق عليه السلام ليست له توبة فإنه عني من قتل نبياً أو وصياً فليست له توبة لأنه لا يقاد أحد بالأنبياء وبالأوصياء إلا الأوصياء والأنبياء ، والأنبياء والأوصياء لا يقتل بعضهم بعضاً ، وغير النبي والوصي لا يكون مثل النبي والوصي فيقاده ؛ وقاتلهم لا يوفق بالتوبة . « ص ١٢٦ » .

٢٥ - ع ، ن : ابن عبدوس ، عن ابن قتيبة ، عن حمدان بن سليمان ، عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال : قلت للرضا عليه السلام : لأي علة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده ؟ قال : لأنه آمن عند رؤية البأس ، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول ، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف ، قال الله عز وجل : « فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا » وقال عز وجل : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » و هكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » ف قيل له : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » الخبر « ص ٣١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ »

٢٦ - لى : الطالقاني ، عن أحمد الهمداني ، عن أحمد بن صالح ، عن موسى بن داود ، عن الوليد بن هشام ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، عن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال : دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً فسلم فرد عليه السلام ثم قال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله إن بالباب شاباً

(١) في النهاية : أي لا يكون مثله فيقتل به بدلا منه . م

(٢) في المصدر : إلا أن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله . م

طري الجسد، ^(١) نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الشكلي على ولدها، يريد الدخول عليك؛ فقال النبي ﷺ: ادخل علي الشاب يا معاذ؛ فأدخله عليه فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لأبكي وقد ركبته ذنوباً ^(٢) إن أخذني الله عز وجل ببعضها أدخلني نار جهنم؟ ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً؛ فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربّي شيئاً؛ قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟ قال: لا، فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، ^(٣) فقال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق؛ فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي، قال: فإنّها أعظم من ذلك؛ قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان ثم قال: ويحك ^(٤) يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان ربّي ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبي الله من كل عظيم؛ فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثم سكّ الشاب فقال له النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى أخبرك: إنني كنت أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجردة على شفير قبرها، ومضيت منصرفاً

(١) طري النصف أو اللحم: كان غضاً لنا فهو طري.

(٢) أي اقترفتها.

(٣) الرواسي: الجبال الثابت الرواسخ.

(٤) كلمة أرحم وتوَجَّع، وقدياً تني بمعنى المدح والتعجب، وقيل: إنها بمعنى الويل؛ تقول:

ويح لزيد، وويحاً لزيد، وويحه؛ على الابتداء أو باضمار فعل، كأنك قلت: ألزمه الله ويحاً.

فأتاني الشيطان فأقبل يزيّنهنّ لي ، ويقول : أمارى بطنها وبياضها ؟ أمارى وركبها ؟^(١)
فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها ، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها وتركتها
مكانها ، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول : يا شابّ ويل^(٢) لك من ديمان يوم الدين ،
يوم يقفني وإياك كماتركتني عريانة في عساكر الموتى ، ونزعتنى من حفرتي وسلبتنى
أكفاني ، وتركتني أقوم جنباً إلى حسابي . فويل لشبابك من النار ! . فما أظنّ أنّي
أشمّ ريح الجنّة أبداً فمارى لي يا رسول الله ؟ فقال النبي ﷺ : تنحّ عني يا فاسق ؛
إنّني أخاف أن أحترق بنارك ، فما أقربك من النار ! ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه
حتّى أمعن من بين يديه ، فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ثمّ أتى بعض جبالها فتعبّد
فيها ، ولبس مسحاً^(٣) وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ، ونادى : ياربّ هذا عبدك بهلول ،^(٤)
بين يديك مغلول ، ياربّ أنت الذي تعرفني ، وزلّ منّي ما تعلم سيّدي ! ياربّ أصبحت^(٥)
من النادمين ، وأتيت نبيّك تابئاً فطرّدني وزادني خوفاً ، فأسألك باسمك وجلالك
وعظمة سلطانك أن لا تخيب رجائي ؛ سيّدي ! ولا تبطل دعائي ، ولا تقنطنى من رحمتك .
فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة ، تبكي له السباع والوحوش ، فلمّا تمتّ له
أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهمّ ما فعلت في حاجتي ؟ إن كنت
استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيّك ، وإن لم تستجب لي دعائي ولم
تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجلّ بنار تحرقني ، أو عقوبة في الدنيا تهلكني ،
وخلصني من فضيحة يوم القيامة . فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ : « والذين
إذا فعلوا فاحشةً ، يعني الزنا » أو ظلموا أنفسهم » يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا ،

(١) الورك بالفتح والكسر وكثف : مافوق الفخذ ، والجمع أوداك .

(٢) الويل : حلول الشر . الهلاك . ويدعى به لمن وقع فيهلكة يستحقها ، وكلمة عذاب وواو في
جهنم ، أو بئر أو باب لها .

(٣) بكسر الميم وسكون السين ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد .

(٤) لعله بمعنى المبتهل والمتضرع ، أو بمعنى الملعون ، أو كان الرجل يسمى بذلك . وأما ما في

المعاجم وكتب اللغة من أنه بمعنى الضحك والسيد الجامع لكل خير فلا يناسب المقام .

(٥) في المصدر : انى أصبحت . م

ونبش القبور ، وأخذوا كفان « ذكر والله فاستغفروا لذنوبهم » يقول : خافوا الله فعجلوا التوبة « ومن يغفر الذنوب إلا الله » يقول عز وجل : أتاك عبيد يا محمد تائباً فطردته ، فأين يذهب ؟ وإلى من يقصد ؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري ؟ ثم قال عز وجل : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » يقول : لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الألفان « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسم ، فقال لأصحابه : من يداني على ذلك الشاب التائب ؟ فقال معاذ : يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين ، مغلولاً يده إلى عنقه ، قد اسود وجهه ، وتساقطت أشعار عينيه من البكاء ، وهو يقول : سيدي : قد أحسنت خلقي وأحسنيت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي ؟ أفي النار تحرقني ؟ أوفي جوارك تسكنني ؟ اللهم إنك قد أكثرت الإحسان إليّ وأنعمت عليّ ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري ؟ إلى الجنة تزفني ؟ ^(١) أم إلى النار تسوقني ؟ اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم ، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة ؟ فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحشو التراب على رأسه ^(٢) وقد أحاطت به السباع ! وصفت فوقه الطير ! وهم يبكون لبكائه ! فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه ، وقال : يا بهلول ! أبشر فإنك عتيق الله من النار . ثم قال ﷺ لأصحابه : هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول . ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة . « ص ٢٦-٢٩ »

٢٧ - ما : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ قال : كان غلام من اليهود يأتي النبي ﷺ كثيراً حتى استخفّه وربما أرسله في حاجته ، وربما كتب له الكتاب إلى قومه ،

(١) من ذف العروس إلى زوجها أي أهداها .

(٢) أي يصب التراب على رأسه .

فافتقده أيتاماً ؛ فسأل عنه فقال له قائل : تركته في آخر يوم من أيام الدنيا ؛ فأتاه النبي ﷺ في أناس من أصحابه - و كان له عليهما بركة لا يكلم أحداً إلا أجابه - فقال : يا فلان ^(١) ففتح عينه وقال : لبيك يا أبا القاسم ؛ قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنني رسول الله ؛ فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ، ثم ناداه رسول الله ﷺ ثانية وقال له مثل قوله الأول ، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه ؛ فقال : إن شئت فقل وإن شئت فلا ؛ فقال الغلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ؛ ومات مكانه . فقال رسول الله ﷺ لأبيه : أخرج عنا ، ثم قال ﷺ لأصحابه : اغسلوه وكفنوه ، وآتونني به أصلي عليه ؛ ثم أخرج وهو يقول : الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار . «ص ٢٨٠»

٢٨ - ف : عن كميل بن زياد قال : قلت لأمر المؤمنين عليهما السلام : يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الاستغفار ؟ قال يابن زياد : التوبة ؛ قلت : بس ؟ ^(٢) قال : لا ، قلت : فكيف ؟ قال : إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول : استغفر الله - بالتحريك ، قلت : وما التحريك ؟ قال : الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة ، قلت : وما الحقيقة ؟ قال : تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه ؛ قال كميل : فإذا فعل ذلك فإنه من المستغفرين ؟ ^(٣) قال : لا ، قال كميل : فكيف ذاك ؟ قال : لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد ، قال كميل : فأصل الاستغفار ما هو ؟ قال : الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه ، وهي أول درجة العابدين ، وترك الذنب ؛ والاستغفار اسم واقع لمعان ست :

أولها الندم على ماضى ؛ والثاني العزم على ترك العود أبداً ؛ والثالث أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم ؛ والرابع أن تؤدّي حق الله في كل فرض ؛ والخامس أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ، ثم

(١) في المصدر : يا غلام . م

(٢) أي حسب وكفاية ؛ كلمة مأخوذة من الفارسية .

(٣) في المصدر : فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين ؟ م

تنشيء فيما بينهما لحماً جديداً ؛ والسادس أن تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي . «ص ١٩٧»

٢٩ - عدة : روي عن العالم عليه السلام أنه قال : والله ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله عز وجل ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين ؛ والله تعالى لا يعذب عبداً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه ، وتقصيره في رجائه لله عز وجل ، وسوء خلقه ، واغتيابه المؤمنين . الخبر .

٣٠ - ثو : ابن المتوكل ، عن محمد بن جعفر ، عن موسى بن عمران ، عن الحسين بن يزيد ، عن البطائني ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود النبي على نبيينا وآله وعليه السلام : يا داود إن عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحى مني عند ذكره غفرت له ، وأنسيته الحفظة ، وأبدلته الحسنة ، ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين . «ص ١٢٥»

٣١ - ثو : أبي ، عن أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن معاوية ابن وهب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبه الله ، فستر عليه في الدنيا والآخرة ، قلت : وكيف يستر عليه ؟ قال : ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ، وأوحى إلى جوارحه : اكتمى عليه ذنوبه ، وأوحى إلى بقاع الأرض : اكتمى عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب ؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب . ^(١) «ص ١٦٥-١٦٦»

٣٢ - ثو : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن أبي الخطّاب ، عن ابن أسباط ، عن يحيى بن بشير ، عن المسعودي قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من تاب تاب الله عليه ، وأمرت جوارحه أن تستر عليه ، وبقاع الأرض أن تكتم عليه ، وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه . ^(٢) «ص ١٧٣»

٣٣ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن سلمة يسمع

(١) في المصدر : عليه بالذنوب . م

(٢) في نسخة : ما كانت كتبت عليه .

السابري، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تاب في سنة تاب الله عليه ، ثم قال : إن السنة لكثيرة ، ثم قال : من تاب في شهر تاب الله عليه ، ثم قال : إن الشهر لكثير ، ثم قال : من تاب في يومه تاب الله عليه ، ثم قال : إن يوماً لكثير ، ثم قال : من تاب إذا بلغت نفسه هذه - يعني حلقه - تاب الله عليه . «ص ١٧٣»

ين : ابن أبي عمير ، عن سلمة ، عن جابر ، عنه عليه السلام مثله .

٣٤ - ثو : ماجيلويه ، عن علي ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن لله عز وجل فضلاً من رزقه ينحله من يشاء من خلقه ،^(١) والله باسط يديه عند كل فجر لمذنب الليل هل يتوب فيغفر له ؟ و يبسط يديه^(٢) عند مغيب الشمس لمذنب النهار هل يتوب فيغفر له ؟ . «ص ١٧٣ - ١٧٤»

٣٥ - سن : أبي رفعه قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! إن الذنوب ثلاثة ، ثم أمسك ، فقال له حبة العرنى :^(٣) يا أمير المؤمنين^(٤) فسرّ هالي ، فقال : ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها ، ولكنه عرض لي بهر^(٥) حال بيني وبين الكلام ؛ نعم الذنوب ثلاثة : فذنوب مغفور ؛ و ذنب غير مغفور ؛ و ذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه . قيل : يا أمير المؤمنين فبيننا لنا ، قال : نعم ، أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله أحكم وأكرم أن يعاقب عبده مرتين ، و أمّا الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم

(١) أي يعطيه من يشاء .

(٢) بسط اليد هنا كناية عن البذل والإعطاء .

(٣) هو حبة - بالحاء المفتوحة والباء المشددة المفتوحة - ابن جوين - بالنون مصغراً كما في رجال الشيخ و تقريب ابن حجر ؛ أو بالراء كما في القاموس - أبو قدامة العرنى - بضم العين المهملة وفتح الراء ، منسوب إلى عرينة كجهينة قبيلة من العرب - عده الشيخ والعلامة وغيرهما من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن ، وقال ابن حجر في التقریب بعد عنوانه وضبطه : صدوق ، له أغلاط ، وكان غالباً في التشيع ، من الثانية ، مات سنة ست و قيل : تسع وسبعين .

(٤) في المصدر : يا أمير المؤمنين قلت : الذنوب ثلاثة ثم أمسكت ؛ فقال له : ما ذكرتها اهـ م

(٥) البهر بضم الباء وسكون الهاء : انقطاع النفس من الاعياء .

لبعض ، إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال : وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّ بكفّ ، ولو مسح بكفّ ، ونطحة^(١) ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجماء ؛ فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض ، حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة ، ثمّ يبعثهم الله إلى الحساب ؛ وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده و رزقه التوبة فأصبح خاشعاً من ذنبه ، راجياً لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجوه الرحمة ونخاف عليه العقاب . «ص ٧»

بيان : لعلّ المراد بالكفّ أولاً المنع و الزجر ، و بالثاني اليد ؛ و يحتمل أن يكون المراد بهماماً اليد أي تضرّر كفّ إنسان بكفّ آخر بغمز وشبهه ، أو تلذّذ كفّ بكفّ ؛ والمراد بالمسحة بالكفّ ما يشتمل على إهانة و تحقير أو تلذّذ ؛ و يمكن حمل التلذّذ في الموضوعين على ما إذا كان من امرأة ذات بعل ، أو قهراً بدون رضی الممسوح ، ليكون من حقّ الناس ؛ والجماء : التي لا قرن لها . قال في النهاية : فيه : إن الله ليدين الجماء من ذوات القرن . الجماء التي لا قرن لها . ويدين أي يجزي انتهى .
وأما الخوف بعد التوبة فلعله لاحتمال التقصير في شرائط التوبة .

٣٦ - ف : عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . «ص ٤٥٦»

٣٧ - ينج : روي أن أبا جعفر عليه السلام كان في الحجّ ومعه ابنه جعفر عليه السلام فأتاه رجل فسلم عليه و جلس بين يديه ثمّ قال : إنني أريد أن أسألك ، قال : سل ابني جعفرأ ، قال : فتحول الرجل فجلس إليه ثمّ قال : أسألك ؛ قال : سل عما بدالك ، قال : أسألك عن رجل أذنب ذنباً عظيماً ، قال : أفطر يوماً في شهر رمضان متعمداً ؛ قال : أعظم من ذلك ، قال : زنى في شهر رمضان ؛ قال : أعظم من ذلك ، قال : قتل النفس ؛ قال : أعظم من ذلك ، قال : إن كان من شيعة علي عليه السلام مشى إلى بيت الله الحرام وحلف أن لا يعود ، و إن لم يكن من شيعة فلا بأس ؛ فقال له الرجل : رحمكم الله يا ولد فاطمة - ثلاثاً - هكذا

(١) نطح النور ونحوه : أصابه بقرنه .

سمعت من رسول الله ﷺ . ثم إن الرجل ذهب فالتفت أبو جعفر فقال : عرفت الرجل ؟ قال : لا ، قال : ذلك الخضر إنما أردت أن أعرف فكه .

بيان ، لعل في الخبر سقطاً و إنما أوردته كما وجدته ، و يحتمل أن يكون السائل غرضه السؤال عن حال من جمع بين تلك الأعمال ، ويكون سؤاله ﷺ على الإعجاز ، لعلمه بالمراد ، ويكون المراد بالجواب أن المقتول إن كان من الشيعة فليمش إلى البيت لكمال قبول التوبة و إلا فلا بأس ، ولو كان الضمير راجعاً إلى القاتل فلا بد من ارتكاب تكلف في قوله ﷺ : فلا بأس به .

٣٨ - مص : قال الصادق ﷺ : التوبة حبل الله ومدد عنايته ، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال ، و كل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر ، و توبة الأصفياء من التنفيس ، و توبة الأولياء من تلوين الخطرات ، و توبة الخاص من الاشتغال بغير الله ، و توبة العام من الذنوب ؛ ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته و منتهى أمره ، و ذلك يطول شرحه ههنا ، فأما توبة العام فإن يغسل باطنه بماء الحسرة ، والاعتراف بالجناية دائماً ، واعتقاد الندم على ماضى ، والخوف على ما بقى من عمره ، ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل ، ويديم البكاء والأسف على مافات من طاعة الله ، ويحبس نفسه عن الشهوات ، ويستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ، ويعصمه عن العود إلى ما سلف ، ويروض نفسه في ميدان الجهد والعبادة ، ويقضي عن الفوائت من الفرائض ، ويرد المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، ويسهر ليله ، و يظماً نهاره ، و يتفكر دائماً في عاقبته ، ويستهيى بالله سائلاً منه الاستقامة في سرائره و ضرائره ، ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين ، فإن في ذلك طهارة من ذنوبه ، وزيادة في عمله ، ورفعة في درجاته ، قال الله عز وجل : « وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

بيان : من التنفيس أي بغير ذكر الله ، وفي بعض النسخ على بناء التفعيل من تنفيس الهم أي تفريجه أي من الفرح والنشاط ، والظاهر أنه مصحف ؛ وتلوين الخطرات : إخطار الأمور المتفرقة بالبال ، وعدم اطمينان القلب بذكر الله .

٣٩ - شى : عن أبي عمرو الزيري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : رحم الله عبداً لم يرض من نفسه أن يكون إبليس نظيراً له في دينه ؛ وفي كتاب الله نجاة من الردى ، وبصيرة من العمى ، و دليل إلى الهدى ، وشفاء لما في الصدور ، فيما أمركم الله به من الاستغفار مع التوبة قال الله : « و الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » وقال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » فهذا ما أمر الله به من الاستغفار ، واشترط معه بالتوبة والإقلاع عما حرم الله ، فإنه يقول : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وهذه الآية تدل على أن الاستغفار لا يرفعه إلا الله إلا العمل الصالح والتوبة .

٤٠ - شى : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » قال : الإصرار أن يذنب العبد ولا يستغفر ولا يحدث نفسه بالتوبة ، فذلك الإصرار .

٤١ - شى : عن أبي عمرو الزيري ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإنني لغفار لمن تاب و آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » قال : لهذه الآية تفسير ، يدل ذلك التفسير على أن الله لا يقبل من عمل عملاً إلا ممن لقيه بالوفاء منه بذلك التفسير ، وما اشترط فيه على المؤمنين ، وقال : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » يعني كل ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه ، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى - يحكي قول يوسف لإخوته - : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون » فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله .

٤٢ - شى : عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنني تبت الآن » قال : هو الفرار تاب حين لم ينفعه التوبة ولم يقبل منه .

٤٣ - شى : عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا بلغت النفس هذه - وأهوى بيده إلى حنجرته - لم يكن للعالم توبة ، وكانت للجاهل توبة .
ين : ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عنه عليه السلام مثله .

بيان : ظاهره الفرق بين العالم والجاهل في قبول التوبة عند مشاهدة أحوال الآخرة وهو مخالف لما ذهب إليه المتكلمون من عدم قبول التوبة في ذلك الوقت مطلقاً ، وعدم الفرق في التوبة مطلقاً بين العالم والجاهل ، ويمكن توجيهه بوجهين : الأول أن يكون المراد بالعالم من شاهد أحوال الآخرة ، وبالجاهل من لم يشاهدها لأن بلوغ النفس إلى الحنجرة قد ينفك عن المشاهدة .

الثاني : أن يكون المراد نفي التوبة الكاملة عن العالم في هذا الوقت دون الجاهل ، مع حمل تلك الحالة على عدم المشاهدة ، إذا العالم غير معذور في تأخيرها إلى هذا الوقت .

٤٤ - شئ : عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : كان إبليس أول من ناح ، وأول من من تغنى ، وأول من حدا ؛ قال : لما أكل آدم من الشجرة تغنى ، قال : فلما أهبط حدا به ، قال : فلما استقر على الأرض ناح فأذكره ما في الجنة ، فقال آدم : رب ! هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة ، لم أقو عليه وأنا في الجنة ، وإن لم تغني عليه أم أقو عليه ؛ فقال الله : السيئة بالسيئة ، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ؛ قال : رب زدني ، قال : لا يولد لك ولد إلا جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه ، قال : رب زدني ، قال : التوبة معروضة^(١) في الجسد مادام فيها الروح ، قال : رب ! زدني ، قال : أغفر الذنوب ولا أبا لي ، قال حسبي .

٤٥ - شئ : عن أبي عمرو الزيري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت ، فإن التوبة مطهرة من دنس الخطيئة ، ومنقذة من شفا^(٢) الهلكة ، فرض الله بها على نفسه لعباده الحين ، فقال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم و من يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » .

(١) في نسخة : مفروضة .

(٢) شفا كعصا : طرف كل شئ وجانبه ، ويضرب به المثل في القرب من الهلاك .

٤٦ - م : أتى أعرابي النبي ﷺ فقال : أخبرني عن التوبة إلى متى تقبل ؟ فقال ﷺ : إن بابها مفتوح لابن آدم لا يسد حتى تطلع الشمس من مغربها ، و ذلك قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » وهي طلوع الشمس من مغربها « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .

٤٧ - شى : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - في قوله : إنه كان للأوليين غفوراً - : قال : هم التوابون المتعبدون .

٤٨ - شى : عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل : بأبي و أمي إنني أدخل كنيفاً لي ولي جيران ، وعندهم جوار يتغنين و يضربن بالعود ، فربما أطلت الجلوس استماعاً مني لهن ، فقال : لا تفعل ، فقال الرجل : و الله ما هو شيء ، آتية برجلي إنما هو سماع أسمع به بأذني ! فقال له : أنت أما سمعت الله : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ؟ قال : بلى والله ، فكأنني لم أسمع هذه الآية قط من كتاب الله من عجمي ولا من عربي ، لا جرم^(١) إنني لأعود إن شاء الله ، وإنني أستغفر الله فقال له : قم فاغتسل وصل ما بدالك ، فإنك كنت مقيماً على أمر عظيم ما كان أسوأ حالك لو مت على ذلك ! أحمد الله وسله التوبة من كل ما يكره ، إنه لا يكره إلا القبيح^(٢) ، والقبيح دعه لأهله فإن لكل أهلاً .

٤٩ - ين : بعض أصحابنا ، عن علي بن شجرة ، عن عيسى بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : ما من مؤمن يذنب ذنباً إلا أجّل سبع ساعات ، فإن استغفر الله غفر له ، وإنه ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة فيستغفر الله فيغفر له ، وإن الكافر لينسى ذنبه لئلا يستغفر الله .

٥٠ - هـ : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن ابن عقدة ، عن محمد بن الفضل بن إبراهيم

(١) لا جرم بفتح الجيم والراء ، أو بضم الجيم وسكون الراء ، أو ككرم أى لابد ، أو لامعالة أو حقاً ، وقد تحول إلى معنى القسم فيقال : لا جرم لأفعلن .

(٢) فى نسخة : إلا كل القبيح .

الأشعري ، عن علي بن حسان ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن الصادق ، عن آبائه عن الحسن بن علي عليه السلام في خبر طويل احتج فيه على معاوية قال : فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي والله للمؤمن أنفع ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه أبي طالب - وهو في الموت - : قل لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له و بعد إلا ما يكون منه على يقين ، و ليس ذلك لأحد من الناس كلهم غير شيخنا - أعني أبا طالب - يقول الله عز وجل : «وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً » الخبر . «ص ١٤»

بيان . اعل هذا للإلزام على العامة لقولهم بكفر أبي طالب عليه السلام ؛ ويحتمل أن يكون المراد أنه لما كان السؤال في ذلك الوقت مع علمه صلى الله عليه وآله بإيمانه لعلم الناس بإيمانه ، فلولم يكن للإيمان في هذا الوقت فائدة لم يحصل الغرض .

٥١ - جمع : قال النبي صلى الله عليه وآله : التائب إذا لم يستب أثراً للتوبة فليس بتائب : يرضي الخصماء ، ويعيد الصلوات ، ويتواضع بين الخلق ، ويتقي نفسه عن الشهوات ، ويهزل رقبتة بصيام النهار ، ويصفر لونه بقيام الليل ، ويخمس بطنه ^(١) بقلّة الأكل ، ويقوس ظهره من مخافة النار ، ويذيب عظامه شوقاً إلى الجنة ، ويرق قلبه من هول ملك الموت ، ويجفف جلده على بدنه بتفكير الأجل ، فهذا أثر التوبة ، وإذا رأيت العبد على هذه الصورة فهو تائب ناصح لنفسه .

٥٢ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتدرون من التائب ؟ قالوا : اللهم لا ؛ قال : إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب ، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير رفقاءه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير مجلسه ^(٢) فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير فراشه ووسادته ^(٣) فليس بتائب

(١) خمس بطنه : فرغ وضمر .

(٢) في نسخة : مجلسه وطعامه .

(٣) مثلثة الواو : المخذة أو أعم منها كما في لغة الشعالي ، فانه قال : المصدغة والمخذة .

ومن تاب ولم يغير خلقه ونيته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يقصر أمله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يقدم^(١) فضل قوته من بدنه فليس بتائب ؛ وإذا استقام على هذه الخصال فذاك التائب .

٥٣ - نبه : جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » قال : الإصرار أن يذنب ولا يحدث نفسه بتوبة ، فذاك الإصرار .

٥٤ - سيف بن يعقوب ،^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام : المقيم على الذنب وهو منه مستغفر كالمستهزئ .

٥٥ - ابن فضال عمن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين : أن يقرؤا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم .

٥٦ - وعنه عليه السلام قال : والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به .^(٣)

٥٧ - وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أذنب ذنباً وهو ضاحك، دخل النار وهو باك .

٥٨ - نهج : ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة ، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة ، ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة .

٥٩ - نهج : قال عليه السلام - لقائل بحضرته : أستغفر الله - : ثكلتك أمك ، أتدري ما الاستغفار ؟ إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستمة معان ، أولها الندم

* للرأس : المنبذة التي تنبذ أي تطرح للزائر وغيره . النمرقة واحدة النمارق وهي التي تصف ، - وقد نطق بها القرآن - المسند : الوسادة التي يستند إليها ، المسورة : التي يتكأ عليها ، الحسابنة ماصغر منها ، الوسادة تجمعها كلها .

(١) في النسخ كلها : « ولم يقدم » بالقاف ، ولعله بالفاء من قولهم : قدم الابريق وعلى الابريق وضع القدم عليه ، والقدم مصفاة صغيرة أو خرقة تجعل على فم الابريق ليصفي بهامفيه .

(٢) الظاهر : يوسف بن يعقوب .

(٣) يأتي الحديث مسنداً تحت رقم ٦٦ عن الاحمسي عن ذكره .

على ما مضى ؛ والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً ؛ والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس^(١) ليس عليك تبعة ؛ والرابع أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدّي حقها ؛ والخامس أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت^(٢) فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد ؛ والسادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : أستغفر الله .

بيان : ما سوى الأولين عند جمهور المتكلمين من شرائط كمال التوبة كما ستعرف .

٦٠ - نهج : وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير

العمل ، ويرجى التوبة^(٣) بطول الأمل - وساق الكلام إلى أن قال عليه السلام : إن عرضت له شهوة أسلف المعصية ، وسوف التوبة^(٤) .

٦١ - نهج : وقال عليه السلام : من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً : من أعطى الدعاء لم يحرم

الإجابة ، ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول ، ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة ؛ وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه ؛ قال الله عز وجل في الدعاء : « ادعوني أستجب لكم » وقال في الاستغفار : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » وقال في الشكر : « إن شكرتم لأزيدنكم » وقال في التوبة : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً » .

ها : الحسين بن إبراهيم ، عن محمد بن وهبان ، عن محمد بن أحمد بن زكريا ،

عن الحسن بن فضال ، عن علي بن عتبة ، عن أبي كهمش ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله .^(٥) (ص ٧٤)

(١) الأملس : ضد الغشن ، قال ابن ميثم : استعار لفظ الأملس لنفااء الضعيفة من الآثام .

(٢) بالضم : المال من كسب حرام ، و قال الثعالبي في فقه اللغة : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار كمن الكلب فهو سحت .

(٣) يرجى . بالتشديد أى يؤخر المعصية .

(٤) أسلف : قدم ؛ وسوف : أخر . والوعظة بتمامه في ص ١٨١ من ج ٢ ط مصر .

(٥) إلى قوله : وتصديق ذلك الله .

٦٢ - نهج : وسئل عليه السلام عن الخير ما هو ؟ فقال : ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ، ^(١) ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ؛ ولا خير في الدنيا إلا لرجلين : رجل أذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الخيرات . ^(٢) ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل ؟ .

٦٣ - ين : النضر ، عن ابن سنان ، عن حفص قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً إلا أجله الله سبع ساعات من النهار ، فإن هوتاب لم يكتب عليه شيئاً وإن لم يفعل كتبت عليه سيئة ؛ فأتاه عباد البصري فقال له : بلغنا أنك قلت : ما من عبد يذنب ذنباً إلا أجله الله سبع ساعات من النهار ؟ فقال : ليس هكذا قلت ، ولكني قلت : ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً إلا أجله الله سبع ساعات من نهاره ؛ هكذا قلت .

٦٤ - ين : فضالة ، عن القاسم بن يزيد ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن من أحب عباد الله إلى الله المفتسن التواب ^(٣) .

٦٥ - ين : ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من عمل سيئة أجل فيها سبع ساعات من النهار ، فإن قال : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم » ثلاث مرات لم يكتب عليه .

٦٦ - ين : ابن أبي عمير ، عن علي الأحمسي ، عن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال : والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به .

٦٧ - ين : علي بن المغيرة ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبيدة الحذاء ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام : ألا إن الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل ضلّت راحلته في أرض قفر وعليها طعامه وشرابه ، فيبينما هو كذلك لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه حتى وضع رأسه لينام فأتاه آت فقال له : هل لك في راحلتك ؟ قال : نعم ، قال : هوذه

(١) في نسخة : علمك وعملك .

(٢) الظاهر أن ما يأتي بعد كلام آخر له ، وليس ملحقاتاً بما قبله .

(٣) في نسخة : المحسن التواب .

فأقبضها ، فقام إليها فقبضها ؛ فقال أبو جعفر عليه السلام : والله أفرح بتوبة عبده حين يتوب من ذلك الرجل حين وجد راحلته .^(١)

٦٨ - كذا : العدة ، عن البرقي ، عن محمد بن علي ، عن محمد بن الفضيل ، عن الكناني قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه . قال محمد بن الفضيل سألت عنها أبا الحسن عليه السلام فقال : يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ، وأحب العباد إلى الله المفتنون التوابون . « ج ٢ ص ٤٣٢ »

٦٩ - كذا : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيوب ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً ؛ قلت : وأين لم يعد ؟ فقال : يا أبا محمد إن الله يحب من عباده المفتن^(٢) التواب . « ج ٢ ص ٤٣٢ »
ين : ابن أبي عمير مثله .

٧٠ - كذا : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا رفعه قال : إن الله عز وجل أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها : قوله عز وجل : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فمن أحبه الله لم يعد به ، وقوله : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء ، رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » وقوله عز وجل : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب

(١) يأتي الحديث باسناد آخر عن أبي عبيدة تحت رقم ٧٣ .

(٢) قال الجزري في النهاية : « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » قال : فتنوهم بالناو ، أي امتحنوهم وعذبوهم ، ومنه الحديث « المؤمن خلق مفتنا » أي مبتحناً يمتحنه الله بالذنب ثم يترتب ، ثم يعود ثم يتوب ، يقال : فتنته فتننا وفتونا : إذا امتحنه . وقيل فيها : أفتنته أيضاً ؛ وهو قليل .

يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلاًمن تاب وآمن وعملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً . « ج ٢ ص ٤٣٢-٤٣٣ »

٧١ - ٥٥ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة ، أما والله إنَّها ليست إلا لأهل الإيمان . قلت : فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة ؟ فقال : يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله تعالى منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ قلت : فإنَّه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر ؟ فقال : كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، فإنَّك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله . « ج ٢ ص ٤٣٤ » .

٧٢ - ٥٥ : أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن ثعلبة ابن ميمون ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : « وإذا مسهم طائف ^(١) من الشيطان تذكروا فأذاهم مبصرون » قال : هو العبيديهم بالذنوب ثم يتذكروا فيمسك فذلك قوله : « تذكروا فأذاهم مبصرون » . « ج ٢ ص ٤٣٤-٤٣٥ »

٧٣ - ٥٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن أبي عبيدة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنَّ الله تعالى أشدَّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشدَّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها . ^(٢) « ج ٢ ص ٤٣٥ »

٧٤ - ٥٥ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن إسماعيل ، عن عبد الله ابن عثمان ، عن أبي جميلة قال : قال أبو عبد الله : إنَّ الله يحبُّ المفتنَّ التواب ^(٣)

(١) الطوف : المشى حول الشيء ، ومنه الطائف : لمن يدور حول البيت حافظاً ، ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والحادثة وغيرها ، قال تعالى : « إذا مسهم طائف من الشيطان » وهو الذي يدور على الإنسان من الشيطان يريد اقتناصه . قاله الراغب في مفرداته .

(٢) تقدم الحديث باسناد آخر عن أبي عبيدة تحت رقم ٦٧ أبسط من هذا .

(٣) في المصدر : العبد المفتن التواب . م

ومن لا يكون ذلك ^(١) منه كان أفضل . « ج ٢ ص ٤٣٥ » .

٧٥ - ٥٥ : محمد ، عن أحمد ، عن علي بن النعمان ، عن محمد بن سنان ، عن يوسف بن أبي يعقوب يبيع الأرز ، ^(٢) عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزى . « ج ٢ ص ٤٣٥ »
٧٦ - ٥٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن حمران ، عن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن العبد إذا أذنب ذنباً أُجِّل من غداة إلى الليل فإن استغفر الله لم يكتب عليه . « ج ٢ ص ٤٣٧ »
ين : ابن أبي عمير مثله .

٧٧ - ٥٥ : علي ، عن أبيه ، وأبو علي الأشعري ، ومحمد بن يحيى جميعاً ، عن الحسين بن إسحاق ، عن علي بن مهزيار ، عن فضالة ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجَّله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه ، ^(٣) وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة ، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له ، وإن الكافر لينساه من ساعته . « ج ٢ ص ٤٣٧ »

٧٨ - ٥٥ : علي ، عن أبيه ، والعدة ، عن سهل ، ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن محمد بن النعمان الأحول ، عن سلام بن المستنير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء ، فلمّا هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام : أخبرك أطل الله بقاءك لنا وأمتعنا بك ^(٤) : أنا نأتيك فما نخرج

(١) أى المراجعة إلى الذنب بعد التوبة .

(٢) هو يوسف بن السخت ، أورده العلامة في القسم الثاني من الخلاصة وترجمه بقوله : يوسف بن

السخت - بالسين المهملة ، والغاء المعجمة ، والتاء المنقطة فوقها والنقطتين - بصرى ، ضعيف ، مرتفع القول ، استثناء القميون من نوادر الحكمة . انتهى . وأضاف الفاضل المامقاني إلى الضبط ضم السين وسكون الغاء ، وحكى أن الوحيد مال إلى إصلاح حاله .

(٣) في المصدر : عليه شى .

(٤) أى صبرنا نتفع ونلتذ بك زماناً طويلاً .

من عندك حتى ترق قلوبنا ، وتسلو أنفسنا عن الدنيا ، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال . ثم نرج من عندك فإذا صرنا مع الناس التجار أحببنا الدنيا ؛ قال : فقال أبو جعفر عليه السلام : إنما هي القلوب ^(١) مرة تصعب ، ومرة تسهل ؛ ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا : يا رسول الله نخاف علينا النفاق ، قال : فقال : ولم نخاف من ذلك ؛ قالوا : إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدها حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك ، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكادون نحول عن الحالة التي كنا عليها عندك ، حتى كأننا لم نكن على شيء ، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : كلاً إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا ، والله لو تدوموا على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ، ولولا أنكم تذنبن فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم ، إن المؤمن مفتن توأب ، أما سمعت قول الله عز وجل : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقال : « استغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .

« ج ٢ ص ٤٢٣-٤٢٤ »

❦ (اختتام فيه مباحث رائعة) ❦

الاول : في وجوب التوبة ، ولا خلاف في وجوبها في الجملة ، والأظهر أنها إنما تجب لما لم يكفر من الذنوب ، كالكبائر والصغائر التي أصرت عليها ، فإنها ملحقة بالكبائر ، والصغائر التي لم يجتنب معها الكبائر ، فأما مع اجتناب الكبائر فهي مكفرة إذا لم يصر عليها ولا يحتاج إلى التوبة عنها ، لقوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » وسيأتي تحقيق القول في ذلك في باب الكبائر إن شاء الله تعالى . قال المحقق الطوسي قدس الله روحه في التجريد : التوبة واجبة لدفعها الضرر . ولوجوب الندم على كل قبيح أو إخلال بواجب .

(١) قال المصنف قدس سره في شرح الحديث في كتابه مرآت العقول : إنما هي القلوب أي إنما سمي بالقلب لتقلب أحواله ، مرة تصعب مرة تسهل .

وقال العلامة رحمه الله في شرحه : التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية ، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم ، وهي واجبة بالإجماع ، لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك ، ولا تجب من الصغائر المعلوم أنها صغائر ؛ وقال آخرون : إنها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل ؛ وقال آخرون : إنها تجب من كل صغير و كبير من المعاصي ، أو الإخلال بالواجب ، سواء تاب منها قبل أو لم يتب . وقد استدلل المصنف على وجوبها بأمرين : الأول أنها دافعة للضرر الذي هو العقاب أو الخوف فيه ، ودفع الضرر واجب . الثاني أننا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح أو الإخلال بالواجب ؛ إذ عرفت هذا فنقول : إنها تجب من كل ذنب ، لأنها تجب من المعصية لكونها معصية ، ومن الإخلال بواجب لكونه كذلك ، وهذا عام في كل ذنب وإخلال بواجب . انتهى .

أقول : ظاهر كلامه وجوب التوبة عن الذنب الذي تاب منه ، ولعله نظر إلى أن الندم على القبيح واجب في كل حال ، وكذا ترك العزم على الحرام واجب دائماً ؛ وفيه أن العزم على الحرام مالم يأت به لا يترتب عليه إثم ، كما دللت عليه الأخبار الكثيرة ، إلا أن يقول : إن العفو عنه تفضلاً لا ينافي كونه منهياً عنه كالصغائر المكفّرة ، وأما الندم على ما صدر عنه فلا نسلم وجوبه بعد تحقق الندم سابقاً وسقوط العقاب ، وإن كان القول بوجوبه أقوى .

الثاني : اختلف المتكلمون في أنه هل تتبع بعض التوبة أم لا ، والأول أقوى لعموم النصوص وضعف المعارض .

قال المحقق في التجريد : ويندم على القبيح لقبحه ، وإلا انتفت ، وخوف النار إن كان الغاية فكذلك ، وكذا الإخلال ، فلا تصح من البعض ، ولا يتم القياس على الواجب ، ولو اعتقد فيه الحسن صحّت وكذا المستحقر ؛ والتحقيق أن ترجيح الداعي إلى الندم عن البعض يبعث عليه ، إن اشترك الداعي في الندم على القبيح كما في الداعي إلى الفعل ، ولو اشترك الترجيح مشترك وقوع الندم ، وبه يتأول كلام أمير المؤمنين وأولاده

عليهم السلام ، وإلا لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه ، المقيم على صغيرة .
وقال العلامة : اختلف شيوخ المعتزلة هنا فذهب أبو هاشم ^(١) إلى أن التوبة لا تصح
من قبيح دون قبيح ، وذهب أبو علي ^(٢) إلى جواز ذلك ، والمصنف رحمه الله استدل على
مذهب أبي هاشم بأننا قديمتنا بأنه يجب أن يندم على القبيح لقبحه ، ولو لا ذلك لم
تكن مقبولة ، والقبح حاصل في الجميع ، فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه
تائباً عنه لا لقبحه ؛ واحتج أبو علي بأنه لو لم تصح التوبة من قبيح دون قبيح لم يصح
الإتيان بواجب دون واجب ، والتالي باطل ، بيان الشرطية أنه كما يجب عليه ترك
القبيح لقبحه كذا يجب عليه فعل الواجب لوجوبه فلولزم من اشتراك القبائح في القبح
عدم صحة التوبة من بعضها لزم من اشتراك الواجبات في الوجوب عدم صحة الإتيان
بواجب دون آخر ، وأما بطلان التالي فبإجماع ، إذ لا خلاف في صحة صلاة من أخل
بالصوم .

وأجاب أبو هاشم بالفرق بين ترك القبيح لقبحه ، وفعل الواجب لوجوبه بالتعميم في
الأول دون الثاني ، فإن من قال لا آكل الرمانة لحموضتها فإنه لا يقدم على أكل كل
حامض لاتحاد الجهة في المنع ، ولو أكل الرمانة لحموضتها لم يلزم أن يأكل كل رمانة
حامضة فافترقا .

وإليه أشار المصنف رحمه الله ، ولا يتم القياس على الواجب أي لا يتم قياس ترك
القبيح لقبحه على فعل الواجب لوجوبه ، وقد تصح التوبة من قبيح دون قبيح إذا اعتقد
التائب في بعض القبائح أنها حسنة وتاب عما يعتقده قبيحاً ، فإنه تقبل توبته لحصول الشرط
فيه ، وهو ندمه على القبيح لقبحه ، وإذا كان هناك فعلاً أحدهما عظيم القبح والآخر
صغيره وهو مستحق بالنسبة إليه حتى لا يكون معتداً به ، ويكون وجوده بالنسبة إلى

(١) هو عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب ، يلقب هو وأبوه أبو علي بالجباري ، وكلاهما
من رؤساء المعتزلة ولهما مقالات في الكلام على مذهب الاعتزال ، توفي أبو هاشم سنة ٣٢١ .
وكانت ولادته سنة ٢٤٧ .

(٢) أي محمد بن عبد الوهاب الجباري المتوفى سنة ٣٠٣ ، وقد أوعزنا سابقاً إلى ترجمته .

العظيم كعدمه حتى تاب فاعل القبيح عن العظيم فإنه تقبل توبته ، ومثال ذلك أن الإنسان إذا قتل ولد غيره وكسر له قلماً ثم تاب وأظهر الندم على قتل الولد دون كسر القلم فإنه تقبل توبته ، ولا يعتد العقلاء بكسر القلم وإن كان لا بد من أن يندم على جميع إساءته ، وكما أن كسر القلم حال قتل الولد لا يعد إساءة فكذا العزم .

ثم قال رحمه الله : ولما فرغ من تقرير كلام أبي هاشم ذكر التحقيق في هذا المقام ، وتقريره أن نقول : الحق أنه يجوز التوبة عن قبيح دون قبيح لأن الأفعال تقع بحسب الدواعي ، وتنتفي الصوارف فإذا ترجح الداعي وقع الفعل . إذا عرفت هذا فنقول : يجوز أن يرجح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم على بعض القبائح دون بعض ، وإن كانت القبائح مشتركة في أن الداعي يدعو إلى الندم عليها ، وذلك بأن يقترب ببعض القبائح قرائن زائدة كعظم الذنب ، أو كثرة الزواجر عنه ، أو الشناعة عند العقلاء عند فعله ؛ ولا تقترب هذه القرائن ببعض القبائح فلا يندم عليها ، وهذا كما في دواعي الفعل فإن الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي ، ثم يؤثر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض ، بأن يترجح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترب به من زيادة الدواعي ، فلا استبعاد في كون قبح الفعل داعياً إلى الندم ثم يقترب ببعض القبائح زيادة الدواعي إلى الندم عليه فيرجح لأجلها الداعي إلى الندم على ذلك البعض ، ولو اشتركت القبائح في قوة الدواعي اشتركت في وقوع الندم عليها ولم يصح الندم على البعض دون الآخر ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلام أولاده كالرضا وغيره عليه السلام حيث نقل عنهم نفي تصحيح التوبة عن بعض القبائح دون بعض ، لأنه لولا ذلك لزم خرق الإجماع والتألي باطل فالمقدم مثله ؛ بيان الملازمة أن الكافر إذا تاب عن كفره وأسلم وهو مقيم على الكذب إما أن يحكم بإسلامه وتقبل توبته من الكفر أولاً ، والثاني خرق الإجماع لاتفاق المسلمين على إجراء حكم المسلم عليه ، والأول هو المطلوب ، وقد التزم أبو هاشم استحقاؤه عقاب الكفر وعدم قبول توبته وإسلامه ، ولكن لا يمتنع إطلاق اسم الإسلام عليه .

الثالث : اعلم أن العزم على عدم العود إلى الذنب فيما بقي من العمر لا بد منه في التوبة كما عرفت ، وهل إمكان صدوره منه في بقية العمر شرط ، حتى لو زنى ثم جب^(١) وعزم على أن يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصح توبته ، أم ليس بشرط فتصح ؟ الأكثر على الثاني ، بل نقل بعض المتكلمين إجماع السلف عليه ، وأولى من هذا بصحة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنه الموت فيه وأما التوبة عند حضور الموت وتيقن الفوت وهو المعبر عنه بالمعاينة فقد انعقد الإجماع على عدم صحتها ، وقد مر ما يدل عليه من الآيات والأخبار .

الرابع : في أنواع التوبة ، قال العلامة رحمه الله : التوبة إما أن تكون من ذنب يتعلق به تعالى خاصة ، أو يتعلق به حق آدمي .

والأول إما أن يكون فعل قبيح كشرب الخمر والزنا ، أو إخلالاً بواجب كترك الزكاة والصلاة ، فالأول يكفي في التوبة منه الندم عليه والعزم على ترك العود إليه . وأما الثاني فتختلف أحكامه بحسب القوانين الشرعية ، فمنه لا بد مع التوبة من فعله أداء كالزكاة ، ومنه ما يجب معه القضاء كالصلاة ، ومنه ما يسقطان عنه كالعيدين ، وهذا الأخير يكفي فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح ، وأما ما يتعلق به حق آدمي فيجب فيه الخروج إليهم منه ، فإن كان أخذ مال وجب رده على مالكه أو ورثته إن مات ، ولولم يتمكن من ذلك وجب العزم عليه ؛ وكذا إن كان حد قذف ، وإن كان قصاصاً وجب الخروج إليهم منه ، بأن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول فإما أن يقتلوه أو يعفوا عنه بالدية أو بدونها ؛ وإن كان في بعض الأعضاء وجب تسليم نفسه ليقص منه في ذلك العضو إلى المستحق من المجني عليه أو الورثة ، وإن كان إضراراً وجب إرشاد من أضله ورجوعه مما اعتقده بسببه من الباطل إن أمكن ذلك . واعلم أن هذه التوابع ليست أجزاءً من التوبة فإن العقاب سقط بالتوبة ، ثم إن قام المكلف بالتبعات كان ذلك إتماماً للتوبة من جهة المعنى لأن ترك التبعات لا يمنع من سقوط العقاب بالتوبة عما تاب منه ، بل يسقط العقاب و يكون ترك القيام بالتبعات بمنزلة ذنوب مستأنفة يلزمه التوبة منها ، نعم التائب إذا فعل التبعات بعد إظهار توبته كان ذلك دلالة

(١) أي استؤصل ذكره وخصياه .

على صدق الندم ، وإن لم يقم بها أمكن جعله دلالة على عدم صحة الندم . ثم قال رحمه الله المغتاب إمّا أن يكون قد بلغه اغتيا به أولاً ، يلزم الفاعل للغيبة في الأول الاعتذار عنه إليه لأنّه أوصل إليه ضرر الغم فوجب عليه الاعتذار منه والندم عليه ، وفي الثاني لا يلزمه الاعتذار ولا الاستحلال منه لأنّه لم يفعل به ألماً ، وفي كلا القسمين يجب الندم لله تعالى لمخالفة النهي ، والعزم على ترك المعاودة .

وقال المحقق في التجريد : وفي إيجاب التفصيل مع الذكر إشكال . وقال العلامة ذهب قاضي القضاة ^(١) إلى أن التائب إن كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كل واحدة منها مفصلاً وإن كان يعلمها على الإجمال وجب عليه التوبة كذلك مجملاً ، وإن كان يعلم بعضها على التفصيل وبعضها على الإجمال وجب عليه التوبة عن المفصل بالتفصيل وعن المجمل بالإجمال ، واستشكل المصنف رحمه الله إيجاب التفصيل مع الذكر لإمكان الاجتزاء بالندم على كل قبيح وقع منه وإن لم يذكره مفصلاً .

ثم قال المحقق رحمه الله : وفي وجوب التجديد إشكال ، وقال العلامة قدس سرّه إذا تاب المكلف عن معصية ثم ذكرها هل يجب عليه تجديد التوبة ؟ قال أبو علي : نعم بناءً على أن المكلف القادر بقدرته لا ينفك عن الضدين ، إمّا الفعل ، أو الترك ، فعند ذكر المعصية إمّا أن يكون نادماً عليها ، أو مصرّاً عليها ، والثاني قبيح فيجب الأول . وقال أبوهاشم : لا يجب لجواز خلوّ القادر بقدرته عنهما .

ثم قال المحقق : وكذا المعلول مع العلة . وقال الشارح : إذا فعل المكلف العلة قبل وجود المعلول هل يجب عليه الندم على المعلول ، أو على العلة ، أو عليهما ؟ مثاله الرامي إذا رمى قبل الإصابة ؛ قال الشيوخ : عليه الندم على الإصابة لأنّها هي القبيح ، وقد صارت في حكم الموجود ، لوجوب حصوله عند حصول السبب ، وقال القاضي : يجب عليه ندمان أحدهما على الرمي لأنّه قبيح ، والثاني على كونه مولداً للقبيح ، ولا يجوز أن يندم على المعلول ، لأنّ الندم على القبيح إنّما هو لقبحه ، وقبل وجوده لا قبح .

(١) هو عبد الجبار المعتزلي ، ابن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الاسدي ، شيخ معتزلة

الخامس : اعلم أنه لا خلاف بين المتكلمين في وجوب التوبة سمعاً ، واختلفوا في وجوبها عقلاً ، فأثبتته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب . قال الشيخ البهائي رحمه الله : هذا لا يدل على وجوب التوبة عن الصغائر ممن يجتنب الكبائر لكونها مكفرة ، ولهذا ذهبت البهشمية ^(١) إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلاً ، نعم الاستدلال بأن الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعم القسمين ، وأما فورية الوجوب فقد صرح بها المعتزلة ، فقالوا : يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر ، تجب التوبة منه أيضاً ، حتى أن من أخر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين ، وساعتين أربع كبائر : الأولتان وترك التوبة عن كل منهما ، وثلاث ساعات ثمان كبائر وهكذا ، وأصحابنا يوافقونهم على الفورية ، لكنهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيت من كتبهم الكلامية .

السادس : سقوط العقاب بالتوبة مما أجمع عليه أهل الإسلام ، وإنما الخلاف في أنه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً ، أو هو تفضل يفعله سبحانه كرماء منه ورحمة بعباده ؟ فالمعتزلة على الأول ، والأشاعرة على الثاني ، وإلى الثاني ذهب شيخ الطائفة في كتاب الاقتصاد ، والعلامة الحلبي رحمه الله في بعض كتبه الكلامية وتوقف المحقق الطوسي طاب ثراه في التجريد ، ومختار الشيخين هو الظاهر من الأخبار وأدعية الصحيفة الكاملة وغيرها ، وهو الذي اختاره الشيخ الطبرسي رحمه الله ، ونسبه إلى أصحابنا كما عرفت ، و دليل الوجوب ضعيف مدخول ، كما لا يخفى على من تأمل فيه .

أقول : أثبتنا بعض أخبار التوبة في باب الاستغفار ، وباب صفات المؤمن ، و باب صفات خيار العباد وباب جوامع المكارم ؛ وسيأتي تحقيق الكبائر والصغائر والذنوب وأنواعها وحبط الصغائر بترك الكبائر في أبوابها إن شاء الله تعالى .

(١) اتباع أبي علي و أبي هاشم الجبائيين ، و هؤلاء فرقة من المعتزلة ، انفردوا عنهم بامور كاثبات إرادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفاً ، وتعظيماً لا في محل إذا أراد أن يعظم ذاته ، وفناء لا في محل إذا أراد أن يفنى العالم ، وقالوا : بأنه تعالى متكلم بكلام يخلقه في محل وحقيقة الكلام أصوات مقطعة ، وحروف منظومة ، والمتكلم من فعل الكلام ، وقالوا بأنه تعالى لا يرى بالابصار في دار القرار ، وإن المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية وأن الذم والعقاب ليسا على الفعل ، و إن التوبة لا تصح من العاجز بعد المعجز عن مثله إلى غير ذلك مما هو مذكور في تراجم الفرق ، و كتب الملل والنحل ، كالملل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادى .

﴿باب ٢١﴾

﴿نفى العبث وما يوجب النقص من الاستهزاء والسخرية والمكر﴾
 ﴿والخدعة عنه تعالى وتأويل الايات فيها﴾

الايات البقرة «٢» الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ١٥.

النساء «٤» يخادعون الله وهو خادعهم ١٤٢.

الانفال «٨» ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ٣٠.

التوبة «٩» فيسخرون منهم سخر الله منهم ٧٩.

يونس «١٠» قل الله أسرع مكرأ ٢١.

الرعد «١٣» وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً ٤٢.

النمل «٢٧» ومكروا مكرأ ومكرنا مكرأ وهم لا يشعرون ٥٠.

الطارق «٨٦» إنهم يكيدون كيدأ * وأكيد كيدأ * فمهل الكافرين أمهلهم

رويدأ ١٥-١٧.

تفسير : قال البيضاوي : «الله يستهزئ بهم»^(١) : يجازيهم على استهزائهم ، سمي جزء

(١) قال الرضى رضوان الله عليه فى تلخيص البيان فى مجازات القرآن : وهاتان استعارتان :

فالأولى منهما إطلاق صفة الاستهزاء على الله سبحانه ، والمراد بها أنه يجازيهم على استهزائهم

بأوصاف العقوبة لهم فسمى الجزء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعاً فى مقابلته ، وإنما قلنا :

إن الوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى لانه عكس أوصاف الحكيم وضد طرائق الحكيم .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : «ويمدهم فى طغيانهم يعمهون» أى يمد لهم كأنه يغلبيهم ، والامتداد

عندهم و الجراح فى غيهم إيجاباً للحجة و انتظاراً للمراجعة ، تشبيهاً بمن أرحى الطول للفرس

أو الراحلة ليتنفس خناقها ويتسع مجالها . وربما حمل قوله سبحانه : «يخادعون الله والذين آمنوا»

على أنه استعارة فى بعض الأقوال ، وهو أن يكون المعنى : أنهم يمتنون أنفسهم أن لا يعاقبوا وقد

علموا أنهم مستحقون للعقاب ، فقد أقاموا أنفسهم بذلك مقام المخادعين ؛ ولذلك قال سبحانه : «وما

يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون» لان الله تعالى لا يجوز عليه الخداع ولا تخفى عنه الأسرار ، و

إذا حمل قوله سبحانه : «يخادعون الله» على أن المراد به يخادعون رسول الله كان من باب إسقاط

المضاف ، وجرى مجرى قوله : «واستل القرية» وأراد أهل القرية .

الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ ، أو لكونه مماثلاً له في القدر ، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم ، فيكون كالمستهزى بهم ، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه ، أو يعاملهم معاملة المستهزى : أمّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم ، واستدراجهم بالإمهال وزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان ؛ وأمّا في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنة فيسرعون نحوه ، فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب ، وذلك قوله تعالى : « فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون » . « ويمدّهم في طغيانهم يعمهون » من مدّ الجيش وأمدّه : إذا زاده وقوّاه ، لا من المدّ في العمر ، فإنّه يعدّى باللام ؛ والمعتزلة قالوا : لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدّهم طريق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم زيناً وظلمة ، وتزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً ، أو ممكّن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً ، أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبّب ؛ وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة ، وصدق ذلك أنّه لما أسند المدّ إلى الشياطين أطلق الغي ، وقال : « وإخوانهم يمدّونهم في الغي » وقيل : أصله : نمدّ لهم بمعنى نملي لهم ، ونمدّ في أعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا ، فما زادوا إلا طغياناً وعمهاً ، فحذفت اللام وعدّي الفعل بنفسه ، كما في قوله تعالى : « واختار موسى قومه » أو التقدير : يمدّهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم .

وقال في قوله تعالى : « يخادعون الله » : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عمّا هو بصدده ، وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنّه لا تخفى عليه خافية ، ولأنّهم لم يقصدوا خديعته ، بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنّ خليفته كما قال : « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » وإمّا أن صورة صنعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم استدراجاً لهم ، وامتنال الرسول والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم مجازاة لهم بمثل صنعهم صورة صنيع المتخادعين .

وقال في قوله تعالى : « ويمكر الله » : بردّ مكرهم ، أو بمجازاتهم عليه ، أو بمعاملة

الماكرين معهم ، بأن أخرجهم إلى بدر و قتل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا . « والله خير الماكرين » إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره ، وإسناد أمثال هذا إنما يحسن للمزاوجة ، ولا يجوز إطلاقها ابتداءً لما فيه من إيهام الذم . و قال في قوله : « سخر الله منهم » : جازاهم على سخريتهم .

١ - يد ، مع ، ن : المعاذي ، عن أحمد الهمداني ، عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « سخر الله منهم » وعن قوله : « الله يستهزئ بهم » وعن قوله : « ومكروا ومكر الله » وعن قوله : « يخادعون الله وهو خادعهم » فقال : إن الله عز وجل لا يسخر ولا يستهزئ ، ولا يمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة ؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . « يد ص ١٥٤ ، ن ص ٧١ - ٧٢ »
ج : مرسل مثله . « ص ٢٢٤ »

٢ - م : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » قال موسى بن جعفر عليه السلام : لما نصب النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يوم غدیر خم ^(١) وأمر عمر وتمام تسعة من رؤساء المهاجرين والأنصار أن يبايعوه بامرأة المؤمنين ففعلوا ذلك و تواطؤوا بينهم أن يدفعوا هذا الأمر عن علي عليه السلام وأن يهلكوهما ، كان من مواطاتهم أن قالوا لهم : ما عنددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة ولقد رجوت أن يفسح الله بهالي في قصور الجنان ويجعلني فيها من أفضل النزال والسكان !! . وقال ثانيهم : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله ما وثقت بدخول الجنة والنجاة من النار إلا بهذه البيعة والله ما يسرني إن نقضتها أو نكثت بعد ما أعطيت وإن لي طالع ما بين الثرى إلى العرش لا لي رطبة وجواهر فاخرة . وقال ثالثهم : والله يا رسول الله لقد صرت من الفرح بهذه البيعة و من السرور الفسيح من الآمال في رضوان الله ما أيقنت أنه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلها علي لم تحصى عني بهذه البيعة - وحلف على ما قال من ذلك - ثم تتابع بمثل هذا الاعتذار من بعدهم من الجبابرة والمتمردين ؛ فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله : « يخادعون الله

(١) قال الفيروز آبادي في القاموس : غدیر خم : موضعه على ثلاثة أميال من الجحفة بين الحرمين .

يعني يخادعون رسول الله صلى الله عليه وآله بأيمانهم خلاف ما في جوارحهم « والذين آمنوا » كذلك أيضاً الذين سيدهم وفاضلهم علي بن أبي طالب عليه السلام . ثم قال : « وما يخدعون إلا أنفسهم » ما يضر^{بتلك}ون الخديعة إلا أنفسهم فإن الله غني عنهم وعن نصرتهم ، و لولا إمهاله لهم ما قدروا على شيء من فجورهم و طغيانهم « وما يشعرون » أن الأمر كذلك و أن الله يطلع نبيه على نفاقهم و كذبهم و كفرهم ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين ؛ وذلك اللعن لا يفارقهم ؛ في الدنيا يلعنهم خيار عباد الله ، وفي الآخرة يبتلون بشدائد عقاب الله « و إذا لقوا الذين آمنوا » إلى قوله : « يعمهون » قال موسى عليه السلام : وإذا لقي هؤلاء الناكثون للبيعة ، المواطن^(١) على مخالفة علي عليه السلام و دفع الأمر عنه ، الذين آمنوا قالوا آمنا كإيمانكم ، إذا لقوا سلمان والمقداد و أباذر وعمار قالوا آمنا بمحمد و سلمنا له بيعة علي و فضله كما آمنتكم ، وإن أول لهم وثانيهم و ثالثهم إلى تاسعهم ربما كانوا يلتقون في بعض طرقهم مع سلمان و أصحابه فإذا لقوهم اشمأزوا منهم و قالوا : هؤلاء أصحاب الساحر و الأهوج يعنون محمداً و علياً عليه السلام - فيقول أول لهم : انظروا كيف أسخر منهم و أكف عاديته عنكم ؛ فإذا التقوا قال أول لهم : مرحباً بسلمان بن الإسلام ، ويمدحه بما قال النبي صلى الله عليه وآله فيه ، وكذا كان يمدح تمام الأربعة ؛ فلما جازوا عنهم كان يقول الأول كيف رأيتم سخريتي هؤلاء و كفتي عاديته عنّي و عنكم ، فيقول له : لانزال بخير ما عشت لنا ، فيقول لهم : فهكذا فلتكن معاملتكم لهم إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم مثل هذا ، فإن اللبيب العاقل من تجرّع على الغصة حتى ينال الفرصة ، ثم يعودون إلى أخذانهم من المنافقين المتمردين المشار كين لهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أدّاه إليهم عن الله عز وجل من ذكر تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً على كافة المسلمين ، قالوا لهم : إننا معكم فيما واطأناكم عليه من دفع علي عن هذا الأمر إن كانت لمحمد كائنة ، فلا يغرركم ولا يهولنكم ما تسمعون منه منّا من تقريظهم و ترونا نجترى عليهم من مداراتهم فإننا نحن مستهزؤون بهم ؛ فقال الله عز وجل : « الله يستهزئ بهم » يجازيهم جزاء استهزائهم في الدنيا

(١) أي الموافقون والساهمون .

والآخرة «ويمدّهم في طغيانهم يعمهون» يمهّلهم ويتأّتى بهم ويدعوهم إلى التوبة ، ويعدهم إذا تابوا المغفرة ، وهم يعمهون لا يرفعون عن قبيح ولا يتركون أذى بمحمد و عليّ يمكنهم إيصاله إليهما إلا بلغوه .

قال العالم عليه السلام : أمّا استهزاء الله بهم في الدنيا فهو إيتاءهم على ظاهر أحكام المسلمين لإظهارهم السمع والطاعة ، وأمّا استهزأؤه بهم في الآخرة فهو أن الله عزّ وجلّ إذا أقرّهم في دار اللعنة والهوان و عذّبهم بتلك الألوان العجيبة من العذاب و أقرّ هؤلاء المؤمنين في الجنان بحضرة محمد صفيّ الله الملك الديان أطلعهم على هؤلاء المستهزئين بهم في الدنيا حتّى يروا ما هم فيه من عجائب اللعائن وبدائع النقمات فيكون لذّتهم و سرورهم بشماتتهم كلذّتهم و سرورهم بنعيمهم في جنان ربّهم ، فالمؤمنون يعرفون أولئك الكافرين المنافقين بأسمائهم وصفاتهم ، والكافرون والمنافقون ينظرون فيرون هؤلاء المؤمنين الذين كانوا بهم في الدنيا يسخرون لما كانوا من موالاة محمد وعليّ وآلهما يعتقدون ، فيرونهم في أنواع الكرامة والنعيم ؛ فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين المنافقين : يا فلان ! و يا فلان ! و يا فلان ! - حتّى ينادوهم بأسمائهم - ما بالكم في مواقف خزيكم ما كثون ؟ هلمّوا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان لتخلصوا من عذابكم وتلحقوا بنا ؛ فيقولون : يا ويلنا أنّى لنا هذا ؟ فيقول المؤمنون : انظروا إلى هذه الأبواب ؛ فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتحة يخيل إليهم أنّها إلى جهنّم التي فيها يعذّبون ، و يقدّرون أنّهم يتمكّنون من أن يخلصوا إليها فيأخذون في السباحة في بحار حميمها ، وعدوا من بين أيدي زبانيّتها ،^(١) وهم يلحقونهم يضربونهم بأعمدّتهم و مرزباتهم^(٢) و سيّاطهم فلا يزالون هكذا يسيرون هناك ، و هذه الاصناف من العذاب تمسّهم حتّى إذا قدّروا أن قد بلغوا تلك الأبواب وجدوها مردومة^(٣) عنهم ، و

(١) قال الجوهرى : الزبانية عند العرب : الشرط . و سموا بها بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها .

(٢) جمع (المرزبة) وقد يشدد الباء : عصية من حديد .

(٣) أى مسدودة .

تدهدهم الزبانية^(١) بأعمدتها فتنكسهم إلى سواء الجحيم ، ويستلقي أولئك المؤمنون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم ، مستهزئين بهم ، فذلك قول الله عز وجل : « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون » .
 بيان : قال في القاموس : الهوج محرّكة : طول في حق وطيش وتسرع ؛ والهوجاء : الناقة المسرعة .

أقول : سيأتي تمام الخبر في موضعه إن شاء الله تعالى .

﴿باب ٢٢﴾

﴿عقاب الكفار والفجار في الدنيا﴾

الآيات ، الرعد «١٣» إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ١١ .
 الكهف «١٨» واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين . الآيات ٣٢-٤٤ طه «٢٠» فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ٩٧ .^(٢)
 حمسق «٤٢» وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير *
 وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالككم من دون الله من ولي ولا نصير ٣٠-٣١ .
 ن «٦٨» إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين *
 ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا
 مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا
 يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلمّا رأوها قالوا إنا
 لضالّون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان
 ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا يا ويلنا إنا كنا

(١) أي وتدحرجهم الزبانية .

(٢) أي لامماس ولا مغالطة ، لا أمس ولا ماس ، عوقب السامري في الدنيا بالمنع من مغالطة الناس ، وحرّم عليهم مكالمته ومغالطته و مجالسته ومؤاكلته ، فاذا اتفق أن يماس أحداً حمّ الماس والممسوس ، فكان يهيم في البرية مع الوحش ، وإذا لقي أحداً قال : لا مساس ، أي لا تقربني ولا تماسني .

طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ١٧-٣٣.

تفسير : «ليصر منها» أي ليقطع عنها «ولا يستثنون» أي لا يقولون إن شاء الله «طائف» أي بلاء طائف «كالصريم» أي كالبستان الذي صرمت ثماره ^(١) «وهم يتخافتون» أي يتشاورون بينهم خفية «على حرد» ^(٢) أي نكد، من حرمت السنة : إذالم يكن فيها مطر «قادرين» عند أنفسهم على صرامها . وسيأتي تفسير سائر الآيات وتأويلها في مواضعها .
فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» وهي النقرة «أو تحل قريباً من دارهم» فتحل بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به ، والذين حلّت بهم عصاة كفار مثلهم ، ولا يتعظ بعضهم ببعض ، ولن يزالوا كذلك حتى يأتي وعد الله الذي وعد المؤمنين من النصر ويخزي الكافرين . «ص ٣٤٢»
٢ - فس : «و اضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حفنهما بنخل و جعلنا بينهما زرعاً» قال : نزلت في رجل كان له بستانان كبيران ، عظيمان ، كثير الثمار - كما حكى الله عز وجل - وفيهما نخل وزرع وماء ، وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير ، وقال له : «أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً» ثم دخل بستانه وقال : «ما أظن أن تبید» ^(٣) هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً فقال له الفقير «أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً لكننا هو الله ربّي لا أشرك برّبّي أحداً» ثم قال الفقير للغني : فهلاً «إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً» ثم قال الفقير : «فعسى

(١) وقيل : الصريم : الليل أي صارت سوداء كالليل لا حراقها .

(٢) قال الشيخ في التبيان : «وغدوا على حرد» فالجرد : القصد ، قال الحسن : معناه على جهة

من الفاقة . وقال مجاهد : معناه على جدم من أمرهم . وقال سفيان : معناه على حنق . وقيل معناه على منع ، من قولهم : حاربت السنة : إذا منعت قطرها ، والاصل القصد ، وقوله : «قادرين» معناه : مقدرين أنهم يصرمون ثمارها ؛ ويجوز أن يكون المراد : وغدوا على حرد قادرين عند أنفسهم على صرام جنتهم .

(٣) أي أن تهلك .

ربّي أن يؤتني خيراً من جنتك و يرسل عليها حساباً^(١) من السماء فتصبح صعيداً زلقاً^(٢) أي محترقاً^(٣) أو يصبح مأوها غوراً^(٤). فوقع فيها ما قال الفقير في ذلك^(٥) الليلة^(٦) فأصبح الغني^(٧) يقلّب كفيه^(٨) على ما أنفق فيها وهي خاوية^(٩) على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربّي أحداً ولم تكن له فئة^(١٠) ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً^(١١) وهذه عقوبة الغني^(١٢).

» ص ٢٩٦-٣٩٧

٣ - عن سليمان بن عبد الله قال : كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام قاعداً فأتني بامرأة قد صار وجهها قفاها ، فوضع يده اليمنى في جبينها ويده اليسرى من خلف ذلك ثم عصر وجهها عن اليمين ، ثم قال : « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » فرجع وجهها ، فقال : احذري أن تفعل كما فعلت ، قالوا : يا بن رسول الله وما فعلت ؟ فقال : ذلك مستور إلّا أن تتكلّم به ، فسألوها فقالت : كانت لي ضرة فقمّت أصلي فظننت أن زوجي معها فالتفت إليها فرأيتها قاعدة وليس هو معها ، فرجع وجهها على ما كان .

٤ - شى : عن أبي عمرو والمدائني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أبي كان يقول : إن الله قضى قضاءً حتماً : لا ينعم على عبده بنعمة فيسبها إياه قبل أن يحدث العبد ما يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة ؛ وذلك قول الله : « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » .

٥ - شى : عن أحمد بن محمد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله « إن الله لا يغيّر

(١) بضم الحاء ، قال الراغب في مفرداته : قيل : ناراً وعذاباً وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه انتهى . وقيل : أصل السهام التي ترمى لتجرى في طلق واحد و كان ذلك من رمي الاساورة ، والحسبان : المرامي الكثيرة . وقيل : برداً .

(٢) أرض زلق : لمساء ليس بها شيء .

(٣) في المصدر : في تلك الليلة . م

(٤) تقلّب الكف عبارة عن الندم ذكراً لحال ما يوجد عليه الندام ، أي فاصبح يصفق ندامة .

(٥) خاوية أي ساقطة من خوى النجم : إذا سقط ، أو خالية من خلى المنزل : إذا خلى من أهله

وكل مرتفع أظلك من سقف أو كرم أو بيت فهو عرش .

(٦) في المصدر . فهذه عقوبة البغي . م

ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، فصار الأمر إلى الله تعالى .

٦ - شى : عن الحسين بن سعيد المكفوف كتب إليه في كتاب له : جعلت فداك ياسيدي علم مولاك : ما لا يقبل لقائه دعوة وما لا يؤخر لفاعله دعوة ؟ وما حد الاستغفار الذي وعد عليه نوح ؟ والاستغفار الذي لا يعذب قائله ؟ وكيف يلفظ بهما ؟ وما معنى قوله : «ومن يتق الله ، ومن يتوكل على الله» ؟ وقوله : «ومن اتبع هداي ، ومن أعرض عن ذكرى ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» ؟ وكيف تغير القوم ما بأنفسهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؟ .

فكتب صلوات الله عليه : كافاكم الله عنّي بتضعيف الثواب والجزاء الحسن الجميل وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله وبركاته ، الاستغفار ألف ، والتوكل من توكل على الله فهو حسبه ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وأما قوله : «ومن اتبع هداي» من قال : بالإمامة واتبع أمركم بحسن طاعتهم ، وأما التغير إنّه لا يسيء إليهم حتى يتولوا ذلك بأنفسهم بخطاياهم وارتكابهم ما نهى عنه . وكتب بخطه . نهج : وأيم الله ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجتروها ، لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد ، ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم و نزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد .

توضيح : في غضّ نعمة أي في نعمة غضة طريّة ناضرة . والوله بالتحريك : الحزن والخوف ؛ والشارد : النافر .

٨ - دعوات الراوندي : قال الصادق عليه السلام : اتقوا الذنوب وحذروها إخوانكم فوالله ما العقوبة إلى أحد أسرع منها إليكم ، لأنكم لا تؤاخذون بها يوم القيامة .

٩ - وقال زين العابدين عليه السلام : ما من مؤمن تصيبه رفاهية في دولة الباطل إلا ابتلى قبل موته ببدنه أو ماله حتى يتوفر حظّه في دولة الحق .

﴿باب ٢٢﴾

﴿علل الشرايع والاحكام﴾

الايات ، المائدة «٥» ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ٦ .

الاعراف «٧» قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ٢٨ .

حمصق «٤٢» الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ١٧ .

الرحمن «٥٥» والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان ٧-٨ .

تفسير : قد فسّر جماعة من المفسرين الميزان في الآيتين بالشرع ، وبعضهم بالعدل وبعضهم بالميزان المعروف . وأمّا الأخبار ففيها ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل العلل التي رواها الفضل بن شاذان .

١ - ن ، ع : حدّثني عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطّار بنيسابور في شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة ، قال : حدّثني أبو الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوري قال : قال أبو محمد الفضل بن شاذان ؛ وحدّثنا الحاكم أبو جعفر محمد بن نعيم بن شاذان رحمه الله ، عن عمّه أبي عبد الله محمد بن شاذان قال : قال الفضل بن شاذان النيسابوري : إن سأل سائل فقال : أخبرني هل يجوز أن يكلف الحكيم ^(١) عبده فعلاً من الأفاعيل لغير علة ولا معنى ؟ قيل له : لا يجوز ذلك لأنّه حكيم غير عايب ولا جاهل . فإن قال : فأخبرني لم كلف الخلق ؟ قيل : لعل .

فإن قال : فأخبرني من تلك العلل معروفة موجودة هي أم غير معروفة ولا موجودة ؟ قيل : بل هي معروفة وموجودة عند أهلها .

فإن قال : أتعرفونها أنتم أم لا تعرفونها ؟ قيل لهم : منها ما نعرفه ، ومنها ما لا نعرفه . فإن قال : فما أوّل الفرائض ؟ قيل : ^(٢) الإقرار بالله عزّ وجلّ (وبرسوله وحبّته ع) وبما جاء من عند الله عزّ وجلّ .

(٢) في العيون : قيل له ٢٠

(١) في العلل : هل يكلف الحكيم ٢٠

فإن قال : لم أمر الله الخلق ^(١) بالإقرار بالله وبرسله ^(٢) وحججه و بما جاء من عند الله عز وجل ؟ قيل : لعل كثيرة : منها أن من لم يقر بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم ؛ فإذ فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ، ووثوب بعضهم على بعض ، فغصبوا الفروج والأموال وأبأوا الدماء والنساء (والسبي ع) وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم ، فيكون في ذلك خراب الدنيا ، وهلاك الخلق ، وفساد الحرث والنسل .

ومنها أن الله عز وجل حكيم ، ولا يكون الحكيم ولا يوصف ^(٣) بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ، ويأمر بالصلاح ، ويزجر عن الظلم ، وينهي عن الفواحش ، ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الأمر والنهي ، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته لم يثبت أمر بصلاح ، ولا نهى عن فساد إذا لا أمر ولا ناهي .

ومنها أننا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنة ، مستورة عن الخلق ، فلو لا الإقرار بالله عز وجل وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحداً في ترك معصية ، وانتهاك حرمة ، وارتكاب كبيرة ، إذا كان فعله ذلك مستوراً ^(٤) عن الخلق ، غير مراقب لأحد ، و كان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين ، فلم يكن قوام الخلق و صلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خير ، يعلم السر وأخفى ، أمر بالصلاح ، ناه عن الفساد ، لاتخفى عليه خافية ، ليكون في ذلك انزجار لهم عما يخلون ^(٥) به من أنواع الفساد .

فإن قال : فلم وجب عليهم ^(٦) معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة ؟ قيل : لأنه لما لم يكن ^(٧) في خلقهم وقولهم وقواهم ما يكملون لمصالحهم ^(٨) ، و كان

(١) في العلل : لم امر الخلق . م (٢) في العلل : برسوله . م

(٣) في المصدر : ولا يكون حكيماً ولا يوصف . م

(٤) في العلل : إذا فعل ذلك مستوراً . م (٥) في العلل عما يخلون به . م

(٦) في العلل : فإن قال قائل : فلم وجب عليكم . م

(٧) في العيون : لما إن لم يكن ؛ وفي العلل : لما لم يكتف . م

(٨) في العلل بعد قوله : وقواهم : ما يثبتون به لمباشرة الصانع عز وجل حتى يكلمهم ويشافهم

وكان الصانع . م

الصانع متعالياً عن أن يرى، ^(١) وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بد ^(٢) من رسول بينه وبينهم، معصوم يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه، و يقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ^(٣) و دفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارهم، فلولم يجب عليهم معرفته و طاعته لم يكن لهم في مجيئ الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء.

فإن قال: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثيرة: منها أن الخلق لما وقعوا على حدّ محدود وأمروا أن لا يتعدّوا ذلك الحدّ (تلك الحدود) لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعديّ والدخول فيما حظر عليهم لأنّه لو لم يكن ذلك ^(٤) كذلك لكان أحد لا يترك لذّته و منفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد، و يقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها أنّا ^(٥) لانجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقوا و عاشوا إلا بقيم و رئيس لما لا بدّ لهم ^(٦) منه في أمر الدين والدنيا؛ فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق ممّا يعلم أنّه لا بدّ لهم منه ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوّهم، ويقسمون به ^(٧) فيثبتم، و يقيم ^(٨) لهم جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها أنّه لو لم يجعل لهم إماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملّة، و ذهب الدين، و غيّرت السنّة والأحكام، و لزاد فيه المبتدعون، و نقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لأنّا قد وجدنا ^(٩) الخلق منقوصين محتاجين،

(١) في العلل: متعالياً عن أن يرى ويباشر. م (٢) في المصدرين: لم يكن بدّ لهم. م

(٣) في العلل: اجتلاب منافعهم. م (٤) في العلل: ذلك لو لم يكن لكان. م

(٥) في العلل لم نجد. م (٦) في العيون: ولما لا بدّ لهم. م

(٧) ليس في العيون لفظة (به) م (٨) في العلل و يقيمون به. م

(٩) في العلل: اذ قد وجدنا. م

غير كاملين ، مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحائهم ، ^(١) فلولم يجعل لهم قيماً حافظاً ^(٢) لما جاء به الرسول ﷺ لفسدوا على نحو ما بيننا ، وغيّرت الشرائع و السنن والأحكام والإيمان ، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين .
فإن قيل : فلم لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان في وقت واحد أو أكثر من ذلك ؟ قيل : لعل :

منها أن الواحد لا يختلف فعله وتدييره ، والاثنين لا يتفق فعلهما وتدييرهما ، و ذلك أنما لم نجد اثنين إلا مختلفي الهم والإرادة ، فإذا كانا اثنين ثم اختلف همهما وإرادتهما وتدييرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه ، فكان يكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد ، ثم لا يكون أحد مطيعاً لأحدهما إلا وهو عاص للآخر فتعم المعصية أهل الأرض ، ثم لا يكون لهم مع ذلك السبيل إلى الطاعة والإيمان ، ويكونون إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الاختلاف ^(٣) والتشاجر ^(٤) إذ أمرهم باتّباع المختلفين . ومنها أنه لو كانا إمامين كان لكل من الخصمين أن يدعو إلى غير ما يدعو ^(٥) إليه صاحبه في الحكومة ، ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع من صاحبه فتبطل الحقوق والأحكام والحدود .

ومنها أنه لا يكون واحد من الحجّتين أولى بالنطق ^(٦) والحكم والأمر والنهي من الآخر ، فإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبتدئا بالكلام ، وليس لأحدهما أن يسبق صاحبه بشيء ، إذا كانا في الإمامة شرعاً واحداً ، فإن جاز لأحدهما السكوت جاز ^(٧) السكوت للآخر مثل ذلك ، وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطّلت الحدود ، وصارت ^(٨) الناس كأنّهم لا إمام لهم .

(١) في العلل : حالاتهم . م

(٢) في العلل : لم يجعل فيها حافظاً . م (٣) في العلل بعد ذلك : وسبب التشاجر إذا أمرهم . م

(٤) في العيون بعد ذلك : والفساد . م (٥) في العلل : إلى غير الذي يدعو . م

(٦) في العلل : بالنظر . م (٧) في العلل : جاز الآخر . م

(٨) في العلل : و حار (صار خل) الناس . م

فإن قال : فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول ﷺ ؟ قيل : لعل :
منها أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميز
بها من غيره ، وهي القرابة المشهورة ، والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدى
إليه بعينه .

ومنها أنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل
إذ جعل أولاد الرسل أتباعاً لأولاد أعدائه ، كأبي جهل وابن أبي معيط ، لأنه قد يجوز
بزعمه أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين ، فيصير أولاد الرسول تابعين ، وأولاد
أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين ، وكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق .

ومنها أن الخلق إذا أقرّوا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر أحد
منهم عن أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاضم ذلك في أنفس الناس ، وإذا كان في غير
جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه أنه أولى به من غيره ، ودخلهم من ذلك الكبر ،
ولم تسخ^(١) أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم ، فكان يكون في ذلك داعية لهم إلى
الفساد والنفاق والاختلاف .

فإن قال : فلم يجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله تعالى واحدٌ أحدٌ ؟ قيل :
لعل : منها أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز^(٢) أن يتوهموا مدبرين أو
أكثر من ذلك ، وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم
كان لا يدري لعله إنما يعبد غير الذي خلقه ، ويطيع غير الذي أمره ، فلا يكونون
على حقيقة من صانعهم وخالقهم ، ولا يثبت عندهم أمر ولا نهى ناه ، إذ لا يعرف
الامر بعينه ولا الناهي من غيره .

ومنها أنه لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع
من الآخر ، وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله ، وفي أن لا يطاع^(٣)

(١) في العيون المطبوع ولم تسبح م .

(٢) في العلل : لو لم يجب ذلك عليهم لجاز لهم م .

(٣) في العيون : وفي إجازة أن لا يطاع الله م .

الله عز وجل الكفر بالله و بجميع كتبه و رسله ، وإثبات كل باطل ، و ترك كل حق ، وتحليل كل حرام ، و تحريم كل حلال ، والدخول في كل معصية ، والخروج من كل طاعة ، وإباحة كل فساد ، وإبطال لكل حق .^(١)

ومنها أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لا بليس أن يدعي أنه ذلك الآخر ، حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ، ويصرف العباد إلى نفسه ، فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق .

فإن قال : فلم يجب عليهم الإقرار بالله بأنه ليس كمثله شيء ؟ قيل : لعل : منها أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة و الطاعة دون غيره ، غير مشتببه عليهم أمر ربهم وصانعهم و رازقهم .^(٢)

ومنها أنهم لو لم يعلموا أنه ليس كمثله شيء لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الأصنام^(٣) التي نصبوها لهم آباؤهم والشمس والقمر والنيران إذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشبهة ،^(٤) وكان يكون في ذلك الفساد ، وترك طاعاته كلها ، و ارتكاب معاصيه كلها ، على قدر ما يتناهي إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها .

ومنها أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ، ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه ولم يوثق بعدله ، ولم يحقق قوله وأمره ونهيه ، و وعده وعيده ونوابه وعقابه ، و في ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية .
فإن قال : لم أمر الله تعالى العباد ونهاهم ؟ قيل : لأنه لا يكون بقاؤهم وصلاحتهم إلا بالأمر والنهي والمنع عن الفساد والتغاصب .

فإن قال : فلم تعبدهم ؟ قيل : لئلا يكونوا ناسين لذكره ، ولا تاركين لأدبه ، ولا لاهين عن أمره ونهيه ، إذ كان فيه صلاحهم وقوامهم ، فلو تركوا بغير تعبد لطلال عليهم الأمد فقتل قلوبهم .

(١) في المصدرين : وإبطال كل حق م .

(٢) في العيون بعد ذلك : بهذا الاصنام . م

(٣) في نسخة : لعل ربهم وضع لهم هذه الاصنام .

(٤) في نسخة : مشبهاً .

فإن قال : فلم أمروا بالصلاة ؟ قيل : لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية ، وهو صلاح عام لأن فيه خلع الأنداد ، والقيام بين يدي الجبار بالذل والاستكانة والخضوع ، والاعتراف وطلب الإقالة من سالف الذنوب ، ووضع الجبهة على الأرض كل يوم وليلة ، ليكون العبد ذا كراً لله تعالى غير ناس له ، ويكون خاشعاً ، وجلاً ، متذلاً ، طالباً ، راغباً في الزيادة للدين والدنيا ، مع مافيه من الانزجار عن الفساد ، وصار ذلك عليه في كل يوم وليلة لئلا ينسى العبد مدبره وخالقه فيبطل^(١) ويطغى ، وليكون في ذكر خالقه والقيام بين يدي ربه زاجراً له عن المعاصي ، وحاجزاً ومانعاً عن أنواع الفساد .

فإن قال : فلم أمروا بالوضوء وبدىء به ؟ قيل : لأن يكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيماً من الأدناس و النجاسة ، مع مافيه من ذهاب الكسل وطرده النعاس ، وتركه الفؤاد للقيام بين يدي الجبار .

فإن قال : لم وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين ؟ قيل : لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فإني^(٢) ينكشف من جوارحه ويظهر ماوجب فيه الوضوء ، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع ، وييده يسأل ويرغب (ويرهب ويتبتل) وينسك^(٣) ، وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد .

(١) بطر يبطر بطراً : أخذته دهشة و حيرة عند هجوم النعمة . طغى بالنعمة أو عندها فصرفها إلى غير وجهها . بطر الحق : تكبر عنه ولم يقبله .

(٢) في العلل : قائماً .

(٣) أصل الرغبة : السعة في الشيء يقال : رغب الشيء : اتسع ، والرغبة والرغب والرغبي : السعة في الإرادة ، قال تعالى : ويدعوننا رغباً ورهباً ، قاله الراغب . وفي لسان العرب : الرغب (بفتح الراء وضمها) و الرغب (بفتح الراء و الغين) والرغبة ، والرغبوت ، والرغبي (بفتح الراء وضمها) والرغبا : الضراعة والمسألة ، وفي حديث الدعاء : رغبة ورهبة إليك . وفيه أن الرهبة الخوف والفرع . وقال الراغب : الرهبة والرهب : مخافة مع تحرز واضطراب . والتبتل : الانقطاع إلى الله في العبادة وإخلاص النية انقطاعاً يختص به ، وأصله من بتل الشيء : قطعه وأبانه من غيره ، وسميت فاطمة عليها سلام الله التبتل لانقطاعها إلى الله ، وعن نساء زمانها و نساء الأمة عملاً وحسباً و ديناً . والنسك : العبادة والتطوع بقربة ، وفي الحديث الرغبة : تبسط يديك وتظهر باطنهما ، والرغبة : تبسط يديك تظهر ظهرهما . والتبتل : تحرك السبابة اليسرى ترفعها في السماء وسلا وتضعها ؛ كل ذلك في حال الدعاء والتضرع .

فإن قال : فلم وجب الغسل على الوجه واليدين ، وجعل المسح على الرأس و الرجلين ، ولم يجعل ذلك غسلاً كله أو مسحاً كله ؟ قيل : لعل شتّى : منها أن العبادة العظمى إنما هي الركوع والسجود ، وإنما يكون الركوع والسجود بالوجه واليدين لا بالرأس والرجلين .

ومنها أن الخلق لا يطيقون في كل وقت غسل الرأس والرجلين ويشتد ذلك عليهم في البرد والسفر والمرض وأوقات من الليل والنهار ، وغسل الوجه واليدين أخف من غسل الرأس والرجلين ، وإنما وضعت الفرائض على قدر أقل الناس طاقة من أهل الصحة ثم عم فيها القوي والضعيف .

ومنها أن الرأس والرجلين ليسا هما في كل وقت باדיين ظاهرين كالوجه واليدين ، لموضع العمامة والخفين وغير ذلك .

فإن قال : فلم وجب الوضوء ممّا خرج من الطرفين خاصة ومن النوم دون سائر الأشياء ؟ قيل : لأن الطرفين هما طريق النجاسة ، وليس للإنسان طريق تضييبه النجاسة من نفسه إلا منهما ، فأمروا بالطهارة عند ما تصيبهم تلك النجاسة من أنفسهم ، وأمّا النوم فإن النائم^(١) إذا غلب عليه النوم يفتح كل شيء منه (واسترخى ع) وكان أغلب الأشياء عليه في الخروج منه الريح فوجب عليه الوضوء لهذه العلة .

فإن قال : فلم لم يؤمروا بالغسل من هذه النجاسة كما أمروا بالغسل من الجنابة ؟ قيل : لأن هذا شيء دائم غير ممكن للخلق الاغتسال منه كلما يصيب ذلك ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والجنابة ليس^(٢) هي أمراً دائماً ، إنما هي شهوة يصيبها إذا أراد ، ويمكنه تعجيلها وتأخيرها الأيام الثلاثة والأقل والأكثر ، وليس ذلك هكذا .

فإن قال : فلم أمروا بالغسل من الجنابة ولم يؤمروا بالغسل من الخلاء وهو أنجس من الجنابة وأقذر ؟ قيل : من أجل أن الجنابة من نفس الإنسان وهو شيء يخرج من جميع جسده ، والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنما هو غذاء يدخل من باب و يخرج من باب .

(١) في العيون : فلان النائم . م

(٢) في المصدرين ليست . م

أقول : في بعض نسخ علل الشرائع زيادة هي هذه : فإن قال : فلم صار الاستنجاء فرضاً ؟ قيل : لأنّه لا يجوز للعبد أن يقوم بين يدي الجبار وشيء من ثيابه وجسده نجس . قال مصنف هذا الكتاب : غلط الفضل و ذلك لأن الاستنجاء به ليس بفرض ، وإنما هو سنة .^(١) رجعنا إلى كلام الفضل انتهى .

ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين : فإن قال : أخبرني عن الأذان لم أمروا به ؟ قيل : لعل كثيرة : منها أن يكون تذكيراً للساهي ، وتنبيهاً للغافل ، و تعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة ، وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الخالق ، مرغباً فيها ، مقررّاً له بالتوحيد ، مجاهراً بالإيمان ، معلناً بالإسلام ، مؤذناً لمن نسيها ،^(٢) وإنما يقال : مؤذن ، لأنّه يؤذن بالصلاة .

فإن قال : فلم بدى فيه بالتكبير قبل التسبيح والتهليل والتحميد ؟^(٣) قيل : لأنّه أراد أن يبدأ بذكره واسمه لأن اسم الله تعالى في التكبير في أوّل الحرف ، وفي التسبيح والتهليل والتحميد اسم الله في آخر الحرف فبدى بالحرف الذي اسم الله في أوّله لا في آخره .

فإن قال : فلم جعل مثنى مثنى ؟ قيل : لأن يكون مكرراً في آذان المستمعين ، مؤكداً عليهم ، إن سها أحد عن الأوّل لم يسه عن الثاني ، ولأن الصلاة ركعتان ركعتان فلذلك جعل الأذان مثنى مثنى .

فإن قال : فلم جعل التكبير في أوّل الأذان أربعاً ؟ قيل : لأن أوّل الأذان إنما يبدو غفلة ، وليس قبله كلام يتنبّه المستمع له فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان .

فإن قال : فلم جعل بعد التكبير شهادتين ؟ قيل : لأن أوّل الإيمان التوحيد والإقرار بالله عز وجل بالوحدانية ، والثاني الإقرار بالرسول بالرسالة ، وأن طاعتهما

(١) الظاهر عدم ورود هذا الاشكال كما يأتي عن المصنف قدس سره في البيان الاتي .

(٢) في العلل : لمن يتناهى . م

(٣) في العيون و بعض نسخ الكتاب ذكر التهليل فقط وكذا فيما يأتي بعده . م

ومعرفتهما مقر ونتاج ، وأن أصل الإيمان إنما هو الشهادة ، فجعل شهادتين ^(١) في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين ، فإذا أقر الله بالوحدانية وأقر للرسول بالرسالة فقد أقر بجملة الإيمان ، لأن أصل الإيمان إنما هو الإقرار بالله و برسوله .

فإن قال : فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة ؟ قيل : لأن الأذان إنما وضع لموضع الصلاة وإنما هو نداء إلى الصلاة ، فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدم المؤذن قبلها أربعاً . التكبيرتين والشهادتين ، وأخّر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حساً على البر والصلاة ، ثم دعا إلى خير العمل ، مرغّباً فيها وفي عملها و في أدائها ، ثم نادى بالتكبير والتهليل ليتمّ بعدها أربعاً ، كما أتمّ قبلها أربعاً ، وليختتم كلامه بذكر الله تعالى كما فتحه بذكر الله تعالى . ^(٢)

فإن قال : فلم جعل آخرها التهليل ولم يجعل آخرها التكبير كما جعل في أولها التكبير ؟ قيل : لأن التهليل اسم الله في آخره فأحب الله تعالى أن يختتم الكلام باسمه كما فتحه باسمه .

فإن قال : فلم لم يجعل بدل التهليل التسبيح أو التحميد واسم الله في آخرهما ؟ ^(٣) قيل : لأن التهليل هو إقرار الله تعالى بالتوحيد وخلع الأنداد من دون الله ، وهو أول الإيمان وأعظم التسبيح والتحميد .

فإن قال : فلم بدىء في الاستفتاح والركوع والسجود والقيام والقعود بالتكبير ؟ قيل : للعلّة التي ذكرناها في الأذان .

فإن قال : فلم جعل الدعاء في الركعة الأولى قبل القراءة ؟ ولم جعل في الركعة الثانية القنوت بعد القراءة ؟ قيل : لأنه أحب أن يفتح قيامه لربه و عبادته بالتحميد والتقديس والرغبة والرغبة ، ويختتمه بمثل ذلك ، ليكون في القيام عند القنوت طول ^(٤)

(١) في العلل : فجعلت شهادتين شهادتين كما جعل هـ . م

(٢) في العلل : بذكر الله وتحميده تعالى كما فتحه بذكر الله وتحميده تعالى . م

(٣) في العلل : في آخر الحرف من هذين الحرفين . م

(٤) في العلل : بعض الطول . م

فأحرى أن يدرك المدرك الركوع فلا تفوته الركعة^(١) في الجماعة .
 فإن قال : فلم أمروا بالقراءة في الصلاة ؟ قيل : لئلا يكون القرآن مهجوراً
 مضيعاً ، وليكون محفوظاً^(٢) فلا يضمحل ولا يجهل .

فإن قال : فأم بدىء بالحمد في كل قراءة دون سائر السور ؟ قيل : لأنه ليس
 شيء من القرآن^(٣) والكلام : مع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد ،
 وذلك أن قوله : « الحمد لله » إنما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر ، وشكر
 لما وفق عبده للخير « رب العالمين » تمجيد له و تحميد وإقرار بأنه هو الخالق المالك
 لا غيره « الرحمن الرحيم » استعطاف و ذكر لآلائه ونعمائه^(٤) على جميع خلقه ، « مالك
 يوم الدين » إقرار بالبعث والحساب والمجازاة ، وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له
 ملك الدنيا ، « إياك نعبد » رغبة وتقرب إلى الله عز وجل وإخلاص بالعمل له دون
 غيره « وإياك نستعين » استزادة من توفيقه وعبادته و استدامة لما أنعم عليه ونصره ،
 « اهدنا الصراط المستقيم » استرشاد لأدبه واعتصام بحبله و استزادة في المعرفة بربه
 وبعظمته و كبريائه « صراط الذين أنعمت عليهم » توكيد في السؤال والرغبة ، وذكر
 لما قد تقدم من نعمه على أوليائه ، ورغبة في ذلك النعم^(٥) « غير المغضوب عليهم » استعاذة من
 أن يكون من المعاندين الكافرين ، المستخفين به و بأمره و نهيه « ولا الضالين »
 اعتصام من أن يكون من الضالين الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة ، وهم يحسبون
 أنهم يحسنون صنعا فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا
 ما لا يجمعه شيء من الأشياء .

فإن قال : فلم جعل التسبيح في الركوع والسجود ؟ قيل : لعل : منها أن يكون

(١) في العلل : الركعتان . م

(٢) في العلل : بل يكون محفوظاً مدروساً . م

(٣) في العيون : في القرآن . م

(٤) في العلل : و ذكر لربه ونعمائه . م

(٥) في نسخة : تلك النعم . وفي العلل : مثل ذلك النعم .

العبد مع خضوعه وخشوعه و تعبد به و تورعه و استكانته و تذليله و تواضعه و تقربه إلى ربه مقدساً له ، ممجداً ، مسبحاً ، معظماً ،^(١) شاكراً لخالقه ورازقه ، وليستعمل التسبيح والتهليل والتكبير والتهليل ، وليشغل قلبه و ذهنه بذكر الله فلا يذهب به الفكر والأمانى إلى غير الله .

فإن قال : فلم جعل أصل الصلاة ركعتين ؟ ولم زيد على بعضها ركعة وعلى بعضها ركعتان ولم يزد على بعضها شيء ؟ قيل : لأن أصل الصلاة إنما هي ركعة واحدة لأن أصل العدد واحد ، فإذا نقصت^(٢) من واحد فليست هي صلاة ، فعلم الله عز وجل أن العباد لا يؤدّون تلك الركعة الواحدة التي لأصلها أقل منها بكمالها وتماها والإقبال عليها ، فقرن إليها ركعة ليمت الثانية ما نقص من الأولى ، ففرض الله عز وجل أصل الصلاة ركعتين ، ثم علم رسول الله ﷺ أن العباد لا يؤدّون هاتين الركعتين بتمام ما أمروا به وكمالهما فضم إلى الظهر والعصر والعشاء الآخرة ركعتين ركعتين ، ليكون فيهما تمام الركعتين الأولين ، ثم علم أن صلاة المغرب يكون شغل الناس في وقتها أكثر للانصراف إلى الأوطان (الإفطار خ ل) والأكل والوضوء و التهيئة للمبيت ، فزاد فيها ركعة واحدة ليكون أخف عليهم ، ولأن تصير ركعات الصلاة في اليوم و الليلة فرداً ، ثم ترك الغداة على حالها لأن الاشتغال في وقتها أكثر ، والمبادرة إلى الحوائج فيها أعم ولأن القلوب فيها أخلا من الفكر لقلة معاملات الناس بالليل ، ولقلة الأخذ والإعطاء ، فالإنسان فيها أقبل على صلاته منه في غيرها من الصلوات لأن^(٣) الفكر أقل لعدم العمل من الليل .

فإن قال : فلم جعل^(٤) التكبير في الاستفتاح سبع مرات ؟ قيل :^(٥) لأن الفرض

(١) في العيون : مطيعاً . م

(٢) في العيون : فان انقضت . م

(٣) في العيون : لان الذكر قد تقدم العمل من الليل . م

(٤) في العلل : فلم جعل في الاستفتاح سبع تكبيرات ؟ قيل إنما جعل ذلك لان التكبير في

الصلاة الاولى التي هي الاصل اه . م

(٥) في العيون وبعض نسخ الكتاب : قيل : إنما جعل ذلك الخ . م

منها واحد ، وسائرهما سنة ؛ وإنما جعل ذلك لأن التكبير في الركعة الأولى التي هي الأصل كله سبع تكبيرات : تكبيرة الافتتاح ، وتكبيرة الركوع ، وتكبيرتي السجود ، وتكبيرة أيضاً للركوع ، وتكبيرتين للسجود ؛ فإذا كبر الإنسان أوّل الصلاة سبع تكبيرات فقد أحرز التكبير كله ، ^(١) فإن سها في شيء منها أو تركها لم يدخل عليه نقص في صلاته .

أقول : وفي العلل كما قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام : من كبر أوّل صلاته سبع تكبيرات أجزاء ويجزي تكبيرة واحدة ، ثم إن لم يكبر في شيء من صلاته أجزاء عنه ذلك و إنما عني بذلك إذا تركها ساهياً أو ناسياً ؛ قال مصنف هذا الكتاب : غلط الفضل إن تكبيرة الافتتاح فريضة وإنما هي سنة واجبة رجعنا إلى كلام الفضل .

أقول : رجعنا إلى المشترك : فإن قال : فلم جعل ركعة وسجدة ؟ ^(٢) قيل : لأن الركوع من فعل القيام ، والسجود من فعل القعود ، و صلاة القاعد على النصف من صلاة القيام ، فضوعف السجود ليستوي بالركوع فلا يكون بينهما تفاوت لأن الصلاة إنما هي ركوع وسجود .

فإن قال : فلم جعل التشهد بعد الركعتين ؟ قيل : لأنه كما قدم قبل الركوع والسجود الأذان والدعاء والقراءة فكذلك أيضاً أمر ^(٣) بعدها بالتشهد والتحميد والدعاء .

فإن قال : فلم جعل التسليم تحليل الصلاة ولم يجعل بدله تكبيراً أو تسبيحاً ، أو ضرباً آخر ؟ قيل : لأنه لما كان في الدخول في الصلاة تحريم الكلام للمخلوقين والتوجه إلى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين والانتقال عنها ، و ابتداء المخلوقين بالكلام إنما هو بالتسليم .

(١) في العلل : فقد علم أجزاء التكبير كله . م

(٢) في العلل : ركعة بر كوع وسجدة . م

(٣) في العلل : آخر . م

فإن قال : فلم جعل القراءة في الركعتين الأولىين والتسبيح في الآخرين ؟ قيل : للفرق بين ما فرضه الله عز وجل من عنده وما فرضه من عند رسوله .

فإن قال : فلم جعلت الجماعة ؟ قيل : لأن لا يكون إلا خلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوداً ، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله عز وجل ، وليكون المنافع المستخف مؤد بالما أقر به يظهر الإسلام^(١) والمراقبة ، ولتكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة ، مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل .

فإن قال : فلم جعل الجهر في بعض الصلاة ولم يجعل في بعض ؟ قيل : لأن الصلوات التي يجهر فيها إنما هي صلوات تصلى في أوقات مظلمة فوجب أن يجهر فيها ، لأن يمر المارة فيعلم أن ههنا جماعة ، فإن أراد أن يصلي صلى ، ولأنه إن لم ير جماعة تصلي سمع و علم ذلك من جهة السماع ؛ و الصلاتان اللتان لا يجهر فيهما فإنهما بالنهار ، وفي أوقات مضيئة فهي تدرك من جهة الرؤية ، فلا يحتاج فيها إلى السماع .

فإن قال : فلم جعلت الصلوات في هذه الأوقات ولم تقدم ولم تؤخر ؟ قيل : لأن الأوقات المشهورة المعلومة التي تعم أهل الأرض فيعرفها الجاهل والعالم أربعة : غروب الشمس معروف^(٢) تجب عنده المغرب ، وسقوط الشفق مشهور تجب عنده العشاء الآخرة ؛ وطلوع الفجر مشهور معلوم تجب عنده الغداة ، وذوال الشمس مشهور معلوم تجب عنده الظهر ، ولم يكن للعصر وقت معروف مشهور مثل هذه الأوقات الأربعة فجعل وقتها عند الفراغ من الصلاة التي قبلها ؛^(٣) وعلة أخرى أن الله عز وجل أحب أن

(١) في المصدرين : بظاهر الإسلام : م

(٢) في العلل : مشهور معرفتها . م

(٣) الموجود في العلل هكذا : و ذوال الشمس و إيفاء الفى . معلوم فوجب عنده الظهر ، ولم يكن للعصر وقت معلوم مشهور مثل هذه الاوقات الاربعة فجعل وقتها الفراغ من الصلاة التي قبلها إلى أن يصير الظل من كل شىء أربعة أضغافه انتهى . و الظاهر أن الجملة الاخيرة سقطت من قلم النساخ من المتن ، لما أن المصنف سيشير في شرحه للحديث إليها .

يبدأ الناس في كل عمل أو لا بطاعته وعبادته ، فأمرهم أول النهار أن يبدؤوا بعبادته ثم ينتشروا فيما أحبوا من مرمّة ^(١) دنياهم ، فأوجب صلاة الغداة عليهم ، فإذا كان نصف النهار و تركوا ما كانوا فيه من الشغل ^(٢) و هو وقت يضع الناس فيه ثيابهم ، ويستريحون ، و يشتغلون بطعامهم و قيلولتهم ، فأمرهم أن يبدؤوا أولاً بذكره و عبادته فأوجب عليهم الظهر ، ثم يتفرغوا لما أحبوا من ذلك ، فإذا قضوا و طهرهم ^(٣) وأرادوا الانتشار في العمل لآخر النهار بدؤوا أيضاً بعبادته ، ثم صاروا إلى ما أحبوا من ذلك فأوجب عليهم العصر ، ثم ينتشرون فيما شأؤوا من مرمّة دنياهم فإذا جاء الليل و وضعوا زينتهم و عادوا إلى أوطانهم ابتدؤوا أولاً بعبادة ربهم ، ثم يتفرغون ^(٤) لما أحبوا من ذلك فأوجب عليهم المغرب ، فإذا جاء وقت النوم و فرغوا مما كانوا به مشغولين أحب أن يبدؤوا أولاً بعبادته و طاعته ثم يصيرون إلى ما شأؤوا أن يصيروا إليه من ذلك فيكونوا قد بدؤوا في كل عمل بطاعته وعبادته ، فأوجب عليهم العتمة فإذا فعلوا ذلك لم ينسوه و لم يغفلوا عنه و لم تقس قلوبهم و لم تقل رغبتهم .

فإن قال : فلم إذا لم يكن للعصر وقت مشهور مثل تلك الأوقات أوجبها بين الظهر والمغرب ، و لم يوجبها بين العتمة والغداة ، أو بين الغداة والظهر ؟ قيل : لأنه ليس وقت على الناس أخف ولا أيسر ولا أخرى أن يعم فيه الضعيف ^(٥) والقوي بهذه الصلاة من هذا الوقت ، وذلك أن الناس عامتهم يشتغلون في أول النهار بالتجارات والمعاملات والذهاب في الحوائج ، وإقامة الأسواق ، فأراد أن لا يشغلهم عن طلب معاشهم و مصلحة دنياهم و ليس يقدر الخلق كلهم على قيام الليل ولا يشعرون به ^(٦) ولا ينتبهون لوقته لو كان واجباً ، ولا يمكنهم ذلك فخفف الله تعالى عنهم ، ولم يجعلها في أشد الأوقات عليهم ، ولكن جعلها في أخف الأوقات عليهم كما قال الله عز وجل : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

(١) في الملل : من مؤونة . م

(٢) في الملل : ما كانوا من شغل . م

(٣) في الملل : طهرهم . م

(٤) في الملل : يتضرعون . م

(٥) في الملل : ولا اثر فيه للضعيف . م

(٦) في الملل وفي نسخة من الكتاب : ولا يشتغلون به . م

فإن قال : فلم يرفع اليدين في التكبير ؛ قيل : لأن رفع اليدين هو ضرب من الابتهاال والتبتل والتضرع ، فأوجب الله^(١) عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره متبتلاً متضرعاً ، مبتهلاً ؛ ولأن في وقت رفع اليدين إحضار النية وإقبال القلب على ما قال وقصد .
أقول : في العلل : لأن الفرض من الذكر إنما هو الاستفتاح وكل سنة فأنما تؤدي على جهة الفرض ، فلمّا أن كان في الاستفتاح الذي هو الفرض رفع اليدين أحب أن يؤدوا السنة على جهة ما يؤدون الفرض . ولنرجع إلى المشترك .

فإن قال : فلم جعل صلاة السنة أربعاً وثلاثين ركعة ؛ قيل : لأن الفريضة سبع عشر ركعة فجعلت السنة مثلي الفريضة ، كمالاتاً للفريضة .

فإن قال : فلم جعل صلاة السنة في أوقات مختلفة ، ولم تجعل في وقت واحد ؛ قيل : لأن أفضل الأوقات ثلاثة : عند زوال الشمس ، و بعد المغرب ، و بالأحرار ، فأحب^(٢) أن يصلى له في كل هذه الأوقات الثلاثة ، لأنه إذا فرقت السنة في أوقات شتى كان أداؤها أيسر وأخف من أن تجمع كلها في وقت واحد .

فإن قال : فلم صارت صلاة الجمعة إذا كانت مع الإمام ركعتين ، وإذا كانت بغير إمام ركعتين ور كعتين ؛ قيل : لعل شتى :

منها أن الناس يتخطّون إلى الجمعة^(٣) من بعد ، فأحب الله عز وجل أن يحفف عنهم لموضع التعب الذي صاروا إليه .

ومنها أن الإمام يحبسهم للخطبة وهم منتظرون للصلاة ، ومن انتظر الصلاة فهو في صلاة^(٤) في حكم التمام .

ومنها أن الصلاة مع الإمام أتم وأكمل لعلمه وفقهه وعدله وفضله .

ومنها أن الجمعة عيد وصلاة العيد ركعتان ، ولم تقصر مكان الخطبتين .

فإن قال : فلم جعلت الخطبة ؛ قيل : لأن الجمعة مشهدة عام ، فأراد أن يكون

الإمام سبباً لموعظتهم (لأن سببهم إلى موعظتهم خل) وترغيبهم في الطاعة ، و ترهيبهم من

(١) في المصدرين : فأوجب الله . م

(٢) في العلل : فأوجب . م

(٣) أي يتجاوزون ويتسابقون إليها .

(٤) في العلل : في الصلاة . م

المعصية ، وتوفيقهم على ما أراد^(١) من مصلحة دينهم ودنياهم ، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفات ومن الأهوال التي لهم فيها المضرّة والمنفعة^(٢).

فإن قال : فلم جعلت خطبتين ؟ قيل : لأن يكون واحدة للثناء و التمجيد و التقديس لله عز وجل ، والأخرى للحوائج والإعذار والإندار والدعاء ، وما يريد أن يعلمهم من أمره ونهيهِ ما فيه^(٣) الصلاح والفساد .

فإن قال : فلم جعلت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة ، و جعلت في العيدين بعد الصلاة ؟ قيل : لأن الجمعة أمردائم ، و تكون في الشهر مراراً و في السنة كثيراً ،^(٤) فإذا كثرت ذلك على الناس ملّوا وتركوا ولم يقيموا عليه وتفرّقوا عنه فجعلت قبل الصلاة ليحتبسوا على الصلاة ولا يتفرّقوا ولا يذهبوا ، وأمّا العيدين فإنّهما هو في السنة مرتين^(٥) وهو أعظم من الجمعة والزحام فيه أكثر ، و الناس فيه أرغب ، فإن تفرّق بعض الناس بقي عامتهم ، وليس هو بكثير فيملّوا ويستخفّوا به .

قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله : جاء هذا الخبر هكذا : والخطبتان في الجمعة والعيدين بعد الصلاة ، لأنّهما بمنزلة الرّكعتين الأخرأوين ،^(٦) وأوّل من قدّم الخطبتين عثمان بن عفّان لأنّه لما أحدث ما أحدث لم يكن الناس يقفون^(٧) على خطبته ، ويقولون : ما نصنع بمواعظه وقد أحدث ما أحدث ؟ فقدّم الخطبتين ليقف الناس انتظاراً للصلاة^(٨) فلا يتفرّقوا عنه .

فإن قال : فلم وجبت الجمعة على من يكون على فرسخين لا أكثر من ذلك ؟

(١) في العلل : ارادوا . م

(٢) في العلل بعد هذه العبارة : ولا يكون الصائت في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممن يؤم الناس في غير يوم الجمعة . م

(٣) في العيون : بما فيه . م (٤) ويكون في الشهور والسنة كثيراً . م

(٥) في العيون : وأما العيدان فإنما هو في السنة مرتان . وهو الموافق للقواعد . م

(٦) في العيون : الأخيرتين . م (٧) في العلل : ليقفوا . م

(٨) ليس في العلل بعد قوله : « للصلاة » شيء . م

قيل : لأن ما يقصر فيه الصلاة يريدان ^(١) ذاهباً أو يريد ذاهباً وجائياً ، والبريد أربعة فراسخ فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد الذي يجب فيه التقصير ، وذلك أنه يجيء فرسخين ^(٢) ويذهب فرسخين فذلك أربعة فراسخ وهو نصف طريق المسافر .
فإن قال : فلم زيد في صلاة السنة يوم الجمعة أربع ركعات ؟ قيل : تعظيماً لذلك اليوم وتفرقة بينه وبين سائر الأيام .

فإن قال : فلم قصرت الصلاة في السفر ؟ قيل : لأن الصلاة المفروضة أولاً إنما هي عشر ركعات ، و السبع إنما زيدت فيها ^(٣) بعد ، فخفف الله عنه ^(٤) تلك الزيادة لموضع سفره ^(٥) وتعبه ونصبه ، واشتغاله بأمر نفسه وطمعنه ^(٦) وإقامته ، لئلا يشتغل عما لا بد له من معيشته ، رحمة من الله تعالى وتعطفاً عليه ، إلا صلاة المغرب فإنها لم تقصر لأنها صلاة مقصورة ^(٧) في الأصل .

فإن قال : فلم يجب التقصير في ثمانية فراسخ لا أقل من ذلك ولا أكثر ؟ قيل : لأن ثمانية فراسخ مسيرة يوم للعامّة والقوافل والأثقال فوجب التقصير في مسيرة يوم .
فإن قال : فلم وجب التقصير في مسيرة يوم ؟ ^(٨) قيل : لأنه لو لم يجب في مسيرة يوم لما وجب في مسيرة سنة ، ^(٩) وذلك أن كل يوم يكون بعد هذا اليوم فإنما هو نظير هذا اليوم ، فلو لم يجب في هذا اليوم لما وجب في نظيره إذا كان نظيره مثله لافرق بينهما .
فإن قال : قد يختلف السير ^(١٠) فلم جعلت أنت ^(١١) مسيرة يوم ثمانية فراسخ ؟ قيل : لأن ثمانية فراسخ هي مسير الجمال والقوافل ^(١٢) وهو السير الذي يسيره الجمالون والمكارون .

(١) في العيون : يريدان ذاهب وكذا في الفقرة الأخرى . م

(٢) في المصدرين : على فرسخين . (٣) في العيون : عليها . م

(٤) في العيون : عنهم . وفي العلل : فخفف الله نكاحه . (٥) في العيون : لموضع السفر . م

(٦) الظعن : السير والترحال . (٧) في المصدرين : مقصورة . م

(٨) في العيون : في مسيرة يوم لا أكثر . م (٩) في العلل : مسيرة الف سنة . م

(١٠) في العلل : هنا زيادة وهي هذه : وذلك أن سير البقر إنما هو أربعة ، وسير الفرس عشرين

فرسخاً . (١١) في العيون : جعلت مسيرة . م

(١٢) في العلل : بعد هذه الفقرة : وهو الغالب على المسير وهو أعظم السير الذي يسيره الجمالون

والمكارون . م

فإن قال : فلم ترك ^(١) تطوع النهار ولا يترك تطوع الليل ؟ قيل : لأن كل صلاة لا تقصر فيها فلا تقصر في تطوعها ، و ذلك أن المغرب لا تقصر ^(٢) فيها فلا تقصر فيما بعده من التطوع ، و كذلك الغداة لا تقصر فيما قبلها من التطوع .

فإن قال : فما بال العتمة مقصورة وليس تترك ركعتاها ؟ قيل : إن تلك الركعتين ليستا من الخمسين ، وإنما هي زيادة في الخمسين تطوعاً ل يتم بها بدل كل ركعة من الفريضة ركعتين من النوافل . ^(٣)

فإن قال : فلم جاز للمسافر والمريض أن يصلّيا صلاة الليل في أول الليل ؟ قيل لا شغاله وضعفه ليحرز صلاته ؛ فيستريح ^(٤) المريض في وقت راحته ، و يشتغل المسافر بأشغاله وارتحاله وسفره .

فإن قال : فلم أمروا بالصلاة على الميت ؟ قيل : ليشفعوا له و يدعوا له بالمغفرة لأنه لم يكن في وقت من الأوقات أحوج إلى الشفاعة فيه والطلب ^(٥) والاستغفار من تلك الساعة .

فإن قال : فلم جعلت خمس تكبيرات دون أن يكبر أربعاً أو ستاً ؟ ^(٦) قيل : إن الخمس إنما أخذت من الخمس الصلوات في اليوم واللييلة .

أقول : في العلل : و ذلك أنه ليس في الصلاة تكبيرة مفروضة إلا تكبيرة الافتتاح فجمعت التكبيرات المفروضات في اليوم واللييلة فجعلت صلاة على الميت . و لرجع على المشترك .

فإن قال : فلم لم يكن فيها ركوع و سجود ؟ قيل : لأنه ^(٧) إنما يريد بهذه الصلاة الشفاعة لهذا العبد الذي قد تخلى مما خلف ^(٨) واحتاج إلى ما قدم .

(١) في العلل : ترك في السفر . م

(٢) في العلل : لا تقصر وكذا في الفقرتين الأخروين . م

(٣) في المصدرين : من التطوع . م

(٤) في العلل : فيشرع م

(٥) في العلل : والدعاء . م

(٦) في العلل : دون أن يصير أربعاً أو ستاً . م

(٧) في العلل ههنا زيادة وهي قوله : لم يكن يريد بهذه الصلاة التذلل والخضوع إنما اريد بها الشفاعة .

(٨) في المصدرين عما خلف . م

فإن قال : فلم أمر بغسل الميت ؟ قيل : لأنه إذا مات كان الغالب عليه النجاسة والآفة والأذى ، فأحب أن يكون طاهراً إذا باشر أهل الطهارة من الملائكة الذين يلوّنه ويماسّونه فيما بينهم نظيفاً ، موجّهاً به إلى الله عز وجل^(١) ، وليس من ميت يموت إلا خرجت منه الجنابة ، فلذلك أيضاً وجب الغسل .

فإن قال : فلم أمروا بكفن الميت ؟ قيل : ليلقى ربه عز وجل طاهر الجسد ، ولئلا تبدو عورته لمن يحمله ويدفنه ، ولئلا يظهر الناس على بعض حاله وقبح منظره^(٢) ولئلا يقسو القلب من كثرة النظر إلى مثل ذلك للعاهة والفساد ، وليكون أطيب لأنفس الأحياء ، ولئلا يبغضه حميم فيلقي ذكره ومودّته فلا يحفظه فيما خلف وأوصاه وأمر به وأحب^(٣)

فإن قال : فلم أمروا بدفنه ؟ قيل : لئلا يظهر الناس على فساد جسده وقبح منظره وتغير ريحه ولا يتأذى به الأحياء بريحه وبما يدخل عليه من الآفة^(٤) والفساد ، وليكون مستوراً عن الأولياء والأعداء فلا يشمت عدوّ ولا يحزن صديق^(٥) .

فإن قال : فلم أمر من يغسله بالغسل ؟ قيل : لعلّ الطهارة ممّا أصابه من نضح الميت لأن الميت إذا خرج منه الروح بقي منه أكثر آفته^(٦) .

فإن قال فلم يجب الغسل على من مس شيئاً من الأموات غير الإنسان كالطير والبهائم والسباع وغير ذلك ؟ قيل : لأن هذه الأشياء كلّها ملبسة ريشاً وصوفاً وشعراً ووبراً وهذا كلّه ذكي^(٧) ولا يموت ، وإنما يماس منه الشيء الذي هو ذكي من الحي والميت .

(١) في الملل هكذا : . وقد روى عن بعض الائمة عليهم السلام أنه قال : ليس من ميت الخ .

(٢) في العيون بعد هذه الفقرة : وتغير ريحه . م

(٣) قد اضطربت النسخ في هذه الجملة ففي العيون : وأمر به واجبا كان أو ندباً . وفي الملل : أمر به واجب . وفي بعض نسخ الكتاب : أمر به بواجب . م

(٤) في الملل بعد قوله الآفة : والدنس . م

(٥) في العيون : فلا يشمت عدوه ولا يحزن صديقه . م

(٦) في الملل هنا زيادة وهي هذه : ولئلا يلهج الناس به وبمماسه ، إذ قد غلبت عليه علة النجاسة والآفة .

(٧) في العيون : ذكي طاهر . م

أقول : في العلل : الذي قد ألبسه وعلاه ؛ فإن قال : فلم جوزتم الصلاة على الميت بغير وضوء ؟ قيل لا لأنه ليس فيها ركوع ولا سجود ، وإنما هي دعاء ومسألة : وقد يجوز أن تدعو الله عز وجل وتسأله على أي حال كنت ، وإنما يجب الوضوء في الصلاة التي فيها ركوع وسجود .^(١) ولنرجع إلى المشترك .

فإن قال : فلم جوزتم الصلاة عليه قبل المغرب و بعد الفجر ؟ قيل : لأن هذه الصلاة إنما تجب في وقت الحضور والعلّة ، وليست هي موقّعة كسائر الصلوات ، وإنما هي صلاة تجب في وقت حدوث الحدث ليس للإنسان فيه اختيار ، وإنما هو حق يؤدّي وجائز أن يؤدّي الحقوق في أي وقت كان ، إذا لم يكن الحق موقّعاً .

فإن قال : فلم جعلت للكسوف صلاة ؟ قيل : لأنه آية من آيات الله عز وجل لا يدرى أ لرحمة ظهرت أم لعذاب ؟ فأحبّ النبي ﷺ أن تفرع أمّته إلى خالقها و راحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها و يقيهم مكروها ، كما صرف عن قوم يونس حين تضرّعوا إلى الله عز وجل .

فإن قال : فلم جعلت عشر ركعات ؟ قيل : لأن الصلاة التي نزل فرضها من السماء إلى الأرض أوّلاً في اليوم واللييلة فإنما هي عشر ركعات فجمعت تلك الركعات ههنا ؛ وإنما جعل فيها السجود لأنه لا يكون صلاة فيها ركوع إلا وفيها سجود ، ولأن يختتموا صلاتهم أيضاً بالسجود والخضوع ،^(٢) وإنما جعلت أربع سجعات لأن كل صلاة نقص سجودها من أربع سجعات لا تكون صلاة لأن أقلّ الفرض من السجود في الصلاة لا يكون إلا على أربع سجعات .

فإن قال : فلم لم يجعل بدل الركوع سجوداً ؟ قيل : لأن الصلاة قائماً أفضل من الصلاة قاعداً ، ولأن القائم يرى الكسوف والانجلاء والساجد لا يرى .

فإن قال : فلم غيّرت عن أصل الصلاة التي افترضها الله ؟ قيل : لأنه صلى لعلّة

(١) ظاهر العبارة ان قوله : الذي قد ألبسه إلى قوله : ركوع وسجود مختص بالعلل وليس في

العيون ؛ ولكن في العيون المطبوع لم يسقط شيء غير قوله : الذي قد ألبسه وعلاه . م

(٢) في الملل : بالسجود والخضوع والخشوع . م

تغيير أمر من الأمور وهو الكسوف ، فلما تغيرت العلة تغير المعلول .
فإن قال : فلم جعل يوم الفطر العيد ؟ قيل : لأن يكون للمسلمين مجتمعاً يجتمعون فيه ، ويرزون إلى الله عز وجل فيحمدونه على ما من عليهم ، فيكون يوم عيد ، و يوم اجتماع ، و يوم فطر ، و يوم زكاة ، و يوم رغبة ، و يوم تضرع ؛ ولأنه أول يوم من السنة يحل فيه الأكل والشرب ، لأن أول شهور السنة عند أهل الحق شهر رمضان فأحب الله عز وجل أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه و يقدر سونه .

فإن قال : فلم جعل التكبير فيها أكثر منه في غيرها من الصلوات ؟ قيل : لأن التكبير إنما هو تعظيم لله وتمجيد على ما هدى وعافا ، كما قال الله عز وجل : « ولتكملوا العدة ^(١) ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون » .

فإن قال : فلم جعل فيها اثنا عشر تكبيرة ؟ قيل : لأنه يكون في ركعتين ^(٢) اثنا عشر تكبيرة ، فلذلك جعل فيها اثنا عشر تكبيرة .

فإن قال : فلم جعل سبع في الأولى و خمس في الآخرة ^(٣) ولم يسو بينهما ؟ قيل : لأن السنة في صلاة الفريضة أن يستفتح بسبع تكبيرات فلذلك بدى ههنا بسبع تكبيرات ، و جعل في الثانية خمس تكبيرات لأن التحريم من التكبير في النوم والليلة خمس تكبيرات ، وليكون التكبير في الركعتين جميعاً وترأ وترأ .

فإن قال : فلم أمروا بالصوم ؟ قيل : لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا ^(٤) على فقر الآخرة ، وليكون الصائم خاشعاً ، ذليلاً ، مستكيناً ، مأجوراً ، محتسباً ، عارفاً ، صابراً لما أصابه من الجوع والعطش ، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات ، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ، ورائضاً لهم على أداء

(١) ليست هذه الجملة موجودة في العلل .

(٢) في العلل : الركعتين ، وفي العيون : كل ركعتين . م

(٣) في العلل : في الأولى سبع وخمس في الثانية ؛ وفي العيون : سبع تكبيرات في الأولى

وخمس في الثانية . م

(٤) في العلل : يستدلوا ؛ وفي العيون : فيستدلوا . م

ما كلفهم و دليلاً^(١) في الآجل ، و ليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله تعالى لهم في أموالهم .

فإن قال : لم جعل الصوم في شهر رمضان خاصة دون سائر الشهور ؛ قيل : لأن شهر رمضان هو الشهر الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن ، وفيه فرق بين الحق والباطل ، كما قال الله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان » وفيه نبى محمد ﷺ ، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وفيها بفرق كل أمر حكيم ، وهي رأس السنة ، يقدر فيها ما يكون في السنة من خير ، أو شر ، أو مضرة ، أو منفعة ، أو رزق ، أو أجل ، ولذلك سميت ليلة القدر .

فإن قال : فلم أمروا بصوم شهر رمضان لأقل من ذلك ولا أكثر ؛ قيل : لأنه قوة العباد التي يعم فيها القوي والضعيف ، وإنما أوجب الله تعالى الفرائض على أغلب الأشياء وأعم القوى ،^(٢) ثم رخص لأهل الضعف ورغب أهل القوة في الفضل ، ولو كانوا يصلحون على أقل من ذلك لنقصهم ، ولو احتاجوا إلى أكثر من ذلك لزيادهم .

فإن قال : فلم إذا حاضت المرأة لاتصوم ولا تصلي ؛ قيل : لأنها في حد النجاسة فأحب أن لاتعبد إلا طاهراً ،^(٣) ولأنه لاتصوم لمن لاتصلي له .

فإن قال : فلم صارت تقضي الصيام^(٤) ولا تقضي الصلاة ؛ قيل : لعل شتى : فمنها أن الصيام لا يمنعها من خدمة نفسها و خدمة زوجها ، و إصلاح بيتها و القيام بأمرها ،^(٥) والاشتغال بمهمة معيشتها ، والصلاة تمنعها من ذلك كله ، لأن الصلاة تكون في اليوم والليلة مراراً فلا تقوى على ذلك ، والصوم ليس كذلك .

ومنها أن الصلاة فيها عناء و تعب و اشتغال الأركان ، وليس في الصوم شيء من ذلك ، وإنما هو الإمساك عن الطعام والشراب وليس فيه اشتغال الأركان .

(١) في المصدرين : و دليلاً لهم . م

(٢) في نسخة : القوم .

(٣) في العلل : فأحب أن لا تعبد إلا طاهرة ؛ وفي العيون : فأحب الله أن لا تعبد إلا طاهراً . م

(٤) في العيون : الصوم . م

(٥) في العيون : بامرها . م

ومنها أنه ليس من وقت يجي، إلا تجب عليها فيه صلاة جديدة في يومها و ليلتها وليس الصوم كذلك، لأنه ليس كلما حدث يوم وجب عليها الصوم، وكلما حدث وقت الصلاة وجب عليها الصلاة.

فإن قال: فلم إذا مرض الرجل أو سافر في شهر رمضان فلم يخرج من سفره أو لم يفق من مرضه حتى يدخل عليه شهر رمضان آخر وجب عليه الفداء للأول و سقط القضاء، فإذا أفاق بينهما أو أقام ولم يقضه وجب عليه القضاء والفداء؛ قيل: لأن ذلك الصوم إنما وجب عليه في تلك السنة في ذلك الشهر، فأما الذي لم يفق فإنه لما أن مر^(١) عليه السنة كلها وقد غلب الله عليه فلم يجعل له السبيل إلى أدائه سقط عنه، وكذلك كلما غلب الله تعالى عليه مثل المغمى الذي يغمى عليه يوماً وليلة فلا يجب عليه قضاء الصلاة، كما قال الصادق عليه السلام: كلما غلب الله على العبد فهو أعذر له؛ لأنه دخل الشهر وهو مريض فلم يجب عليه الصوم في شهره ولا سنته للمرض الذي كان فيه، وجب عليه الفداء لأنه بمنزلة من وجب عليه صوم فلم يستطع أدائه فوجب عليه الفداء، كما قال الله عز وجل: «فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً» و كما قال الله عز وجل: «وفدية من صيام أو صدقة أو نسك» فأقام الصدقة مقام الصيام إذا عسر عليه.

فإن قال: فإن لم يستطع إذا ذاك فهو الآن يستطيع. قيل له: لأنه لما أن دخل عليه شهر رمضان آخر وجب عليه الفداء للماضي، لأنه كان بمنزلة من وجب عليه صوم في كفارة فلم يستطعه فوجب عليه الفداء، وإذا وجب الفداء سقط الصوم، والصوم ساقط والفداء لازم، فإن أفاق فيما بينهما ولم يصمه وجب عليه الفداء لتضييعه والصوم لاستطاعته.

فإن قال: فلم جعل صوم السنة؟ قيل: ليكمل به صوم الفرض.
فإن قال: فلم جعل في كل شهر ثلاثة أيام، وفي كل عشرة أيام يوماً؟ قيل: لأن الله تبارك وتعالى يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» فمن صام في كل

عشرة أيام يوماً فكأنما صام الدهر كله كما قال سلمان الفارسي رحمه الله عليه : « صوم ثلاثة أيام في الشهر صوم الدهر كله فمن وجد شيئاً غير الدهر فليصمه » .

فإن قال : فلم جعل أول خميس من العشر الأول ، وآخر خميس من العشر الآخر ، وأربعاء في العشر الأوسط ؟ قيل : أمّا الخميس فإنه قال الصادق عليه السلام : « يعرض كل خميس أعمال العباد إلى الله ^(١) » فأحب أن يعرض عمل العبد على الله تعالى وهو صائم .

فإن قال : فلم جعل آخر خميس ؟ قيل : لأنه إذا عرض عمل ثمانية أيام والعبد صائم كان أشرف وأفضل من أن يعرض عمل يومين وهو صائم ، وإنما جعل أربعاء في العشر الأوسط لأن الصادق عليه السلام أخبر أن الله عز وجل خلق النار في ذلك اليوم وفيه أهلك الله القرون الأولى ، وهو يوم نحس مستمر ، فأحب أن يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه .

فإن قال : فلم وجب في الكفارة على من لم يجد تحرير رقبة الصيام دون الحج والصلاة وغيرهما ؟ قيل : لأن الصلاة والحج وسائر الفرائض مانعة للإنسان من التقلب في أمر دنياه ومصالحه معيشتة ، مع تلك العلل التي ذكرناها في الحائض التي تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة .

فإن قال : فلم وجب عليه صوم شهرين متتابعين ، دون أن يجب عليه شهر واحد أو ثلاثة أشهر ؟ قيل : لأن الفرض الذي فرضه الله عز وجل على الخلق هو شهر واحد فضوعف هذا الشهر في الكفارة ^(٢) توكيداً وتغليظاً عليه .

فإن قال : فلم جعلت متتابعين ؟ قيل : لئلا يهون عليه الأداء فيستخف به ، لأنه إذا قضاها متفرقاً هان عليه القضاء .

فإن قال : فلم أمر بالحج ؟ قيل : لعل الوفاة إلى الله عز وجل ، وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترب العبد تائباً مما مضى ، مستأنفاً لما يستقبل ، مع

(١) في نسخة : على الله .

(٢) في العيون : في كفارته . م

ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان ، والاشتغال عن الأهل والولد ، وحظر الأنافة عن اللذات ، شاخصاً في الحر والبرد ، ثابتاً ذلك عليه ، دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل ، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع .

أقول : في العلل : كل ذلك لطلب الرغبة إلى الله والرغبة منه ، وترك قساوة القلب وخسارة الأنافة ، ونسيان الذكر ، وانقطاع الرجاء ، والأمل ، وتجديد الحقوق ، وحظر الأنافة عن الفساد ، مع ما في ذلك من المنافع لجميع من «المشترك» في شرق الأرض وغربها ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لا يحج : من بين تاجر ، وجالب ، وبائع ومشترى ، وكاسب ، ومسكين ، ومكاري ، وفقير ، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية ، كما قال الله عز وجل : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» ، وليشهدوا منافع لهم .

فإن قال : فلم أمروا بحجة واحدة لا أكثر من ذلك ؟ قيل : لأن الله عز وجل وضع الفرائض على أدنى القوم قوة^(١) ، كما قال عز وجل : «فما استيسر من الهدي» يعني شاة ليسع له القوي والضعيف ، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على أدنى القوم قوة ، وكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ، ثم رغب بعد أهل القوة بقدر طاقتهم .

فإن قال : فلم أمروا بالتمتع إلى الحج^(٢) ؟ قيل : ذلك تخفيف من ربكم ورحمة لأن يسلم الناس من إحرامهم ولا يطول ذلك عليهم فيدخل^(٣) عليهم الفساد وأن يكون الحج والعمرة واجبين جميعاً فلا تعطّل العمرة ولا تبطل ، ولا يكون الحج مفرداً من العمرة ويكون بينهما فصل وتمييز ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : «دخلت العمرة في الحج»

(١) في العيون : مرة . م

(٢) في العيون : بالتمتع بالعمرة إلى الحج ؛ وفي العلل بالتمتع في الحج .

(٣) في العيون : فيتداخل . م

إلى يوم القيامة ، ولولا أنه ﷺ كان ساق الهدى ولم يكن له أن يحلّ حتى يبلغ الهدى محلّه لفعل كما أمر الناس ، ولذلك قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم ، ولكنني سقت الهدى ، وليس لسائق الهدى أن يحلّ حتى يبلغ الهدى محلّه » فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله نخرج حجاً جأ ورؤوسنا تقطر من ماء الجنابة ، فقال : إنك لن تؤمن بهذا أبداً .

أقول : ليس في العلل قوله : وقال النبي ﷺ إلى قوله : لن تؤمن بهذا ، وهو موجود في العيون ، وفي العلل مكانه زيادة ليست فيه وهي هذه : ويكون بينهما فصل و تمييز ، وأن لا يكون الطواف بالبيت محظوراً لأنّ الماحرم إذا طاف بالبيت قد أحلّ إلا لعلّة ، فلولا التمتع لم يكن للحاج أن يطوف لأنّه إن طاف أحلّ وفسد إحرامه ويخرج منه قبل أداء الحجّ ، ولأنّ يجب على الناس الهدى والكفّارة فيذبحون و ينحرون و يتقرّبون إلى الله جلّ جلاله فلا تبطل هراقة الدماء والصدقة على المسلمين . ولنرجع إلى المشترك بين الكتابين :

فإن قال : فلم جعل وقتها عشرين الحجّة ؟ قيل : لأنّ الله تعالى أحبّ أن يعبد بهذه العبادة في أيام التشريق فكان أوّل ما حجّت إليه الملائكة وطافت به في هذا الوقت فجعله سنة ووقتاً إلى يوم القيامة ، فأما النبيّون آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد صلوات الله عليهم وغيرهم من الأنبياء إنّما حجّوا في هذا الوقت فجعلت سنة في أولادهم إلى يوم القيامة .

فإن قال : فلم أمر وأبالي حرام ؟ قيل : لأنّ يخشعوا قبل دخول حرم الله عزّ وجلّ وأمنه ، واثلاً يلهوا ويشغلوا بشيء من أمر الدنيا وزينتها ولذاتها ، ويكونوا جادين فيما فيه ، قاصدين نحوه ، مقبلين عليه بكلّيتهم ، مع ما فيه من التعظيم لله عزّ وجلّ ولنبيّه ^(١) والتدليل لأنفسهم عند قصدهم إلى الله عزّ وجلّ ووفادتهم إليه ، راجين ثوابه

(١) في العيون وليسته واعلم أنه كان بين المصدرين و بينهما مع نسخ الكتاب اختلافات جزئية عدا ما ذكرنا ، وزوائد ونواقص لا يعبا بها ، أعرضنا عن التعرض لذكرها لعدم اختلال المعنى وتغييره بتركها . م

رايين من عقابه ، ماضين نحوه ، مقبلين إليه بالذل والاستكانة والخضوع ، والله الموفق وصلى الله على محمد وآله وسلم . «ص ١٤٨-١٦٤ ص ٩٤-١٠١»

ع ، ن : حدّثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري العطّار رضي الله عنه ، قال : حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري ، قال : قلت للفضل بن شاذان - لمّا سمعت منه هذه العلل - : أخبرني عن هذه العلل ، أذكرتها عن الاستنباط والاستخراج وهي من نتائج العقل ، أو هي ممّا سمعته ورويته ؟ فقال لي : ما كنت لأعلم مراد الله عزّ وجلّ بما فرض ، ولا مراد رسول الله ﷺ بما شرع وسنّ ، ولا علل^(١) ذلك من ذات نفسي ، بل سمعتها من مولاي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام المرأة بعد المرأة والشئ بعد الشئ فجمعتها . فقلت : فأحدث بها عنك عن الرضا عليه السلام ؟ قال : نعم . «ص ١٠١ ، ص ١٦٤»

ن : وحدّثنا الحاكم أبو محمد جعفر بن نعيم بن شاذان النيسابوري رضي الله عنه ، عن عمّه أبي عبد الله محمد بن شاذان ، عن الفضل بن شاذان أنّه قال : سمعت هذه العلل من مولاي أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام متفرقة فجمعتها وأسفّتها . «ص ١٦٤»

بيان : قوله : منها أن من لم يقرّ أقول : لعلّ الفرق بين الوجه الأوّل والثاني هو أن المحذور في الوجه الأوّل عدم تحقيق الأفعال الحسنة ، وعدم ترك الأفعال القبيحة وفي ذلك فساد الخلق وعدم بقائهم واختلال نظامهم ، وفي الثاني المحذور عدم تحقيق الأمر والنهي اللذين هما مقتضى حكمة الحكيم ، فلو فرض الإتيان بالأفعال الحسنة والانتفاء عن الأعمال الفاحشة بدون أمر الله تعالى ونهيه أيضاً لثمّ الوجه الثاني بدون الأوّل ، و الفرق بين الأوّل والثالث هو أن الأوّل جار في الأمور الظاهرة بخلاف الثالث ، فإنّه مختصّ بالأمور الباطنة ، فلو فرض أن يكون للناس حياء يردعهم عن إظهار الفواحش والظلم والفساد لثمّ الوجه الثالث أيضاً بخلاف الأوّل .

قوله : فلو لم يجب عليهم معرفته أي الرسول . قوله ثمّ اختلفت همتهم ، أقول : لعلّ المقصود نفى إمامة من كان في عصر الأئمة عليهم السلام من أئمة الضلال إذ كانت آراؤهم مخالفة لآراء أئمتنا ، وأفعالهم مناقضة لأفعالهم . ويحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين

(١) في المصدرين : ولا اعلل .

إذ هم قائلون باجتهاد النبي والإمام في الأحكام ، والاجتهاد مظنة الاختلاف كما يقولون في أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية . ثم أعلم أن المراد بالإمامين الأئمة على طائفة واحدة أو اللذان تكون لهما الرئاسة العامة وإلا فينتقض باجتماع الأئمة الكثيرين في عصر واحد في زمن بني إسرائيل . قوله : منها أن يكونوا قاصدين أقول : لعل المنظور في الوجه الأول عدم تعيين شيء للعبادة ، لأنه يحتمل أن يكون كل شيء ربهم حتى الأشياء التي لم يعبدوها أحد ، وفي الثاني إضلال الناس بعبادة الأصنام وأشباهاها باحتمال أن تكون هي ربهم ؛ ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الأول هو أنه لا بد لهم من معرفة ربهم لتصح العبادة له ولا يمكنهم المعرفة بالكنه ، وأقرب الوجوه التي تصل إليها عقول الخلق هو معرفته تعالى بأنه لا يشبه شيئاً من الأشياء في ذاته وصفاته ، ويحتمل أن يكون غرض السائل من الإقرار بأنه ليس كمثله شيء الإقرار بجميع الصفات الثبوتية والسلبية فإن جميعها راجعة إليه ، داخلة فيه إجمالاً ، ولعل هذا أظهر .

قوله : لأن في الصلاة الإقرار بالربوبية أقول : إما لأنها مشتملة على الإقرار بالربوبية في رب العالمين ، وعلى التوحيد في التشهد ، وعلى الإخلاص في إيتائك نعبد وإيتائك نستعين ؛ وإما لأن أصل عبادته تعالى دون غيره خلع للأنداد وإقرار بالربوبية ، وإما الزجر عن الفساد فلأن من خواص الصلاة أنها تصلح صاحبها وتزجره عن الفساد ، كما قال تعالى : «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» ^(١) ولا أقل إنّه في حال الصلاة ينزجر عن المعاصي وبعدها يستحي عن ارتكاب كثير منها . واسم كان الضمير الراجع إلى المصلي ، وخبره الظرف ، وزاجراً وحاجزاً منصوبان بالحالية ^(٢) .

قوله عليه السلام : ليساهما في كل وقت باديين أي لا يحصل فيهما الكثافة والقذارة مثل ما يحصل في الوجه واليدين . قوله : وذلك لأن الاستنجاء به ليس بفرض أقول : لم يقيد الفضل بالاستنجاء بالماء حتى يرد عليه إيراد الصدوق ، مع أنه يمكن تخصيصه

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) ويحتمل زيادة كلمة (في) اشتباهاً من النسخ ، أو كان في الأصل (زاجراً وحاجزاً ومانعاً)

بالمتعدي ، أويقال : إن مراده الأعم من الوجوب التخييري ، ويمكن توجيه كلامه بأن
الفرض في عرف الحديث ماثبت وجوبه بالقرآن ، والاستنجا لم يثبت وجوبه بنص
القرآن حتى يكون فرضاً ؛ و يرد عليه : أن استعمال الفرض في الوجوب بالمعنى
الأعم أيضاً شائع ، وغاية الأمر أن يكون مجازاً في عرفهم و ارتكابه لتوجيه الكلام
مجوز .

قوله : وتعريفاً لمن جهل الوقت يمكن تخصيصه بمن لا يمكنه العلم بدخول الوقت
ويحتمل أن يكون المراد أنه يتنبه لاحتمال دخول الوقت فيحصل العلم به ، مع أنه
سيأتي كثير من الأخبار الدالة على جواز الاعتماد على المؤذنين في دخول الوقت .

قوله : مجاهراً بالإيمان أي الصلاة كما قال الله تعالى : « وما كان الله ليضيع
إيمانكم » ^(١) أوللتكلم بالكلمتين . ^(٢) قوله : فجعل الأولين ، يفهم منه أن التكبيرتين
الأوليين ليستامن الأذان ، وإنما هما من المقدمات الخارجة عنه ، و به يمكن الجمع
بين الأخبار المختلفة في ذلك . قوله : ليكون لعل الأظهر : وليكون .

قوله : إنما هو أداء أي علمهم طريق الشكر أو حمد نفسه بدلاً عن خلقه . و قوله :
وشكر تخصيص بعد التعميم . قوله : وإقرار بأنه هو الخالق لأن المراد بالعالم ما يعلم
به الصانع وهو كل ما سوى الله ، وجمع ليدل على جميع أنواعه فإذا كان تعالى خالق الجميع
ومدبرهم فيكون هو الراجب تعالى وغيره آثاره .

قوله عَلَيْهِ السَّلَام : استعطف لأن ذكره تعالى بالرحمانية والرحيمية نوع من طلب
الرحمة بل أكمل أفرادها .

قوله : لأن التكبير في الركعة الأولى في العلل : في الصلوات الأول وهو الصواب
أي التكبيرات الافتتاحية ، إذاً أولى افتتاح للقراءة ، والثانية افتتاح للركوع ، والثالثة
للسجود الأول ، والرابعة للسجود الثاني ، وهكذا إلى تمام الركعتين ؛ وليست
التكبيرات التي للرفع من الركوع والسجود بافتتاحية .

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) أي الشهادتين . ويحتمل أن يكون المراد بالإيمان مجموع الشهادتين والدعوة إلى الصلاة

وإلى خير العمل .

قوله : غلط الفضل أقول : بل اشتبه على الصدوق رحمه الله إذ الظاهر أن تكبيرة الافتتاح فريضة لقوله تعالى : « وربك فكبير » ^(١) ولذا تبطل الصلاة بتركها عمداً وسهواً ، على أنه يحتمل أن يكون مراده بالفرض الواجب كما مر ، والعجب من الصدوق أنه مع ذكره في آخر الخبر أن هذا العلل كلها مأخوذة عن الرضا عليه السلام و تصريحه في سائر كتبه بأنها مروية عنه عليه السلام كيف يجترى ، على الاعتراض عليها ، ولعله ظن أن الفضل أدخل بينها بعض كلامه ، فما لا يوافق مذهبه يحمله على أنه من كلام الفضل ويعترض عليه ، وفيه أيضاً ما لا يخفى .

قوله : إلى أن يصير في كل شيء أربعة أضعافه أقول : هذه العبارة غير موجودة في العيون ، وفيه أنه لا يوافق شيئاً من الأخبار المختلفة الواردة في آخر وقت العصر ، فإنه لم يرد في شيء من الأخبار أكثر من المثلين ، ولعل فيه تصحيحاً ، ولذا أسقطه في العيون .

قوله : ولأن في وقت رفع اليدين أقول : لعل المعنى أن في وقت ذكر الله تعالى يناسب التضرع والابتهاال ، خصوصاً في وقت هذا الذكر المخصوص لأنه وقت إحضار النية وإقبال القلب فيكون التضرع والابتهاال أنسب ، ولما كان هذا الوجه إنما يناسب تكبيرة الاستفتاح ذكر لا طراداه في سائر التكبيرات وجهاً آخر على ما في العلل ، ولعل التضرع والابتهاال في رفع اليدين إنما هو لدلالته على اختصاص الكبرياء بالله وفيه عما سواه وأنه تعالى لا يدرك بالأخماس و الحواس الظاهرة والباطنة ، كما سيأتي في علل الصلاة .

قوله عليه السلام : فجعلت السنة مثلي الفريضة قال الوالد العلامة رحمه الله : لأن الغالب في أحوال الناس أنهم لا يمكنهم لتشبهتهم بعلائقهم إحضار القلب في أكثر من ثلث الصلاة ، فلمّا صار النافلة مثلي الفريضة أمكن تحصيل ثلث المجموع وهو يساوي عدد الفريضة . قوله عليه السلام : ولم تقصر مكان الخطبتين الأظهر أنه لا يختص بالوجه الأخير ، بل الفرض دفع توهم أنها صلاة مقصورة كصلاة السفر ، وذلك لأن الخطبتين فيها بمنزلة الركعتين فليست بمقصورة ، أو الغرض بيان عدم جواز إيقاعها في السفر بتوهم

أنّها صلاة مقصورة ، إذا الخطبة من شرائطها فلا يتحقق بدونها ، ومعها ليست بمقصورة لأنّها بمنزلة الركعتين ، ويمكن أن يقرأ (لِمَ) بكسر اللام استفهاماً أي إنّما تقصر العيد لما كان خطبتيه .

قوله عَلَلُ : والمنفعة أقول : كأنّها معطوفة على الأحوال ، ولا يبعد أن يكون الأحوال تصحيف الأحوال ؛ وبعد ذلك في نسخ العلل زيادة ليست في العيون ، وهي هذه : ولا يكون الصائر في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممّن يؤمّ الناس في غير يوم الجمعة . ولعلّه لإغلاقه وعدم وضوح معناه أسقطه عن العيون ، ويمكن توجيهه بوجوه .

الاول : أن يكون المراد بيان كون حالة الخطبة حالة متوسطة بين حالة الصلاة وغيرها فيكون تقدير الكلام : أنّه لا يكون الصائر في الصلاة أي المتلبس بها منفصلاً عنها في غير يوم الجمعة ، وفي يوم الجمعة في حال الخطبة كذلك لأنّه كالداخل في الصلاة لاشتراط كثير من أحكام الصلاة فيها وكونها عوضاً عن الركعتين ، وليس بداخل حقيقة فيها ، وليس فاعل غير الصلاة يؤمّ الناس في غير يوم الجمعة ويوم الجمعة كذلك ، لأنّ الإمام في الخطبة يؤمّ الناس من حيث يلزمهم الاجتماع إليه والاستماع لكلامه كالاستماع لقراءته حال الصلاة وليست الخطبة بصلاة حقيقة ، فالباء في قوله : بفاعل زائدة والضمير في غيره راجع إلى الصلاة بتأويل الفعل .

الثاني : أن يرجع المعنى إلى الأول ويوجّهه العبارة بوجه آخر بأن يكون « ليس بفاعل » عطف تفسير لقوله : منفصلاً ، ويكون قوله : « غيره » حالاً للصائر ، وقوله : « ممّن يؤمّ » صفة لغيره ، أو حالاً أخرى للصائر ، وحاصل المعنى : أن الصائر في الصلاة الذي يكون غير إمام الجمعة ويؤمّ الناس في غير يوم الجمعة لا يكون منفصلاً عن الصلاة ، غير فاعل لها بخلاف يوم الجمعة ، فإنّه كذلك في حال الخطبة ، وليس في هذا الوجه شيء من التكلفين السابقين .

الثالث : أن يكون ممّن يؤمّ خبر كان وقوله : « منفصلاً » وقوله : « ليس بفاعل غيره » حالين للصائر فيكون لبيان علّة أخرى للخطبة ، والحاصل أنّه إنّما جعلت الخطبة لئلا يكون الصائر في صلاة الجمعة حال كونه منفصلاً ممتازاً عن سائر الأئمة ، ولا يفعلها

غيره ممّن يؤمّ الناس في غير الجمعة ، إذ يشترط في الخطبة العلم بما يعظ الناس ويأمرهم به والعمل بها ، ولا يشترك ذلك في سائر الأئمّة ، وهذا وجه قريب ، وإن كان فيه بُعد ما لفظاً ، بل الأظهر عندي أنّه كان في الأصل : «ليكون» أي إنّما جعلت الخطبة ليكون الإمام في تلك الصلاة منفصلاً ممتازاً ولا يفعل تلك الصلاة غيره من أئمّة الصلوات في سائر الأيام . وفي هذا الوجه وفي قوله : فأراد أن يكون للأمر إشعار بأن هذه الصلاة إنّما يفعلها الأئمّة أو المنصوبون من قبل الإمام عليه السلام .

الرابع : أن يكون قوله : ممّن يؤمّ متعلقاً بقوله : منفصلاً ، ويكون قوله : وليس بفاعل غيره تفسيراً لقوله : منفصلاً ، ويكون حاصل الكلام : أنّه إنّما جعلت الخطبة لتلايكون المصلّي في يوم الجمعة منفصلاً عن المصلّي في غيره بأن يكون صلاته ركعتين ، فإنّها مع الخطبتين بمنزلة أربع ركعات .

قوله : والخطبتان في الجمعة والعيد بعد الصلاة أقول : لم يذهب إلى هذا القول فيما علمنا أحد من علمائنا غيره في هذين الكتابين ، وسيأتي القول في ذلك في بابه . قوله : فوجبت الجمعة على من هو على نصف البريد في مناسبة هذا الأصل الحكم خفاء ، ولعلّه مبنيّ على ما لا يصل إليه علمنا من المناسبات الواقعيّة ، ويمكن أن يقال : لمّا كان الغالب في المسافرين الركبان ، والقوافل المحملة المثلثة إنّما تقطع في بياض الأيام القصار ثمانية فراسخ والتكليف بحضور صلاة الجمعة يتعلّق بالركبان والمشاة ، والغالب فيهم المشاة ، والمشي يسير غالباً نصف الراكب فلذا جعل هنا نصف ما جعل للمسافر ؛ وأنّ يوم الجمعة أعمالاً أخرى غير الصلاة فجعل نصفه للصلاة ونصفه لسائر الأعمال ، فلو وجب عليهم المسير أكثر من فرسخين لم يتيسّر له سائر الأعمال والله يعلم .

قوله : ليلقى ربّه طاهر الجسد أي لا يصير جسده كثيفاً من تراب القبر وغيره والمراد بملاقات الرب ملاقات ملائكته ورحمته . قوله : لأنّ هذه الأشياء كلّها ملبّسة ، لعلّ المعنى أنّه لمّا كان غالب المماسّة فيها هكذا فلذا رفع الغسل من رأس ، فلا يتوهم منه وجوب الغسل بمسّ ما تحلّه الحياة منها . قوله عليه السلام : يرى الكسوف أي آثاره من ضوء الشمس والقمر .

قوله عليه السلام : فلمّا تغيّرت العلّة أي المناسب لهذه العلّة الدالّة على نزول العذاب زيادة تضرّع واستكانة ليست في سائر الصلوات فلذا زيد في ركوعاتها . قوله : لأنّ أوّل شهر السنة علّة للتقييد بسنة الأكل . قوله : لأنّه يكون في ركعتين اثنا عشر تكبيرة أي مع تكبيرة القنوت .

قوله : فلذلك جعل فيها أي في القيام فقط ، وإلا فالمجموع أزيد بعدد ما زيد فيها ويقال : راض الفرس رياضاً ورياضة : ذلّله فهو راض . قوله : وفيه فرق أي في شهر رمضان بسبب نزول القرآن ، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القرآن .

قوله عليه السلام : وفيه نبى ، محمد صلّى الله عليه وآله لعلّ النبوة والوحي كان في شهر رمضان ، والرسالة والأمر بالتبليغ كان في شهر رجب .

قوله عليه السلام : لأنّه كان بمنزلة من وجب عليه صوم أقول : لعلّ التعليل مبني على أنّ وقت القضاء هو ما بين الرمضانين ، إذ لا يجوز له التأخير اختياراً عنه ، فلمّا كان فيما بين ذلك معذوراً سهّل الله عليه ، وقبل منه الفداء ، ولم يكن الله ليجمع عليه العوض والمعوض ، فلذا أسقط القضاء عنه بعد القدرة لانتقال فرضه إلى شيء آخر . قوله : لأنّه إذا عرض عمل ثمانية أيّام كذا في العيون ؛ وفي العلل : ثلاثة أيّام ، وعلى التقديرين يشكّل فهمه ، أمّا على الأوّل فيمكن توجيهه بوجهين : الأوّل أن يقال : العرض غير مختصّ بعمل الأسبوع بل يعرض عمل مامر من الشهر في كلّ خميس ، وإذا لم يكن في العشر الآخر خميسان فليس مورد هذه العلّة ، وإذا كان فيه خميسان ففيه ثلاثة احتمالات : الأوّل : أن يكون الخميس الأوّل الحادي والعشرين ، والخميس الثاني الثامن والعشرين ؛ الثاني أن يكون الخميس الثاني التاسع والعشرين ؛ الثالث أن يكون الخميس الثاني الثلاثين ؛ وهذا الأخير أيضاً ليس بداخل في المفروض ، لأنّ المفروض هو ما علم دخول خميسين فيه أولاً وههنا غير معلوم لاحتمال أن لا يكون للشهر سلخ فبقي الاحتمالان الأوّلان ، وفي الثاني منهما يكون استيعاب الخميس الأوّل لأعمال الشهر أكثر كالثاني فلذا خصّه بالذكر ، فنقول : دخول أعمال الشهر إلى العشرين معلوم فيهما ، فأما بعده فما يدخل في عرض الخميس الأوّل منه يومان أي يوم وبعض يوم ، ويدخل في

الثاني زائداً على هذا ثمانية أي سبعة أيام و بعض يوم ، فبعض الخميس الأول حسب من اليومين وبعضه من الثمانية ؛ فالمراد بقوله : إذا عرض عمل ثمانية أيام أي زائداً على ماسيأتي من اليومين ، وعلى ما هو المعلوم دخوله فيهما من العشرين ؛ على أنه يحتمل أن يكون المعروض في الخميس عمل العشر فلا يحتاج إلى إضافة العشرين ، ويمكن أن يقال : أخذ في الخميس الأول أكثر محتملاته وفي الخميس الثاني أقل محتملاته استظهاراً وتأكيذاً إذ على ما قررنا أكثر محتملات الخميس الأول أن يدخل فيه عرض عمل يومين من العشر بأن يكون في الثاني والعشرين ، وأقل محتملات الثاني أن يدخل فيه ثمانية بأن يكون الأول في الحادي والعشرين وعلى هذا يندفع ويرتفع أكثر التكلفات .

الثاني أن يكون المعروض في الخميس عمل الأسبوع فقط ، لكن لما خص كل عشر بصوم يوم كان الأنسب أن يكون ما يعرض في خميس العشر الآخر أكثر استيعاباً لأيامه ، فإذا عرض في الخميس الأول فما هو من احتماليه أكثر استيعاباً هو أن يشمل يومين منه كما مر بيانه ، وإذا عرض في الخميس الثاني يستوعب ثمانية أيام من ذلك العشر على كل احتمال من الاحتمالات فيكون أولى بالصوم ؛ وأما على الثاني فيمكن توجيهه أيضاً بوجهين : الأول أنه إذا لزمه صوم الخميس الثاني ففي بعض الشهور أي ما يكون سابعه الخميس يلزمه احتياطاً صوم خميسين ، كما ورد في أخبار آخر فيعرض عمله في ثلاثة أيام وهو صائم في بعض الأحيان ^(١) بخلاف ما إذا كان المستحب صوم الخميس الأول من العشر الآخر فإنه يكون دائماً عرض العمل في الشهر في يومين وهو صائم .

الثاني أن يكون المقصود من السؤال بيان علة جعل الخميس الثاني بعد الأربعاء سواء كان في العشر الوسط أو في العشر الأخير ، وسواء كان الخميس الأول من العشر الأخير أو الثاني منه ، فالمراد بالجواب أنه إنما جعل هذا الخميس بعد الأربعاء لأن يعرض فيه صوم ثلاثة أيام في هذا الشهر ، مع أنه يكون في يوم العرض صائماً أيضاً ، وعلى التقادير لا يخلو من تكلف .

قوله عليه السلام : واستخف بالإيمان أي بأعماله ، والمراد هنا الصوم وسائر ما تلزم فيه

(١) في نسخة : الايام .

الكفارة ، و يحتمل أن يكون بفتح الهمزة بناءً على إطلاق اليمين على النذر و أن كفارته كذلك .

قوله ﷺ : لعلة الوفادة الوفد : القوم يجتمعون ويردون البلاد ، الواحد وافد وكذا من يقصد الأمر بالزيادة ، والاسترفاد والانتجاع ، يقال : وفديفد وفادة .

قوله : ثابتاً ذلك عليه دائماً أي في مدّة مديدة زائداً على أزمّة سائر الطاعات .
قوله ﷺ : ولأن يجب على الناس الهدي لعله مبني على أن هدي التمتع جبران لأنسك ؛ فيكون قوله : والكفارة عطف تفسير .

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ ماورد من ذلك برواية ابن سنان ﴾

١ - ع : علي بن أحمد ، عن محمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن العباس ، عن القاسم بن الربيع الصحاف ، عن محمد بن سنان أن أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ كتب إليه بما في هذا الكتاب جواب كتابه إليه يسأله عنه : جاءني كتابك تذكر أن بعض أهل القبلة يزعم أن الله تبارك وتعالى لم يحل شيئاً ولم يحرمه لعلّة أكثر من التعبد لعباده بذلك ، قد ضلّ من قال ذلك ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً لأنّه لو كان كذلك لكان جائزاً أن يستعبدهم بتحليل ما حرّم و تحريم ما أحلّ حتّى يستعبدهم بترك الصلاة والصيام وأعمال البر كلّها ، والإنكار له ولرسله وكتبه والجحود بالزنا والسرقه وتحريم ذوات المحارم وما أشبه ذلك من الأمور التي فيها فساد التدبير وفناء الخلق ، إذ العلة في التحليل والتحريم التعبد لا غيره ، فكان كما أبطل الله عز وجلّ به قول من قال ذلك إنّنا وجدنا كلّ ما أحلّ الله تبارك وتعالى ففيه صلاح العباد وبقاؤهم ولهم إليه الحاجة التي لا يستغنون عنها ، ووجّه المحرّم من الأشياء لأحاجة المعباد إليه ووجدناه مفسداً داعياً إلى الفناء والهلاك ، ثم رأينا تبارك وتعالى قد أحلّ بعض ما حرّم في وقت الحاجة لما فيه من الصلاح في ذلك الوقت ، نظير ما أحلّ من الميتة والدم ولحم الخنزير

إذا اضطر إليه المضطر ، لما في ذلك الوقت من الصلاح والعصمة ودفع الموت ، فكيف دلّ الدليل على أنه لم يحلّ إلا لما فيه من المصلحة للأبدان ، وحرّم ما حرّم لما فيه من الفساد ، وكذلك وصف في كتابه وأدّت عنه رساله و حججه كما قال أبو عبد الله عليه السلام : لو يعلم العباد كيف كان بدء الخلق ما اختلف اثنان . و قوله عليه السلام : ليس بين الحلال والحرام إلا شيء يسير ، يحوله من شيء إلى شيء فيصير حلالاً وحراماً . «ص ١٩٧»

بيان : قوله : بما في هذا الكتاب جواب كتابه إليه هذا كلام الصدوق ولما فرّق في كتاب العلل هذه العلل الواردة في هذا الخبر على الأبواب المناسبة لها ذكر صدر الخبر وأشار إلى أن ما فرّقه كلّها من تنمّة هذا الخبر ، و لعلّه أسقط هذا ممّا رواه في العيون اختصاراً أو لم يكن هذا في بعض ما أورده هناك من الأسانيد . قوله عليه السلام : فكان كما أبطل الله يحتمل أن يكون إننا وجدنا اسم كان ، وكما أبطل الله خبره ، أي يبطل ذلك وجداننا كما يبطله صريح الآيات الدالة على أن الأحكام الشرعية معلّلة بالحكم الكاملة ، ويحتمل أن يكون إننا وجدنا استينافاً .

قوله عليه السلام : كيف كان بدء الخلق أي لأيّ علّة خلقهم ولأيّ حكمة كلّهم لم يختلفوا في أمثال تلك المسائل المتعلّقة بذلك . قوله عليه السلام : يحوله من شيء إلى شيء أي اختلاف الأحوال والأوقات والأزمان يوجب تغيير الحكم لتبدّل الحكمة كحرمة الميثّة في حال الاختيار وحليّتها في حال الاضطرار ، و كحرمة الأجنبية بدون الصيغة وحليّتها معها فظهر أن دقائق الحكم مرعية في كلّ حكم من الأحكام .

٢ - ن : ما جيلويه ، عن عمّه ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن محمد بن سنان ؛ و حدّ ثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق ، ومحمد بن أحمد السناني ، و علي بن عبد الله الوراق ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتّوب رضي الله عنهم ، قالوا : حدّ ثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن العباس قال : حدّ ثنا القاسم بن الربيع الصحاف ، عن محمد بن سنان ؛ و حدّ ثنا علي بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، و علي بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة ، و أبو جعفر محمد بن موسى البرقي

بالري رضي الله عنهم ، قالوا حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان أن أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه في جواب مسأله : علة غسل الجنابة النظافة و تطهير الإنسان نفسه مما أصابه من أذاه ، و تطهير سائر جسده لأن الجنابة خارجة من كل جسده فلذلك وجب عليه تطهير جسده كله ، و علة التخفيف في البول والغائط لأنه أكثر وأدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرة و مشقته و مجيئه بغير إرادة منه ولا شهوة ، و الجنابة لا تكون إلا بالاستلذاذ منهم و الإكراه لأنفسهم ، و علة غسل العيد والجمعة و غير ذلك من الأغسال لما فيه من تعظيم العبد ربه ، و استقباله الكريم الجليل و طلب المغفرة لذنوبه ، و ليكون لهم يوم عيد معروف يجتمعون فيه على ذكر الله عز وجل ، فجعل فيه الغسل تعظيماً لذلك اليوم ، و تفضيلاً له على سائر الأيام ، و زيادة في النوافل و العبادة ، و ليكون تلك طهارة له من الجمعة إلى الجمعة ، و علة غسل الميت أنه يغسل لأنه يطهر و ينظف من أدناس أمراضه ، و ما أصابه من صنوف علله لأنه يلتقي الملائكة و يباشر أهل الآخرة ، فيستحب إذا ورد على الله و لقي أهل الطهارة و يماسونهم أن يكون طاهراً ، نظيفاً ، موجهاً به إلى الله عز وجل ليطلب به و يشفع له ؛ و علة أخرى أنه يخرج منه الأذى ^(١) الذي منه خلق فيجنب فيكون غسله له ؛ و علة اغتسال من غسله أو مسه فظاهرة لما أصابه من نضح الميت لأن الميت إذا خرجت الروح منه بقي أكثر آفة فلذلك يتطهر منه و يطهر .

و علة الوضوء التي من أجلها صار غسل الوجه و الذراعين و مسح الرأس و الرجلين فليقامه بين يدي الله عز وجل ، و استقباله إيّاه بجوارحه الظاهرة ، و ملاقاته بها الكرام الكاتبين .

فغسل الوجه لل سجود والخضوع ، و غسل اليدين ليقبلهما ويرغب بهما ويرهب و يتبتّل ، و مسح الرأس و القدمين لأنهما ظاهران مكشوفان يستقبل بهما في حالاته ، و ليس فيهما من الخضوع والتبتّل ما في الوجه و الذراعين .

(١) في المصدر : المنى (الاذى خ ل) ٢٠

وعلمة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحسين أموال الأغنياء لأن الله تبارك وتعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة و البلوى ، كما قال عز وجل : « لتبلون في أموالكم » بإخراج الزكاة ^(١) « وفي أنفسكم » بتوطين الأنفس على الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل ، والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الرحمة والرفقة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين ، وهم عظة لأهل الغنى ، وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله عز وجل لما خولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة من أداء الزكاة ^(٢) والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف .

وعلمة الحج الوفاة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترب ، وليكون تائباً ممّياً مضي ، مستأنفاً لما يستقبل ، وما فيه من استخراج الأموال و تعب الأبدان وحظرها عن الشهوات واللذات ، والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل ، والخضوع والاستكانة والذل ، شاخصاً في الحر ^(٣) والبرد والخوف والأمن ، دائماً في ذلك دائماً ، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرغبة إلى الله عز وجل ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ونسيان الذكر و انقطاع الرجاء والأمل ، و تجديد الحقوق وحظر النفس عن الفساد ، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها ، ومن في البر والبحر ممن يحج ومن لا يحج ، من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم .

وعلمة فرض الحج مرة واحدة لأن الله عز وجل وضع الفرائض على أدنى القوم قوة فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحد ، ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم .

(١) في المصدر : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم » في أموالكم بإخراج الزكاة اهـ . م

(٢) في المصدر : في أداء الزكاة . م

(٣) في المصدر : شاخصاً إليه في الحر . م

وعلة وضع البيت وسط الأرض أنه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض ، و كل ريح تهب في الدنيا فإنها تخرج من تحت الركن الشامي ، وهي أول بقعة وضعت في الأرض ، لأنها الوسط ليكون الفرض لأهل الشرق والغرب في ذلك سواء ؛ وسميت مكة مكة لأن الناس كانوا يمكّون فيها ، وكان يقال لمن قصدتها : قدمكاً ، و ذلك قول الله عز وجل : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّةً » فالمكاء : الصغير ، والتصديّة : صفق اليدين .

وعلة الطواف بالبيت أن الله عز وجل قال للملائكة : « إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » فردوا على الله عز وجل هذا الجواب فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا ، فأحب الله عز وجل أن يتعبّد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح ، ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمر بحذاء الضراح ، ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمر ، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عز وجل عليه فجري ذلك في ولده إلى يوم القيامة .

و علة استلام الحجر أن الله تبارك و تعالى لما أخذ ميثاق بني آدم التقمه الحجر فمن ثم كلف الناس تعاهد ذلك الميثاق ؛ و من ثم يقال عند الحجر : أماتني أديتها . و ميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة ؛ ومنه قول سلمان رحمه الله : ليجيئن الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسان وشفطان يشهد لمن وافاه بالموافاة .

و العلة التي من أجلها سميت منى منى أن جبرئيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام : تمنّ على ربك ماشئت ، فتمنّى إبراهيم عليه السلام في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداءً له فأعطى مناة .

وعلة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ، ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة مع مافيه من الانكسار له عن الشهوات ، واعظاً له في العاجل ، دليلاً على الآجل ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة .

وحرّم قتل النفس لعلة فساد الخلق في تحليله لو أحلّ وفنائهم وفساد التدبير .

وحرّم الله عز وجل عقوق الوالدين لما فيه من الخروج عن التوقير^(١) لطاعة الله عز وجل ،
والتوقير للوالدين ، وتجنب كفر النعمة ، وإبطال الشكر وما يدعو من ذلك إلى قلة النسل
وانقطاعه ، لما في العقوق من قلة توقير الوالدين والعرفان بحقهما ، وقطع الأرحام ،
والزهد من الوالدين في الولد ، وترك التربية لعلّة ترك الولد برّهما .

وحرّم الزنا لما فيه من الفساد من قتل الأنفس ، وذهاب الأنساب ، وترك التربية
للأطفال ، وفساد الموارث ، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد .

وحرّم أكل مال اليتيم ظلماً لعلل كثيرة من وجوه الفساد ، أوّل ذلك أنّه إذا
أكل الإنسان مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغن ، ولا يحتمل لنفسه ،
ولا عليم بشأنه ، ولاله من يقوم عليه ويكفيه كقيام والديه ؛ فإذا أكل ماله فكأنّه قد قتله
وصيّره إلى الفقر والفاقة ، مع ما خوف الله تعالى وجعل من العقوبة في قوله عز وجل :
« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعفاً خافوا عليهم فليستقوا الله » وكقول أبي جعفر
عليه السلام : إنّ الله وعد في أكل مال اليتيم عقوبتين : عقوبة في الدنيا ، وعقوبة في الآخرة
ففي تحريم مال اليتيم استغناء اليتيم^(٢) واستقلاله بنفسه ، والسلامة للعقب أن يصيبه
ما أصابه ؛ لما وعد الله تعالى فيه من العقوبة ، مع ما في ذلك من طلب اليتيم بشاره إذا
أدرك ، ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتّى يتفانوا .

وحرّم الله تعالى الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين ، والاستخفاف
بالرسل ، والأئمة العادلة عليهم السلام ، وترك نصرتهم على الأعداء ، والعقوبة لهم على إنكار ما
دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد ، لما في ذلك
من جرأة العدو على المسلمين وما يكون في ذلك من السبي والقتل ، وإبطال دين الله
عز وجل وغيره من الفساد .

وحرّم التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين ، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج
عليهم السلام ، وما في ذلك من الفساد ، وإبطال حق كلّ ذي حقّ لالعلّة سكنى البدو ،

(١) في نسخة : التوفيق .

(٢) في المصدر : استبقاء اليتيم . م .

وكذلك لو عرف الرجل الدين كاملة لم يجزله مساكنة أهل الجهل ، والخوف عليه لأنه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم والدخول مع أهل الجهل والتمادي في ذلك .

وحرّم ما أهل به لغير الله عز وجلّ للذي أوجب الله عز وجلّ على خلقه من الإقرار به ، وذكر اسمه على الذبائح المحلّلة ، ولئلا يسوّى بين ما تقرّب به إليه ، وبين ما جعل عبادة للشياطين والأوثان ، لأنّ في تسمية الله عز وجلّ الإقرار بربوبيّته وتوحيده ، رمافي الإهلال لغير الله من الشرك به والتقرّب به إلى غيره ، ليكون ذكر الله تعالى وتسميته على الذبيحة فرقاً بين ما أحلّ الله وبين ما حرّم الله ؛ وحرّم سباع الطير الوحش كلّها لأكلها من الجوف ولحوم الناس والعذرة وما أشبه ذلك فجعل الله عز وجلّ دلائل ما أحلّ من الويس والبير وما حرّم كما قال أبي عبد الله : كلّ ذي ناب من السباع وذو مخالب من الطير حرام ، وكلّما كانت له قانصة من الطير فحلال . وعلة أخرى يفرق بين ما أحلّ من الطير وما حرّم قوله عليه السلام : كل ما دفّ ، ولا تأكل ما صفّ .

وحرّم الأرنب لأنّها بمنزلة السنور ولها مخالب كمخالب السنور وسباع الوحش فجرت مجراها ، مع قذرها في نفسها ، وما يكون منها من الدم كما يكون من النساء لأنّها مسخ .

وعلة تحريم الربا إنّما نهى الله عنه لما فيه من فساد الأموال لأنّ الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً ، وثمر الآخر باطلاً ، فيبيع الربا وشراه وكس على كلّ حال على المشتري وعلى البائع ؛ فحظر الله عز وجلّ الربا لعلة فساد الأموال كما حظر على السفينة أن يدفع إليه ماله ، لما يتخوّف عليه من إفساده حتّى يؤنس منه رشد ؛^(١) فل هذه العلة حرّم الله الربا وبيع الدرهم بالدرهمين يداً بيد .

وعلة تحريم الربا بعد البيّنة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرّم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله لها ، ولم يكن ذلك منه إلاّ استخفافاً بالمحرّم للحرام ، والاستخفاف بذلك دخول في الكفر .

(١) في بعض النسخ : رشد . م

وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعلة ذهاب المعروف ، وتلف الأموال ، ورغبة الناس في الربح ، وتركهم القرض ، والقرض من صنائع المعروف ؛ ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال .

وحرّم الخنزير لأنّه مشوّه ، جعله الله عزّ وجلّ عظةً للخلق وعبرةً وتخويفاً ودليلاً على مامسح على خلقته ، ولأنّ غذاءه أقذر الأقدار مع علل كثيرة ؛ وكذلك حرّم القرد لأنّه مسخ مثل الخنزير ، وجعل عظةً وعبرةً للخلق ودليلاً على مامسح على خلقته وصورته ، وجعل فيه شيئاً من الإنسان ^(١) ليدلّ على أنّه من الخلق المغضوب عليه .

وحرّمت الميتة لما فيها من فساد الأبدان والآفة ، ولما أراد الله عزّ وجلّ أن يجعل التسمية سبباً للتحليل وفرقاً بين الحلال والحرام .

وحرّم الله عزّ وجلّ الدم كتحرّم الميتة لما فيه من فساد الأبدان ، ولأنّه يورث الماء الأصفر ، ويبخر الفم ، وينتن الريح ، ويسبب الخلق ، ويورث القسوة للقلب ، وقلة الرأفة والرحمة حتّى لا يؤمن أن يقتل ولده ووالده وصاحبه .

وحرّم الطحال لما فيه من الدم ، ولأنّ علقته وعلة الدم والميتة واحدة ، لأنّه يجري مجراها في الفساد .

وعلة المهر ووجوبه على الرجال ولا يجب على النساء أن يعطين أزواجهنّ لأنّ على الرجل مؤونة المرأة لأنّ المرأة بائعة نفسها ، والرجل مشتري ، ولا يكون البيع إلا بثمن ، ولا الشراء بغير إعطاء الثمن ؛ مع أنّ النساء محظورات عن التعامل والمجيء ^(٢) مع علل كثيرة .

وعلة تزويج الرجل أربع نسوة وتحريم أن تتزوّج المرأة أكثر من واحد لأنّ الرجل إذا تزوّج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه ، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو ، إذ هم مشتركون في نكاحها ، وفي ذلك فساد الأنساب والمواثيق والمعارف .

(١) في المصدر : شبهاً من الانسان . م

(٢) في نسخة : المتجر

وعلة تزويج العبد اثنتين لأكثر منه لأنه نصف رجل حر في الطلاق والنكاح ،
لا يملك نفسه ولا له مال إنما ينفق عليه مولاه ، وليكون ذلك فرقاً بينه وبين الحر ، وليكون
أقلّ اشتغاله عن خدمة مواليه .

وعلة الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث لرغبة تحدث ،
أو سكون غضب إن كان ، وليكون ذلك تخويفاً وتأديباً للنساء و زجراً لهنّ عن معصية
أزواجهنّ ، فاستحققت المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها .
وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات فلا تحلّ له أبداً عقوبة لثلاثاً يتلاعب بالطلاق ،
ولا تستضعف المرأة ، وليكون ناظراً في أمره ، متيقظاً معتبراً ، وليكون يأساً لهما من
الاجتماع بعد تسع تطليقات .

وعلة طلاق المملوك اثنتين لأن طلاق الأمة على النصف فجعله اثنتين احتياطاً
لكمال الفرائض ؛ وكذلك في الفرق في العدة للمتوفى^(١) عنها زوجها .

وعلة ترك شهادة النساء في الطلاق والهلال لضعفهنّ عن الرؤية ومحاباتهنّ النساء
في الطلاق ، فلذلك لا يجوز شهادتهنّ إلا في موضع ضرورة مثل شهادة القابلة ، وما لا
يجوز للرجال أن ينظروا إليه ، كضرورة تجويز شهادة أهل الكتاب إذا لم يوجد غيرهم ،
و في كتاب الله عزّ وجلّ : اثنان ذوا عدل منكم مسلمين ، أو آخران من غيركم كافرين ،
ومثل شهادة الصبيان على القتل إذا لم يوجد غيرهم .

والعلة في شهادة أربعة في الزنا واثنتين في سائر الحقوق لشدة حدّ المحصن لأنّ
فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفةً منغلظةً ، لما فيه من قتل نفسه ، وذهاب نسب ولده
ولفساد الميراث .

وعلة تحليل مال الولد لو أله بغير إذنه وليس ذلك للولد لأنّ الولد موهوب
للوالد في قول الله عزّ وجلّ : " يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور " مع أنّه
المأخوذ بمؤنّته صغيراً وكبيراً ، والمنسوب إليه والمدعوّ له لقول الله عزّ وجلّ : " ادعوهم
لآبائهم هو أقسط عند الله " وقول النبي ﷺ : أنت ومالك لأبيك ، وليست الوالدة كذلك

لا تأخذ من ماله إلا بإذنه ، أو بإذن الأب لأن الأب مأخوذ بنفقة الولد ، ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها .

والعلة في أن البيّنة في جميع الحقوق على المدّعي واليمين على المدّعى عليه ما خلا الدم لأن المدّعى عليه جاحد ، ولا يمكن إقامة البيّنة على الجحود لأنّه مجهول ؛ وصارت البيّنة في الدم على المدّعى عليه واليمين على المدّعي لأنّه حوط يحتاط به المسلمون لئلا يبطل دم امرئ مسلم ، وليكون ذلك زاجراً أو ناهياً للقاتل ، لشدة إقامة البيّنة عليه لأنّ من يشهد على أنّه لم يفعل قليل .

وأما علة القسامة أن جعلت خمسين رجلاً فلما في ذلك من التغليظ والتشديد والاحتياط لئلا يهدر دم امرئ مسلم .

وعلة قطع اليمين من السارق لأنّه يباشر الأشياء غالباً يمينه وهي أفضل أعضائه وأنفعها له فجعل قطعها نكالاً وعبرةً للخلق لئلا يبتغوا أخذ الأموال من غير حلّها ، ولأنّه أكثر ما يباشر السرقة يمينه .

وحرّم غصب الأموال وأخذها من غير حلّها لموافيه من أنواع الفساد ، والفساد محرّم لموافيه من الفناء وغير ذلك من وجوه الفساد .

وحرّم السرقة لما فيها من فساد الأموال و قتل الأ نفس لو كانت مباحة ، ولما يأتي في التغاصب من القتل والتنازع والتحاسد ، وما يدعو إلى ترك التجارات والصناعات في المكاسب ، واقتناء الأموال إذا كان الشيء المقتنى لا يكون أحد أحقّ به من أحد .

وعلة ضرب الزاني على جسده بأشدّ الضرب لمباشرته الزنا و استلذاذ الجسد كلّ به فجعل الضرب عقوبة له وعبرة لغيره وهو أعظم الجنايات .

وعلة ضرب القاذف و شارب الخمر ثمانين جلدة لأنّ في القذف نفي الولد ، وقطع النسل ، و ذهاب النسب ؛ وكذلك شارب الخمر لأنّه إذا شرب هذى وإذا هذى افتري فوجب حدّ المفترى .

وعلة القتل بعد إقامة الحدّ في الثالثة على الزاني و الزانية لاستخفافهما و قلة مبالاتهما بالضرب حتّى كأنّهما مطلق إيهما ذلك الشيء ؛ وعلة أخرى أن المستخفّ بالله وبالحدّ كافر فوجب عليه القتل لدخوله في الكفر .

وعلة تحريم الذكران للذكران ، والإناث للإناث لما ركب في الإناث ، ومما طبع عليه الذكران ، ولما في إتيان الذكران للذكران والإناث للإناث من انقطاع النسل وفساد التدبير وخراب الدنيا .

وأحل الله تعالى البقر والغنم والإبل لكثرتها وإمكان وجودها ، وتحليل بقر الوحش وغيرها من أصناف ما يؤكل من الوحش المحللة لأن غذاءها غير مكروه ولا محرّم ، ولا هي مضرّة بعضها ببعض ، ولا مضرّة بالإنس ، ولا في خلقها تشويه . وكره أكل لحوم البغال والحمير الأهلية لحاجة الناس إلى ظهورها واستعمالها والخوف من قتلها ، لا لقدر خلقها ولا قدر غذائها .

وحرّم النظر إلى شعور النساء المحجوب بالأزواج وإلى غيرهنّ من النساء لما فيه من تهيج الرجال ، وما يدعو التهيج إليه من الفساد والدخول فيما لا يحل ولا يجمّل^(١) وكذلك ما أشبه الشعور ، إلا الذي قال الله عز وجل : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرّجات » أي غير الجلباب ، فلا بأس بالنظر إلى شعور مثلهنّ .

وعلة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجال من الميراث لأن المرأة إذا تزوّجت أخذت ، والرجل يعطي فلذلك وفرّ على الرجال .

وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى لأنّ الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت ، وعليه أن يعولها وعليه نفقتها . وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقتها إذا احتاج ، فوفر الله تعالى على الرجال لذلك ، وذلك قول الله عز وجل : « الرجال قوَّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وعلة المرأة أنّها لا ترث من العقار شيئاً إلا قيمة الطوب والنقض لأنّ العقار لا يمكن تغييره وقلبه ، والمرأة يجوز أن ينقطع ما بينها وبينه من العصمة ويجوز تغييرها وتبديلها ، وليس الولد والوالد كذلك ، لأنّه لا يمكن التفصّي منهما ، والمرأة يمكن الاستبدال بها ؛ فما يجوز أن يجي ، ويذهب كان ميراثه فيما يجوز تبديله وتغييره إذ أشبهه وكان الثابت المقيم على حاله لمن كان مثله في الثبات والقيام . « ص ٢٤٠-٢٤٧ »

توضيح : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لأنه أكثر الضمير راجع إلى كل واحد من انبول و الغائط . وقوله : وأدوم عطف تفسير لقوله : أكثر . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ومشقته لأنه اشتغال بفعل لا استلذاذ فيه .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والإكراه لا أنفسهم أي بإرادتهم ، كأن المريد لشيء يكره نفسه عليه ، والأظهر أنه تصحيف « ولا إكراه » . ثم أعلم أن الاختيار في الجنابة مبني على الغالب ، إذا احتلام يقع بغير اختيار .

قوله : لما فيه من تعظيم العبد الضمير راجع إلى العيد أو إلى الغسل . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وزيادة في النوافل أي ثوابها أو هو نفسه زيادة فيها .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ليطلب به أي ليطلب الناس الأجر بسببه للصلاة عليه وتشيعه و دفعه ، ويؤيده ما في الملل : ليطلب وجهه أي وجه الله ورضاه ، وفي بعض نسخ العيون : ليطلب فيه ؛ فيكون قوله : ويشفع له عطفاً تفسيرياً له .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لأنهما ظاهران مكشوفان علة لأصل المسح ؛ وقوله : وليس فيهما علة للاكتفاء به بدون الغسل .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وتحصين أموال الأغنياء أي حفظها من الضياع ، فإن أداء الزكاة يوجب عدم تلفها وضياعها . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والحث لهم أي للأغنياء على المواساة بإعطاء أصل الزكاة ، أولاً إعطاء الزكاة يوجب تزكية النفس عن البخل ، وهذا أنسب بلفظ المواساة ، إذ هي المساهمة ، والمساواة في المال بأن يعطي الفقراء مثل ما يأخذ لنفسه . قوله عليه السلام : من الحث في ذلك أي في الاستدلال والعبرة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : في أمور كثيرة متعلق بقوله : الشكر لله أو بمقدّر ، أي تحصل تلك الفضائل في أمور كثيرة .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ومنه متعلق بالرهبة ، كما أن إلى الله متعلق بالرغبة . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وتجديد الحقوق عطف على الترك كما أن ما قبله معطوف على مدخوله .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : وعلة وضع البيت وسط الأرض أي لم يقال : إنه وضع وسط الأرض ؛ لأن الأرض دحيت من تحته إلى أطراف الأرض فلذا يقال : إنه الوسط ؛ أو المراد

بالوسط وسط المعبورة تقريباً لكون بعض العماراة في العرض الجنوبي أيضاً ، ويحتمل على بعد أن يكون الوسط بمعنى الأشراف وعلى الاحتمال الأول يمكن أن يكون هبوب الريح أيضاً علّة أخرى لكونه وسطاً . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كانوا يمكّون فيها هذا لئلا يساعده الاشتقاق إلا أن يقال : كان أصل مكّة مكوة فصارت بكثرة الاستعمال هكذا ؛ أو يقال : كان أصل المكاء الملك فقلبت الكاف الثانية من باب أمليت و أمملت ؛ أو يقال : إن بيان ذلك ليس لبيان مبدء الاشتقاق ، بل لبيان أن الذين كان ذلك فعالهم أهلهم ونقصهم ، يقال مكّه : أهلكه و نقصه ؛ ويمكن أن يكون مبنياً على الاشتقاق الكبير .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ليعلم فيه لف ونشر ، فإن العلم بحال أهل الفقر في الدنيا علّة لكونه واعظاً ، والعلم بحال أهل الفقر في الآخرة علّة لكونه دليلاً .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : من قتل النفس أي للتغاير . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والعقوبة لهم لعلها معطوفة على نصرتهم أو على الأعداء ، وعلى التقديرين ضمير الجمع راجع إلى الأعداء أو إلى الرسول والأئمة . ودعوا على المعلوم أو على المجهول .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و كذلك لو عرف الرجل أي أن التعرّب بعد الهجرة إنّما يحرم لتضمّنه ترك نصرّة الأنبياء والحجج عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وترك الحقوق اللازمة بين المسلمين والرجوع إلى الجهل لا لخصوص كونه في الأصل من أهل البادية ، إذ يحرم على من كمل علمه من غير أهل البادية أيضاً أن يساكنهم لتلك العلّة . أو المعنى : أنّه ليس لخصوص سكنى البادية مدخل في ذلك بل لا يجوز لمن كمن علمه أن يساكن أهل الجهل من أهل القرى والبلاد أيضاً . وفي العلل : ولذلك وهو أظهر . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : والخوف عليه كأنه معطوف على الجهل ، أي مساكنة جماعة يخاف عليه من مجالستهم الضلال وترك الحق ؛ ويحتمل أن يكون معطوفاً على ذلك إذا كان لذلك ، وعلى التقديرين المراد عدم جواز مساكنة من يخاف عليه في مجالستهم ^(١) ترك الدين أو الوقوع في المحرّمات .

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : فجعل الله عز وجل المفعول الثاني لجعل قوله : كلّ ذي ناب أي لما كانت العلّة في حرمتها أكلها اللحوم و افتراسها الحيوانات جعل ضابط الحكم ما

يدلُّ عليه من الناب والمخلب . و قوله : و علة أخرى يمكن أن يكون لبيان قاعدة أخرى ذكرها استطراداً ويكون المراد بالعلة القاعدة ؛ و يحتمل أن يكون الصنف أيضاً من علامات الجلالة و السبعية ، ولا يبعد أن يكون «علة أخرى» كلام ابن سنان أدخلها بين كلامه عليه السلام بقرينة تغيير الأسلوب ، و أمّا عدم القانصة فمن لوازم سباع الطير غالباً .

قوله عليه السلام : وكس أي نقص . قوله عليه السلام : على المشتري متعلق بالبيع . وقوله عليه السلام : على البائع متعلق بالشراء على اللّف والنشر . قوله عليه السلام : بالحرام المحرم أي المبيّن حرمة .

قوله عليه السلام : ولما أراد الله لما كانت الميتة نوعين : الأول أن يكون موتها بغير الذبح فيجمد الدم في بدنها ، ويورث أكلها فساد الأبدان والآفة ؛ و الثاني أن يكون ترك التسمية أو الاستقبال فقوله : لما أراد الله لهذا الفرد منها أي العلة فيها أمر آخر يرجع إلى صلاح أديانهم لأبدانهم .

قوله عليه السلام : احتياطاً لكمال الفرائض أي ليس لثلاث تطليقات نصف لعدم تنصف الطلاق فإمّا أن يؤخذ واحد أو اثنان فاختر الاثنان لرعاية الاحتياط .

قوله عليه السلام : ولا تؤخذ المرأة أي مع وجود الوالد وقدرته على الانفاق . قوله عليه السلام : لما ركّب في الإناث أي من الميل إلى الرجال أو من العضو الذي يناسب وطى الرجال لهن .

وقال في النهاية : الجلباب الإزار والرداء ؛ وقيل : المالحفة ؛ وقيل : هو كالمقنعة تغطّي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها ؛ وقيل : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء انتهى . وقد ورد في الأخبار المعتبرة أنّها توضع من الثياب الجلباب ، و هذا الخبر يدلّ على أنّه لا تضعه ، ولعلّ لفظ «غير» زيد من النسخ كما هو في بعض النسخ ؛ أو المراد بالجلباب ما يكشف بوضعه سائر الجسد غير الشعر وما يجوز لهنّ كشفه إذ قد فسّر بالقميص أيضاً .

قوله عليه السلام : وعليه نفقتها لعل المراد أنّه يجبر الرجال على نفقة النساء كالبنات

والأُمّ وإن كان فقيراً إذا كان قادراً على الكسب بخلاف العكس . و الطوب بالضم :
الآجر ، وسيأتي توضيح تلك العلل في الأبواب المناسبة لها .

٣- ن : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان
قال : سمعت أبا الحسن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : حرم الله الخمر لما فيها من الفساد
ومن تغييرها عقول شاربها ، وحملها إياهم على إنكار الله عز وجل ، والفرية عليه وعلى
رسله ، و سائر ما يكون منهم من الفساد والقتل ، والقذف ، والزنا ، وقلة الاحتجاز من
شيء من الحرام ، فبذلك قضينا على كل مسكر من الأشرطة أنه حرام محرّم ، لأنه يأتي
من عاقبتها ما يأتي من عاقبة الخمر ؛ فليجتنب من يؤمن بالله و اليوم الآخر و يتولانا و
ينتحل مودتنا كل شراب مسكر فإنه لأصمة بيننا وبين شاربها . « ص ٢٤٧-٢٤٨ »

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في نوادر العلل ومتفرقاتها ﴾

١- ع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن إسماعيل بن مهران ،
عن أحمد بن محمد بن جابر ، عن زينب بنت علي عليه السلام قالت : قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها
في معنى فداك : لله فيكم عهد قدّمه إليكم ، و بقيّة استخلفها عليكم ، كتاب الله بيّنة
بصائره ، و آي منكشفة سرائره ، وبرهان متجلية ظواهره ، مديم للبريّة استماعه ، و
قائد إلى الرضوان اتباعه ، و مؤدّ إلى النجاة أشياعه ، فيه تبيان حجج الله المنيرة ، و
محارمه المحرّمة ، و فضائله المدوّنة ، و جملة الكافية ، و رخصه الموهوبة ، و شرائعه
المكتوبة ، و بيّناته الجالية ؛ ففرض الإيمان تطهيراً من الشرك ، و الصلاة تنزيهاً من الكبر
و الزكاة زيادة في الرزق ، و الصيام تثبيتاً للإخلاص ، و الحجّ تسليّة للدين ، و العدل
مسكاً للقلوب ، و الطاعة نظاماً للملّة ، و الإمامة لمّا آمن الفرقة ، و الجهاد عزّاً للإسلام
و الصبر معونة على الاستيجاب ، و الأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، و برّ الوالدين و وقاية
عن السخط ، ^(١) و صلة الأرحام منماة للعدد ، و القصاص حقناً للدماء ، و الوفاء للنذر

(١) في نسخة : من السخط .

تعرّضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخسة ، واجتناب قذف المحصنات حجباً عن اللّغة ، واجتناب السرقة إيجاباً للعفة ، و مجانبة أكل أموال اليتامى إجارة من الظلم ، و العدل في الأحكام إيناساً للرعية ؛ و حرّم الله عزّو جلّ الشرك إخلاصاً للربوبية ، فاتّقوا الله حقّ تقاته فيما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم عنه .

قال الصدوق رحمه الله : أخبرنا عليّ بن حاتم ، عن محمد بن أسلم ، عن عبد الجليل الباقطاني ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن عبد الله بن محمد العلوي ، عن رجال من أهل بيته ، عن زينب بنت عليّ ، عن فاطمة عليها السلام بمثله ؛ و أخبرني عليّ بن حاتم أيضاً عن محمد بن أبي عمير ، عن محمد بن عمار ، عن محمد بن إبراهيم المصري ، عن هارون بن يحيى الناشب ، عن عبيد الله بن موسى العبسي ، عن عبيد الله بن موسى الميمري ، عن حفص الأحمر ، عن زيد بن عليّ ، عن عمته زينب بنت عليّ ، عن فاطمة عليها السلام بمثله ، وزاد بعضهم على بعض في اللفظ .

بيان : قولها : وبقية أي من رحمته أقامها مقام نبيّكم ؛ قولها : بصائر أي دلائله المبصرة الواضحة .

قولها عليها السلام : مديم للبرية استماعه أي مادام القرآن بينهم لا ينزل عليهم العذاب ، كما ورد في الأخبار ؛ هذا إذا قرئ استماعه بالرفع ، وإذا قرئ بالنصب فاطمعي : أنّه يجب على الخلائق استماعه والعمل به إلى يوم القيامة ، ألا يكرّر بتكرّر الاستماع ولا يخلق بكثرة التلاوة .

قولها : اتباعه بصيغة المصدر ليناسب ما تقدّمه ، أو الجمع ليوافق ما بعده . وفي الفقيه : المنورة مكان المنيرة ، والمحدودة مكان المحرّمة ، والمندوبة مكان المدوّنة .

قولها : وشرائعها المكتوبة أي الواجبة أو المقرّرة . والجالية : الواضحة . قولها : تثبيتاً للإخلاص لأنّه أمر عديمٌ ليس فيه رياء . والسناء : الرفعة . قولها : مسكاً للقلوب أي يمسكها عن الخوف والقلق والاضطراب أو عن الجور والظلم .

قولها عليها السلام : والطاعة أي طاعة الله والنبيّ والإمام ، واللمّ : الاجتماع . قولها

عليها السلام : معونة على الاستيجاب أي طلب إيجاب المطلوب والظفر به ، و في بعض النسخ : الاستنجاب أي طلب نجابة النفس .

قولها ﷺ : منمة للعدد أي إذا وصلهم أحبّوه وأعانوه فيكثر عدد أتباعه وأحبّائه بهم ، أوزيريد الله أولاده وأحفاده ، وسيأتي شرح تمام الخطبة مفصلاً في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى .

٢ - ع : علي بن حاتم ، عن أحمد بن علي العبدي ، عن الحسن بن إبراهيم الهاشمي ، عن إسحاق بن إبراهيم الديري ، عن عبد الوراق بن حاتم ، عن معمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : جاءني جبرئيل فقال لي : يا أحمد الإسلام عشرة أسهم وقد خاب من لاسهم له فيها : أولها شهادة أن لا إله إلا الله وهي الكلمة ، والثانية الصلاة وهي الطهر ، والثالثة الزكاة وهي الفطرة ، والرابعة الصوم وهي الجنة ، والخامسة الحج وهي الشريعة ، والسادسة الجهاد وهو العز ، والسابعة الأمر بالمعروف وهو الوفاء ، والثامنة النهي عن المنكر وهو الحجة ، والتاسعة الجماعة وهي الألفة ، والعاشرة الطاعة وهي العصمة .

قال : قال حبيبي جبرئيل : إن مثل هذا الدين كمثل شجرة ثابتة ، ^(١) الإيمان أصلها ، والصلاة عروقتها ، والزكاة ماؤها ، والصوم سعتها ، وحسن الخلق ورقها ، والكف عن المحارم ثمرها ؛ فلا تكمل شجرة إلا بالثمر ، كذلك الإيمان لا يكمل إلا بالكف عن المحارم .

إيضاح : قوله ﷺ : وهي الكلمة أي هي الكلمة الجامعة التامة التي تستحق أن تسمى كلمة ؛ أو هي مع الشهادة بالرسالة التي هي قرينتها كلمة بها يحكم بالإسلام . قوله ﷺ : وهي الطهر أي مطهرة من الذنوب . قوله ﷺ : وهي الفطرة تطلق الفطرة على دين الإسلام لأن الناس مفلطرون عليه ، والحمل هنا للمبالغة في بيان اشتراط الإيمان بالزكاة .

قوله ﷺ : وهي الشريعة أي من أعظم الشرائع ، ولذا سمى الله تعالى تركه

كفرأ . قوله ﷺ : وهو العز أي يوجب عز الدين وغلبته على سائر الأديان . قوله صلى الله عليه وآله : وهو الوفاء أي بعهد الله حيث أخذ عهدهم على الأمر بالمعروف . قوله ﷺ : وهو الحجّة أي إتمام الحجّة لله على الخلق . قوله ﷺ : الجماعة أي في الصلاة ، أو الاجتماع على الحق . قوله ﷺ : وهي الصمة أي تعصم الناس عن الذنوب ، وعن استيلاء الشيطان ؛ والسعف بالتحريك : أغصان النخيل .

٣ - ع : أبي وابن الوليد ، عن سعد ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل عن شيء من الحلال والحرام فقال : إنه لم يجعل شيء إلا لشيء .

بيان : أي لم يشرع الله تعالى حكماً من الأحكام إلا لحكمة من الحكم ، ولم يحلل الحلال إلا لحسنه ، ولم يحرم الحرام إلا لقبحه ، لا كما تقول له الأ شاعرة من نفي الغرض وإنكار الحسن والقبح العقليين ؛ ويمكن أن يعم بحيث يشمل الخلق والتقدير أيضاً ، فإنه تعالى لم يخلق شيئاً أيضاً إلا لحكمة كاملة وعلة باعثة ؛ وعلى نسخة الباء أيضاً يرجع إلى ما ذكرنا بأن تكون سببية ، ويحتمل أن تكون للملازمة أي لم يخلق ولم يقدّر شيئاً في الدنيا إلا لمتلبساً بحكم من الأحكام يتعلّق به ، وهو مخزون عند أهله من الأئمة عليهم السلام .

٤ - شى : عن علي بن أبي حمزة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من أحد أغير من الله تبارك وتعالى ، ومن أغير ممن حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؟ .

٥ - نهج ، قب : قال أمير المؤمنين عليه السلام : فرض الله تعالى الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً عن الكبر ، والزكاة تسبيهاً للرزق ، والصيام ابتلاءاً لإخلاص المحقق ، والحج تقوية للدين ،^(١) والجهاد عزّاً للإسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي

(١) فى النهج : والصيام ابتلاءاً لإخلاص الخلق ، والحج تقربة للدين . أى سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض إذ يجتمعون من جميع الاقطار فى مقام واحد لغرض واحد . وعلى ما فى المتن فالعنى ظاهر ، إذ الحج عبادة تستلزم اجتماع أكثر أهل الملة فى مجمع واحد على غاية من الذلة والخضوع والانقياد ، فمن يرى من الملوك وغيرهم هذا المجتمع والمحشد عظم الدين فى عينه ولم يطمع فيهم فى ذلك تقوية الدين وإعزاز للمسلمين .

عن المنكر ردعاً للسفهاء ، وصلة الأرحام منمة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، وإقامة الحدود إعظماً للمحارم ، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة ، وترك الزنا تحقيقاً للنسب ، وترك اللواط تكثيراً للنسل ، والشهادات^(١) استظهاراً على المجاحدات ، وترك الكذب تشريفاً للصدق ، والسلام أماناً من المخاوف ، والإمامة نظاماً للأمة^(٢) والطاعة تعظيماً للسلطان^(٣).

٦ - قب : مما أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المؤمن لصباح بن نصر الهندي و
 عمران الصابي عن مسألهما قال عمران : العين نور مركبة أم الروح تبصر الأشياء من
 منظرها ؟ قال عليه السلام : العين شحمة وهو البياض والسواد ، والنظر للروح ، دليله أنك
 تنظر فيه فترى صورتك في وسطه ، والإنسان لا يرى صورته إلا في ماء أو مرآة وما أشبه
 ذلك ؛ قال صباح : فإذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة و النظر ذاهب ؟ قال :
 كالشمس طالعة يغشاها الظلام ؛ قال^(٤) : أين تذهب الروح ؟ قال : أين يذهب الضوء الطالع
 من الكوة^(٥) في البيت إذا سدّت الكوة ؟ قال : أوضح لي ذلك ، قال : الروح مسكنها في
 الدماغ ، وشعاعها منبث في الجسد بمنزلة الشمس دارتها في السماء و شعاعها منبسط
 على الأرض ، فإذا غابت الدارة فلاشمس ، وإذا قطعت الرأس فلاروح .
 قال : فما بال الرجل يلتحي دون المرأة ؟ قال عليه السلام : زين الله الرجال باللحي ،
 وجعلها فصلاً يستدل بها على الرجال من النساء .

(١) وفي نسخة من النهج : والشهادة . قيل : هي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر
 الجاحدين له فيبطل جحوده . وقيل : هي الاخبار بما شاهده وشهده ، وغايتها استظهار المستشهد
 على مجاهدة خصمه كي لا يضيع لولم يكن بينهما شاهد .

(٢) وفي نسخة من النهج : والامانات نظاماً للأمة . قيل : لانه إذا روعيت الامانة في الاعمال
 أدى كل عامل ما يجب عليه فتنظم شؤون الأمة ، أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الإهمال فاختل
 النظام .

(٣) في النهج : تعظيماً للإمامة .

(٤) في المصدر : قال . م

(٥) بضم الكاف وفتحها مع الواو المشددة المفتوحة : الخرق في الحائط .

قال عمران : ما بال الرجل إذا كان مؤنثاً والمرأة إذا كانت مذكرة ؟ قال ﷺ :
 علامة ذلك أن المرأة إذا حملت وصار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنثاً ، وإذا
 صارت الجارية موضع الغلام كانت مذكرة ، وذلك أن موضع الغلام في الرحم ممّا يلي
 ميامنها ، والجارية ممّا يلي مياسرها ، ورّ بما ولدت المرأة ولدين في بطن واحد فإن
 عظم نديها جميعاً تحمل توأمين ، وإن عظم أحد نديها كان ذلك دليلاً على أنها تلد واحداً
 إلا أنه إذا كان الثدي الأيمن أعظم كان المولود ذكراً ، وإذا كان الأيسر أعظم كان
 المولود أنثى ، وإذا كانت حاملاً فضمّر^(١) نديها الأيمن فإنها تسقط غلاماً ، وإذا ضمّر
 نديها الأيسر فإنها تسقط أنثى ، وإذا ضمرا جميعاً تسقطهما جميعاً . قال : من أي شيء
 الطول والقصر في الإنسان ؟ فقال : من قبل النطفة إذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء
 القصر ، وإن استطالت جاء الطول .

قال صباح : ما أصل الماء ؟ قال ﷺ : أصل الماء خشية الله ، بعضه من السماء و
 يسلكه في الأرض ينابيع ، وبعضه ماء عليه^(٢) الأرضون ، وأصله واحد عذب فرات .
 قال : فكيف منها عيون نفط وكبريت وقار^(٣) و ملح و أشياء ذلك ؟ قال : غيره
 الجواهر و انقلبت كانقلاب العصير خمراً ، و كما انقلبت الخمر فصارت خللاً ، و كما
 يخرج من بين فرث و دم لبناً خالصاً .

قال : فمن أين أخرجت أنواع الجواهر ؟ قال : انقلب منها كانقلاب النطفة علقه ثم
 مضغة ثم خلقة مجتمعة مبنية على المتضادات الأربع .

قال عمران : إذا كانت الأرض خلقت من الماء و الماء بارد رطب فكيف صارت
 الأرض باردة يا بسة ؟ قال : سلبت النداة فصارت يابسة .

قال : الحر أنفع أم البرد ؟ قال : بل الحر أنفع من البرد ؛ لأن الحر من حر الحيات
 والبرد من برد الموت و كذلك السموم القاتلة الحار منها أسلم وأقل ضرراً من السموم
 الباردة .

(١) أي هزل ودق وقل لحيه .

(٢) في نسخة : علته .

(٣) في المصدر : فكيف منها عيون نفط وكبريت ومنها قار . والقار مادة سوداء تغطي بها السفن

يقال بالفارسية : قير .

وسألاه عن علّة الصلاة فقال : طاعة أمرهم بها ، وشرعية حملهم عليها ، وفي الصلاة توقير له وتبجيل و خضوع من العبد إذا سجد ، و الإقرار بأنّ فوقه ربّاً يعبد و يسجد له .

وسألاه عن الصوم فقال ﷺ : امتحنهم بضرب من الطاعة كيما ينالوا بها عنده الدرجات ليعرفهم فضل ما أنعم عليهم من لذة الماء وطيب الخبز ، و إذا عطشوا يوم صومهم ذكروا يوم العطش الأكبر في الآخرة وزادهم ذلك رغبة في الطاعة .
وسألاه لم حرّم الزنا ؟ قال : لما فيه من الفساد ، وذهاب الموارث ، و انقطاع الأنساب ، لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها ؟ ولا المولود يعلم من أبوه ؟ ولا أرحام موصولة ، ولا قرابة معروفة . « ص ٤٠٦ - ٤٠٧ »

بيان : الدارة : الحلقة و الشعر المستدير على قرن الإنسان ، أو موضع الذؤابة أطلقت هنا على جرم الشمس مجازاً . قوله ﷺ : خشية الله أي لما نظر الله بالهيبة في الدرة صارت ماءً كما ورد في الخبر ، و النظر مجاز ، فلذا نسب الماء إلى الخشية ويحتمل أن يكون تصحيف خلقة الله .

٧ - ين : فضالة ، عن أبان ، عن زياد بن أبي رجا ، ^(١) عن أبي عبيدة ، عن أبي سخيلة ، ^(٢) عن سلمان قال : بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذا قصد له رجل فقال :

(١) قال النجاشي في ص ١٢٢ من رجاله : زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء كوفى ، مولى ثقة ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، و اخته حمادة بنت رجا . و قيل : بنت الحسن روت عن أبي عبد الله ، قاله ابن نوح ، عن أبي سعيد . وقال الحسن بن علي بن فضال : ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة الحذاء واسمه زياد ، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام . قال سعد بن عبد الله الأشعري : ومن أصحاب أبي جعفر أبو عبيدة وهو زياد بن أبي رجا ، كوفى ، ثقة ، صحيح ، و اسم أبي رجا منذر ، و قيل : زياد بن أحرم ولم يصح . وقال العقيقى العلوى : أبو عبيدة زياد الحذاء ، وكان حسن المنزلة عند آل محمد صلى الله عليه وعليهم وكان زامل أبا جعفر عليه السلام إلى مكة ، له كتاب يرويه على بن رثاب . انتهى . أقول : الظاهر من كلام النجاشي اتحاد زياد بن أبي رجا وأبي عبيدة الحذاء ، فعليه يحتمل إما زيادة كلمة (عن) في السند وإرساله لغرابة ورواية زياد وهو من أصحاب الصادقين عليهما السلام عن أبي سخيلة وهو من أصحاب علي عليه السلام ؛ وإما كون أبي عبيدة كنية لشخص آخر مجهول غير الحذاء ، وفي نسخة من البحار عن عبيدة باسقاط كلمة «أبى» .

(٢) مصفراً ، وحكى المامقاني في فصل الكنى عن رجال البرقى أن اسمه عاصم بن طريف ، وأنه مجهول من أصحاب علي عليه السلام .

يا رسول الله المملوك ، فقال رسول الله ﷺ : ابتلي بك وبليت به لينظر الله عز وجل كيف تشكر ، وينظر كيف يصبر .

٨ - ين : ابن أبي عمير ، عن منصور بن يونس ، عن الثمالي ، عن أحدهما عليهما السلام قال : إن الله تبارك وتعالى يقول : إن من عبادي من يسألني الشيء من طاعتي لأحبه فأصرف ذلك عنه لكي لا يعجبه عمله .

٩ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبيد الله بن الحسين بن إبراهيم ، عن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ، عن علي بن القاسم بن الحسين بن زيد ، عن أبيه ، عن جدّه الحسين ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلّى الله عز وجل بين عبده المؤمن وبين ذنب أبداً . « ص ١٦ »

☆ ع : أبي ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن ابن أسباط رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام مثله .

١٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة لعباده عن نعمته ، وحياسة لهم إلى الجنة .^(١)

١١ - وقال عليه السلام في القاصعة : وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل ، ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ، ثم وضعه بأوعر^(٢) بقاع الأرض حجراً ، وأقلّ^(٣) نتائق الدنيا مدراً « إلى قوله » : ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، و

(٥) من هنا إلى آخر الباب سقط عن طبع أمين الضرب وهو موجود في نسخة المصنف بخطه الشريف .

(١) من حاش الأبل : جمعها وساقها .

(٢) الوعر بالتسكين : الصعب : ضد السهل .

(٣) النتائق جمع نتيقة : البقاع المرتفعة ، سببت مكة بذلك لارتفاعها وارتفاع بنائها وشهرتها

وعلوها من الأرض .

يتعبدونهم بألوان المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكارِه ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، و إسكاناً للتذلل في نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً فُتِحَتْ^(١) إلى فضله ، وأسباباً ذللاً لغفوه ، فالله الله في عاجل البغي ، وآجل وخامة الظلم ، وسوء عاقبة الكبر « إلى قوله ﷺ » : وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضة تسكيناً لأطرافهم ،^(٢) وتخشيعاً لأبصارهم ، وتذليلاً لنفوسهم ، وتخفيضاً لقلوبهم ، وإذهاباً للخيلاء عنهم ، لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه^(٣) بالتراب تواضعاً ، وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً ، ولحوق البطون بالمتون^(٤) من الصيام تذليلاً ؛ مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر ، انظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر ، وقمع طوابع الكبر^(٥) إلى آخر ما سيأتي مشروحاً في آخر المجلد الخامس^(٦).



(١) بضمين أي مفتوحة موسعة .

(٢) المراد بالاطراف هنا الأيدي والأرجل .

(٣) عتاق الوجوه : كرامتها وحسانها ، وهو جمع عتيق من عتق : إذا رقت بشرته .

(٤) المتون : الظهر .

(٥) القمع : القهر . النواجم : الطوابع جمع ناجمة . القمع : الكف والمنع .

(٦) وهو كتاب النبوة ، في باب ماورد بلفظ نبي من الأنبياء وبعض نوادر أحوالهم .

﴿ أبواب الموت ﴾

﴿ وما يلحقه الى وقت البعث و النشور ﴾

﴿ باب ١ ﴾

﴿ حكمة الموت و حقيقةه ، وما ينبغى أن يعبر عنه ﴾

الايات ، الملك : « ٦٧ » الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور « ٣ » .

تفسير : قال الطبرسي : أي خلق الموت للتعبّد بالصبر عليه ، و الحياة للتعبّد بالشكر عليها ، أو الموت للاعتبار ، و الحياة للتزوّد ؛ وقيل قدّم الموت لأنّه إلى القهر أقرب ، أولاً أنّه أقدم . « ليلوكم » أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كلّاً بقدر عمله ؛ وقيل : ليلوكم أيكم أكثر ذكراً للموت ، و أحسن له استعداداً ، و عليه صبراً ، وأكثر امتثالاً في الحياة .

١ - لى : ابن الوليد ، عن الصفّار ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إنّ قوماً أتوا نبيّاً لهم فقالوا : ادع لنا ربّك ^(١) يرفع عنا الموت ؛ فدعا لهم فرفع الله تبارك و تعالى منهم الموت ، و كثروا حتّى ضاقت بهم المنازل و كثر النسل ، و كان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه و أمّه و جدّه و جدّ جدّه ، و يوضّئهم ^(٢) ويتعاعدهم ، فشغلوا عن طلب المعاش فأتوه فقالوا : سل ربّك أن يردّنا إلى آجالنا الّتي كنّا عليها ، فسأل ربّه عزّ و جلّ فردّهم إلى آجالهم . » ص ٣٠٥

(١) فى المصدر : ربنا . م

(٢) أى ينظفهم . وفى المصدر : يرضيهم

كا : عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير مثله . ^(١) « ف ج ١ ص ٧٢ »

٢- كا : محمد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحاق ، عن عليّ بن مهزيار ، عن فضالة ، عن موسى بن بكر ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الحياة والموت خلقان من خلق الله ، فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلا وخرجت ^(٢) منه الحياة . « ف ج ١ ص ٧٢ »

٣- كا : العدة ، عن سهل ، عن بعض أصحابنا ، عن محمد بن سكين قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل يقول : استأثر الله بفلان ، فقال : ذا مكروه ؛ فقيل : فلان يجود بنفسه ، فقال : لا بأس ، أما تراه يفتح فاه عند موته مرتين أو ثلاثاً ، فذلك حين يجود بها لما يرى من ثواب الله عز وجل وقد كان بها ضنيناً . « ف ج ١ ص ٧٢ »

بيان : قال الجزري : الاستيثار : الانفراد بالشيء ، ومنه الحديث : إذا استأثر الله بشيء ، فاله عنه انتهى . أقول : لعل كراهة ذلك لإشعاره بأنه قبل ذلك لم يكن الله متفرداً بالقدرة والتدبير فيه ؛ أولاً يماثله إلى افتقاره سبحانه بذلك وانتفاعه تعالى به .

٤- ع : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما صار الإنسان يأكل ويشرب بالنار ، ويبصر ويعمل بالنور ، ويسمع ويشم بالريح ، ويجد الطعام والشراب بالماء ، ويتحرك بالروح - وساق الحديث إلى أن قال - : فهكذا الإنسان خلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة ، فإذا جمع الله بينهما صارت حياته في الأرض لأنه نزل من شأن السماء إلى الدنيا ، فإذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت ، تردّ شأن الأخرى إلى السماء ؛ فالحياة في الأرض ، والموت في السماء ، وذلك أنه يفرّق بين الأرواح والجسد ، فردّت الروح والنور إلى ^(٣) القدس الأولى ، وترك الجسد لأنه من شأن الدنيا ، وإنما فسد الجسد في الدنيا لأنّ الريح تنشف الماء فييبس فيبقى الطين فيصير رفاتاً ويبلى ، ويرجع

(١) إلا أن فيه : فردهم إلى حالهم . م

(٢) في المصدر : وقد خرجت . م

(٣) في المصدر : إلى القدرة (القدس خل) الأولى . م

كل إلى جوهره الأول ، وتحركت الروح^(١) بالنفس حركتها من الريح ، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيد بالعقل ، وما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيد بالنكر^(٢) ، فهذه صورة نار ، وهذه صورة نور ، والموت رحمة من الله لعباده المؤمنين ، ونقمة على الكافرين . «ج ٢ ص ٤٧»

أقول : سيأتي الخبر بتمامه وأسناده وشرحه في كتاب السماء والعالم .
 * ه - دعوات الراوندي : قال النبي ﷺ : لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء :
 المرض ، والموت ، والفقر ؛ وكلهن فيه وإنه لمعهن وثاب .

﴿ باب ٢ ﴾

﴿ علامات الكبر وأن ما بين الستين إلى السبعين معترك المنايا ﴾

﴿ (وتفسير أرذل العمر) ﴾

الآيات ، النحل ١٦ ، والله خلقكم ثم يتوفىكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير ٧٠ .

الحج ٢٢ ، يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ه .

يس ٣٦ ، ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ٦٨ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : «إلى أرذل العمر» أي أدون العمر وأوضعه ، أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخوف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله .

(١) في المصدر : وحركت (تحركت خل) الارواح (الروح خل) .

(٢) في المصدر : النكر له م .

(ه) سقط هذا الخبر عن طبع أمين الضرب وهو موجود في نسخة المصنف بخطه الشريف .

وروي عن عليٍّ عليه السلام أن أُرذِلَ العمر خمس وسبعون سنة . وروي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله . وعن قتاده تسعون سنة .
 « لكيلا يعلم بعد علم شيئاً » أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكانت لا يعلم شيئاً مما كان عليه ؛ وقيل : ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه .

١ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن عبد الحميد ، عن الصباح مولى أبي عبد الله عليه السلام قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما مررنا بأحد قال : ترى الثقب الذي فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أما أنا فلست أراه ، وعلامة الكبر ثلاث : كلال البصر ، وانحناء الظهر ، ورقة القدم . « ج ١ ص ٤٤ » .

٢ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن إدريس ، عن الأشعري ، عن ابن عبد الحميد ، عن حدّته قال : مات رجل من آل أبي طالب لم يكن حضره أبو الحسن عليه السلام ؛ فجاءه قوم فلما جلس أمسك القوم كأنّ على رؤوسهم الطير ، فكانوا في ذكر الفقراء ^(١) والموت فلما جلس قال ابتداءً منه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بين الستين إلى السبعين معترك المنايا ، ثم قال عليه السلام : الفقراء من الإسلام . « ص ١١٤ » .

٣ - فس : محمد بن جعفر ، عن محمد بن أحمد ، عن العباس ، عن ابن أبي نجران ، عن محمد بن القاسم ، عن علي بن المغيرة ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليه السلام قال : إذا بلغ العبد مائة سنة فهي أُرذِلَ العمر .

٤ - ل : روي أنّه إذا بلغ المائة فذلك أُرذِلَ العمر . « ج ٢ ص ١١٥ » .

٥ - وروي : أن أُرذِلَ العمر أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين . ^(٢) « ج ٢ ص ١١٥ » .

٦ - ف : عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال يوماً : إن أكل البطيخ يورث الجذام ؛ ف قيل له : أليس قد آمن المؤمن إذا أتى عليه أربعين سنة من الجنون والجذام والبرص ؟ قال : نعم ، ولكن إذا خالف المؤمن ما أمر به ممّن آمنه لم يأمن أن تصيبه عقوبة الخلاف . « ٤٧٣ » .

(١) في المصدر : الفقر . وكذا في الفقرة الأخيرة . ٢

(٢) في المصدر : عقل سبع سنين . ٢

- ٧ - شى : عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده ، وإذا بلغ أربعين سنة فقد انتهى منتهاه ، وإذا بلغ إحدى وأربعين فهو في النقصان ، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن هو في النزع .
- ٨ - دعوات الراوندي : قال النبي صلى الله عليه وآله : المسلم إذا ضعف من الكبر يأمرك الله الملك أن يكتب له في حاله تلك ما كان يعمل وهو شاب نشيط مجتمع .
- ٩ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة .

﴿ باب ٣ ﴾

﴿ الطاعون والفرار منه (١) ﴾

الآيات ، البقرة «٢» ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . «ص ٢٤٣»

تفسير : قيل : نزلت في أهل داوردان قرية قبل واسط ، وقع فيهم طاعون فخرجوا هارين فأماتهم الله ، فمر بهم حزقيل ^(٢) وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك ، فأوحى الله إليه : ناد فيهم أن قوموا يا ذن الله ؛ فنادى فقاموا يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ؛ وقيل : نزلت في قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففرّوا وحذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم .

(١) سقط هذا الخبر وتاليه عن طبع أمين الضرب وهما موجودان في نسخة المصنف بخطه الشريف .

(٢) الطاعون : مرض معروف ، هو بثور وورم مؤلم جداً ، يخرج مع لهب ، ويسود ما حواله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ، ويحصل معه خفقان القلب والقيء ، و يخرج في المراق و الأباط غالباً والأيدي والأصابع وسائر الجسد . قاله النووى في تهذيب الاسماء و اللغات .

(٣) هر حزقيل بن بوري ويلقب بابن المعجوز ، من سلالة لاوى أحد أنبياء بني إسرائيل ، يأتي ذكره في كتاب النبوة .

١ - ن : المفسر، عن أحمد بن الحسن الحسيني، عن أبي محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام قال : قيل للصادق عليه السلام : أخبرنا عن الطاعون، فقال : عذاب الله لقوم، ^(١) ورحمة لا آخرين؛ قالوا : وكيف تكون الرحمة عذاباً؟ قال : أما تعرفون أن نيران جهنم عذاب على الكفار، وخزنة جهنم معهم فيها فهي رحمة عليهم . «ص ١٧٩»

ع : المفسر، عن أحمد بن الحسن، عن الحسن بن علي الناصر، عن أبيه، عن الجواد، عن أبيه، عن جده عليه السلام مثله . «ص ١٠٨»

٢ - ن : بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : الطاعون ميتة وحيّة . «ص ٢٠٧»

صح : عنه عليه السلام مثله .

بيان : وحيّة أي سريعة .

٣ - ع : ابن المتوكل، عن السعد آبادي، عن البرقي، عن ابن محبوب، عن عاصم بن حميد، عن علي بن المغيرة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : القوم يكونون في البلد يقع فيها الموت، ألهم أن يتحولوا عنها إلى غيرها؟ قال : نعم؛ قلت : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله عاب قوماً بذلك؛ فقال : أولئك كانوا رتبة بإزاء العدو فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أن يثبتوا في موضعهم، ولا يتحولوا منه إلى غيره، فلمّا وقع فيهم الموت تحولوا من ذلك المكان إلى غيره، فكان تحويلهم من ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف . «ص ١٢٦»

بيان : في بعض النسخ رؤية بالهمزة من الرؤية أي كانوا يراؤون العدو ويترقبونهم، وفي بعضها رتبة بالتاء قبل الباء الموحدة، أي رتبوا وأثبتوا بإزاء العدو .

٤ - مع : ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان الأحمر قال : سألت بعض أصحابنا أبا الحسن عليه السلام عن الطاعون يقع في بلدة وأنا فيها، أتحوّل عنها؟ قال : نعم؛ قال : ففي القرية وأنا فيها أتحوّل عنها؟ قال : نعم؛ قال : ففي الدار وأنا فيها أتحوّل عنها؟ قال : نعم؛ قلت : فإنّا نتحدث أن رسول الله

صلى الله عليه وآله قال : الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف ، قال : إن رسول الله ﷺ إنما قال هذا في قوم كانوا يكونون في الثغور في نحو العدو . فيقع الطاعون فيخلون أما كنهم ويفرون منها ، فقال رسول الله ﷺ ذلك فيهم . «ص ٧٤»

٥ - و روي : أنه إذا وقع الطاعون في أهل مسجد فليس لهم أن يفروا منه إلى

غيره . «ص ٧٤»

بيان : يمكن أن يكون الرواية الأخيرة على تقدير صحتها محمولة على الكراهة جمعاً بينها وبين ما سبق ، و الظاهر أن لخصوصية المسجد مدخلاً وليس لبيان الفرد الخفي لما رواه علي بن جعفر في كتاب المسائل ، عن أخيه موسى عليه السلام قال : سألت عن الوباء ^(١) يقع في الأرض هل يصلح للرجل أن يهرب منه ؟ قال : يهرب منه ما لم يقع في مسجده الذي يصلي فيه ، فإذا وقع في أهل مسجده الذي يصلي فيه فلا يصلح الهرب منه .

٦ - ن : جعفر بن علي بن أحمد ، عن الحسن بن محمد بن علي ، عن محمد بن علي ، عن محمد بن عمر بن عبد العزيز ، عمن سمع الحسن بن محمد النوفلي ، عن الرضا عليه السلام قال : إن قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألو ف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة ، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة ^(٢) فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم ^(٣) فصاروا رميماً ، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم و من كثرة العظام البالية ، فأوحى الله عز وجل إليه : أتحب أن أحييهم لك فتذرهم ؟ فقال : نعم يا رب ؛ فأوحى الله عز وجل : أن نادهم ، فقال : أيتها العظام البالية ! قومي بإذن الله عز وجل ، فقاموا أحياءً أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم . «ص ٩٠-٩١»

٧ - ك : محمد بن يحيى يرفعه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : دعاني من الأنبياء على قومه فقيل : له أسلط عليهم عدوهم ؟ فقال : لا ، فقيل له : فالجوع ؟ فقال : لا ،

(١) قال ابن منظور في لسان العرب : الوباء : الطاعون بالقصر والمد والهمز ، و قيل : هو

كل مرض عام .

(٢) الحظيرة : ما يحاط بالشئ خشباً أو قصباً .

(٣) أي بليت وتفتت .

ف قيل له : ماتريد ؟ فقال : موت دفي ف يحزن القلب و يقل العدد ؛ فأرسل عليهم الطاعون .
« ف ج ١ ص ٧٢ »

٨ - فس : « ألم تر إلى الذين خرجوا » الآية قال : إنه كان وقع طاعون بالشام في بعض المواضع فخرج منهم خلق كثير هرباً من الطاعون فصاروا إلى مفازة فماتوا في ليلة واحدة كلهم ، وكانوا حتى أن المار في تلك الطرق كان ينحس عظامهم برجله عن الطريق ، ثم أحياهم الله عز وجل وردهم إلى منازلهم وعاشوا دهرأ طويلاً ثم ماتوا و دفنوا . « ص ٧٠ »

٩ - ك : العدة ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن عمر بن يزيد ، وغيره عن بعضهم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، و بعضهم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » فقال : إن هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام ، وكانوا سبعين ألف بيت ، و كان الطاعون يقع فيهم في كل أوان فكانوا إذا أحسوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوتهم ، و بقي فيها الفقراء لضعفهم ، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ، و يقل في الذين خرجوا ، فيقول الذين خرجوا : لو كنا أقمنا لكثرفينا الموت ، و يقول الذين أقاموا : لو كنا خرجنا لقلفينا الموت ؛ قال : فأجمع رأيهم جميعاً أنه إذا وقع الطاعون و أحسوا به خرجوا كلهم من المدينة ، فلمأ أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً و تنحوا عن الطاعون حذر الموت ، فساروا في البلاد ماشاء الله ، ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها و أفناهم الطاعون فنزلوا بها فلمأ حطوا رحالهم و اطمأنوا بها قال الله عز وجل : « موتوا جميعاً » فماتوا من ساعتهم و صاروا رميماً عظاماً تلوح و كانوا على طريق المارة فكنتهم المارة فنحوهم و جمعهم في موضع ؛ فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له : حزقي فليما رأى تلك العظام بكى و استعبر ،^(١) و قال : يارب ! لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم فعمروا بلادك ، و ولدوا عبادك ، و عبدوك مع من يعبدك من خلقك ؛ فأوحى الله تعالى إليه : أفتحب

(١) أي جرت عبرته أي دمه .

ذلك ؟ فقال : نعم يا رب فأحيهم ، قال : فأوحى الله عز وجل إليه : قل : كذا وكذا ، فقال الذي أمره الله عز وجل أن يقول - فقال أبو عبد الله عليه السلام : وهو الاسم الأعظم - فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياءاً ينظر بعضهم إلى بعض ، يسبحون الله عز ذكره ، ويكبرونه ويهلّلونه ؛ فقال حزقيل عند ذلك : أشهد أن الله على كل شيء قدير . قال عمر بن يزيد : فقال أبو عبد الله عليه السلام : فيهم نزلت هذه الآية .

١٠ - دعوات الراوندي : سئل زين العابدين عليه السلام عن الطاعون : أنبرأ ممّن يلحقه فإنّه معذب ؟ فقال عليه السلام : إن كان عاصياً فابراً منه ، طعن أولم يطعن ، ^(١) وإن كان لله عز وجل مطيعاً فإن الطاعون ممّا تمحّص به ذنوبه ؛ إن الله عز وجل عذب به قوماً ، و يرحم به آخرين ، واسعة قدرته لما يشاء ؛ أما ترون أنّه جعل الشمس ضياءاً لعباده و منضجاً لثمارهم و مبلّغاً لأقواتهم ؟ و قد يعذب بها قوماً يبتليهم بحرّها يوم القيامة بذنوبهم و في الدنيا بسوء أعمالهم .

﴿باب ٤﴾

﴿حب لقاء الله و ذم الفرار من الموت﴾

الآيات ، البقرة «٢» قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم والله عليم بالظالمين * و لتجدنهم أحرص الناس على حياة و من الذين أشركوا يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة و ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ٩٤-٩٦ .

آل عمران «٣» ولقد كنتم تمنّون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه و أنتم تنظرون ١٤٣ « وقال تعالى » : الذين قالوا لإخوانهم و قعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ١٦٨ .

(١) أى أصابه الطاعون أولاً .

النساء «٤» أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ٧٨ .
يونس «١٠» إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا وطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون ٧-٨ .
الاحزاب «٢٣» قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لامتمتعون
إلا قليلاً ١٦ .

الجمعة «٦٢» قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين *
قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملائكم ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون ٦-٨ .

تفسير : «خالصة» أي خاصة بكم ، والخطاب لليهود لقولهم : « لن يدخل الجنة
إلا من كان هوداً » . « فتمنوا الموت » لأنه من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب
التخلص إليها من الدار ذات الشوائب « بما قدمت أيديهم » أي من موجبات النار ، و
روي أنهم لو تمنوا الموت لغص^(١) كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه
الأرض يهودي « ومن الذين أشركوا » أي أحرص منهم ، أو خبر مبتداء محذوف ،
صفته « يود أحدهم » أي ومنهم ناس يود أحدهم ؛ وعلى هذا أيضاً يحتمل أن يكون
المراد بالمشركين اليهود لقولهم : « عزيز ابن الله » والزحزحة : التباعد ، ويحتمل أن
يكون المراد عذاب الآخرة أو الأعم فيكون الزحزحة كناية عن رفعه عنهم ؛ إذ بمقدار
زيادة العمر يبعد عنهم عذاب البرزخ « ولقد كنتم تمنون الموت » أي الحرب فإنها
من أسباب الموت ، أو الموت بالشهادة ، وهو توبيخ لمن لم يشهد بداراً وتمنى الجهاد
ثم شهد أحداً وفرّ « لا يرجون لقاءنا » أي لا يتوقعونه لأنكارهم البعث ، أو لا يخافون
عقابنا ، إذ قد يكون الرجاء بمعنى الخوف « فتمنوا الموت » الخطاب وإن توجه ظاهراً
إلى اليهود لكنه تعريض عام لكل من يدعي ولاية الله ويكره الموت .

١ - فس : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » قال : إن في التوراة مكتوب :

(١) غص بالطعام أو الماء اعترض في حلقه شئ . منه فغصه التنفس .

أولياء الله يتمنون الموت ؛ ثم قال : « إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم » .
« ص ٦٧٩ » .

٢ - ين : ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن عن داود الأزارقي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ينادي مناد كل يوم : لدللموت واجمع للفناء وابن للخراب .^(١)

٣ - ين : ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن أبي عبيدة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك حدثني بما أنتفع به ، فقال : يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا .

٤ - ين : علي بن النعمان ، عن ابن مسكان ، عن داود ، عن زيد بن أبي شيبه الزهري ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الموت ، الموت ، جاء الموت بما فيه ، جاء بالروح والراحة والكرامة المباركة إلى الجنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بما فيه ، جاء بالشقوة والندامة والكرامة الخاسرة إلى نار حامية^(٢) لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم .

٥ - : وقال : إذا استحققت ولاية الشيطان و الشقاوة جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر .

٦ - قال : وقال : سئل رسول الله ﷺ : أي المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأشدّهم استعداداً له .

٧ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيها الناس كل أمرى لاق في فراره ما منه يفر ، والأجل مساق النفس إليه ، والهرب منه موافاته .

أقول : سيأتي شرحه في باب شهادة أمير المؤمنين عليه السلام .^(٣)

(١) اللام في الجمل الثلاثة للعاقبة .

(٢) في نسخة : خاصة .

(٣) قال رضي الله عنه هناك : قوله : كل امرء لاق في فراره أي من الأمور المقدرة العتبية كالموت ، قال الله تعالى : « قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم » و إنما قال عليه السلام : في فراره ، لأن كل أحد يفر دائماً من الموت وإن كان تبعداً ، والمساق مصدر ميمي ، فيحتمل أن يكون المراد بالأجل منتهى العمر والمساق ما يساق إليه ، وأن يكون المراد به المدة فالمساق زمان السوق •

٨- لى : الدقاق عن محمد بن هارون عن عبيد الله بن موسى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن محسن ، عن ابن ظبيان ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت ، فقال : السلام عليك يا إبراهيم ! قال : وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع ؟ قال : بل داع يا إبراهيم ؟ فأجب : قال إبراهيم : فهل رأيت خليلاً يميت خليله ؟ قال : فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال : إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم ، فقال الله جلّ جلاله يا ملك الموت اذهب إليه وقل له : هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه ؟ إن الحبيب يحب لقاء حبيبه . «ص ١١٨»

٩- ل : ابن المغيرة ، عن جدّه ، عن جدّه ، عن السكوني ، عن الصادق ، عن أبيه عليهما السلام قال أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال : ما لي لا أحب الموت ؟ فقال له : ألك مال ؟ قال نعم ، قال : فقدّمته ؟ قال : لا ، قال : فمن ثمّ لا تحب الموت . «ج ١ ص ١٠»

١٠- ل : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي عمير ، عن حمزة بن حمران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لم يخلق الله عزّ وجلّ يقيناً لا شكّ فيه أشبه بشكّ لا يقين فيه من الموت . «ج ١ ص ١٠»

١١- ل : الفامي وابن مسرور معاً ، عن ابن بطّة ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن الصادق ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام : بما ذا أحببت لقاء الله ؟ قال : لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقائه . «ج ١ ص ١٤»

١٢- يد : الهمداني ، عن عليّ ، عن أبيه ، عن محمد بن سنان ، عن أبي الجارود عن أبي جعفر ، عن آبائه عليهم السلام مثله .

• وقوله عليه السلام : و الهرب منه موافاته من حمل اللازم على الملزوم ، فإن الانسان مادام يهرب من موته بعركات وتصرفات يفنى عمره فيها فكان الهرب منه موافاته ، والمعنى : أنه إذا قدر زوال عمر أو دولة فكل ما يدبره الانسان لرفع ما يهرب منه يصير سبباً لحصوله ، إذ تأثير الادوية و الاسباب باذنه تعالى ، مع أنه عند حلول الاجل يصير أحذق الاطباء أجهلهم وينقل عما ينفع المريض وهكذا في سائر الامور انتهى .

١٣ - ل : الخليل ، عن أبي العباس السراج ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : شيئان يكرههما ابن آدم : يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلّة المال وقلة المال أقلّ للحساب . « ج ١ ص ٣٧ »

١٤ - ل : أبي ، عن سعد ، عن الإصبهاني ، عن المنقري ، عن غير واحد ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : من أحبّ الحياة ذلّ .

١٥ - ن : المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليه السلام قال : جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال : قد سئمت الدنيا فأتمنّي على الله الموت ؛ فقال : تمنّ الحياة لتطيع لا تعصي ، فلا تن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع . « ص ١٧٩ »

١٦ - ما : ابن مخلد ، عن أبي عمرو ، عن الحارث بن محمد ، عن الواقديّ محمد بن عمرو عن عبد الله بن جعفر الزهري ، عن يزيد بن الهاد ، عن هند بنت الحارث الفراسية ،^(١) عن أم الفضل^(٢) قالت : دخل رسول الله ﷺ على رجل يعودده و هو شاك فتمنّى الموت فقال رسول الله ﷺ : لا تتمنّ الموت فإنّك إن تك محسناً تزداد إحساناً إلى إحسانك وإن كنت^(٣) مسيئاً فتؤخّر لتستعتب فلا تمنّوا الموت . « ص ٢٤٥ »

(١) بكسر الفاء وتخفيف الراء بعدها مهملة . ويقال : القرشية ، أوردها ابن حجر في فصل النساء من التقريب ، ووثقها .

(٢) اسمها لبابة بتخفيف الباء ، بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم الهلالية ، زوج العباس ابن عبد المطلب ، واخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله ، عدها الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله . وقيل : إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ؛ حكى عن ابن حبان أنها ماتت بعد العباس في خلافة عثمان ، وأوردها النسابة البغدادي محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي المتوفى سنة ٢٤٥ في كتابه المجبر في فصل المنجيات من النساء فقال : ولدت الفضل : الردف ، وعبد الله الجبر ، وعبيد الله الجواد ، ومعبداً - شهيداً بأفريقية - وعبد الرحمن - شهيداً بأفريقية - وقثم - شهيداً بسمرقند - بنى العباس بن عبد المطلب ، مات الفضل بالشام في طاعون عمواس ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله بالمدينة . انتهى .

(٣) في المصدر : وإن تك . م

١٧ - مع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن علي بن مهزيار ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ؟ ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه ؟ قال : نعم ، قلت . فوالله إننا لنكره الموت ! فقال : ليس ذاك حيث تذهب ، إنما ذلك عند المعاناة ، إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب إليه من أن يتقدم ، والله يحب لقاءه وهو يحب لقاء الله حينئذ ، وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله عز وجل والله عز وجل يبغض لقاءه . «ص ٧٠»

ين : القاسم بن محمد مثله .

١٨ - مع : محمد بن إبراهيم ، عن أحمد بن يونس المعاذي ، عن أحمد الهمداني ، عن محمد بن محمد بن الأشعث ، عن موسى بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن جده ، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : كان للحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما صديق وكان ماجناً فتباطى عليه أياماً فجاءه يوماً فقال له الحسن عليه السلام : كيف أصبحت ؟ فقال : يا بن رسول الله أصبحت بخلاف ما أحب ويحب الله ويحب الشيطان ، فضحك الحسن عليه السلام ثم قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك ، والشيطان يحب أن أعصي الله ولا أطيعه ولست كذلك ، وأنا أحب أن لأموت ولست كذلك ؛ فقام إليه رجل فقال : يا بن رسول الله ما بالنا نكره الموت ولا نحبّه ؟ قال : فقال الحسن عليه السلام : إنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . «ص ١٠»

توضيح : الماجن : من لا يبالي قولاً وفعلاً .

١٩ - مع : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن يونس بن يعقوب عن شعيب العرقوفي ^(١) قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شيء يروى عن أبي ذر رحمه الله

(١) بالعين المهملة والقاف المثناة المفتوحتين ، ثم الراء المهملة الساكنة ، ثم القاف والواو ، ثم الفاء الموحدة ، ثم الياء ، نسبة إلى عرقوف ، وهو على ما حكى عن مرصد الاطلاع قرية من نواحي نهر عيسى ، بينها وبين بغداد أربع فراسخ ، إلى جانبها تل عظيم يرى من خمسة فراسخ أو أكثر ، وفي وسطه بناء باللبن والقصب ؛ والرجل هو شعيب بن يعقوب ابن اخت يحيى بن القاسم أبي بصير ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثقة ، عين ، له كتاب يرويه حماد بن عيسى وغيره .

أنّه كان يقول : ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبّها : أحبّ الموت ، وأحبّ الفقر ، وأحبّ البلاء . فقال : إنّ هذا ليس على ما تروون ^(١) إنّما عني : الموت في طاعة الله أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله ، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله ، والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحة في معصية الله . «ص ٥٢»

جاء : أحمد بن الوليد ، عن أبيه ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن مهزيار ، عن ابن فضال مثله .

٢٠ - مع : أبي ، عن سعد ، عن البرقي . عن محمد بن عليّ ، عن الحارث بن الحسن الطحّان ، عن إبراهيم بن عبد الله ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتّى يكون فيه ثلاث خصال : يكون الموت أحبّ إليه من الحياة ، والفقر أحبّ إليه من الغنى ، والمرض أحبّ إليه من الصحة ؛ قلنا : ومن يكون كذلك ؟ قال : كلّكم ، ثمّ قال : أيّما أحبّ إليّ أحدكم : يموت في حبّنا ، أو يعيش في بغضنا ؟ فقلت : نموت والله في حبّكم أحبّ إلينا ؛ قال : وكذلك الفقر والغنى والمرض والصحة ؟ قلت : إي والله . «ص ٥٨»

٢١ - لى : عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكيس الناس من كان أشدّ ذكراً للموت . «ص ١٤»

٢٢ - لى : ابن المغيرة بإسناده عن السكوني ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال عليّ عليه السلام : ما أنزل الموت حقّ منزلة من عدّ غداً من أجله . «ص ٦٦-٦٧»

٢٣ - ين : حماد بن عيسى ، عن حسين بن المختار رفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال : لولا السجود لله ومجالسة قوم يتلفظون طيب الكلام كما يتلفظ طيب التمر لتمنيت الموت .

٢٤ - لى : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن خلف بن حماد ، عن

(١) فى نسخة : على ما يرون .

أبي الحسن العبدي، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي^(١) قال: إن شاباً من الأنصار كان يأتي عبدالله بن العباس، وكان عبدالله يكرمه ويدينه^(٢) ف قيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتدينه وهو شاب سوء! يأتي القبور فينبشها بالليالي! فقال عبدالله بن العباس إذا كان ذلك فأعلموني، قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور فأعلم عبدالله ابن العباس بذلك فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب، قال: فدخل قبراً قد حفر، ثم اضطجع في اللحد، ونادى بأعلى صوته يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً قد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟! بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربي مرة بعداً أخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً. وجعل يردد هذا الكلام ويبكي فلمّا خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم النبش، نعم النبش، ما أنبشك للذنوب والخطايا! ثم تفرّقا. «ص ١٩٩»

٢٥ - ب: اليقطيني، عن القدّاح، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: استحيوا من الله حقّ الحياء، قالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ قال: فإن كنتم فاعلين فلا يبين أحدكم إلّا وأجله بين عينيه، وليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا. «ص ١٣»

بيان: وما وعى أي وليحفظ ما وعاه الرأس من البصر والسمع واللسان وغيرها من المشاعر عن ارتكاب ما يسخط الله، وليحفظ البطن وما حواه من الطعام والشراب أن يكونا من حرام، ويمكن أن يعم البطن بحيث يشمل الفرج أيضاً.

(١) عباية بفتح العين وتخفيف الباء وفتح الياء، وربعي بكسر الراء وسكون الباء والعين المهملة المكسورة ثم الياء هو عباية بن عمرو بن ربعي، عده الشيخ في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، وعده البرقي - على ما حكى - من خواص علي عليه السلام.

(٢) أي بحسن إليه.

٢٦ - ل : الاربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : أكثروا ذكر الموت ، ويوم خروجكم من القبور ، وقيامكم بين يدي الله عز وجل تهون عليكم المصائب . « ج ٢ ص ١٥٨ »
 ٢٧ - ن : المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنما هو كفته ، ويبني بيتاً ليسكنه وإنما هو موضع قبره . « ص ١٦٥ »

٢٨ - ن : بالإسناد إلى دارم ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكثروا من ذكر هادم اللذات . « ص ٢٢٨ »

٢٩ - ما : فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته : قصر الأمل ، واذكر الموت ، وازهد في الدنيا ، فإنك رهن موت ، و غرض بلاء ، و صريع سقم . ^(١) « ص ٥ »
 ٣٠ - ما : فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر : عباد الله ! إن الموت ليس منه ^(٢) فوت فاحذروا قبل وقوعه و أعدوا له عدته ، فإنكم طرد الموت إن أقمت له أخذكم و إن فررت منه أدرككم ، وهو ألزم لكم من ظلكم ، الموت معقود بنواصيكم ، والدنيا تطوي خلفكم ، فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات ، و كفى بالموت واعظاً ؛ و كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول : أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، حائل بينكم و بين الشهوات . « ص ١٧ - ١٨ »

٣١ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن عبد الله بن عمار ، عن علي بن محمد بن سليمان ، عن محمد بن الحارث بن بشير ، عن القاسم بن الفضيل ، عن عباد المنقري ^(٣)

(١) قوله : « رهن موت » شبه عليه السلام الموت للزومه الإنسان و عدم انفكاك الإنسان منه بالرهن في يد المرتهن . و الغرض : الهدف . و الصريع بمعنى مصروع أي المطروح على الأرض و الساقط عليها ، لأن طبيعة الإنسان دائماً يصارع المرض و السقم و يدافعه حتى تضعف و يغلب عليه المرض و السقم فيصرعها و يطرحها على الأرض ، فهو إما زمن مقعد على فراشه ، وإما راكب على سريره و نعشه .

(٢) في نسخة : فيه .

(٣) نسبة إلى منقر و زان منبر ؛ أبي بطن من سعد وهو منقر بن عبيد بن مقاس .

عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لو أن البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سميناً . «ص ٢٨٩»

بيان : لا ينافي هذا الخبر ما سيأتي من الأخبار في أن الموت مما لم تبهم عنه البهائم ، إذ المعنى فيه : لو علموا كما تعلمون من خصوصيات الموت وشدائده ؛ فلا ينافي علمهم بأصل الموت ؛ أو المراد : أنهم لو كانوا مكلفين وعلموا ما أوعده الله من العقاب لما كانوا غافلين كغفلتكم ، ولذا قال ﷺ : من الموت .

٣٢ - مص : قال الصادق عليه السلام : ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقطع منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرق الطبع ، ويكسر أعلام الهوى ، ويطفيء نار الحرص ، ويحقّر الدنيا ، وهو معنى ما قال النبي ﷺ : فكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ وذلك عندما يحل أطنا بخيام الدنيا ، ويشدها في الآخرة ، ولا يشكّ بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة ، ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه و طول مقامه في القبر وتحيرته في القيامة فلا خير فيه .

☆ قال النبي ﷺ : اذكروا هادم اللذات ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : الموت ؛ فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ، ولا في شدة إلا اتسعت عليه ، والموت أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها ، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعدّه أبعد ، فما أجراً الإنسان على نفسه ؛ وما أضعفه من خلق ؛ وفي الموت نجاة المخلصين و هلاك المجرمين ، ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره .

قال النبي ﷺ : من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله .

(٥) يحتمل أن يكون ذلك والحديث الاتي بعده من بقية كلام الامام الصادق عليه السلام استشهد بهما على ما قال أولا من الترغيب في ذكر الموت ، أو يكونان خبرين مرسلين من جامع المصباح والظاهر من المصنف الاول .

بيان : قوله عليه السلام : وذلك أي فكر الساعة الذي هو خير من عبادة سنة . وحل
أطنا ب خيام الدنيا كناية عن قطع العلائق عنها وعن شهواتها ، وكذا شدّها في الآخرة
عبارة عن جعل ما يأخذه ويدعه في الدنيا لتحصيل الآخرة .

٣٣- شى : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن
الكافر المات خير له أم الحياة ؟ فقال : المات خير للمؤمن والكافر ، قلت : ولم ؟ قال :
لأن الله يقول : « وما عند الله خير للأبرار » ويقول : « ولا تحسبن الذين كفروا أنما
نملي لهم خير لا نفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » .

٣٤- سر : من كتاب أبي القاسم بن قولويه رحمه الله قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :
بلغ أمير المؤمنين عليه السلام موت رجل من أصحابه ثم جاء خبر آخر أنه لم يموت ، فكتب
إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنّه قد كان أتانا خبر ارتاع له إخوانك ، ^(١) ثم جاء
تكذيب الخبر الأوّل ، فأنعم ذلك إن سررنا ، وإن السرور وشيك الانقطاع ^(٢) يبلغه
عما قليل تصديق الخبر الأوّل ، فهل أنت كائن كرجل قد ذاق الموت ثم عاش بعده
فسأل الرجعة ^(٣) فأسعف بطلبته فهو متأهب بنقل ماسرّه من ماله إلى دار قراره ، لا يرى
أنّ له مالا غيره ؟ واعلم أنّ الليل والنهار دائبان ^(٤) في نقص الأعمار وإنفاذ الأموال و
طّي الآجال ؛ هيهات هيهات قد صبحا عاداً وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً فأصبحوا قد
وردوا على ربهم وقدموا على أعمالهم ، والليل والنهار غضبان جديدان لا يبليهما ما مرّا
به يستعدّان لمن بقي بمثل ما أصابا من مضي ، ^(٥) واعلم أنّما أنت نظير إخوانك وأشباهك
مثلك كمثل الجسد قد نزلت قوّته فلم يبق إلا حشاشة نفسه ، ينتظر الداعي فنعود بالله
مما نعظ به ثم نقصر عنه .

(١) ارتاع منه وله : فزع وتفزع .

(٢) أي سربع الانقطاع و قريبه .

(٣) في السرائر المطبوع : قد ذاق الموت وعان ما بعده يسأل الرجعة .

(٤) دأب في العيل ، جد وتعب و استمر عليه فهو دأب . وفي السرائر المطبوع : واعلم أن

الليل والنهار لم يزالا دائبين في قصر (نقص خل) الاعمار .

(٥) في نسخة : يستعدان لمن بقي أن يصيباه ما أصابا من مضي .

بيان : فأنعم ذلك أي أقرّ عيون إخوانك ، يقال : نعم الله بك عينا ، و أنعم الله بك عينا ، و أنعم صباحاً ؛ ويقال : ما أنعمنا بك أي ما أقدمك فسررنا بقاءك ، و أنعمت على فلان أي أصرت إليه نعمة . والحشاش والحشاشة بضمهم : بقيّة الروح في الجسد في المرض .

- ٣٥ - ضه : قال رسول الله ﷺ : أكيس الناس من كان أشدّ ذكراً للموت .
 ٣٦ - و قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : فإنّ الغاية أمامكم ، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم ، تخففوا تلحقوا فإنّما ينتظرباًو لكم آخركم ^(١) .

(١) قال السيد في نهج البلاغة بعد إيراده هذا الكلام : إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحاً وبرز عليه سابقاً ، فأما قوله عليه السلام : « تخففوا تلحقوا » فمسمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً و ما أبعد غورها من كلمة ، و أنفع نطفتها من حكمة ، و قد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها انتهى . منه أقول : وقال بعض الشارحين : الغاية : الثواب والعقاب ، والنعيم والشقاء ، فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم إليها ، ولا تستبطوها فإن الساعة التي تصيبونها فيها - وهي القيامة - آتية إليكم فكأنها في قربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه ، سبق السابقون بأعمالهم إلى الحسن فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات و أوزار الغناء في تحصيل اللذات ، ويعف عن هذه الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار ، وأصله الرجل يسمى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه . قال ابن ميثم : كون الساعة وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت العادة في الهارب من الشيء أن يكون وراءه المهروب منه وكانت الموت متأخراً عن وجود الانسان ولاحقاً تأخراً و لاحقاً عقلياً أشبه المهروب منه المتأخر اللاحق هرباً وتأخراً ولحقاً حسياً فلا جرم استعير لفظ المحسوسة وهي الوداء . واما كونهم تحدوهم فلان العادى لما كان من شأنه سوق الابل بالحداء وكان تذكر الموت وسماع نواديه مزعجاً للنفوس إلى الاستعداد للامور الآخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة ، كما يحمل العادى الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لاجرم أشبه العادى فاسند الحداء إليه . قوله : « تخففوا تلحقوا » لما نبههم بكون الغاية أمامهم و أن الساعة تحدوهم في سفر واجب وكان السابق إلى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علم أن التخفيف و قطع العلائق في الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لاجرم أمرهم .

٣٧ - و قال أيضاً في خطبته : فما ينجو من الموت من يخافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه ، ومن جرى في عنان أملة عشر به أجله ، و إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى ! الحذر الحذر ! فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر .

٣٨ - وتبع أمير المؤمنين جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال : كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوؤهم أجدانهم ونأكل تراثهم ، قد نسينا كل واعظ وواعظة ، ورمينا بكل جائحة ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت ! ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير .^(١)

٣٩ - قال الصادق عليه السلام مكتوب في التوراة : نحن لكم فلم تبكوا ، وشوقناكم فلم تشمقوا ، أعلم القتالين أن الله سيفاً لا ينام وهو جهنم ؛ أبناء الأربعين أوفوا للحساب ، أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؛ أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى ، أبناء الثمانين تكتب لكم الحسنات ولا تكتب عليكم السيئات ، أبناء التسعين أتم أسراء الله في أرضه ! ثم قال : ما يقول كريم أسر رجلاً ؟ ماذا يصنع به ؟ قلت : يطعمه ويسقيه ويفعل به ؛ فقال : ما ترى الله صانعاً بأسيره ؟

بيان : الغاية : الموت أو الجنة والنار . قوله عليه السلام : ينتظر بأولكم أي إنما ينتظر بيعث الأولين ونشرهم مجيء الآخرين وموتهم . لقد ستر أي الذنوب حتى

* بالتخفيف لناية اللوح في كلمتين فالأولى منهما قوله : « تخففوا » وكنى بهذا الأمر عن الزهد الحقيقي الذي هو أقوى أسباب السلوك إلى الله سبحانه ، وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه إلى القبلية الحقيقية ، والأعراض عن متاع الدنيا وطياتها ، فإن ذلك تخفيف للأوزار المانعة عن الصعود في درجات الأبرار ، والموجبة لحلول دار البوار ، وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الأمر في معنى الشرط . والثانية قوله : « تلحقوا » وهو جزاء الشرط ، أي إن تخففوا تلحقوا . إلى آخر كلامه ومن شاء فليراجع .

(١) أورده السيد في نهج البلاغة في باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام . والسفر بفتح السين و سكون الفاء : مسافرون . نبوؤهم أي تنزلهم . في أجدانهم أي قبورهم . الجائحة : الافة تهلك الأصل والفرع .

كأنه قد غفرها ، فاحذروا عقاب ماستره واشكروه على هذا الستر ؛ ويحتمل على بعد أن يكون المعنى ستر الموت عن الخلائق بحيث ، يظنون أنه رفع عنهم لكثرة غفلتهم عنه . قوله : أوفوا أي أكملوا و سلموا ما طلب منكم من الأعمال لأنكم تحاسبون عليها . قوله : زرع أي أتم أو أعمالكم .

٤٠ - تم : في كتاب محمد بن محمد بن الأشعث بإسناده أن مولانا علياً عليه السلام قال : ما رأيت إيماناً مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان ، إنه كل يوم يودع إلى القبور ، ويشيع ، وإلى غرور الدنيا يرجع ، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع ، فلولم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يقف عليه إلا موت يبدد شمله ويفرق جمعه ويؤتم ولده لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشدّ النصب والتعب ، ولقد غفلنا عن الموت غفلة أقوام غير نازل بهم ، وركننا إلى الدنيا وشهواتها ركون أقوام قد أيقنوا بالمقام ، و غفلنا عن المعاصي والذنوب غفلة أقوام لا يرجون حساباً ولا يخافون عقاباً .

بيان : لعل الضمير في قوله عليه السلام : منه راجع إلى الموت المتقدم ذكره في الرواية ، أو المعلوم بقرينة المقام ، وقوله : على الإنسان متعلق بقوله : أشبه ، والظاهر أنه سقط منه شيء ؛ والتوكف : التوقع ، أي يتوقع وينتظر عقابه .

٤١ - جمع : قال النبي صلى الله عليه وآله : أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة ذكر الموت ، وأفضل التفكر ذكر الموت ، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة .

٤٢ - وقال رجل لأبي ذرٍّ رحمه الله : مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب ؛ قيل له : فكيف ترى قدومنا على الله ؟ قال : أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ؛ قيل : فكيف ترى حالنا عند الله ؟ قال : أعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك و تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » قال الرجل : فأين رحمة الله ؟ قال : إن رحمة الله قريب من المحسنين .

٤٣ - كتاب الدرّة الباهرة : قيل لأمر المؤمنين عليه السلام : ما الاستعداد للموت ؟

فقال : أداء الفرائض و اجتناب المحارم والاشتغال على المكارم ، ثم لا يبالي أوقع على الموت أوقع الموت عليه ؟ والله لا يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ؟ .
٤٤ - دعوات الراوندي : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لفر
نزل به .

٤٥ - وقال : لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يطول عمره ، ويرزقه الله الإنباء إلى دار الخلود .

٤٦ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام : بقية عمر المرء لا قيمة له ، يدرك بها ما قدفات ، ويحيي مامات .

أقول : سيأتي أخبار الاستعداد للموت في باب موضوع له في كتاب المكارم .
تحقيق مقام لرفع شكوك وأوهام : ربما يتوهم التنافي بين الآيات والأخبار الدالة على حب لقاء الله ، وبين ما يدل على ذم طلب الموت ، وما ورد في الأدعية من استدعاء طول العمر وبقاء الحياة ، وما روي من كراهة الموت عن كثير من الأنبياء والأولياء ، ويمكن الجواب عنه بوجوه : الأول ما ذكره الشهيد رحمه الله في الذكرى من أن حب لقاء الله غير مقيّد بوقت ، فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة ما يحب ، واستشهد لذلك بما مر من خبر عبد الصمد بن بشير .^(١)

الثاني : أن الموت ليس نفس لقاء الله فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لا يستلزم كراهة لقاء الله ، وهذا لا ينفع في كثير من الأخبار .

الثالث : أن ما ورد في ذم كراهة الموت فهي محمولة على ما إذا كرهه لحب الدنيا وشهواتها والتعلق بملاذّها ، وما ورد بخلاف ذلك على ما إذا كرهه لطاعة الله تعالى وتحصيل مرضاته وتوفير ما يوجب سعادة النشأة الأخرى ، ويؤيده خبر سلمان .^(٢)

الرابع : أن كراهة الموت إنمّا تذم إذا كانت مانعة من تحصيل السعادات الأخروية بأن يترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهجران الظالمين لحب الحياة

(١) الواقع تحت رقم ١٧ .

(٢) الواقع تحت رقم ٢٣ .

والبقاء ، والحاصل أن حب الحياة الفانية الدنيوية إنما يذم إذا أثرها على ما يوجب الحياة الباقية الأخروية ، ويدل عليه خبر شعيب العرقوفي ، وفضيل بن يسار ، ^(١) وهذا الوجه قريب من الوجه الثالث .

الخامس : أن العبد يلزم أن يكون في مقام الرضا بقضاء الله ، فإذا اختار الله له الحياة فيلزمه الرضا بها والشكر عليها ، فلو كره الحياة والحال هذه فقد سخط ما ارتضاه الله له وعلم صلاحه فيه ، وهذا مما لا يجوز ، وإذا اختار الله تعالى له الموت يجب أن يرضى بذلك ، ويعلم أن صلاحه فيما اختاره الله له فلو كره ذلك كان مذموماً ، وأما الدعاء لطلب الحياة والبقاء لأمره تعالى بذلك فلا ينافي الرضا بالقضاء ، وكذا في الصحة والمرض والغنى والفقر وسائر الأحوال المتضادة يلزم الرضا بكل منها في وقته ، وأمرنا بالدعاء لطلب خير الأمرين عندنا ، فما ورد في حب الموت إنما هو إذا أحب الله تعالى ذلك لنا ، وأما الاقتراح عليه في ذلك وطلب الموت فهو كفر لنعمة الحياة ، غير ممدوح عقلاً وشرعاً كطلب المرض والفقر وأشباه ذلك ، وهذا وجه قريب ، ويؤيده كثير من الآيات والأخبار والله تعالى يعلم .

﴿ باب ٥ ﴾

﴿ ملك الموت وأحواله وأعوانه وكيفية نزعته للروح ﴾

الآيات ، الانعام ٦٠ ، وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفيته رسلنا وهم لا يفرطون ٦١ .
الاعراف ٧ ، حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ٣٧ .
يونس ١٠ ، ولكن اعبدوا الله الذي يتوفيكُم ١٠٤ .
النحل ١٦ ، الذين تتوفىهم الملائكة ظالمي أنفسهم ٢٨ وقال تعالى : الذين تتوفىهم الملائكة طيبين ٣٢ .

(١) الواقان تحت رقمي ١٠٩ و ١٠٠ .

التنزيل « ٣٢ » قل يتوفّيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ١١ .

الزمر « ٣٩ » الله يتوفّي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك الذي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ٤٢ .

تفسير : « وهو القاهر » أي المقتدر المستولي على عباد « ويرسل عليكم حفظة » أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحسونها عليكم « توفّته » أي تقبض روحه « رسلنا » يعني أعوان ملك الموت « وهم لا يفرطون » لا يضيّعون ولا يقصرون فيما أمروا به من ذلك « حتّى إذا جاءتهم رسلنا » أي ملك الموت وأعوانه « يتوفّونهم » أي يقبضون أرواحهم ؛ وقيل : معناه : حتّى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفّونهم إلى النار يوم القيامة « قالوا ضلّوا عنّا » أي ذهبوا عنّا وافتقدناهم فلا يقدرّون على الدفع عنّا وبطلت عبادتنا إياهم .

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : « قل يتوفّيكم ملك الموت الذي وكل بكم » : أي وكل بقبض أرواحكم ؛ عن ابن عباس قال : جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء ، إذا قضى عليه الموت من غير عناء ، وخطوته ما بين المشرق والمغرب . وقيل : إن له أعواناً كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدلّ عليه قوله : « توفّته رسلنا » وقوله : « تتوفّيهم الملائكة » وأمّا إضافة التوفّي إلى نفسه في قوله : « يتوفّي الأنفس حين موتها » فلا نه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه .

١ - ج : في خبر الزنديق المدعي للتناقض في القرآن قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : « الله يتوفّي الأنفس حين موتها » وقوله : « يتوفّيكم ملك الموت » ، وتوفّته رسلنا ، وتتوفّيهم الملائكة طيبين ، والذين تتوفّيهم الملائكة ظالمين أنفسهم : فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه ، وفعل رسله وملائكته فعله ، لأنهم بأمره يعملون ، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه وهم الذين قال الله فيهم : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » فمن كان من أهل الطاعة

تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة ، ومن كان من أهل المعصية تولّى ^(١) قبض روحه ملائكة النعمة ، وملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنعمة يصدرون عن أمره ، وفعلهم فعله ، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه ، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت ، وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء ، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء ، وإنّ فعل أمنائه فعله ، كما قال : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » .
« ص ١٢٩ - ١٣٠ »

٢ - فس : ^(٢) أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه ، ثبّه كهيئة الحزين ؛ فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ ! فقال : هذا ملك الموت ، مشغول في قبض الأرواح ؛ فقلت : ادنني منه يا جبرئيل لأكلمه ؛ فأدناني منه فقلت له : يا ملك الموت أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت تقبض روحه ؟ قال : نعم ، قلت : وتحضرهم بنفسك ؟ قال : نعم ، ما الدنيا كلّها عندي فيما سخرها الله لي ومكّنتي منها إلا كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء ، وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات ، ^(٣) وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم : لا تبكوا عليه فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتّى لا يبقى منكم أحد ؛ قال رسول الله : كفى بالموت طامة ^(٤) يا جبرئيل ! فقال جبرئيل : ما بعد الموت أطم ^(٥) وأعظم من الموت ! « ص ٣٧٠ »

٣ - ن : بالأسانيد الثلاثة ، عن الرضا ، عن آبائه عليه السلام قال : قال رسول الله

(١) في المصدر : تولّت . م .

(٢) في المطبوع « ن » وهو وهم من النسخ والصحيح « فس » أي تفسير على بن إبراهيم .

(٣) أي في أوقات الصلوات ، على ما في حديث آخر يأتي تحت رقم ٤٤ من الباب الاتي .

(٤) الطامة : الداهية تفوق ما سواها .

(٥) أي أعظم وأفقم .

صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلاً قاعداً : رجل له في المشرق ، ورجل^(١) في المغرب ، ويده لوح ينظر فيه ، ويحرك رأسه ؛ فقلت : يا جبرئيل من هذا ؟ فقال : ملك الموت عليه السلام .^(٢) « ص ٢٠٠ »

٤ - ن : بهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل : ملك الموت : يا ملك الموت وعزتي وجلالي وارتفاعي في علوي لا ذيقنك طعم الموت كما أذقت عبادي . « ص ٢٠٠ »

٥ - ما : ابن الصلت ، عن ابن عقدة ، عن علي بن محمد ، عن داود ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله مثله .^(٣) « ص ٢١٤ »

٦ - يد : القطان ، عن ابن زكريا ، عن ابن حبيب ، عن أحمد بن يعقوب بن مطر ، عن محمد بن الحسن بن عبدالعزيز ، عن أبيه ، عن طلحة بن زيد ، عن عبدالله بن عبيد ، عن أبي معمر السعداني - في خبر من أتى أمير المؤمنين عليه السلام مدّعيًا للتناقض في القرآن - قال عليه السلام : أمّا قوله : « قل يتوفّيكم ملك الموت الذي وكل بكم »^(٤) ، وقوله : « الله يتوفّي الأنفس حين موتها » وقوله : « توفّيته رسلنا وهم لا يفرطون » وقوله : « الذين تتوفّيهم الملائكة ظالمي أنفسهم » وقوله : « الذين تتوفّيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم » فإن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء ، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء ، أمّا ملك الموت فإن الله عز وجل يوكله بخاصته من يشاء من خلقه ، ويوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه تبارك وتعالى ، والملائكة الذين سماهم الله عز وجل وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه ، إنّه تبارك وتعالى^(٥) يدبر الأمور كيف يشاء ، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكل الناس ، لأنّ منهم القوي

(١) في المصدر : ورجله . م .

(٢) في المصدر : قال : هذا ملك الموت . م .

(٣) إلا ان فيه : وارتفاعي في علومي . م .

(٤) في المصدر بعد هذه الجملة : ثم إلى ربكم ترجعون . م .

(٥) ليس في المصدر قوله : إنّه تبارك وتعالى . م .

والضعيف ، ولأنَّ منه ما يطاق حمله ، ومنه ما لا يطاق حمله إلا من يسهّل الله له ^(١) حمله وأعانته عليه من خاصّة أوليائه ، وإنّما يكفيك أن تعلم أن الله المحيي المميت ، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم . « ص ٢٧٥ - ٢٧٦ »
أقول : تمامه في كتاب القرآن .

٧ - شى : عن حمران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » قال : هو الذي سمّي ملك الموت عليه السلام في ليلة القدر .

٨ - جمع : قال إبراهيم الخليل عليه السلام ملك الموت : هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟ قال : لا تطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض عني ، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود ، قائم الشعر ، منتن الريح ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان ؛ فغشي على إبراهيم ثم أفاق ، فقال : لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه .

٩ - نهج : من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت : هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّى أحداً؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه : أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربّها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله؟

١٠ - كا : عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلا وملك الموت يتصفّحهم في كل يوم خمس مرّات . « ف ج ١ ص ٧٠ »

بيان : لعلّ الأظهر « مدر » مكان « وبر » .

١١ - كا : محمد بن يحيى : عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن لحظة ملك

(١) في المصدر : الا ان يسهل الله له .

الموت ، قال : أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعريضهم السكينة ^(١) فما يتكلم أحد منهم ؟ فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم . «فج ١ ص ٧١»
ين : ابن علوان مثله .

١٢ - ١٣ : علي ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، عن المفضل بن صالح ، عن زيد الشحام قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن ملك الموت يقال : ^(٢) الأرض بين يديه كالقصة يمد يده حيث يشاء ؛ فقال : نعم . «فج ١ ص ٧٠»

١٣ - ١٤ : قال الصادق عليه السلام : قيل لملك الموت عليه السلام : كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة ؟ فقال : أدعوها فتجيبني . قال : وقال ملك الموت عليه السلام : إن الدنيا بين يدي كالقصة بين يدي أحدكم ، يتناول منها ما يشاء ، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف شاء . «ص ٢٢-٢٣»

١٤ - ١٥ : ل : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن ابن أبي عثمان ، عن موسى بن بكر ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة ؛ اختار من الملائكة جبرئيل و ميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام . «ج ١ ص ١٠٧»

١٥ - ١٦ : سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وعن قول الله عز وجل : «قل يتوفىكم ملك الموت الذي وكل بكم» وعن قول الله عز وجل : «الذين تتوفىهم الملائكة طيبين ، والذين تتوفىهم الملائكة ظالمي أنفسهم» وعن قول الله عز وجل : «توفته رسلنا» وعن قول الله عز وجل : «ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة» وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصى إلا الله عز وجل فكيف هذا ؟ فقال : إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجهم فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ، ويتوفاه الله عز وجل من ملك الموت . «ص ٣٣»

(١) في المصدر : السكينة (السكينة خل) م

(٢) في المصدر : فقال الأرض . والظاهر أن النسخة مغلوبة لتكرار الجواب بناءً عليه . م

١٦ - كا : أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن فضال ، عن علي ابن عقبة ، عن أسباط بن سالم مولى أبان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض ؟ قال : لا إنما هي صكاك^(١) تنزل من السماء : اقبض نفس فلان بن فلان . « ف ج ١ ص ٧٠ »

ما : الحسين بن إبراهيم القزويني ، عن محمد بن وهبان ، عن محمد بن أحمد بن زكريا ، عن الحسن بن فضال ، عن علي بن عقبة مثله . « ص ٧٤ »

١٧ - كا : محمد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحاق ، عن علي بن مهزيار ، عن علي ابن إسماعيل الميثمي ، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قول الله عز وجل : « إنما نعدّ لهم عدداً » قال : فما هو^(٢) عندك ؟ قلت : عدد الأيام ، قال : إن الآباء والأمهات يحصون ذلك ، لا ولكنّه عدد الأنفاس . « ف ج ١ ص ٧٢ »

١٨ - كا : علي ، عن أبيه ، عن بكر بن محمد الأزدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إن الموت الذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم » إلى قوله : « تعملون » قال : تعدّ^(٣) السنين ، ثم تعدّ الشهور ، ثم تعدّ الأيام ، ثم تعدّ الساعات ، ثم يعدّ النفس ، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . « ف ج ١ ص ٧٢ »

ب : ابن سعد ، عن الأزدي مثله . « ص ٢٠ »

﴿باب ٦﴾

﴿سكرات الموت وشدائده وما يلحق المؤمن والكافر عنده﴾

الآيات ، النساء « ٤ » ، إن الذين توفّيهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأويهم جهنّم وساءت مصيراً ٩٧ .

(١) وزان بعار جمع الصك وهو الكتاب .

(٢) في المصدر : ما هو عندك ؟ م .

(٣) في المصدر : بعد السنين ثم بعد الشهور ؛ وهكذا . م

الا نفال «٨» ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و
أدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ٥٠ .

يونس «١٠» الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ٦٣-٦٤ .

الاحزاب «٣٣» تحيتهم يوم يلقونه سلام ٤٤ .

السجدة «٤١» إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ٣٠ .

محمد «٤٧» فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ٢٧ .

ق «٥٠» وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ١٩ (١) .

الواقعة «٥٦» فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه
منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما
إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين *
فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم *
وتصالية جحيم ٨٣-٩٤ .

المنافقين «٦٣» وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب
لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ١٠ .

القيامة «٧٥» كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق *
والتفت الساق بالساق (٢) إلى ربك يومئذ المساق ٢٦-٣٠ .

(١) قال الرضى رحمه الله : هذه استعارة ، والمراد بسكرة الموت ههنا الكرب الذى يتغشى
المحتضر عند الموت فيفقد تمييزه ويفارق معه معقوله ، فشبه تعالى بالسكرة من الشراب ، إلا أن تلك
السكرة منعة ، وهذه السكرة مؤلمة . وقوله : « بالحق » يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون وجاءت
بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه الانسان اضطراراً ودرآه جهاراً ، والآخر أن يكون المراد بالحق
ههنا أى بالموت الذى هو الحق . تلخيص البيان ص ٢٢٨ .

(٢) قال السيد الرضى رضوان الله عليه فى ص ٢٦٨ من تلخيص البيان : هذه استعارة على أكثر
الاقوال والمراد به - والله أعلم - صفة الشدين المجتمعين على المرء من فراق الدنيا ولقاء أسباب
الآخرة ، وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العرب فى العبارة عن الامر الشديد والخطب الفظيع بذكر •

الفجر « ٨٩ » يا أيَّتْها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيةً * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ٢٧-٣٠ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : « توفيهم » أي تقبض أرواحهم الملائكة : ملك الموت أو ملك الموت وغيره ؛ فإن الملائكة تتوفى ، وملك الموت يتوفى ، والله يتوفى ، وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله تعالى إذا فعلوه بأمره ، وما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت إذا فعلوه بأمره « فيم كنتم » أي في أي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم « قالوا كنا مستضعفين في الأرض » يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا ، ويمنعوننا من الإيمان بالله واتباع رسوله ، ولو ترى يا محمد « إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » أي يقبضون أرواحهم عند الموت « يضربون وجوههم وأدبارهم » يريد إستهامهم ، ولكن الله سبحانه كنس عنها . وقيل : وجوههم ما أقبل منهم ، وأدبارهم ما أدبر منهم ، والمراد : يضربون أجسادهم من قدامهم و من خلفهم ، والمراد بهم قتلى بدر . وقيل : معناه : سيضربهم الملائكة عند الموت « و ذوقوا عذاب الحريق » أي و تقول الملائكة للكفار استخفافاً بهم : ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة . وقيل : إنه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهمت النار في جراحاتهم فذلك قوله : « و ذوقوا عذاب الحريق » .

« الذين آمنوا » أي صدقوا بالله ووجدانيته « و كانوا يتقون » مع ذلك معاصيه لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » قيل : فيه أقوال :

أحدها : أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشرهم الله تعالى به في القرآن على

• الكشف عن الساق والقيام على ساق ، وقد يجوز أيضاً أن يكون الساق ههنا جمع ساق كما قالوا : حاجة و حاج ، وغاية وغاى ، والساق : هم الذين يكونون في أعقاب الناس يحفزونهم على السير ، وهذا في صفة أحوال الآخرة وسوق الملائكة للناس إلى القيامة ، فكأنه تعالى وصف الملائكة السابقين بالكرة (بالكرة خ) حتى يلتف بعضهم ببعض من شدة الحفز وعنيف السير والسوق ، ومما يقوى ذلك قوله تعالى : « إلى ربك يومئذ المساق » والوجه الأول أقرب ، وهذا الوجه أقرب . انتهى . أقول : قوله : الملائكة السابقين هكذا في النسخ ولعل الصحيح « السابقين » .

الأعمال الصالحة ، ونظيره قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » وقوله : « يبشّرهم ربهم برحمة منه » .

و ثانيها : أن البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم : ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون .

و ثالثها : أنها في الدنيا الرؤيا الصالحة ، يراها المؤمن لنفسه أو ترى له ، وفي الآخرة الجنة وهي ما تبشّرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام ، وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي صلّى الله عليه وآله .

و روى عقبة بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي أنتم عليه ، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه - وأوماً بيده إلى الوريد - الخبر بطوله ، ثم قال : إن هذا في كتاب الله وقرأ هذه الآية . وقيل : إن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما أعد له في الجنة قبل دخولها « لا تبديل لكلمات الله » أي لا خلف لما وعد الله ولا خلاف . وفي قوله تعالى : « تحييتهم يوم يلقونه سلام » روي عن البراء ^(١) أنه قال : يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه .

و في قوله : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » أي استمروا على أن الله ربهم وحده لم يشركوا به شيئاً ، أو ثم استقاموا على طاعته وأداء فرائضه . و روى محمد ابن الفضيل قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستقامة فقال : هي والله ما أنتم عليه « تنزل عليهم الملائكة » يعني عند الموت ، و روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام . وقيل : تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله تعالى . وقيل : إن البشرية تكون في ثلاثة مواطن : عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث « ألا تخافوا ولا تحزنوا » أي يقولون لهم : لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوت الثواب . وقيل : لا تخافوا ما أمامكم من أمور الآخرة ، ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلفتم من أهل وولد .

(١) بالباء المفتوحة والراء المهملة ، والالف والهمزة .

وقيل : لاتخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم ، فإني أغفرها لكم . وقيل : إن الخوف يتناول المستقبل ، والحزن يتناول الماضي أي لاتخافوا فيما يستقبل من الأوقات ، ولا تحزنوا على ماضى .

« وجاءت سكرة الموت » أي غمرة الموت ^(١) وشدته التي تغشي الإنسان وتغلب على عقله « بالحق » أي أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر إليه . وقيل : معناه : جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت « ذلك » أي ذلك الموت « ما كنت منه تحيد » أي تهرب وتميل .

« فلو لا إذا بلغت الحلقوم » أي فهلاً إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت وأنتم يا أهل الميت « حينئذ تنظرون » أي ترون تلك الحال و قد صار إلى أن يخرج نفسه . وقيل : معناه : تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً « ونحن أقرب إليه منكم » بالعلم والقدرة « ولكن لاتبصرون » ذلك ولا تعلمونه . وقيل : معناه : و رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون رسلنا « فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها » يعني فهلاً ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وترددت ونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسنين . وقيل : أي غير مملوكين . وقيل : أي غير مبعوثين ، والمرد أن الأمر لو كان كما تقولونه من أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلاً رددتم الأرواح والنفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين في قولكم ، فإذا لم تقدرُوا على ذلك فاعلموا أنه من تقدير مقدر حكيم وتدير مدبر عليم .

« فأمّا إن كان » ذلك المحتضر « من المقرّين » عند الله « فروح » أي فله روح وهو الراحة والاستراحة من تكاليف الدنيا ومشاقها . وقيل : الروح : الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم « وريحان » يعني الرزق في الجنة . وقيل : هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه .

وقيل : الروح : الرحمة ، والريحان : كل نباهة وشرف . وقيل : الروح : النجاة

(١) غمرة الشيء : شدته و مزدهمه ، غمرة الموت : مكارهه و شدائمه .

من النار ، والريحان : الدخول في دار القرار . وقيل : روح في القبر ، وريحان في الجنة .
وقيل : روح في القبر ، وريحان في القيامة .

« فسلام لك من أصحاب اليمين » أي فترى فيهم ماتحب لهم من السلامة من المكارة والخوف . وقيل : معناه : فسلام لك أيها الإنسان الذي هو من أصحاب اليمين من عذاب الله ، وسلمت عليك ملائكة الله ؛ قال الفرّاء : فسلام لك إنك من أصحاب اليمين ؛ فحذف إنك . وقيل : معناه : فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون « لك » بمعنى عليك .

« فنزل من حميم » أي فنزلهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم « وتصلية حميم » أي إدخال نار عظيمة « كلاً » أي ليس يؤمن الكافر بهذا . وقيل : معناه : حقاً « إذا بلغت » أي النفس أو الروح « التراقي » أي العظام المكتنفة بالحلق ، وكني بذلك عن الإشفاء على الموت . وقيل : « من راق » أي وقال من حضره : هل من راق أي من طبيب شاف يرقه ويداويه فلا يجدونه ؛ أو قالت الملائكة : من يرقى بروحه ؛ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؛ وقال الضحّاك : أهل الدنيا يجهّزون البدن وأهل الآخرة يجهّزون الروح « وظنّ أنّه الفراق » أي وعلم عند ذلك أنّه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد ؛ وجاء في الحديث أن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته ، ومفاصله يسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة .

« والتفت الساق بالساق » فيه وجوه : أحدها التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا ؛ والثاني التفت حال الموت بحال الحياة ؛ والثالث التفت ساقاه عند الموت لأنّه تذهب القوة فتصير كجلد يلتف بعضه ببعض ؛ وقيل : هو أن يضطرب فلا يزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الأخرى ويلف إحداها بالأخرى . وقيل : هو التفاف الساقين في الكفن ؛ والرابع التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ؛ والمعنى في الجميع أنّه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاء أشد منها .

« إلى ربك يومئذ المساق » أي مساق الخلائق إلى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر

والنهي إلاً الله تعالى . وقيل : يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله به ، إن كان من أهل الجنة فالى عليّين ، وإن كان من أهل النار فالى سجين .

« يا أيّتها النفس المطمئنة » بالإيمان ، المؤمنة ، الموقنة بالثواب والبعث . وقيل : المطمئنة الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت ويوم البعث . وقيل : النفس المطمئنة التي يبيض وجهها وتعطى كتابها يمينها فحينئذ تطمئن « ارجعي إلى ربك » أي يقال لها عند الموت وقيل : عند البعث : ارجعي إلى ثواب ربك وما أعدّه لك من النعيم . وقيل : ارجعي إلى الموضع الذي يختص الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه . وقيل : إن المراد : ارجعي إلى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد « راضية » بثواب الله « مرضية » أعمالها التي عملتها . وقيل : راضية عن الله بما أعدّها ، مرضية رضي عنها ربها بما عملت من طاعته . وقيل : راضية بقضاء الله في الدنيا حتّى رضي الله عنها ورضي باعتقادها وأفعالها « فادخلي في عبادي » أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم « وادخلي جنّتي » التي وعدتكم بها وأعددت نعيمكم فيها .^(١)

١ - ل : ابن إدريس ، عن أبيه ، عن محمد بن سالم ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الناس اثنان : واحد أراح ، وآخر استراح ، فأما الذي استراح فالؤمن إذا مات استراح من الدنيا وبلائها ، وأما الذي أراح فالكافر إذا مات أراح الشجر والدواب وكثيراً من الناس « ج ١ ص ١٧ » .

٢ - مع : ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . « ص ٤٧ » .

٣ - جا ، ها : المفيد ، عن الصدوق ، عن ماجيلويه ، عن عمّه ، عن البرقي ، عن أبيه ، ومحمد بن سنان معاً ، عن محمد بن عطية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الموت كفارة لذنوب المؤمنين . « ما ٦٨ » .

(١) سيأتي في تفسير الآية حديث عن الكافي في باب ما يعاين المؤمن عند الموت تحت رقم ٥٠ .

٤ - ما : المفيد ، عن ابن قولويه ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن حنّان بن سدير ، عن أبيه ، قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فذكر عنده المؤمن وما يجب من حقّه ، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي : يا أبا الفضل ألا أحدّثك بحال المؤمن عند الله ؟ فقلت : بلى فحدّثني جعلت فداك ، فقال : إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا : يا ربّ عبدك و نعم العبد ؛ كان سريعاً إلى طاعتك ، بطيئاً عن معصيتك ، وقد قبضته إليك ، فما تأمرنا من بعده ؟ فيقول الجليل الجبار : اهبطا إلى الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجّداني وسبّحاني وهللاني وكبّراني واكتباذلك لعبدي حتّى أبعثه من قبره . « ص ١٢٢ »

أقول : سيأتي تمامه في باب قضاء حاجة المؤمن .

٥ - ما : المفيد ، عن عمرو بن محمد الصيرفي ، عن محمد بن همام ، عن الفزاري ، عن سعيد بن عمر ، عن الحسن بن ضوء ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام : قال الله عزّ وجلّ : « ما من شيء أتردّد عنه تردّدني عن قبض روح المؤمن ، ^(١) يكره الموت وأنا أكره مساءته ، فإذا حضره أجله الذي لا يؤخّر فيه ^(٢) بعثت إليه بريحتين من الجنة ، تسمّيان إحداهما المسخية ، والأخرى المنسية ؛ فأما المسخية فتسخيه عن ماله ، ^(٣) وأما المنسية فتنسيه أمر الدنيا . » « ص ٢٦٤ »

٦ - ن : المفسّر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليهم السلام قال : قيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت ، قال عليه السلام : للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس ^(٤) لطيبه وينقطع التعب والألم كلّهُ عنه ، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ المقارب أو أشدّ . قيل : فإنّ قوماً يقولون : إنّهُ أشدّ من نشر بالمنشير ! ^(٥) وقرض بالمنقريض ! ورضخ بالأحجار ! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق ؛ قال : كذلك هو على

(١) في المصدر : اتردد فيه مثل تردّد عند قبض روح المؤمن م

(٢) في المصدر : لا تاخير فيه م

(٣) كأنّه من سخوت نفسى عن الشيء أى تركته ولم تنازعنى إليه نفسى .

(٤) أى تأخذه فترة في حواسه فقارب النوم .

(٥) جمع المنشار وهى آلة ذات أسنان ينشر بها الخشب ونحوه .

بعض الكافرين والفاجرين ، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد ؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا لا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا ؛ قيل : فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ ، وهو يحدث ويضحك ويتكلم ، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك ، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد ؟ فقال : ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه ، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيّاً ، نظيفاً ، مستحقاً الثواب الأبد ، لا مانع له دونه ؛ وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب ، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ^(١) ذلكم بأن الله عدل لا يجور . «ص ١٥١-١٥٢»

ع ، مع : المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي الناصري ، عن أبيه ، عن أبي جعفر الثاني ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الصادق عليه السلام مثله . «ص ٨٠ ، ص ٨٣»
٧ - مع : الهمداني ، عن علي ، عن أبيه ، عن أبي محمد الأنصاري - وكان خيبراً - عن عمار الأسدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أن مؤمناً أقسم على ربه عز وجل أن لا يميته ما أماته أبداً ، ولكن إذا حضر أجله بعث الله عز وجل إليه ريحين : ريحاً يقال له : المنسية ، وريحاً يقال له : المسخية ، فأما المنسية فإنها تنسيه أهله وماله ، فأما المسخية فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله تبارك وتعالى . «ص ٤٧»

٨ - ل : الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : تمسكوا بما أمركم الله به ، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحب إلا أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما عند الله خير وأبقى ، وتأتيه البشارة من الله عز وجل فتقر عينه ويحب لقاء الله . «ص ١٥٧»
بيان : الاغتباط : كون الإنسان على حال يغبطه الناس ويتمنون حاله .

٩ - مع : المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي الناصري ، عن أبيه ، عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليهم السلام قال : قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام : صف

(١) ليس في المصدر قوله : بعد نفاد حسناته . م .

لنا الموت ، فقال : على الخير سقطتم ، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه : إما بشارة بنعيم الأبد ، وإما بشارة بعذاب الأبد ، وإما تحزين^(١) وتهويل^(٢) وأمره مبهم ، لاتدري من أي الفرق هو ؛ فأما وليدنا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد ، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد ، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله ، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ، ثم لن يسويه الله عز وجل بأعدائنا لكن يخرجهم من النار بشفاعتنا ، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا^(٣) ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة .

و سئل الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام : ما الموت الذي جهلوه ؟ قال : أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد ، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفذ .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فـ إذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم و ارتعدت فرائصهم و وجلت قلوبهم ، و كان الحسين صلوات الله عليه و بعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم ، و تهدى جوارحهم ، و تسكن نفوسهم ؛ فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ! فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام ! فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس و الضراء إلى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة ، فأيتكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب ، إن أبي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر ، و الموت جسر هؤلاء إلى جناتهم ، و جسر هؤلاء إلى جحيمهم ، ما كذبت ولا كذبت .

(١) في المصدر : تخوين (تخويف خ ل) ٢٠

(٢) في المصدر : فاعلموا وأطيعوا ولا تتكلموا ٢٠

(٣) في المصدر : الدنيا . .

وقال محمد بن علي عليه السلام : قيل لعلي بن الحسين عليه السلام : ما الموت ؟ قال : للمؤمن كنز ثياب وسخة قملة ، وفك قيود وأغلال ثقيلة ، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح ، وأوطى المراكب ، وآنس المنازل ؛ وللكافر كخلع ثياب فاخرة ، والنقل عن منازل أنيسة ، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها ، وأوحش المنازل وأعظم العذاب .
وقيل لمحمد بن علي عليه السلام : ما الموت ؟ قال : هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة ، إلا أنه طويل مدته ، لا ينتبه منه إلا يوم القيامة ، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقدر قدره ومن أصناف الأحوال ما لا يقدر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه ؟ هذا هو الموت فاستعدوا له . «ص ٨٣»

بيان : النكد . الشدة . العسر . والثبور : الهلاك :

١٠ - مع : المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ؛ عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليهم السلام قال : دخل موسى بن جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت وهو لا يجيب داعياً فقالوا له : يا بن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا ؟ فقال : الموت هو المصفاة تصفي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفارة آخر وزر بقي عليهم ؛ وتصفي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أوراثة تلحقهم هو آخر نواب حسنة تكون لهم ، وأما صاحبكم هذا فقد نخل^(١) من الذنوب نخلًا وصفي من الآثام تصفية ، وخُلص حتى نقي كما ينقى الثوب من الوسخ ، و صلح لمعاشرتنا أهل البيت في دارنا دار الأبد . «ص ٨٣-٨٤»

١١ - مع : بهذا الإسناد ، عن محمد بن علي عليه السلام قال : مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال : كيف تجدك ؟ قال : لقيت الموت بعدك - يريد ما لقيه من شدة مرضه - فقال : كيف لقيته ؟ فقال : أليماً شديداً ، فقال : ما لقيته إنما لقيت ما يندرك به ، ويعرفك بعض حاله ؛ إنما الناس رجالان : مستريح بالموت ، ومستراح به منه ،

(١) نخل الدقيل : غربله وأزال نخالته ، ونخل الشيء : اختاره وصفاه .

فجدد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً ؛ ففعل الرجل ذلك . و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .^(١) « ص ٨٤ »

١٢- مع : بهذا الإسناد ، عن علي بن محمد عليه السلام قال : قيل لمحمد بن علي بن موسى صلوات الله عليه : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت ؟ قال : لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا . ثم قال عليه السلام : يا أبا عبد الله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه ؟ قال : لجهلهم بنفع الدواء ، قال : والذي بعث محمدًا بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو^(٢) أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج ، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة . « ص ٨٤ »

١٣- مع : بهذا الإسناد عن الحسن بن علي عليه السلام قال : دخل علي بن محمد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت ، فقال له : يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه ، أرايتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك ؟ أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك ؟ قال : بلى يا بن رسول الله ؛ قال : فذلك الموت هو ذلك الحمام ، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك ، فإذا أنت ورت عليه و جاورته فقد نجوت من كل غم وهم وأذى ، ووصلت إلى كل سرور وفرح ، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله . وسئل الحسن بن علي بن محمد عليه السلام عن الموت ما هو ؟ فقال : هو التصديق بما لا يكون . حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الصادق عليه السلام قال : إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً ، فإن الميّت هو الكافر ، إن الله عز وجل يقول : « يخرج الحي من الميّت ويخرج الميّت من الحي » يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . « ص ٧٤ » .

(١) يأتي الحديث مرسل في باب ما يعاين المؤمن تحت رقم ٤٦ عن دعوات الراوندي في صورة

مفصلة .

(٢) في المصدر : لهو . م

بيان قوله عليه السلام : هو التصديق بما لا يكون أي هو ما يستلزم التصديق بأمر لا تكون بزعمه أي لا يتوقع حصولها مما يشاهده من غرائب أحوال النشأة الآخرة ؛ أو المعنى : أن الموت أمر ، التصديق به تصديق بما لا يكون ، إذ المؤمن لا يموت بالموت ، و الكافر أيضاً لا يموت بالموت بل كان ميتاً قبله ؛ ففيه حذف مضاف أي التصديق بالموت تصديق بما لا يكون .

١٤ - ل : الأربعمائة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتى يبتلى ببليّة تمحّص بها ذنوبه ، إمّا في مال ، و إمّا في ولد ، و إمّا في نفسه حتى يلقي الله عزّ وجلّ وماله ذنب ، وإنّه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشددّ به عليه عند موته . « ج ٢ ص ١٦٢ »

١٥ - ع : أبي ، عن عليّ بن محمد ماجيلويه ، عن الكوفيّ ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا مفضل إياك والذنوب ، وحذرهما شيعتنا ، فوالله ما هي إلى أحد أسرع منها إليكم ، إن أحدكم لتصيبه المعرّة من السلطان وما ذاك إلا بذنوبه ، وإنّه ليصيبه السقم وما ذاك إلا بذنوبه ، وإنّه ليحبس عنه الرزق وما هو إلا بذنوبه ، وإنّه ليشددّ عليه عند الموت وما هو إلا بذنوبه ، حتى يقول من حضره : لقد غمّ بالموت ؛ فلمّا رأى ما قد دخلني قال : أتدري لم ذاك يا مفضل ؟ قال : قلت : لأدري جعلت فداك ؛ قال : ذاك والله إنكم لاتؤاخذون بها في الآخرة وعجّلت لكم في الدنيا . « ص ١٠٨ »

بيان : قال الفيروز آبادي : المعرّة : الإثم ، والأذى ، والغرم ، والدية ، والخيانة . قوله عليه السلام : لقد غمّ بالموت أي صار مغموماً متألّماً بالموت غاية الغمّ لشدّته ، وقال الجوهري : غمّ يومنا بالفتح ، فهو يوم غمّ : إذا كان يأخذ بالنفس من شدة الحرّ .

١٦ - مع : أبي ، عن سعد ، عن ابن يزيد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عليّ بن الصلت ، ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كنّا معه في جنازة فقال بعض القوم : بارك الله

(١) أقول : الموجود في نسخة المصنف والمطبوع ونسخة مخطوطة أخرى من البحار (على بن الصلت)

والظاهر أنه لا يصح لأن علي بن الصلت لم يدرك أبا عبد الله عليه السلام ، ولعله تصحيف (علي بن الصامت) كما في معاني الأخبار المطبوع ، فليراجع الحديث في ص ١٠٨ منه .

لي في الموت وفيما بعد الموت ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : فيما بعد الموت فضلٌ ، إذا بورك لك في الموت فقد بورك لك فيما بعده . «ص ١٠٨»

١٧ - ع : علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن حمدان بن الحسين ، عن الحسين ابن الوليد ، عن عمران بن الحججاج ، عن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت لأي علة إذا خرج الروح من الجسد وجد له مساً ، وحيث رُكبت لم يعلم به ؟ قال : لأنّه نما عليها البدن . «ص ١١١» .

بيان : قوله عليه السلام : لأنّه نما عليها البدن أي أنّ الألم إنّما هو لأفة الروح بالبدن لنموه عليها لملحظ الإخراج حتّى يكون لإدخال الروح أيضاً ألم ؛ أو أنّه لما نما عليها البدن وبلغ حدّاً يعرف الآلام والأوجاع فلذا يتألم بإخراج الروح ، بخلاف حالة الإدخال فإنّه قبل دخول الروح ما كان يجد شيئاً لعدم الحياة ، وبعده لألم يحسّ به ؛ ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أنّ السائل لما توهم أنّ الروح يدخل حقيقة في البدن سأل عن الحكمة في عدم تأثر البدن بدخول الروح وتأثره بالخروج ، مع أنّ العكس أنسب ، فأجاب عليه السلام بأنّ الروح الحيواني لا يدخل من خارج في البدن ، بل إنّما تتولّد فيه وينمو البدن عليها .^(١) والمسّ أوّل ما يحسّ به من التعب والألم منه .

١٨ - ن ، ل : ابن الوليد ، عن سعد ، عن أحمد بن حمزة الأشعري ، عن ياسر الخادم قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد ويخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا ؛ وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال : «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال : «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً» . «ص ١٤٢ ج ١ ، ص ٣٥»

(١) لو بدل رحمه الله الروح الحيواني بالروح الانساني انطبق على الحركة الجوهرية القائلة بكون الروح الانساني إحدى مراتب البدن الاستكمالية كما يدل عليه قوله تعالى : « ثم انشأنه خلقاً آخر » الآية والمدرك للمدة والألم هو النفس فيتم البيان ؛ فالروح حدوته كمال للبدن وهو نفسه فلا يشعربه ، ومفارقته مفارقة ما أنس به بالتعلق والتصرف فيوجب التألم . ط

١٩- ل : أبي ، عن سعد ، عن الإصبهاني ، عن المنقري ، عن عبدالرزاق ، عن معمر عن الزهري قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات : الساعة التي يعاين فيها ملك الموت ، والساعة التي يقوم فيها من قبره ، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى فإمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار . ثم قال : إن نجوت يا ابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلا هلكت ؛ وإن نجوت يا ابن آدم حين توضع في قبرك فأنت أنت وإلا هلكت ؛ وإن نجوت حين يحمل الناس على الصراط فأنت أنت وإلا هلكت ؛ وإن نجوت حين يقوم الناس لرب العالمين فأنت أنت وإلا هلكت . ثم تلا : « ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » قال : هو القبر ، وإن لهم فيه لمعيشة ضنكاً ، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . ثم أقبل على رجل من جلسائه فقال له : قد علم ساكن السماء ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين أنت ؟ وأي الدارين دارك ؟ . « ج ١ ص ٥٩ »

٢٠- لى : أبي ، عن سعد ، عن النهدي ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل : « وقيل من راق » قال : ذاك قول ابن آدم إذا حضره الموت ، قال : هل من طيب ؟ هل من دافع ؟ ^(١) قال : « وظن أنه الفراق » يعني فراق الأهل والأحبة عند ذلك ، قال : « والتفت الساق بالساق » قال : التفت الدنيا بالآخرة ، قال : « إلى ربك يومئذ المساق » إلى رب العالمين يومئذ المصير . « ص ١٨٥ »

٢١- ك : علي ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، عن المفضل بن صالح ، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام مثله . ^(٢) « ف ج ١ ص ٧١ »

٢٢- لى ، ن : الطالقاني ، عن ابن عقدة ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه عن الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال : لما حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة بكى ف قيل : يا ابن رسول الله أتبكى و مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك الذي أنت به ^(٣)

(١) في الامالي المطبوع : هل من طيب ؟ هل من راق ؟ الخ .

(٢) مع اختلاف في الالفاظ م

(٣) في الامالي : و مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أنت به . م

وقد قال فيك رسول الله ﷺ ما قال ، وقد حجبت عشرين حجة ما شياً ، وقد قاسمت ربك مالك ثلاث مرّات حتّى النعل والنعل ؛ فقال ﷺ : إنّما أبكي لخصلتين : لهول المطلع ، وفراق الأحبة . «ص ١٣٣-١٣٤ ص ١٦٨»

٢٣ - ين : النضر ، عن ابن سنان ، عمّن سمع أبا جعفر ﷺ مثله ؛ وفيه : وقد حجبت عشرين حجة راكباً ، وعشرين حجة ماشياً . وما في رواية الصدوق أظهر .
٢٤ - سنن : ابن فضال ، عن ابن فضيل ، عن أبي حمزة الثماليّ قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : ما تردّدت عن شيء أنافعله كترددّي عن المؤمن ، فإنّي أحبّ لقاءه ويكره الموت ، فأزويه عنه ؛ ولو لم يكن في الأرض إلّا مؤمن واحد لا كتفيت به عن جميع خلقي ، وجعلت له من إيمانه أنساً لا يحتاج معه إلى أحد . «ص ١٦٠»

٢٥ - سنن : ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبيّ قال : قال أبو عبد الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : ليأذن بحرب منّي مستذلّ عبدي المؤمن ، وما تردّدت عن شيء كترددّي في موت المؤمن ؛ إنّي لأحبّ لقاءه ويكره الموت فأصرفه عنه ، وإنّه ليدعوني في أمر^(١) فأستجيب له لما هو خير له ،^(٢) ولولم يكن في الدنيا إلّا واحد من عبيدي مؤمن لاستغنيت به عن جميع خلقي ، ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يستوحش فيه إلى أحد . «ص ١٦٠»

بيان : قوله تعالى : فأستجيب له لما هو خير له أي أعطيه عوضاً عما يسألني من الأمور الفانية ما أعلمه أنّه خير له من اللذات الباقية .

٢٦ - سنن : أبي ، عمّن حدّثه ، عن أبي سلام النحاس ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله ﷺ : والله لا يصف عبد هذا الأمر فتطعمه النار ، قلت : إنّ فيهم من يفعل ويفعل ؛ فقال : إنّّه إذا كان ذلك ابتلى الله تبارك وتعالى أحدهم في جسده فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلّا ضيق الله عليه في رزقه ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه

(١) في المصدر : في الأمر م

(٢) ليست هذه الجملة إلى قوله : عن جميع خلقي موجودة في المصدر ؛ وفيه أيضاً : «اجعل له»

بديل « لجعلت له » م

وإلا شدّ الله عليه عند موته حتّى يأتي الله ولا ذنب له ، ثمّ يدخله الجنة . «ص ١٧٢»

٢٧ - سنن : ابن محبوب ، عن محمد بن القاسم ، عن داود بن فرقد ، عن يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل يعمل بكذا و كذا - فلم أدع شيئاً إلا قلته - وهو يعرف هذا الأمر ، فقال : هذا يرجى له و الناصب لا يرجى له ؛ و إن كان كما تقول لا يخرج من الدنيا حتّى يسلم الله عليه شيئاً يكفر الله عنه به ، إمّا فقراً أو إمّا مرضاً . «ص ١٧٢»

٢٨ - جمع : قال رسول الله ﷺ : فوالذي نفسي محمد بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهلوا عن ميّتهم و لبكوا على نفوسهم ، حتّى إذا حمل الميّت على مشه رفرف روحه فوق النعش ، وهو ينادي : يا أهلي و يا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي فجمعت المال من حلّه و غير حلّه ، ثمّ خلفته لغيري فاطمناً له و التبعة عليّ ، فاحذروا مثل ما حلّ بي . و قيل : ما من ميّت يموت حتّى يتراءى له ملكان الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قالاه : جزاك الله عنّا خيراً ، فربّ مجلس صدق أجلسنا ، و عمل صالح قد أحضرتنا ؛ و إن كان فاجراً قالاه : لا جزاك الله عنّا خيراً فربّ مجلس سوء قد أجلسنا ، و عمل غير صالح قد أحضرتنا ، و كلام قبيح قد أسمعنا .

٢٩ - وقال النبي ﷺ : إذا رضي الله عن عبد قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه ، حسبني من عمله ، قد بلوته فوجدته حيث أحبّ ؛ فينزل ملك الموت و معه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الرياحين و أصول الزعفران ، كل واحد منهم يبشّره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، و يقوم الملائكة صفين لخروج روحه ، معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثمّ صرخ ؛ فيقول له جنوده : مالك يا سيّدنا ؟ فيقول : أما ترون ما أُعطي هذا العبد من الكرامة ؟ أين كنتم عن هذا ؟ قالوا : جهدنا به فلم يطعنا .

٣٠ - كنز : أبو طاهر المقلّد بن غالب ، عن رجاله بإسناده المتّصل إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام : وهو ساجد يبكي حتّى علانحيبه و ارتفع صوته بالبكاء ، فقلنا : يا أمير

المؤمنين لقد أمرضنا بكأؤك و أمضنا وشجانا ،^(١) وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قط ، فقال : كنت ساجداً أدعو ربّي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبني عيني فرأيت رؤياً هالتني وأقلقتني ، رأيت رسول الله ﷺ قائماً وهو يقول : يا أبا الحسن طالت غيبتك فقد اشتقت إلى رؤياك ، وقد أنجز لي ربّي ما وعدني فيك . فقلت يا رسول الله و ما الذي أنجز لك في ؟ قال : أنجز لي فيك وفي زوجتك و ابنك و ذريّتك في الدرجات العلى في عليّين ؛ قلت : بأبي أنت و أمّي يا رسول الله فشيّعنا ؟ قال : شيّعنا معنا ، و قصورهم بحذاء قصورنا ، و منازلهم مقابل منازلنا ؛ قلت : يا رسول الله فما لشيّعنا في الدنيا ؟ قال : الأمن والعافية ، قلت : فما لهم عند الموت ؟ قال : يحكم الرجل في نفسه و يؤمر ملك الموت بطاعته ، قلت : فما لذلك حدّ يعرف ؟ قال : بلى ، إنّ أشدّ شيّعنا لنا حبّاً يكون خروج نفسه كشرّب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتقع به القلوب وإن سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقرّ ما كانت عينه بموته .

٣١ - فر : أبو القاسم العلويّ معنعناً عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه ؟ قال : فقال : لا والله ، قال : قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إنّ المؤمن إذا حضرته الوفاة حضر رسول الله ﷺ وأهل بيته : أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و فاطمة والحسن والحسين و جميع الأئمة عليهم الصلاة و السلام ، ولكن أكنّوا عن اسم فاطمة - ويحضره جبرئيل وميكائيل و إسرافيل و عزرائيل^(٢) عليهم السلام ، قال : فيقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : يا رسول الله إنّك كان ممّن يحبّنا ويتولّانا فأحبّه ، قال فيقول رسول الله ﷺ : يا جبرئيل إنّك ممّن كان يحبّ عليّاً و ذريّته فأحبّه ، وقال جبرئيل لميكائيل وإسرافيل عليه السلام مثل ذلك ، ثم يقولون جميعاً ملك الموت : إنّك ممّن كان يحبّ محمداً و آله ويتولّى عليّاً و ذريّته فارفق به ، قال فيقول ملك الموت : و الذي اختاركم و كرّمكم و اصطفى محمداً عليه السلام بالنبوة ، و خصّه بالرسالة لأنّا أرفق به من والد رفيق ، وأشفق عليه من أخ شفيق ، ثم قام إليه

(١) أمضه الامر : أحرقه و شق عليه . أمضه الجرح و نحوه : أوجعه . وشجا الرجل : أحزنه .

(٢) في المصدر : و عزرائيل و ملك الموت . م

ملك الموت فيقول : يا عبدالله أخذت فكاك رقبتيك ؟ أخذت رهان أمانك ؟ فيقول : نعم ، فيقول الملك : فبماذا ؟ فيقول : بحبي نجداً وآله ، وبولايتي علي بن أبي طالب وذريته ، فيقول : أما ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه ، و أما ما كنت ترحو فقد أتاك الله به ، افتح عينيك فانظر إلى ما عندك ؛ قال : فيفتح عينيه فينظر إليهم واحداً واحداً ، ويفتح له باب إلى الجنة فينظر إليها ، فيقول له : هذا ما أعد الله لك ، وهؤلاء رفقاؤك ، أفتحب اللحاق بهم أو الرجوع إلى الدنيا ؟ قال : فقال أبو عبدالله عليه السلام : أما رأيت شخوصه (١) ورفع حاجبيه إلى فوق من قوله : لا حاجة لي إلى الدنيا ولا الرجوع إليها ؟ ويناديه مناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته : يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده ارجعي إلى ربك راضية بالولاية ، مرضية بالثواب ، فادخلي في عبادي مع محمد وأهل بيته و ادخلي جنتي غير مشوبة . «ص ٢١٠»

بيان : قوله عليه السلام : ولكن أكنوا عن اسم فاطمة أي لا تصرّحوا باسمها عليه السلام لتلا يصير سبباً لا نكار الضعفاء من الناس .
قوله عليه السلام : من قوله : لا حاجة أي رفع حاجبيه إشارة إلى الإباء والامتناع عن الرجوع إلى الدنيا . قوله عليه السلام : غير مشوبة أي حال كون الجنة غير مشوبة بالمحن والآلام .

٣٢ - فر : محمد بن عيسى بن زكريا الدهقان ، معنعناً عن محمد بن سليمان الديلمي ، عن أبيه قال : سمعت الإفرقي يقول : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المؤمن : أيستكره على قبض روحه ؟ قال : لا والله ، قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنه إذا حضره ملك الموت جزع ؛ فيقول له ملك الموت : لا تجزع فوالله لا نأبر بك وأشفق (٢) من والد رحيم لو حضرك ، افتح عينيك وانظر ، قال : ويتهلل له رسول الله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين والأئمة من بعدهم والزهراء عليهم الصلاة والسلام ، قال : فينظر إليهم فيستبشر بهم ،

(١) شخص الشيء : ارتفع . شخص بصره : فتح عينيه فلم يطرف ، شخص الميت بصره و يبصره : رفعه . وفي المصدر : شخصه .

(٢) في المصدر : واشفق عليك . م

فما رأيت شخصه؟ ^(١) قلت: بلى، قال: فإنَّما ينظر إليهم قال: قلت: جعلت فداك قد يشخص المؤمن والكافر، قال: ويحك إنَّ الكافر يشخص منقلباً إلى خلفه لأنَّ ملك الموت إنَّما يأتيه ليحمله من خلفه، والمؤمن أمامه، وينادي روحه مناد من قبل ربِّ العزّة من بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ويقول: يا أيَّتُها النفس المطمئنة إلى محمد وآله - صلوات الله عليهم - ارجعي إلى ربِّك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي، فيقول ملك الموت: إنِّي قد أمرت أن أخيرك الرجوع إلى الدنيا والمضي، فليس شيء أحبَّ إليه من إسلا ل روحه. ^(٢) «ص ٢١٠»

٣٣ - نهج: لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ، وهو يرى المأخوذِين على الغرّة ^(٣) حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، ^(٤) وقد مآ من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم، ^(٥) اجتمعت عليهم مكررة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وغيّرت لها ألوانهم، ثمَّ ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقته، وإنَّه ليين أهله ينظر ببصره و يسمع بأذنه على صحّة من عقله و بقاء من لبّه، و يفكر فيم أفنى عمره؟ وفيم أذهب دهره؟ و يتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبيها، ^(٦) وأخذها من مصرّحاتها ^(٧) ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، ^(٨) وأشرف على فراقها، تبقى

(١) في المصدر: شخصه . م

(٢) من سل الشيء من الشيء: إذا انتزعه وأخرجه برفق .

(٣) بكسر الفين المعجمة أي بغتة وعلى غفلة .

(٤) من الموت وما بعده، لان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا واشتغاله باللهو واللعب

فيها لا يعرض له خوف الموت، بل يكون آمناً منه و غافلاً عنه .

(٥) أي لا يمكن توصيف ما نزل بهم من الالهوال والحسرات حقيقة، بل كل ما يقال في ذلك تمثيل

يقرب ذلك إلى ذهن الفاهم .

(٦) أي تساهل في وجوه اكتسابها، لم يفرق بين حلالها وحرامها، فكأنه أغمض عينيه وأطبق

جفنيها فلم ينظر إلى حرامها ومشتبهاها .

(٧) الصرح: الخالص من كل شيء .

(٨) تبعات بفتح فكسر: ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها أو ما يحاسبه به الله من منع حقه

منها وتخطى حدود شرعه في جمعها .

لمن وراءه ينعمون بها ^(١) فيكون المهناً لغيره ^(٢) والعبء على ظهره ، والمرء قد غلقت رهونه بها ، بعض يده ندامةً على ما أضره له عند الموت من أمره ، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيتام عمره ، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه ، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط سمعه ^(٣) فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه ، يردّد طرفه بالنظر في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجوع كلامهم ، ثم ازداد الموت التباطؤ فقبض بصره كما قبض سمعه ، وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله ، قد أوحشوا من جانبه ، وتباعدوا من قربيه ، لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً ، ثم حملوه إلى مخطّ من الأرض ^(٤) وأسلموه فيه إلى عمله ، وانقطعوا عن زورته حتى إذا بلغ الكتاب أجله . إلى آخر ما سيأتي في باب صفة المحشر .

بيان : ما كانوا يجهلون أي من تفصيل أهواله وسكراته أول عدم استعدادهم له كأنهم جاهلون ؛ والنولوج : الدخول ؛ والمصرحات : يحتمل المحلل الصريح والحرام الصريح ؛ والعبء بالكسر : الحمل ^(٥) ويقال : غلق الرهن يغلق غلوقاً : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راحته على فكّه ؛ على ما أضره له أي انكشف ، وأصله الخروج إلى الصحراء ، والضمير في أمره راجع إلى الموت أو المرء ؛ ولا يسمع رجوع كلامهم أي ما يتراجعونه بينهم من الكلام ؛ والالتياط : الالتصاق ؛ قد أوحشوا من جانبه أي جعلوا مستوحشين ، والمستوحش : المهموم الفرع .

٣٤ - كا : العدة ، عن سهل ^(٦) عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال : سمعت

(١) الموجود في النهج : ينعمون فيها ويستمتعون بها .

(٢) المهناً : ما أتناك بلامشقة .

(٣) في النهج : حتى خالط لسانه سمعه . أي شارك السمع اللسان عن أداء وظيفته ، وفيه إشارة إلى أن ما تبطل أولاً من الأعضاء اللسان ، ثم السمع ، ثم البصر .

(٤) المخط : موضع الخط : كناية عن القبر ، يخط أولاً ثم يحفر . و يروى بالعاء ، و محط القوم : منزلهم ، قاله ابن ميثم .

(٥) والتقل .

(٦) الصحيح كما في الكافي والمرآت : سهل بن زياد ، عن محمد بن علي ، عن محمد بن الفضيل .

أبا جعفر عليه السلام يقول : إن آية المؤمن إذا حضره الموت يبيض وجهه أشد من بياض لونه ، ويرشح جبينه ، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع فيكون ذلك خروج نفسه ؛ وإن الكافر تخرج نفسه سيلاً من شدقه ، ^(١) كزبد البعير ، أو كما تخرج نفس البعير . « ف ج ١ ص ٣٨ »

٣٥ - ٣٦ : علي ، عن أبيه ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن إدريس القمي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الله عز وجل يأمر ملك الموت فيرد نفس المؤمن ليهون عليه ويخرجها من أحسن وجهها فيقول الناس : لقد شدد علي فلان الموت ؛ وذلك تهوين من الله عز وجل عليه . وقال : يصرف عنه إذا كان ممن سخط الله عليه ، أو ممن أبغض الله أمره أن يجذب الجذبة التي بلغتكم بمثل السفود من الصوف المبلول ، فيقول الناس : لقد هوأ علي فلان الموت . « ف ج ١ ص ٣٨ »

بيان : قوله عليه السلام : فيرد نفس المؤمن أي يرد الروح إلى بدنه بعد قرب النزع مرة بعد أخرى لئلا يشق عليه مفارقة الدنيا دفعة ، والكافر يصرف عنه ذلك ؛ وقيل : يراه منزله في الجنة ثم يرد إليه الروح كاملاً ليرضى بالموت ويهون عليه ، أو يرد عليه روحه مرة بعد أخرى ليخفف بذلك سيئاته ويهون عليه أمر الآخرة ، والأول أظهر . والسفود بالشديد : الحديدية التي يشوى بها اللحم .

٣٦ - فس : في قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » أي على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام « نتنزل عليهم الملائكة » قال : عند الموت « ألا تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا » قال : كننا نحرسكم من الشياطين « وفي الآخرة » أي عند الموت « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » يعني في الجنة « نزلاً من غفور رحيم » . « ص ٥٩٢ - ٥٩٣ »

٣٧ - ٣٨ : علي ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الميِّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقر ^(٢) . « ف ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ »

(١) الشدق : جانب الفم .

(٢) قال المصنف قدس الله روحه في كتابه مرآت العقول - بعد تضعيفه الحديث - : الايثاق إما •

٣٨ - يه : سئل رسول الله ﷺ : كيف يتوفى ملك الموت المؤمن ؟ فقال : إن ملك الموت ليقف من المؤمن عنده موته موقف العبد الذليل من المولى فيقوم هو وأصحابه لا يدنو منه حتى يبدأ ^(١) بالتسليم ويبشّره بالجنة . «ص ٣٣»

٣٩ - لى : بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : من صام من رجب أربعة وعشرين يوماً فإذا نزل به ملك الموت تراءى له في صورة شاب ، عليه حلّة من ديباج أخضر ، على فرس من أفراس الجنان ، ويده حرير أخضر ممسك بالمسك الأذفر ، ويده قدح من ذهب مملوء من شراب الجنان ، فسقاه إياه عند خروج نفسه يهون عليه سكرات الموت ، ثم يأخذ روحه في تلك الحرير فيفوح منها رائحة يستنشقها أهل سبع سماوات فيظل في قبره ريثان حتى يرد حوض النبي ﷺ . «ص ٣٢١»

أقول : سيأتي الحديث بإسناده في كتاب الصوم .

٤٠ - ما : المفيد ، عن الجعابي ، عن ابن عقدة ، عن أحمد بن سلمة ، عن إبراهيم بن محمد ، عن الحسن بن حذيفة ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : مرض رجل من أصحاب سلمان رحمه الله فافتقده فقال : أين صاحبكم ؟ قالوا : مريض ، قال : امشوا بنا نعوده ، فقاموا معه فلمّا دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه ؛ فقال سلمان : يا ملك الموت ارفق بولي الله ، فقال ملك الموت بكلام سمعه من حضر : يا أبا عبد الله إنني أرفق بالمؤمنين ، ولو ظهرت لأحد لظهرت لك . «ص ٨٠»

عد : الاعتقاد في الموت قيل لأمر المؤمنين ﷺ : صف لنا الموت ، فقال : على الخير سقطتم ، وساق الحديث إلى آخر ما روينا من كتاب معاني الأخبار عن كل إمام في ذلك . ^(٢) وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرحه : ترجم الباب بالموت وذكر غيره وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت ، أو يترجم الباب بمآل الموت وعاقبة الأموات

• على الحقيقة وإن لم تراوئنا ، أو هو كناية عن أن بعد رؤيته لا تبقى له قوة تقدر على الحركة ، وقال الوالد رحمه الله : يوتقه بالبشارة بما أعد الله له ، أو بارادة الجنة ومراتبها المعدة له ، أو بشاهدته ؛ كما ترى أنه إذا رأى الشخص أسداً كأنه يتوثق ولا يمكنه الحركة ، أو بأنياب المنية ، أو بغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى وحججه عليهم السلام .

(١) في المصدر : حتى يبدأ . م

(٢) تقدم الحديث تحت رقم ٩ .

فالموت هو مضاف الحياة ، يبطل معه النمو ، ويستحيل معه الإحساس ، وهو من فعل الله تعالى ، ليس لأحد فيه صنع ، ولا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ، قال الله سبحانه : «وهو الذي يحيي ويميت»^(١) فأضاف الإحياء والإماتة إلى نفسه ، وقال : «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً»^(٢) فالحياة ما كان بها النمو والإحساس ، ويصح معها القدرة والعلم ، و الموت ما استحال معه النمو والإحساس ، ولم يصح معه القدرة والعلم ، وفعل الله تعالى الموت بالأحياء لنقلهم من دار العمل والامتحان إلى دار الجزاء والمكافاة ، وليس يميت الله عبداً إلا وإماتته أصلح له من بقاءه ، ولا يحييه إلا وحياته أصلح له من موته ، وكل ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير ، وقد يمتحن الله تعالى كثيراً من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت ويعفي آخرين من ذلك ، وقد يكون الألم المتقدم للموت ضرباً من العقوبة لمن حلّ به ، و يكون استصلاحاً له ولغيره ، ويعقبه نفعاً عظيماً وعوضاً كثيراً ، وليس كل من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقباً ، ولا كل من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرماً مثاباً ، وقد ورد الخبر^(٣) بأن الآلام التي تتقدم الموت تكون كفارات لذنوب المؤمنين ، وتكون عقاباً للكافرين ، و تكون الراحة قبل الموت استدراجاً للكافرين ، و ضرباً من ثواب المؤمنين ، وهذا أمر مفيب عن الخلق ، لم يظهر الله تعالى أحداً من خلقه على إرادته فيه ، تنبيهاً له حتى يميز له حال الامتحان من حال العقاب ، و حال الثواب من حال الاستدراج ، تغليظاً للمحنة ليتم التدبير الحكمي في الخلق .

فأما ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم فقد جاءت الآثار به على التفصيل ، وقد أورد بعض ما جاء في ذلك إلا أنه ليس مما ترجم به الباب في شيء ، و الموت على كل حال أحد بشارات المؤمن ، إذ كان أول طريقه إلى محل النعيم ، و به يصل إلى ثواب الأعمال الجميلة في الدنيا ، وهو أول شدة تلحق الكافر من شدائد العقاب

(١) المؤمن : ٦٨ .

(٢) الملك : ٢ .

(٣) تقدم في الباب أخبار عديدة تدل على ذلك .

وأول طريقه إلى حلول العقاب إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده ، وصيره سبباً لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء ، و حال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله ، و حال الكافر بعد موته أسوأ من حاله قبله ، إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته ، والكافر صائر إلى جزائه بعد مماته .

٤١ - وقد جاء الحديث من آل محمد عليهم السلام أنهم قالوا : الدنيا سجن المؤمن ، والقبر بيته ، والجنة مأواه ؛ والدنيا جنة الكافر ، والقبر سجنه ، والنار مأواه .

٤٢ - وروي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا : الخير كله بعد الموت ، والشر كله بعد الموت . ولا حاجة بنا مع نص القرآن بالعواقب إلى الأخبار ، وقد ذكر الله جزاء الصالحين في بيته ، وذكر عقاب الفاسقين ففصله ، وفي بيان الله وتفصيله غنى عما سواه انتهى .

أقول : سيأتي خبر طويل يشتمل على تكلم سلمان مع الأموات في باب أحواله رضي الله عنه .

٤٣ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن سليمان بن داود ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل : «فلولا إذا بلغت الحلقوم» إلى قوله : «إن كنتم صادقين» فقال إنها إذا بلغت الحلقوم أرى ^(١) منزله في الجنة فيقول : ردوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلي بما أرى ، فيقال له : ليس إلى ذلك سبيل . «فج ١ ص ٣٨»

٤٤ - كا : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الهيثم بن واقد ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال : يا مهلك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن ، فقال : أبشر يا محمد فإنني بكل مؤمن رفيق ، و اعلم يا محمد إنني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول : ما هذا الجزع فوالله ما تعجلنا قبل أجله ، وما كان لنا في قبضه من ذنب ، فإن تحتسبوه وتصبروا وتؤجروا ، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا ، و اعلموا أن لنا فيكم عودة ثم عودة ، فالحذر الحذر ! إنه ليس في شرقها ولا في غربها ^(٢) أهل بيت

(١) في المصدر : ثم أرى .

(٢) الضير في الكلمتين يرجع إلى الأرض ، ولم يذكرها اعتماداً على القرينة .

مدر ولاوبر^(١) إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ، ولأنا أعلم بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم ، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأمرني ربي بها . فقال رسول الله ﷺ : إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة ، فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ونحى عنه ملك الموت إبليس . «فج ١ ص ٢٨»

٢٥ - كا : علي ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن المفضل بن صالح ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله بأدنى تغيير . «فج ١ ص ٢٨»
بيان : استدل بهذا الخبر على أن القابض لأرواح غير الإنسان من الحيوانات أيضاً هو ملك الموت عليه السلام ، وفيه نظر .

٤٦ - كا : علي ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال ، إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه اشتكى عينه فعاده النبي ﷺ فإذا هو يصيح ، فقال له النبي ﷺ^(٢) : أجزعاً أم وجعاً ؟ فقال : يا رسول الله ما وجعت وجعاً قط أشد منه ! فقال : يا علي إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفنود من نار فتزع روحه به فتصيح جهنم ، فاستوى علي عليه السلام جالساً فقال : يا رسول الله أعد علي حديثك فقد أنساني وجعي ما قلت ، ثم قال : هل يصيب ذلك أحداً من أمتك ؟ قال : نعم حاكم جائر ، وآكل مال اليتيم ظلماً ، وشاهد زور . «فج ١ ص ٧٠»

٤٧ - كا : علي بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن علي بن الحكم ، عن ربيع بن محمد ، عن عبد الله بن سليم العامري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربه أن يحييه له ، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر ، فقال له : ما تريد مني ؟ فقال له : أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا ، فقال له : يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت^(٣) وأنت تريد أن تعيدني إلى

(١) أراد من أهل بيت المدر أهل القرى ، ومن أهل بيت الوبر أهل البوادي وأهل الفساطيط والغيم .

(٢) في المصدر : فقال النبي . م

(٣) في نسخة من الكافي : مرادة السوق . وفي الوافي : حرازة السوق . وهو وجع في القلب من الفيظ ونحوه . والسوق بالفتح : النزاع كأن روح الإنسان تساق لتخرج من بدنه .

الدنيا وتعود علي حرارة الموت ؛ فتركه فعاد إلى قبره . « ف ج ١ ص ٧٢ »
 بيان : لعل ذوق حرارة الموت إنما يكون بعد استمرار التعيش في الدنيا و
 عود التعلقات كما كانت .

٤٨ - ٥١ : علي ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن يزيد الكناسي
 عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين ، و كانت
 العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل ، وأنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا فمروا
 بقبر علي ظهر الطريق ^(١) قد سقى عليه السافي ، ليس يتبين منه إلا رسمه ^(٢) فقالوا :
 لودعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسالناه كيف وجد طعم الموت ؟ فدعوا
 الله : و كان دعائهم الذي دعوا الله به : أنت إلهنا يا ربنا ، ليس لنا إله غيرك ، والبديع
 الدائم ، غير الغافل ، الحي الذي لا يموت ، لك في كل يوم شأن ، تعلم كل شيء بغير
 تعليم ؛ انشر لنا هذا الميت بقدرتك . قال : فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس و
 اللحية ينفض رأسه من التراب فزعاً ، شاخصاً بصره إلى السماء ، فقال لهم : ما يوقفكم
 على قبري ؟ فقالوا : دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت ؟ فقال لهم : لقد سكنت ^(٣)
 في قبري تسعة وتسعين سنة ، ما ذهب عني ألم الموت و كربه ، ولا خرج مرارة طعم الموت من
 حلقي ، فقالوا له : مت يوم مت وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية ؟ قال : لا ، ولكن
 لما سمعت الصيحة : « اخرج » اجتمعت تربة عظامي إلى روحي ، فبقيت فيه فخرجت
 فزعاً ، شاخصاً بصري ، مهطعاً ^(٤) إلى صوت الداعي ، فابيض لذلك رأسي ولحيتي .
 « ف ج ١ ص ٧٢ »

توضيح : قال الجزري : السافي : الريح التي تسفي التراب .

(١) في المصدر : على ظهر طريق (الطريق خل) م .

(٢) في المصدر : ليس منه إلا رسمه . م

(٣) في المصدر : سكنت (مكنت خل) م .

(٤) هطع كمنع هطما وهطوعا : أسرع مقبلاً خائفاً ، وأقبل ببصره على الشيء ولا يقطع عنه ،

و أهطع : مدعته وصوب رأسه .

٤٩ - محص : عن منصور ، عن معاوية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى : ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلا ابتليته في جسده ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا سلطت عليه سلطاناً ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيقت عليه في رزقه ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا ذنب له ثم أدخله الجنة ، وما من عبد أريد أن أدخله النار إلا صححت له جسمه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا آمنت خوفه من سلطانه فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا وسعت عليه رزقه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا يسرت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا حسنة له ثم أدخله النار .

أقول : سيأتي مثله بأسانيد في باب شدة ابتلاء المؤمن وباب علة ابتلائه .

٥٠ - ما : الغضائري ، عن علي بن محمد العلوي ، عن الحسن بن علي بن صالح الصوفي ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن محمد بن علي بن موسى ، عن أبيه ، عن جده عليه السلام قال : قيل للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : صف لنا الموت ، قال : للمؤمن كأطيب طيب يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم عنه ؛ والكافر ^(١) كلسم الأفاعي ولدغ العقارب وأشد . «ص ٥٥»

٥١ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن محمد بن قيس ، عن أبي الحسن الثالث ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الناس اثنان : رجل أراح ، ورجل استراح ، فأما الذي استراح ^(٢) فالمرء من استراح من الدنيا ونصبها ، وأفضى إلى رحمة الله وكريم ثوابه ؛ وأما الذي أراح فالفاجر أراح ^(٣) منه الناس والشجر والدواب و أفضى إلى ما قدم «ص ١٠٦ - ١٠٧»

٥٢ - دعوات الراوندي : روي بأن المحتضر يحضره صف من الملائكة عن يمينه عليهم ثياب خضر ، وصف عن يساره عليهم ثياب سود ، ينتظر كل واحد من الفريقين في قبض روحه ، والمريض ينظر إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء أخرى ، ويبعث الله

(١) كذا في النسخ والظاهر : للكافر .

(٢) ليس في المصدر جملة « فأما الذي استراح » .

(٣) في المصدر : راح .

ملكاً إلى المؤمن يبشّره ، ويأمر ملك الموت أن يترأى له في أحسن صورة ، فإذا أخذ في قبض روحه وارتقى إلى ركبته شفّع إلى جبرئيل وقد أمره الله أن ينزل إلى عبده أن يرخص له في توديع أهله وولده ، فيقول له : أنت مخير بين أن أمسح عليك جناحي ، أو تنظر إلى ميكائيل ، فيقول : أين ميكائيل ؟ فإذا به وقد نزل في جوق من الملائكة فينظر إليه ويسلم عليه ، فإذا بلغت الروح إلى بطنه و سرّته شفّع إلى ميكائيل أن يمهله فيقول له : أنت مخير بين أن أمسح عليك جناحي ، أو تنظر إلى الجنة ، فيختار النظر إلى الجنة فيتضاحك ، ويأمر الله ملك الموت أن يرفق به ، فإذا فارقت روحه تبعاه الملكان اللذان كانا موكلين به يكيان و يترحمان عليه ، ويقولان : رحم الله هذا العبدكم أسمعنا الخير ، وكم أشهدنا على الصالحات ، وقالوا : يا ربنا إنّنا كنّا موكلين به وقد نقلته إلى جوارك فما تأمرنا ؟ فيقول تعالى : تلزمان قبره و تترحمان عليه وتستغفران له إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة أتياه بمركب فأركباه و مشيا بين يديه إلى الجنة و خدماه في الجنة .

﴿باب ٧﴾

﴿ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام﴾

﴿عند ذلك وعند الدفن ، وعرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم﴾

١ - م : إنّ المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين ، المتخذ لعلّي بعد محمد إمامه الذي يحتذي مثاله ، وسيّده الذي يصدّق أقواله و يصوّب أفعاله و يطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذرّيته لا مور الدين وسياسته ، إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يردّ ونزل به من قضائه ما لا يصدّ ، وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمد رسول الله ، ومن جانب آخر عليّاً سيّد الوصيين ، وعند رجله من جانب الحسن سبط سيّد النبيين ، ومن جانب آخر الحسين سيّد الشهداء أجمعين ، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم ، الذين هم سادة هذه الأمة بعد ساداتهم من آل محمد ، ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم - بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت

ورؤية خواصنا عن أعينهم ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم . -
 فيقول المؤمن : بأبي أنت وأُمِّي يا رسول رب العزة ، بأبي أنت وأُمِّي يا وصي
 رسول رب الرحمة ، بأبي أنتما وأُمِّي يا شبلي محمد و ضرغاميه ، يا ولديه و سبطيه ، يا
 سيدي شباب أهل الجنة المقربين من الرحمة و الرضوان ، مرحباً بكم معاشر خيار
 أصحاب محمد و علي و ولديهما ، ما كان أعظم شوقي إليكم ! وما أشدَّ سروري الآن
 بلقائكم ! يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشك في جلالتي في صدره مكانك
 و مكان أخيك .

فيقول رسول الله ﷺ : كذلك هو ؛ فأقبل رسول الله ﷺ على ملك الموت فيقول :
 يا ملك الموت استوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا و خادمتنا و محبتنا و مؤثرنا ،
 فيقول له ملك الموت : يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما أعد الله له في الجنان ، فيقول له
 رسول الله ﷺ : لينظر إلى العلو فينظر إلى ما لا يحيط به الأبواب ، ^(١) ولا يأتي عليه العدد
 والحساب .

فيقول ملك الموت : كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه ، وهذا محمد و أعزته زواره ؟
 يا رسول الله لولا أن الله جعل الموت عقبة ^(٢) لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها لما
 تناولت روحه ، ولكن لخادمك و محبتك هذا أسوة ^(٣) بك و بسائر أنبياء الله و رسله و
 أوليائه الذين أذيقوا الموت لحكم الله تعالى .

ثم يقول محمد : يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك فاستوص به خيراً ، ثم
 يرتفع هو و من معه إلى روض الجنان وقد كشف من الغطاء و الحجاب لعين ذلك المؤمن
 العليل فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه فيقول : يا ملك الموت الوحي
 الوحي ، ^(٤) تناول روعي و لا تلبثني ههنا ، فلا صبر لي عن محمد و أعزته ، و الحقني بهم ،

(١) الموجود في التفسير المطبوع هكذا : فيقول له رسول الله صلى الله عليه و آله : انظر ،

فينظر إلى العلو و ينظر إلى ما لا يحيط به الأبواب .

(٢) العقبة : المرقى الصعب من الجبال .

(٣) الأسوة بضم الهمزة و كسرهما و سكون السين : القدوة .

(٤) كلمة تقال في الاستعجال والمعنى : البدار البدار .

فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلها كما يسأل الشعرة من الدقيق ، وإن كنتم ترون أنه في شدة فليس هو في شدة بل هو في رخاء ولذة ، فإذا أدخل قبره وجد جماعة هناك . وإذا جاءه منكر ونكير قال أحدهما للآخر : هذا محمد وعليّ والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتضع لهما ^(١) فيأتيان فيسلمان على محمد سلاماً مفرداً ، ثمّ يسلمان على عليّ سلاماً مفرداً ، ثمّ يسلمان على الحسين سلاماً ^{يجسمانيهما} فيه ، ثمّ يسلمان على سائر من معنا من أصحابنا ، ثمّ يقولون : قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك ومولاك ، ولولا أن الله يريد إظهار فضله لمن بهذه الحضرة من الملائكة ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم طاساً لنا ، ولكن أمر الله لا بدّ من امتثاله ، ثمّ يسألانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟ ومن إمامك ؟ وما قبلتك ؟ ومن شيعتك ؟ ومن إخوانك ؟

فيقول : الله ربّي ، ومحمد نبيّي ، وعليّ وصيّ محمد إمامي ، والكعبة قبلتي ، والمؤمنون الموالون لمحمد وعليّ وآلهما وأوليائهما المعادون لأعدائهما إخواني ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن أخاه عليّاً وليّ الله ، وأن من نصبهم للإمامة من أطائب عترته وخيار ذريّته خلفاء الأئمة وولاة الحق والقوّة بالصدق ؛ فيقولان : على هذا حييت ، وعلى هذا متّ ، وعلى هذا تبعث إن شاء الله تعالى ، وتكون مع من تتولّى في دار كرامة الله ومستقرّ رحمته .

قال رسول الله ﷺ : وإن كان لأوليائنا معادياً ولأعدائنا موالياً ولأضدادنا بألقابنا ملقباً فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثل الله عز وجلّ لذلك الفاجر سادته الذين اتخذهم أرباباً من دون الله ، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه ولا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به ، فيقول له ملك الموت : يا أيّها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه ، فاليوم لا يغنون عنك شيئاً ، ولا تجد إلى مناص ^(٢) سبيلاً ، فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم ، ثمّ إذا دأب في

(١) أي فلنتذل ولنخشع لهما .

(٢) المناس : الملجأ والمفر .

قبره رأى باباً من الجنة مفتوحاً إلى قبره يرى منه خيراتها ؛ فيقول له منكرو نكير : انظر إلى ما حرمت من تلك الخيرات ، ثم يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه من عذابها فيقول : رب لا تقم الساعة يارب لا تقم الساعة .

بيان : الضرغام بالكسر الأسد .

٢ - ٣ : قوله عز وجل «الَّذِينَ يظنون أنهم ملاقوا ربهم»^(١) الَّذِينَ يَقْدَرُونَ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ رَبَّهُم اللَّقَاءَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ كَرَامَاتِهِ ، وَإِنَّمَا قَالَ : يظنون لأنهم لا يرون بماذا يختم لهم ، و العاقبة مستورة عنهم «وأنهم إليه راجعون» إلى كراماته ، و نعيم جنانه ، لا يمانهم و خشوعهم ، لا يعلمون ذلك يقيناً لأنهم لا يأمنون أن يغيروا و يبدلوا ؛ قال رسول الله ﷺ : لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه و ظهور ملك الموت له .

وذلك أن ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدة علة ، و عظيم ضيق صدره ، بما يخلف من أمواله ، و لما هو عليه من اضطراب أحواله في معاملته و عياله ، و قد بقيت في نفسه مرارتها و حسراتها ، و اقتطع دون أمانيته فلم ينلها ، فيقول له ملك الموت : مالك تجرع غصصك ؟ قال : لا اضطراب أحوالي و اقتطاعك لي دون آمالي ، فيقول له ملك الموت : وهل يحزن عاقل من فقد درهم زائف و اعتياض ألف ألف ضعف الدنيا ؟ فيقول : لا ، فيقول ملك الموت : فانظر فوقك ، فينظر فيرى درجات الجنة و قصورها التي يقصر دونها الأمانى ، فيقول ملك الموت : تلك منازلك و نعمك و أموالك و أهلوك و عيالك ، و من كان من أهلِكَ ههنا و ذريَّتكَ صالحاً فهم هناك معك ، أفترضى به بدلاً ممّا هناك ؟ فيقول : بلى والله .

ثم يقول : انظر فينظر فيرى محمداً و عليّاً و الطيبين من آلهم في أعلا عليّين ، فيقول : أوتراهم ؟ هؤلاء ساداتك و أئمتك ، هم هناك جلاّسك و آناسك ،^(٢) أفما ترضى

(١) البقرة : ٤٦ .

(٢) الجلاس جمع المجلس . الاناس جمع الانس : من تأنس به .

بهم بدلاً ممن تفارق ههنا؟ فيقول: بلى وربّي، فذلك ما قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا» فما أمامكم من الأهوال كفيتموها، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراري والعيال، فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون هذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم أناسكم وجلاّسكم.

٣ - ين: القاسم، عن كليب الأسدي^(١) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، بلغنا عنك حديث، قال: وما هو؟ قلت: قولك: إنّما يغتبط صاحب هذا الأمر إذا كان في هذه - وأومات بيدك إلى خلقك - فقال: نعم، إنّما يغتبط أهل هذا الأمر إذا بلغت هذه - وأوماً بيده إلى خلقه - أمّا ما كان يتخوف من الدنيا فقد ولّى عنه وأمامه رسول الله ﷺ وعليّ والحسن والحسين، صلوات الله عليهم^(٢).

٤ - ين: النضر، عن يحيى الحلبي، عن أيوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أشد ما يكون عدوكم كراهية لهذا الأمر حين تبلغ نفسه هذه - وأوماً بيده إلى حنجرته - ثم قال: إن رجلاً من آل عثمان كان سبابة لعلي عليه السلام فحدثني مولاة له كانت تأتينا قالت: لما احتضر قال: مالي ولهم؟ قلت: جعلني الله فداك ما له قال هذا؟ فقال: لما أرى من العذاب، أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً»؟ هيهات هيهات! لا والله حتى يكون ثبات الشيء في القلب وإن صلى وصام.

٥ - شى: عن عبد الرحيم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما أحدكم حين يبلغ نفسه ههنا ينزل عليه ملك الموت فيقول: أمّا ما كنت ترجو فقد أعطيتك، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويفتح له باب إلى منزله من الجنة، ويقال له: انظر إلى مسكنك

(١) كليب وذان (ذبير) هو كليب بن معاوية بن جبلة الصيداءى الاسدى، أبو محمد، وقيل أبو الحسين، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، له كتاب. أورد ترجمته النجاشي في ص ٢٢٣ من رجاله، وفي سائر كتب التراجم يوجد ترجمته وبيان حاله فليراجع.

(٢) تاني صورة اخرى للحديث تحت رقم ١٤.

في الجنة ، وانظر هذا رسول الله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام رفقاًؤك ، وهو قول الله : «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» .

٦ - شى : عن أبي حمزة الثمالي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما يصنع بأحدنا عند الموت ؟ قال : أما والله يا أباحمزة ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله و مكانه منّا إلا أن يبلغ نفسه ههنا - ثم أهوى بيده إلى نحره - ألا أبشرك يا أباحمزة ؟ فقلت : بلى جعلت فداك ، فقال : إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلي عليه السلام معه ، يقعد عند رأسه ، فقال له - إذا كان ذلك - رسول الله صلّى الله عليه وآله : أما تعرفني ؟ أنا رسول الله هلم إلينا ، فما أمامك خير لك ممّا خلفت ، أمّا ما كنت تخاف فقد أمنت ، و أمّا ما كنت ترجو فقد هجمت عليه ، ^(١) أيتها الروح اخرجي إلى روح الله ورضوانه ؛ ويقول له علي عليه السلام : مثل قول رسول الله صلّى الله عليه وآله . ثم قال : يا أباحمزة ؟ ألا أخبرك بذلك من كتاب الله ؟ قول الله : «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» الآية .

٧ - جا : علي بن محمد بن الزبير ، عن محمد بن علي بن مهدي ، عن محمد بن علي بن محمد بن عمار عن أبيه ، عن جميل بن صالح ، عن أبي خالد الكابلي ، عن الأصبع بن نباتة قال : دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفر من الشيعة و كنت فيهم ، فجعل الحارث يتّمد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه و كان مريضاً ، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام - وكانت له منه منزلة - فقال : كيف تجدك يا حارث ؟ فقال : نال الدهر يا أمير المؤمنين منّي ، وزادني أوباً غليلاً اختصام أصحابك ببابك ، قال : وفيهم خصومتهم ؟ قال : فيك وفي الثلاثة من قبلك ، ^(٢) فمن مفرط منهم غال ، و مقتصد تال ، ومن متردد مرتاب ، لا يدري أيّ قدم أم يحجم ؟ ! فقال : حسبك يا أخا همدان ، ألا إن خير شيعتي النمط ^(٣) الأوسط ، إليهم يرجع الغالي ، وبهم يلحق التالي ، فقال له الحارث : لو كشفت - فداك أبي وأُمّي - الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أربنا ، قال : قدك

(١) أي انتهيت إليه بقتة على غفلة منك .

(٢) في كشف الغمة ص ١٢٣ هكذا : قال : في شأنك و البلية من قبلك . وفي ذيل ص ٣ من

الامالي للمفيد جعله بدلاً عما في المتن .

(٣) النمط : جماعة من الناس أمرهم واحد .

فإنك امرؤ ملبوس عليك ، إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق ؛ فاعرف الحق تعرف أهله .

يا حارث إن الحق أحسن الحديث والصادع^(١) به مجاهد ، و بالحق أخبرك فارغني سمعك ، ثم خبر به من كانت له حصانة من أصحابك ، ألا إنني عبد الله ، وأخو رسوله ، وصديقه الأول قد صدقته و آدم بين الروح و الجسد ، ثم إنني صديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ، ونحن الآخرون ، ونحن خاصته يا حارث وخالسته وأنا صفوه ووصيته ووليته ، وصاحب نجواه وسره ، أوتيت فهم الكتاب ، وفصل الخطاب وعلم القرون و الأسباب ، و استودعت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب ، يفضي كل باب إلى ألف^(٢) عهد ، وأيتت واتخذت وأمددت بليلة القدر نفلاً ، وإن ذلك ليجري لي ولمن تحفظ^(٣) من ذريتي ما جرى الليل و النهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات ، وعند الصراط ، وعند الحوض ، وعند المقاسمة .

قال الحارث : وما المقاسمة ؟ قال : مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة ، أقول : هذا وليي فاتركه ، وهذا عدوي فخذيه . ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث فقال : يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي ، فقال لي - و قد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي - : إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته - يعني عصمته - من ذي العرش تعالى ، وأخذت أنت يا علي بحجزتي ، وأخذ ذريتيك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزكم ؛ فماذا يصنع الله بنبيّه ؟ وما يصنع نبيّه بوصيته ؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة ، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت - يقولها ثلاثاً - فقام الحارث يجر رداءه و يقول : ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني . قال جميل بن صالح : وأنشدني أبو هاشم السعيد الحميري رحمه الله فيما تضمنه هذا الخبر :

قول علي لحارث عجب ☆ كم ثم أعجوبة له حملاً

(١) صدع بالحق . تكلم به جهاراً .

(٢) في نسخة : الف الف .

(٣) في نسخة : استحفظ .

يا حار همدان من يمت يرني ☆ من مؤمن أو منافق قبلاً
يعرفني طرفه و أعرفه ☆ بنعته ^(١) و اسمه وما عملاً
و أنت عند الصراط تعرفني ☆ فلا تخف عشرة ولا زللاً
أسقيك من بارد على ظمأ ☆ تخاله في الجلاوة العسلا
أقول للنار حين توقف للعرض ☆ دعيه لا تقتلني الرجلاً
دعيه لا تقريبه إن له ☆ حبلاً بحبل الوصي متصلاً
ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن محمد بن علي بن مهدي ، وغيره ، عن محمد بن علي
ابن عمرو مثله . ص ٤٠٢-٤٠٣ « (٢)

بيان : يتبدأي يتثبت ويتأني ، من التؤدة ؛ وفي «ما» يتأو دأي يتعوج . وخطبه :
ضربه شديداً . و الملحجن كمنبر : العصا المعوجة . و أوب كفرح : غضب ؛ و في «ما»
أواراً وغليلاً ، والأوار بالضم : حرارة الشمس ، وحرارة العطش ؛ والغليل : الحقد
والضغن ، وحرارة الحب والحزن ؛ وأحجم عنه : كف أو نكص هيبة ؛ وقد إذا كانت
اسمية تكون على وجهين : اسم فعل مرادفة ليكفي ، نحو قولهم : قدني درهم ، واسم
مرادف لحسب ؛ ذكره الفيروز آبادي ، وقال : أرعني سمعك وراعني : استمع لمقالي .
قوله ﷺ : نفلاً أي زائداً على ما أعطيت من الفضائل والكرائم . قوله ﷺ :
قبلاً أي مقابلةً وعياناً . وقوله ﷺ : تخاله أي تظنه .

٨ - فس : أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : ما
يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله ﷺ و أمير المؤمنين و الحسن

(١) في نسخة : بعينه

(٢) أورده الطبري أيضاً في ص ٤ من بشارة المصطفى باختلاف يسير باسناده عن أبي البقاء

إبراهيم بن الحسين البصري ، عن أبي طالب محمد بن الحسين بن عتبة ، عن محمد بن الحسن بن
الحسين بن أحمد الفقيه ، عن حمويه أبي عبد الله بن علي بن حمويه ، عن محمد بن عبد الله بن المطلب
الشيواني ، عن محمد بن علي بن مهدي . إلا أن فيه : أقول للنار حين توقف للعرض . على حرها دعي
الرجلا . وزاد في آخره : هذا لنا شيعة و شيعتنا . أعطاني الله فيهم الاملا . و أورده أيضاً الاربلي
في ص ١٢٣ من كشف الغمة وفيه : دعيه لا تقربني (لا تقبل) الرجلا .

والحسين صلوات الله عليهم فيرويه ويبشرونه ، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني :

يا حار همدان من يمت يرني * من مؤمن أو منافق قبلاً . " ص ٥٩٣

٩ - ما : المفيد ، عن المراءغي ، عن محمد بن صالح السبيعي ، عن صالح بن أحمد ، عن عيسى بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن الحسين العرنى ، عن يحيى بن على ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي داود الأنصاري ، عن الحارث الهمداني قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ما جاء بك ؟ فقلت : حبني لك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : يا حارث أتجبنني ؟ قلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب ، ولو رأيتني وأنا أذود ^(١) الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحب ؛ ولو رأيتني وأنا ماراً على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحب . ^(٢) ص ٣٠-٣١

ما : المفيد ، عن المرزباني ، عن عبد الله بن الحسن ، عن محمد بن رشيد ، قال آخر شعر قاله السيد بن محمد رحمه الله قبل وفاته بساعة ، وذلك أنه أغمى عليه واسود لونه ثم أفاق وقد ابيض وجهه وهو يقول :

أحبُّ التذي من مات من أهل ودّه * تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك
و من مات يهوي غيره من عدوّه * فليس له إلا إلى النار مسلك
أبا حسن ! تفديك نفسي وأُسرّتي * ومالي وما أصبحت في الأرض أملك
أبا حسن ! إنني بفضلك عارف * وإنني بحبل من هواك لممسك

(١) ذاد الابل عن الماء : دفعه وطرده .

(٢) أورد الشاعر المضمون في سبيكة النظم والقريض في قوله :

• لنحن على الحوض ذواده	• نذود و تسعد و راده
• وما فاز من فاز إلا بنا	• وما خاب من حبا زاده
• ومن سرنا نال منا السرور	• ومن ساءنا ساء ميلاده
• ومن كان ظالماً حقنا	• فان القيامة ميعاده

أورده الطبري في ص ١٣٦ من بشارة المصطفى باسناد له عن أحمد بن زياد الهمداني قال : رأيت صبيّاً صغيراً يكون سباعياً أو ثمانياً بالمدينة ينشد ، فقلت : يا فتى لمن هذه الابيات ؟ فقال : انشدها فقلت : من الفتى ؟ قال : علوى فاطمي ، إيهاً عنك .

و أنت وصي المصطفى وابن عمه * و إنما نعادي مبغضيك و نترك
مواليك ناج، مؤمن، يتن الهدى * و غاليك معروف الضلالة، مشرك
و لاح لحاني في عليّ و حزبه * فقلت لحاك الله إنك أعفك
و معنى أعفك أحق. (١) «ص ٣٠»

توضيح : لحاك الله فلاناً : قبحه ولعنه ؛ ولحيت الرجل الحاء لحياناً : ملته ، والملاحاة :
المنازعة .

١٠ - ع : أبي ، عن سعد ، عن ابراهيم بن مهزيار ، عن أخيه عليّ ، عن فضالة ،
عن معاوية بن وهب ، عن يحيى بن سابور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في الميّت
تدمع عينه عند الموت فقال : ذلك عند معاينة رسول الله ﷺ يرى ما يسره ، قال : ثم
قال : أما ترى الرجل إذا يرى ما يسره فتدمع عينه ويضحك ؟ . «ص ١١٠»

كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عليّ بن الحكم ، عن معاوية بن وهب
مثله . (٢) «فج ١ ص ٣٦»
ين : فضالة مثله .

مع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن عليّ بن مهزيار ، عن فضالة
مثله . (٣) «ص ٧٠»

١١ - فس : « يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية » قال :
إذا حضر المؤمن الوفاة نادى مناد من عند الله يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي راضية بولاء عليّ

(١) أورده الطبري في ص ٩٢ من كتابه بشارة المصطفى بإسناده عن الحسن بن الحسين بن بابويه
عن محمد بن الحسن الطوسي ، عن المفيد ؛ وفيه ثلاثة عشر بيتاً .

(٢) باختلاف سير . م

(٣) باختلاف سير . م

مرضيةً بالثواب ، فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي ؛ فلا يكون له همّة إلاّ اللّحوق بالنداء «ص ٧٢٥»

١٢ - ل : الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : تمسّكوا بما أمركم الله به ، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحبّ إلاّ أن يحضره رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وما عند الله خير وأبقى ؛ وتأتيه البشارة من الله عزّ وجلّ فتقرّ عينه ويحبّ لقاء الله . «ج ٢ ص ١٥٧»

١٣ - ير : أحمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن عبد الكريم بن يحيى الخثعمي ، عن بريد^(١) بن معاوية العجلي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : «اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» فقال : ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتّى يعرض عمله على رسول الله صلّى الله عليه وآله و على علي عليه السلام فهلّمّ جرّاً إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد . «ص ١٢٦»

١٤ - سن : أبي ، عن حمزة بن عبد الله ، عن جميل بن درّاج ، عن كليب بن معاوية الأسدي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما بين من وصف هذا الأمر وبين أن يغتبط ويرى ما تقرّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه ، فيقال : أمّا ما كنت ترجو فقد قدمت عليه ، وأمّا ما كنت تتخوف فقد أمنت منه ، وإنّ إمامك لإمام صدق أقدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله و عليّ والحسن والحسين عليهم السلام .^(٢) «ص ١٧٤»

١٥ - سن : ابن فضال ، عن عليّ بن عقبة ،^(٣) عن عبد الله بن الوليد النخعي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أشهد على أبي عليه السلام أنّه كان يقول : ما بين أحدكم وبين

(١) بريد - وزان زبير - بن معاوية العجلي ، أبو القاسم ، عزي ، روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام ، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام وقيل : في سنة ١٥٠ ، والرجل وجه من وجوه أصحابنا ، وفقه من أكابر فقهاءنا ، له محل عند الإمامة عليهم السلام ، قال الكشي : إنه ممن اتفقت العصاة على تصديقه ، ومن انقادوا له بالفقه ، و روى أخباراً كثيرة في فضله وتوثيقه عن الإمامة ، يوجد ترجمته في ص ١٥٥ من رجال الكشي ، وفي ص ٨١ من النجاشي ، وفصل الفاضل المامقاني ترجمته في ج ١ ص ١٦٤ فليراجع .

(٢) تقدم الحديث بالفاظ أخرى تحت رقم ٣ مع ضبط كليب .

(٣) عقبة بضم العين و سكون القاف .

أن يغتبط ويرى ما تقرّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأوماً بيده إلى حلقه - وقد قال الله تبارك و تعالى : « ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً و ذرّية » فنحن والله ذرّية رسول الله ﷺ . «ص ١٧٤»

١٦ - سن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن شجرة^(١) أخي بشير النبال قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما بين أحدكم وبين أن يعاين ما تقرّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأوماً بيده إلى حلقه - . «ص ١٧٤-١٧٥»

١٧ - سن : ابن فضال ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الحميد بن عواض قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له : أمّا ما كنت تحزن من هم الدنيا و حزنها فقد أمنت منه ، و يقال له : أمّا لك رسول الله و عليّ و فاطمة عليهم السلام .^(٢) «ص ١٧٥»

سن : ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله ، وزاد فيه الحسن والحسين عليهما السلام . «ص ١٧٥»

١٨ - سن : أبي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن عبد الحميد الطائي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ أشدّ ما يكون عدوكم كراهة لهذا الأمر إذا بلغت نفسه هذه - وأشار بيده إلى حلقه - وأشدّ ما يكون أحدكم اغتباطاً بهذا الأمر إذا بلغت نفسه هذه^(٣) - وأوماً بيده إلى حلقه - فينقطع عنه أهوال الدنيا وما كان يحاذر منها ويقال : أمّا لك رسول الله و عليّ و فاطمة ، ثم قال : أمّا فاطمة فلا تذكريها . «ص ١٧٥»
ين : النضر مثله ، و في آخره : و يقال له : أمّا لك رسول الله ﷺ و عليّ و الأئمة .

١٩ - سن : ابن فضال ، عن محمد بن فضيل ، عن ابن أبي يعفور قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : قد استحيت ممّا أردد هذا الكلام عليكم : ما بين أحدكم وبين أن

(١) هو شجرة بن ميمون بن أبي أراكة النبال الوابشي ، مولا هم الكوفي ، ثقة ومن وجوه الأصحاب وأجلاتهم .

(٢) رواه الكليني كما يأتي تحت رقم ٥٥ .

(٣) في المصدر : إلى هذه . م

يغبط إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حنجرته - يأتيه رسول الله ﷺ وعليه عليه السلام فيقولان له : أمّا ما كنت تخاف فقد آمنك الله منه ، و أمّا ما كنت ترجو فأماك «ص ١٧٥»

٢٠ - سن : ابن فضال ، عن علي بن عتبة ، عن أبيه قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والمعلمي بن خنيس فقال : يا عتبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الذي أنتم عليه ؛ و ما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذا - وأوماً بيده إلى الوريد - قال : ثم اتكأ وغمز إلي المعلمي أن سله فقلت : يا بن رسول الله إذا بلغت نفسه هذه فأى شيء يرى ؟ - فردّ عليه بضعة عشر مرة أي شيء يرى ؟ - (١) فقال في كلّها : يرى ؛ لا يزيد عليها ، ثم جلس في آخرها فقال : يا عتبة قلت : لبّيك و سعديك ، فقال : أبئت إلا أن تعلم ؟ فقلت : نعم يا بن رسول الله ، إنّما ديني مع دمي فإذا ذهب دمي كان ذلك ، وكيف بك يا بن رسول الله كل ساعة ؟ وبكيت ، فرق لي فقال : يراهما و الله ، قلت : بأبي أنت و أمّي من هما ؟ فقال : ذاك رسول الله ﷺ و عليّ ع ، يا عتبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى تراهما ، قلت : فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا ؟ قال : لا بل يمضي أمامه ، فقلت له : يقولان شيئاً جعلت فداك ؟ فقال : نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه ، و عليّ عند رجله ، فيكبّ عليه رسول الله ﷺ فيقول : يا وليّ الله أبشر أنا رسول الله ، إنّي خير لك ممّا تترك من الدنيا ؛ ثم ينهض رسول الله فيقوم عليه (٢) عليّ صلوات الله عليهما حتّى يكبّ عليه فيقول : يا وليّ الله ابشر أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّني أما لا نفعلك ، (٣) ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : أما إن هذا في كتاب الله عزّ وجلّ ، قلت : أين هذا جعلت فداك من كتاب الله ؟ قال : في سورة يونس قول الله تبارك و تعالى ههنا : «الذين آمنوا و كانوا يتّقون لهم البشري في الحيوة للدنيا وفي الآخرة لا تبديل للكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» . «ص ١٧٥-١٧٦»

(١) في الكافي : فقلت له بضع عشر مرة : أي شيء يرى ؟ .

(٢) في المصدر : فيقدم عليه . م

(٣) في المصدر : لا نفعلك . م

شي : عن عقبة بن خالد مثله .

بيان : إنما ديني مع دمي المراد بالدم الحياة أي لا أترك طلب الدين مادمت حيّاً ، فإذا ذهب دمي أي متّ كان ذلك أي ترك الطلب ؛ أو المعنى : أنه إنما يمكنني تحصيل الدين مادمت حيّاً ، فقلوله : فإذا ذهب دمي استفهام إنكاري أي بعد الموت كيف يمكنني طلب الدين ؟ وفي «شي» : فإذا ذهب ديني كان ذلك ، فالمعنى : إن ديني مقرون بحياتي فمع عدم الدين فكأنّي لست بحيّ ، فقلوله : كان ذلك أي كان الموت . وفي «الكافي» : ^(١) إنما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك . أي إن ديني إنما يستقيم إذا كان موافقاً لدينك فإذا ذهب ديني لعدم علمي بما تعتقده كان ذلك أي الخسران و الهلاك و العذاب الأبدى ، أشار إليه مبهماً لتفخيمه ؛ و أمّا استشهادنا عليه السلام بالآية فالظاهر أنه فسر البشرى في الحياة الدنيا بما يكون عند الموت ، ويحتمل أن يكون عليه السلام فسر البشرى في الآخرة بذلك لأنّ تلك الحالة من مقدّمات النشأة الآخرة ، فالبشرى في الحياة الدنيا بالمنامات الحسنة كما ورد في أخبار آخر ، أو بما بشر الله في كتبه و على لسان أنبيائه ، والأوّل أظهر .

٢١ - سن : محمد بن عليّ ، عن محمد بن أسلم ، عن الخطّاب الكوفي ، ومصعب الكوفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لسدير : ^(٢) والذي بعث محمداً بالنبوة و عجل روحه إلى الجنة ما بين أحدكم و بين أن يغتبط ويرى سروراً ^(٣) أو تبيين له الندامة والحسرة إلا أن يعاين ما قال الله عزّ وجلّ في كتابه : « عن اليمين و عن الشمال قعيد » و أتاه ملك الموت بقبض ^(٤) روحه فينادي روحه فتخرج من جسده ، فأما المؤمن فما يحسّ بخروجها ، و ذلك قول الله سبحانه و تعالى : « يا أيّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنّتي » ثمّ قال : ذلك لمن كان ورعاً

(١) في ج ١ ص ٣٦ من فروعه ، في باب (ما يعاين المؤمن والكافر) بإسناده عن العدة ، عن

سهل بن زياد ، عن ابن فضال .

(٢) وزان شريف هو سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي .

(٣) في المصدر : السرور . م

(٤) في المصدر : يقبض . م

مواسياً لإخوانه ، وصولاً لهم^(١) ، وإن كان غير ورع ولا وصول^(٢) لإخوانه قيل له : ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك ؟ أنت ممن اتحل المحبة بلسانه ولم يصدق ذلك بفعل و إذا لقي رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليهما السلام لقاها معا عرضين ، مقطعين في وجهه ، غير شافعين له ؛ قال سدير : من جدع الله أنفه ؛ قال أبو عبد الله عليه السلام : فهو ذاك^(٣) . «ص ١٧٧»

بيان جدع الأنف أي قطعه ، كناية عن المذلّة ، أي من أذلّه الله يكون كذلك ، ويحتمل أن يكون «من» استفهاماً ، أي من يكون كذلك ؟ فقلوله : جدع الله أنفه جملة دعائية فأجاب عليه السلام بأنه هو الذي ذكرت لك سابقاً .

٢٢ - سنن : ابن محبوب ، عن العلاء ، عن محمد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : اتقوا الله و استعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله ، فإن أشد ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو عليه لو قد صار في حد الآخرة وانقطعت الدنيا عنه ؛ فإذا كان في ذلك الحد عرف أنه قد استقبل النعيم والكرامة من الله ، والبشرى بالجنة ، وأمن ممن كان يخاف ، وأيقن أن الذي كان عليه هو الحق ، وأن من خالف دينه على باطل هالك . «ص ١٧٨»

٢٣ - سنن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى ، عن قتيبة الأعشى ،^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أما إن أحوج ما تكونون فيه إلى حبنا حين تبلغ نفس أحدكم هذه - وأوماً بيده إلى نحره - ثم قال : لا بل إلى ههنا - وأهوى بيده إلى حنجرته - فيأتيه البشير فيقول : أما ما كنت تخافه فقد أمنت منه . «ص ١٧٧»

(١) أي كثير الاعطاء لهم .

(٢) في المصدر : ولا وصولاً .

(٣) في المصدر : فهو ذلك .

(٤) قتيبة مصغراً ، وأعشى بفتح الهزة ، وسكون العين ، وفتح الشين ، بعدها الف مقصورة ،

قال النجاشي في ص ٢٢٣ من رجاله : قتيبة بن محمد الأعشى المؤدب ، أبو محمد المقرئ ، مولى الأزدي ، ثقة ، عين ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا اه .

٢٤ - سن : بالإسناد عن يحيى الحلبي ، عن بشير الكناسي قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقال : حدث أصحابكم إن أبي كان يقول : ما بين أحدكم وبين أن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأوماً بيده إلى حلقه - . «ص ١٧٧»

٢٥ - صح : عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : من أحببني وجدني عند مماته بحيث يحب ، ومن أبغضني وجدني عند مماته بحيث يكره .
٢٦ - شي : محمد ، عن يونس ، عن بعض أصحابنا ، قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : «كل نفس ذائقة الموت ومبشورة» كذا نزل بها على محمد صلوات الله عليه وآله ، إنه ليس أحد من هذه الأمة إلا يستبشرون ، فأما المؤمنون فيبشرون إلى قرّة عين ، وأما الفجار فيبشرون إلى خزي الله إياهم .

٢٧ - شي : عن الحارث بن المغيرة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً » قال : هو رسول الله صلوات الله عليه وآله .

٢٧ - شي : عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله في عيسى عليه السلام : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً » فقال : إيمان أهل الكتاب إنما هو لمحمد صلوات الله عليه وآله .

٢٩ - شي : عن المشرق ، عن غير واحد في قوله : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته » يعني بذلك محمداً صلوات الله عليه وآله ، إنه لا يموت يهودي ولا نصراني أبداً حتى يعرف أنه رسول الله صلوات الله عليه وآله ، وأنه قد كان به كافراً .

٣٠ - شي : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً » قال : ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله صلوات الله عليه وآله وأمير المؤمنين حقاً من الأولين والآخرين .

٣١ - شي : عن صفوان بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته ، يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصدّه عما هو عليه

فيأبى الله له ذلك ، وكذلك قال الله : « يثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

٣٢ - ين : صفوان ، عن ابن مسكان . عن أبي عمر والبرزاز ^(١) قال : كنا عند أبي جعفر عليه السلام جلوساً فقام فدخل البيت و خرج فأخذ بعضادتي الباب ^(٢) فسلم فرددنا عليه السلام ، ثم قال : والله إنني لأحب ربحكم وأرواحكم ، وإنكم لعلى دين الله ودين ملائكته ، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرُّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه ههنا - وأوماً بيده إلى حنجرته - وقال : فاتقوا الله وأعينوا على ذلك بورع .

٣٣ - م : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » قال الإمام عليه السلام : قال الله تعالى : « إن الذين كفروا » بالله في ردِّهم نبوة محمد عليه السلام ، وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وآلهما عليهما السلام « وماتوا » على كفرهم « وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله » . يوجب الله تعالى لهم البعد من الرحمة والسحق من الثواب « والملائكة » وعليهم لعنة الملائكة يلعنونهم « والناس أجمعين » كلِّ يلعنهم ، لأنَّ كلاً من المأمورين المنتهين يلعنون الكافرين والكافرون أيضاً يقولون : لعن الله الكافرين ، فهم في لعن أنفسهم أيضاً « خالدين فيها » في اللعنة ، في نار جهنم « لا يخفف عنهم العذاب » يوماً ولا ساعة « ولا هم ينظرون » لا يؤخرون ساعة إلا يحلَّ

(١) هو حفص بن سليمان الاسدي الكوفي الغاضري - بمعجمتين - وهو حفص بن أبي داود القاري ، صاحب عاصم ، ويقال له : حفيص ، أورده هكذا ابن حجر في ص ١١٨ من التقريب و قال بعد ذلك : متروك الحديث مع إمامته في القراءة ، من الثامنة ، مات سنة ثمانين و له تسعون انتهى . وفي هامش التقريب : وهو ثبت في القراءة عند ابن معين و أحمد ، ومتروك في الحديث عند البخاري وغيره ، وثقه وكيع ، قال الذهبي : هو في نفسه صادق غير أنه لم يتقن الحديث ، قال حنبل بن اسحاق ، عن أحمد قال : ما به بأس ، وروى أبو علي الصواف ، عن عبدالله ، عن أبيه قال : هو صالح هـ . أقول : أورده الشيخ بالعنوان في أصحاب الصادق عليه السلام و قال : أسند عنه وأورده أيضاً في باب الكنى من أصحاب الباقر عليه السلام .

(٢) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

بهم العذاب . قال علي بن الحسين عليه السلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إن هؤلاء الكاتمين لصفة رسول الله صلّى الله عليه وآله والجاحدين لحلية علي ولي الله إذا أتاهم ملك الموت ليقبض أرواحهم أتاهم بأفطع المناظر وأقبح الوجوه ؛ فيحيط بهم عند نزع أرواحهم مردة شياطينهم الذين كانوا يعرفونهم ، ثم يقول ملك الموت : ابشري أيّتها النفس الخبيثة الكافرة برّبها بجحدنبوة نبيّها صلّى الله عليه وآله وإمامة علي وصيه عليه السلام بلعنة من الله و غضب ؛ ثم يقول : ارفع رأسك و طرفك وانظر ، فيرى دون العرش محمداً صلّى الله عليه وآله على سرير بين يدي عرش الرحمن ويرى علياً عليه السلام على كرسي بين يديه ، و سائر الأئمة عليهم السلام على مراتبهم الشريفة بحضرته ثم يرى الجنان قدفتحت أبوابها ، ويرى القصور والدرجات و المنازل التي تقصر عنها أمانى المتمنّين ، فيقول له : لو كنت لأولياؤك موالياً كانت روحك يعرج بها إلى حضرتهم ، و كان يكون مأواك في تلك الجنان ، و كانت تكون منازلك ^(١) و أولياؤك ومجاوروك ومقاربوك ، فانظر ، فيرفع حجب الهاوية ^(٢) فيراها بما فيها من بلاياها ودواهيها وعقاربها وحياتها وأفاعيها وصروف عذابها ونكالها ، فيقال له : فتلك إذاً منازلك . ثم تمثّل له شياطينه هؤلاء الذين كانوا يغوونه ويقبل منهم مقرّنين هناك في الأصفاد ^(٣) والأغلال ، فيكون موته بأشدّ حسرة وأعظم أسف .

٣٤ - ين : صفوان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرّ به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذه ، فيأتيه ملك الموت فيقول : أمّا ما كنت تطمع فيه من الدنيا فقد فاتك ، فأمّا ما كنت تطمع فيه من الآخرة فقد أشرفت عليه ، و أمّاك سلف ^(٤) صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلي إبراهيم .

(١) الوجود في التفسير المطبوع هكذا : وكانت تكون منازلك فيها ، و إذ كنت على مخالفتهم فقد حرمت حضرتهم ومنعت مجاورتهم ، وتلك منازلك ، واولئك مجاوروك ومقاربوك فانظر إلخ . وهو الصحيح . فليراجع ص ٢٣٨ من تفسير الامام المطبوع سنة ١٣١٥ و ص ٢٢٣ من المطبوع في هامش تفسير علي بن إبراهيم .

(٢) من أسماء جهنم ، معرفة ممنوعة من الصرف ، وتدخلها أل للمح الصفة فيقال : الهاوية . (٣) قرّنه أى جمّعه وشدّده يقال : قرّنت الاسارى فى الحبال . والاصفاد : ما يوثق به الاسير من قد أوقد أو غلّ .

(٤) السلف : كل من تقدمك بالموت من آبائك وذوى قرابتك ولذا سمي الصدر الاول بالسلف الصالح ، ومنه الحديث : ابشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى وفاطمة عليهما السلام ؛ قاله الطريحي في المجمع .

٣٥ - ين : صفوان ، عن قتيبة الأعشى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : عاديتم فينا الآباء والأبناء والأزواج ، وثوابكم على الله ، إن أحوج ماتكونون فيه إلى حبنا إذا بلغت النفس هذه - وأوماً بيده إلى حلقه - .

٣٦ - قب : زريق ، ^(١) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : «لهم البشري في الحياة الدنيا» قال : هو أن يبشّراه بالجنة عند الموت ، يعني محمداً وعلياً عليهما السلام .

٣٧ - الفضيل بن يسار ، عن الباقرين عليهما السلام قالا : حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمداً وعلياً وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها . ^(٢)

٣٨ - الحافظ أبو نعيم بالإسناد عن هند الجملي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وروى الشعبي وجماعة من أصحابنا عن الحارث الأعور عنه عليه السلام : ولا يموت عبد يحبني إلا رأاني حيث يحب ، ولا يموت عبد يبغضني إلا رأاني حيث يكره .

٣٩ - سئل الصادق عليه السلام عن الميت : تدمع عينه عند الموت ؛ فقال عليه السلام : ذاك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسر .

٤٠ - لى : حمدويه و إبراهيم معاً ، عن أيوب بن نوح ، عن صفوان ، عن عاصم بن حميد ، عن فضيل الرّسمان ، عن أبي عمرو البزاز ، ^(٣) عن الشعبي ، ^(٤) عن الحارث

(١) اختلف في ضبطه فالنجاشي على تقديم المهيمة ، مصفر « رزق » والشيخ بتقديم المعجمة ، مصفر « رزق »

(٢) للحديث ذيل يأتي في خبر ٤٣ .

(٣) تقدم ترجمته في الباب تحت رقم ٣٢ فليراجع .

(٤) بفتح الشين وسكون العين المهيمة نسبة إلى شعب أو شعبان ، قال ابن منظور في مادة «شعب» من لسان العرب : شعبان : بطن من همدان ، تشعب من اليمن ، اليهم ينسب عامر الشعبي على طرح الزائد . وقيل : شعب جبل باليمن وهو ذو شعبين ، فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم : الشعبيون منهم عامر بن شراحيل الشعبي ، وعداده في الهمدان ؛ ومن كان منهم بالشام يقال لهم : الشعبانيون ؛ ومن كان منهم باليمن يقال لهم : آل ذي شعبين ؛ ومن كان منهم بمصر والمغرب يقال لهم : الاشعوب . انتهى . وقال السويدي في صفحة ١٨ من السبائك : الشعبيون : بطن من ولد عمرو بن حسان ابن عمرو والحيمري قال الجوهري : كان عمرو بن حسان قد نزل هو وولده جبلا باليمن ذا شعبتين فنسبوا إليه ، ثم تفرقوا .

الأعور قال : أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة فقال : يا أعور ما جاء بك ؟ قال : فقلت يا أمير المؤمنين جاء بي و الله حبك ، قال : أما إنني سأحدثك لشكرها ، أما إنه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره ؛ قال : ثم قال لي الشعبي بعد : أما إن حبه لا ينفعك ، وبغضه لا يضرّك .

٤١ - كشف : محمد بن دسعود ، عن جعفر بن أحمد بن أيوب ، عن العمركي ، عن ابن فضال ، عن يونس بن يعقوب ، عن سعيد بن يسار أنه حضر أحد ابني سابور و كان لهما ورع و إخبارات ، فمرض أحدهما - ولا أحسبه إلا زكريا بن سابور - قال : فحضرتة عند موته قال : فبسط يده ثم قال : ابيضت يدي يا عليّ قال : فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام - وعنده محمد بن مسلم - فلما قمت من عنده ظننت أن محمد بن مسلم أخبره بخبر الرجل فأتبعني برسول فرجعت إليه فقال : أخبرني خبر الرجل الذي حضرته عند الموت ، أي شيء سمعته يقول ؟ قلت بسط يده فقال : ابيضت يدي يا عليّ ؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام : رآه والله رآه والله رآه والله .

كما : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال مثله : ^(١) « ف ج ١ ص ٣٦ » .
٤٢ - كشف : حدث الحسين بن عون قال : دخلت على السيد بن محمد الحميري عائداً في علته التي مات فيها ، فوجدته يساق به ، ووجدت عنده جماعة من جيرانه و كانوا

• في البلاد فنزلت فرقة منهم بالكوفة فقيل لهم : الشعبيون على الأصل ، وإليهم ينسب عامر الشعبي وإن كان عداده في همدان اه . وقال في شعبان بن عمرو بن زهير بن ابير بن الهميسع بن حمير : فبنو شعبان بطن من حمير و إليهم ينسب الشعبي اه . والرجل عامر بن شراحيل ، أبو عمرو من فقهاء العامة وثقه ابن حجر في ص ٢٤٧ من تقريبه ، وقال : ثقة ، مشهور ، فقيه ، فاضل ، من الثالثة ؛ قال مكحول فما رأيت أفقه منه ؛ مات بعد المائة وله نحو من ثمانين انتهى . أنول : فصل ابن خلكان ترجمته ومدحه وقال : وكانت ولادته سنة لست سنين خلت من خلافة عثمان ، وقيل : سنة عشرين للهجرة وقيل : إحدى وثلاثين . وروى عنه أنه قال : ولدت سنة جلولا ، وهي سنة تسع عشرة . وتوفى بالكوفة سنة ١٠٤ وقيل : ١٠٣ وقيل : ١٠٧ وقيل : ١٠٦ وقيل ١٠٥ ، وكانت أمه من سبي جلولا .
(١) باختلاف يسير .

عثمانية ، وكان السيد جميل الوجه ، رطب الجبهة ، عريض ما بين السالفين ، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ، ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه بسوادها ، فاغتم لذلك من حضره من الشيعة ، وظهر من الناصبة سرور وشماتة ، فلم يلبث بذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه طعة بيضاء فلم تزل تزيد أيضاً وتنمي حتى اسفر وجهه وأشرق ، وافتر السيد^(١) ضاحكاً مستبشراً فقال : «شعر»

كذب الزاعمون أن علياً ☆ لن ينجلي محبه من هنات^(٢)

قد وربّي دخلت جنّة عدن ☆ وعفا لي الإله عن سيئاتي

فابشروا اليوم أولياء علي ☆ وتوالوا الوصي حتى الممات

ثم من بعده تولّوا بنيه ☆ واحداً بعد واحد بالصفات

ثم أتبع قوله هذا : أشهد أن لا إله إلا الله حقّاً حقّاً ، وأشهد أن محمداً رسول الله حقّاً حقّاً ، وأشهد أن عليّاً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ ثم أغمض عينه لنفسه فكأنما كانت روحه زبالة طفت أو حصاة سقطت . قال علي بن الحسين : قال لي أبي الحسين بن عون : وكان أذينة حاضر أقوال : الله أكبر ما من شهد كمن لم يشهد ؛ أخبرني - وإلا صمتا - الفضيل بن يسار ، عن أبي جعفر وعن جعفر عليه السلام أنهما قبلا : حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة : محمداً وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقرّ عينها ، أو تسخن عينها ، فانتشر هذا الحديث في الناس فشهد جنازته والله الموافق والمفارق «ص ١٢٤» .

ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن يحيى بن علي بن عبد الجبار ، عن عمه محمد بن عبد الجبار ، عن علي ، عن أبيه الحسين بن عون مثله . «ص ٤٣»

قب : لما احتضر السيد الحميري بدت في وجهه نكتة سوداء ؛ وساق الحديث مثله وزاد بعد قوله : واحداً بعد واحد بالصفات ثم قال :

أحبّ الذي من مات من أهل ودّه ☆ تلقّاه بالبشرى لدى الموت يضحك

ومن كان يهوي غيره من عدوّه ☆ فليس له إلا إلى النار مسلك

«القصيدة»

(١) افتر الرجل : ضحك ضحكاً حسناً . (٢) الهنات : الداهية .

بيان : قال الجوهري : السالفة : ناحية مقدّم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة . والذبالة بالضم : الفتيلة .

٤٣ - بشا : محمد بن أحمد بن شهر يار ، عن محمد بن محمد النوسي^(١) ، عن محمد بن علي القرشي^(٢) ، عن جعفر بن محمد بن عمر الأحمسي^(٢) ، عن عبيد بن كثير الهلالي^(٢) ، عن يحيى بن مساور ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر ، عن آباءه عليهم السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله ؛ قال : يحيى بن مساور : أخبرنا أبو خالد الواسطي^(٢) ، عن زيد بن علي^(٢) ، عن أبيه عليه السلام قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى تأكل من ثمار الجنة أو من شجرة الزقوم ، وحين ترى ملك الموت تراني وتري علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام ، فإن كان يحببنا قلت : يا ملك الموت ارفق به إنه كان يحببني ويحب أهل بيتي ، وإن كان يبغضنا قلت : يا ملك الموت : شدد عليه إنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي .

٤٤ - فر : عبيد بن كثير معنعناً ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً » يا علي إنه لا يموت رجل يفترى على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئاً ، وإنك على مثله لا يموت عدوك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحزناً حتى يقر بالحق من أمرك ويقول فيك الحق ، ويقر بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً ، وأما وليك فإنه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً ومبشراً وقرّة عين . « ص ٣٤ »

٤٥ - دعوات الراوندي : عن محمد بن علي عليه السلام قال : مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال : كيف تجدك ؟ قال لقيت الموت بعدك - يريد مالقيه من شدة

(١) الموجود في بشارة المصطفى المطبوع : « النرسي » .

(٢) الموجود في بشارة المصطفى هكذا : « الاحمسي من اصل خط أبي سعيد بيده قال : أخبرنا أبو سعيد بن كثير الهلالي التمار » .

مرضه - فقال : كيف لقيته ؟ قال : شديداً أليماً ، قال : هالقيته إنما لقيت ما يبدوك به ويعرفك بعض حاله ؛ إنما الناس رجالان : مستريح بالموت ، ومستراح منه ، فجدد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً ؛ ففعل الرجل ذلك ثم قال : يا ابن رسول الله هذه ملائكة ربّي بالتحيّات والتحيّات يسلمون عليك وهم قيام بين يديك فأذن لهم في الجلوس ، فقال الرضا عليه السلام : اجلسوا ملائكة ربّي ، ثم قال للمريض : سلّموا أمروا بالقيام بحضرتي ؟ فقال المريض : سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كل من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم ، هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ ، ثم غمّض الرجل عينيه وقال : السلام عليك يا ابن رسول الله هذا شخصك مائل لي مع أشخاص محمد ومن بعده من الأئمة عليهم السلام ، وقضى الرجل .^(١)

٤٦ - وعن الحارث الأعور قال : قال أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار

فقال : ما جاء بك ؟ قلت : حبّك والله ، قال : إن كنت صادقاً لتراني في ثلاث مواطن : حيث تبلغ نفسك هذه - وأوماً بيده إلى حنجرته - وعند الصراط ، وعند الحوض .

٤٧ - كا : عليّ بن محمد بن بندار ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن عليّ ،

عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من أحد يحضره الموت إلّا وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره^(٢) بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه ، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه ؛ فإذا حضرتم موتاً كم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يموت . « ف ج ١ ص ٣٤ »

٤٨ - كا : محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ،

عن سالم بن أبي سلمة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حضر رجلاً الموت فقل : يا رسول الله إن فلاناً قد حضره الموت ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ناس^(٣) من أصحابه حتّى أتاه وهو مغمى عليه ، قال : فقال : يا مملك الموت كفّ عن الرجل حتّى أسأله ،

(١) تقدم صدر الحديث مسنداً عن كتاب المعاني في باب سكرات الموت تحت رقم ١١ .

(٢) في المصدر : من شيطانه أن يأمره الخ . م

(٣) في المصدر : اناس م

فأفاق الرجل فقال النبي ﷺ : ما رأيت ؟ قال : رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً ، فقال : فأيتهما كان أقرب إليك ؟ فقال : السواد ؛ فقال النبي ﷺ : قل : اللهم اغفر لي الكثير من معاصيك ، واقبل مني اليسير من طاعتك ؛ فقال له ثم أغمي عليه فقال : يا مملك الموت خفف عنه ساعة حتى أسأله ، ^(١) فأفاق الرجل : فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت بياضاً كثيراً وسواداً كثيراً ، قال : فأيتهما كان أقرب إليك ؟ فقال : البياض ، فقال رسول الله ﷺ : غفر الله لصاحبكم . قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : إذا حضرتم ميتاً فقولوا له هذا الكلام ليقوله . « ف ج ١ ص ٣٥ »

٤٩ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه ؟ قال : لا والله إنّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت : يا ولي الله لا تجزع ، فوالذي بعث محمد ﷺ لا أنا أبرّ بك وأشفق عليك من والدرحيم لو حضرك ، افتح عينيك فانظر ؛ قال : ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام فيقال له : هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك ، قال : فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول : يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضية بالولايه ، مرضية بالشواب ، فادخلي في عبادي - يعني محمد وأهل بيته - وادخلي جنتي ، فما من شيء ^(٢) أحبّ إليه من استلال روحه والحق بالمنادي . « ف ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ »

٥٠ - كا : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن خالد بن عمار ، عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله ﷺ ومن شاء الله ، فجلس رسول الله ﷺ عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله : أمّا ما كنت ترجوه هوذا أمامك ، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت

(١) في المصدر : خفف عنه حتى أسأله . م

(٢) في المصدر : فما شئ . م

منه ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول : هذا منزلك في الجنة ^(١) فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة ؛ فيقول : لا حاجة في الدنيا ، فعند ذلك يبيض لونه ، ويرشح جبينه ، وتتقلص شفاته ، ^(٢) وتنتشر منخراه ، وتدمع عينه اليسرى ، فأى هذه العلامات رأيت فاكتف بها . فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما يعرض ^(٣) عليه وهي في الجسد فيختار الآخرة فيغسله فيمن يغسله ، ويقلبه فيمن يقلبه ، فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريرته خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً وتلقاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم ، فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه ثم يسئل عما يعلم ، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله ﷺ ، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها ، قال : قلت : جعلت فداك فأين ضغطة القبر ؟ فقال : هيهات ما على المؤمنين منها شيء ، والله إن هذه الأرض لتفتخر على هذه فتقول : وطىء على ظهري مؤمن ولم يطاء على ظهرك مؤمن ، وتقول له الأرض : لقد كنت ^(٤) أحببك وأنت تمشي على ظهري ، فأما إذا وليتكم فستعلم ما أصنع بك ، فيفتح له مدبصره . ^(٥) « ف ج ١ ص ٣٦ »

بيان : يشكل الجمع بين هذا الخبر وخبر فاطمة بنت أسد وسعد بن معاذ ، إلا أن يقال : كان ذلك العموم في صدر الإسلام ثم نسخ الله ورفعته عن كمل المؤمنين ، أو يخص المؤمنين في هذا الخبر بالمعصومين ، ^(٦) ويمكن أن يقال في خبر فاطمة : إن النبي ﷺ إنما فعل ذلك لما وعدها لمزيد اطمئنانها والله يعلم .

٥١ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان قال : حدثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : منكم والله يقبل ، ولكم والله يغفر ، إنه

(١) في المصدر : من الجنة . م

(٢) أى انضمتا ونزوتا إلى علو . م

(٣) في المصدر : كما عرض . م

(٤) في المصدر : والله لقد كنت . م

(٥) في المصدر : فيفسح له مدبصره . وهو الاصح . م

(٦) يبعده مورد الخبر ؛ ويمكن أن يخص المؤمنين بمن لم يأتوا ما يوجب الضغطة .

ليس بين أحدكم وبين أن يقتبط ويرى السرور وقرّة العين إلا أن تبلغ نفسه ههنا - وأوماً بيده إلى حلقه - ثم قال : إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله ﷺ وعليّ وجبرئيل وملك الموت ﷺ فيدنونه عليّ ﷺ فيقول : يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه ، ويقول رسول الله ﷺ : يا جبرئيل إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه ، ويقول جبرئيل ملك الموت إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وارفق به ، فيدنونه ملك الموت فيقول : يا عبد الله أخذت فكاك رقبتيك ؟ أخذت أمان براءتك ؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا ؟ قال : فيوفقه الله عز وجل فيقول : نعم ، فيقول : وما ذاك ؟ فيقول : ولاية عليّ بن أبي طالب ، فيقول : صدقت ، أمّا الذي كنت تحذره فقد آمنتك الله عنه ، ^(١) وأمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركته ، ابشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة ﷺ ، ثم يسأل نفسه سلاً رقيقاً ، ثم ينزل بكفنه من الجنة ، وحنوطه من الجنة بمسك أذفر ، فيكفن بذلك الكفن ويحفظ بذلك الحنوط ، ثم يكسى حلة صفراء من حلل الجنة ، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها وريحانها ، ثم يفسح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره ، ثم يقال له : نم نومة العروس على فراشها ، ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ورب غير غضبان ، ثم يزور آل محمد في جنان رضوى ، فيأكل معهم من طعامهم ، ويشرب معهم من شرابهم ، ويتحدث معهم في مجالسهم ، حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فأقبلوا معه يلبسون زمراً زمرأ ، فعند ذلك يرتاب المبطلون ، ويضمحل المحلّون - وقليل ما يكونون - هلكت المحاضير ، ونجا المقرّبون ، من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ لعليّ ﷺ : أنت أخي ، وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام ؛ قال : وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله ﷺ وعليّ وجبرئيل وملك الموت ﷺ فيدنونه عليّ ﷺ فيقول : يا رسول الله إن هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه ، ويقول رسول الله ﷺ : يا جبرئيل إن هذا كان يبغض الله

ورسوله وأهل بيته رسوله فأبغضه ، ^(١) ويقول جبرئيل : يا مملك الموت إن هذا كان يبغض الله
ورسوله وأهل بيته رسوله فأبغضه واعنف عليه ، فيدنونه ملك الموت فيقول : يا عبد الله
أخذت فكاك رهائك ؟ ^(٢) أخذت أمان براءتك من النار ؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة
الدنيا ؟ فيقول : لا ، فيقول : ابشري يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار ، أما الذي
كنت تحذره فقد نزل بك ؛ ثم يسئل نفسه سلاً غنياً . ثم يوكل بروحه ثلاثمائة شيطان
كلهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه . فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار ^(٣)
فدخل عليه من قيحها ولهبها . « ف ج ٣٦ - ٣٧ »

ين : محمد بن سنان مثله .

بيان : المحلّون : الذين لا يرون حرمة الأئمة عليهم السلام ولا يتابعونهم ، قال الفيروز
آبادي : رجل محلّ : منتهك للحرام ، أو لا يرى للشهر الحرام حرمة ؛ ويقال : رجل محضير
أي كثير العدو ، والمحاضير جمعه أي الذين يستعجلون في طلب الفرّج بقيام القائم عليه السلام ،
والمقربون بفتح الراء أي أهل التسليم والانقياد ، فإنهم المقربون عند الله ؛ أو بكسر
الراء أي الذين يقولون : الفرّج قريب ، ولا يستبطونه .

٥٢ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن
سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن عبد الرحيم القصير قال : قلت لأبي جعفر
عليه السلام : حدّثني صالح بن ميثم ، عن عباية الأسدي أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول :
والله لا يبغضني عبد أبداً يموت على بغضي إلا رأيته عند موته حيث يكره ، ولا يحبّني عبد
أبداً فيموت على حبي إلا رأيته عند موته حيث يحبّ ؛ فقال أبو جعفر عليه السلام : نعم ،
ورسول الله صلّى الله عليه وآله باليمين . « ف ج ١ ص ٣٧ »
ين : النضر مثله .

٥٣ - كا : العدة ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن عبد العزيز العبدي ، عن ابن
أبي عفّور قال : كان خطّاب الجهنّي خليطاً لنا ، وكان شديد النصب لآل محمد صلّى الله عليه وآله ،

(١) في نسخة : فأبغضه واعنف عليه .

(٢) في نسخة : رقتك .

(٣) في المصدر : فتح له من أبواب النار . م

وكان يصحب نجدة الحروري قال : فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية ، فإذا هو مغمى عليه في حد الموت ، فسمعتة يقول : مالي ولك يا علي ؟ فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : رآه ورب الكعبة ، رآه ورب الكعبة ، رآه ورب الكعبة . (١)

« ف ج ١ ص ٣٧ »

٥٤ - كما : العدة ، عن سهل ، عن البرز نطي ، عن حماد بن عثمان ، عن عبد الحميد بن عواض قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له : أما ما كنت تحذر من هم الدنيا وحزنها فقد أمنت منه ، ويقال له : رسول الله وعلي وفاطمة عليهم السلام أمامك . « ف ج ١ ص ٣٧ » (٢)

٥٥ - ين : النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن سليمان بن داود ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما معنى قول الله تبارك و تعالي : « فلولاً إذا بلغت الحلقوم و أنهم حينئذ تنظرون » الآيات ، قال : إن نفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم و كان مؤمناً رأى منزله من الجنة فيقول : ردوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلها بما أرى ، فيقال له : ليس إلى ذلك سبيل .

٥٦ - ين : حماد بن عيسى ، عن حسين بن المختار ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن المؤمن إذا مات رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً بحضرته .

أقول : قد مر كثير من أخبار هذا الباب في الأبواب السابقة ، وسيأتي كثير منها في باب البرزخ وغيرها .

وقال البرسي في مشارق الأنوار : روى المفيد بإسناده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم ، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقنهم ، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم .

تذييل : اعلم أن حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة ، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار ، وإنكار مثل

(١) ذكرت هذه الجملة في المصدر مرتين م .

(٢) تقدم الحديث عن المحاسن تحت رقم ١٧ .

ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الاختيار ، و أمّا نحو حضورهم وكيفية فلا يلزم الفحص عنه ، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام ، وما يقال : من أن هذا خلاف الحس والعقل : أمّا الأول فلا نأ نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً ، وأمّا الثاني فلا نأه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة . فيمكن الجواب عن الأول بوجوه : الأول : أن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة ، كما ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى : «جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» أن الله تعالى أخفى شخص النبي ﷺ عن أعدائه مع أن أوليائه كانوا يرونه ، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء ﷺ وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكري ﷺ التصريح بهذا الوجه .

الثاني : أنه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر ، كحضور ملك الموت وأعوانه ، وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أن أرواحهم في البرزخ تتعلق بأجساد مثالية ، وأمّا الحي من الأئمة ﷺ فلا يبعد تصرف روحه لقوته في جسد مثالي أيضاً .

الثالث : أنه يمكن أن يخلق الله تعالى لكلّ منهم مثلاً بصورته وهذه الأمثلة يكلمون الموتى و يبشرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل .

الرابع : أنه يمكن أن يرثم صورهم في الحس المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلم معهم كما في المبرسم .

الخامس : ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه وهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأن المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنه من أهل الجنة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنه من أهل النار ، فيكون حضورهم وتكلمهم استعارة تمثيلية ، ولا يخفى أن الوجهين الأخيرين بعيدان عن

سياق الأخبار ، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار ، وطعن في الآثار . وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنّماتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتفاق ، و محض الإمكان لا يكفي في ذلك ، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجساد المثاليّة يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر ؛ وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر ، والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها ، وعدم التعرّض لخصوصياتها وتفصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام كما مرّ في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

﴿ باب ٨ ﴾

﴿ أحوال البرزخ والقبر و عذابه و سؤاله و سائر ما يتعلق بذلك ﴾

الآيات ، البقرة « ٢ » و لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ و لكن لا تشعرون ١٥٤ .

آل عمران « ٣ » و لا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين ١٦٩ - ١٧١ .

ابراهيم « ٤ » يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ٢٧ . طه « ٢٠ » و من أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشةً ضنكاً و نحشرهم يوم القيمة أعمى ١٢٤ .

المؤمنون « ٢٣ » حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلّ إنّا كلمة هوائها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ٩٩ - ١٠٠ . المؤمن « ٤٠ » قالوا ربّنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ١١ .

تفسير : قال الطبرسي رحمه الله : قوله تعالى : « بل أحياء » فيه أقوال : أحدها - وهو الصحيح - أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة ، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وإليه ذهب الحسن وعمر بن عبيد و واصل بن عطاء ، واختاره الجبائي والرمثاني وجميع المفسرين .

الثاني : أن المشركين كانوا يقولون : أصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ، ثم يموتون فيذهبون ؛ فأعلمهم الله أنه ليس الأمر على ما قالوه وأنهم سيحيون يوم القيامة ويثابون ، عن البلخي ، ولم يذكر ذلك غيره .

والثالث : معناه : لا تقولوا : هم أموات في الدين بل هم أحياء بالطاعة والهدى ، ومثله قوله سبحانه : « أو من كان ميتاً فأحييناه » فجعل الضلال موتاً والهداية حياة ؛ عن الأصم . والرابع : أن المراد أنهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر و الثناء ، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : هلك خزّان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وآثارهم في القلوب موجودة . والمعتمد هو القول الأول لأن عليه إجماع المفسرين ، ولأن الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أن الشهداء على الحق والهدى وأنهم ينشرون و يحيون يوم القيامة ، فلا يجوز أن يقال لهم : « ولكن لا تشعرون » من حيث إنهم كانوا يشعرون بذلك ويقرّون به ، ولأن حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ، ولو كانوا أيضاً أحياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضاً : « ولكن لا تشعرون » لأنهم كانوا يشعرون بذلك ، ووجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياء - وإن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياء في البرزخ - أنه على جهة البشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصّون به من أنهم يرزقون كما في الآية الأخرى ؛ فإن قيل : فنحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الأرض لا يتصرّف ولا يرى فيها شيء من علامات الأحياء ؛ فالجواب - على مذهب من يقول بأن الإنسان هو الروح من أصحابنا - أن الله تعالى جعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها دون أجسامهم التي في القبور فإن النعيم والعذاب إنما يصل عنده إلى النفس التي هي الإنسان المكلف عنده ، دون الجثة و يؤيده كثير من الأخبار .

وأما على مذهب من قال من أصحابنا إن الإنسان هذه الجثة المشاهدة وأن الروح

هو النفس المتردد في مخارق الحيوان و هو أجزاء الجو فيقول : إنه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحي حياً بأقل منها ، يوصل إليها النعيم ، وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنه لا معتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحي حياً فإن الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حياً ؛ وربما قيل : بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة ولا يكون ميتاً فيصل إليها اللذات ، كما أن النائم حي وتصل إليه اللذات مع أنه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك ، فيرى في النوم ما يحدثه السرور والالتذاذ ، حتى أنه يود أن يطول نومه ولا ينتبه ، وقد جاء في الحديث ^(١) أنه يفسح له مد بصره ويقال له : نم نومة العروس ؛ وقوله : « ولكن لا تشعرون » أي لا تعلمون أنهم أحياء ، وفي هذه الآية دلالة على صحة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الأخبار ، وإنما حمل البلخي الآية على حياة الحشر لا نكاره عذاب القبر . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

وقال الرازي في تفسير تلك الآية بعد نقل ما ذكره الطبرسي رحمه الله من الأقوال الأربعة واختيار القول الأول : وهذا قول أكثر المفسرين ، وهذا دليل على أن المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبر ؛ فإن قيل : نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصح ما ذهبتم إليه ؟ قلنا : أمّا عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة ، ولا امتناع في أن الله تعالى يعيد الحياة إلى كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف ؛ وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد الله الحياة إلى الأجزاء التي لا بد منها في مائتة الحياة بغير الأطراف ، ويحتمل أن يحييهم إذا لم يشاهدوا . ثم قال : وأكثر العلماء على ترجيح هذا القول ، ويدل عليه وجوه : أحدها أن الآيات الدالة على عذاب القبر كثيرة كقوله تعالى : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ^(٢) و الموتان لا يحصلان إلا عند حصول الحياة في القبر ، وقال تعالى : « أغرقوا فأدخلوا ناراً » ^(٣) والفاء للتعقيب ، وقال : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة

(١) تقدم مسنداً تحت رقم ٥٢ .

(٢) المؤمن : ١١٠ .

(٣) نوح : ٢٥ .

أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب»^(١) وإذ اثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً لأنّ العذاب حقّ الله تعالى على العبد ، و الثواب حقّ العبد على الله تعالى ، فإسقاط العذاب أحسن من إسقاط الثواب ، فحيث ما أسقط العقاب إلى القيامة بل حقيقة في القبر كان ذلك في الثواب أولى .

و ثانيها أن المعنى لو كان على ما قيل في سائر الأقوال لم يكن لقوله : « ولكن لا تشعرون » معنى ، لأنّ الخطاب للمؤمنين وقد كانوا يعلمون أنّهم سيحيون يوم القيامة ، وأنّهم ماتوا على هدى ونور .

وثالثها أن قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم » دليل على حصول الحياة في البرزخ مثل المبعث .

و رابعها قوله صلى الله عليه وآله : القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران والأخبار في ثواب القبر وعذابه كالماتواترة ، و كان صلى الله عليه وآله يقول في آخر صلاته : و أعوذ بك من عذاب القبر .

وخامسها لو كان المراد بقوله : « إنّهم أحياء » أنّهم سيحيون فحينئذ لا يبقى لتخصيصهم بهذا فائدة .

و سادسها أن الناس يزورون قبور الشهداء و يعظمونها و ذلك يدلّ من بعض الوجوه على ما ذكرناه . واعلم أنّ في الآية قولاً آخر و هو أنّ ثواب القبر و عذابه للروح لا للقلب ، وهذا القول مبنيّ على معرفة الروح ، ولنشر إلى حاصل قول هؤلاء ، فنقول : إنّهم قالوا : إنّّه لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المخصوص لوجهين : الأوّل أنّ أجزاء هذا الهيكل أبداً في النموّ والذبول و الزيادة والنقصان و الاستكمال والذوبان ،^(٢) ولا شك أنّ الإنسان من حيث هو هو باق من أوّل عمره إلى آخره ، والباقي غير ما هو غير باق ، فالمشار إليه عند كلّ أحد بقوله : « أنا » وجب أن يكون مغايراً لهذا الهيكل .

(١) المؤمن : ٤٦ .

(٢) الذبول : ذهاب النضارة . والذوبان : الهزال .

الثاني أني أكون عالماً بأنني «أنا» حال ما أكون غافلاً عن هذه الأعضاء الظاهرة فما دلّ عليه قولنا : «أنا» مغاير لهذه الأعضاء والأعضاء ، ثم اختلفوا عند ذلك في أن الذي يشير إليه كل أحد بقوله : «أنا» أي شيء هو ؟ والإقوال فيها كثيرة ، إلا أن أشدها تحصيلاً وجهان : أحدهما : أنها أجزاء جسمانية سارية في هذا الهيكل سريان النار في الفحم ، والدهن في السمسم ، وماء الورد في الورد ، والقائلون بهذا القول فريقان : أحدهما الذين اعتقدوا تماثل الأجسام فقالوا : إن تلك الأجسام متماثلة لسائر الأجزاء التي منها يؤلف هذا الهيكل ، إلا أن القادر المختار سبحانه يبقّي بعض الأجزاء من أول العمر إلى آخره فتلك الأجزاء هي التي يشير إليها كل أحد بأنا ، ثم إن تلك الأجزاء حيّة بحياة يخلقها الله فيها ، فإذا أزال الحياة عنها ماتت ، وهذا قول أكثر المتكلمين .

و ثانيهما : أن الذين اعتقدوا اختلاف الأجسام زعموا أن الأجسام التي هي باقية من أول العمر إلى آخره أجسام مخالفة بالماهية للأجسام التي منها اتلف هذا الهيكل وتلك الأجسام حيّة لذاتها ، مدركة لذاتها ، نورانية لذاتها ؛ فإذا خالطت هذا البدن وصارت سارية في هذا الهيكل سريان النار في الفحم صار هذا الهيكل مستنيراً بنور ذلك الروح ، متحرّكاً بتحريكه ، ثم إن هذا الهيكل أبداً في الذوبان والتحليل إلا أن تلك الأجزاء باقية بحالها ، وإنما لا يعرض لها التحليل لأنها مخالفة بالماهية لهذه الأجسام ، فإذا فسد هذا القلب انفصلت تلك الأجسام اللطيفة النورانية إلى عالم السماوات والقدس والطهارة إن كانت من جملة السعداء ، أو إلى الجحيم وعالم الآفات إن كانت من جملة الأشقياء .

والقول الثاني : إن الذي يشير إليه كل أحد بقوله : «أنا» موجودٌ ليس بمتحيّز ولا قائم بالمتحيّز ، وإنه ليس داخل العالم ولا خارجاً عنه ، ولا يلزم من كونه كذلك أن يكون مثلاً لله تعالى لأن الاشتراك في السلوب لا يوجب الاشتراك في الماهية ، وقالوا : هذه الأرواح بعد مفارقة الأبدان تتألّم وتلتذّ إلى أن يردّها الله تعالى إلى الأبدان يوم القيامة ، فهناك يحصل الالتذاذ والتألّم للأبدان ، فهذا قول قال به عالم من الناس ، قالوا : وإن لم يقم عليه برهان قاهر على القول به ولكن لم يقم دليل على

فساده ، وأنه ممّا يزيل الشكوك والشبهات عمّا ورد في كتاب الله من ثواب القبر و عقابه فوجب المصير إليه فهذا هو الإنسان في توجيه هذا القول .

أقول : ثم قال الرازي في تفسير آية آل عمران بعد اختيار القول الأول فيها أيضاً : يحتمل أن يكون الروح جسماً مخصوصاً سارياً في هذه الجثة سريان النار في الفحم ، ويحتمل أن يكون جوهرًا قائماً بنفسه ، ليس بجسم ولا حال في الجسم ، وعلى كلا المذهبين فإنّه لا يبعد أنّه ممّا مات البدن انفصل ذلك الشيء حياً ، وإن قلنا أماته الله إلا أنّه تعالى يعيد الحياة إليه ، وعلى هذا التقدير تزول الشبهات بالكليّة عن ثواب القبر كما في هذه الآية ، وعن عذابه كما في قوله تعالى : « أغرقوا فأدخلوا ناراً » فثبت أنّه لا امتناع في ذلك ، وظاهر الآية دالّة عليه ، فوجب المصير إليه ، والذي يؤكّد ما قلناه القرآن والحديث والعقل ، أمّا القرآن فأيات : إحداها قوله تعالى : « يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك »^(١) الآية ، ولا شك أن المراد بقوله : « ارجعي إلى ربّك » بالموت ، ثم قال : « فادخلي في عبادي » وفاء التعقيب يدلّ على أن حصول هذه الحالة يكون عقيب الموت . وثانيها قوله : « حتّى إذا جاء أحدهم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون »^(٢) وهذا عبارة عن موت البدن ؛ ثم قال : « ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق »^(٣) فقوله « ردّوا » ضمير عنهم ، وإنّما هو هو بحياته وذاته المخصوصة ، فدلّ على أن ذلك باق بعد موت البدن . وثالثها قوله : « فأما إن كان من المقرّبين فروحٌ وريحانٌ وجنّةٌ نعيم »^(٤) وفاء التعقيب يدلّ على أن قيامة كل أحد حاصلة بعد موته ، وأمّا قيامته الكبرى فهي حاصلة في الوقت المعلوم عند الله .

وأيضاً روي أنّه عليه السلام يوم بدر كان ينادي المقتولين ويقول : هل وجدتُم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فقل : يا رسول الله إنّهم أموات فكيف تناديهم ؟ فقال عليه السلام : إنّهم أسمع منكم ؛ وأيضاً قال عليه السلام : أنبياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار .

وأما المعقول فمن وجوه : الأول أن وقت النوم يضعف البدن وضعفه لا يقتضي

(١) الفجر : ٢٧-٢٨ .

(٢) الانعام : ٦١ .

(٣) الانعام : ٦٢ .

(٤) الواقعة : ٨٨ - ٨٩ .

ضعف النفس ، بل النفس تقوى عند النوم فتشاهد الأحوال وتطلع على المغيبات ، فهذا يقوي الظن في أن موت البدن لا يستعقب موت النفس .

الثاني أن كثرة الأفكار سبب لجفاف الدماغ ، وجفافه مؤد إلى الموت ، وهذه الأفكار سبب لاستكمال النفس بالمعارف الإلهية ، وهو غاية كمال النفس ، فما هو سبب لكمال النفس فهو سبب لنقصان البدن ، فهذا يقوي الظن في أن النفس لا تموت بموت البدن .

الثالث أن أحوال النفس على ضد أحوال البدن ، وذلك لأن النفس إنما تفرح وتبتهج بالمعارف الإلهية ، كما قال تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ^(١) وقال صلى الله عليه وآله : أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني . ولا شك أن ذلك الشراب ليس إلا عبارة عن المعرفة والمحبة والاستنارة بأنوار عالم الغيب ؛ وأيضاً فإننا نرى أن الإنسان إذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان أو الفوز بمنصب أو بالوصول إلى معشوق قد ينسى الطعام والشراب ، وبالجملة فالسعادات النفسانية كالمضادات للسعادات الجسمانية ، وكل ذلك يغلب على الظن أن النفس مستقلة بذاتها ولا تعلق لها بالبدن ، ومتى كان كذلك وجب أن لا تموت النفس بموت البدن وأما قوله تعالى : « يرزقون » فاعلم أن المتكلمين قالوا : الثواب منفعة خالصة ، دائمة ، مقرونة بالتعظيم ، فقوله : « يرزقون » إشارة إلى المنفعة ، وقوله : « فرحين » إشارة إلى الفرح الحاصل بسبب ذلك التعظيم ؛ وأما الحكماء فإنهم قالوا : إذا أشرقت جواهر الأرواح القدسية بالأنوار الإلهية كانت مبهجة من وجهين : أحدهما بكون ذواتها مستنيرة ، مشرقة ، متألئة بتلك المعارف الإلهية ؛ والثاني بكونها ناظرة إلى ينبوع النور ومصدر الرحمة والجلالة ، قالوا : وابتهاجها بهذا القسم الثاني أتم من ابتهاجها بالأول ، فقوله : « يرزقون » إشارة إلى الدرجة الأولى ، وقوله : « فرحين » إلى الدرجة الثانية ، ولذا قال : « فرحين بما آتاهم الله من فضله » يعني فرحهم ليس بالرزق ، بل بإيتاء الرزق ، لأن المشغول بالرزق مشغول بنفسه ، والناظر إلى إيتاء الرزق مشغول بالرازق ، ومن طلب الرزق لغيره فهو محجوب . انتهى .

وقال الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسير تلك الآية : قول « عند ربهم » فيه وجهان أحدهما أنهم بحيث لا يملك أحد لهم نفعاً ولا ضرراً إلا ربهم ، وليس المراد في ذلك قرب المسافة لأنّه مستحيل عليه سبحانه ، والآخرونهم عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس .

وروي عن ابن عباس وابن مسعود و جابر أن النبي ﷺ قال : لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في حواصل طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها .

وروي عنه ﷺ أنّه قال لجعفر بن أبي طالب - وقد استشهد في غزاة موتة - : رأيته له جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنة . وأنكر بعضهم حديث الأرواح وقال : إنّ الروح عرض لا يجوز أن يتنعم ، وهذا لا يجوز ، لأنّ الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح ، ويدلّ على ذلك أنّه يخرج من البدن ويرد عليه وهي الحساسة الفعالة ، دون البدن ، وليست من الحياة في شيء ، لأنّ ضدّ الحياة الموت ، وليس كذلك الروح وهذا قول عليّ بن عيسى . « يرزقون » من نعيم الجنة غدواً وعشيّاً . وقيل : يرزقون النعيم في قبورهم .

« فرحين بما آتاهم الله من فضله » أي مسرورين بما أعطاهم الله من ضروب نعمه في الجنة . وقيل : في قبورهم . وقيل : فرحين بما نالوا من الشهادة وجزائها « و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » أي يسرون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من الإيمان والجهاد ، لعلمهم بأنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى إلى مثل ما صاروا إليه ، يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا ؛ فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا .

وقيل : إنّهُ يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدّم عليه من إخوانه فيسرّ بذلك ويستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا . وقيل : معناه : لم يلحقوا بهم في الفضل إلا أن لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم « الأخوف عليهم ولا هم يحزنون » أي يستبشرون بأن لا خوف عليهم ، وذلك لأنّه بطل من قوله : « الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » لأنّ

الذين يدعونهم مشتملون على عدم الحزن ، و الاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ، ومعناه : لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم « ولا هم يحزنون » على ما خلفوا من أموالهم لأن الله قد أجزل لهم ما عوَّضهم . وقيل : معناه : لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله تعالى محص ذنوبهم بالشهادة ؛ ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة « ويستبشرون » يعني هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله « بنعمة من الله وفضل » الفضل والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد . وقيل : النعمة : ما استحقوه بطاعتهم ، والفضل : ما زادهم سبحانه من المضاعفة .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا » أي يثبتهم في كرامته وثوابه بقولهم الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان ، لأنه ثابت بالحجج والأدلة . وقيل : معناه : يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الحق ، ويثبتهم بها في الآخرة حتى لا يزلوا ولا يضلوا عن طريق الجنة . وقيل : معناه : يثبتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا ، وبإسكانهم الجنة في الآخرة . وقال أكثر المفسرين أن المراد بقوله : « في الآخرة » في القبر والآية وردت في سؤال القبر ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود ، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « حتى إذا جاء أحدهم الموت » يعني أن هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألو الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف ، فيقول أحدهم : « رب أرجعون » وفي معناه قولان : أحدهما أنهم استغاثوا أولاً بالله ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة فقال لهم : أرجعوني ، أي ردوني إلى الدنيا ؛ والآخر أنه على عادة العرب في تعظيم المخاطب « لعني أعمال صالحا فيما تركت » أي في تركتي ، أو في دنياي ، فإنه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة ، أو فيما ضيعت وفرطت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي ؛ ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم : « كلا » أي لا يرجع إلى الدنيا « إنها » أي مسألة الرجعة « كلمة هو قائلها » أي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك ، أو كلمة

يقولها بلسانه وليس لها حقيقة ، مثل قوله : « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه ^(١) » ، « ومن ورائهم » أي ومن بين أيديهم « برزخ » أي حازبين الموت والبعث في القيامة من القبور . وقيل : حازب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه « إلى يوم يبعثون » وقيل : البرزخ : الإمهال إلى يوم القيامة وهو القبر ، وكل فصل بين شيئين فهو برزخ .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » : اختلف في معناه على وجوه : أحدها أن الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحياة ، والثانية في القبر قبل البعث ، والإحياء الأولى في القبر للمساءلة ، والثانية في الحشر ، عن السدي وهو اختيار البلخي .

وثانيها أن الإماتة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا ، ثم أماتهم الموتة الثانية ، ثم أحياهم للبعث ، فهاتان حياتان ومماتان .
و ثالثها أن الحياة الأولى في الدنيا ، والثانية في القبر ، ولم يرد الحياة يوم القيامة ؛ والموتة الأولى في الدنيا ، والثانية في القبر انتهى .

أقول : اختار الرازي في تفسيره الوجه الأول ، ثم ذكر عليه وجوهاً من الاعتراض وأجاب عنها ولا نطيل الكلام بذكرها .

وقال الشيخ البهائي قدس الله روحه : اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلامية في إثبات عذاب القبر بقوله تعالى : - حكاية عن الكفار - « ربنا أمتنا اثنتين » الآية ، وتقريره أنه سبحانه حكى عنهم على وجه يشعر بتصديق الاعتراف بإماتتين وإحيائين ، فإحدى الإماتتين في الدنيا ، والأخرى في القبر بعد السؤال ، وأحد الإحيائين فيه للسؤال ، والأخرى في القيامة ؛ وأما الإحياء في الدنيا فإِنَّمَا سَكْتُوا لِأَن غَرَضَهُمُ الْإِحْيَاءُ الَّذِي عَرَفُوا فِيهِ قُدْرَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى الْبَعْثِ ، وَلِهَذَا قَالُوا : « فاعترفنا بذنوبنا » أي بالذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر ، والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم .
قال المحقق الشريف في شرح المواقف : إن تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسرين ؛ ثم قال : وأما حمل الإماتة الأولى على خلقهم أمواتاً في أطوار النطفة ، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارئة على الحياة ، وحمل الإحيائين

على الإحياء في الدنيا و الحشر فقد ردّ بأنّ الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة ،
ولاحياة في أطوار النطفة ، وبأنّه قول شذّاد من المفسّرين ، والمعتمد هو قول الأكثرين .
انتهى كلامه .

فقد جعل التفسير بالوجه الأوّل مستفيضاً ، و بالوجه الثاني شاذّاً ، و يخطر
بالبال أن الأمر بالعكس فإنّ الشائع المستفيض بين المفسّرين هو ما جعله شاذّاً ، و
الشاذّ النادر هو ما جعله مستفيضاً ، و لعلّ هذا من سهو قلمه ، فإنّ التفاسير المشهورة
التي عليها المدار في هذه الأعصار هي الكشاف ، ومفتاح الغيب ، و معالم التنزيل ،
ومجمع البيان ، وجوامع الجامع ، وتفسير النيشابوري ، وتفسير البيضاوي ؛ ولم يختر
أحد من هؤلاء تفسير الآية بالوجه الأوّل ، بل أكثرهم إنّما اختاروا التفسير الثاني .
وأما التفسير الأوّل فبعضهم نقله ثمّ زيّفه وبعضهم اقتصر على مجرد نقله من
غير ترجيح ؛ فلو كان هو الشائع المستفيض كما زعمه السيّد المحقق لما كان الحال على
هذا المنوال ؛ قال في الكشاف : أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً ، وإماتتهم عند
انقضاء آجالهم ، و بالإحيائين الإحياء الأوّل ، وإحياء البعث .

ثمّ قال بعد ذلك : فإن قلت : كيف صحّ أن يسمّى خلقهم أمواتاً إماتة ؛ قلت : كما
صحّ أن تقول : سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل ، وقولك للحفّار :
ضيق فم الركيّة ووسّع أسفلها ، و ليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر ، ولا من صغر
إلى كبر ، ولا من ضيق إلى سعة ، ولا من سعة إلى ضيق ، وإنّما أردت الإنشاء على تلك
الصفات ، والسبب في صحته أنّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير
ترجيح لأحدهما ، وكذلك الضيق والسعة ، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو
متمكّن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر ، فجعل صرفه عنه كنقله
منه ، ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا ، و التي بعد حياة القبر لزمه إثبات
ثلاث إحياءات وهو خلاف ما في القرآن ، إلّا أن يتمحّل فيجعل إحداها غير معتدّ
بها ، أو يزعم أنّ الله يحييهم في القبور و تستمرّ بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها و

يعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .
 فإن قلت : كيف تسبّب هذا لقوله : « فاعترفنا بذنوبنا » ؟ قلت : قد أنكروا
 البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأنّ من لم يخش العاقبة تخرّق في
 المعاصي ، فلمّا رأوا الإِمّاتة والإِحياء قد تكررّوا عليهم علموا بأنّ الله تعالى قادرٌ على
 الإِعادة قدرته على الإِنشاء ، فاعترفوا بذنوبهم الّتي اقترفوها من إنكار البعث ، وما تبعه
 من معاصيهم . انتهى كلامه .

وقال الشيخ أمين الإسلام في جوامع الجامع : أراد بالإِمّاتين خلقهم أمواتاً
 أوّلاً ، وإمّا تتهم عند انقضاء آجالهم ؛ وبالإِحيائين الإِحياء الأوّل ، وإِحياء البعث .
 وقيل : الإِمّاتان هما الّتي في الدنيا بعد الحياة ، والّتي في القبر قبل البعث ، والإِحياءان
 هما الّتي في القبر للمساءلة ، والّتي في البعث انتهى . وفي كلام هذين الفاضلين كفاية
 والله الموفق .

ثمّ قال رحمه الله : وعساك تقول : إنّ تفسير الآية على ما هو الشائع المستفيض
 كما ذكرته يقتضي سكوت الكفّار عن الإِحياء والإِمّاتة الواقعين في القبر ، فما السبب
 في سكوتهم عنهما ؟ فنقول : إنّ الحياة في القبر حياةٌ برزخيّة ناقصة ، ليس معها من
 آثار الحياة سوى الإِحساس بالألم أو اللذّة ، حتّى أنّه قد توقّف بعض الأُمّة في عود
 الروح إلى الميّت ، فلذلك لم يعتدّوا بها في جنب الحياتين الآخرين ، قال في شرح
 المقاصد : اتّفق أهل الحقّ على أنّه تعالى يعيد إلى الميّت في القبر نوع حياة قدر ما
 يتألّم ويلتذّ ، لكن توقّفوا في أنّه هل يعاد الروح إليه أم لا ؟ وما يتوهم من امتناع
 الحياة بدون الروح ممنوع ، وإنّما ذلك في الحياة الكاملة الّتي تكون معها القدرة
 والأفعال الاختيارية . انتهى كلامه . والحق أنّ الروح يتعلّق به وإلّا لما قدر على إجابة
 الملكين ، ولكنّه تعلّق ضعيفٌ ، كما يشعر به ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام في
 حديث طويل : فيدخل عليه ملكا القبر : منكرو ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه ،
 الحديث . وقد يستبعد تعلّق الروح بمن أكلته السباع ، أو أُحرق وتفرّقت أجزاؤه يمينا
 وشمالاً ، ولا استبعاد فيه نظراً إلى قدرة الله سبحانه على حفظ أجزائه الأصليّة عن

التفرّق ، أو جمعها بعده ، وتعلّق الروح بها تعلّقاً ما ، وقد روي عن أئمتنا عليهم السلام ما يدلّ على أن الأجزاء الأصلية محفوظة إلى يوم القيامة . انتهى كلامه ضاعف الله إكرامه .
أقول : الشيخ الطبرسي رحمه الله وإن اختار في الجوامع التفسير الثاني اختار في المجمع التفسير الأوّل حيث قدّمه على غيره ، والرازي بالغ في اختيار الأوّل وذبّ عنه قول من أنكره ، وقال : احتجّ أكثر العلماء بهذه الآية على إثبات عذاب القبر ، واليضاوي ذكرهما وقدّم الثاني ، لأنّه يقتض أنّ الزمخشري غالباً فظهر أنّ ما ذكره السيّد الشريف ليس ببعيد عن الصواب في هذا الباب .

١ - فس : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله » الآية ، فإنّه حدّثني أبي ، عن ابن محبوب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : هم والله شيعتنا ، إذا دخلوا الجنة واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا « ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهو ردّ على من يبطل الثواب والعقاب بعد الموت . « ص ١١٥ »

٢ - فس : « حتّى إذا جاء أحدهم الموت » إلى قوله : « إنّها كلمة هو قائلها » فإنّها نزلت في مانع الزكاة ^(١) قوله : « ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » قال : البرزخ هو أمر بين أمرين ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة ، وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل يوم القيامة ، ^(٢) وهو قول الصادق عليه السلام : والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ ، فأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم . « ص ٤٤٧ - ٤٤٩ »

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران .

وأقول : قد مضى خبر عليّ بن الحسين عليه السلام في باب الموت أنّه عليه السلام تلا : « ومن »

(١) في المصدر : في مانع الزكاة والخمس . م

(٢) في المصدر : قبل القيامة . م

ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » قال : هو القبر ، وإن لهم فيه لمعيشة ضنكاً ، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران . أقول : هذا الخبر يدل على أن المراد بالمعيشة الضنك في الآية هو عذاب القبر ، ويؤيده ذكر القيامة بعدها ، وإليه ذهب كثير من المفسرين ، ولا يجوز أن يراد بها سوء الحال في الدنيا لأن كثيراً من الكفار في الدنيا في معيشة طيبة هنيئة غير ضنك ، والمؤمنين بالضد من ذلك .

قال الطبرسي رحمه الله : « فإن له معيشة ضنكاً » أي عيشاً ضيقاً ، وهو أن يقتل الله عليه الرزق ، عقوبة له على إعراضه فان وسّع عليه فانّه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه ، وإن أنفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه . وقيل : هو عذاب القبر ، عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري والسدي ورواه أبو هريرة مرفوعاً . وقيل : هو طعام الزقوم والضريع في جهنم لأن مآله إليها وإن كان في سعة من الدنيا . وقيل : معناه : أن يكون عيشه منغصاً بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف . وقيل : وهو الحرام في الدنيا والذي يؤدي إلى النار . وقيل : عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها ، وإنما العيش الرغد في الجنة .

٣ - كما : عليّ ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : رأيت الميّت إذا مات لم تجعل معه الجريدة ؟ قال : يتجافى عنه العذاب والحساب مادام العود رطباً ، قال : والعذاب كله في يوم واحد ، في ساعة واحدة ، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم ، وإنما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله . « ف ج ١ ص ٤٢ »

٤ - كما : عليّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن المغيرة ، عن حريز ، وفضيل وعبد الرحمن قالوا : قيل لأبي عبد الله عليه السلام : لأي شيء يوضع مع الميّت الجريدة ؟ قال : إنه يتجافى عنه مادامت رطبة . « ج ١ ص ٤٢ »

٥ - ين : ابن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لبعض أصحابه : كيف أنت إذا أتاك فتاننا القبر ؟ فقال : يا رسول الله ما فتاننا القبر ؟ قال : ملكان فظان غليظان ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق

الخاطف ، يطنان في أشعارهما ، و يحفران بأنيابهما ، فيسألانك ؛ قال : وأنا على مثل هذه الحال ؛ قال : وأنت على مثل حالك هذه ، قال : إذن أكفيهما .

٦ - شف : من تفسير الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي بإسناده رفعه قال : أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هذا الأمر لنا بعدك أم لمن ؟ قال : يا صخر الأمر بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى ، فأنزل الله تعالى : « عم يتساءلون » يعني يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن أبي طالب « عن النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون » منهم المصدق بولايته وخلافته ، ومنهم المكذب « كلاً » رد عليهم « سيعلمون » سيعرفون خلافته بعدك إنها حق يكون « ثم كلاً سيعلمون » سيعرفون خلافته وولايته إذ يسألون عنها في قبورهم ، فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين بعد الموت ، يقولان للميت : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ومن إمامك ؟ .

٧ - ١٥ : أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، و محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان جميعاً ، عن صفوان ، عن ابن مسكان ، عن الحسن بن زياد الصيقل ، عن أبي عبد الله عليه السلام^(١) قال : الجريدة تنفع المؤمن والكافر . « ف ج ١ ص ٤٢ »

٨ - ج : في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أن قال : أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره ؟ قال : يذهب فلا يعود ؛ قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات و فارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ ؛ قال : لم تصب القياس إن النار في الأجسام كامنة و الأجسام قائمة بأعيانها كالحجر و الحديد ، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سقطت^(٢) من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء ، فالنار ثابتة في أجسامها و الضوء ذاهب ، و الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الذي

(١) في المصدر : قال : يوضع للميت جريدتان واحدة في اليمين والاخرى في اليسر ، قال : قال :

الجريدة اه . م

(٢) في المصدر : سقطت . م

ذكرت ؛ إن الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف ، وركب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته و يعيده بعد فنائه ، قال : فأين الروح ؟ قال : في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث ؛ قال : فمن صلب أين روحه ؟ قال : في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض ؛ ^(١) قال : أفتلاشي الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باق ؟ قال : بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور ، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى ، فلا حس ولا محسوس ، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها ، و ذلك أربع مائة سنة تسبت فيها الخلق ، و ذلك بين النفختين «ص ١٩١ - ١٩٢»

أقول : سيأتي تمام الخبر مشروحاً في كتاب الاحتجاجات .

٩ - ين : القاسم ، وعثمان بن عيسى ، عن علي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن سعداً ^(٢) لما مات شيعة سبعون ألف ملك ، فقام رسول الله ﷺ على قبره فقال : ومثل سعد يضم ، فقالت أمه : هنيئاً لك يا سعد وكرامة ؛ فقال لها رسول الله : يا أم سعد لا تحتمي على الله ، فقالت : يا رسول الله قد سمعناك وما تقول في سعد ، فقال : إن سعداً كان في لسانه غلظ على أهله .

١٠ - وقال أبو بصير : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لما ماتت قام رسول الله ﷺ على قبرها ، فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه ، فقالوا له : يا رسول الله إنما قدر أينك رفعت رأسك إلى السماء ودمعت عيناك ، فقال : إنني سألت ربي أن يهب لي رقية من ضمة القبر .

١١ - فس : أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي عمير ، عن إسحاق بن عبد العزيز ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «فأما إن كان من المقر بين فروح وريحان» قال : في قبره «وجنة نعيم» قال : في الآخرة «وأما إن كان من المكذ بين الضالين فنزل من حميم» ^(٣) في القبر «وتصلية جحيم» في الآخرة . «ص ٦٦٤»

(١) في المصدر بين قوله : يودعها الأرض وقوله : قال : أفتلاشي سؤالان آخران . م

(٢) هو سعد بن معاذ ، وتأتي صورة أخرى مفصلة من الحديث تحت رقم ١٤ .

(٣) في المصدر : في قبره . م

١٢ - فس : وأما الردّ على من أنكر الثواب والعقاب فقوله : «يوم يأتي لا تكلم نفسٌ إلاّ بإذنه فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ خالدين فيها ما دامت السموات و الأرض إلاّ ما شاء ربك^(١)» فإذا قامت القيامة^(٢) تبدّل السموات والأرض ، وقوله : «النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا^(٣)» فأما الغدو والعشيّ : إنّما يكونان في الدنيا في دار المشرّكين ، وأما في القيامة فلا يكون غدوًّا ولا عشيًّا ، وقوله : «لهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا» يعني في جنات الدنيا التي ينقل إليها أرواح المؤمنين ، فأما في جنّات الخلد فلا يكون غدوًّا ولا عشيًّا وقوله : «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون^(٤)» فقال الصادق عليه السلام : البرزخ : القبر ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة ، والدليل على ذلك أيضاً قول العالم عليه السلام : والله ما يخاف عليكم إلاّ البرزخ ؛ وقوله عزّ وجلّ : «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٥)» وقال الصادق عليه السلام : يستبشرون والله في الجنّة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا ، ومثله كثير ممّا هو ردّ على من أنكر عذاب القبر . «ص ١٨»

١٣ - ما : فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر : يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت ، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغرْبته ، إنّ القبر يقول كلّ يوم : أنا بيت الغربة ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود والهوام ؛ والقبر روضة من رياض الجنّة ، أو حفرة من حفر النار ،^(٦) إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض : مرحباً وأهلاً ، قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري ، فإذا آتيتك^(٧) فستعلم كيف

(١) هود : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) في المصدر : و أما قوله : «ما دامت السموات والأرض» إنما هو في الدنيا ما دامت السموات والأرض فإذا قامت . م

(٣) غافر : ٤٦ .

(٤) المؤمنون : ١٠٠ .

(٥) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

(٦) في المصدر : النيران . م

(٧) إمامن ولي فلاناً : دنامنه وقرب ، أو من ولي بلى ولاية الشيء : قام به و ملك أمره .

صنيعي^(١) بك ؛ فيتسع له مد البصر ، وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض : لا مرحباً بك ولا أهلاً ،^(٢) لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري فإذا وليتكم فستعلم كيف صنيعي بك ، فتضمه حتى يلتقي أضلاعه ؛ وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدو عذاب القبر ، إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً^(٣) فينهش لحمه ، ويكسرن عظمه ، يترددن عليه كذلك إلى يوم يبعث ؛ لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً ؛ يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا ، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة^(٤) لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واطركو ما كره الله . «ص ١٨»

بيان : قوله ﷺ : تسعة وتسعين تنيناً قال الشيخ البهائي رحمه الله : قال بعض أصحاب الحال : ولا ينبغي أن يتعجب من التخصيص بهذا العدد ، فلعل عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأفعال والملكات الرديئة ، فإنها تنشعب وتتويع أنواعاً كثيرة ، وهي بعينها تنقلب حيات في تلك النشأة . انتهى كلامه . ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهري إقناعي ، محصله أنه قد ورد في الحديث أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، ومعنى إحصائها الإذعان باتصافه عز و علا بكل منها ، وروى الصادق عن النبي ﷺ أنه قال : إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم ، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده ، فتبين من الحديث الأول أنه سبحانه يبين لعباده معالم معرفته بهذه الأسماء التسعة والتسعين ، ومن الحديث الثاني أن لهم عنده في النشأة الآخروية تسعة وتسعين رحمة ، وحيث إن الكافر لم يعرف الله سبحانه بشيء من تلك الأسماء جعل له في مقابل كل اسم رحمة تنين ينهشه في قبره . هذا حاصل كلامه وهو كماترى .

(١) في المصدر : «صنعي» في الموضعين . م

(٢) في المصدر : لا مرحباً ولا أهلاً . م

(٣) كسكين حية عظيمة .

(٤) في المصدر : مما لا طاقة . م

١٤ - ع ، لى : علي بن الحسين بن الشقيق الهمداني ، عن جعفر بن أحمد بن يوسف ، عن علي بن بزرج الخياط ، عن عمر بن اليسع ، عن عبد الله بن اليسع ، عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتني رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل له : إن سعد بن معاذ قد مات ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه ، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب ، فلمّا أن حنط وكفن وحمل على سريرته تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بالاحذاء ولارداً ، ثم كان يأخذ يمناً السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لحده وسوى اللبني عليه ، وجعل يقول : ناولوني حجراً ، ناولوني تراباً رطباً ؛ يسدّ به ما بين اللبني ، فلمّا أن فرغ وحنّا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنني لأعلم أنّه سيبلّ ويصل البلى إليه ، ولكن الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً أحكمه ، فلمّا أن سوى التربة عليه قالت أمّ سعد : يا سعد هنيئاً لك الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أمّ سعد مه ، لا تجزمني على ربك فإنّ سعداً قد أصابته ضمة ؛ قال : فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الناس فقالوا له : يا رسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد ، إنك تبعته جنازته بلارداً ولاحذاء ، فقال صلى الله عليه وآله : إن الملائكة كانت بلارداً ولاحذاء فتأسّيت بها ، قالوا : وكنت تأخذ يمناً السرير مرة ، ويسرة السرير مرة ، قال : كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ ، قالوا : أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت : إن سعداً قد أصابته ضمة ؛ قال : فقال صلى الله عليه وآله : نعم إنّه كان في خلقه مع أهله سوء . « ع ص ١١١ »

ما : الغضائري عن الصدوق مثله . « ص ٢٧٢ - ٢٧٣ »

١٥ - لى : العطار ، عن أبيه ، عن البرقي ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن - عن التفليسي ، عن إبراهيم بن محمد ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ، ثم مرّ به من قابل فإذا هوليس يعذب ، فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذب ، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب ؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بماعمل ابنه . « ص ٣٠٦ »

١٦ - ثو، لى : ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن هاشم، عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم . «ص ١٩٠ ص ٣٢٢»

ع : أبي، عن علي، عن أبيه، عن النوفلي مثله . «ص ١١١»

١٧ - لى : ابن الوليد، عن سعد، عن البرقي، عن ابن أبي نجران، والحسين بن سعيد معاً، عن حماد، عن حريز، عن أبان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام قال : من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضغطة القبر . «ص ١٦٩»

ثو : أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعري، عن علي بن إسماعيل، عن حماد، مثله . «ص ١٨٨»

١٨ - ع : ابن الوليد، عن الصفار، عن السندي بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أقعد رجل من الأخيار في قبره، فقيل له : إننا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله، فقال : لا أطيقها، فلم يزالوا به حتى انتهوا إلى جلدة واحدة فقالوا : ليس منها بد، قال : فبما تجلدونيها؟ قالوا : نجلدك لأنك صليت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلم تنصره؛ قال : فجلدوه جلدة من عذاب الله عز وجل فامتلاً قبره ناراً . «ص ١١١»

١٩ - ين : فضالة، عن أبان، عن بشير النبال قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله قبر سعد فمسحه بيده واختلج بين كتفيه، فقيل له : يا رسول الله رأيناك خاطبت واختلج بين كتفيك وقلت : سعد يفعل به هذا ! فقال : إنه ليس من مؤمن إلا وله ضمة .

٢٠ - ين : علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يلقي صاحب القبر، فقال : إن ملكين يقال لهما : منكر و نكير يأتیان صاحب القبر فيسألانه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيقولان : مات قول في هذا الرجل الذي خرج فيكم؟ فيقول : من هو؟ فيقولان : الذي كان يقول : إنه رسول الله، أحق ذلك؟

قال : فإذا كان من أهل الشكّ قال : ما أدري ؟ قد سمعت الناس يقولون ، فلست أدري أحقّ ذلك أم كذب ؟ فيضربانه ضربة يسمعها أهل السماوات وأهل الأرض إلا المشركين ، وإذا كان متيقناً فإنه لا يفرع فيقول : أعن رسول الله تسألاني ؟ فيقولان : أتعلم أنه رسول الله ؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله حقّاً ، جاء بالهدى ودين الحقّ ؛ قال : فيرى مقعده من الجنة و يفسح له عن قبره ، ثمّ يقولان له : نم نومة ليس فيها حلم في أطيب ما يكون النائم .

٢١ - ع : عليّ بن حاتم ، عن أحمد بن محمد الهمداني ، عن المنذر بن محمد ، عن الحسين بن محمد ، عن عليّ بن القاسم ، عن أبي خالد ، عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ بن أبي طالب قال : عذاب القبر يكون من النميمة ، والبول ، وعزب الرجل عن أهله .^(١) « ص ١١١ »

٢٢ - لى : عليّ بن حاتم ، عن عليّ بن الحسين النحويّ ، عن البرقيّ ، عن أبيه ، عن سليمان بن مقبل ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : إذا مات المؤمن شيعة سبعون ألف ملك إلى قبره ، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدها ويقولان له : من ربّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟ فيقول : ربّي الله ، ومحمد نبيّي ، والإسلام ديني ، فيفسحان له في قبره مدّ بصره ، ويأتياه بالطعام من الجنة ، ويدخلان عليه الروح والريحان ، وذلك قوله عزّ وجلّ : « فأما إن كان من المقرّبين فروحٌ وريحانٌ » يعني في قبره « وجنة نعيم » يعني في الآخرة ، ثمّ قال عليه السلام : إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية^(٢) إلى قبره ، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول : لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين ، ويقول : أرجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت ، فتجيبه الزبانية : كلاً إنّا كلمة أنت قائلها ، ويناديهم ملك : لورد لعاد طمانهي عنه ، فإذا دخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه ثمّ يقولان له : من ربّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟ فيتلجلج لسانه^(٣) ولا يقدر على

(١) أي بعده واعتزاله عن أهله ، ولعله كناية عن نشوذه عليها .

(٢) الزبانية عند العرب : الشرط وسموا بها بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها .

(٣) أي يشغل لسانه ويتردد في كلامه .

الجواب ، فيضربانه ضربةً من عذاب الله يذعر لها كل شيء ، ثم يقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لأدري فيقولان له : لادريت ولا هديت ولا أفلحت ؛ ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه من الحميم من جهنم ، وذلك قول الله عز وجل : « وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم » يعني في القبر « وتصلية جحيم » يعني في الآخرة . « ص ١٧٤ - ١٧٥ »

٢٣ - لى : القطبان ، عن السكري ، عن الجوهرى ، عن ابن عمارة ، عن أبيه قال : قال الصادق عليه السلام : من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج ، والمساءلة في القبر ، والشفاعة . « ص ١٧٧ »

٢٤ - لى : أبي ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن غالب ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيب قال : كان علي بن الحسين صلوات الله عليه يعظ الناس ويهديهم في الدنيا ، ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وحفظ عنه وكتب ، كان يقول : أيها الناس اتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه ترجعون ، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، ويحك ابن آدم الغافل ! وليس بمغفول عنه ! ابن آدم إن أجلك أسرع شيء ، إليك ، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ، ويوشك أن يدركك ، وكأن قد أوفيت أجلك ، وقبض الملك روحك ، وصرت إلى منزل وحيداً فرد إليك فيه روحك ، واقتحم عليك فيه ملكاك : منكرو نكير لمساءلتك وشديد امتحانك ، ألا وإن أول ما يسألك عن ربك الذي كنت تعبد ، وعن نبيك الذي أرسل إليك ، وعن دينك الذي كنت تدين به ، وعن كتابك الذي كنت تتلوه ، وعن إمامك الذي كنت تتولاه ، ثم عن عمرك فيما أفنيته ؟ ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته ؟ فخذ حذرك وانظر لنفسك ، وأعد للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار ، فإنك مؤمناً تقياً ، عارفاً بدينك ، متبعاً للصادقين ، موالياً لأولياء الله لقاءك الله حججك ، وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب ، فبشّرت بالجنة والرضوان من الله ، والخيرات الحسان ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك تلجج لسانك ،

ودحضت حجّتك ، وعميت عن الجواب ، وبشّرت بالنار ، واستقبلتك ملائكة العذاب
بنزل من حميم وتصلية جحيم . " ص ٣٠١-٣٠٢ "

أقول : تمامه في أبواب المواعظ .

٢٥ - فس : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن عبد الحميد الطائي ، عن
محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن العبد إذا أدخل قبره أتاه منكر ففرع منه
يسأل عن النبي صلى الله عليه وآله فيقول له : ما تقول في هذا الرجل الذي كان بين أظهركم ؟ فإن
كان مؤمناً قال : أشهد أنه رسول الله جاء بالحق ، فيقال له : ارقد رقةً لاحلم فيها ،
ويتنحى عنه الشيطان ، ويفسح له في قبره سبعة أذرع ، ويرى مكانه من الجنة : قال :
وإذا كان كافراً قال : ما أدري ، فيضرب ضربةً يسمعها كل من خلق الله إلا الإنسان
وسلط عليه الشيطان ، وله عينان من نحاس أو نار كالبرق الخاطف فيقول له : أنا أخوك ،
ويسلط عليه الحيات والعقارب ، ويظلم عليه قبره ، ثم يضغطه ضغطةً يختلف أضلاعه
عليه ، ثم قال بأصابعه فشرحها .

بيان : ثم قال بأصابعه القول هنا بمعنى الفعل ، أي أدخل أصابعه بعضها في بعض
لتوضيح اختلاف الأضلاع ، أي تدخل أضلاعه من جانب في أضلاعه من جانب آخر .
وقوله : شرحها ، في أكثر النسخ بالجيم ، قال الفيروز آبادي : الشرح : الفرقة ، والمزج
والجمع ونضد اللبن ، والتشريح : الخياطة المتباعدة ، وتشريح اللحم بالشحم : تداخل .
انتهى . وفي بعض النسخ بالحاء المهملة أي أوضح وبين اختلاف الأضلاع .

٢٦ - فس أبي ، عن علي بن مهزيار ، عن عمرو بن عثمان ، عن المفضل بن صالح ،
عن جابر ، عن إبراهيم بن العلاء ، ^(١) عن سويد بن غفلة ، عن أمير المؤمنين صلوات الله
عليه قال : إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا و أول يوم من الآخرة مثل
له ماله ^(٢) و ولده و عمله ، فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنني كنت عليك لحريصاً
شحيحاً ، فمالى عندك ؟ فيقول : خذ مني كفنك ، ثم يلتفت إلى ولده فيقول :

(١) هكذا في النسخ المطبوعة من التفسير ، وفي الإمالى والكافى : إبراهيم بن (عن) عبد الأعلى .

وعلى أي فالرجل مجهول .

(٢) في نسخة : مثل له أهله وماله اه .

والله إنني كنت لكم لمحبباً ، وإنني كنت عليكم لمحامياً ، فماذا لي عندكم ؟ فيقولون :
نؤدبك إلى حفرتك ونواريك فيها ؛ ثم يلتفت إلى عمله فيقول : والله إنني كنت فيك
لزاهداً ، وإنك كنت عليّ لثقيلاً ، فماذا عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ، ويوم
حشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك ، فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً ،
وأحسنهم منظرأً ، وأزينهم ريشأً ، فيقول : ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم ،
قد قدمت خير مقدم ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا مملك الصالح ، ارتحل من الدنيا إلى
الجنة ، وإنه ليعرف غاسله ، ويناشد حامله أن يعجله ، ^(١) فإذا أدخل قبره أتاه
ملكاهما وهما فتانا القبر ، يجران أشعارهما ، ويبحثان الأرض بأنيابهما ، ^(٢) وأصواتهما
كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فيقولان له : من ربك ومن نبيك
وما دينك ؟ فيقول : الله ربّي ، ومحمد نبيّي ، والإسلام ديني ، فيقولان : ثبتك الله فيما تحب
وترضى ، وهو قول الله : « ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا » الآية ،
فيفسحان له في قبره مدّ بصره ، ويفتحان له باباً إلى الجنة ، ويقولان له : نم قرير العين
نوم الشاب الناعم ، وهو قوله : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً »
وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله ريشأً ، ^(٣) وأنتنه ريحاً ، فيقول له :
ابشر ^(٤) بنزل من حميم ، وتصلية جحيم ؛ وإنه ليعرف غاسله ، ويناشد حامله أن يحبسّه ،
فإذا أدخل قبره أتياه ممتحنا ^(٥) القبر فألقيا عنه أكفانه ، ثم قالاه : من ربك ؟ ومن

(١) قال المصنف في مرآت العقول : قوله : ارتحل بصيغة الامر ، وفي قوله : وإنه ليعرف غاسله فعل مقدر يدل عليه السياق ، والواو حالية ، والتقدير : فيرتحل والحال انه ليعرف غاسله ، ويحتمل أن تكون عاطفة على (أتاه) فلا تقدير . ويناشد حامله في الصحاح : نشدت فلاناً انشده نشداً : إذا قلت له : نشدتك الله ، أي سألتك بالله ، وملكا القبر : مبشرو بشير .

(٢) في الكافي هكذا : أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما .

(٣) في الكافي : أقبح خلق الله زيا ورؤيا .

(٤) في التفسير المطبوع سنة ١٣١٥ هـ : فيقول له : من أنت ؟ فيقول له : أنا مملك ابشر .

(٥) في التفسير المطبوع مفتوحاً . خ ل .

نبيك؟ ومادينك؟ فيقول: لا أدري! فيقولان له: مادريت ولا هديت، فيضربانه (١) بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال؛ فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وإنه ليتمنّى قيام الساعة مما هو فيه من الشر. «ص ٣٤٦-٣٤٧»

٢٧ - ما: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن قاسم بن جعفر بن أحمد، عن عباد بن أحمد القزويني، عن عمّه، عن أبيه، عن جابر، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة ذكر أن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس ذكرا أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله. وساق الحديث مثل ما مر.

«ص ٢٢١-٢٢٢»

شي: عن ابن غفلة مثله.

٢٨ - ك: علي، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان؛ وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن البرزطي والحسن بن علي جميعاً، عن أبي جميلة، عن جابر، عن عبد الأعلى، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة مثله؛ وقال في آخره: وقال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال النبي عليه السلام: إنني كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرهاها - وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم - وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يهيجها حتى تذعر فتطير، فأقول: ما هذا؟ وأعجب، حتى حدّثني جبرئيل عليه السلام أن الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويدعّر لها إلا الثقلين؛ فقلنا: ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر. «فج ١ ص ٦٣»

بيان: قوله عليه السلام: مثّل له أي صور له كل من الثلاثة بصورة مثالية يخاطبها وتخاطبه ويجوز أن يراد بالتمثّل خطور هذه الثلاثة بالبال وحضور صورها في الخيال، وحينئذ يكون المخاطبة بلسان الحال لا بلسان المقال. و الشح: البخل مع الحرص، والزهد في الشيء: ضد الرغبة فيه. و الرياش: اللباس الفاخر، وقال الجزري:

(١) في الكافي: فيضربان يافوخه.

فيه : تفتنون في القبور . يريد مساءلة منكر و نكير من فتنه الامتحان و الاختبار .
 قوله ﷺ : يخدان الأرض ^(١) أي يشققانها ؛ والقاصف : الشديد الصوت .
 قوله ﷺ : وهو قول الله الضمير عائد إلى قول الملكين : ثبّتك الله ، والمضاف
 محذوف ، والتقدير : هو مدلول قول الله عز وجل . وقيل : هو عائد إلى تثبيت المؤمن على
 ما يجيب به الملكين ، كما يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر قبض روح المؤمن
 فقال : ثم يعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له : من ربك ؟
 وما دينك ؟ فيقول : ربّي الله ، و ديني الإسلام ، ونبيّي محمد ، فينادي مناد من السماء :
 أن صدق عبدي . فذلك قوله تعالى : « يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » .

و الفسحة بالضم السعة ، و المراد بمبدّ البصر مداه و غايته التي ينتهي إليها ؛ و
 قرّة العين : برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه ، والقرّة بالضم : ضدّ
 الحرّ ، والعرب تزعم أن دمع الباكي من شدة السرور بارد ، ودمع الباكي من الحزن
 حارّ ، فقرّة العين كناية عن الفرح والسرور . والناعم من النعمة بالكسر وهو ما يتنعم
 به من المال ونحوه ، أو بالفتح وهي نفس التنعم ، ولعلّ الثاني أولى .

قوله تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ » المراد اليوم المذكور في قوله تعالى :
 قبل هذه الآية : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً »
 وهذا الحديث يدلّ على أن المراد بذلك اليوم يوم الموت ، وبالملائكة ملائكة الموت ،
 وهو قول كثير من المفسّرين ، وفسّر بعضهم ذلك اليوم بيوم القيامة ، والملائكة بملائكة
 النار ، والمراد بالمستقرّ المكان الذي يستقرّ فيه ، وبالمقيّل مكان الاستراحة ، مأخوذ من
 مكان القبولة ؛ قال الشيخ البهائي رحمه الله : ويحتمل أن يراد بأحدهما الزمان أي إن مكانهم
 وزمانهم أطيب ما يتخيّل من الأمكنة و الأزمان ، ويحتمل المصدرية فيهما ، أو في
 أحدهما .

(١) قد عرفت سابقاً أن جملة (يخدان الأرض) ليست في التفسير ، و أنها موجودة في الكافي ،

ومتن الحديث من الكافي غير مذكور في الكتاب .

ابشر بنزل من حميم البشارة هنا على سبيل التهكم ، و النزل بضمّتين : ما يعدّ للمضيف النازل على الإنسان من الطعام والشراب ، و فيه تهكم أيضاً . و الحميم : الماء الشديدة الحرارة ، يسقى منه أهل النار ، أو يصبّ على أبدانهم ، و الأنسب بالنزل السقي . و التصلية التلويح على النار . أتاه ممتحناً القبر إضافة اسم الفاعل إمّا إلى معموله على حذف المضاف أي ممتحناً صاحب القبر ، أو إلى غير معموله كمصارع مصر وهذا أولى ، وتخصيص إلقاء الأكفان بعدو الله ظاهر لما فيه من الشناعة المناسبة لحاله . و اليافوخ : هو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل إذا كان قريب عهد بالولادة ؛ و المرزبة بالراء المهملة والزاء المعجمة والباء الموحدة : عصاة من حديد . والقناجع قناة وهي الرمح ؛ والزجّ : الحديدية التي في أسفل الرمح .

٢٩ - ١٥ : الحفّار ، عن إسماعيل بن عليّ الدعبلّي ، عن أبيه ، عن أخي دعبل ، عن شعبة بن الحجاج ، عن علقمة بن مزيد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء بن (١) عازب ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : « يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » قال : في القبر إذا سئل الموتى . «ص ٢٣٩-٢٤٠»

أقول : سيأتي في باب الدفن في خبر فاطمة بنت أسد أنّه قال النبي ﷺ : و الذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي .

٣٠ - فس : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر ﷺ في قوله : « فالسابقات سبقاً » يعني أرواح المؤمنين ، سبق (٢) أرواحهم إلى الجنة بمثل الدنيا ، و أرواح الكافرين إلى النار بمثل ذلك . (٣) «ص ٧١٠»

٣١ - م : قال عليّ بن أبي طالب ﷺ : من قوى مسكيناً في دينه ، ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقّنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول : الله ربّي ، ومحمد

(١) البراء بالباء المفتوحة ، وعازب بالعين المهملة والزاء المعجمة المكسورة .

(٢) في المصدر : تسبق . م

(٣) في المصدر : بمثل ذلك النار . م

نبيي ، وعلي وليي ، والكعبة قبلتي ، والقرآن بهجتي و عدتي ، و المؤمنون إخواني ، و المؤمنات أخواتي ، فيقول الله : أدليت بالحجة^(١) فوجبت لك أعالي درجات الجنة ، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة .

٣٢ - ما : المفيد ، عن ابن قولويه ، عن محمد بن همام ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن الحسين بن أحمد ، عن ابن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : ما يقول الناس في أرواح المؤمنين بعد موتهم ؟ قلت : يقولون : في حواصل طيور خضر ، فقال : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك ، إذا كان ذلك أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و فاطمة والحسن والحسين عليهما السلام ومعهم ملائكة الله عز وجل المقرّبون ، فإن أنطق الله لسانه بالشهادة له بالتوحيد ، وللنبي صلى الله عليه وآله عليه وآله بالنبوة ، والولاية لأهل البيت شهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي و فاطمة والحسن والحسين عليهما السلام والملائكة المقرّبون معهم ؛ وإن اعتقل لسانه خص الله نبيه صلى الله عليه وآله بعلم ما في قلبه من ذلك فشهد به ، وشهد على شهادة النبي علي و فاطمة والحسن والحسين على جماعتهم من الله أفضل السلام ، ومن حضر معهم من الملائكة ، فإذا قبضه الله إليه صير تلك الروح إلى الجنة في صورة كصورته فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا . فص ٢٦٧-٢٦٨ .

٣٣ - لى : ابن سعيد الهاشمي ، عن فرات ، عن محمد بن أحمد بن علي الهمداني ، عن الحسن بن علي الشامي ، عن أبيه ، عن أبي جرير ، عن عطاء الخراساني رفعه عن عبد الرحمن بن غنم^(٢) قال : لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله مرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحواله أطفال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من هذا الشيخ يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم عليه السلام قال : فما هؤلاء الأطفال حوله ؟ قال : هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم . ص ٢٧٠ .

٣٤ - فس : أبي ، عن سليمان الديلمي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام .

(١) أدلى بحجته : أحضرها واحتج بها .

(٢) ضبطه المامقاني رحمه الله في تنقيح الرجال بضم الفين المعجمة وسكون النون ، وابن حجر في التقریب بفتح الفين ، وقال : مختلف في صحبته ، ذكره العجلي في كبار ثقات التابعين ، مات سنة ٧٨ .

٣٥ - ثو : أبي ، عن سعد ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن مرحوم عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره ؛ و البرّ مطلّ عليه ، و يتنحّى الصبر ناحية ؛ قال : فإذا دخل عليه المملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة و الزكاة و البرّ : دونكم صاحبكم ، فإن عجزتم عنه فأنا دونه . « ص ١٦٤ - ١٦٥ »

بيان : أطلّ عليه : أشرف ، وفي بعض النسخ بالطاء المعجمة .

٣٦ - سن : ابن محبوب رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من مات يوم الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر . « ص ٥٨ »

٣٧ - سن : ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن ابن طريف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من مات ليلة الجمعة كتب الله له براءة من عذاب النار ، ومن مات يوم الجمعة أعتق من النار . « ص ٦٠ »

٣٨ - وقال أبو جعفر عليه السلام : بلغني أن النبي صلى الله عليه وآله قال : من مات يوم الجمعة أوليلة الجمعة رفع عنه عذاب القبر . « ص ٦٠ »

٣٩ - ير : سلامة بن خطاب ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عيسى بن شلقان ^(١) قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كانت له خوولة في بني مخزوم ، وإن شاباً منهم أتاه فقال : يا خالي إن أنسي وابن أبي مات ، وقد حزنت عليه حزناً شديداً ، قال : فتشتهي أن تراه ؟ قال : نعم ، قال : فأرني قبره ، فخرج معه برد رسول الله صلى الله عليه وآله السحاب ، فلما انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول : رميكا - بلسان الفرس - فقال له علي عليه السلام : ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ قال : بلى ، و لكننا متنا على سنة فلان و فلان فانقلبنا ألسنتنا .

(١) بفتح الشين المعجمة واللام والقاف هو عيسى بن صبيح العزرمي ، عربي صليب ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام ، وثقه النجاشي وقال : له كتاب .

٤٠ - ير : علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن علاء بن يحيى المكفوف ، عن عمر بن أبي زياد ، عن عطية الأبراري^(١) قال : طاف رسول الله ﷺ بالكعبة فإذا آدم بحداء الركن اليماني فسلم عليه رسول الله ﷺ ، ثم انتهى إلى الحجر فإذا نوح عليه السلام بحدائه رجل طويل فسلم عليه رسول الله ﷺ .

٤١ - ير : محمد بن الحسين ، عن الحكم بن بكر ،^(٢) عن أبي سعيد المكاربي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فقال له : ما أمرك رسول الله ﷺ أن تطيعني ؟ فقال : لا ولو أمرني لفعلت ، قال : فانطلق بنا إلى مسجد قبا ، فانطلق معه فإذا رسول الله ﷺ يصلي ، فلما انصرف قال علي : يا رسول الله إنني قلت لأبي بكر : ما أمرك رسول الله ﷺ أن تطيعني ؟ فقال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : بلى قد أمرتك فأطعه ، قال : فخرج فلقي عمرو وهو ذعر ، فقال له : ما لك ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : كذا وكذا ، قال : تباً لأمتك ، تترك أمرهم ، ما تعرف سحر بني هاشم ؟ . «ص ٧٧»

٤٢ - ير : محمد بن عيسى ، عن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن عبيد بن عبد الرحمن الخثعمي ،^(٣) عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : خرجت مع أبي إلى بعض أموالي ، فلما برزنا إلى الصحراء استقبله شيخ ، أبيض الرأس واللحية ، فسلم عليه فنزل إليه أبي أسمعته يقول له : جعلت فداك ؛ ثم جلسا فتساءلا طويلاً ، ثم قام الشيخ وانصرف وودع أبي ، وقام ينظر في قفاه حتى توارى عنه ، فقلت لأبي : من هذا الشيخ الذي سمعتك تقول له ما لم تقله لأحد ؟ قال : هذا أبي . «ص ٧٩-٨٠»

٤٣ - ير : محمد بن عيسى ، عن عثمان بن عيسى ، عن عمه أخبره ، عن عباية الأسدي قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وعنده رجل رث الهيئة ، وأمير المؤمنين عليه السلام

(١) عنه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام ، وحاله مجهول .

(٢) لم نجد له ذكراً في كتب التراجم ، والموجود في البصائر : عن بكر . وفي طريق آخر للرواية

يوجد في البصائر : محمد بن الحسين ، عن الحكم بن مسكين ، عن أبي سعيد . وفي ذيله : تباً لامة ولوك أمرهم الخ . وفي البصائر روايات أخرى في ذلك .

(٣) لم نجد له ذكراً في كتب التراجم .

مقبل عليه يكلمه ، فلما قام الرجل قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الذي أشغلك عنا
قال : هذا وصي موسى عليه السلام . «ص ٨٠»

أقول : قد أوردنا أمثال تلك الأخبار الدالة على الأجساد المثالية في باب
احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر ، وفي باب غصب الخلافة ، وفي باب كفر الثلاثة ،
وفي باب أن الأئمة عليهم السلام يظهرون بعد الموت ، وفي أبواب المعجزات ، فلا نورد هنا
حذراً من الإطالة والتكرار .

٤٤ - ير : ابراهيم بن هاشم ، عن علي بن أسباط ، عن بكر بن جناح ، عن رجل ،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ، جاء علي عليه السلام إلى
النبي صلى الله عليه وآله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا الحسن مالك ؟ قال : أمي ماتت ؛ قال :
فقال النبي صلى الله عليه وآله : و أمي والله ، ثم بكى ، وقال : وا أمماء ثم قال لعلي عليه السلام : هذا
قميصي فكفنها فيه ، و هذا ردائي فكفنها فيه ، فإذا فرغتم فأذنوني ؛ فلما أخرجت
صلّى عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلاً ، ثم نزل على
قبرها فاضطجع فيه ، ثم قال لها : يا فاطمة ؛ قالت : لبيك يا رسول الله ، فقال : فهل
وجدت ما وعد ربك حقاً ؟ قالت : نعم فجزاك الله خير جزاء ، وطالت مناجاته في القبر ،
فلما خرج قيل : يا رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إياها ثيابك ، ودخولك في
قبرها ، و طول مناجاتك ، و طول صلاتك ، ما رأيناك صنعته بأحد قبلها ؛ قال : أمما
تكفيني إياها فإنني لما قلت لها : يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم فصاحت وقالت
واسوأنا ؛ فلبستها ثيابي وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يبلى أكفانها حتى تدخل
الجنة فأجابني إلى ذلك ؛ وأمما دخولي في قبرها فإنني قلت لها يوماً : إن الميت إذا
أدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان : منكرو نكير فيسألانه ، فقالت : واغوثناه
بالله ، فما زلت أسأل ربي في قبرها حتى فتح لها باب من قبرها إلى الجنة فصار روضة
من رياض الجنة . «ص ٨١»

يج مراسلاً مثله . ^(١) «ص ٨»

٤٥ - سن : عثمان بن عيسى ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن جلّ عذاب القبر في البول .

٤٦ - خص ، ير : الحسين بن محمد ، عن المعلّى ، عن أبي الفضل المديني ، عن أبي مريم الأنصاري ، عن منهال بن عمرو ، عن زرّ بن حبیش ^(١) قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول : إن العبد إذا أدخل حفرته أتاه ملكان اسمهما : منكر ونكير ، فأول من يسأله عن ربه ، ثم عن نبيّه ، ثم عن وليّه ، فإن أجاب نجا ، وإن عجز عذّباه ؛ فقال له رجل : ما لمن عرف ربه ونبيّه ولم يعرف وليّه ؟ فقال : مذبذب ^(٢) لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلّل الله فلن تجدله سيلاً ، ذلك لاسبيل له . وقد قيل للنبي صلّى الله عليه وآله : من الولي يا نبي الله ؟ قال : وليّكم في هذا الزمان عليّ ، ومن بعده وصيّّه ، ولكل زمان عالم يحتاج الله به لئلا يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياءهم : « ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » تمام ضلالتهم جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء ، فأجابهم الله : « قل كل متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى » وإنما كان تربّصهم أن قالوا : نحن في سعة عن معرفة الأوصياء حتّى نعرف إماماً ، فعيّرتهم الله بذلك ، والأوصياء هم أصحاب الصراط ، وقوف عليه ، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه لأنهم عرفاء الله ، عرفهم عليهم عند أخذ الموائيق عليهم ، ووصفهم في كتابه فقال جلّ وعزّ : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم » هم الشهداء على أوليائهم ، والنبيّ الشهيد عليهم ، أخذ لهم موائيق العباد بالطاعة ، وأخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله عليهم الموائيق بالطاعة ،

(١) قال ابن حجر في ص ١٦٣ من التقریب : زر - بكسر أوله وتشديد الراء - ابن حبیش - بهملة

وموحدة ومعجمة مصغر - ابن جباشة - بضم المهملة - الاسدي ، الكوفي ، أبو مريم ، ثقة ، جليل ، مغمض ، مات سنة إحدى أو اثنين ، أو ثلاث وثمانين ، وهو ابن ١٢٧ سنة انتهى . أقول : كان ذراعاً بالقرآن ، أعرب الناس ، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية ، أورده الشيخ في رجاله في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : كان فاضلاً .

(٢) المذبذب : المتعير والمتردد بين أمرين .

فجرت نبوته عليهم ، و ذلك قول الله : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكتُمون الله حديثاً » . « ير ص ١٤٥ - ١٤٦ »

٤٧ - سنن : أبي ، عن حمزة بن عبد الله ، عن جميل بن درّاج قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم أضعدهم الله بأرواحهم إليه ، فمن قضى له عليه الموت جعله في رياض الجنة كنوزاً^(١) رحمته ، ونور عزّته ؛ وإن لم يقدر عليها الموت بعث بهامع أمّنا من الملائكة إلى الأبدان التي هي فيها . « ص ١٧٨ »

٤٨ - سنن : ابن فضال ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام^(٢) قال : ذكر الأرواح : أرواح المؤمنين ، فقال : يلتقون ؛ قلت : يلتقون ؟ قال : نعم و يتساءلون ويتعارفون حتّى إذا رأيته قلت : فلان . « ص ١٧٨ »

٤٩ - سنن : ابن محبوب ، عن إبراهيم بن إسحاق الجازي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أين أرواح المؤمنين ؟ فقال : أرواح المؤمنين في حجرات في الجنة ، يأكلون من طعامها ، ويشربون من شرابها ، ويتزاورون فيها ، ويقولون : ربّنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا ، قال : قلت : فأين أرواح الكفار ؟ فقال في حجرات النار ،^(٣) يأكلون من طعامها ، ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها ، ويقولون : ربّنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا . « ص ١٧٨ »

٥٠ - سنن : ابن أبي نجران والبرزنطي معاً ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليه السلام قال : إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور ، فيهن صورة أحسنهنّ وجهاً ، وأبهاهنّ هيئةً ، وأطيبهنّ ريحاً ، وأنظفهنّ صورةً ؛ قال : فيقف صورة عن يمينه ، وأخرى عن يساره ، وأخرى بين يديه ، وأخرى خلفه ، وأخرى عند رجله ، وتقف

(١) في المصدر : في كنوز .

(٢) في المصدر : عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام .

(٣) في المصدر : في النار .

التي هي أحسنهن فوق رأسه ، فإن أتتني عن يمينه منعتني التي عن يمينه ، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست ، قال : فتقول أحسنهن صورة : ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً ؟ فتقول التي عن يمين العبد : أنا الصلاة ، وتقول التي عن يساره : أنا الزكاة وتقول التي بين يديه : أنا الصيام ، وتقول التي خلفه : أنا الحج والعمرة ، وتقول التي عند رجله : أنا برّ من وصلت من إخوانك ؛ ثم يقلن : من أنت ؟ فأنت أحسننا وجهاً ، وأطيبنا ريحاً ، وأبهنا هيئة ، فتقول : أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين . « ص ٢٨٨ »

٥١ - ينج : روى عبد الله بن طلحة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ ، قال : هو الرجس ، مسخ ، فإذا قتلته فاغتسل - يعني شكراً - وقال : إن أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدثه فإذا هو الوزغ يولول بلسانه ، فقال أبي عليه السلام للرجل : أتدري ما يقول هذا الوزغ ؟ قال الرجل : لا أعلم ما يقول ، قال : فإنه يقول : لئن ذكرت عثماناً لا سبّني عليّاً ؛ وقال : إنّه ليس يموت من بني أميّة ميت إلا مسخ وزغاً ؛ وقال عليه السلام : إن عبد الملك لما نزل به الموت مسخ وزغاً فكان عنده ولده ولم يدروا كيف يصنعون ، وذهب ثم فقدوه ، فأجمعوا على أن أخذوا جذعاً فصنعوه كهية رجل ففعلوا ذلك ، وألبسوا الجذع ، ثم كفّنوه في الأكفان ، لم يطلع عليه أحد من الناس إلا ولده وأنا .

٥٢ - خص : سعد ، عن ابن عيسى ، ومحمد بن عبد الجبار معاً ، عن ابن بزيع عن منصور بن يونس ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ؛ فقلت له : فسائر الناس ؟ فقال : يلهم عنهم .

٥٣ - شي : عن زيد الشحام قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن عذاب القبر ، قال : إن أبا جعفر عليه السلام حدثنا أن رجلاً أتى سلمان الفارسي فقال : حدثني ؛ فسكت عنه ، ثم عاد فسكت ، فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب » فقال له : أقبل ،

إننا لو وجدنا أميناً لحدّثناه ، ولكن أعدّ لمنكر ونكير^(١) إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله ﷺ ، فإن شككت أو التويت ضرباك على رأسك بمطرقة^(٢) معهما تصير منه رماداً ، قال : فقلت : ثمّ مه ؟ قال : تعود ، ثمّ تعذب ، قلت : وما منكر ونكير ؟ قال : هما قعيدا القبر ، قلت : أملك أن يعذب بان الناس في قبورهم ؟ فقال : نعم .

٥٤ - م : قوله عزّ وجلّ : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » قال الإمام عليّ عليه السلام : قال رسول الله ﷺ لكفار قريش و اليهود : كيف تكفرون بالله الذي دلّكم على طرق الهدى ، وجنبكم إن أطعتموه سبل الردى ، و كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم فأحياكم ، أخرجكم أحياءاً ثم يميتكم في هذه الدنيا و يقبركم ، ثم يحييكم في القبور ، وينعم فيها المؤمنين بنبوّة محمد وولاية عليّ ، ويعذب فيها الكافرين بهما ، ثم إليه ترجعون في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد ، ثم تحيوا للبعث يوم القيامة ، ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها ، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها ؛ ف قيل له : يا بن رسول الله ففي القبور نعيمٌ وعذابٌ ؟ قال : إي والذي بعثت محمداً بالحقّ نبياً ، و جعله زكياً ، هادياً ، مهدياً ، وجعل أخاه عليّاً بالعهد وفيّاً ، وبالحقّ مليّاً ولدى الله مرضيّاً ، وإلى الجهاد سابقاً ، ولله في أحواله موافقاً ، و للمكارم حائزاً ، و بنصر الله على أعدائه فائزاً ، و للعلوم حاوياً ، ولأولياء الله موالياً ، ولأعدائه مناوياً ، وبالخيرات ناوياً ، و للقبائح رافضاً ، و للشيطان مخزياً ، و للفسقة المردة مقصياً ،^(٣) و لمحمد صلى الله عليه وآله نفساً ، و بين يديه لدى المكاره جنةٌ وترساً ، آمنت به أنا وأبي عليّ بن أبي طالب عبد ربّ الأرباب ، المفضّل على أولي الألباب ، الحاوي لعلوم الكتاب ، زين

(١) أي هيا لمساء لهما .

(٢) المطرقة : آلة من حديد ونحوه يضرب بها الحديد ونحوه .

(٣) في تفسير العسكري المطبوع : مفضياً .

من يوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمد صفيّ الكريم العزيز الوهاب ، إن في القبر نعيماً يوفّر الله به حظوظ أوليائه ، وإن في القبر عذاباً يشدّد الله به على أشقياء أعدائه .

أقول : تمامه في باب ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت من قوله : إن المؤمن الموالى إلى آخر الخبر .

٥٥ - البرسيّ في مشارق الأنوار : عن الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الأبرار إن أمير المؤمنين عليه السلام اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر : يا مولاي ألا أفرش لك ثوبي تحتك ؟ فقال : لا إن هي إلا ترربة مؤمن ، أو مزاحمة في مجلسه ، فقال الأصبع بن نباتة : أمّا ترربة مؤمن فقد علمنا أنها كانت أو ستكون ، فما معنى مزاحمة في مجلسه ؟ فقال : يا بن نباتة إن في هذا الظهر أرواح كل مؤمن و مؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور .

٥٦ - شي : عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان : ملك عن يمينه ، وملك عن شماله ، وأقيم الشيطان بين يديه ، عيناه من نحاس ، فيقال له : كيف تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرائيكم ؟ قال : فيفزع لذلك ، فيقول - إن كان مؤمناً - : عن محمد تسألاني ؟ فيقولان له عند ذلك : نم نومةً لاحلم فيها ، ويفسح له في قبره سبعة أذرع ، ويرى مقعداً من الجنة ؛ وإن كان كافراً قيل له : ماتقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرائيكم ؟ فيقول : ما أدري ! ويخلى بينه وبين الشيطان ، ويضرب بمرزبة من حديد يسمع صوته كل شيء ، وهو قول الله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .

شي : عن زرارة ، وجران ، ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله .
٥٧ - قب : كتاب الشيرازي ، سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » يعني بقول : لا إله إلا الله ،

تجد رسول الله في الحياة الدنيا ؛ ثم قال : وفي الآخرة ، قال : هذا في القبر يدخلان عليه ملكان فظان ، غليظان ، يحفران القبر بأنيابهما ، وأصواتهما كالرعد القاصف ،^(١) وأعينهما كالبرق الخاطف ، ومع كل واحد منهما مرزبة فيها ثلاثمائة وستون عقدة ، في كل عقدة^(٢) ثلاثمائة وستون حلقة وزن كل حلقة كوزن حديد الدنيا ، لو اجتمع عليها أهل السماء والأرض أن يقلوها^(٣) ما أقفلوها ، هي في أيديهم أخف من جناح بعوض ، فيدخلان القبر على الميت ، ويجلسانه في قبره ، ويسألانه : من ربك ؟ فيقول المؤمن : الله ربّي ، ثم يقولان : فمن نبيك ؟ فيقول المؤمن : محمد نبيّي ، فيقولان : ما قبلتك ؟ فيقول المؤمن : الكعبة قبلتي ، فيقولان له : من إمامك ؟ فيقول المؤمن : إمامي علي بن أبي طالب ؛ فيقولان له : صدقت . ثم قال : « ويضل الله الظالمين » يعني عن ولاية علي في القبر ، والله ليسألن عن ولايته على الصراط ، والله ليسألن عن ولايته في الحساب^(٤) ثم قال سفيان بن عيينة : ومن روى عن ابن عباس أن المؤمن يقول : القرآن إمامي فقد أصاب أيضاً ، وذلك أن الله تعالى يدين إمامة علي عليه السلام في القرآن . ج ٢ ص ٢١ .

٥٨ - ج١ : علي بن بلال الملهبي ، عن علي بن عبدالله بن أسد الإصفهاني ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن إسماعيل بن يسار ، عن عبدالله بن ملح ، عن عبدالوهاب ابن إبراهيم الأزدي ، عن أبي صادق ، عن مزاحم بن عبدالوارث ، عن محمد بن زكريا ، عن شعيب بن واقد المزني ، عن محمد بن سهل مولى سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس عن أبيه ، عن قيس مولى علي بن أبي طالب عليه السلام قال : إن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان قريباً من الجبل بصفين ، فحضرت صلاة المغرب فأمعن^(٥) بعيداً ، ثم أذن ، فلمّا فرغ عن أذانه إذا رجل مقبل نحو الجبل ، أبيض الرأس واللحية والوجه ، فقال : السلام عليك

(١) في المصدر : العاصف .

(٢) في المصدر : كل عقد .

(٣) قل الشيء : رفعه .

(٤) في المصدر : يوم الحساب .

(٥) أي فأبعد .

يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، مرحباً بوصي خاتم النبيين ، وقائد الغر المحجلين ، والأعز المأمون ، والفاضل الفائز بثواب الصديقين ، وسيد الوصيين ؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وعليك السلام ، ^(١) كيف حالك ؟ فقال : بخير أنا منتظر روح القدس ، ولا أعلم أحداً أعظم في الله عز وجل اسمه بلاءاً ولا أحسن ثواباً منك ، ولا أرفع عند الله مكاناً ، أصبر يا أخي على ما أنت فيه حتى تلقى الحبيب ، فقد رأيت أصحابنا ما لقوا بالأمس من بني إسرائيل ، نشروهم بالمناشير ، وحملوهم على الخشب ، ولو تعلم هذه الوجوه التربة الشائنة ^(٢) - وأوماً بيده إلى أهل الشام - ما أعد لهم في قتالك من عذاب وسوء نكال لا قصرُوا ، ولو تعلم هذه الوجوه المبيضة - وأوماً بيده إلى أهل العراق - ماذا لهم من الثواب في طاعتك لو دت أنتها قرضت بالمقاريض ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . ثم غاب من موضعه ، فقام عمار بن ياسر ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعبادة بن الصامت ، وخزيمة بن ثابت ، وهاشم المرقال في جماعة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام - وقد كانوا سمعوا كلام الرجل - فقالوا : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل ؟ فقال لهم ^(٣) أمير المؤمنين عليه السلام : هذا شمعون وصي عيسى عليه السلام ، بعثه الله يصبرني على قتال أعدائه ، فقالوا له : فذاك آباءنا وأمهاتنا ، والله لننصرنك ^(٤) نصرنا لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يتخلف عنك من المهاجرين والأَنْصار إلا شقي ؛ فقال لهم : أمير المؤمنين عليه السلام : معروفاً . «ص ٦٠-٦٢»

يج : عن علي بن حسان ، عن عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . «ص ١٢٠»

٥٩ - فس : في الخبر الطويل في المعراج عن أبي عبد الله عليه السلام (إلى أن قال :)
فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ^(٥)

(١) ليست في المصدر جملة «وعليك السلام» .

(٢) التربة : الفقيرة ، كأنها الصقت بالتراب . الشائنة : القبيحة المنكرة .

(٣) في المصدر : فقال أمير المؤمنين : هذا شمعون .

(٤) في المصدر : لننصرك .

(٥) في المصدر : ويأكلون الخبيث .

ويدعون الطيب ، فسألت جبرئيل من هؤلاء ؟ ^(١) فقال : الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من أمتك . ^(٢) قال : ثم مررت بأقوام ^(٣) لهم مشافر ^(٤) كمشافر الإبل ، يقرض اللحم من أجسامهم ، ^(٥) ويلقى في أفواههم ، فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : هم ^(٦) الهمّازون اللّمّازون ، ثم مررت بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالصخر . ^(٧) فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : الذين يتركون ^(٨) صلاة العشاء ، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ ^(٩) قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً ، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه ! فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : فهم ^(١٠) الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وإنهم لبسبيل آل فرعون ، يعرضون على النار غدواً وعشيّاً ، يقولون : ربنا متى تقوم الساعة ؟ ولا يعلمون أن الساعة أدهى وأمر ، ثم مررت بنساء ^(١١) معلقات بشديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال :

(١) في المصدر : فقلت من هؤلاء ، يا جبرئيل ؟ فقال : هؤلاء .

(٢) في المصدر وهم من امتك يا محمد .

(٣) في المصدر : ثم مضيت فإذا أنا بأقوام .

(٤) جمع المشفر : الشفة للبعير .

(٥) في المصدر : من جنوبهم .

(٦) في المصدر : هؤلاء .

(٧) في المصدر : ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر . والرضخ : الدق والكسر ،

ويمكن أن يكون من قولهم : تراضخ القوم بالحجارة : إذا تراموا بها . الصخر : الحجر العظيم الصلب .

(٨) في المصدر : هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء .

(٩) في المصدر : من هؤلاء يا جبرئيل ؟

(١٠) في المصدر : هؤلاء الذين .

(١١) في المصدر : ثم مضيت فإذا أنا بنسوان .

من اللواتي^(١) يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم . « ص ٣٧٠ - ٣٧١ »

أقول : سيأتي الخبر بإسناده تماماً في باب المعراج .

٦٠ - يل ، فض : قيل : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام باكياً فقال له النبي صلى الله عليه وآله : ما يبكيك ؟ لا أبكى الله عينك ، قال : توفيت والدتي يا رسول الله ، قال له النبي صلى الله عليه وآله : بل ووالدتي يا علي فلقد كانت تجوع أولادها و تشبعني ، و تشعت أولادها وتدهمني ، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلة فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط ، ثم تجنيه - رضي الله عنها - فإذا خرجوا بنوعمي تناولني ذلك ؛ ثم نهض عليه السلام فأخذ في جهازها وكفنها بقميصه صلى الله عليه وآله ، وكان في حال تشيع جنازتها يرفع قدماً ويتأني في رفع الآخر ، وهو حافي القدم ، فلما صلى عليها كبر سبعين تكبيرة ، ثم لحدها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها ، ولقنها الشهادة ، فلما أهيل عليها التراب^(٢) و أراد الناس الانصراف ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها : ابنك ، ابنك ، ابنك ، لا جعفر ، ولا عقيل ، ابنك ، ابنك : علي بن أبي طالب ، قالوا : يا رسول الله فعلت فعلاً مارأينا مثله قط : مشيك حافي القدم ، وكبرت سبعين تكبيرة ، و نومك في لحدها ، وقميصك عليها ، و قولك لها : ابنك ، ابنك ، لا جعفر ، ولا عقيل ، فقال صلى الله عليه وآله : أمّا التائي في وضع أقدامي و رفعها في حال التشيع للجنازة فلكثرة ازدحام الملائكة ، وأمّا تكبيري سبعين تكبيرة فإنها صلى عليها سبعون صفّاً من الملائكة ، وأمّا نومي في لحدها فإنني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقالت : واضعفاء ، فممت في لحدها لأجل ذلك حتى كفيتهها ذلك ، وأمّا تكفيني لها بقميصي فإنني ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة فقالت : واسوأ تاه ، فكفنتها به ، لتقوم يوم القيامة مستورة ، وأمّا قولي لها : ابنك ، ابنك ، لا جعفر ، ولا عقيل فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت : الله ربّي ، وقالوا : من نبيك ؟ قالت :

(١) في المصدر : هؤلاء .

(٢) أي صب عليها التراب .

محمد نبيي ، فقالا : من وليك وإمامك ؟ فاستحيت أن تقول : ولدي ، فقلت لها : قولي : ابنك علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأقر الله بذلك عينها .

٦١ - كش : روى أصحابنا أن أبا الحسن الرضا عليه السلام قال بعد موت ابن أبي حمزة : ^(١) إنه أقعد في قبره فسئل عن الأئمة عليهم السلام فأخبر بأسمائهم حتى انتهى إلي فسئل فوقف ، فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره ناراً .

٦٢ - كش : محمد بن الحسين ، عن أبي علي الفارسي ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي : مات علي بن أبي حمزة ؟ قلت : نعم ، قل : قد دخل النار ، قال : ففزع من ذلك ، قال : أما إنه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال : لا أعرف إماماً بعده ، فقل : لا ؟ فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً .
بيان : فقل : لا هذا استفهام إنكاري .

٦٣ - جمع : روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضفلة القبر .
« ص ٢٠٤ »

٦٤ - وقال النبي صلى الله عليه وآله : إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقل منه .

٦٥ - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان قال : روى الفضل بن شاذان في كتاب القائم عليه السلام عن ابن طريف ، عن ابن نباتة في حديث طويل يذكر فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج من الكوفة ومرت حتى أتى الغريين فجاره فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب ، فقال له قنبر : يا أمير المؤمنين ألا بسط ثوبي تحتك ؟ قال : لا ، هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمة في مجلسه ؟ قال الأصبع : فقلت : يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد

(١) أي علي بن أبي حمزة البطائني ، قائد أبي بصير يحيى بن القاسم ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام ، ثم وقف على الرضا عليه السلام ، وهو أحد عمال الواقعة ، قيل : كان هو أحد قوام أبي الحسن عليه السلام ، وكان عنده ثلاثون ألف دينار ، ولم يرد المال إلى الرضا عليه السلام ، وكان ذلك سبب وقوفه وجهوده موته .

عرفناه كانت أوتكون ، فممازحته في مجلسه ؟ فقال : يا بن نباتة لو كشف لكم لرأيتكم^(١) أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدّثون ، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن ، و بوادي^(٢) برهوت نسمة كل كافر .

٦٦ - ومن الكتاب المذكور للفضل عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن سنان ، عن عمار بن مروان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أرواح المؤمنين يرون آل محمد عليه السلام في جبال رضوى فتأكل من طعامهم ، وتشرب من شرابهم ، وتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت عليه السلام فإذا قام قائمنا بعثهم الله وأقبلوا معه يلبسون زمرأزمرأ ، فعند ذلك يرتاب المبطلون ، ويضمحل المنتحلون ، وينجو المقرّبون .

٦٧ - ومن كتاب الشفاء والجلاء عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن المؤمن ليقال لروحه وهو يغسل : أيسرك أن تردّ إلى الجسد الذي كنت فيه ؟ فيقول : ما أصنع بالبلاء والخسران والغم .

٦٨ - ك : بعض أصحابنا ، عن علي بن العباس ، عن الحسن بن عبد الرحمن ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : إن الأحلام لم تكن في ماضى في أول الخلق ، وإنما حدثت ، فقلت : وما العلة في ذلك ؟ فقال : إن الله عزّ ذكره بعث رسولا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته فقالوا : إن فعلنا ذلك فما لنا ؟ ما أنت بأكثرنا مالا ولا بأعزّنا عشيرة ، فقال : إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة ، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار ، فقالوا : وما الجنة والنار ؟ فوصف لهم ذلك ، فقالوا : متى نصير إلى ذلك ؟ فقال : إذا متمم ، فقالوا : لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتا ، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً ، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك ، فقال : إن الله عزّ ذكره أراد أن يحتجّ عليكم بهذا ، هكذا تكون أرواحكم إذا متمم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان .

٦٩ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة : حتى إذا انصرف المشيع ورجع

(١) في المحضر المطبوع ص ٤ : لا ليعتكم .

(٢) في المحضر المطبوع ص ٤ : وفي وادي .

المتفجع أقعد في حفرة نجيماً لبهته السؤال و عشرة الامتحان ، وأعظم ما هنالك بليّة
نزل الحميم ، و تصلية الجحيم ، وفورات السعير ، لافرة مريجة ، ولادعة مريجة ،
ولا قوة حازجة ، ولا مودة ناجزة ، ولا سنة مسلية بين أطوار الموتات و عذاب
الساعات .^(١)

بيان : بهته : أخذه بغتة ، وبهت أي دهش وتحير . وفورة الحر : شدته .

٧٠ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة : وبادروا الموت في غمراته ، وامهدوا
له قبل حلوله ، وأعدوا له قبل نزوله ، فإن الغاية القيامة وكفى بذلك واعظاً لمن عقل ،
ومعتبراً لمن جهل ، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس ، وشدة الإبلاس ،
وهول المطلع ، وروعات الفرع ، واختلاف الأضلاع ، واستطكاك الأسماع ، وظلمة اللحد ،
وخيفة الوعد ، وغم الضريح ، وردم الصفيح .

بيان : الأرماس جمع الرمس وهو القبر ، والإبلاس : اليأس والانكسار والحزن .
وقال الجرري : المطلع : مكان الاطلاع من الموضع العالي ، ومنه الحديث : لا فتديت
من هول المطلع أي الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت ،
فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال . واختلاف الأضلاع : كناية عن ضغطة
القبر ، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع واختلافها . والضريح : الشق في وسط القبر ،
واللحد في الجانب . والصفيح : الحجر ، والمراد بردمه هنا سد القبر به .

٧١ - دعوات الراوندي : قال أبو جعفر عليه السلام : من أتى ركوعه لم يدخله
وحشة القبر .

(١) الفترة : السكون ، أي لا يفتر العذاب حتى يستريح من الألم . و الدعة : الراحة و خفض
العيش ؛ والمزيج : المزيل ، أي لا تكون له راحة تزيل ما أصابه من تعب العذاب وألمه . والعاجز :
المانع . والناجز : الحاضر ، أي لا تكون له مودة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور بتلك الآلام .
والسنة بالكسر والتخفيف : فتور يتقدم النوم . والمسلية : المذهلة والملهية عن العذاب والآلام .
و أطوار الموتات : أنواعها وألوانها ، وكل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدها . أشار
عليه السلام بهذه الجملات إلى شدة العذاب والخلود فيه ، كقوله تعالى : «إن المجرمين في عذاب جهنم
خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون » و في قوله : ولا مودة ناجزة ، إشارة إلى عدم الفناء .

٧٢ - وروى ابن عباس : عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث للغيبة ، وثلث للنميمة وثلث للبول .^(١)

٧٣ - وعن النبي ﷺ أن الله تعالى ملكين يقال لهما : ناكرونا كير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه و نبيه و دينه وإمامه ، فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم ، وإن أرتج عليه^(٢) سلموه إلى ملائكة العذاب .

٧٤ - سن : أبي ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : يا أبا محمد إن الميت منكم على هذا الأمر شهيد ، قلت : وإن مات على فراشه ؟ قال : وإن مات على فراشه حي عند ربه يرزق . «ص ١٦٤»

٧٥ - ير : أحمد بن محمد ، عن جعفر بن محمد بن مالك ، عن محمد بن عمار ، عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضة فركب وركبت معه حتى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضة فدخلها ثم خرج فقال : رأيت الخيمة التي دخلتها أولا ؟ فقلت : نعم ، قال : تلك خيمة رسول الله ﷺ ، والأخرى خيمة أمير المؤمنين ، والثالثة خيمة فاطمة ، والرابعة خيمة خديجة ، والخامسة خيمة الحسن ، والسادسة خيمة الحسين ، والسابعة خيمة علي بن الحسين ، والثامنة خيمة أبي ، والتاسعة خيمتي ، وليس أحد منا يموت إلا وله خيمة يسكن فيها . «ص ١١٩»

٧٦ - تفسير النعماني : فيما سيأتي في كتاب القرآن بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : وأما الرد على من أنكر الثواب والعقاب في الدنيا بعد الموت قبل القيامة فيقول الله تعالى : « يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض » الآية « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا

(١) أي لعدم التوقي من البول . وقد وردت روايات تدل على النهي عن الاستحقار بالبول وعن

عدم البلالة باصابة البول الجسد ، راجع أبواب التغلى من الكتاب ومن الوسائل .

(٢) أي استغلق عليه الكلام .

ما شاء ربك ، يعني السماوات والأرض قبل القيامة ، فإذا كانت القيامة بدلت السماوات والأرض ، ومثل قوله تعالى : « ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون » وهو أمرين أمرين ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة ، ومثله قوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة » والغد والعشي لا يكونان في القيامة التي هي دار الخلود ، وإنما يكونان في الدنيا ، وقال الله تعالى في أهل الجنة : « ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً » والبكرة والعشي إنما يكونان من الليل والنهار في جنّة الحياة قبل يوم القيامة ، قال الله تعالى : « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » ومثله قوله سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » الآية .

٧٧ - فس : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه » قال : منكم يعني من الشيعة « إنس ولاجان » قال : معناه : إنه من تولّى أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتبرأ من أعدائه وأحلّ حلاله وحرم حرامه ثم دخل في الذنوب ولم يتب في الدنيا عذب لها ^(١) في البرزخ ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة . « ص ٦٦٠ »

٧٨ - فر : عن أحمد بن علي بن عيسى الزهري رفعه إلى أصبغ بن نباتة قال : توجهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢) لأسلم عليه فلم ألبث أن خرج فقمت قائماً على رجلي فاستقبلته ف ضرب بكفه إلى كفي فشبك أصابعه في أصابعي ثم قال لي : يا أصبغ بن نباتة قلت : لبيك وسعديك يا أمير المؤمنين ، فقال : إن ولينا ولي الله ، فإذا مات كان في الرفيق الأعلى ، وسقاه الله من نهر أبرد من الثلج ، وأحلى من الشهد ؛ فقلت : جعلت فداك وإن كان مذبذباً ؟ قال : نعم ألم تقرأ كتاب الله : « أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » . « ص ١٠٨ »

٧٩ - لى : الحسين بن علي بن أحمد ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي بكر ،

(١) في المصدر : عليها . م .

(٢) في المصدر : توجهت نحو أمير المؤمنين . م .

عن أحمد بن محمد النوفلي، عن إسحاق بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن زرعة بن محمد، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال - : فيينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمرطوال كأنهن من نساء بني هاشم ففرغت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة إننا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم ^(١) أخت موسى، بعثنا الله إليك لنلي منك ماتلي النساء من النساء. الحديث «ص ٣٥٤»

٨٠ - ير: عن معاوية بن حكيم، عن الوشاء قال: قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ههنا والتزمته. «ص ٧٦»

٨١ - ير: محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، وعلي بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن أبي عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وعثمان بن عيسى، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام لقي أبا بكر فاحتج عليه ثم قال له: أما ترضى برسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك؟ قال: وكيف لي به؟ فأخذ بيده وأتى مسجد قبا، فأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فقصى على أبي بكر فرجع أبو بكر مذعوراً فلقي عمر فأخبره فقال: تبألك، أما علمت سحر بني هاشم؟ «ص ٧٧»

٨٢ - ختص: علي بن محمد الحجمال، عن اللؤلؤي، عن محمد بن سنان، عن عبد الملك بن عبد الله القمي، عن أخيه إدريس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينا أنا وأبي متوجّهين إلى مكة وأبي قد تقدمني في موضع يقال له: ضجنان، إذ جاء رجل في عنقه سلسلة يجرها فأقبل عليّ فقال: اسقني اسقني نصاح بي أبي: لا تسقه لاسقاه الله، قال: وفي طلبه رجل يتبعه فجذب سلسلته جذبة طرحه بهافي أسفل درك من النار.

٨٣ - ختص: ابن عيسى، عن الأهوازي، عن الجوهري، عن أبان بن عثمان،

عن بشير النبال قال . قال أبو عبد الله عليه السلام : كنت مع أبي بعسفان ^(١) في واد بها أوبضجنان ، فنفرت بغلته فإذا رجل في عنقه سلسلة ، وطرفها في يد آخر يجره : فقال : اسقني ، فقال الرجل : لا تسقه لاسقاه الله ، فقلت لأبي : من هذا ؟ فقال : هذا معاوية .

٨٤ - ير : عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن إبراهيم بن أبي البلاد ؛ وحدّثني محمد بن الحسين ، عن إبراهيم بن أبي البلاد ، قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : حدّثني عبد الكريم بن حسان ، عن عبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي ^(٢) ، عن أبيه أنّه قال : كنت ردف أبي وهو يريد العريض ^(٣) ، فقال : فلقية شيخ أبيض الرأس واللحية يمشي قال : فنزل إليه فقبل بين عينيه ، فقال إبراهيم : ولأعلمه إلا أنّه قبل يده ، ثم جعل يقول له : جعلت فداك ، و الشيخ يوصيه ^(٤) ، قال : وقام أبي حتّى توارى الشيخ ثم ركب ، فقلت : يا أبة من هذا الذي صنعت به ما لم أرك صنعته بأحد ؟ قال : هذا أبي يابني . «ص ٧٧»

٨٥ - ير : الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن عبد الله بن بشير ، عن عثمان بن مروان ، عن سماعة قال : كنت عند أبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده فقال : أنحب أن ترى أبا عبد الله عليه السلام فقلت : وددت والله ، فقال : قم وادخل ذلك البيت ، فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد . «ص ٧٧»

٨٦ - ير : محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن الحسين بن أبي العلاء ، عن هارون بن خارجة ، عن يحيى بن أمّ الطويل قال : صحبت عليّ بن الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة وهو على بغلته وأنا على راحلة ، فجزنا وادي ضجنان فإذا نحن

(١) بعسفان كعثمان : موضع على مرحلتين من مكة . وضجنان كسكران : جبل قرب مكة ، وجبل آخر بالبادية .

(٢) الموجود في رجال الشيخ : عبيد بن عبد الله بن بشر الخثعمي الكوفي ، عده من اصحاب الصادق عليه السلام .

(٣) عريض كزبير : واد بالمدينة به اموال لاهلها .

(٤) في المصدر بعد ذلك : فكان في آخر ما قال له : انظر لارتفع فلان دعها قال : ا . ه . م

برجل أسود في رقبته سلسلة وهو يقول : يا علي بن الحسين اسقني ، فوضع رأسه على صدره ثم حرك دابته ، قال : فالتفت فإذا برجل يجذبه وهو يقول : لاتسقه لاسقاه الله ، قال : فحركت راحلتي ولحقت بعلي بن الحسين عليه السلام فقال لي : أي شيء رأيت ؟ فأخبرته فقال : ذاك معاوية لعنه الله . «ص ٨٢»

٨٧ - عد : اعتقادنا في النفوس أنها هي الأرواح التي بها الحياة ، وإنها الخلق الأول ، لقول النبي صلى الله عليه وآله : إن أول ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس مقدسة مطهرة فأنطقها بتوحيده ، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه . واعتقادنا فيها أنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء ، لقول النبي صلى الله عليه وآله : ما خلقتم للفناء ، بل خلقتم للبقاء ، وإنما تنقلون من دار إلى دار ، وإنها في الأرض غريبة وفي الأبدان مسجونة . «ص ٧٥» واعتقادنا فيها : أنها إذا فارقت الأبدان فهي باقية ، منها منعمة ، ومنها معدبة ، إلى أن يردّها الله عز وجل بقدرته إلى أبدانها .

وقال عيسى بن مريم للحواريين : بحق أقول لكم : إنّه لا يصعد إلى السماء إلا ما نزل منها . وقال الله جل ثناؤه : « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » فما لم يرفع منها إلى الملكوت فهي تهوى في الهاوية ، وذلك لأن الجنة درجات ، والنادر دركات ، وقال عز وجل : « تعرج الملائكة والروح إليه » وقال عز وجل : « إن المتقين في جنّات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر » وقال تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين » إلى آخرها . وقال تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات » إلى آخرها . وقال النبي صلى الله عليه وآله : الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وقال الصادق عليه السلام : إن الله آخاين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بالف عام ، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورث الأخ الذي آخا بينهما في الأظلة ، ولم يورث الأخ من الولادة .

وقال عليه السلام : إن الأرواح لتلتقي في الهواء فتعارف وتساءل ، فإذا أقبل روح من

الأرض قالوا : دعوه ^(١) فقد أفلتت من هول عظيم ، ثم سألوه ما فعل فلان ، وما فعل فلان فكلما قال : قد بقي رجوه أن يلحق بهم ، وكلما قال : قدمات قالوا : هوى هوى . وقال تعالى : «ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى» وقال تعالى : «وأما من خفت موازينه فأثمّه هاوية وما أدريك ما هي نار حامية» ومثل الدنيا كمثل البحر والملّاح والسفينة .

وقال لقمان لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير ، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله ، واجعل زادك فيها تقوى الله ، واجعل شراعها التوكل على الله ، فإن نجوت فبرحة الله ، وإن هلكت فبذنوبك ، ^(٢) وأشدّ ساعاته ^(٣) يوم يولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث . ^(٤) ولقد سلم الله تعالى على يحيى في هذه الساعات فقال الله تعالى : «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» وقد سلم ^(٥) عيسى على نفسه فقال : «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت» ويوم أبعث حياً .

والاعتقاد في الروح أنه ليس من جنس البدن ، وأنه خلق آخر لقوله تعالى : «ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» .

واعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام أن فيهم خمسة أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح المدرج . وفي المؤمنين أربعة أرواح : روح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح المدرج . وفي الكافرين والبهائم ثلاثة أرواح : روح القوة ، وروح الشهوة ، وروح المدرج . وأما قوله تعالى : «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي» فإنه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع ^(٦) الأئمة وهو من الملكوت ^(٧) . «ص ٧٦-٧٧»

(١) في المصدر : فقالت الارواح دعوه .

(٢) في المصدر : فبذنوبك لا من الله .

(٣) في المصدر : واشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات اه .

(٤) في المصدر : يبعث حيا .

(٥) في المصدر : وقد سلم فيها .

(٦) في المصدر : ومع الملائكة ومع الائمة .

(٧) قال الصدوق بهذه الكلمات : وانا صنف في هذا المعنى كتابا اشرع فيه معاني هذه الجمل .

أقول : قال الشيخ المفيد قدس الله روحه في شرح هذا الكلام : كلام أبي جعفر في النفس والروح ليس على مذهب التحقيق ، فلو اقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه ، ثم قال رحمه الله : النفس عبارة عن معان : أحدها ذات الشيء ، والآخر الدم السائل ، والآخر النفس الذي هو الهوى ، والرابع هو الهوى وميل الطبع ؛ فأما شاهد المعنى الأول فهو قولهم : هذا نفس الشيء ، أي ذاته وعينه ؛ وشاهد الثاني قولهم : كلما كانت النفس سائلة فحكمه كذا وكذا ؛ وشاهد الثالث قولهم : فلان هلكت نفسه إذا انقطع نفسه ولم يبق في جسمه هواء يخرج من حواسه ؛ وشاهد الرابع قول الله تعالى : « إن النفس لأماراة بالسوء » يعني الهوى داع إلى القبيح ، وقد يعبر بالنفس عن النعمة ، قال الله : « ويحذركم الله نفسه » يريد به نعمته وعقابه .^(١) وأما الروح فعبارة عن معان : أحدها الحياة ، والثاني القرآن ، والثالث ملك من ملائكة الله ، والرابع جبرئيل عليه السلام ؛ فشاهد الأول قولهم : كل ذي روح فحكمه كذا ، يريدون كل ذي حياة ، وقولهم فيمن مات : قد خرجت منه الروح يعنون الحياة ؛ وشاهد الثاني قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » يعني القرآن ؛ وشاهد الثالث قوله : « يوم يقوم الروح والملائكة » وشاهد الرابع قوله

(١) وللنفس معنى آخر يستعمل كثيراً في الكتاب والسنة كقوله تعالى : « لا أقسم بالنفس اللوامة ،

ويا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » وقوله : « ونفس وما سواها فالهيمها فجورها وتقواها » وقوله : « ونهى النفس عن الهوى » وكقول علي عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربه . كما ان للروح معنى آخر كقوله تعالى : « يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي » وقوله : « ونفخنا فيها من روحنا » وقوله : « ونفخت فيه من روحي » وهو الذي يسمى بالنفس الناطقة والروح الانساني وهو جوهر مجرد مدرك للكميات والمعقولات ومبدء لجميع الافاعيل الصادرة عن الانسان ، ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، لكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، وهو الذي يشير الانسان اليه بقوله : « انا » وعلى هذا المعنى استقر رأى الفلاسفة الاسلامية والحكماء الالهيين ، واكثر المتكلمين من المذهب الاسلامية وسيجيء منه ايعاز الى ذلك ، وإشارة الى تجرده .

تعالى : « قل نزله روح القدس » يعني جبرئيل عليه السلام . فأما ما ذكره أبو جعفر ورواه أن
 الأرواح مخلوقة قبل الأجسام بألفي عام فماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف
 فهو حديث من أحاديث الآحاد ، وخبر من طرق الأفراد ، وله وجه غير ما ظنه من لا علم
 له بحقائق الأشياء ، وهو أن الله تعالى خلق الملائكة عليهم السلام قبل البشر بألفي عام ، فما
 تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر ، ومالم يتعارف منها إذ ذاك اختلف
 بعد خلق البشر ، وليس الأمر كما ظنه أصحاب التناسخ ، ودخلت الشبهة فيه على
 حشوية الشيعة فتوهّموا أن الذوات الفعالة المأمورة المنهية كانت مخلوقة في الذر ،
 وتتعارف وتعقل وتفهم وتنطق ، ثم خلق الله لها أجساداً من بعد ذلك فركبها فيها ، ولو كان
 ذلك كذلك لكنّا نعرف ما كنا عليه ، وإذا ذكرنا به ذكرناه ، ولا يخفى علينا الحال فيه
 ألا ترى أن من نشأ ببلد من البلاد فأقام فيها حولاً ثم انتقل إلى غيره لم يذهب عنه علم
 ذلك ، وإن خفي عليه لسهوه عنه فذكر به ذكره ، ولولا أن الأمر كذلك لجاز أن يولد
 إنسان منّا ببغداد وينشأ بها ويقيم عشرين سنة فيها ثم ينتقل منها إلى مصر آخر فينسى
 حاله ببغداد ولا يذكر منها شيئاً وإن ذكر به وعدّ عليه علامات حاله ومكانه ونشوه ،
 وهذا ما لا يذهب إليه عاقل .

و الذي صرح به أبو جعفر في معنى الروح والنفس هو قول التناسخية بعينه من
 غير أن يعلم أنه قولهم ، فالجناية بذلك على نفسه وغيره عظيمة .

وأما ما ذكره من أن النفس باقية فعبارة مذمومة ولفظ يضاد ألفاظ القرآن ،
 قال الله تعالى : « كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام » و الذي
 حكاه من ذلك وتوهّمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الذين زعموا أن النفس
 لا يلحقها الكون والفساد وأنها باقية ، وإنما تفنى وتفسد الأجسام المركبة ، وإلى هذا
 ذهب بعض أصحاب التناسخ ، وزعموا أن النفس لم تنزل تتكرر في الصور والهيكل لم
 تحدث ولم تفن ولم تعدم وأنها باقية غير فانية ، وهذا من أخبث قول وأبعده من الصواب ،
 وشنع به الناصبة على الشيعة ونسبوه به إلى الزندقة ولو عرف مثبته ما فيه لما تعرض له ،
 لكن أصحابنا المتعلقين بالأخبار أصحاب سلامة و بعد ذهن و قلة فطنة ، يمرّون على

وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث ولا ينظرون في سندها ، ولا يفرقون بين حقها وباطلها ، ولا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها ، ولا يحصلون معاني ما يطلقونه منها ؛ والذي ثبت من الحديث في هذا الباب أن الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين : منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب ، ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب .

وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبينناه ، فسئل عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه ؟ فقال : من مات وهو محض للإيمان محضاً أو محض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة ، وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة ، فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه ورد روحه إلى جسده وحشره ليوفيه أعماله ، فالمؤمن ينتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنات من جنات الدنيا يتنعم فيها إلى يوم المآب ، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويجعل في نار فيعذب بها إلى يوم القيامة ، وشاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى : « قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي » وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » فأخبر سبحانه أن مؤمناً قال بعد موته وقد أدخل الجنة : يا ليت قومي يعلمون ، وأخبر أن كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار ، والضرب الآخر من يلهى عنه ويعدم نفسه عند فساد جسمه ، فلا يشعر بشيء حتى يبعث ، وهو من لم يحض الإيمان محضاً ، ولا الكفر محضاً ، وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله : « إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً » فبين أن قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم أن ذلك كان عشرأ ، أو يظن بعضهم : أن ذلك كان يوماً ، وليس يجوز أن يكون ذلك من وصف من عذب إلى بعثه ونعم إلى بعثه ، لأن من لم يزل منعماً أو معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ، ولا يلتبس عليه الأمر في بقاءه بعد وفاته .

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ، فأما ما سوى هذين فإنه يلهى عنه ، وقال في الرجعة :

إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم عليه السلام من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، فأمّا ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب . وقد اختلف أصحابنا فيمن ينعم و يعذب بعد موته فقال بعضهم : المنعم والمعذب هو الروح التي توجه إليها الأمر والنهي والتكليف ، وسموها جوهرأ ، وقال آخرون : بل الروح : الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا ، وكلا الأمرين يجوزان في العقل ، والأظهر عندي قول من قال : إنها الجوهر المخطب ، وهو الذي تسميه الفلاسفة البسيط ، وقد جاء في الحديث أن الأنبياء صلوات الله عليهم خاصة و الأئمة عليهم السلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء فينعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا ، و هذا خاص بحجج الله دون من سواهم من الناس .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : من صلى عليّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليّ من بعيد بلغته .

وقال صلى الله عليه وآله : من صلى عليّ مرة صليت عليه عشرأ ، و من صلى عليّ عشرأ صليت عليه مائة ، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليّ أو فليقل . فبين أنه صلى الله عليه وآله بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه ، ولا يكون كذاك إلا وهو حيّ عند الله تعالى ، وكذلك أئمة الهدى صلوات الله عليهم يسمعون سلام المسلم عليهم من قرب و يبلغهم سلامه من بعد ، و بذلك جاءت الآثار الصادقة عنهم ، وقد قال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء » الآية .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه وقف على قلب ^(١) بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ وقد ألقوا في القلب : لقد كنتم جيران سوء لرسول الله صلى الله عليه وآله ، أخرجتموه من منزله و طردتموه ، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقأ ، ^(٢) فقال له عمر : يا رسول الله : ما خطابك لهم قد صدت ؟ ^(٣) فقال له : مه يا بن الخطاب ، فوالله

(١) القلب : البشر .

(٢) في شرح العقائد المطبوع هنا زيادة وهي : فهل وجدت ما وعدكم ربكم حقاً .

(٣) الهام جمع الهامة : رأس كل شيء . رئيس القوم وسيدهم . جماعة الناس ، و تطلق على

الجنة أيضاً . صدت أي ماتت .

ما أنت بأسمع منهم ، وما بينهم و بين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد^(١) إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم .

و عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل بين الصفوف حتى مرّ على كعب بن سورة - وكان هذا قاضي البصرة ولأه إيساها عمر بن الخطاب فأقام بها قاضياً بين أهلها زمن عمر و عثمان ، فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفاً وخرج بأهله و ولده يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام فقتلوا بأجمعهم - فوقف عليه أمير المؤمنين وهو صريع بين القتلى فقال : أجلسوا كعب بن سورة ، فأجلس بين نفسين ، فقال : يا كعب بن سورة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : اضجعوا كعباً ؛ وسار قليلاً فمرّ بطلحة بن عبد الله صريعاً فقال : أجلسوا طلحة ، فأجلسوه ، فقال : يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : اضجعوا طلحة ، فقال له رجل من أصحابه : يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك ؟ فقال : يا رجل فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وهذا من الأخبار الدالة على أن بعض من يموت تردّ إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه ، و ليس ذلك بعامّ في كلّ من يموت بل هو على ما بيننا . انتهى كلامه رحمه الله .

و أقول : أمّا تشنيعه على الصدوق رحمه الله بالقول بسبق الأرواح فسيأتي في كتاب السماء والعالم أخبار مستفيضة في ذلك ولا استبعاد فيه ، ولم يقم برهان تامّ على نفيه ، وما ذكره من أنه لا بدّ أن يذكر الإنسان تلك الحالة فغير مسلم مع بعد العهد وتخلل حالة الجنينية والطفولية وغيرهما بينهما ، ولا استبعاد في أن ينسيه الله تعالى ذلك لكثير من المصالح ، مع أننا لا نذكر أكثر أحوال الطفولية فأيّ استبعاد في نسيان ما قبلها ؟ وأمّا القول ببقاء الأرواح فقد قال رحمه الله به في بعضها فأيّ استبعاد في القول بذلك في جميعها ؟ وما ذكره من الأخبار لا يدلّ على فناء الأرواح الملهو عنهم ، بل على

(١) في نسخة : بمقامع من حديد . و المقامع جمع المقعة ، وهي خشبة أو حديدة يضرب بها

عدم إثابتها وتعذيبها ، وإن كان الطعن على الصدوق في أنه يتضمن كلامه أنه لا يفني الله الأرواح في وقت من الأوقات فليس كلامه مصرحاً بذلك مع أن في إفنائها ايضاً كلاماً سيأتى في موضعه .

٨٨ - ما : محمد بن أحمد بن شاذان القمي ، عن أبي عبد الله محمد بن علي ، عن محمد بن جعفر بن بطّة ، عن محمد بن الحسن ، عن حمزة بن يعلى ، عن محمد بن داود النهدي ، عن علي بن الحكم ، عن الربيع بن محمد المسلي^(١) عن عبد الله بن سليمان^(٢) عن الباقر عليه السلام قال : سألته عن زيارة القبور ، قال : إذا كان يوم الجمعة فزورهم ، فإنه من كان منهم في ضيق وسّع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يعلمون بمن أتاهم في كل يوم ، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى ؛ قلت : فيعلمون بمن أتاهم فيخرجون به ؟ قال : نعم ويستوحشون له إذا انصرف عنهم . « ص ٧١ »

بيان : السدى بالضم ويفتح : المهمل ، ولعل المعنى : أنهم يوم الجمعة بعد طلوع الشمس ايضاً مهملون غير معدّين ، أو المعنى أنه يوسّع عليهم في يوم الجمعة أو الزيارة في يوم الجمعة تصير سدىً لذلك . وقوله : ما بين طلوع الفجر استيناف كلام . أي في كل يوم يطلعون على زوارهم في ذلك الوقت لأنهم في القبور فإذا طلعت الشمس يرحص لهم فيخرجون من قبورهم .

٨٩ - ٣٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره ، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب ؛ قال : ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله . « ف ج ١ ص ٦٢ »

(١) قال النجاشي : ربيع بن محمد بن عمر بن حسان الاصم المسلي - ومسلمية قبيلة من مذحج وهي مسلمية بن عامر بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن ادد - روى عن أبي عبد الله عليه السلام ذكره أصحاب الرجال في كتبهم ، له كتاب يرويه جماعة اه . قال الفيروز آبادي في القاموس : مسلمية كمحسنة أبوبطن .

(٢) لعنه الله بن سليمان العامري الكوفي المذكور في رجال الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ، راجع جامع الرواة ج ١ ص ٤٨٦ .

٩٠- كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مامن مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس ، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك ، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة . « ف ج ١ ص ٦٢ »

٩١- كا : العدة ، عن سهل ، عن ابن محبوب ، عن إسحاق بن عمار ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : سألت عن الميت يزور أهله ؟ قال : نعم ، فقلت : في كم يزور ؟ قال : في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته ، فقلت : في أي صورة يأتيهم ؟ قال : في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم ، فإن رآهم بخير فرح ، وإن رآهم بشر وحاجة وحزن اغتم . « ف ج ٢ ص ٦٢-٦٣ »

٩٢- كا : العدة ، عن سهل ، عن إسماعيل بن مهران ، عن درست الواسطي عن إسحاق بن عمار ، عن عبد الرحيم القصير قال : قلت له : المؤمن يزور أهله ؟ فقال : نعم يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم . « ف ج ١ ص ٦٣ »

٩٣- كا : العدة ، عن سهل ، عن محمد بن سنان ، عن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : يزور المؤمن أهله ؟ فقال : نعم ، فقلت : في كم ؟ قال علي قدر فضائلهم ، منهم من يزور في كل يوم ، ومنهم من يزور في كل يومين ، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام ؛ قال : ثم رأيت في مجرى كلامه يقول : ^(١) أدناهم منزلة يزور كل جمعة ؛ قال : قلت : في أي ساعة ؟ قال : عند زوال الشمس و مثل ذلك ، قال : قلت : في أي صورة ؟ قال : في صورة العصفور أو أصغر من ذلك ، يبعث ^(٢) الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ، ويستر عنه ما يكره ، فيرى ما يسره ويرجع إلى قرّة عين . « ف ج ١ ص ٦٣ »

(١) في المصدر : انه يقول .

(٢) في المصدر : يبعث الله .

أقول : روى السيّد في سعد السعود من كتاب عبد الواحد بن عبد الله بن يونس الموصليّ قال : أخبرنا محمد بن عليّ ، عن أبي جعفر بن عبد الجبار ، عن إبراهيم بن عبد الحميد قال : كان أبو الحسن موسى عليه السلام في دار أبيه فتحول منها بعياله ، فقلت له : جعلت فداك أتحوّلت من دار أبيك ؟ فقال : إنني أحببت أن أوسع على عيال أبي إنهم كانوا في ضيق فأحببت أن أوسع عليهم حتّى يعلم أنني وسّعت على عياله ، قلت : جعلت فداك هذا للإمام خاصّة أو للمؤمنين ؟ قال : هذا للإمام و للمؤمنين ، مامن مؤمن إلا وهو يلم^(١) بأهله كلّ جمعة ، فإن رأى خيراً حمد الله عزّ وجلّ ، وإن رأى غير ذلك استغفر واسترجع .

٩٤ - ٥ : العدد ، عن سهل ، عن الحسن بن عليّ ، عن بشير الدهان ، عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ وعليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي جميلة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حمّله : ألا تسمعون يا إخوتاه ، إنني أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقيّ : إن عدوّ الله ^(٢) خدعني فأوردني ثم لم يصدرني . وأقسم لي إنّه ناصح لي فغشني و أشكو إليكم دنياً غرّتني حتّى إذا اطمأنتت إليها صرعتني ، و أشكو إليكم أخلاً الهوى منوني ^(٣) ثم تبرّؤوا منّي وخذلوني ، و أشكو إليكم أولاداً حميت عنهم و آثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني ، و أشكو إليكم ما لا منعت فيه ^(٤) حقّ الله فكان وباله عليّ و كان نفعه لغيري ، و أشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريّتي وصار سكّانها غيري و أشكو إليكم طول الثوى ^(٥) في قبري ينادي : أنا بيت الدود ، أنا بيت الظلمة والوحشة والضيق ، يا إخوتاه فاحبسوني ما استطعتم . واحذروا مثل ما لقيت ، فإنني قد بشرت بالنار والذلّ والصغار وغضب العزيز الجبار ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله ^(٦) و يا طول

(١) ألم بفلان : أتاه فنزل به .

(٢) أراد الشيطان .

(٣) أي ابتلوني .

(٤) في المصدر : منعت منه خ ل ضيقت فيه .

(٥) الصحيح كما في الكافي الثواء بالمد ، وهو الإقامة .

(٦) أي في طاعة الله .

عولته^(١) فمالي من شفيع يطاع ، ولا صديق يرحمني ، فلو أن لي كرة^(٢) فأكون من المؤمنين . «فج ١ ص ٦٣-٦٤»

٩٥ - كا : محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله . وزاد فيه : فما يفتقر^(٣) ينادي حتى يدخل قبره ، فإذا أدخل حفرته ردت الروح في جسده ، وجاء ملكا القبر فامتحناه ، قال : وكان أبو جعفر عليه السلام يبكي إذا ذكر هذا الحديث . «فج ١ ص ٦٤»

٩٦ - كا : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر قال : قال علي بن الحسين عليه السلام : ما ندري كيف نصنع بالناس ؟ ! إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ضحكوا ، وإن سكتنا لم يسعنا . قال : فقال ضمرة بن معبد^(٤) : حدثنا ، فقال : هل تدرون ما يقول عدو الله إذا حمل على سريرته ؟ قال : قلنا : لا ؛ قال : فإنه يقول لحملته : ألا تسمعون ؟ إنني أشكو إليكم عدو الله خدعني وأوردني ثم لم يصدرني ، وأشكو إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني ،^(٥) وأشكو إليكم داراً أنفقت فيها حريبتني فصار سكاها غيري ، فارقوا بي ولا تستعجلوا . قال ضمرة : يا أبا الحسن إن كان هذا يتكلم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونه ، قال : فقال علي بن الحسين عليه السلام : اللهم إن كان ضمرة هزأ من حديث رسولك فخذ أخذه أسف ، قال : فمكث أربعين يوماً ثم مات ، فحضره مولى له قال : فلمّا دفن أتى علي بن

(١) الدولة والويل : رفع الصوت بالبكاء . وفي المصدر : عويله خ ل .

(٢) الكرة : الرجوع إلى الدنيا .

(٣) أي لا يسكن ولا ينقطع .

(٤) في الكافي والمرآت المطبوعين : ضمرة بن معبد (سعيدخل) ولعله هو ضمرة بن سعيد بن

أبي حنة المترجم في تقريب التهذيب بقوله : ضمرة بن سعيد بن أبي حنة - بمهمله ثم نون ، وقيل : موحدة - الانصاري المدني ثقة من الرابعة .

(٥) في الكافي المطبوع هنا زيادة وهي هذه : و أشكو إليكم أولاداً حاميت عليهم (عنهم خل)

فخذلوني .

الحسين عليه السلام فجلس إليه فقال له : من أين جئت يا فلان ؟ قال : من جنازة ضمرة ، فوضعت وجهي عليه حين سوتي عليه فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حي وهو يقول : و يلك يا ضمرة بن معبد ! اليوم خذلك كل خليل وصار مصيرك إلى الجحيم فيها مسكنك و مبيتك و المقيل . قال : فقال علي بن الحسين عليه السلام : أسأل الله العافية ، هذا جزاء من يهزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله . « ف ج ١ ص ٦٤ »

توضيح : حريبة الرجل ماله الذي يعيش به .

٩٧ - ١٥ : أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الحجّال ، عن ثعلبة عن أبي بكر الحضرمي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ، والآخرون يلهون عنهم .^(١) « ف ج ١ ص ٦٤ »

٩٨ - ١٥ : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما يسأل في قبره من محض الإيمان والكفر محضاً ، وأما ما سوى ذلك فيلهي عنه . « ف ج ١ ص ٦٤ »

٩٩ - ١٥ : أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل ، عن منصور بن يونس ، عن ابن بكير ، عن أبي جعفر عليه السلام مثله^(٢) . « ف ج ١ ص ٦٤ »

١٠٠ - ١٥ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن بريد بن معاوية ، عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً . « ف ج ١ ص ٦٤ »

بيان : من محض بفتح الميم اسم موصول ؛ وبكسر الميم حرف جر وقراءة محض مصدرأ ليكون المعنى : أنه لا يسأل عن الأعمال بل عن العقائد تصحيف يأباه صريح الأخبار ، بل المعنى : أنه لا يسأل عن المستضعفين المتوسطين بين الإيمان والكفر .

١٠١ - ١٥ : بهذا الإسناد ، عن يحيى الحلبي ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي

بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يسأل وهو مضغوط « ف ج ١ ص ٦٤ »

(١) ليس اللهو على معناه الحقيقي ، بل هو كناية عن عدم التعرض لهم بسؤال أو نواب وعقاب .

(٢) في هامش الكافي المطبوع : هذا الحديث لم يوجد في كثير من النسخ .

بيان : لعل المعنى أن الضغطة و السؤال متلازمان ، فكل من لا يضغط لا يسأل وبالعكس ؛ أو يسأل في حالة الضغطة ؛ ويحتمل أن يكون الغرض إثبات الحالتين حسب .
 ١٠٢ - ٥ : عدة من أصحابنا ، عن البرقي ، عن عثمان بن عيسى ، عن البطائني عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيملت من ضغطة القبر أحد ؟ قال : فقال : نعوذ بالله منها ، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر ! إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس : إنني ذكرت هذه ومالقيت ، فرقت لها واستوهبتها من ضغطة القبر ، ^(١) قال : فقال : اللهم هب لي رقية من ضغطة القبر فوهبها الله له . قال : وإن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جنازة سعد وقد شيعة سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء ثم قال : مثل سعد يضم ؟ قال : قلت : جعلت فداك إنما حدث أنه كان يستخف بالبول ، فقال : معاذ الله إنما كان من زعارة ^(٢) في خلقه على أهله ، قال : فقالت أم سعد : هنيئاً لك يا سعد ، قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أم سعد لا تحتمي على الله . ^(٣) «فج ١ ص ٦٤»

١٠٣ - ٥ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي ، عن غالب بن عثمان ، عن بشير الدهقان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يجيء الملكان : منكر ونكير إلى الميت حين يدفن ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، بخطمان الأرض ^(٤) بأنيا بهما ، ويطآن في شعورهما ، فيسألان الميت : من ربك وما دينك ؟ قال : فإذا كان مؤمناً قال : الله ربّي ، و ديني الإسلام ؛ فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرا نبيكم ؟ فيقول : أعن محمد رسول الله تسألاني ؟ فيقولان له : تشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله ، فيقولان له : ثم نومة لا حلم فيها ؛ و يفسح له في قبره تسعة أذرع ، و يفتح له باب إلى الجنة و يرى مقعده فيها ، وإذا كان الرجل كافراً دخلاً عليه و أقيم الشيطان بين يديه ، عيناه من

(١) في الكافي المطبوع : من ضمة القبر ، وكذا فيما بعده . وهو أيضاً بمعنى الضغطة .

(٢) الزعارة بتخفيف الراء ، وتشديد هاء : سوء الخلق .

(٣) أي لا توجي على الله ؛ من حتم الشيء عليه : أوجبه .

(٤) من يخط القبر أي يحفره . وفي الكافي المطبوع : يخذان الأرض ، أي يشقان الأرض .

نحاس ، فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقول في هذا الرجل الذي قد خرج من بين ظهرانيكم ، فيقول : لا أدري ، فيخليان بينه وبين الشيطان فيسلط عليه في قبره تسعة وتسعين تديناً ، ولو أن تديناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً ، ويفتح له باب إلى النار ويرى مقعده فيها . « ف ج ١ ص ٦٤ »

ايضاح : قال الجزري : فيه : الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ؛ الحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، والحلم على ما يراه من الشر والشيء القبيح .

١٠٤ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمعون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن القاسم ، عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أصلحك الله من المسؤولون في قبورهم ؟ قال : من محض الإيمان ومن محض الكفر ، قال : قلت : فبقية هذا الخلق ؟ قال : يلهون ^(١) والله عنهم ما يعبأ بهم ، قال : وقلت : وعم يسألون ؟ قال : عن الحجّة القائمة بين أظهركم فيقال للمؤمن : مات قول في فلان بن فلان ؟ فيقول : ذاك إمامي ، فيقول : نعم أنام الله عينيك ، ويفتح له باب من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة ؛ ويقال للكافر : مات قول في فلان بن فلان ؟ قال : فيقول : قد سمعت به وما أدري ما هو ؛ فيقال له : لا دريت ، قال : ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة . « ف ج ١ ص ٦٤ - ٦٥ »

١٠٥ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن حديد ، عن جميل ، عن عمرو بن الأشعث أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : يسأل الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنة ، وقيل له : نم نومة العروس قرير العين . « ف ج ١ ص ٦٥ »

١٠٦ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا وضع الرجل في قبره أتاه ملكان : ملك عن يمينه ، وملك عن يساره ، وأقيم الشيطان بين عينيّه ، عيناه

(١) في المصدر : يلهي .

من نحاس فيقال له : كيف تقول في الرجل الذي كان ^(١) بين ظهرانيكم ؟ قال : فيفزع له فرعة ، فيقول إذا كان مؤمناً : أعن محمد رسول الله ﷺ تسألاني ؟ فيقولان له : نم نومة لاحلم فيها ، ويفسح له في قبره تسعة أذرع ، ويرى مقعده من الجنة ، وهو قول الله عز وجل : « يثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » فإذا ^(٢) كان كافراً قال له : من هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم ؟ فيقول : لأدري ، فيخلىان بينه وبين الشيطان . « ف ج ١ ص ٦٥ »

ين : النضر ، عن عاصم مثله .

١٠٧ - ١٠٨ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن إبراهيم ابن أبي البلاد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : يقال للمؤمن في قبره : من ربك ؟ قال : فيقول : الله ، فيقال له : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام ، فيقال : من نبيك ؟ فيقول : محمد ﷺ ، فيقال : من إمامك ؟ فيقول : فلان ، فيقال : كيف علمت بذلك ؟ فيقول : أمر هداني الله له وثبتني عليه ، فيقال له : نم نومة لاحلم فيها نومة العروس ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل إليه من روحها وريحانها ، فيقول : يارب عجل قيام الساعة لعلّي أرجع إلى أهلي ومالي ، ويقال للكافر : من ربك ؟ فيقول : الله ، فيقال : من نبيك ؟ فيقول : محمد ، فيقال : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام ، فيقال : من أين علمت ذلك ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون فقلت ، فيضربانه بمرزبة لواجتمع عليها الثقلان : الإِنس والجن لم يطيقوها ، قال : فيذوب كما يذوب الرصاص ، ثم يعيدان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار ، فيقول : يارب آخر قيام الساعة . « ف ج ١ ص ٦٥ »

ين : ابن أبي البلاد مثله .

بيان : هذا الخبر يدل على أن إسلام المخالفين لعدم توسلهم بأئمة الهدى ﷺ ظنيّ تقليديّ لم يهدمهم الله للرسوخ فيه ، وإنّما الهداية واليقين مع متابعتهم ﷺ .

١٠٨ - ١٠٩ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ،

(١) ليست في المصدر : كلمة « كان » .

(٢) في المصدر : وإذا .

عن القاسم بن محمد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
 إن المؤمن إذا أُخرج من بيته ^(١) شيعة ^(١) الملائكة إلى قبره يزدهون عليه ، حتى إذا
 انتهى به إلى قبره قالت له الأرض : مرحباً بك وأهلاً ، أما والله لقد كنت أحب أن يمشي
 عليّ مثلك ، لترين ما أصنع بك ؛ فيوسع له مدبصره ، ويدخل عليه في قبره ملكا القبر
 وهما قعيدا القبر : ^(٢) منكرو نكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه
 فيقولان : ^(٣) من ربك ؟ فيقول : الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : الإسلام ، فيقولان :
 من نبيك ؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وآله ، فيقولان : ومن إمامك ؟ فيقول : فلان ؛ قال : فينادي مناد
 من السماء : صدق عبدي ، افرشوا له في قبره من الجنة ، وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنة ،
 والبسوه من ثياب الجنة حتى يأتينا ، وما عندنا خير له ؛ ثم يقال له : نم نومة العروس
 نم نومة لاحلم فيها . قال : وإن كان كافراً أخرجت الملائكة تشيعة إلى قبره يلعنونه حتى
 إذا انتهى إلى قبره قالت له الأرض : لا مرحباً بك ولا أهلاً ، أما والله لقد كنت أبغض أن
 يمشي عليّ مثلك ، لاجرم لترين ما أصنع بك اليوم ، فتضيق عليه حتى تلتقي جوانحه ؛ ^(٤)
 قال : ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر : منكرو نكير ؛ قال أبو بصير : جعلت
 فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة ؟ فقال : لا ، قال : فيقعدانه ويلقيان فيه
 الروح إلى حقويه فيقولان له : من ربك ؟ فيتلجلج ^(٥) ويقول : قد سمعت الناس يقولون ،
 فيقولان له : لادريت ، ويقولان له ما دينك ؟ فيتلجلج ، فيقولان له : لادريت ، ويقولان
 له : من نبيك ؟ فيقول : قد سمعت الناس يقولون ، فيقولان له : لادريت ويسأل من
 إمام زمانه قال : فينادي مناد من السماء : كذب عبدي ، افرشوا له في قبره من النار ،
 والبسوه من ثياب النار ، وافتحوا له باباً إلى النار حتى يأتينا ، وما عندنا شر له ، فيضربانه
 بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا يتطاير قبره ناراً ، لو ضرب بتلك المرزبة جبال

(١) في المصدر : شيعة .

(٢) القعيد فعيل بمعنى الفاعل : الذي يصاحبك في قعودك .

(٣) في المصدر : فيقولان له .

(٤) الجوانح : الاضلاع مما يلي الصدر ، والواحدة منها جانحة .

(٥) التلجلج : التردد في الكلام .

تهامة لكانت رميماً . وقال أبو عبد الله عليه السلام : ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً ، والشيطان يغمّه غمّاً ، قال : ويسمع عذابه من خلق الله إلا الجنّ والإنس ، قال : وإنّه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم ، وهو قول الله عزّ وجلّ : «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» .

« ف ج ١ ص ٦٥ »

شى : عن أبي بصير مثله .

بيان : قوله : لا دريت دعاء عليه ، أو استفهام إنكاريّ أي علمت وتمتّ الحجّة عليك في الدنيا وإنّما جحدت بشقاوتك .

١٠٩ - كا : عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن كولوم ، عن أبي سعيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن يساره ، والبرمّ مطلّ عليه ،^(١) قال : فيتنحّى الصبر ناحية ، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة : دونكما صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنادونه . « ف ج ١ ص ٦٥ - ٦٦ »

١١٠ - كا : عليّ بن محمد ، عن أحمد الخراساني ،^(٢) عن أبيه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا وضع الميّت في قبره مثّل له شخص فقال له : يا هذا كنّا ثلاثة ، كان رزقك فانقطع بانقطاع أجلك ، وكان أهلوك فخلّفوك وانصرفوا عنك ، وكنت عمّلك فبقيت معك ، أما إنّي كنت أهون الثلاثة عليك . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١١ - كا : عنه ، عن أبيه رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يسأل الميّت في قبره

(١) أطل عليه : أشرف : وفي المصدر بالظاء المعجمة . وربما يستدلّ بأمثاله على تجسّم الأعمال في النشأة الآخرة ، ويمكن أن يخلق الله تعالى بأزواء كل منها صورة تناسبه ، ويمكن حمله على الاستعارة التمثيلية أيضاً ، لكن عدم التصرف في الظواهر مع عدم الضرورة أحوط وأولى ، قاله المصنف في كتابه مرآة العقول .

(٢) في المصدر : عن محمد بن أحمد الخراساني ، عن أبيه .

عن خمس : عن صلاته ، وزكاته ، وحجته ، وصيامه ، وولايته إيانا أهل البيت ، فتقول
الولاية عن جانب القبر للأربع : ما دخل فيكن من نقص فعلي تمامه . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٢ - كا : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سأله عن
المصلوب : يعذب عذاب القبر ؟ قال : فقال : نعم إن الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغطه .
« ف ج ١ ص ٦٦ »

وفي رواية أخرى : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر ؟ فقال :
إن رب الأرض هورب الهواء ، فيوحي الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشد من
ضغطة القبر . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٣ - كا : حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ،
عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام قال : لما ماتت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قال رسول
الله صلى الله عليه وآله : الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وأصحابه ؛ قال : و فاطمة عليها السلام على
شفير القبر تنحدر دموعها في القبر ، و رسول الله صلى الله عليه وآله يتلقاه ^(١) بثوبه قائم ^(٢) يدعو ،
قال : إنني لأعرف ضعفها وسألت الله عز وجل أن يجيرها من ضمة القبر . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٤ - كا : محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن
سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرّات : أنا بيت
التراب ، أنا بيت البلى ، ^(٣) أنا بيت الدود ؛ قال : فإذا دخله عبد مؤمن قال : مرحباً و
أهلاً ، أما والله لقد كنت أحببك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني ؟ فستري
ذلك ^(٤) قال : فيفسح له مدّ البصر ^(٥) ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة ، قال : ويخرج
من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً أحسن منه فيقول : يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن

(١) أي يحفظ دموعه .

(٢) في المصدر : قائماً .

(٣) في المصدر : البلاء .

(٤) في نسخة من الكافي : فستري مالك .

(٥) في المصدر : مدبصره .

منك ، فيقول : أنار أهلك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله ؛ قال : ثم تؤخذ روحه فتوضع في الجنة حيث رأى منزله ، ثم يقال له : ثم قرير العين ، فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده ، يجد لذتها وطيبها حتى يبعث ؛ قال : وإذا دخل الكافر قالت : لا مرحباً بك ولا أهلاً ، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري ، فكيف إذا دخلت بطني ؟ سترى ذلك ؛ فتضم عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان ، ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار ؛ ثم قال : ثم إنه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط قال : فيقول : يا عبد الله من أنت ؟ ما رأيت شيئاً أقبح منك ؛ قال : فيقول : أنا عملك السيئ ، الذي كنت تعمله ، ورأيت الخبيث ، قال : ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار ، ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرها إلى يوم البعث ، ويسلط^(١) على روحه تسعة و تسعون تزييناً تنهشه ليس فيها تنين تنفخ على ظهر الأرض^(٢) فتنبت شيئاً . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٥ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن علي ، عن غالب بن عثمان ، عن بشير الدهقان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن للقبر كلاماً في كل يوم ، يقول : أنا بيت الغربه ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود ، أنا القبر ، أنا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٦ - كا : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن عمرو بن يزيد قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني سمعتك وأنت تقول : كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم ، قال صدقتك ، كلهم والله في الجنة ؛ قال : قلت : جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبائر ، فقال : أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعتي النبي المطاع أو وصي النبي ، ولكنني والله أتخوف عليكم في البرزخ ، قلت : وما البرزخ ؟ قال : القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة . « ف ج ١ ص ٦٦ »

١١٧ - كا : علي بن محمد ، عن علي بن الحسن ، عن الحسين بن راشد ، عن المرتجل بن

(١) في المصدر : فيجد ألمها وحرها في جسده إلى يوم يبعث ويسلط الله . اهـ

(٢) في المصدر : على وجه الأرض ل .

معمّر ، عن ذريح المحاربي ، عن عباية الأسدي ، عن حبة العرنبي قال : خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بـوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقامت بقيامه حتى أعيت ، ثم جلست حتى مللت ، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ، ثم جلست حتى مللت ، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت : يا أمير المؤمنين إنني قد أشقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال : يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك ؟ قال : نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاتاً محتين ^(١) يتحدثون ، فقلت أجسام أم أرواح ؟ فقال : أرواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه : الحق بـوادي السلام ؛ وإنها لبقعة من جنة عدن . « ف ج ١ ص ٦٦-٦٧ »

١١٨ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن علي ، عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إن أخي ببغداد و أخاف أن يموت بها ، فقال : ماتبالي حيثامات ، أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشره الله روحه ^(٢) إلى وادي السلام ، فقلت له : وأين وادي السلام ؟ قال : ظهر الكوفة ، أما إنني كائنهم بهم خلق خلق قعود يتحدثون . « ف ج ١ ص ٦٧ »

١١٩ - كا : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي ولاد الحنطاط ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش ، فقال : لا ، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ، ^(٣) لكن ^(٤) في أبدان كأبدانهم . « ف ج ١ ص ٦٧ »

١٢٠ - كا : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن مشي الحنطاط عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة يأكلون من طعامها ، ويشربون من شرابها ، ويقولون : ربنا أقم لنا الساعة ، وأنجز لنا ما وعدتنا ، وألحق آخرنا بأولنا . « ف ج ١ ص ٦٧ »

(١) احتبى بالثوب : اشتمل به . جمع بين ظهره وساقيه بمسامة و نحوها .

(٢) في المصدر : حشر الله روحه .

(٣) حوصلة بتخفيف اللام وتشديدها من الطير بمنزلة المعدة للانسان .

(٤) في المصدر : ولكن .

١٢١ - ٥ : سهل بن زياد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن درست بن أبي منصور ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف و تسائل ، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول : دعوها فإنها قد أفلتت من هول عظيم ، ثم يسألونها : ما فعل فلان ؟ وما فعل فلان ؟ فإن قالت لهم : تركته حياً ارتجوه ، وإن قالت لهم : قد هلك قالوا : قد هوى هوى .^(١) «ف ج ١ ص ٦٧»

١٢٢ - ٥ : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال : في حجرات في الجنة ، يأكلون من طعامها ، ويشربون من شرابها ، ويقولون : ربنا أقم لنا الساعة ،^(٢) وأنجز لنا ما وعدتنا ، وألحق آخرنا بأولنا . «ف ج ١ ص ٦٧»
ين : ابن أبي عمير ، عن علي ، عن أبي بصير مثله .

١٢٣ - ٥ : علي ، عن أبيه ، عن محسن بن أحمد ، عن محمد بن حماد ، عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا مات الميت اجتمعوا عنده يسألونه عمّن مضى و عمّن بقي فإن كان مات ولم يرد عليهم قالوا : قد هوى هوى ،^(٣) ويقول بعضهم لبعض : دعوه حتى يسكن مماًر عليه من الموت . «ف ج ١ ص ٦٧»

١٢٤ - ٥ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن القاسم بن محمد ، عن الحسين بن أحمد ، عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال : ما يقول الناس في أرواح المؤمنين ؟ فقلت : يقولون : تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : سبحان الله ! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمد عليه السلام و علي و فاطمة و الحسن والحسين والملائكة المقرّبون عليهم السلام فإذا قبضه الله عز وجل ضمير تلك الروح

(١) هوى بهوى هوى : سقط من علو إلى أسفل ، أى سقط إلى دركات الجحيم ، إذ لو كان من السعداء لكان يلحق بنا .

(٢) فى المصدر : اقم الساعة لنا .

(٣) فى المصدر : هوى بدون التكرير .

في قالب كقالبه في الدنيا ، فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا . « ف ج ١ ص ٦٧ »

ين : القاسم مثله .

١٢٥ - ٥ : محمد بن أحمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن أخيه الحسن ، عن زرعة ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إننا نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش ، فقال : لا ، إذا ما هي في حواصل طير ، قلت : فأين هي ؟ قال : في روضة كهيئة الأجساد في الجنة . « ف ج ١ ص ٦٧ »

١٢٦ - ٥ : علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن أرواح المشركين ، فقال : في النار يعذبون ، يقولون : ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ، ولا تلحق آخرنا بأولنا . « ف ج ١ ص ٦٧ »

ين : ابن أبي عمير ، عن علي ، عن أبي بصير مثله .

١٢٧ - ٥ : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران ، عن مشي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عايرها يقولون : ربنا لا تقم لنا الساعة ، ولا تنجز لنا ما وعدتنا ، ولا تلحق آخرنا بأولنا . « ف ج ١ ص ٦٧ »

١٢٨ - دعوات الراوندي : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ليس بيننا وبين الجنة أو النار إلا الموت .

فذلك : اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة والأخبار المستفيضه والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت ، إما معذبة إن كان ممن محض الكفر ، أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان ، أو يلهى عنه إن كان من المستضعفين ، و يرد إليه الحياة في القبر إما كاملاً أو إلى بعض بدنه كما مر في بعض الأخبار ، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال ، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك ، وتضغط أجساد بعضهم ، وإنما السؤال و الضغطة في الأجساد الأصلية ، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين كمن لقن كما سيأتي ، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك مما مر وسيأتي في تضاعيف أخبار

هذا الكتاب ، ثم تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة ، المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية فينعّم ويعذب فيها ، ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها ، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتساع القبر وضيقه ، وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله ، ورؤية الأئمة عليهم السلام بأشكالهم ، ومشاهدة أعدائهم معذبين ، وسائر ما ورد في أمثال ذلك ممّا مرّ وسيأتي ، فالمراد بالقبر في أكثر الأخبار ما يكون الروح فيه في عالم البرزخ ، وهذا يتم على تجسّم الروح وتجرّده ، وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الروح أيضاً بدون الأجساد المثالية ، لكن مع ورود الأجساد المثالية في الأخبار المعتبرة المؤيدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها ، وليس هذا من التناسخ الباطل في شيء ، إذ التناسخ لم يتم دليل عقلي على امتناعه إذ أكثرها عيلة مدخولة ولو تمت لا تجري أكثرها فيما نحن فيه كما لا يخفى على من تدبّر فيها ، والعمدة في نفيه ^(١) ضرورة الدين وإجماع المسلمين ، وظاهر أن هذا غير داخل فيما انعقد الإجماع والضرورة على نفيه ، كيف وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدّس الله روحه وغيره من علمائنا المتكلمين والمحدثين ؛ بل لا يبعد القول بتعلق الروح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً كما يشهد به ما يرى في المنام ، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها كما مرّ ، بل يمكن أن يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثالية كثيرة كائمتنا صلوات الله عليهم حتّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كل ميّت ، وسائر ما سيأتي في كتاب الإمامة في غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السماوات كل ليلة جمعة وغير ذلك .

ثم أعلم أن عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأمة سلفاً وخلفاً ، وقال به

(١) العمدة في نفي التناسخ لزوم رجوع الشيء بعد الفعلية إلى القوة وهو من الممتنعات بالضرورة لكنها لا تجري إلا في البدن العنصري دون المثالي الذي هو من شؤون النفس ومراتبها ولوازم وجودها . ط

أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلا شذمة قليلة لا عبرة بهم ، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً ، والأحاديث الواردة فيه من طرق العامة والخاصة متواترة المضمون ، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملتين و الفلاسفة ، ولم ينكره إلا فرقة قليلة كلقائلين بأن النفس هي المزاج وأمثاله ممن لا يعابهم ولا بكلامهم ، وقد عرفت ما يدل عليه من الأخبار الجليلة وقد أقيمت عليه البراهين العقلية ، ولنذكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين .

قال نصير الملة والدين قدس الله روحه في التجريد : عذاب القبر واقع لإمكانه وتواتر السمع بوقوعه .

وقال العلامة الحلبي نور الله ضريحه في شرحه : نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر ، والإجماع على خلافه .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل السروية - حيث سئل : ما قوله أدام الله تأييده في عذاب القبر وكيفيته ؟ ومتى يكون ؟ وهل ترد الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا ؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين ؟ - الجواب : الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل .

وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم قالوا : ليس يعذب في القبر كل ميت ، وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضاً ، ولا ينعم كل ماض لسبيله ، وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً ، فأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهم عنهم ، وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة ، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه ، فأما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قلبه في الدنيا في الجنة من جناته ينعمه فيها إلى يوم الساعة ، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلى في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف ، وأمر به إلى الجنة الخلد ، فلا يزال منعماً ببقاء الله عز وجل غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا ، بل تعدل طباعه ، وتحسن صورته ، فلا يهرم مع تعديل الطباع ، ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب ؛ والكافر يجعل

في قالب كفالته في الدنيا في محلّ عذاب يعاقب به ، ونار يعذب بها حتّى الساعة ، ثمّ أنشئ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه ، ثمّ يعذب به في الآخرة عذاب الأبد ، ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفنى معه ، وقد قال الله عزّ وجلّ اسمه : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب » وقال في قصّة الشهداء : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون » فدلّ على أنّ العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها ، والخبر وارد بأنّه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا ، والروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط ، وليس بعبارة عن الحياة التي يصحّ معها العلم والقدرة لأنّ هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصحّ الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بينناه .

ثمّ سئل رحمه الله : ما قوله أدام الله تمكينه في معنى قول الله تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون » أهمّ أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية أم الآية مجاز ؟ وأنّ أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنة ؟ فإنّ المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون : إنّ الله تعالى ينزع من جسد كلّ واحد منهم أجزاءً قد مرّ ما يتعلق به الروح ، وأنّه تعالى يرزقهم على ما نطقت به الآية ، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتى .

الجواب : هذا المحكيّ عن أصحاب أبي هاشم لأنّ المحفوظ عنه الإنسان المخاطب بالمأمور المنهيّ هو البنية التي لا تصحّ الحياة إلّا بها وما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهى ولا تكليف ، وإنّ كان القوم يزعمون أنّ تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذب أو ينعم فهو مقال يستمرّ على أنّ البنية التي ذكرها هو المكلف بالمأمور المنهيّ ، وباقي جسده في القبر ، إلّا أنّهم لم يذكروا كيف يعذب من عذب ويشاب من أئيب ؟ أي دار غير الدنيا أم فيها ؟ وهل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت ؟ ثمّ لم يحك عنهم في أيّ محلّ يعذبون ويشابون ؟ وفيما قالوه من ذلك فليس به أثر ولا يدلّ عليه العقل ، وإنّما هو يخرج منهم على الظنّ والحساب ، ومن بنى مذهبه على الظنّ في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً ؛ ثمّ الذي

يفسد قولهم من بعد ما دلّ على أنّ الإنسان المأمور بالمنهي هو الجوهر البسيط ، وأنّ الأجزاء المؤلفة لا يصحّ أن تكون فعالة ، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب ، وفيما أوماننا إليه منها كفاية فيما تعلق به السؤال وبالله التوفيق .

وسئل عنه قدس الله روحه في المسائل العكبرية عن قول الله تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله » الآية ، هل يكون الرزق لغير جسم ؟ وما صورة هذه الحياة ؟ فإنّا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً ، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر ؟ فأجاب رحمه الله بأنّ الرزق لا يكون عندنا إلا للحيوان ، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد ، وتعذّر عليهم كثير من الأفعال إلاّ بها ، فإن اغنوا عنها بعد الوفاة جاز أن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللذات ، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء ، فأما قوله : ما صورة هذه الحياة ؟ فالحياة لا صورة لها لأنّها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعّالة دون الأجساد التي تقوم بها حياة النموّ دون الحياة التي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض ، وقوله : إنّنا مجمعون على أنّ الجواهر لا تبلى شيئاً فليس ذلك كما ظنّ ، ولو كان كما توهم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض ، كما توجد حياة النموّ لبعض الأجساد وترفع من بعض بالاتّفاق ، ولوقلنا : إنّ الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعمّ أهل الكفر والإيمان لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين ، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللذات إليهم ، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب انتهى .

وقال شارح المقاصد : اتّفق الإسلاميون على حقيقة سؤال منكر و نكير في القبر و عذاب الكفار و بعض العصاة فيه ، و نسب خلافه إلى بعض المعتزلة ؛ قال بعض المتأخّرين منهم : حكى إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو ، و إنّما نسب إلى المعتزلة - وهم برآء منه - لمخالطة ضرار إيّاهم ، و تبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحقّ و نحوه ؛ قال في المواقف : وقال المحقّق الدوّانسي في شرح العقائد العضدية : عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حقّ لقوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً »

الآية ، و قوله : « ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين » و لقوله ﷺ : إنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى نبعثك يوم القيامة . وقوله صلى الله عليه وآله : استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه . وقوله ﷺ : القبر إمارة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران . ونقل العلامة التفتازاني عن السيد أبي الشجاع أن الصبيان يسألون وكذا الأنبياء ﷺ . وقيل : إن الأنبياء لا يسألون لأن السؤال على ما ورد في الحديث عن ربه وعن دينه وعن نبيه ، ولا يعقل السؤال عن النبي ﷺ من نفس النبي ، وأنت خير بأنه لا يدل على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيه فقط ، وذلك أيضاً في الذي لا يكون على ملة نبي آخر . واختلف الناس في عذاب القبر فأنكره قوم بالكليمة وأثبتته آخرون ، ثم اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب وأنكر الإحياء وهو خلاف العقل ، وبعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال : تجتمع الآلام في جسده فإذا حشر أحس بهادفة ، وهذا إنكار لعذاب القبر حقيقة ، ومنهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح ، ومنهم من قال بالإحياء وإعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتى أن المأكل في بطن الحيوانات يحيى ويسأل وينعم ويعذب ولا ينبغي أن ينكر لأن من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب والنعم . قال الإمام الغزالي في الإحياء :

اعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا :

أحدها - وهو الأظهر والأصح - أن تسدق بأن الحياة مثلاً موجودة تلدغ الميت و لكننا لانشاهد ذلك ، فإن ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتية ، و كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت ، أما ترى أن الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام ، وما كانوا يشاهدونه ، و يؤمنون أنه ﷺ يشاهده ؟ فإن كنت لاتؤمن بهذا ، فتهجىح الإيمان بالملائكة والوحي عليك أوجب ، وإن آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ﷺ ما لا تشاهده الأمة فكيف لاتجوز هذا في الميت ؟ .

المقام الثاني أن تتذكر أمر النائم فإنه يرى في نومه حياة تلدغه و هو يتألم

بذلك حتى يرى في نومه يصيح ويعرق جبينه ، وقد ينزعج من مكانه ، كل ذلك يدرك من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان ، وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حوالبه حياة ، والحياة موجودة في حقه ، والعذاب حاصل ، ولكنه في حقه غير مشاهد ، وإن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حياة تتخيل أو تشاهد .

المقام الثالث أن الحياة بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها هو السم ثم السم ليس هو الألم ، بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم ، فلو حصل مثل ذلك من غير سم فكان ذلك العذاب قد توفّر ، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة ، والصفات المهلكات تنقلب موزيات ومولات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات .

فإن قلت : ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة ؟ فاعلم أن من الناس من لم يثبت إلا الثالث ، وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان ، وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله و عجائب تدبيره منكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ولم يأنس به ، و ذلك جهل و قصور ، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن ، والتصديق بها واجب ، ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة ؛ هذا هو الحق فصدق به .

ثم قال : و سؤال منكر و نكير حق لقوله ﷺ : إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : منكر ، و للآخر : نكير ، يقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً فيقول : هو عبد الله و رسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، و أشهد أن محمداً رسول الله ، فيقولان : قد كنّا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : ثم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان : ثم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ؛ و إن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله ، لأدري ! فيقولان : قد كنّا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيه معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وأنكر الجبائي وابنه و

البلخي تسمية الملكين منكراً و نكيراً ، وقالوا : إنما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل ، والنكير إنما هو تقرير الكافر ، وهو خلاف ظاهر الحديث ، والأحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر و نعيمه و سؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حد التواتر وإن كان كل منها خبراً آحاداً ، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف ، و أنكره مطلقاً ضرار بن عمرو و أكثر متأخري المعتزلة ، و بعض الروافض متمسكين بأن الميّت جماد فلا يعذب ، و ما سبق حجة عليهم ، و من تأمل عجائب الملك و الملكوت و غرائب صنعه تعالى لم يستنكف عن قبول أمثال هذا ، فإنّ للنفس نشآت ، و في كلّ نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة ، فكما أنّها تشاهد في المنام أموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أموراً لم تكن تشاهد في الحياة ، وإلى هذا يشير من قال : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . انتهى كلامه .

ولا يخفى على أحد أنّ ما نسبته هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلامرية . ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر ، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك ، ولعله رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيلية وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة المحققة فنسب ذلك إليهم مجعلاً ، وهذا تدليس قبيح ولا سيما من الفضلاء .

ثم أعلم أنّه روى العامة في كتبهم عن أبي أمامة الباهلي أنّ النبي ﷺ قال : إذا مات أحدكم و سوّيت عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل : يا فلان بن فلانة فإنّه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل : يا فلان بن فلانة - الثانية - فيستوي قاعداً ، ثم ليقل : يا فلان بن فلانة ؛ فإنّه يقول : أرشدنا ربك الله ، فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً عبده و رسوله ، وأنّك رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، و بمحمد نبياً ، و بالقرآن إماماً ؛ فإنّ منكراً و نكيراً يتأخّر كل واحد منهما فيقول : انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقين حجته ؟ فقال : يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمّه ؟ قال : فلينسبه إلى حواء .

و قال الشيخ البهائي قدس الله روحه : قديتوهم أنّ القول بتعلق الأرواح بعد

مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح آخر كما دلّت عليه الأحاديث قول بالتناسخ ، وهذا توهم سخيف لأن التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام آخر في هذا العالم ، إمّا عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه إلى النسخ والنسخ والفسخ والرسخ ، أو فلكية ابتداءً أو بعد ترددها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائهم الواهية المفصلة في محلّها ، وأمّا القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدّة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء ، وإن سمّيته تناسخاً فلا مشاحة في التسمية إذا اختلف المسمى ، وليس إنكارنا على التناسخية وحكمنا بتكفيرهم بمجرد قولهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر ، فإنّ المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام ، بل بقولهم بقدم النفوس وتردّها في أجسام هذا العالم وإنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الآخروية . قال الفخر الرازي في نهاية العقول : إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم ، والتناسخية يقولون بقدمها و ردّها إليها في هذا العالم ، وينكرون الآخرة والجنة والنار ، وإنّما كفروا من أجل هذا الإنكار انتهى كلامه ملخصاً . فقد ظهر البون البعيد بين القولين ؛ انتهى كلامه زاد الله في إكرامه .

ثمّ اعلم أنّ مقتضى قواعد العدلية وظواهر النصوص الماضية والآية أنّه إنّما يسأل في القبر المكلفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون ، وأمّا الأنبياء والأئمة عليهم السلام وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقين وأمثالهم وما مرّ أنّه يسأل وهو مضغوط على بعض احتمالاته وغيره ممّا يدلّ على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم ، لكن لما لم نرفيه نصّاً صريحاً فالأولى عدم التعرّض له نفيّاً وإثباتاً ، ولذا لم يتعرّض له علماؤنا رضوان الله عليهم .

قال صاحب المحجّة البيضاء في مذهب آل العباء : اختلف أهل السنّة في أن الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا ؟ وكذا في الأطفال ، فقيل : الأصحّ أن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون . وقال الصفّار : ليس في هذا نص ولا خبر ولا دليل فانتفى ذلك عنهم ، وما روي عنه عليه السلام من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله

تعالى ، وقيل : هو تحكّم محض لجواز أن يقال : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه فكما جاز أن يسأل المؤمن عما آمن به فيقال : من ربك وما دينك ؟ فكذا الرسول يسأل عما آمن به ؛ فعلم أن حمل الاستعانة على المبالغة تحكّم بغير دليل ، ولأن النبي صلى الله عليه وآله صاحب عهدة عظيمة لأنّه إنّمّا بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى الله تعالى فلم لا يجوز أن يسأل عما كان في عهده ؟ حتى قيل : وسؤالهما الأنبياء بهذه العبارة : على ماذا تركتم أمّتكم ؟ والحق أن الأئمة كالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين في هذه الأمور كلّها ، ولم أرفي كتب الإماميّة هذه المسألة لا نفياً ولا إثباتاً ، والذي يطمئن إليه قلبي أنّهم مع الأئمة سلام الله عليهم مستثنون من هذه الأحكام . انتهى .

وقال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد : اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها ، فمن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره و بجنّة نعيم في الآخرة ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره و تصلية جحيم في الآخرة ، وأكثر ما يكون عذاب القبر من النيمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول ، وأشدّ ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجّام ، ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزف عند الموت ، فإن رسول الله ﷺ كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه بعدما فرغت النساء من غسلها ، وحمل جنازتها على عاتقه حتّى أوردّها قبرها ، ثمّ وضعها ودخل القبر واضطجع فيه ثمّ قام فأخذها على يديه ووضعها في قبرها ، ثمّ انكبّ عليها يناجيها طويلاً ويقول لها : ابنك ابنك ، ثمّ خرج وسوى عليها التراب ، ثمّ انكبّ على قبرها فسمعوه وهو يقول : اللهم إني أودعتها إياك ؛ ثمّ انصرف ، فقال له المسلمون : يا رسول الله إنّنا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل اليوم ، فقال : اليوم فقدت برّ أبي طالب إنّها كانت يكون عندها شيء فتؤثرني به على نفسها وولدها ، وإنّي ذكرت القيامة وأنّ الناس يحشرون عراة فقالت واسوأ تأه ! فضمنت لها أن يبعثها الله تعالى كاسية ، وذكرت ضغطة القبر فقالت : واضعفاء ! فضمنت لها أن يكفيها الله تعالى ذلك فكفّنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكبيت عليها فلقنتها ما تسأل عنه ، وإنّمّا سئلت عن ربّها فقالت : الله ، وسئلت عن

نبيها فأجابت ، وسئلت عن وليها وإمامها فأرتج عليها ، فقلت لها : ابنك ابنك .
أقول : وقال الشيخ المفيد نور الله ضريحه في شرح هذا الكلام : جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم ، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة ، فمنها أن ملكين لله تعالى يقال لهما : ناكروا ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم ، وإن أرتج عليه سلموه إلى ملائكة العذاب ؛ وقيل في بعض الأخبار : إن اسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير ، وقيل : إنه إنما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق ، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه ؛ و سمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنهما يبشّرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم ، وإن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما ، وإنهما عبارة عن فعلهما ، وهذه أمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها ؛ وقد قلنا فيما سلف : إنما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ، ومن سوى هذين فيلهم عنه ، ويديننا أن الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه .

فصل : وليس ينزل الملكان إلا على حي ولا يسألان إلا من يفهم المسألة ويعرف معناها ، وهذا يدل على أن الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة ، و يديم حياته بنعيم إن كان يستحقه ، أو بعذاب إن كان يستحقه ^(١) - نعوذ بالله من سخطه ونسأله التوفيق لما يرضيه برحمته - والغرض من نزول الملكين ومساءلتهم العبد أن الله يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم وملائكة العذاب ، وليس للملائكة طريق إلى ما يستحقه العبد إلا بإعلام الله تعالى ذلك لهم ، فالملك اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم ، والآخر من ملائكة العذاب ، فإذا هبطا وكلا به استفهما حال العبد بالمساءلة

(١) لعل المراد أن الإنسان لا يبطل بعد الموت ولا ينعدم بالكلية بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسية التي يفقدها بالموت ؛ قال صلى الله عليه وآله : وإنما تنتقلون من دار إلى دار الحديث . وأما الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر فهي تمثيل للمساءلة كما أن الروايات الدالة على قولهما له : نم نومة العروس وإنامتهما له وغير ذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البعث . ط

فإن أجاب بما يستحق به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب ، وإن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب و كل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم ؛ وقد قيل : إن الملائكة الموكلين بالنعيم والعقاب غير الملوك الموكلين بالمساءلة ، وإنما يعرف ملائكة النعيم وملائكة العقاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المساءلة ، فإذا ساءل العبد وظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء ، وعرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السماء ، وهذا كله جائز ولسنا نقطع بأحد دون صاحبه ، إذ الأخبار فيه متكافئة ، والعادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقف والتجوز .

فصل : وإنما وكل الله تعالى ملائكة المساءلة وملائكة العذاب والنعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك ، كما وكل الكتبة من الملائكة عليهم السلام بحفظ أعمال الخلق وكتبتها ونسخها ورفعها تعبداً لهم بذلك ، وكما تعبد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم وطائفة منهم بإهلاك الأمم ، وطائفة بحمل العرش ، وطائفة بالطواف حول البيت المعمور ، وطائفة بالتسبيح ، وطائفة بالاستغفار للمؤمنين ، وطائفة بتنعيم أهل الجنة ، وطائفة بتعذيب أهل النار والتعبد لهم بذلك ليشبههم عليها ، ولم يتعبد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبد البشر والجن بما تعبدهم به لعباً بل تعبد الكل للجزاء ، وما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى والتزامهم شكر النعمة عليهم ، وقد كان الله تعالى قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقه من غير واسطة وينعم المطيع من غير واسطة ، لكنّه علّق ذلك على الوسائط لما ذكرناه وبيننا وجه الحكمة فيه ووصفناه ، وطريق مساءلة الملوك الأموات بعد خروجه من الدنيا بالوفات هو السمع ، وطريق العلم برّد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل ، إذ لا تصح مساءلة الأموات واستخبار الجمادات ، وإنما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلم به ، وتقريره وإلزامه بما يقدر عليه ، مع أنّه قد جاء في الخبر أنّ كلّ مسأل تردّ إليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له ؛ فالخبر بذلك أكّدهما في العقل ، ولو لم يرد بذلك خبر لكفى حجة العقل فيه على ما بينناه . انتهى كلامه رحمه الله .

وأقول : لما كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلامية وقد أكرت المتفلسفة

والملاحدة الشبه فيها ورام بعض من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه تأويلها وتحريفها

أطنبت الكلام فيها بعض الإطناب ، وأرجو من فضل ربي أن يوفقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب ، والله الموفق لكل خير و صواب . وقد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار ، وباب الجريدين ، وباب الدفن ، وباب التلقين وغيرها من أبواب الجنائز ؛ وباب أحوال أولاد آدم ، وأبواب معجزات الأنبياء عليهم السلام وغرائب أحوالهم ، وسيأتي خبر طويل في تكلم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله رضي الله عنه ، وسيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لاسيما في باب فضل فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، وباب فضل ليلة الجمعة ويومها ، وأبواب المواعظ ، وأبواب فضائل الأعمال وغيرها مما تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها .

﴿ باب ٩ آخر ﴾

﴿ في جنة الدنيا و نارها و هو من الباب الاول ﴾

الايات ، مريم « ١٩ » جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيًا * لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا أولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا ٦١-٦٢ .
الحجج « ٢٢ » والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليمٌ حلِيم ٥٨-٥٩ .
يس « ٣٦ » إني آمنت بربكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ٢٥-٢٧ .
المؤمن « ٤٠ » و حاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ٤٥-٤٦ .
نوح « ٧١ » مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً ٢٥ .

تفسير : « جنات عدن » أي جنات إقامة التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم ، أو وهم غائبون عنها ، أو وعدهم بإيمانهم بالغيب « إنه كان وعده » الذي هو الجنة « مأتيًا » يأتيها أهلها الموعود لهم . وقيل : المفعول بمعنى الفاعل أي آتياً « لا يسمعون فيها لغوًا » أي فضول كلام « إلا سلامًا » أي ولكن يسمعون قولاً يسلمون

فيه من العيب والنقيصة ، أو إلا تسليم الملائكة عليهم ، أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع .

« ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً » قال الطبرسي رحمه الله : قال المفسرون : ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشي ، والمراد : أنهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداة والعشي ؛ وقيل : كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به وكانت تكره الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت ، وليس ثمّ ليل وإنّما هو ضوء ونور . وقيل : إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وفتح الأبواب انتهى .

أقول : سيأتي نقلاً من تفسير علي بن إبراهيم أن هذا في جنة الدنيا ، فلا يحتاج إلى هذه التكاليف .^(١)

قوله تعالى : « ليرزقنهم الله رزقاً حسناً » قيل : هذا في جنة الدنيا كقوله تعالى في الآية الأخرى : « بل أحياء عند ربهم يرزقون » وقال الطبرسي في قصة مؤمن آل يس عند قوله تعالى : « إنني آمنت بربكم فاسمعون » : عن ابن مسعود قال : إن قومهم لما سمعوا ذلك القول منه وطؤه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق وهو قوله : « قيل ادخل الجنة » وقيل : رجوه حتى قتلوه ؛ وقيل : إن القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنة ولا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن الحسن ومجاهد ، وقالوا : إن الجنة التي دخلها يجوز هلاكها ، وقيل : إنهم قتلوه إلا أن الله سبحانه أحياء وأدخله الجنة فلمّا دخلها قال : « يا ليت قومي يعلمون » الآية . وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنّه إنّما قال ذلك وقومه أحياء ، وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإنّ الخلاف فيهما واحد .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « وحق بالفرعون » : أي أحاط ونزل بهم « سوء العذاب » أي مكروهه وما يسوء منه ، وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار ، وذلك قوله : « النار يعرضون عليها غدواً وعشيّاً » أي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم

(١) انظر ما يأتي تحت رقم ٤ .

صباحاً ومساءً فيعذبون ؛ وعن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة من الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ؛ أورده البخاري ومسلم في الصحيحين . وقال أبو عبد الله عليه السلام : ^(١) ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن نار القيامة لا تكون غدوً أو عشيّاً ، ثم قال : إن كانوا إنما يعذبون غدوً أو عشيّاً ففيما بين ذلك هم من السعداء ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة ، ألم تسمع قوله عز وجل : «يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» .

وقال البيضاوي : «مما خطيئاتهم» أي من أجل خطيئاتهم ، و«ما» مزيدة للتأكيد والتفخيم «أغرقوا» بالطوفان «فأدخلوا» ناراً ، المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال ، أولاً لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع .

١ - ل : أبي ، عن علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران ، عن ابن حميد ، عن ابن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأل الشامي الذي بعثه معاوية ليسأل عما بعث إليه ابن الأضرع الحسن بن علي عليه السلام عن العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فقال : هي عين يقال لها : سلمى . الخبر . «ج ٢ ص ٥٦-٥٧»

ج : مرسل مثله . ^(٢) «ص ١٢٤»

٢ - ع : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن هاشم ، عن عثمان ، عن الحسين بن بشار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن جنة آدم فقال : جنة من جنات الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ، ولو كانت من جنات الخلد ما خرج منها أبداً .

كا : علي ، عن أبيه ، عن البرزنطي ، عن الحسين بن ميسر ، عنه عليه السلام مثله . «ف ج ١ ص ٦٨»

(١) راجع الحديث تحت رقم ٦ .

(٢) عبارة الكتابين هكذا : عين يقال لها : برهوت ، واما العين التي تأوي إليها أرواح

المؤمنين فهي عين يقال لها : سلمى . م .

٣ - فس : أبي رفعه قال : سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنان ^(١) الدنيا كانت أم من جنان الآخرة ؟ فقال : كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً ^(٢) الخبر . « ص ٣٥ - ٣٦ »

٤ - فس : « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيماً » قال : ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة ، والدليل على ذلك قوله : « بكرة وعشيماً » فالبكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد ، ^(٣) وإنما يكون الغدو والعشي في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ، ^(٤) وتطلع فيها الشمس والقمر . « ص ٤١٢ »

٥ - فس : « وما تؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض » فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة ، ^(٥) وأما قوله : « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها » يعني في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين « ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلاً به . « ص ٣١٤ »

٦ - فس : « النار يعرضون عليها غدواً وعشيماً » قال : ذلك في الدنيا قبل القيامة وذلك أن في القيامة لا يكون غدواً ولا عشيماً ، ^(٦) لأن الغدو والعشاء إنما يكون في الشمس والقمر وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر ، قال : وقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في قول الله عز وجل : « النار يعرضون عليها غدواً وعشيماً » ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : ما يقول الناس فيها ؟ فقال : يقولون : إنها في نار الخلد وهم لا يعذبون

(١) في المصدر : جنات . وكذا في الفقرتين الأخيرتين . م

(٢) في المصدر : ما اخرج منها أبداً . م

(٣) في المصدر : جنات . وكذا في الفقرة الأخرى . م

(٤) في المصدر : تنتقل أرواح المؤمنين إليها . م

(٥) في المصدر بعد ذلك : ما دامت السموات والأرض واما قوله اه . م

(٦) في المصدر : غدو ولاعشى . م

فيما بين ذلك ، فقال عليه السلام : فهم من السعداء ، ^(١) ف قيل له : جعلت فداك فكيف هذا ؟ فقال : إنما هذا في الدنيا فأما في نار الخلد ^(٢) فهو قوله : «يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» . «ص ٥٨٦»

٧- فس : أبي ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن ضريس ^(٣) الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم ؟ فقال : أمّا هؤلاء ، فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنّه يخذله خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب ، فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتّى يلقي الله في حاسبه بحسناته وسيئاته ، فأما إلى الجنة وإمّا إلى النار فهؤلاء الموقوفون لأمر الله ، قال : وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغ الحلم ، وأمّا النصاب من أهل القبلة فإنّه يخذلهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم الذهب ^(٤) و الشرر و الدخان و فورة ^(٥) الحميم إلى يوم القيامة ، ثمّ بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم . «ص ٥٨٨»

٨- فس : الحسين بن عبدالله السكيني عن أبي سعيد البجلي ، ^(٦) عن عبد الملك بن هارون ، عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه صلوات الله عليهم قال : كان فيما سأل ملك الروم الحسن بن علي عليه السلام أن سألّه عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا ؟ قال : تجتمع عند صخرة بيت المقدس في ليلة الجمعة ، و هو عرش الله الأدنى

(١) في المصدر بعد ذلك : فهم سعداء ؛ بحذف قوله : فقال عليه السلام . م

(٢) في المصدر : في الخلد . م

(٣) وذان زبير .

(٤) في المصدر : عليهم منها الذهب . م

(٥) الظاهر : وفورة الجحيم . والفورة من الحر : حدته .

(٦) كنية ثابت البجلي الكوفي المذكور في رجال الشيخ في باب أصحاب الصادق عليه السلام

ولكن لم ينص هو ولا غيره على توثيقه .

منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر ومنها استوى ربنا إلى السماء ^(١) والملائكة ؛ ثم سأل عن أرواح الكفار أين تجتمع ؟ قال : تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن . «ص ٥٩٨»

٩ - ختص ، ير : الحسن بن أحمد ، عن سلمة ، عن الحسن بن علي بن يقطاع ^(٢) عن ابن جبلة ، عن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحوض فقال لي : حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أحب أن تراه ؟ قلت : نعم جعلت فداك ، قال : فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب رجله فنظرت إلى نهر يجري لا تدرك حافته إلا الموضع الذي أنا فيه قائم ، فإنه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفاً فنظرت إلى نهر يجري من جانبه هذا ماء أبيض من الثلج ، ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج ، وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت ، فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمرين اللبن و الماء ، فقلت له : جعلت فداك من أين يخرج هذا ؟ و من أين مجراه ؟ فقال : هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنة ، عين من ماء ، وعين من لبن ، وعين من خمر تجري في هذا النهر ؛ ورأيت حافته عليهما شجر ^(٣) فيهن حور معلقات برؤوسهن شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهن وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا ، فدنا من إحديهن فأوماً إليها بيده لتسقيه فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت ثم ناولته فشرب ثم ناولها وأوماً إليها فمالت لتغرف فمال الشجرة معها فاغترفت ثم ناولته فناولني فشربت فمارأيت شراباً كان ألين منه ولا أذم منه . وكانت رائحته رائحة المسك ، فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب ، فقلت له : جعلت فداك ما رأيت كالיום قط ، ولا كنت أرى أن الأمر هكذا ، فقال لي : هذا أقل ما أعد الله لشيعتنا ، إن المؤمن إذا توفى صارت روحه إلى هذا النهر ورعت في رياضه وشربت من شرابه ، وإن عدونا إذا توفى صارت روحه إلى وادي برهوت فأخلدت في عذابه ، وأطعمت من زقومه ، وأسقيت من حميمه ، فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي . «ير ص ١٢٩-١٣٠»

(١) في المصدر بعد ذلك : أي استولى إلى السماء و الملائكة ه . م

(٢) بفتح الباء وتشديد القاف .

(٣) في نسخة : ورأيت حافته عليها شجر .

١٠ - مل : محمد الحميري ، عن أبيه ، عن علي بن محمد بن سليمان ، عن محمد بن خالد ، عن عبد الله بن حماد ، عن عبد الله الأصم ، عن عبد الله بن بكر الأرجاني قال : صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة فنزلنا منزلاً يقال له : عسفان ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش ، فقلت له : يا بن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ! مارأيت في الطريق مثل هذا ، فقال لي : يا بن بكر تدري أي جبل هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا جبل يقال له : الكمد وهو على وادٍ من أودية جهنم ، وفيه قتلة أبي الحسين عليه السلام ؛ استودعهم فيه ، تجري من تحتهم مياه جهنم من الغسلين والصدید والحميم ، وما يخرج من جب الحوى ،^(١) وما يخرج من الفلق من آثام ،^(٢) وما يخرج من طينة الخبال ، وما يخرج من جهنم ، وما يخرج من لظى من الحطمة ، وما يخرج من سقر ، وما يخرج من الجحيم ، وما يخرج من الهاوية ، وما يخرج من السعير - وفي نسخة أخرى : وما يخرج من جهنم ، وما يخرج من لظى ومن الحطمة ، وما يخرج من سقر ، وما يخرج من الحميم - وما مررت بهذا الجبل في سفري فوقفت به إلا رأيتهما يستغيثان إلي ، وإنني لأنظر إلى قتلة أبي فاقول لهما : هؤلاء إنما فعلوا ما أسستما لم ترحمونا إذ ولّيتما ، وقتلتمونا وحرمتمونا ، ووثبتما على حقنا ، واستبددتم بالأمر دوننا ، فلا رحم الله من يرحمكما ، ذوقا وبال ما قد متما ، وما الله بظلام للعبيد ؛ فقلت له : جعلت فداك أين منتهى هذا الجبل ؟ قال : إلى الأرض السادسة وفيها جهنم على وادٍ من أوديته ، عليه حفظة أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ما في البحار وعدد الثرى ، قدو كل كل ملك منهم بشيء وهو مقبم عليه لا يفارقه .

بيان : تمامه في باب غرائب أحوال الأئمة عليهم السلام وجب الحوى لعله تصحيف جب العزن لما روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال : تعوذوا بالله من جب الحزن ؛ وهو اسم جب في جهنم .

١١ - ٣٥ : محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد بن إسناد له قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :

(١) في كامل الزيارات المطبوع : من جب الحوى ، أى المتغير المتن .

(٢) في هامش الكامل المطبوع ، وفي رواية شيخنا المفيد : وما يخرج من آثام .

شرّ بئر في النار برهوت ^(١) الذي فيه أرواح الكفار . « ف ج ١ ص ٦٧ »

١٢ - كا : العدة عن سهل وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن القدّاح ، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت ، وهو الذي بحضرموت يردّه هام الكفار « ف ج ١ ص ٧٦ »

١٣ - كا : عليّ ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : شرّ اليهود يهود بيسان ، ^(٢) وشرّ النصارى نصارى نجران ، ^(٣) وخير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، وشرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت ، وهو واد بحضرموت ترد عليه هام الكفار وصداهم . « ف ج ١ ص ٧٦ »

بيان : قال الجزري : فيه : لاعدوى ولاهامة ، الهامة : الرأس ، واسم طائر ، وهو المراد في الحديث ، وذلك أنّهم كانوا يتشاءمون بها ، وهي من طير الليل ؛ وقيل : هي البومة ؛ وقيل : إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الذي لا يدرك بثاره تصير هامة فتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أدرك بثاره طارت ؛ وقيل : كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت - وقيل : روحه - تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه انتهى . والمراد بالهام والصدى في الخبر أرواح الكفار ، وإنّما عبّر عنها بهما لأنّهم كانوا هكذا يعبرون عنها ، وإن كان ما زعموه في ذلك باطلاً .

١٤ - كا : العدة ، عن أحمد بن محمد ، وسهل بن زياد ، وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن ضريس الكناسي قال : سألت أبا جعفر

(١) في النهاية : في حديث علي عليه السلام شرّ بئر في الأرض برهوت . هو بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول إلى قعرها ؛ ويقال : برهوت بضم الباء وسكون الراء ، وتكون تأوها على الأول زائدة ، وعلى الثاني أصلية انتهى . وفي القاموس : برهوت كحلزون : واد أو بئر بحضرموت . أخرجه الهروي عن علي عليه السلام ، وأخرجه الطبراني في المعجم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله .

(٢) في القاموس : بيسان : بلدة بالشام .

(٣) في النهاية : نجران : موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن .

عليه السلام أن الناس يذكرون أن فراتنا ^(١) يخرج من الجنة ، فكيف هو وهو يقبل من المغرب وتصب فيه العيون والأودية ؛ قال : فقال أبو جعفر عليه السلام - وأنا أسمع - : إن لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها ، ^(٢) وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء ، فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعّم فيها وتتلاقى وتتعارف ، فاذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبةً وجائيةً وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف ؛ قال : وإن لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ، ويأكلون من زقومها ، ويشربون من حميمها ليلهم ، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له : برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون ، فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة ؛ قال : قلت : أصلحك الله ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم ؛ فقال : أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرهم لا يخرجون منها ، فمن كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنّه يخذله خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة ، فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته ، فأما إلى الجنة ، أو إلى نار ، فهؤلاء موقوفون لأمر الله ، قال : وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ، فأما النصاب من أهل القبلة فإنّهم يخذلهم خدّاً إلى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة ، ثمّ مصيرهم إلى الحميم ثمّ في النار يسجرون ، ثمّ قيل

(١) الفرات نهر عظيم مبده نبعه في أرمينية إحدى الممالك الجمهورية في روسيا ، ثم يجري في جبال طوروس من تركيا ، ثم يجتاز السورية والعراق ، ثم يتحد بدجلة فيكون منهما شط العرب فينصب في بحر العمان ؛ وللتوراة الموجودة عناية في شأن هذا النهر وتبريكه وتقديسه وانها من انهار الجنة ؛ وهذا مما يؤكد احتمال الدس في هذه الرواية وما يقرب منها مضمونا ، ولو كانت صحيحة مقبولة كان المراد بكون جنة الدنيا في أرمينية مثال كون نار الدنيا في برهوت ؛ والجنة والنار في حفرة القبر كناية عن نحو من التعلق بها . ط

(٢) في المصدر : وماء فراتكم يخرج منها . م

لهم : أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً . « ف ج ١ ص ٦٨ »

١٥ - ك : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن من وراء اليمن وادياً يقال له : وادي برهوت ، ولا يجاور ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير ، في ذلك الوادي بر يقال لها : بلهوت يغدى ويراح إليها بأرواح المشركين يسقون من ماء الصديد .

١٦ - فس : أبي ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً ، فقال : وما رأيت ؟ قال : كان لي مريض ونعت له من ماء بر الأحقاف يستشفى به في برهوت ، ^(١) قال : فتهيأت ومعى قرعة وقدح لآخذ ^(٢) من مائها وأصب في القرعة إذا شيء قد هبط من جو السماء كهيئة السلسلة وهو يقول : يا هذا اسقني ، الساعة أموت ، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة فلما ذهبت أنأوله القدح اجتذب حتى علق بالشمس ، ثم أقبلت على الماء أغترف إذ أقبل الثانية وهو يقول : العطش العطش يا هذا اسقني الساعة أموت ، فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتى علق بعين الشمس ^(٣) حتى فعل ذلك الثالثة ، وشدت قربتي ولم أسقه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك قاييل بن آدم قتل أخاه ، وهو قوله عز وجل : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » . ^(٤) « ص ٢٣٨ »

(١) في المصدر : نستقي في برهوت . م

(٢) في المصدر : قال : فانهيت ومعى قرعة لآخذ . م

(٣) في المصدر : علق بالشمس . م

(٤) بشكل الخبر بأن ما ذكر فيه من القصة أولاً لا ينطبق على ما ذكر من الآية أخيراً ، على أن أخبار تعذيب قاييل في عين الشمس ومنها هذا الخبر موضوعة وسنبين ذلك إن شاء الله فيما سيجيء . من قصة هابيل وقاييل من كتاب قصص الأنبياء . ط

بيان : سيأتي أمثال هذا الخبر بطرق متعددة في أبواب أحوال الأئمة عليهم السلام ،
وباب أحوال أولاد آدم عليه السلام وغيرها .

١٧ - ير : محمد بن الحسين ، عن البرنطي ، عن عبد الكريم ، عن محمد بن مسلم ،
عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء أعرابي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال : من أين جئت يا أعرابي ؟
قال : من الأحقاف أحقاف عاد ، قال : رأيت وادياً مظلماً فيه الهام والبوم لا يبصر قعره
قال : وتدرى ما ذاك الوادي ؟ قال : لا والله ما أدري ، قال : ذاك برهوت فيه نسمة ^(١)
كل كافر . ^(٢) (ص ١٤٨)

١٨ - كتاب زيد النرسي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إذا كان يوم
الجمعة ويوما العيدين أمر الله رضوان خازن الجنان أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم
في عرصات الجنان : إن الله قد أذن لكم الجمعة بالزيارة إلى أهاليكم وأحبائكم من أهل
الدنيا ، ثم يأمر الله رضوان أن يأتي لكل روح بناقة من نوق الجنة عليها قبة من
زبرجدة خضراء غشاؤها من ياقوتة رطبة صفراء ، على النوق جلال و براقع من سندس
الجنان و إستبرقها ، فيركبون تلك النوق ، عليهم حلال الجنة ، متوجون بتيجان الدر
الرطب تضيء كما تضيء الكواكب الدرية في جو السماء من قرب الناظر إليها لا من البعد ،
فيجتمعون في العرصة ، ثم يأمر الله جبرئيل من أهل السماوات أن تستقبلوهم فتستقبلهم
ملائكة كل سماء وتشيعهم ملائكة كل سماء إلى السماء الأخرى فينزلون بوادي السلام
وهو واد بظهر الكوفة ، ثم يتفرقون في البلدان والأصاغر حتى يزوروا أهاليهم الذين كانوا
معهم في دار الدنيا ، ومعهم ملائكة تصرّفون وجوههم عما يكرهون النظر إليه إلى ما
يحبون ، ^(٣) و يزورون حفر الأبدان حتى ما إذا صلى الناس وراح أهل الدنيا إلى
منازلهم من مصلاًهم نادى فيهم جبرئيل بالرحيل إلى غرفات الجنان فيرحلون ، قال :
فبكى رجل في المجلس فقال : جعلت فداك هذا للمؤمن فما حال الكافر ؟ فقال أبو

(١) النسمة : الروح .

(٢) اسقط رحمه الله صدر الخبر وذيله . م

(٣) في كتاب زيد النرسي المطبوع : فيصرفون وجوههم عما يكرهون النظر إليه إلى ما يحبون .

عبدالله عليه السلام : أبدان ملعونة تحت الثرى في بقاع النار ، و أرواح خبيثة مسكونة بوادي برهوت من بئر الكبريت في مركبات الخبيثات الملعونات ، يؤدي ذلك الفزع و الأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثرى في بقاع النار ، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال ، فلا تزال تلك الأبدان فزعة زعرة ، وتلك الأرواح معذبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المصفوفات ^(١) مسجونات فيها لا ترى روحاً ولاراحة إلى مبعث قائمنا ، فيحشرها الله من تلك المركبات فتد في الأبدان ، وذلك عند النشرات ^(٢) فتضرب أعناقهم ، ثم تصير إلى النار أبد الآبدين ودهر الداهرين .

بيان : ظاهره كون أرواح السعداء في عالم البرزخ في الجنة التي في السماء ، و يمكن تخصيصها ببعض المقرين ، و المراد بالمركبات الخبيثات الأجساد المثالية المناسبة لأرواحهم الملعونة ، و يدل على أن للأجساد الأصلية أيضاً حظاً من العذاب .

﴿ باب ١٠ ﴾

﴿ ما يلحق الرجل بعد موته من الأجر ﴾

١ - ل : أبي ، عن الحميري ، عن ابن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال : صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة ، صدقة موقوفة لا تورث ؛ أو سنة هدى سنّها و كان يعمل بها و عمل بها من بعده غيره ؛ أو ولد صالح يستغفر له . « ج ١ ص ٧٣ »

٢ - ل : أبي ، عن سعد ، عن اليقطيني ، عن محمد بن شعيب ، عن الهيثم ، عن أبي كهشم ، ^(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ست خصال ينتفع بها المؤمن من بعده موته : ولد

(١) في كتاب زيد النرسي المطبوع : المصفقات .

(٢) في كتاب زيد النرسي المطبوع : النشرات (النشرات خل) .

(٣) هكذا في النسخ ولكن الصحيح الهيثم أبي كهشم .

صالح يستغفر له ، ومصحف يقرأ فيه ، وقلب^(١) يحفره ، و غرس يغرسه ، و صدقة ماء يجربه ، و سنة حسنة يؤخذ بها بعده . «ج١ ص ١٥٧»

٣ - ما : المفيد ، عن أحمد بن الوليد ، عن أبيه ، عن الصفار ، عن ابن عيسى ، عن يونس ، عن السري بن عيسى ، عن عبد الخالق بن عبد ربّه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : خير ما يخلفه الرجل بعده ثلاثة : ولد بار يستغفر له ، و سنة خير يقتدى به فيها ، و صدقة تجري من بعده .

٤ - لى : محمد بن عليّ ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن منصور ، عن هشام بن سالم ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال : صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته ، و سنة هدى سنّها فهي تعمل بها بعد موته ، و ولد صالح يستغفر له . «ص ٢٢»

٥ - سن : أبي ، عن أبان بن عثمان ، عن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أي شيء يلحق الرجل بعد موته ؟ قال : يلحقه الحج عنه ، والصدقة عنه ، والصوم عنه . «ص ٧٢»



﴿أبواب المعاد﴾

﴿وما يتبعه ويتعلق به﴾

﴿باب ١﴾

﴿أشرط الساعة ، وقصة يأجوج و مأجوج ﴾

الآيات ، الانعام ٦٠ ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون ١٥٨ .

١ الكهف ١٨ ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من فوئهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ^(١) ﴾ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ^(٢) ﴾ آتوني زبر ^(٣) الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين ^(٤) قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً ^(٥) ﴾ فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴿ قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي

(١) السد بالفتح والضم بمعنى واحد وهو الحاجز بين الشيتين ، وقيل : السد بالضم ما كان خلقه وبالفتح ما كان صنعة .

(٢) الردم : سد الثمة بالحجر ، ويستعمل في الحاجز الحصين ، وهو أكبر من السد .

(٣) الزبر : قطع عظيمة من الحديد ، مفردا زبرة .

(٤) الصدفين . جانبي جبلين متقابلين ، أي ما بين الناحيتين من الجبلين ، مفردا صدف ، وهو

منقطع الجبل أو ناحيته .

(٥) القطر : النحاس المذاب .

جعله دكاء^(١) وكان وعد ربّي حقّاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ٩٣-٩٩.

الا نبياء ٢١، حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياولنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين ٩٦-٩٧ «وقال»: وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ١٠٩.

النمل ٢٧، وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ٨٢.

الزخرف ٤٣، وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ٦١. الدخان ٤٤، يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون * إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ١١-١٦.

محمد ٤٧، فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها^(٢) فأنسى لهم إذا جاءتهم ذكريهم ١٨.

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله: «هل ينظرون» أي ما ينتظر هؤلاء الكفار «إلا أن تأتيهم الملائكة» لقبض أرواحهم؛ وقيل: لا نزال العذاب والخسف بهم؛ وقيل: لعذاب القبر «أويأتي ربك» أي أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف، أويأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفصل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه لقيام الدليل في العقل عليه؛ أو المعنى: أويأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو آجل بالقيامة كما يقال: قد أتاهم فلان أي قد أوقع بهم «أويأتي بعض آيات ربك» وذلك نحو خروج الدابة أو طلوع الشمس من مغربها.

و روي عن النبي ﷺ أنه قال: بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من

(١) أي مدكوكة، مستويًا، مبسوطًا.

(٢) أي علاماتها.

مغربها ، والدابة ، والدجال ، والدخان ، وخريصة أحدكم - أي موته - وأمر العامة يعني القيامة «يوم يأتي بعض آيات ربك» الذي يضطرهم إلى المعرفة ويزول التكليف عندها «لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة . «أو كسبت في إيمانها خيراً» عطف على قوله : آمنت ، وفيه أقوال :

أحدها : أنه إنما قال ذلك على جهة التغليب لأن أكثر من ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً .

وثانيها : أنه لا ينفع أحد أفعال الإيمان ولا فعل خير في تلك الحال لأنه حال زوال التكليف ، فالمعنى أنه لا ينفعه إيمانه حينئذ وإن كسب في إيمانه خيراً .

وثالثها : أنه للإبهام في أحد الأمرين ، والمعنى : أنه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمنت إلى إيمانها أعمال الخير ، فإنها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها ، وكذلك إذا ضمنت إلى الإيمان طاعة نفعها أيضاً وهذا أقوى .

وقال رحمه الله في قوله : «إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض» : فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم و يأكلون لحومهم و دوابهم ؛ و قيل : كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ، ولا يابساً إلا احتملوه ، عن الكلبي .

وقيل : إنهم أرادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم ، وورد في الخبر عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج ، قال : يأجوج أمة ، و مأجوج أمة ، كل أمة أربع مائة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم أمثال الأرز ، ^(١) قلت : يا رسول الله و ما الأرز ؟ قال شجر بالشام طويل ، وصنف منهم طولهم و عرضهم سواء و هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد ، و صنف منهم يفرش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ، ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل

(١) بالفتح ثم السكون .

ولا خنزير إلا أكلوه ، من مات منهم أكلوه ، مقدّماتهم بالشام ، وساقّتهم^(١) بخراسان ، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية^(٢) .

قال وهب و مقاتل : إنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك ، وقال السدي : الترك سرية من يأجوج و مأجوج خرجت تغير فجاء ذوالقرنين ف ضرب السد ف بقيت خارجة ، وقال قتادة : إن ذالقرنين بنى السد على أحد وعشرين قبيلة ، و بقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك . و قال كعب : هم نادرة من ولد آدم ، و ذلك أن آدم احتلم ذات يوم و امتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج و مأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد^(٣) .

«فما اسطاءوا أن يظهروه» أي يعلوه و يصعدوه «وما استطاعوا له نقباً» أي لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته و صلابته ، فنفى بذلك كل عيب يكون في السد ؛ و قيل : إن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط ؛ و قيل : إنه وراء دربند و خزران من ناحية أرمينية و آذربيجان ؛ و قيل : إن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع ، و عرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً .

قال ذوالقرنين : « هذا رحمة من ربّي » أي هذا السدّ نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شرّ يأجوج و مأجوج عنهم « فإذا جاء وعد ربّي » يعني إذا جاء وقت أشراط الساعة و وقت خروجهم الذي قدّره الله تعالى « جعله دكاً » أي جعل السدّ مستويّاً مع الأرض مدكو كاً أو ذا دك ، وإنّما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود ؛ و جاء في الحديث أنّهم يدأبون في حفره نهارهم حتّى إذا أمسوا و كادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا : نرجع غداً و نفتحه و لا يستثنون فيعودون من الغد و قد استوى كما كان حتّى إذا جاء وعد الله قالوا : غداً نخرج و نفتح إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهية حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون

(١) في نسخة : مؤخرتهم .

(٢) الحديث عامي . و كذا ما يأتي بعد ذلك ضمن التفسير .

(٣) بل يشبه الاساطير . و الاعاجيب التي حكيت فيهم ، لم ترد في الكتاب العزيز و لا في

أنر صحيح .

المياه ، وتتحصن الناس في حصونهم منهم ، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون : قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفاً^(١) في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها ، فقال النبي ﷺ : والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً ؛^(٢) وفي تفسير الكلبي : إن الخضر واليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يعجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج .

« و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم و يكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه ؛ وقيل : إن الله أراد سائر الخلق الجن والإنس أي تركنا الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلط بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج » أي فتحت جهنم ، والمعنى انفرج سدّهم بسقوط أو هدم أو كسر وذلك من أشراف الساعة « وهم من كلّ حذب ينسلون » أي من كلّ نشز^(٣) من الأرض يسرعون ، يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة^(٤) إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين « واقترب الوعد الحق » أي الموعد الصديق وهو قيام الساعة ، فإذ هي شاخصة أبصار الذين كفروا أي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم و هوله ، « يقولون يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا » أي اشتغلنا بأمر الدنيا ، وغفلنا من هذا اليوم فلم نتفكر فيه ، بل كنّا ظالمين بأن عصينا الله تعالى و عبدنا غيره .

وقال في قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم » أي وجب العذاب والوعيد عليهم ، وقيل : معناه : إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم . وقيل : إذا غضب الله عليهم ؛ وقيل : إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمي المقول قولاً « أخرجنا لهم

(١) النغفة : دود يكون في أنوف الابل والغنم .

(٢) أي تمتلئ . ضرعها لبناً . وفي مجمع البيان المطبوع : وتشكر من لحومهم سكرأ . ولعله

مصنف .

(٣) النشز : المكان المرتفع .

(٤) أكمة : التل .

دابة من الأرض، تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن، والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة، وهو علم من أعلام الساعة؛ وقيل: لا يبقى مؤمن إلا مسحته، ولا يبقى منافق إلا حطمته، تخرج ليلة جمع والناس يسرون إلى منى، عن ابن عمر؛ وروى محمد بن كعب قال: سئل علي عليه السلام عن الدابة فقال: أما والله مالها ذنب وإن لها للحية؛ وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس.

و روى ابن عباس أنها دابة من دواب الأرض لها زغب ^(١) وریش ولها أربع قوائم. وعن حذيفة، عن النبي صلی الله علیه وآله قال: دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى يقال: يامؤمن، ويا كافر.

و روي عن النبي صلی الله علیه وآله أنه تكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج خروجاً بأقصى المدينة فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة، ثم تمكث زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة، ثم صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها، وتثبت لها عصاة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدريّة، ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى أن الرجل يقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؛ فيقبل عليها بوجه فتسمه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في الأموال، يعرف المؤمن من الكافر فيقال للمؤمن: يامؤمن، وللکافر: يا كافر. و روي عن وهب أنه قال: وجهها وجه رجل، وسائر خلقها خلق الطير. ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهية.

(١) الزغب: أول ما يبدو من الشعر أو الریش.

وقوله : « تكلمهم » أي تكلمهم بما يسوؤهم ؛ وهو أنهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه ؛ وقيل : تحدّثهم بأن هداماً من وهذا كافر ؛ وقيل : تكلمهم بأن تقول لهم : بأنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ، وهو الظاهر ؛ وقيل : « بآياتنا » معناه بكلامها وخروجها . وقال في قوله تعالى : « وإنّه لعلم للساعة » يعني أن نزول عيسى عليه السلام من أشرط الساعة يعلم به قربها « فلا تمترن بها » أي بالساعة لا تكذبوا بها ولا تشكّوا فيها ؛ وقال ابن جريح أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : كيف أنتم إذا نزل ^(١) عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل بنا فيقول : لا ؛ إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه من الله لهذه الأمة . أورده مسلم في الصحيح . وفي حديث آخر : كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم ؛ وقيل : إن الهاء يعود إلى القرآن ومعناه : إن القرآن لدلالته على قيام الساعة والبعث يعلم به ؛ وقيل : معناه : إن القرآن لدليل الساعة ، لأنّه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء .

وقال في قوله : « يوم تأتي السماء بدخان مبين » : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على قومه لما كذبوه ^(٢) فأجذبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان ؛ وقيل : إن الدخان آية من أشرط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد ، وإنّه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل أسماعهم ، حتّى أن رؤوسهم تكون كالرأس الحنيد ^(٣) ويصيب كل مؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت أو قد فيه ليس فيه خصاص ^(٤) ويمكن ذلك أربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجباي .

(١) ليست جملة : (كيف أنتم إذا) في المجمع والصحيح المطبوعين ، والموجود في الاول هكذا : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ينزل عيسى إه . وفي الثاني هكذا : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال : فينزل عيسى إه . راجع مجمع البيان ج ٨ ص ٥٤ وصحيح المسلم ج ١ ص ٩٥ .

(٢) في المجمع هنا جملة وهي : فقال : اللهم سنين كسنى يوسف .

(٣) أي المشوى من قولهم : حنذا اللحم : إذا شواه وأنضجه بين حجرين ، فاللحم حنيد . ويمكن أن يكون من حنذا الفرس أي أجراه ليعرق ، فالفرس محنوذ وحنيد .

(٤) الخصاص بفتح الخاء : الفرجة والخلة .

« يغشى الناس » يعني أن الدخان يعم جميع الناس ، وعلى القول الأول المراد بالناس أهل مكة ، فقالوا ، ربنا كشف عنا العذاب إننا مؤمنون بمحمد ﷺ والقرآن قال سبحانه : « أنسى لهم الذكرى » أي من أين لهم التذكروا الاتعاظ ، وقد جاءهم رسول مبین أي وحالهم أنهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة « ثم تولوا عنه » أي أعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله وقالوا : « معلم مجنون » ثم قال سبحانه : « إننا كشفوا العذاب » أي الجوع والدخان « قليلاً » أي زماناً يسيراً إلى يوم بدر « إنكم عائدون » في كفركم وتكذيبكم ، أو عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم ، والقليل مدة بين العذابين « يوم نبطش البطشه الكبرى » أي واذكر ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأول وعلى القول الآخر يوم القيامة ، والبطش : هو الأخذ بشدة « إننا منتقمون » منهم ذلك اليوم .

وقال رحمه الله في قوله تعالى : « فهل ينظرون إلا الساعة » : أي فليس ينتظرون إلا القيامة « أن تأتيهم بغتة » أي فجأة « فقد جاء أشراطها » أي علاماتها « فأنسى لهم إذا جاءتهم ذكراهم أي » فمن أين لهم الذكرى والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة ؟ .

وقال الرازي في تفسيره : إن موضع السدين في ناحية الشمال ، وقيل : جبلان بين أرمينية وبين آذربيجان ، وقيل : هذا المكان في مقطع عرض الترك . وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن صاحب آذربيجان أيام فتحها وجه إنساناً من ناحية الخزر فشاهده ووصف أنه بنيان رفيع وراء خندق عميق وثيق متسع . وذكر ابن خرداد في كتاب المسالك والممالك أن الواثق بالله رأى في المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه ليعاينوه فخرجوا من باب الأبواب حتى وصلوا إليه و شاهدوه ، فوصفوا أنه بناء من اللبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب ، وعليه باب مقفل ، ثم إن ذلك الإنسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل إلى البقاع المحاذية لسمرقند .

قال أبو الريحان : مقتضى هذا أن موضعه في الربع الشمالي في الغربي من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال . ثم قال : عند الخروج من وراء السد يمشون مزدحمين في البلاد يأتون البحر فيشربون ماءه ، ويأكلون دوابه ، ثم يأكلون الشجر ، ويأكلون

لحوم الناس ، ولا يقدرّون أن يأتوا مكة و المدينة وبيت المقدس ، ثمّ يبعث الله عليهم حيوانات فتدخل آذانهم فيموتون .

أقول : قال في النهاية : فيه تخرج الدابة و عصا موسى و خاتم سليمان فتجلى وجه المؤمن بالعصا و تخطم وجه أنف الكافر بالخاتم أي تسمه بها ، من خطمت البعير : إذا كريتته خطماً من الأنف إلى أحد خديّه ، وتسمّى تلك السمة الخطام ، ومنه حديث حذيفة : تأتي الدابة المؤمن فتسلم عليه ، وتأتي الكافر فتخطمه .

١ - ل : عبدالله بن حامد ، عن محمد بن أحمد بن عمرو ، عن تميم بن بهلول ، عن عثمان ، عن وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن فرات القزاز ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة ابن أسيد^(١) قال : اطلع علينا رسول الله ﷺ من غرفة له - ونحن نتذاكر الساعة - فقال : لا تقوم الساعة حتّى تكون عشر آيات : الدجال ، و الدخان ، و طلوع الشمس من مغربها : ودابة الأرض ، و يأجوج و مأجوج ، و ثلاثة خسوف : خسف بالشرق ، و خسف بالمغرب ، و خسف بجزيرة العرب ؛ و نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تنزل معهم إذا نزلوا ، و تقبل معهم إذا أقبلوا^(٢) .

٢ - ل : الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري ، عن عبدالله بن محمد بن حكيم القاضي ، عن الحسين بن عبدالله بن شاكر قال : حدّثنا إسحاق بن حمزة البخاري وعمّي قالاً : حدّثنا عيسى بن موسى غنجار^(٣) ، عن أبي حمزة بن رقية وهو ابن مصقلة الشيباني عن الحكم بن عتيبة^(٤) ، عن سمع حذيفة بن أسيد يقول : سمعت النبي ﷺ يقول :

(١) وزان أمير هو حذيفة بن أسيد أبوسريجة - بمهملتين مفتوحة الاولى - صحابي من أصحاب الشجرة ، مات سنة ٤٢ قاله ابن حجر في التقریب ص ٩٨ .
(٢) لم نجد الحديث في الخصال المطبوع والظاهر سقوط واحدة من الايات وهو نزول عيسى بن مريم ، والحديث مذكور في صحيح مسلم ، راجع ج ٨ ص ١٧٩ .
(٣) بضم الفين وسكون النون ، هو عيسى بن موسى البخاري أبو أحمد الازرق ، لقبه غنجار ، قال ابن حجر : صدوق ربما أخطأ وربما دلس ، مكث من الحديث ، عن المتروكين ، من الثامنة ، مات سنة ٨٧ .

(٤) بالتاء ثم الياء مصغراً أبو محمد الكندي الكوفي ، قال ابن حجر : ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس ، من الخامسة ، مات سنة ثلاث عشرة (أى ١١٣) أو بعدها وله نيف وستون انتهى . وعده الشيخ في رجاله زیدیا تبریاً ، وقال توفي سنة ١١٤ وقيل : ١١٥ ويوجد في رجال الكشي روايات تدل على ذمه .

عشر آيات بين يدي الساعة ، خمس بالشرق ، وخمس بالمغرب ، فذكر الدابة والدجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم عليه السلام وأجوج و مأجوج وأنه يغلبهم و يغرقهم في البحر ، ولم يذكر تمام الآيات . «ج ٢ ص ٥٩»

٣ - ل : محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبد الله الوراق محمد بن عبد الله بن الفرغ عن علي بن بنان المقرئ ، عن محمد بن سابق ، عن زائدة ، عن الأعمش قال : حدثنا فرات القزّاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في غرفة فاطمعة علينا فقال فيم أنتم ؟ فقلنا : نتحدث ، قال : عمّ ذا ؟ قلنا : عن الساعة ، فقال : إنكم لاترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض وثلاثة خسوف تكون في الأرض : خسف بالشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ؛ وخروج عيسى بن مريم عليه السلام ، وخروج أجوج و مأجوج ، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لاتدع خلفها أحداً تسوق الناس إلى المحشر كلما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر . ^(١) «ج ٢ ص ٦٠ - ٦١»

٤ - ل : الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، عن محمد بن عبد الله البرزّاز ، عن أحمد بن محمد بن إبراهيم العطّار ؛ عن أبي الربيع سليمان بن داود ، عن فرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا عملت أمتي خمسة عشر خصلة حلّ بها البلاء ، قيل : يا رسول الله وما هي ؟ قال : إذا كانت المغانم دولا ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرمأ ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمّه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، والقوم أكرمه ^(٢) مخافة شرّه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، ولبسوا الحرير ، واتخذوا

(١) لم يذكر في الحديث آية منها وهي الدخان . و الحديث المذكور في صحيح مسلم وغيره من كتب العامة ، راجع الصحيح ج ٨ ص ١٧٩ .

(٢) في المصدر : واكرمه القوم . وفي نسخة مخطوطة منه : واكرم الرجل مخافة شره .

القينات ، وضربوا بالمعازف^(١) ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقب عند ذلك ثلاثة :
الريح الحمراء ، أو الخسف ، أو المسخ .^(٢) ج ٢ ص ٩١

٥ - ل : محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر ، عن أبي يحيى البراذ
النيشابوري ، عن محمد بن خشنام^(٣) البلخي ، عن قتيبة بن سعيد ، عن فرج بن فضالة مثله .
قال الصدوق رضي الله عنه : يعني بقوله : ولعن آخر الأمة أولها الخوارج الذين
يلعنون أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو أول الأمة إيماناً بالله عز وجل و برسوله صلوات الله عليه وآله
ج ٢ ص ٩١-٩٢

بيان : قال الجزري : في حديث أشراف الساعة : إذا كان المغنم دولاً جمع دولة
بالضم وهو ما يتداول من المال ؛ فيكون لقوم دون قوم . والزكاة مغرمات أي يرى رب
المال أن إخراج زكاته غرامة يغرمها انتهى . قوله صلوات الله عليه وآله : والأمانة مغنماً أي يتصرف
فيها كالغنيمة ولا يردّها على مالكها ، أو يحرص على أخذها لأنّه لا ينوي ردّها ،
يقال : فلان يتغنم الأمر أي يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة . وقال ابن الأثير في
جامع الأصول : أي يعدّ الخيانة من الغنيمة .

٦ - فس : « فهل ينظرون إلا الساعة » يعني القيامة « أن تأتيهم بغتة فقد جاء
أشرافها » فإنّه حدّثني أبي ، عن سليمان بن مسلم الخشّاب ،^(٤) عن عبد الله بن

(١) القينات جمع القينة وهي المغنية ، وكثيراً ما تطلق على المغنية من الاماء ، قال في النهاية :
نهى عن بيع القينات أي الاماء المغنيات . وقال : المعازف هي الدفوف وغيرها مما يضرب . قلت :
تشمل الطنبور والعود والقيثارة وغيرها من آلات الطرب .

(٢) غير خفي ان تلك الخصال المعدودة في هذه الرواية لا تتجاوز عن اربع عشر خصلة و هكذا
كانت فيما رأيناه من نسخ المصدر مطبوعة ومخطوطة . م

(٣) بضم الغاء و سكون النون : لقب عجمي ، و في الخصال المطبوع : محمد بن حسام بن
عمران البلخي .

(٤) بفتح الغاء وتشديد الشين : بياع الخشب . والخبر يشتمل على الانباء بجلال من الامور
التي تقع بعده صلى الله عليه وآله التي لا يطلع عليه إلا من له صلة بعالم الغيب و علام الغيوب ،
ففيه من اعلام النبوة وآيات الرسالة ما يبصر كل ناظر و يرشده إلى الايمان بنبوة خاتم النبيين
صلى الله عليه وآله .

جريح المكيّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فأخذ باب الكعبة^(١) ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ - وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه - فقال: بلى يا رسول الله، فقال: إن من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتّباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم المال،^(٢) وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن وجوفه كما يذوب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره. قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده.

يا سلمان إنّ عندها أمراء جورّة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده.

يا سلمان إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وائتمن الخائن^(٣) ويخون الأمين، ويصدّق الكاذب، ويكذب الصادق؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده.

يا سلمان فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً، والزكاة مغرماً، والفیء مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويرصدّيقه، ويطلع الكوكب المذنّب؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده.

يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، و يغیظ الكرام غیظاً، و يحتقر الرجل المعسر، فعندها يقارب الأسواق إذا قال هذا: لم أبع شيئاً،^(٤) وقال هذا: لم أربح شيئاً فلا ترى إلّا ذاماً لله؛ قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده.

(١) في المصدر: بحلقة باب الكعبة م

(٢) في المصدر: وتعظيم اصحاب المال م

(٣) في المصدر: ويؤتمن الخائن م

(٤) في المصدر: لم ابع يقيناً م

يا سلمان فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم ، و إن سكتوا استباحوهم
ليستأثروا بفيثهم^(١) ، وليطؤن حرمتهم ، وليسفكن دماءهم ، ولتملأن قلوبهم رعباً ، فلا
تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين ؛ قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان : إن عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلوّن أمتي^(٢)
فالويل لضعفاء أمتي منهم ، و الويل لهم من الله ، لا يرحمون صغيراً ، ولا يوقرون كبيراً
ولا يتجاوزون عن مسيء ، أخبارهم خناء ، جثتهم جثة الآدميين^(٣) و قلوبهم قلوب
الشياطين ، قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان ، و عندها تكفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، و يغار على
الغلمان^(٤) كما يغار على الجارية في بيت أهلها ، ويشبه الرجال بالنساء ، و النساء
بالرجال ، ويركبن ذوات الفروج السروج فعليهن من أمتي لعنة الله ؛ قال سلمان : وإن
هذا لكائن يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان إن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع و الكنائس ،^(٥) و
يحلى المصاحف ، و تطول المنارات ، و تكثر الصفوف بقلوب متباغضة و ألسن مختلفة ؛
قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

وعندها تحلى ذكور أمتي بالذهب ، ويلبسون الحرير و الديباج ، ويتخذون
جلود النمر صفاقاً ،^(٦) قال سلمان : و إن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي
والذي نفسي بيده .

(١) في المصدر : ليستأثرن بفيثهم . م

(٢) أي تختلف أخلاقهم ، فلا ترى فيهم الخلق الإسلامية .

(٣) في المصدر : ولا يتجاوزون عن شيء ، جثتهم جثت آدم . م

(٤) أغار عليهم : هجم وأوقع بهم .

(٥) بيع كغيب : معابد النصراني ، مفردتها بيعة بالكسر . و كنائس : معابد اليهود والنصارى
مفردتها كنيسة .

(٦) في المصدر : صفاقاً . م

يا سلمان وعندها يظهر الربا ، ويتعاملون بالغيبة والرشاء ،^(١) ويوضع الدين ، و ترفع الدنيا ؛ قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان وعندها يكثر الطلاق ، فلا يقام لله حد ، ولن يضر الله شيئاً ؛ قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان وعندها تظهر القينات والمعازف ، ويليهن أشرار أمتي ؛ قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان وعندها تحج أغنياء أمتي للنزهة ، وتحج أوساطها للتجارة ، وتحج فقراؤهم للرياء والسمعة ، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ، ويتخذونه مزامير ، و يكون أقوام يتفقهون لغير الله ، ويكثر أولاد الزنا ، ويتغنون بالقرآن ، ويتهافتون بالدنيا ؛^(٢) قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان ذاك إذا انتهكت المحارم ، و اكتسبت المآثم ، و سلط الأشرار على الأخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، ويفشو الحاجة ،^(٣) ويتباهون في اللباس ويمطرون في غير أوان المطر ، ويستحسنون الكوبة والمعازف ، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من الأمة^(٤) و يظهر قرأؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم ، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات : الأرجاس والأنجاس ؛ قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

(١) في المصدر : بالعينة والرشاء . م

(٢) أي يتساقطون بها . وأكثر استعماله في الشر .

(٣) في المصدر : ويفشو الفاقة . م

(٤) في المصدر : اذل من في الأمة . م

يا سلمان فعندها لا يخشى الغني إلا الفقر^(١) حتى أن السائل ليسأل فيما بين
الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً ، قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟
قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده .

يا سلمان عندها يتكلم الروبضة ؛ فقال : وما الروبضة يا رسول الله فداك أبي
وأُمِّي ؛ قال ﷺ : يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى
تخور الأرض خورة ، فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم فيمكثون ماشاء الله
ثم ينكتون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها - قال : ذهب وفضة - ثم أو ما بيده
إلى الأساطين فقال : مثل هذا ، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة ، فهذا معنى قوله :
« فقد جاء أشرطها » . « ص ٦٢٧-٦٢٩ »

بيان : قوله ﷺ : ويكون الكذب طرفاً أي يستطرفه الناس ويعجبهم ، والكوكب
المذنب : ذو الذنب . وقال الجزري : يوم قائط : شديد الحر ، ومنه حديث أشرط
الساعة : يكون الولد غيظاً ، والمطر قيظاً ؛ لأن المطر إنما يراد للنبات وبرد الهواء ، والقيظ
ضد ذلك انتهى . ويقال : استباحهم أي استأصلهم .

قوله ﷺ : يلوّن أمتي من اللون أي يتلوّنون ويتزيّنون بألوان مختلفة مما
يؤتى إليهم من المشرق والمغرب .

قوله ﷺ : ويتخذون جلود النمر صفاقاً أي يرققونها ويلبسونها ؛ والثوب
الصفيق : ضد السخيف ؛ أو يعملونها للدف والعود وسائر آلات اللّهو يقال : صفق العود
أي حرّك أوتاره ؛ والصفق : الضرب يسمع له صوت . والقينة : الأمة المغنية ، والمعازف :
الملاهي كالعود والطنبور .

قوله ﷺ : يتخذونه مزاميراً أي يتغنّون به ، قال الجزري : في حديث أبي موسى :
سمعه النبي ﷺ يقرأ فقال : لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود ؛ شبه حسن

(١) في نسخة : لا يخشى الغنى إلا الفقير وهكذا في المصدر . م

صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار انتهى . والتهافت : التساقط ، والكوبة بالضم : النرد والشطرنج والطبل الصغير المخصر والبربط .

وقال الجزري : في حديث أشراط الساعة أن ينطق الروبيضة في أمر العامة ، قيل : وما الروبيضة يا رسول الله ؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة ، والروبيضة تصغير الرابضة وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة ؛ والتافه : الحقير الخسيس . وقال صلى الله عليه وآله في أشراط الساعة : تقيء الأرض أفلاذ كبدها أي تخرج كنوزها المدفونة فيها ، وهو استعارة ؛ والأفلاذ جمع فلذ ، والفلذ جمع فلذة ، وهي القطعة المقطوعة طولاً ، ومثله قوله تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها ، انتهى . وخار الثور : صاح .

وقال السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر : روى أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال : تقيء الأرض أفلاذ كبدها مثل الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجىء القاتل فيقول : في مثل هذا قتلت ، ويجىء القاطع للرحم فيقول : في مثل هذا قطعت رحمي ، ويجىء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً . معنى تقيء أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قرب الساعة ؛ وقوله : تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجاً وإظهاراً ، وكذلك تسمية ما في الأرض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير وغيره ، وللعرب في هذا مذهب معروف ، واختلف أهل اللغة في الأفلاذ فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقر إلى آخر ما ذكره رحمه الله ونقله .

٧ - ما : جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن سعيد بن يحيى ، عن إسماعيل بن عبد الله بن خالد القاضي قال أبو المفضل : وحدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن حماد ، عن الربيع بن تغلب قال : حدّثنا فرج بن فضالة ، قال : وحدّثني محمد بن يوسف بن بشير ، عن علي بن عمرو بن خالد ، عن أبيه ، عن فرج ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن

محمد بن عليّ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ؛ وقال أبو خيثمة : ^(١) عن محمد بن عليّ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، عن النبي ﷺ قال : إذا صنعت - وقال أحدهم : إذا فعلت - أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : إذا صارت الدنيا عندهم دولا - وقال أحدهم : إذا كان المال فيهم دولا - والخيانة مغنماً ، والزكاة مغرمأ ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمّه ، وبرّ صديقه ، وجفأ أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وأكرم الرجل مخافة شرّه ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، ولبس الحرير ، وشرب الخمر ، واتخذت القيان ، ^(٢) وضرب بالمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا إذا عملوا ذلك ثلاثاً : ريحاً حمراء ، وخسفاً ، ومسحاً . «ص ٣٢٨ - ٣٢٩»

٨ - ما : ابن الصلت ، عن ابن عقدة ، عن القاسم بن جعفر المعروف بابن الشاميّ ، عن عبيد بن أحمد القزوينيّ ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، عن أبي رافع ، عن حذيفة بن اليمان ، عن النبي ﷺ عن أهل يأجوج ومأجوج قال : إن القوم لينقرون بمعاولهم دائبين ، فإذا كان الليل قالوا : غداً نفرغ فيصبحون وهو أقوى من الأمس حتى يسلم منهم رجل حين يريد الله أن يبلغ أمره فيقول المؤمن : غداً نفتحه إن شاء الله فيصبحون ثم يغدون عليه فيفتحه الله ، فوالذي نفسي بيده ليمرّنّ الرجل منهم على شاطئ الوادي الذي بكوفان وقد شربوه حتى نزحوه فيقول : والله لقد رأيت هذا الوادي مرة وإنّ الماء ليجري في أرضه ؛ قيل : يا رسول الله ومتى هذا ؟ قال : حين لا يبقى من الدنيا إلّا مثل صباة الإماء . ^(٣)

يمان : قال الجزريّ : الصباة : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإماء .

٩ - ع : في خبر عبد الله بن سلام أنّه سأل النبي ﷺ عن أوّل أشرط الساعة ،

فقال : نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .

١٠ - ك : الطالقانيّ ، عن الجلوديّ ، عن إبراهيم بن فهد ، عن محمد بن عقبة ،

(١) بالغاء المضمومة ثم الياء الساكنة ، ثم التاء المفتوحة .

(٢) قيان ككتاب جمع القينة : الامة المغنية .

(٣) العديت عامي .

عن حسين بن حسن ، عن إسماعيل بن عمر ، عن عمر بن موسى الوجيهي ، عن المنهال بن عمر ، عن عبدالله بن الحارث قال : قلت لعليّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين أخبرني بما يكون من الأحداث بعد قائمكم ؟ قال : يا بن الحارث ذلك شيء ذكره موكول إليه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ أن لا أخبر به إلا الحسن والحسين .

١١ - ص : بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن سنان ، عن الصادق عليه السلام قال : قال عيسى عليه السلام لجبرئيل : متى قيام الساعة ؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمى عليه منها فلما أفاق قال : يا روح الله ما المسؤول أعلم بهامن السائل ، وله من في السماوات والأرض لاتأتىكم إلا بغتة .

١٢ - شى : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الناس يوشكون أن ينقطع بهم العمل ويسدّ عليهم باب التوبة ، فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

١٣ - شى : عن زرارة وجران ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام في قوله تعالى : «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها» قال : طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة ، والدخان ، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل على الإيمان ثم تجي الآيات فلا ينفعه إيمانه .

١٤ - شى : عن عمرو بن شمر ، عن أحدهما عليهما السلام في قوله : «أو كسبت في إيمانها خيراً» قال : المؤمن حالت المعاصي بينه وبين إيمانه : كثرت ذنوبه وقلّت حسناته فلم يكسب في إيمانه خيراً .

١٥ - كا : عليّ ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : من أشرط الساعة أن يفشو الفالج وموت الفجأة . «فج ١ ص ٧٢»

١٦ - كا : عليّ ، عن أبيه والقاساني جميعاً ، عن الإصفهاني ، عن المنقري ، عن فضيل بن عياض ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه عليه السلام قال : بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف : ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها ، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك

اليوم ، فيؤمئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .
١٧ - ك : عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليه السلام مثله .

١٨ - فس : أبي ، عن صفوان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » قال : نزل : أو اكتسبت في إيمانها خيراً « قل انتظروا إنا منتظرون » قال : إذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه . « ص ٢٠٩ »

١٩ - ل : ابن الوليد ، عن الصفار ، عن ابن معروف ، عن ابن فضال ، عن ظريف ابن ناصح ، عن أبي الحصين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سئل رسول الله صلوات الله عليه وآله عن الساعة فقال : عند إيمان بالنجوم ، و تكذيب بالقدر . « ج ١ ص ٣٢ »

٢٠ - ك : الطالقاني ، عن الجلودي ، عن محمد بن عطية ، عن عبد الله بن عمر بن سعيد ، عن هشام بن جعفر بن حماد ، عن عبد الله بن سليمان - وكان قارياً للمكتب - قال : قرأت في بعض كتب الله أن ذا القرنين - وساق الحكاية الطويلة في ذي القرنين وعمله السد على يأجوج و مأجوج إلى أن قال - : فيأجوج و مأجوج ينتابونه في كل سنة مرة و ذلك أنهم يسيحون في بلادهم حتى إذا وقعوا إلى ذاك الردم حبسهم فيرجعون فيسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة وتجيء أشرطها ، فإذا جاء أشرطها وهو قيام القائم عليه السلام فتحه الله عز وجل لهم ، وذلك قوله عز وجل : « حتى إذا فتحت يأجوج و مأجوج وهم من كل حدب ينسلون » .

٢١ - فس : في قوله تعالى : « و يسألونك عن ذي القرنين » في بيان عمل السد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فحال بين يأجوج و مأجوج و بين الخروج ، ثم قال ذو القرنين : « هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ، وكان وعد ربي حقاً » قال : إذا كان قبل يوم القيامة انهدم السد ^(١) وخرج يأجوج و مأجوج إلى العمران ^(٢) وأكلوا الناس

(١) في المصدر : إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزمان انهدم السد . م

(٢) في المصدر : إلى الدنيا . م

- وساق الحديث إلى أن قال - : فلمّا أخبر رسول الله ﷺ قريشاً عمّا سألوها قالوا : قد بقيت مسألة واحدة : أخبرنا متى تقوم الساعة ؟ فأنزل الله سبحانه : «يسئلونك عن الساعة أيّان مرسيها قل إنما علمها عند ربّي» - إلى قوله تعالى - : «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» . «ص ٤٠٢ - ٤٠٦»

- ٢٢ - ع : عليّ بن أحمد ، عن الأُسديّ ، عن سهل ، عن عبد العظيم الحسنيّ قال : سمعت عليّ بن محمد العسكريّ عليه السلام يقول : عاش نوح ألفين و خمسمائة سنة ، وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته ^(١) فضحك حام و يافث فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضحك ، وكان كلّما غطّى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث ، فانتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون فقال : ما هذا ؟ فأخبره سام بما كان فرفع نوح عليه السلام يده إلى السماء يدعو ويقول : اللهم غير ماء صلب حام حتّى لا يولد له إلاّ السودان ، اللهم غير ماء صلب يافث ؛ فغير الله ماء صلبهما فجميع السودان حيث كانوا من حام ، وجميع الترك والصقالبة ^(٢) ويأجوج و مأجوج والصين من يافث حيث كانوا ، وجميع البيض سواهم من سام . «ص ١٢»

- ٢٣ - ك : الحسين بن محمد ، عن أحمد بن محمد بن عبد الله ، عن العباس بن العلاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال : خلق الله ألفاً ومائتين في البرّ ، وألفاً ومائتين في البحر ، وأجناس بني آدم سبعون جنساً ، والناس ولد آدم ما خلا يأجوج و مأجوج .

بيان : الخبر الأوّل الدالّ على كون يأجوج و مأجوج من ولد آدم أقوى سنداً ، ويمكن حمل هذا الخبر على أنّ المعنى أنّه ليس غير الناس من ولد آدم ما خلا يأجوج و مأجوج فإنّهم ليسوا من الناس وهم من ولد آدم .

- ٢٤ - نوادر الراوندي : بإسناده عن موسى بن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليه السلام

(١) في المصدر : عن عورته . م

(٢) الصقالبة : جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية ، ثم انتشروا منها إلى بلاد

سواها من أوروبا .

قال : قال رسول الله ﷺ : القرون أربعة : أنا في أفضلها قرناً ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، فإذا كان الرابع اتقى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، فقبض الله كتابه من صدور بني آدم ، فبعث الله ريحاً سوداء ثم لا يبقى أحد - سوى الله تعالى - إلا قبضه الله إليه .

٢٥ - و بهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ : لا يزداد المال إلا كثرة ، ولا يزداد الناس إلا شحاً ، ^(١) ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق .

٢٦ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت الساعة كهاتين - وأشار بإصبعيه ﷺ : السبابة والوسطى - ثم قال : والذي بعثني بيده إنني لأجد الساعة بين كتفي .

٢٧ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت الساعة كفرسي رهان يسبق أحدهما صاحبه بأذنه إن كانت الساعة لتسبقني إليكم .

٢٨ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يطفر الفاجر ، ^(٢) ويعجز المنصف ، و يقرب الماجن ، ^(٣) و يكون العبادة استطالة على الناس ، و يكون الصدقة مغرمًا ، والأمانة مغنمًا ، والصلاة منأً . ^(٤)

٢٩ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله ﷺ : إذا طففت أمتي مكيالها و ميزانها واختانوا وخفروا الذمة وطلبوا الآخرة فعند ذلك يزكون أنفسهم ويتورع منهم .

٣٠ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يذهب الحياء من الصبيان و النساء ، وحتى تؤكل المغائير كما تؤكل الخضر .

(١) الشح مثله : البخل والحرص .

(٢) طفر : وثب في ارتفاع كما يطفر الإنسان على العائط .

(٣) مجن يمجن مجونا ومجنا : مزح وقل حياؤه ، كأنه صلب وجهه فهو ماجن .

(٤) في نهج البلاغة : يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ، ولا يظرف فيه إلا الفاجر ، ولا يضمف فيه إلا المنصف ، يعدون الصدقة فيه غرماً ، وصلة الرحم منأً ، و العبادة استطالة على الناس ، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء و إمارة الصبيان وتدير الخصبان انتهى . الماحل : السامى في الناس بالوشاية عند السلطان . ولا يظرف : أى لا يمد ظريفاً ، ولا يضمف : أى لا يعد ضيفاً . الغرم بالضم : القرامة . الاستطالة على الناس : التفوق والتزيد عليهم في الفضل .

بيان : قال في القاموس : المغثر كمنبر : شيء ينضجه الثمام والعشر والرمث كالعسل والجمع مغاثير .

٣١ - دعوات الراوندي : قال النبي ﷺ : إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتي كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق .

٣٢ - نهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّه سيأتي عليكم زمان يكفى فيه الإسلام كما يكفى الإسلام بما فيه .

﴿باب ٢﴾

﴿نفخ الصور وفناء الدنيا وأن كل نفس تذوق الموت﴾

الآيات ، آل عمران ٣٠ كل نفس ذائقة الموت ١٨٥ .^(١)

اسرى ١٧ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ٥٨ .

الكهف ١٨ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض^(٢) ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ٩٩ .

طه ٢٠ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ١٠٢ .

الأنبياء ٢١ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل

نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ٣٥ .

(١) قال السيد الرضى فى مجازات القرآن : هذه استعارة ، لان حقيقة الذوق ما ادرك بهاسة وإنما حسن وصف النفس بذلك لما تحسه به من كرب الموت و غلظه فكانها تحسه بذوقه انتهى .
اقول : الغلظ بالتحريك : القلق والهلع .

(٢) قال السيد قدس سره : هذه استعارة لان أصل الموجان من صفات الماء الكثير ، وإنما عبر سبحانه بذلك عن شدة اختلاطهم ، و دخول بعضهم فى بعض لكثرة أعدادهم ، تشبيهاً بموج البحر المتلاطم والتفات الدبا المتعاضل .

المؤمنون ٢٣، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ١٥ «وقال تعالى : فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ١٠١.

النمل ٢٧، ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ^(١) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء، إنه خير بما تفعلون ٨٧-٨٨.

العنكبوت ٢٩، كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ٥٧.

يس ٣٦، ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون * و نفخ في الصور فاذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ٤٨-٥٤.

ص ٣٨، وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ١٥. ^(٢)

الزمر ٣٩، إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ٣٠-٣١ «وقال تعالى : وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ^(٣) ونفخ في الصور

(١) أى أذلاء .

(٢) قال السيد في المجازات : وقرئ فواق بالضم ، وقد قيل : إنها لفتان ، وذلك قول الكسائي . وقال أبو عبيدة : من فتح أراد مالها من راحة ، ومن ضم أراد مالها في اهلاكم من مهلة بمقدار فواق الناقة ، و هى الوقفة التى بين الحلبتين ، و الموضع الذى يحقق فيه الكلام بالاستعارة على قراءة من قرأ «من فواق» بالفتح أن يكون سبحانه وصف تلك الصيحة بأنها لا إفاقة من سكرتها ولا استراحة من كربتتها كما يفيق المريض من علته و السكران من نشوته ، و المراد أنه لا راحة للقوم منها ، فجعل تعالى الراحة لها على طريق المجاز والاتساع .

(٣) وقال : معنى قبضته ههنا أى ملك له خالص ، قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته و المتصرفين فيه من خليقته ، وقد ورت تعالى عباده ما كان فى ملكهم فى دار الدنيا من ذلك ، فلم يبق ملك إلا اتقل ولا مالك إلا بطل . وقيل أيضا : معنى ذلك : أن الأرض فى مقدوره كالذى يقبض •

فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون * وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيى بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ٦٧-٧٠.

ق «٥٠» و نفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ٢٠ - ٢٢ «وقال»: واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير ٤١-٤٤.

الرحمن «٥٥» كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ٢٦-٢٧. المدهر «٧٤» فإذا نقر في الناقور *^(١) فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير ٨-١٠.

تفسير: قال البيضاوي: «إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة» بالموت والاستيصال «أو معذبوها عذاباً شديداً» بالقتل وأنواع البليّة «كان ذلك في الكتاب» في اللوح المحفوظ «مسطوراً» مكتوباً.

وقال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: «ونفخ في الصور»: «اختلف في الصور فقيل: هو قرن ينفخ فيه؛ وقيل: هو جمع صورة فإن الله يصور الخلق في القبور كما صورهم في أرحام الأمهات، ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم؛ وقيل: إنه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السموات والأرض بها فيموتون، والثالثة نفخة القيام لرب

* عليه القابض ويستولى عليه كفه ويحوزه ملكه ولا يشاركه فيه غيره، ومعنى قوله: «و السموات مطويات بيمينه» أي مجموعات في ملكه، مضمونات بقدرته، واليمين ههنا بمعنى الملك، وقد يعبرون عن القوة أيضا باليمين فيجوز على هذا التأويل أن يكون معنى قوله تعالى: «مطويات بيمينه» أي يجمع أقطارها و يطوى انتشارها بقوته، كما قال سبحانه: «يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب» ١٥.

(١) الناقور: الصور أو البوق.

العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم « فجمعناهم جمعاً » أي حشرنا الخلق كلهم يوم القيامة في صعيد واحد .

وفي قوله تعالى : « أفان مت » : أي على ما يتوقعونه وينتظرونه « فهم الخالدون » أي إنهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا : نترقب بمحمد ريب المنون . وفي قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور » : قيل : إن المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس ؛ وقيل : نفخة البعث عن ابن مسعود ؛ و الصور جمع صورة عن الحسن ؛ وقيل : قرن ينفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامة لوقت إعادة الخلق عن أكثر المفسرين . « فلا أنساب بينهم يومئذ » أي لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً ، أي لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه ؛ وقيل : معناه : لا يتفاخرون بالأنساب ؛ والمعنى : أنه لا يفضل بعضهم بعضاً يومئذ بنسب ، وإنما يتفاضلون بأعمالهم ؛ وقال النبي ﷺ : كل حسب و نسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي « ولا يتسائلون » أي ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه ؛ وقيل : لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه ، ولا تنافي بينها وبين قوله : « فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون » لأن للقيامة أحوالاً و مواطن فمناها : حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ، ومنها : حال يلتفتون فيها فيتساءلون ، وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال : هذه تارات يوم القيامة . وقيل : إنما يتساءلون بعد دخول الجنة .

وفي قوله تعالى : « ففرع من في السموات و من في الأرض » أي ماتوا لشدة الخوف و الفرع كما قال : « فصعق من في السموات » وقيل : هي ثلاث نفخات كما مر « إلا من شاء الله » من الملائكة الذين ثبتت الله قلوبهم وهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل و عزرائيل ، وقيل : هم الشهداء فإنهم لا يفرعون في ذلك اليوم ، روي ذلك في خبر مرفوع « وكل » من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا « أتوه » أي يأتونه في المحشر « داخرين » أي أذلاء صاغرين « وترى الجبال تحسبها جامدة » أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك في رأي

العين «وهي تمرّ مرّ السحاب» أي تسير سيراً حثيثاً سير السحاب ، والمعنى : أنك لا ترى سيرها لبعدها أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعده أطرافه ، وذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشي «صنع الله» أي صنع الله ذلك صنعا «الذي أتقن كل شيء» أي خلق كل شيء على وجه الإتقان .

وفي قوله : «ما ينظرون» أي ما ينتظرون «إلا صيحة واحدة» يريد النفخة الأولى يعني أن القيامة تأتيهم بغتة «تأخذهم» الصيحة «وهم يخصمون» أي يختصمون في أمورهم ، ويتبايعون في الأسواق ؛ وفي الحديث : تقوم الساعة والرجلان قد نشرَا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم ، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم ، والرجل يليط حوضه ^(١) ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم ؛ وقيل : وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا ؟ «فلا يستطيعون توصية» يعني أن الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدرُوا على الإيصاء بشيء «ولا إلى أهلهم يرجعون» أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق ، وهذا إخبار عما يلقونه في النفخة الأولى عند قيام الساعة ، ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية فقال : «ونفخ في الصور فإذاهم من الأجداث» وهي القبور «إلى ربهم» أي إلى الموضع الذي يحكم الله فيه لاحكم لغيره هناك «ينسلون» أي يخرجون سراعاً فلمّا رأوا أهوال القيامة «قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا» أي من حشرنا من منامنا الذي كنّا فيه نياماً ؛ ثم يقولون : «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» فيما أخبرونا عن هذا المقام ؛ وهذا البعث . قال قتادة : أوّل الآية للكافرين و آخرها للمسلمين ؛ قيل : إنهم لمّا عاينوا أهوال القيامة عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك رقاداً ؛ قال قتادة : هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ، ثم أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال : «إن كانت إلا صيحة واحدة» أي لم تكن المدّة إلا مدّة صيحة واحدة «فإذاهم جميع لدينا محضرون» أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة «فاليوم لا تظلم نفس شيئاً» أي لا ينقص من له حق شيئاً من حقه من الثواب أو غير ذلك ، ولا يفعل به مالا يستحقّه من العذاب ، بل

(١) أي مدّره لئلا ينشف الماء .

الأُمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله : « ولا تجزون إلّا ما كنتم تعملون » .
و في قوله : « مالها من فواق » أي لا يكون لتلك الصيحة إفاقة بالرجوع إلى
الدنيا ؛ و قيل : معناه : مالها مشوية أي صرف و رد ؛ و قيل : مالها من فتور كما يفتر
المريض .

و في قوله تعالى : « و ما قدرُوا الله حقَّ قدره » أي ما عظمُوا الله حقَّ عظمتِه
« والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة » القبضة في اللغة : ما قبضت عليه بجميع كفك ؛ أخبر
الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي
يقبض عليه القابض بكفه فيكون في قبضته ، وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما
بيننا لأننا نقول : هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وإن لم يقبض
عليه ، وكذا قوله : « والسموات مطويات بيمينه » أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد
منّا الشيء المقدور له طيه بيمينه ، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك ،
كما قال تعالى : « أو ما ملكت أيمانكم » وقيل : معناه إنها محفوظات مصونات بقوته ،
واليمين : القوة « سبحانه وتعالى عما يشركون » أي عما يضيفونه إليه من الشبيه والمثل
« و نفخ في الصور » وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل ، و وجه الحكمة في ذلك أنها علامة
جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف فشبه ذلك بما يتعارفونه من
بوق الرحيل و النزول « فصعق من في السموات والأرض » أي يموت من شدة تلك
الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السموات والأرض ، يقال : صعق فلان :
إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة « إلّا من شاء الله » قيل : هم جبرئيل و
ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت وهو المروي ؛ وقيل : هم الشهداء « ثم نفخ فيه أخرى »
يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية ، قال قتادة في حديث رفعه : إن ما بين النفختين
أربعين سنة ؛ وقيل : إن الله تعالى يفني الأجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها
« فإذا هم قيام » إخبار عن سرعة إيجادهم لأنّه سبحانه إذا نفخ الثانية أعادهم عقيب
ذلك ، فيقومون من قبورهم أحياء « ينظرون » أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به
« وأشرقت الأرض بنور ربها » أي أضاءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور

الأرض بالعدل ؛ وقيل : بنور يخلقه الله عز وجل يضيء به الأرض يوم القيامة من غير شمس ولا قمر » و وضع الكتاب « أي كتب الأعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرؤوا منها أعمالهم » وجيء بالنبيين والشهداء « هم الذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا ، وأن الأمم قد كذبوا ؛ وقيل : هم الذين استشهدوا في سبيل الله ؛ وقيل : هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا ؛ وقيل : هم الحفظة من الملائكة ؛ وقيل : هم جميع الشهداء من الجوارح و المكان و الزمان وهي قوله تعالى : « ذلك يوم الوعيد » أي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوف الله به عباده . « وجاءت كل نفس » أي تجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد « ومعها سائق » من الملائكة يسوقها أي يحثها على السير إلى الحساب « وشهيد » من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها و شاهد بما كتبه لها و عليها ، فلا يجدوا إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً ؛ وقيل : السائق من الملائكة ، والشهيد الجوارح تشهد عليه « لقد كنت في غفلة » أي يقال له : لقد كنت في سهو ونسيان من هذا اليوم في الدنيا « فكشفنا عنك غطاءك » الذي كان في الدنيا يغشى قلبك و سمعك و بصرك حتى ظهر لك الأمر « فبصرك اليوم حديد » أي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة ؛ وقيل : معناه : فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ، ولا يراد به بصر العين كما يقال : فلان بصير بالنجوم والفقه .

و في قوله تعالى : « واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب » أي اصغ إلى النداء و توقعه يعني صيحة يوم القيامة والبعث والنشور ، ينادي به المنادي وهي النفخة الثانية و يجوز أن يكون المراد : و استمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي ؛ وقيل : إنه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس : أيبتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما أعد الله لك من الجزاء ؛ وقيل : إن المنادي إسرافيل عليه السلام يقول : يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل ؛ و إنما قال : « من مكان قريب » لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم « يوم يسمعون الصيحة بالحق » الصيحة المرة الواحدة من الصوت

الشديد ، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية ؛ وقوله : « بالحق » أي بالبعث ، وقيل : يعني إنها كائنة حقاً « ذلك يوم الخروج » من القبور إلى أرض الموقف ؛ وقيل : هو اسم من أسماء القيامة « إنا نحن نحيي و نميت » أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذي يحيي الخلق بعد أن كانوا جماداً أمواتاً ، ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ، ثم يحييهم يوم القيامة ، وهو قوله : « وإلينا المصير » « يوم تشقق » أي تتشقق « الأرض عنهم » وتتصدع فيخرجون منها « سراعاً » يسرعون إلى الداعي بلا تأخير « ذلك حشر » الحشر : الجمع بالسوق من كل جهة « علينا يسير » أي سهل علينا غير شاق مع تباعد ديارهم و قبورهم .

وفي قوله تعالى : « كل من عليها فان » أي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون ، و يخرجون من الوجود إلى العدم « ويبقى وجه ربك » أي ويبقى ربك الظاهر بالأدلة ظهور الإنسان بوجهه « ذو الجلال » أي ذو العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والممدح « والإكرام » يكرم أنبياءه وأوليائه بالطافه .

وفي قوله تعالى : « فإذا نقر في الناقور » معناه : إذا نفخ في الصور وهي كهيئة البوق ؛ وقيل : إن ذلك في النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة العامة ؛ وقيل : النفخة الثانية ، وعندها يحيي الله الخلق و تقوم القيامة ، وهي صيحة الساعة « فذلك يومئذ يوم عسير » أي شديد على الكافرين لنعم الله ، الجاحدين لآياته « غير يسير » غير هين ، وهو بمعنى قوله : عسير ، إلا أنه أعاده بلفظ آخر للتأكيد ؛ وقيل : معناه : عسير في نفسه غير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة .

١ - فس : قوله : « و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » إلى قوله : « يخصمون » قال : ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله ، ولا يوصي بوصية ، و ذلك قوله : « فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون » .

قال علي بن إبراهيم : ثم ذكر النفخة الثانية فقال : « إن كانت إلا صيحة واحدة فإذاهم جميع لدينا محضرون » . « ص ٥٥١ - ٥٥٢ »

٢ - فس : قوله : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » فإنه حدثني أبي ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن النعمان الأحول ، عن سلام بن المستنير ، عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟ قال : ما شاء الله ، ف قيل له ، فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه ؟ فقال : أمّا النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، ^(١) وللصور رأس واحد و طرفان ، و بين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ^(٢) ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض و في موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ^(٣) و يستقبل الكعبة ، فإذا رآوا ^(٤) أهل الأرض قالوا : أذن الله في موت أهل الأرض ، قال : فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، و يخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات ^(٥) فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل ؛ قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ؛ فيموت إسرافيل ، فيمكثون في ذلك ما شاء الله ، ثم يأمر الله السماوات فتمور ، و يأمر الجبال فتسير ، و هو قوله : « يوم تمور السماء موراً » ^(٦) وتسير الجبال سيراً « يعني تبسط ، و « تبدل الأرض غير الأرض » يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب ، بارزة ليس عليها الجبال ^(٧) ولا نبات ، كما دحاها أوّل مرة ، و يعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرة مستقلاً بعظمته وقدرته ، قال : فعند ذلك ينادي الجبار جلّ جلاله بصوت جهوري ^(٨) يسمع أقطار السماوات والأرضين : « لمن الملك

(١) في المصدر : ومعه الصور . م

(٢) في المصدر : إلى الأرض . م

(٣) في المصدر : بحضرة بيت المقدس . م

(٤) في المصدر : فإذا رآوه . م

(٥) في المصدر : السماء . م

(٦) المور : الجريان السريع .

(٧) في المصدر : جبال . م

(٨) في المصدر : بصوت من قبله جهوري اه . م

اليوم؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله مجيباً لنفسه: «الله الواحد القهار» وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير،^(١) وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشييتي، وأنا أحييهم بقدرتي، قال: فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج^(٢) الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السماوات أحد إلا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، ويحضر الجنة والنار، ويحشر الخلائق للحساب؛ قال: فرأيت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاءً شديداً. «ص ٥٨٠-٥٨١»

بيان: قوله ﷺ: مستقلاً بعظمته أي بلا حامل. والجمهوري: العالي.

أقول: سئل عن المفيد رحمه الله في المسائل السروية عن قوله تعالى: «لمن الملك اليوم» إن هذا خطاب منه لمعدوم لأنه يقول عند فناء الخلق ثم يجيب نفسه فيقول: «الله الواحد القهار» وكلام المعدوم سفيه لا يقع من حكيم، وجوابه عن سؤاله لمعدوم أو تقريره إياه خلاف الحكمة في المعقول؛ فأجاب المفيد رحمه الله: بأن الآية غير متضمنة للخبر عن خطاب معدوم، وهو قوله عز وجل: «لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء» و يوم التلاق هو يوم المحشر عند التقاء الأرواح والأجساد، وتلاقي الخلق بالاجتماع في صعيد واحد، وقوله: «يوم هم بارزون» تأكيد لذلك، إذ كان البروز لا يكون إلا لموجود، ثم ليس في الآية أن الله هو القائل لذلك فيحتمل أن يكون القائل ملكاً أمراً بالنداء فأجابه أهل الموقف، ويحتمل أن يكون الله تعالى هو القائل مقررراً غير مستخبر والمجيبون هم البشر المبعوثون، أو الملائكة الحاضرون؛ ووجه آخر وهو أن قوله: «لمن الملك» يفيد وقوعه في حال إنزال الآية دون المستقبل ألا ترى إلى قوله: «لتنذر يوم التلاق» الآية، فكان: قوله: «لمن الملك اليوم» تنبيهاً على أن الملك لله تعالى وحده يومئذ، ولم يقصد به إلى تقرير ولا استخبار، وقوله تعالى: «الله الواحد القهار» تأكيداً للتنبيه والدلالة على تفرده تعالى بالملك دون من سواه انتهى.

(١) في المصدر: ولا وزير لي، أنا اه. م

(٢) في المصدر: فيخرج. م

أقول : هذه الأخبار دافعة لتلك الاحتمالات ، والشبهة مندفة بأن الخطاب قد يصدر من الحكميم من غير أن يكون الغرض إفهام المخاطب أو استعلام شيء ، بل لحكمة أخرى كما هو الشائع بين العرب من خطاب التلال والأماكن والمواضع ، لإظهار الشوق أو الحزن ، أو غير ذلك ، فلعل الحكمة ههنا اللطف للمتكلمين من حيث الأخبار به قبل وقوعه ليكون أدعى لهم إلى ترك الدنيا وعدم الاغترار بملكها ودولاتها ، وإلى العلم بتفرد الصانع بالتدبير وغير ذلك من المصالح للمتكلمين .^(١)

٣ - فس : قوله : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » قال : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن زيد النرسي ، عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثله ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك ، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات إسرافيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ؛ ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ؛ ثم يقول الله عز وجل : « لمن الملك اليوم » فيرد على نفسه : « لله الواحد القهار » أين الجبارون ؟ أين الذين ادّعوا

(١) الأخبار إنما تدل على إفناء الأشياء وإماتتها بمعنى نزع الروح من كل بدن ذي روح و قطع العلاقة بين كل نفس و متعلقها ، و أما إبطال الأرواح وإعدام النفوس من أصلها فلا دليل عليه من جهة الروايات فمن الممكن أن يكون المجيب والمسؤول بعض هذه الأرواح كما في بعض الروايات أنه يجيبه أرواح الأنبياء وغيرهم ؛ و أما ما في بعض الروايات من التعبير بفناء الأشياء فيفسره ما سيأتي في رواية ١٢ أن المراد بالهلاك والإفناء الإماتة والقتل ونحوهما . ط

معي إلهاً؟^(١) أين المتكبرون؟ ونحوهما،^(٢) ثم يبعث الخلق. قال عبيد بن زرارة: فقلت: إن هذا الأمر كله كائن؟ طوّلت ذلك! فقال: أرأيت ما كان هل علمت به؟ فقلت: لا، قال: فكذلك هذا. «ص ٥٨٤ - ٥٨٥»

ين: ابن أبي عمير مثله.

٤ - كتاب زيد النرسي: عنه، عن عبيد بن زرارة، عنه عليه السلام مثله إلى قوله: ومثل ما أُمات أهل الأرض و السماء الدنيا و السماء الثانية و السماء الثالثة و أضعاف ذلك؛ ثم أُمات أهل السماء الرابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أُمات أهل الأرض و أهل السماء الدنيا و السماء الثانية و السماء الثالثة و السماء الرابعة و أضعاف ذلك؛ ثم أُمات أهل السماء الخامسة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أُمات أهل الأرض و أهل السماء الدنيا و الثانية و الثالثة و الرابعة و الخامسة و أضعاف ذلك؛ ثم أُمات أهل السماء السادسة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أُمات أهل الأرض و أهل السماء الدنيا و الثانية و الثالثة و الرابعة و الخامسة و السادسة و أضعاف ذلك؛ ثم أُمات أهل السماء السابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أُمات أهل الأرض و أهل السماوات إلى السماء السابعة و أضعاف ذلك؛ ثم أُمات ميكائيل. - وساق الحديث إلى قوله: أين المتكبرون؟ ونحو هذا - ثم يلبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك؛ ثم يبعث الخلق أو ينفخ في الصور. قال عبيد بن زرارة: قلت: هذا الأمر كائن؟ طوّلت ذلك! فقال: أرأيت ما كان قبل أن يخلق الخلق أطول أو ذا؟ قال: قلت: ذا، قال: فهل علمت به؟ قال: قلت: لا، قال: فكذلك هذا.

بيان: كأن المراد بقول الراوي: «ذا» الإشارة إلى الزمان قبل خلق الخلق لأنّه غير متناه، وإن كان مراده هذه الأزمنة لم ينبّه عليه السلام على خطائه وأجاب بوجه آخر رفع استبعاده، وظاهره أنّهم لا يحسّون بتلك الأزمنة الطويلة إمّا لانعدامهم بالمرّة كما سيأتي أولكونهم منعمين لا يضرّهم طول الأزمنة والأول أظهر؛ ثمّ إنّّه ينافي ظواهر الآيات والأخبار الدالة على أن موت أهل السموات بالنفخة دفعة، ويمكن التوفيق بينهما

(١) في المصدر: إلهاً آخر. م (٢) في المصدر: ونحوهم. م

بتكلفت بعيدة ؛ لكن هذا الخبر لجهالة النرسي لا يصلح لمعارضة تلك الآيات والأخبار .
 ٥ - فس : قال علي بن إبراهيم في قوله : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » :
 قال : تنشق الأرض بأهلها ؛ والرادفة : الصيحة ؛ والزجرة : النفخة الثانية في الصور .
 « ص ٧١٠ »

٦ - فس : « كيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » قال : يشيب الولدان من الفزع حيث يسمعون الصيحة . « ص ٧٠٢ »
 ٧ - ن : بالأسانيد الثلاثة عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل ملك الموت : يا ملك الموت و عزتي و جلالتي و ارتفاعي و علوي ^(١) لا ذيقنك طعام الموت كما أذقت عبادي . « ص ٢٠٠ »
 صح : عنه ، عن آبائه عليهم السلام مثله .

ما : ابن الصلت ، عن ابن عقدة ، عن علي بن محمد ، عن داود ، عن الرضا عليه السلام مثله . وفيه : في علو مكاني . « ص ٢١٤ »

٨ - ن : بالأسانيد الثلاثة عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » قلت : يارب أي موت الخلائق و يبقى الأنبياء ؟ فنزلت : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » . « ص ٢٠٠ »
 صح : عنه عليه السلام مثله . وفيه : وتبقى الملائكة .

بيان : الصواب ما في صحيفة الرضا عليه السلام ، وما في العيون لا يستقيم إلا بتكلفت بعيدة .

٩ - يد : ابن المتوكل ، عن محمد العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن عبد الله بن محمد ، عن علي بن مهزيار قال : كتب أبو جعفر عليه السلام إلى رجل بخطه و قرأته في دعاء كتب به أن يقول : يا ذا الذي كان قبل كل شيء ، ثم خلق كل شيء ، ثم يبقى و يفنى كل شيء . الخبر . « ص ٣٥ »

١٠ - ع : علي بن حبشي بن قوني ، عن حميد بن زياد ، عن القاسم بن إسماعيل ، عن محمد بن سلمة ، عن يحيى بن أبي العلاء الرازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية . الخبر .

١١ - شى : عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى : « وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذاباً شديداً » قال : إنما أمة محمد من الأمم ، فمن مات فقد هلك .

١٢ - شى : عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : « وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة » قال : هو الفناء بالموت أو غيره . وفي رواية أخرى عنه : قال : بالقتل والموت وغيره .

١٣ - ٣ : إن الله ينزل بين نفختي الصور بعد ما ينفخ النفخة الأولى من دوين سماء الدنيا من البحر المسجور الذي قال الله : « والبحر المسجور » وهي من منى كمنى الرجل ، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المني مع الأموات البالية فينبتون من الأرض و يحيون .

١٤ - ٤ : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن أبي المغرا قال : حدثني يعقوب الأحمر قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نغزّيه بإسماعيل ، فترحم عليه ثم قال : إن الله عز وجل نعى إلى نبيه صلوات الله عليه وآله نفسه فقال : « إنك ميت وإنهم ميتون » وقال : « كل نفس ذائقة الموت » ثم أنشأ يحدث فقال : إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد ، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل ، قال : فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل فيقال له : من بقي ؟ - وهو أعلم - فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل ؛ فيقال : قل لجبرئيل وميكائيل : فليموتا فيقول الملائكة عند ذلك : يا رب رسولك وأمينك ، فيقول : إنني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ؛ ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له : من بقي ؟ - وهو أعلم - فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش ، فيقول : قل لحملة العرش : فليموتوا ، قال : ثم يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه ، فيقال له : من بقي ؟ فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت ، فيقال له : مت يا ملك الموت فيموت ، ثم يأخذ الأرض يمينه والسموات يمينه ، ويقول : أين الذين كانوا يدعون معي شركاً ؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر ؟ . « ف ج ١ ص ٧١ »

ين : فضالة مثله ؛ وفيه : والسموات يمينه فيهن هن هزاً مرات ، ثم يقول .
 ١٥ - ج : عن هشام بن الحكم في خبر الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل إلى أن قال : أينلاشي الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باق ؟ قال : بل هو باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنى ، فلاحس ولا محسوس ، ثم أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها ، و ذلك أربع مائة سنة تسبت فيها الخلق و ذلك بين النفختين . « ص ١٩٢ » .

بيان : هذا الخبر يدل على فناء الأشياء و انعدامها بعد نفخ الصور ، وعلى أن الزمان أمر موهوم وإلا فلا يمكن تقديره بأربع مائة سنة بعد فناء الأفلاك ^(١) ويمكن أن يكون المراد ماسوى الأفلاك ، أو ماسوى فلك واحد يتقدر به الزمان .

١٦ - نهج : هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها ، وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها و اختراعها ، وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها وما كان من مراحلها و سائرها و أصناف أسنانها و أجناسها و متبلدة أممها و أكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ؟ و لتحيرت عقولها في علم ذلك ، وتاهت وعجزت قواها ، وتناهت و رجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنّها مقهورة ، مقرّة بالعجز عن إنشائها ، مذعنة بالضعف عن إفنائها وأنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك

(١) ظاهر الخبر بطلان الاشياء وفناؤها بذواتها و آثارها ، فيشكل حينئذ أولاً بأن بطلان الاشياء و حركاتها يوجب بطلان الزمان فما معنى التقدير بأربع مائة سنة ؟ و ثانياً أن فرض بطلان الاشياء مع بطلان الزمان لا يبقى معنى للاعادة إذ مع بطلان الزمان و انقطاع اتصال ما فرض أصلاً و ما فرض معاداً يبطل نسبة السابقة واللاحقة بينهما ولا معنى للاعادة حينئذ . واما ما ذكره المؤلف قدس سره الشريف أولاً من احتمال كون الزمان أمراً موهوماً فلا يدفع الاشكال لاستلزامه بطلان كل تقدم وتأخر زمني في العالم حتى قبل نفخ الصور ولا يمكن الالتزام به ؛ وما ذكره ثانياً : أن المراد بطلان ماسوى الافلاك فهو مما يابى عنه لسان الخبر والخبر الاتي ، على أن ما اعتمد عليه في ثبوت وجود الافلاك لو تم لدل على وجوب اشتغال الفلك على عالم العناصر في جوفه . وما ذكره من كون المراد بطلان الاشياء ماسوى فلك واحد يتقدر بها الزمان يشكل عليه ما يشكّل على سابقه و يزيد أن هذه الفلك على فرض وجودها تقدر الزمان بحركاتها الوضعية ولا معنى للحركة الوضعية مع انعدام الاشياء الخارجة من الفلك . وهو ظاهر . على أن فرضية وجود الافلاك البطلميوسية مما اتضح فسادها في هذا العصر ؛ والرواية مع ذلك كله غير مطروحة و لبيان معناها الدقيق محل آخر ذو مجال وسعة . ط .

يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان ، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات ، وزالت السنون والساعات ، فلا شيء إلا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ، وبغير امتناع منها كان فناؤها ، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكأّده صنع شيء منها إذ صنعها ، ولم يؤده منها خلق ما خلقه و برأه ، ولم يكوّننها لتشديد سلطان ، ولا لخوف من زوال و نقصان ، ولا للاستعانة بها على ند مكائر ، ولا للاحتراز بها من ضدّ مثاور ، ولا للازدياد بها في ملكه ، ولا لمكائنة شريك في شركه ، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ؛ ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتديرها ، ولا لراحة واصله إليه ، ولا لثقل شيء منها عليه ، لم يملّه طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، لكنّه سبحانه دبّر لها بلطفه وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته ، ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ، ولا استعانة بشيء منها عليها .

أقول : قد مرّت الخطبة بتمامها وشرحها في كتاب التوحيد .

تتميم : اعلم أن ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو مذهب جماعة من المتكلمين ، قال شارح المواقف : قد سبقت في مباحث الجسم إشارة إلى أن الأجسام باقية غير متزايلة على ما يراه النظام ، وقابلة للفناء غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولاً بأنها أزليّة أبدية ، والجاحظ وجمع من الكراميّة قولاً بأنها أبدية غير أزليّة ، وتوقف أصحاب أبي الحسين في صحة الفناء ، واختلف القائلون بها في أن الفناء بإعدام معدم أو بحدوث ضدّ أو بانتفاء شرط ، أمّا الأوّل فذهب القاضي وبعض المعتزلة إلى أن الله تعالى يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوماً كما أوجده كذلك فصار موجوداً ، وذهب أبو الهذيل إلى أنه تعالى يقول له : افن فيفنى ، كما قال له : كن فكان ؛ وأمّا الثاني فذهب جمهور المعتزلة إلى أن فناء الجوهر بحدوث ضدّه هو الفناء ، فذهب ابن أخشيد إلى أن الفناء وإن لم يكن متحيّزاً لكنّه يكون حاصلاً في جهة معيّنة ، فإذا أحدثه الله تعالى فيها عدمت الجواهر بأسرها ، وذهب ابن شبيب إلى أن الله تعالى يحدث في كلّ جوهر فناً ثمّ ذلك الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني ، وذهب أبو عليّ وأتباعه إلى أنه يخلق بعدد كلّ جوهر فناً

لا في محل فتفنى الجواهر ؛ وقال أبو هاشم وأشياعه : يخلق فناءً واحداً لا في محل فيفنى به الجواهر بأسرها ؛ وأما الثالث وهو أن فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أن ذلك الشرط بقاء يخلقه الله تعالى لا في محل ، فإذا لم يخلقه الله تعالى عدم الجوهر ؛ وذهب الأكثر من أصحابنا والكلمبي من المعتزلة إلى أنه بقاء قائم به يخلقه الله حالاً فحالاً ، فإذا لم يخلقه الله تعالى فيه انتفى الجوهر ، وقال إمام الحرمين : إنها الأعراض التي يجب اتصاف الجسم بها ، فإذا لم يخلقها الله تعالى فيه فنى ، وقال القاضي في أحد قوليّه : هو الأكوان التي يخلقها الله في الجسم حالاً فحالاً ، فمتى لم يخلقها الله فيه انعدم ؛ وقال النظام : إنه ليس بباق بل يخلق الله حالاً فحالاً فمتى لم يخلق فنى ؛ وأكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل ، سيما القول بكون الفناء أمراً محققاً في الخارج ضدّاً للبقاء قائماً بنفسه أو بالجواهر ، وكون البقاء موجوداً لا في محل ، ولعل وجه البطلان غني عن البيان . ثم القائلون بصحة الفناء وبحقيّة حشر الأجساد اختلفوا في أن ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرّق الأجزاء ؛ والحق التوقف ، وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال : يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثم تعاد ، وأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيتها ولم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما ، فلا يبعد أن يغيّر أجساد العباد على صفة أجسام التراب ، ثم يعاد تركيبتها إلى ما عهد ، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد ؛ والله أعلم .

احتج الأولون بوجوه : الأول الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخّرين من المعتزلة وأهل السنة ؛ ورد بالمنع كيف وقد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه ؛ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحق وفناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء وموت الأحياء وتفرّق الأجزاء لا بمعنى انعدام الجواهر بالكلية لأن الظاهر أنهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات .

الثاني هو قوله تعالى : « هو الأول والآخر » ^(١) أي في الوجود ، ولا يتصور ذلك إلا بانعدام ما سواه ، وليس بعد القيامة وفاقاً فيكون قبلها ؛ وأجيب بأنّه يجوز أن

يكون المعنى : هو مبدء كل موجود وغاية كل مقصود ، أو هو المتوحد في الألوهية ، أو في صفات الكمال ، كما إذا قيل لك : هذا أول من زارك أو آخرهم ؟ فتقول : هو الأول والآخر ، وتريد أنه لا زائر سواه ؛ أو هو الأول والآخر بالنسبة إلى كل حي ، بمعنى أنه يبقى بعد موت جميع الأحياء ، أو هو الأول خلقاً والآخر رزقاً ، كما قال : «خلقكم ثم رزقكم»^(١) وبالجملية فليس المراد أنه آخر كل شيء بحسب الزمان للاتفاق على أبدية الجنة ومن فيها .

الثالث قوله تعالى : «كل شيء هالك إلا وجهه»^(٢) فإن المراد به الانعدام ، لا الخروج عن كونه منتفعاً به لأن الشيء بعد التفرق يبقى دليلاً على الصانع ، وذلك من أعظم المنافع . وأجيب بأن المعنى أنه هالك في حد ذاته لكونه ممكناً لا يستحق الوجود إلا بالنظر إلى العلة ، أو المراد بالهلاك الموت ، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به اللائق بحاله كما يقال : هلك الطعام إذا لم يبق صالحاً للأكل وإن صلح لمنفعة أخرى ، ومعلوم أن ليس مقصود الباري تعالى من كل جوهر الدلالة عليه وإن صلح لذلك كما أن من كتب كتاباً ليس مقصوده بكل كلمة الدلالة على الكاتب ؛ أو المراد الموت كما في قوله تعالى : «إن امرؤ هلك» وقيل : معناه : كل عمل لم يقصد به وجه الله تعالى فهو هالك أي غير مثاب عليه .

الرابع قوله تعالى : «وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده»^(٣) كما بدأنا أول خلق نعيده^(٤) ، والبدؤ من العدم فكذا العود ، وأيضاً إعادة الخلق بعد إبدائه لا يتصور بدون تخلل العدم ؛ وأجيب بأننا لا نسلم أن المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم ، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله تعالى : «وبدأ خلق الإنسان من طين» ولهذا يوصف بكونه مرئياً مشاهداً كقوله تعالى : «أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق»^(٥) «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدء الخلق» وأما القول بأن الخلق حقيقة في التركيب متمسكاً بمثل قوله تعالى : «خلقكم من تراب»^(٦) أي ركبكم «و تخلقون إفكاً»^(٧) أي تر كبوناه ، فلا يكون حقيقة في الإيجاد دفعاً للاشتراك فضعيف جداً ، لا طباق

(١) الروم : ٤٠ . (٢) القصص : ٨٨ . (٣) الروم : ٢٧ . (٤) الانبياء : ١٠٤ .
(٥) العنكبوت : ١٩ . (٦) فاطر : ١٣ . (٧) العنكبوت : ١٧ .

أهل اللغة على أنه إحداه و إيجاد مع تقدير ، سواء كان عن مادة كما في خلقكم من تراب ، أو بدونه كما في خلق الله العالم .

الخامس قوله تعالى : « كل من عليها فان » ^(١) و الفناء هو العدم ، و أجيب بالمنع بل هو خروج الشيء من الصفة التي ينتفع به عندها كما يقال : فنى زاد القوم وفنى الطعام والشراب ، ولذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب ؛ وقيل : معنى الآية : كل من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميت ، قال الإمام : ولو سلم كون الفناء والهلاك بمعنى العدم فلا بد في الآيتين من تأويل ، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكل هالكاً فانياً في الحال وليس كذلك ، وليس التأويل بكونه آئلاً إلى العدم على ما ذكرتم أولى من التأويل بكونه قابلاً له ، وهذه منه إشارة إلى ما اتفق عليه أئمة العربية من كون اسم الفاعل ونحوه مجازاً في الاستقبال ، وأنه لا بد من الاتصاف بالمعنى المشتق منه ، وإنما الخلاف في أنه هل يشترط بقاء ذلك المعنى ؛ وقد توهم صاحب التلخيص أنه كالمضارع يشترك بين الحال والاستقبال ، فاعترض بأن حمله على الاستقبال ليس تأويلاً وصرفاً عن الظاهر .

و احتج الآخرون بوجوه : الأول : أنه لو كان كذلك لما كان الجزاء واصلاً إلى مستحقه ، واللازم باطل عندنا سمعاً للنصوص الواردة في أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وعقلاً عند المعتزلة لما سبق من وجوب ثواب الطيع و عقاب العاصي ، و بيان اللزوم أن المنشأ لا يكون هو المبتدأ بل مثله لامتناع إعادة المعدوم بعينه . ورد بالمنع وقد مر بيان ضعف أدلته ، ولو سلم فلا يقوم على من يقول ببقاء الروح أو الأجزاء الأصلية وإعدام البواقي ثم إيجادها وإن لم يكن الثاني هو الأول بعينه بل مغايراً له في وصفه الابتداء و الإعادة أو باعتبار آخر ، ولا شك أن العدة في الاستحقاق هو الروح على ما مر ، وقد يقرر بأنها لو عدت لما علم إيصال الجزاء إلى مستحقه لأنه لا يعلم أن ذلك المحشور هو الأول أعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته ؛ أمّا على تقدير الفناء بالكليّة فظاهر ، وأمّا على تقدير بقاء الروح والأجزاء الأصلية فلا نعدام التركيب و الهيئات و الصفات التي بها يتميز المسلمون سيما على قول من يجعل

الروح أيضاً من قبيل الأجسام ، واللازم منتف لأن الأدلة قائمة على وصول الجزء إلى المستحق .

لا يقال : لعل الله يحفظ الروح والأجزاء الأصلية عن التفرق والانحلال ، بل الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحق إلى المستحق لأننا نقول : المقصود إبطال رأي من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثم الإيجاد وقد حصل ولو سلم فقد علمت أن العمدية في الحشر هو الأجزاء الأصلية لا الفضلية وقد سلمتم أنها لا تتفرق فضلاً عن الانعدام بالكليّة ؛ بل الجواب أن المعلوم بالأدلة هو أن الله تعالى يوصل الجزء إلى المستحق ولا دلالة على أننا نعلم ذلك عند الإيصال البتة وكفى بالله علماً . ولو سلم فلعل الله تعالى يخلق علماً ضرورياً أو طريقاً جلياً جزئياً أو كلياً .

الثاني وهو للمعتزلة أن فعل الحكيم لا بد أن يكون لغرض لامتناع العبث عليه ولا يتصور له غرض في الإعدام إذ لا منفعة فيه لأحد لأنها إنما تكون مع الوجود بل الحياة ، وليس به أيضاً جزء المستحق كالعذاب والسؤال والحساب ونحو ذلك وهذا ظاهر ، ورد بمنع انحصار الغرض في المنفعة والأجزاء ، فلعل الله في ذلك حكماً ومصلحة لا يعلمها غيره ، على أن في الإخبار بالإعدام لطفاً للمكلفين وإظهاراً لغاية العظمة والاستغناء والتفرد بالدوام والبقاء ، ثم الإعدام تحقيق لذلك وتصديق .

الثالث النصوص الدالة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق كقوله تعالى : « وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى » الآية ، ^(١) و كقوله تعالى : « أو كالبذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنسى يحيي هذه الله بعد موتها » - إلى قوله - : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » ^(٢) و كقوله تعالى : « كذلك النشور » ^(٣) « وكذلك تخرجون » ^(٤) و « كما بدأكم تعودون » ^(٥) بعد ما ذكر بدء الخلق من الطين وعلى وجه نرى ونشاهد مثل « أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق » ^(٦) « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف بدء الخلق » و كقوله تعالى :

(١) البقرة : ٢٦٣ . (٢) البقرة : ٢٦٢ . (٣) فاطر : ٩ .

(٤) الروم : ١٩ . (٥) الاعراف : ٢٩ . (٦) العنكبوت : ١٩ .

«يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش»^(١) إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بالتفريق دون الإعدام.

والجواب أنها لا تنفي الانعدام وإن أم تدل عليه ، وإنما سيقى لكيفية الإحياء بعد الموت و الجمع بعد التفريق لأن السؤال وقع عن ذلك ، ولأنه أظهر في بادي النظر و الشواهد عليه أكثر ، ثم هي معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام و الفناء انتهى كلامه .

و الحق أنه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها ، و على تقدير ثبوته لا يتوقف انعدامها على شيء سوى تعلق إرادة الرب تعالى بإعدامها ، وأكثر متكلمي الإمامية على عدم الانعدام بالكلية لاسيما في الأجساد^(٢) قال المحقق الطوسي رحمه الله في التجريد : والسمع دل عليه ويتأول في المكلف بالتفريق كما في قصة إبراهيم عليه السلام انتهى .

و أما الصور فيجب الإيمان به على ماورد في النصوص الصريحة ، و تأويله بأنه جمع للمصورة كما مر من الطبرسي وقد سبقه الشيخ المفيد رحمه الله فهو خروج عن ظواهر الآيات بل صريحها ، إذ لا يتأتى ذلك في النفخة الأولى ، ويأبى عنه أيضاً توحيد الضمير في قوله تعالى : «و نفخ فيه أخرى» و إطراح للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة ، وقد قال سيّد الساجدين صلوات الله عليه في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة : وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن و حلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور .

(١) القارعة : ٤ و ٥ .

(٢) لما كان انعدام كل شيء الا الله سبحانه يبطل التقدم والتأخر و كل معنى حقيقى و يبطل به النسبة بين الدنيا والاخرة والمبتدئ والمعاد و جميع المعارف الالهية المميّنة تلو ذلك فى الكتاب والسنة القطعية لم يكن مجال لاحتماله ، وما ظاهره ذلك من النصوص مبين بما يعارضه ، وأما أحاديث الصور فهي آحاد لا تبلغ حد التواتر ولا يؤيد الكتاب تفاصيل ما فيها من صفة الصور والامور المذكورة مع نفخه ولا دليل على حجية الاحاد فى غير الاحكام الفرعية من المعارف الاصلية لا من طريق سيرة العقلاء ولا من طريق الشرع على ما بين فى الاصول ، فالواجب هو الايمان باجمال ما اراد من الصور لوروده فى كتاب الله ، وأما الاخبار فالواجب تسليمها وعدم طرحها لعدم مخالفتها الكتاب والضرورة وارجاع علمها الى الله ورسوله والائمة من اهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين . ط

مكتبة جامعة طهران
تاريخ ١٣٥٧/١٠/١٠
مجلد ١٠٠٠
شماره ١٠٠٠

والشواهد على ذلك ثم صار في الآيات الشريفة بالاعدام والبقاء اعني كلام الحق انه لا يمكن الجزم في تلك المسئلة باحد الجانبين لخلاف
الطواهي فيها والكر من كل الامامية على عدم الانضمام بالكلية لاسباب الاحسان دعوى الحق في الطرس حراره في التجريد والسمع عليه وتاويل
في المكلف بالتفريق كما في قضية ابراهيم ^{عليه السلام} واما الصور فيجب الايمان به علما ما ورد في النصوص الشرعية وما عليه بان يرجع للصورة كما مر في الطرس
وقد سبق اربع الفيد حراره في خروج عن مظهر اهر الآيات بل صريحها ان لا يتايل ذلك في الفقه الا في اوله والطراح للنصوص الصريحة
الشرعية من غير حاجة وقد قال سيد الساجدين صلوات الله عليه في الدقة الثالثة من الصحيفة الكاملة وانرا فيل صاحب
الصور الشاخص الذي يتنظر منك الاذن وحلول الامر فينبغي بالفتحة صرعى رهاين الصبور

دانيال ايضا
الضيق في قوله
في اخره

إلى هنا تم الجزء السادس من كتاب بحار الأنوار من هذه الطبعة المزدانة
بتعليق نفيسة قيّمة وفوائد جمّة ثمينة ؛ ويحوي هذا الجزء ٥٠١ حديثاً في ١٧ باباً .
وقد بالغنا في تصحيح الكتاب وقابلناه بنسخة المصنّف قدس سرّه الشريف ، والنسخة
لخزانة كتب فضيلة الفقيه ثقة الإسلام و المحدثين الحاج السيّد (صدر الدين الصدر
العامل) الخطيب الشهير الإصفهاني رضوان الله عليه ؛ وأتلفنا إياها ولده المعظم
العالم العامل الحاج السيّد (مهدي الصدر العامل) نزيل طهران ، فمن واجبنا أن
نقدّم إليه ثناءنا العاطر وشكرنا الجزيل . ولا ننسى الثناء على الشريف الجليل ، المحقق
الفاضل ، السيّد جلال الدين المحدث - أدام الله تأييده - فإنّه لم يرضَ علينا بنفائس
مخطوطات كتاب البحار التي تعدّ من أعلاق أصوله القيّمة ؛ وفقه الله تعالى وإيانا
لجميع مرضاته إنّه وليّ التوفيق .

يحيى عابدي

❖ (بقية ابواب العدل) ❖

- باب ١٩ عفو الله تعالى و غفرانه وسعة رحمته و نعمه على العباد ؛ و فيه
١٧ حديثاً . ١٠ - ١
- باب ٢٠ التوبة وأنواعها و شرائطها ؛ وفيه ٧٨ حديثاً . ٤٨ - ١١
- باب ٢١ نفي العبث و ما يوجب النقص من الاستهزاء و السخرية و المكر
و الخديعة عنه تعالى ، و تأويل الآيات فيها ؛ وفيه حديثان . ٥٤ - ٤٩
- باب ٢٢ عقاب الكفار و الفجار في الدنيا ؛ وفيه تسعة أحاديث . ٥٧ - ٥٤
- باب ٢٣ علل الشرائع و الأحكام ؛ الفصل الاول : العلل التي رواها
الفضل بن شاذان . ٩٣ - ٥٨
- الفصل الثاني : ما ورد من ذلك برواية ابن سنان . ١٠٧ - ٩٣
- الفصل الثالث : في نواذر العلل و متفرقاتها . ١١٥ - ١٠٧

❖ (ابواب الموت) ❖

- باب ١ حكمة الموت و حقيقته ، و ما ينبغي أن يعبر عنه ؛ وفيه خمسة أحاديث ١١٨ - ١١٦
- باب ٢ علامات الكبر ، و أن ما بين الستين إلى السبعين معترك المنايا ، و
تفسير أرذل العمر ؛ وفيه تسعة أحاديث . ١٢٠ - ١١٨
- باب ٣ الطاعون و الفرار منه ؛ وفيه عشرة أحاديث . ١٢٤ - ١٢٠
- باب ٤ حب لقاء الله و ذم الفرار من الموت ؛ وفيه ٤٦ حديثاً . ١٣٩ - ١٢٤
- باب ٥ ملك الموت و أحواله و أعوانه و كيفية نزعه للروح ؛ وفيه ١٨ حديثاً . ١٤٥ - ١٣٩
- باب ٦ سكرات الموت و شدائده ، و ما يلحق المؤمن و الكافر عنده ؛ وفيه
٥٢ حديثاً . ١٧٣ - ١٤٥

الموضوع

الصحيفة

باب ٧ ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت ، وحضور الأئمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن ، و عرض الأعمال عليهم صلوات الله عليهم ؛ وفيه ٥٦ حديثاً .

٢٠٢-١٧٣

باب ٨ أحوال البرزخ والقبر وعذابه و سؤاله و سائر ما يتعلق بذلك ؛ وفيه ١٢٨ حديثاً .

٢٨٢-٢٠٢

باب ٩ في جنة الدنيا ونارها ؛ وفيه ١٨ حديثاً .

٢٩٣-٢٨٢

باب ١٠ ما يلحق الرجل بعد موته من الأجر ؛ وفيه خمسة أحاديث .

٢٩٤-٢٩٣

✽(أبواب المعاد وما يتبعه و يتعلق به)✽

باب ١ أشرط الساعة ، وقصة يأجوج ومأجوج ؛ وفيه ٣٢ حديثاً .

٣١٦-٢٩٥

باب ٢ نفخ الصور وفناء الدنيا وأن كل نفس تذوق الموت ؛ وفيه ١٦ حديثاً

٣٣٦-٣١٦

